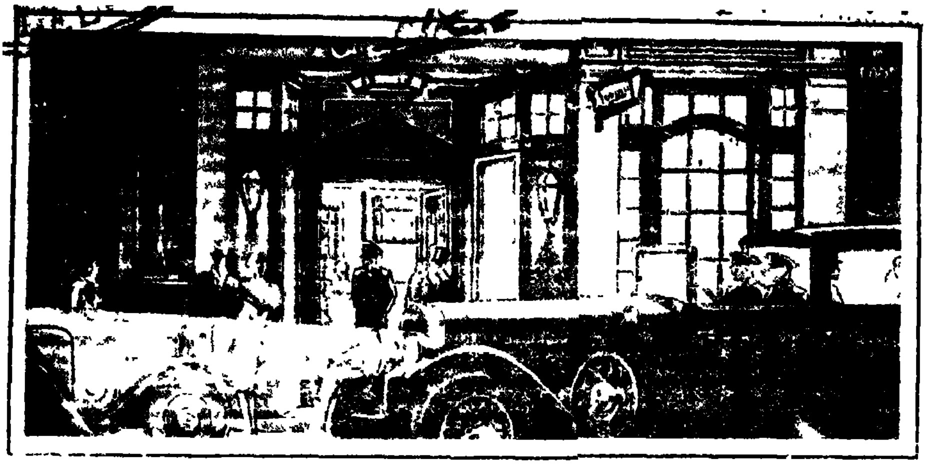


المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميركية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت لهُ خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars
Foreign 120 P.T. or 6 Dollars



جزيرة أنس الوجود وعليها هياكلها المشهورة مصوّرة من الجو وقد نقلناها عن مجلة القدَم الانكليزية

أنظر باب الاخبار العلمية

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الخامس والسبعين

١ يوليو سنة ١٩٢٩ — ٢٤ محرم سنة ١٣٤٨

خطبة مطبوعة — للدكتور صروف

الله والعالم

ان في العالم او بالحري في الارض وما بلغ اليهِ الانسان من الاجرام السماوية كائنات لا يحصيها العدّ ولا تقع تحت الحصر . ولكن العلماء قد فحصوا كل ما وصلوا اليهِ منها وتدبَّروهُ جيداً فرأوهُ يندرج كلهُ في ثلاثة اقسام قسمٌ يحيا ويتحرك حركةً ارادية كالانسان والطير والسمك وهو المسمَّى بالحيوان . وقسمٌ يحيا ولا يتحرك حركةً ارادية كالارز والورد والبقل وهو المسمَّى بالنبات . وقسمٌ لا يحيا ولا يتحرك حركةً ارادية كالتراب والماء والهواء وهو المسمَّى بالجماد . وقد وجدوا لدى الفحص الكيماوي المدقق ان اجسام الحيوان والنبات والجماد تشترك في كونها مركبة من مواد جامدة لا تحيا ولا تتحرك لذاتها ولا يمكن حلها بالوسائط الكيماوية المعروفة الى الآن وهي ما يسمَّى بالعناصر وهذا لا يناقض قولي الآن ان النبات يحيا ولا يتحرك حركةً ارادية لان الحياة والحركة الارادية ليستا خاصةً لازمة للعناصر بل عرَض مفارق يطرأ عليها ويفارقها فان في حياة الحنطة مثلاً اصلاً حيًّا فحين تزرع في الارض وتناسبها الاحوال ينتبه هذا الاصل الحيّ ويمتص بعض العناصر من التراب والماء والهواء وتستطرق حياتهُ الى كل الحبة فتنمو وتصير فرخاً ثم سنبلاً الخ . واما اذا سُلِقَت فمات اصلها الحيّ ثم زُرِعت في الارض وامتصّت منها شيئاً بالقوة التي نسميها بالجاذبية الشعرية فلا تكسب ما عدمتهُ حياةً لانهُ

لا حياةَ فيها . وكذا اذا ادفئت البيضة الجديدة مدةً معلومةً نمت الجرثومة الحية التي فيها واشركت المح والبياض معها في الحياة فيصير الكل فرخاً حيًّا متحركاً ذا لحم وعظم وريش ولا يلبث طويلاً حتى يخرج من حبسهِ ويقفو اثر والديهِ. لكن اذا ساقت البيضة وماتت هذه الجرثومة الحية لم تصر فرخاً مهما استعمل لها من الوسائط . فما هو سرّ هذه الحياة وكيف يستطيع الجسم الحيّ ان يشرك الجماد معهُ في الحياة ؟

سرُّ الحياة

هنا مسألة اشكل حلها . هنا يقف العقل مندهشاً وهو يراجع مقدماتهِ العقلية ومعارفهُ النقلية فيراها عقيمة لا تنتج لهُ نتيجة ولا تأتي بهِ الى حقيقة فيرجع القهقرى ويستعين بالادوات العلمية والوسائط العملية لعلّ هنالك ما يوصلهُ الى هذه الغاية ويكشف عن محياها ستار الاستتار فيأتي بالوسائط الكيماوية ويحلّل بها الاجسام الحية فتنحلّ كلها الى عناصرها البسيطة ولكنها تمسي خاليةً من الحياة . واذا اراد تركيبها ثانية كما كانت تعذّر عليهِ ذلك بل استحال. اما الحياة التي كانت فيها وفقدت حال حلّها فلا يشعر لها برائحة ولا طعم ولا وزن ولا يرى لها عيناً ولا اثراً ولا يعلم كيف كانت قائمة في الجسم ولا الى اين ذهبت فيطرح الوسائط الكيماوية ويلتجئ الى غيرها فلا يرى امامهُ افضل من المكرسكوب اي الآلة المكبرة المفتاح الذي فتح بهِ المتأخرون مغاليق الطبيعة واطلعوا على شيءٍ من اسرارها وغوامضها وهو آلة بصرية ترى بها الاجسام الصغيرة كبيرة . ومن هذه الآلة ما هو متقن جدًّا حتى انك ترى بهِ الجسم اكبر مما هو باكثر من الف الف الف مرة . فلا بدَّ للحكماء من ان يلتجئوا الى هذه الآلة عساها ان تكشف لهم اسرار الحياة وقد فعلوا ولكن غاية ما توصلوا اليهِ بواسطة الآلة المكبرة ان في الاجسام الحية جراثيم صغيرة شفافة لزجة خالية من اللون قوامها كقوام البيض النيء

وقد راقبها العلماء طويلاً وفحصوها باقوى ما عندهم من المكبرات فلم يروا لها اعضاء ولا آلات ولا وجدوا شكلها واحداً في كل انواع النبات والحيوان من الفطير الدنيء الى دماغ الانسان ووجدوا انها تتحرك دائماً بحيث لا تبقى على حالة واحدة ولو لحظةً من الزمان ولا تزال تتناول المواد غير الحية مما جاورها وتحييها حالاً بطريقة عجيبة لم يكشفها العلم ثم تكوّن منها خيوطاً عصبية او شريانية او عظمية او عضلية او نحو ذلك. وتنسج هذه الخيوط اعصاباً وشرايين وعظاماً وعضلات . فان كانت مما يكوّن عظماً لا يمكن ان تكوّن عصباً مهما استعمل لها من الوسائط . وكذا ما يكوّن منها ورقاً لا يمكن ان يكوّن ثمراً وما

يكوّن زهراً لا يكوّن خشباً وقس على ذلك . هذا مع ان جراثيم الورق والزهر والثمر واللحم والعظم والشرايين والاوردة هي بحسب ما يُعلم واحدة ابداً ودائماً في كل انواع النبات والحيوان وفي كل ادوار الحياة وكثيراً ما تكون مواد غذائها واحدة ايضاً ولكنها لا تغلط ولا تخل في عملها . ثم انها اذا كوّنت هذه الاعضاء لا تتركها بل هي نفسها تكون قد تجزّأت اجزاء كثيرة وانتشرت في ما كوّنته لحماً او عظماً او ورقاً او ثمراً الخ حتى انك تراها منتشرة في كل انسجة الجسد بحيث لا تجد فسحة قطرها جزء من خمسمائة جزء من البوصة خالية من هذه الجراثيم . ومقدارها في الجسد الحيّ نحو خمسه جرماً.

كان الاستاذ مليكان العالم الاميركي المشهور يلقي خطبة في موضوع علمي طبيعي ويستعمل فيها لفظة « روح » مراراً فقام احد الحاضرين وطلب الى المحاضر في جفاء تحديد ما يريده بلفظة « روح » فدعاه الخطيب الى ان يرد عليه قائلاً حدد لنا ما يراد بلفظة « مادة » اولاً . وقد القى حديثاً الاستاذ ادنغتون استاذ الفلك في جامعة كمبردج خطبة موضوعها « المعرفة والايمان » بسط فيها الادلة على الاتجاه الجديد في العلم فقال ان العلماء يعترفون الآن بوجود اسرار محجبة لا يقوون على ازاحة الستار عنها فعادوا بذلك عن السبيل الذي سلكه هكسلي اذ قال انه يستطيع ان يعلل كل شيء . وعنده ان هذه [illegible] التي يتصف بها العلماء المحدثون في البحث عن الخلق والكون [illegible] اسرار الوجود انما هي خطوة خطاها العلم الى الامام [illegible] . لذلك يسرنا ان [illegible] انقطاف هذه الخطبة الفريدة في بابها الى [illegible] في مجمع علمي ادبي [illegible] . ولا نعلم هل تليت فيه او لا . ولكنها على كل حال لم تنشر قبلا . وقد بعث الينا بها الاستاذ ديمتري مدلفت نقلاً عن النسخة الاصلية المحفوظة عنده

ومن المؤكد ان هذه الجراثيم لا تتكوّن الاّ من جراثيم حيّة فان قيل انى اتت حياة الجرثومة الاولى وكيف تأتّى ان تعطي الحياة لما جاورها من المواد غير الحية ؟ وكيف تستطيع ان تنقسم الى اقسام كثيرة جدًّا ولكل قسم خواص الجرثومة الاولى تماماً ؟ وكيف تتمّم اعمالها دائماً على غاية الدقة ؟ قلنا : هنا طأطأ كل العلماء رؤوسهم وقالوا لا نعلم ولم يكشَف لنا عمّا هي الحياة ولا يمكن ان تكون خاصةً من خواص المادة للتناقض الظاهر بينها وبين الاستمرار بل هي عرض خارجيٌّ يؤتى بهِ اليها ويذهب بهِ عنها والآتي بها الى هذه الجراثيم شخص قدير قدرتهُ بالغة الى كل الموجودات الحية وقابضة على زمام الطبيعة

ألا يبين من هذا ان الحياة محور دولاب الكون وروح العالم الحيّ تصرّح بوجود الهٍ حيٍ قديرٍ حكيمٍ جرياً على القول الحق ان لكل معلولٍ علة ولكل عملٍ عامل

موازنة

الذين ذهبوا الى معرض باريس رأوا هنالك آلات مختلفة الاشكال والصفات . رأوا آلة تطحن القمح وتعجنهُ وتخبزهُ وأخرى تبلّ التبغ وتفرمهُ وتنسقهُ وأخرى تطبع الورق وتطويه وتخيطهُ الى غير ذلك فذهلوا عن انفسهم وقالوا ما احكم الانسان وما اعجب ما وصل اليهِ . ولو حاولت اقناعهم بان هذه الآلات وجدت من نفسها اي ان دقائق الحديد ودقائق الخشب تجمَّعت وتركبت فصار بعضها عوارض وبعضها مخارز وبعضها دواليب وبعضها اساطين الى غير ذلك من الاجزاء المختلفة الاقدار والهيآت ثم تركبت على اوضاع خاصة فتألفت منها تلك الآلات العجيبة ، ثم ان هذه الآلات جذبت اليها الفحم من طبقات الارض واضرمت فيهِ النار وملأت جوفها من مياه الينابيع فسخن الماء بحرارة النار فصار بخاراً ورفع الاساطين التي فوقهُ فارتفعت وادارت الدواليب الكثيرة وحركت الادوات المختلفة فتسبب عنها طحن القمح وعجن الطحين وخبز العجين وطبع الورق وبلّ التبغ الخ وقد جرى كل ذلك ولم تدخل فيهِ يد الانسان — لو صرحت لهم بهذه النتيجة — لعدُّوك مجنوناً اوهاذراً . بل من تراهُ يسلم بذلك وايُّ عمل يعتقد بهِ سخيفاً كان او ثقيفاً . أيمكن ان توجد هذه الآلات من نفسها ، أيمكن ان تختار هذه الاوضاع بلا صانع قادر على صنعها ، كذلك العقل والنقل لا يسلمان بذلك . العقل والنقل يرفضانهِ واني لأرى التصديق انَّ واحداً وواحداً وواحداً سبعة أيسر من ان المطبعة وجدت من نشء الطبيعة والتصديق ان واحداً وواحداً سبعون اقرب من التصديق بأن الآلة البخارية التي تسيِّر السفن الكبيرة وتقضي اكثر مصالح الانسان وجدت من نفسها

لكن ما هذه الآلات بالنسبة الى اصغر الحيوانات التي لصغرها لا تراها العين التي لو جمع الف حيوان منها معاً ما بلغ جرمها كلها جرم الخردلة الصغيرة ؟ . ما هذه الآلات بالنسبة الى العفن الذي تراهُ مذروراً كالرماد الاخضر ؟ واذا نظرنا اليهِ بالمكرسكوب رأيناهُ غاباتٍ من الاشجار وكلها تحيا وتنمو على صورة قصرت عقول البشر عن ادراك كنهها؟ من يتجاسر فيقول ان هذه الحيوانات وهذه النباتات وجدت هكذا من نشء الطبيعة ؟ لكن ما هذا بالنسبة الى الحيوانات الكبيرة ذات الايدي والارجل والعيون والآذان ؟ اين آلات البشر من جسد الانسان ؟ من عينيهِ ذات الطبقات العديدة والتراكيب العجيبة

فلو جمعت كل آلات البشر شرقاً وغرباً ما ساوت كلها عيناً واحدة في الاتقان والغرابة . ولو اجتمع كل علماء الارض وصناعها وارادوا ان يصنعوا عيناً باصرة كعين البعوضة وصرفوا عمرهم كلهُ في هذا العمل الى ان حانت منيتهم لجثتهم في آخر حياتهم وقد رموا آلاتهم في النار وقالوا كلهم عجزنا عجزنا

ايها السادة والسيدات : ليس في ذلك شيء من المبالغة لان سبيل الحياة والنمو لم يخطُ فيهِ الانسان في ما مضى ولا يؤمل انهُ سيخطو فيهِ في ما يأتي . وايسر على الانسان ان يصدّق باقامة سلم تصل من الارض الى الشمس من ان يصدق بامكان عمل عين باصرة او اذنٍ سامعة او جرثومة نامية وان كان لا يمكن للآلات البسيطة التي يعملها الانسان ان تتكوّن من نفسها بل لا بدَّ لها من صنع قادر على عملها وهي دون الآلات الموجودة الحية بما لا يقدّر فمن يصدق ان هذا العالم العظيم مع ما فيهِ من الاجسام الحية التي لا تقع تحت الحصر وجد من نفسهِ ؟

قال الكتاب العزيز « العلم ينفح » وما اصدق هذا القول على بعض علماء هذا الزمان. فات البعض لان جمهور العلماء المدققين كاون ودانا وسيفارت وكراي ودوصن وكربنتر واكثر مشاهير العلماء الجرمانيين والفرنساويين والانكليز والاميركانيين متفقون على ان الحياة من الخالق القدير سبحانهُ وتعالى والذين يزعمون انها فعل ميكانيكي في عناصر الجراثيم هم شرذمة صغيرة ولا يجزمون بذلك بل يجعلونهُ من باب الاحتمال وحيث وجد الاحتمال بطل الاستدلال كما لا يخفى

وخلاصة ما تقدم ان الكائنات الحية بأسرها تصرح بوجود خالقٍ قدير خلقها واحياها . وليس هذا قولاً جرى على لسان الخلق كما زعم بعض المتفلسفين بل هو حقيقة وقف العلماء عندها وحكم اذعن لهُ مشاهير الباحثين . وهذا ليس كل ما اريد تقريرهُ امامكم أيها السادة لاني اظنهُ مقرراً في عقول الاكثرين حتى ان زيادة تفصيلهِ من باب تحصيل الحاصل بل مرادي ان اقرر امراً آخر ربما لم يكن المرتابون فيهِ قلائل . وهو ان هذا الخالق الحكيم ما خلق هذه الخلائق وتركها بل يعتني بها كل لحظةٍ من الزمان في كل ادوار حياتها . ولو اهملها يوماً واحداً لخرب نظام الكون ومات كل حيّ وتبدَّدت العناصر بداداً بداداً .وهذا لا بدَّ من تقريرهِ بالبرهان فارجوكم ان تسمعوني بالتأني

قلتُ سابقاً ان جميع الاجسام الحية مؤلفة من جراثيم زلالية شفافة وان تركيبها واحد في جميع انواع النبات والحيوان. اما هذه الجراثيم فمركبة كيماويًّا من اربعة عناصر بسيطة وهي الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون . وقد سمعتم ذكر هذه

العناصر مراراً كثيرة ولكني لا اظن انكم رأيتموها وعرفتم كل خواصها فلا بدَّ لي من شرحها قليلاً قبل ان ابين لحضرتكم عظم العناية في المحافظة عليها

الحياة والكيمياء

الكربون عنصر بسيط لهُ اشكال كثيرة ومن أشهرها الفحم الاعتيادي وهو معروف وكلهُ يحترق في الاكسجين ويصير واياهُ غازاً ساماً . وهذه قطعة فحم وهي جامدة سوداء كما لا يخفى (قال الخطيب هذا ماسكاً قطعة فحم كانت امامهُ) . والاكسجين غاز شفاف كالهواء . وهذه زجاجة مملوءة بالاكسجين وهي لا تفرق عن هذه الزجاجة المملوءة هواءً حسب الظاهر (قال هذا ماسكاً بيده زجاجتين) ولكن خواص الاكسجين هي غير خواص الهواء كما سترون من هذه الامتحانات (هنا اشعل الخطيب شمعة ووضعها على سلك دقيق وادخلها في الزجاجة المملوءة هواءً فقلَّ ضوءها ثم انطفأت وشرح ذلك شرحاً وجيزاً ثم اضاء الشمعة وادخلها في الزجاجة المملوءة اكسجيناً فاشتدَّ التهابها وسطع نورها كثيراً . ثم حاول اشعال قطعة الفحم من مصباحٍ امامهُ فاشتعل طرفها قليلاً ولما ابعدها عن المصباح كادت تنطفئ فوضعها حينئذٍ في ملعقةٍ من حديد وادخلها في زجاجة اخرى ملآنة اكسجيناً فزاد اشتعالها كثيراً واضاءت بنورٍ باهر . ثم وضع قطعة كبريت صغيرة في هذه متصلة بقضيب معدني واشعلها قليلاً وادخلها في زجاجة ثالثة ملآنة اكسجيناً فسطع نورها كثيراً حتى كاد يذهب بالبصر ثم وضع قشة مشتعلة في طرف سلك من حديد ملتف على نفسهِ وادخلهُ في زجاجة اكسجين رابعة فاشتعل بنورٍ باهر وبعد ان شرح هذه الاعمال شرحاً وجيزاً قال :

فيتضح من هذه الاعمال ان في الاكسجين خاصة لتقوية اشتعال الاجسام المشتعلة ولو سمح لي المقام لابنت لكم انهُ يشعل اكثر الاجسام وان كانت باردة . والهيدروجين غاز شفاف كالاكسجين ولكنهُ اخف منهُ كثيراً واخف من كل العناصر المعروفة ومن جملة خواصهِ انهُ يتحد بالاكسجين فيتكوَّن منهما ماءٌ . وكل المياه التي على الارض وفي البحر وفي السحاب مركبة من الاكسجين والهيدروجين . والنيتروجين غازٌ شفاف كالاكسجين ولكن خواصهُ تخالف خواص الاكسجين والهيدروجين وهو يتحد بالاكسجين فيتكوَّن من اتحادها حوامض شديدة الفعل اهمها الحامض النتريك اي ماء الفضة الذي يذيب الفضة واكثر المعادن ويميت الانسجة الحيوانية والنباتية كما لا يخفى

قلت ان الجراثيم الحية مركبة من هذه العناصر الاربعة فلو اتحد الاكسجين

بالهيدروجين عند اول اتصالها لحدث من ذلك ماء فقط وبقي النتروجين والكربون معلقان ولو اتحد الاكسجين بالكربون لتكوّن من ذلك غازّ سامّ. ولو اتحد الاكسجين بالنتروجين لتكوّن منهما حامضٌ اكّال . ولو اتحد الهيدروجين بالكربون لتكوّن منهما غاز قابل الاشتعال . ولو جمعت هذه العناصر الاربعة وتركّبت ما أمكن ان يتركب منها الا هذه المركبات وكلها غير حيّة واكثرها مضرّة بالحياة . فمن يخالف نواميس العالم ويركّب هذه العناصر ويجعل منها اصلاً حيًّا ويعتني بهـا دائماً حتى لا تحلّ ولا تتركّب بخلاف ذلك ؟ ومن يعطي لهذه الجراثيم قوةً حتى تكوّن في النبات نباتاً وفي السمك سمكاً وفي الطير طيراً وفي الانسان انساناً ويحكم عليها ويعتني بها في كل ادوار حياتها حتى لا تغلط أبداً ؟ . لانهُ لا يُعهد عن جرثومة نبات كوّنت حيواناً ولا عن جرثومة سمك كوّنت انساناً مع ان الجراثيم واحدة دائماً وتركيبها غير متغير في كل انواع النبات والحيوان وفي كل ادوار الحياة . قل لنا من يرتاب في العناية الالهية ؟ لو بطلت العناية حقيقةً اماكان اكسجين الهواء يحرق جسدك كما حرق الحديد ؟ .أماكان اكسجين جسدك يتحد بهيدروجينه فيصير ثلاثة ارباعك ماءً ؟ . اماكان اكسجين جسدك يتحد بنتروجينه فيصيرا حامضاً اكّالاً ويأكل بدنك ؟ . قل لنا يا من تنكر العناية —لو انتفت العناية كما تزعم فمن كان يمنع جراثيم جسدك عن ان تكوّن لحماً فقط فتصير كلك لحماً لاعظم فيهِ او ان تكون عظماً فقط فتصير كلّك قطعة من عظم او ان تكون دماً فقط فتصير بركة دم تنتن عما قليل وتهب رائحتك الخبيثة في الاقطار ؟

عناية الله شاملة

ومن الناس من يقولون ان الله معتنٍ بالامور الكبيرة ولكنهُ لا يلتفت الى الصغيرة فلو صحَّ زعمهم وترك صغار الاشياء لترك الجراثيم نفسها لانهـا من اصغر ما يوجد . ولو تركها سنة واحدة لخرب نظام العالم وصار الانسان يزرع ارضهُ قمحاً فتنبت لهُ عقارب وينصب كرمهُ عنباً فيخرج لهُ حيات ويتزوج بامرأة فتلد لهُ جنادب ويركب على فرس فيستحيل تحتهُ ضفدعاً . ولا تظنوا ايها السادة اني خرجت من معرض الجد الى معرض الهزل حاشا لي ان اقرر لديكم الا الحق فانهُ لو بطلت العناية لحظةً من الزمان لتعذر علينا ان نعرف مصير هذه الجراثيم . اما الذين ارادوا ان ينكروا العناية فقد بذلوا جهدهم في جمع شواذ الكون لاثبات دعواهم . ولما وجدوها شيئاً لا يذكر بالنسبة الى امورهِ القياسية اخذوا يبحثون عن سبب في المادة يجعلها تسير على سنن واحد والى الآن ما وجدوا .

انكروا العناية الالهية ونزّلوا الله (تعالى الله علوًّا كبيراً)عن عرش العالم واخذوا يفتشون عن غيره والى الآن ما وجدوا — ولن يجدوا حداً لملكه الدائم الاعلى فندعهم في خوضهم الى ان يعلن الله ذاتهُ وينبهم عن غيّهم . اما ما تقدم فكافٍ لاقناع غير المكابر بان حياة الاجسام الحية تستلزم وجود الهٍ محيٍ واتمامها وظائفها بلا خلل يستلزم كون هذا الاله ناظراً اليها ومعتنياً بها

الى هنا اطلقت الكلام على النبات والحيوان . اما الآن فأريد ان احصر كلامي في الانسان فاقول : قد ظهر من الابحاث المدققة ان الانسان قد اعتقد في كل اينٍ وآن بوجود الهٍ وبوجوب العبادة لهُ ولا يخلو هذا الاعتقاد ان يكون غريزة في فطرة البشر او استنتاجاً اتصلوا اليهِ بالدليل او اعلاناً جاءهم بوحيٍ من هذا الاله . فان كان غريزة في فطرتهم فالذي فطرهم عليهِ هو خالقهم وهو خيرُ شاهدٍ لنفسهِ وان كان استنتاجاً فلا بدَّ من انهم استنتجوهُ مما في الطبيعة من الشواهد على وجود الله وعنايتهِ كما قدرأينا هذه الليلة ونعمَ ما فعلوا وان كان الله سبحانهُ قد اعلن لهم ذاتهُ بطريقة ما فاعتقادهم في محلهِ وهو عين الصواب. وعلى كلٍّ فوجود هذا الاعتقاد بين كل البشر دليل على ان آداب الانسان تثبت وجود الله وعنايتهُ . فالعالم الادبيّ يعلن وجود الله ويثبت كونهُ معتنياً بخلائقهِ دائماً مثل العالم المادّي

ويترتب على ذلك امر جوهريٌّ جدًّا . وهو ان الله ناظر الى كل فرد من افراد البشر دائماً وابداً فاذا كان الله ناظراً الينا دائماً فايّ اناس يجب ان نكون ؟

يا دعاة الحق يا من يغارون على خير بلادهم يا من يقصدون اصلاح العالم يا من يضحون بمصالحهم في خدمة وطنهم يا من يسفكون دمهم في طلب الراحة والحرية وانقاذ المظلومين ورفع لواء العدل والانصاف انا اريكم طريقاً لبلوغ امانيكم . اذهبوا وعلّموا الناس ان الله ناظر اليهم دائماً اذهبوا واطبعوا في عقول الناس ان عيني الله عليهم دائماً . اطبعوا في عقل القاضي ان عيني الله عليهِ ينتفِ كل ظلم من حكمهِ . اطبعوا في عقل التاجر ان عيني الله عليهِ ينتفِ كل خداع من متاجرتهِ . اطبعوا في عقل العامل ان عيني الله عليهِ ينتفِ كل غش من عملهِ. اطبعوا في عقول الجميع ان عيني الله عليهم يرتع الناس في بحبوحة الامن والراحة والحرية والسعادة . يا رجال سوريا — ويا رجال الشرق كافةً — فتشوا عن كل الوسائط التي يمكن استخدامها لترقية شأن بلادكم تجدوا ان هذه هي الواسطة الفضلى وان لم يمكننا ان نغير عقول كل اهل الجيل الحاضر فلنسعَ في تغيير عقول الجيل المقبل . وفقنا الله الى الصواب

لا تزال الاحياء تتحوَّل وتتنوَّع

هل نستطيع مشاهدة النشوء

يتلخص مذهب النشوء والارتقاء في ان الحيوانات والنباتات تتحوَّل وتتطوَّر فينشأ من تحوّلها وتطوّرها انواع جديدة من الحيوان والنبات . حدث ذلك في العصور الماضية ولا يزال يحدث الآن . فهو مذهب يتناول مسائل واقعة كجري جدول او نموّ شجرة لا اموراً من وراء العقل والطبيعة . فالنشوء العضوي اذاً فعل فسيولوجي كفعل الهضم . وهو فعل لا يحدُّهُ زمن من الازمنة كان يجري في الماضي وهو جارٍ الآن وينتظر ان يظلَّ جارياً الى ما شاء الله . فاذا كان في امكانك ايها القارئ ان تعيش زمناً طويلاً اتيح لك ان ترى الاحياء تبدأ حياتها بسيطة التركيب قليلة الانواع فتتغير اشكالها وتتحول صفاتها على مرّ الزمن حتى تصير معقدة التركيب كثيرة الانواع — اي انك تستطيع ان تشاهد الاميبا وهي ابسط الحيوانات وادناها في سلم النشوء تتحول الى احياء اخرى أثبت شكلاً واعقد تركيباً . وان تشاهد الهباريون يصبح فرساً . وحيواناً شبيهاً بالقرد يصير انساناً

بطء النشوء

ولكن ما من احد يطمع في ان يعمَّر حتى تتاح لهُ مشاهدة هذه الاشياء . لان فعل التطور بطيء كلَّ البطء . وما يحدث منهُ في مدى حياة رجل او حياة عدة رجال يتبع احدهم الآخر سوى نزرٍ قليل . على ان الباحثين والعلماء تمكنوا من ان يكشفوا عن افعال طبيعية بطيئة وان يقيسوها . فكلٌّ من قطبي الارض يدور في دائرة صغيرة من الفضاء دورة بطيئة تستغرق خمساً وعشرين سنة حتى يتمها مرّة . ولكن العلماء كشفوا عن هذه الحقيقة وقاسوا سرعة هذا الدوران . والنجوم الثوابت ليست ثابتة حقًّا فاذا نُظر اليها في مجموعها وجد انَّ تغيراً طفيفاً يحدث في مواقعها قد لا يستطاع الكشف عنهُ لدقتهِ الاَّ في قرن او قرنين . ولكن علماء الهيئة كشفوا عن ذلك وقاسوهُ . وهناك عناصر تعرف بالعناصر المشعّة تنحلُّ بانطلاق ذرات دقيقة منها في شكل امواج فاذا انقضى عليها الوف من السنين وهي تنحلُّ كذلك تحوّلت من عنصر الى عنصر آخر . فالراديوم يصبح بعد انحلالهِ على هذا المنوال رصاصاً ولكن تحولهُ على هذا النمط يستغرق الوف الالوف من

السنين . ومع ذلك تمكن علماء الطبيعة من الكشف عن حقيقة هـذا الانحلال والتحول وقاسوا سرعتهما قياساً دقيقاً

فاذا كان العلماء قد تمكنوا من قياس هذه الافعال الطبيعية البطيئة جدَّ البطء افلا يستطيعون ان يشهدوا افعال النشوء والارتقاء ويقيسوا سرعتها. أولا يستطيعون ان يشهدوا التغير الذي يطرأ على جسم من الاجسام او نوع من الانواع فيجعله اعقد تركيباً واعلى مقاماً في سلّم النشوء ويفضي بهِ الى توليد انواع جديدة ؟

اننا لا نستطيع ان نشهد مباشرة نموَّ شجرةٍ من الاشجار ولكننا اذا صوَّرنا نبتة صغيرة صورةً شمسية مرة كل اثنتي عشرة ساعة مثلاً مدى شهرٍ ثم عرضنا هذه الصور بالتتابع كما يعرض فلم من الصور المتحركة استطعنا ان نشهد الشجرة تنمو وعرفنا كيف يكون نموها. افلا نستطيع ان نحصل على صورة من هذا القبيل لفعل من افعال النشوءِ ؟

العمل محفوف بالمصاعب . ففعل النشوء بطبيعتهِ فعل معقَّد لان نشوء الانواع قد يحدث في نواحٍ مختلفة من تركيب الاحياءِ ووظائف اعضائها . وبعض الانواع قد يحط حتى ينقرض والبعض الآخر قد ينمو اكثر تعقيداً ويتطور في صفاتهِ ومميزاتهِ حتى يتكيف للاحوال المتغيرة التي تحيط بهِ . وهناك طائفة اخرى قلما تظهر عليها آثار التغيير على الاطلاق . لذلك لا يمكن ان يكون فعل النشوءِ فعلاً مطرداً لان غايتهُ تكثير الانواع لا تقليلها وتعقيد التركيب لا تبسيطهُ . فما هي اوصاف التغيرات التي ننتظر مشاهدتها في اثناء حياة انسان اذا اتيح لنا ان نشهد فعل النشوءِ ونتائجهُ في بعض الاحياءِ

علينا اولاً ان نتناول في بحثنا حيًّا من الاحياءِ التي تتصف بسرعة التناسل حتى يتاح لنا ان نرقب اثر النشوءِ في اجيال كثيرة متعاقبة من نسلها . وهذه الاحياء كثيرة ومنها ما ينتج جيلاً جديداً كلَّ يوم او كلَّ بضعة ايام . وعلينا كذلك ان نتخذ اساساً لدرسنا فرداً من النوع الذي يقع عليهِ اختيارنا وان نتناول كل نسله بالمراقبة والتحليل . فبحسب مذهب النشوءِ لا بدَّ من وقوع شيءٍ من التغيير جيلاً بعد جيل واكثر وجوه التغير التي تشاهد يكون سحابة صيف وتنقشع يظهر في جيل ولا يظهر في الذي يليه ولكن منهُ ما يبقى لهُ اثر في الاجيال التالية اي انهُ يورَّث لها . وهكذا نرى ان نسل الفرد الذي حصرنا درسنا فيهِ قد اخذ يتغير بظهور صفات تنتقل من جيل الى جيل بالوراثة فتظهر افراد جديدة تختلف عن الفرد الاصلي ويختلف بعضها عن بعض . والنوع الواحد منها يمهد الطريق كذلك لظهور انواع جديدة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً وراثيًّا

ولا يحق لنا ان ننتظر ان يكون هذا التغير كبيراً في مدى حياة رجل او عدة رجال

متتابعين . فالزمن الجيولوجي طويل طويل وعمل النشوء بطيء بطيء . ومذهب النشوء نفسهُ لا يقضي بوجوب نشوء انواع جديدة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً بيناً في زمن قصير كحياة الانسان . وما يطلبهُ عامة المثقفين من مشاهدة قطة او نسل قطة يحول الى نوع من الكلاب او حيواناً رخواً كالاميبا يصير حيواناً فقارياً لا يتفق مع الاركان التي يقوم عليها مذهب النشوء . اننا لا ننتظر ان نرى نوعاً جديداً من الاحياء مستقلاً بصفاته ومميزاته قد خلق واستتمّ تكوينهُ في مدى حياة احد منا. وكل ما يقضي بهِ مذهب النشوء هو ظهور تغيرات وراثية طفيفة حتى اذا تكاثرت وتجمعت نشأ من نوع واحد من الاحياء انواع كثيرة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً وراثياً طفيفاً وهكذا

فهل نستطيع ان نشاهد هذه التغيرات التي يقضي بها مذهب النشوء ? لقد بحث الباحثون في طائفة من الحيوانات سريعة التناسل مباحث تقوم على هذه الاركان . والى القارئ خلاصة التجارب التي قام بها الاستاذ جننغز استاذ علم الحيوان في جامعة جونز هبكنز الاميركية

التجارب في الاميبا

من الاقوال التي تتناقلها عامة المتعلمين ان الاميبا هي الحيوان الاصلي الذي تسلسلت منهُ كل الحيوانات وانفحص الاميبا اذاً لنرى هل هي لا تزال تتحول وتتغير فينشأ منها بتحولها وتغيرها اصناف جديدة . بعض انواع الاميبا رخو لا غطاء يغطيهِ وليس لهُ قوام او شكل خاص ولذلك يتعذر او يستحيل ان نشاهد فيهِ بعض التغيرات الوراثية التي تطرأ عليهِ . وبعض انواعها الاخرى لهُ صدف يحيط بجسمهِ الرخو ليحفظهُ من الطوارئ وفيهِ يسهل البحث عن التغيرات الوراثية ومراقبتها . ومع ان انواع الاميبا الصدفية تشبه الاميبا الرخوة في اكثر صفاتها الاَّ ان كلاًّ منها يطلق عليهِ اسم خاص . والنوع الخاص الذي انتخب لهذه التجارب يعرف « بالدفلوجيا كورونا » وهو حيوين مكرسكوبيٌّ قطرهُ نحو ١ من ١٥٠ جزءاً من البوصة يتكاثر من غير تناسل اي ان كلَّ فرد ينشطر الى شطرين ثم ينمو كل من هذين الشطرين نموًّا طبيعيًّا كاملاً فاذا بلغ درجة معينة انشطر هو بدورهِ الى شطرين فكل فردٍ من هذا النوع اذاً لهُ والد واحد لا والدان كما هي الحال في الحيوانات التي تتناسل. وهو سريع التكاثر يظهر نسل جديد منهُ كلَّ يومين الى اربعة ايام. ففي اثناء سنةٍ واحدة يستطيع الباحث ان يراقب اجيالاً كثيرة متعاقبة من نسلهِ. فهل تبقى هذه الاجيال الكثيرة وافرادها متماثلة في صفاتها الوراثية ? وهل تتغير وتختلف كما يقضي مذهب النشوء

اخذ الاستاذ جننغز اميبا واحدة من هذا النوع وتركها تتكاثر على طريقتها حتى صار

لها الوف من الابناء والاحفاد وراقبها في اثناءِ ذلك. ففي افراد الاجيال الاولى لم يكن في الامكان الكشف عن تغيرات وراثية. نعم كان الخلف يختلف عن السلف في صفات معينة ولكن هذه الصفات لم تكن تورث للجيل الذي يليهِ. على انهُ لما تعاقبت الانسال وكثرت وزاد عدد افرادها رأى ان بعض هذه التغيرات تتجمع وتصبح وراثية. ففي بعض الافراد كان يرى شوك صدفها اطول منهُ في اسلافها وفي بعضها اقصر منهُ في اسلافها. كذلك بدأ يرى اختلافات كثيرة في الحجم والشكل وهذه الاختلافات كانت تورث الاجيال التالية. ولما انقضى الوقت الكافي وجد ان الحيوان الاول الذي بدأ تجاربهُ بهِ قد اخلف انواعاً مختلفة هي اشبه شيء بفروع شجرة نشأت كلها من جذع واحد. وهي كثيرة يختلف احدها عن الآخر اختلافاً وراثيًّا وكل فرع او نوع يشتمل على عدد كبير من الافراد وتظهر في كل منها الصفات الخاصة بالنوع الذي تنتمي اليهِ

فما يقضي بهِ مذهب النشوء ينطبق كل الانطباق على حيوان «الدفلوجيا كورونا» واذا كان ظهور هذه الصفات والاختلافات الوراثية وتنوُّع النسل هو النشوء فالعلماء قد شهدوا النشوء في اثناءِ حدوثهِ. وقد تناول الباحثون حيوانات اخرى من قبيل الدفلوجيا فاسفرت مباحثهم كلها عن مطابقتها لمقتضيات مذهب النشوء. اي ان الحيوانات التي درست لم تبق على ما هي من غير ان يطرأ عليها تغيير ما. ومع انَّ عمل النشوء عمل بطيء تمّا كلَّ البطء تمكن هؤلاء الباحثون من ان يروا الانواع الجديدة التي تختلف وراثيًّا بعضها عن بعض تنشأ وتتكاثر من اصل عام واحد وهذه هي خلاصة مذهب النشوء

في الاحياء العليا

على ان مراقبة هذا التحوُّل والتغيُّر في الحيوانات العليا والنباتات العليا صعب كلَّ الصعوبة. بل يكاد يكون متعذراً. اولاً لان التناسل بطيء فيها فالانسان لا يستطيع ان يشاهد في اثناءِ حياتهِ سوى بضعة اجيال من الحيوان الذي خصهُ بالبحث والامتحان. ثم هنالك عقبة اخرى وهي ان التناسل في الحيوانات العليا عمل يشترك فيهِ اثنان والدٌ ووالدة. والوالد يختلف دائماً عن الوالدة في بنيتهِ وصفاتهِ الوراثية فينشأ الولد جامعاً في كيانهِ مزيجاً للصفات الوراثية التي يمتاز بها اصلان يختلفان كل الاختلاف. فتعيين كلّ اتجاهٍ جديد في صفات الابن يحتم مقابلتهُ على الصفات التي ورثها من امهِ او من ابيهِ وهذه متعذر تعيينها او هو غاية في الصعوبة

على ان العلماء الذين يقفون حياتهم وقوتهم للبحث عن الحقيقة لا يحجمون امام

العقبات . لذلك اكبوا سنين طوالاً على درس الصفات الوراثية في طائفة من الحيوانات العليا ثم راقبوا نسلها مراقبة دقيقة حتى يروا ما يستجدُّ فيها من الصفات التي تورَّث للاجيال التي تليها. وقد عني احدهم — الاستاذ مورغان وتلاميذهُ — بدرس حشرةٍ تعرف بذبابة الفاكهة (الدروسوفيلا) وبلغ درسهم درجة من الدقة مكَّنهم من تدوين مئات من الصفات الوراثية الدقيقة . وفي التجارب التي جربوها نشأ من « الدروسوفيلا » مئات من الانواع الجديدة التي تختلف عن النوع الاصلي اختلافاً وراثيًّا . والصفات الوراثية الجديدة في بعض هذه الانواع ظاهرة كلَّ الظهور كنشوء نوع جديد ابيض العيون من نوع احمر العيون او حين يخلّف نوعٌ طويلِ الاجنحة نوعاً قصيرها او معدومها . والعلماء الذين راقبوا هذه التغيرات الظاهرة اولاً ظلوا مدة يذهبون الى ان كل تغيُّر نشوئي جديد يحدث فجأة . ولكنهم لما تبطنوا موضوع بحثهم وعرفوا مخارجهُ ومداخلهُ وجدوا ان هناك تغيرات طفيفة لا تكاد ترى لدقتها تتوسط الانتقال من صفةٍ الى صفةٍ اخرى تختلف عنها. فقد وجدوا مثلاً ان بين العيون الحمر والعيون البيض ظهرت عشرات من العيون المتعاقبة تتباين طيوف الوانها بين الاحمر والابيض . ومن قبيل العيون وجدوا تغيرات فسيولوجية كثيرة لم يستطيعوا تبينها الاَّ بعد جهد كبير بذل في البحث . وكذلك ثبت لهم ان التحوّل الوراثي المتدرج تطرق الى كل اعضاء الحيوان . فنشأ من نوع الدروسوفيلا الاصلي مئات من الانواع المختلفة . وقد كشف حديثاً الاستاذ ملر الاميركي انهُ اذا استعمل اشعة اكس استعجل ظهور هذه التحولات التي تحسب اساساً للارتقاء العضوي في الاحياء

***

لا يزال العلماء يجهلون الاسباب التي تبعث على هذه التحولات واساليب حدوثها. على ان الجهل بهذه الامور يجب ان لا يقف حائلاً دون الاعتراف بحقيقة النشوء — بحقيقة التغير الذي يحدث في اعضاء الاحياء وصفاتها. ولنذكر ان امامنا مذهبين متناقضين. الاول يقول ان بناء الاجسام ثابت لا يتغير وانَّ الاحياء ولدت كما هي لم تتغير ولن تتغير. واصحاب المذهب الآخر — مذهب النشوء والتطور — يقولون ان بنية الاحياء تتغير تغيراً وراثيًّا على مرّ الاجيال والعصور . وان من نوع واحد تنشأ انواع عديدة مختلفة بفعل التحول الوراثي في الافراد . وقد ايدت المباحث الدقيقة التي قام بها العلماء في الحيوانات التي في اسفل سلم النشوء هذا المذهب . اذ قد ثبت لهم ان هذه الحيوانات تتغير فعلاً وتنشأ منها انواع جديدة تختلف احدها عن الآخر . فالحقائق التي اثبتها الباحثون تؤيد مذهب النشوء والتطور وتدحض المذهب المناقض لهُ

كيف نكافىء العلماء

بالمعاشات او بالهبات او بالاوسمة او بالتماثيل

كنا في انكلترا في الصيف الماضي حين اعلن السر رونلد روس رغبته في بيع مدوناته العلمية ليكفي نفسه وامرأته مؤونة القلق على اسباب العيش . فدهشنا ان نجد في بلاد كبلاد الانكليز عالماً معوزاً وخصوصاً اذا كان من مقام السر رونلد روس او امثاله . وقد سررنا حين قرأنا في الصحف في شهر مايو الماضي ان الامة الانكليزية عنيت بجمع خمسين الف جنيه واهدائها الى هذا العالم الممتاز . وثارنا الخبران لنشر هذا المقال

من الامور المعروفة ان جانباً كبيراً من ثروة الامم في هذا العصر ناجم عن المباحث العلمية التي طبّقت على الصناعة والزراعة والمواصلات والمخاطبات وغيرها ولذلك يرى كثيرون من المفكرين ان الانصاف يقضي بمكافأة العلماء بجانب من هذه الثروة التي يتقاسمها العمال واصحاب الاموال . ومن اشهر الداعين الى هـذا العمل السر رونلد روس مكتشف اسباب نقل الملاريا فهو يذهب الى ان العلماء الذين اكتشفوا مكتشفات علمية ذات شأن يجب ان ينالوا من خزينة حكومتهم معاشات تكون على الاقل معادلة لمعاشات القواد

اذا اكتفينا بنظرة عجلى الى الرأي القائل بوجوب مكافأة العلماء اقتنعنا بصحته حالاً . فكثيرون من اصحاب الاعمال العقلية والفنية كالمؤلفين والموسيقيين والمصورين والنقاشين يتمتع الواحد منهم بدخل كبير متى بلغ درجة عالية في الفن الذي يعالجهُ . اما العالم فلا امل لهُ في ان ينال اكثر من الفي جنيه في السنة وفي الغالب يحسب نفسهُ موفَّقاً اذا ظفر بمنصب مرتبهُ الف جنيه . واما العلماء الذين لا ينالون سوى ٣٠٠ جنيه في السنة فغير قلائل واذا شاء احدهم ان يزيد دخلهُ السنوي تحتم عليهِ ان يخرج عن جادة البحث العلمي الصميم فيستخدم مواهبهُ ومعارفهُ في الامور الصناعية او في تأليف الكتب العلمية بسيطة التناول او في غير ذلك من الاعمال التي يكثر عليها الطلب وتعود عليهِ بالكسب الوفير . وفي تلك الحال يفقد العلم ما كان هذا الرجل قادراً ان يكشفهُ لو استمر في بحثهِ . ولا يخفى ان العلماء لا يكسبون شيئاً من تسجيل مكتشفاتهم لان كثيراً منها لا يسجل . فالعالم بالحيوان لا يستطيع ان يسجل نوعاً جديداً من السمك كشفهُ ولا الفلكي كوكباً عثر عليهِ . والآداب الطبية تحظر على الباحثين في الامراض واسبابها ووسائل علاجها ان يسجلوا اساليب



السر رونلد رُس

الطبيب الانكليزي المشهور مكتشف طريقة انتقال الملاريا ونائل جائزة نوبل الطبية سنة ١٩٠٢

مقتطف يوليو ١٩٢٩
امام الصفحة ١٣٥

العلاج الجديدة واحتكارها . كذلك لا يستطيع الكيماوي ولا العالم الطبيعي ان يسجل مكتشفاته الكبيرة لسببين اولهما انهُ لا يعلم متى يستفاد من هذا الاكتشاف او ذاك فائدة عملية. فلما كشف رتشردصن عن القوانين التي يجري عليها انطلاق الكهارب من المعادن الحامية لم يخطر له انهُ كشف وسيلة تُبنى عليها المخاطبات التلفونية اللاسلكية فيما بعد فلم يكن في امكانهِ ان يسجل اكتشافهُ تسجيلا يمنع تطبيقهُ في المستقبل. ولقد كُشفت حقائق كثيرة متعلقة بالكهاربِ المنطلقة من المواد المشعة لم تطبق حتى الآن تطبيقاً عمليًّا ولكنها لم تسجَّل تسجيلا يمنع احداً من استخدامها في المستقبل . ثانياً اذا عظم الاكتشاف طال الزمان الذي ينقضي قبل الانتفاع بهِ فقد انقضى زمن طويل على اكتشاف فراداي لمبادئ المحرك الكهربائي قبلما بدىء بالتوسع في صنعهِ صنعاً تجاريًّا . مع ذلك لم يكسب فراداي مليماً واحداً من اكتشافهِ هذا وورثتهُ الشرعيون لا ينالون ربحاً عليهِ مثلما ينال ورثة الاميرال نلسن لانتصارهِ في معركة طرف الغار

واذا نظرنا الى الفرنسويين وجدنا انهم لا يكافئون رجال العلم عندهم بما يكفي لمعيشتهم . ولكنهم يقيمون لهم تماثيل فخمة حينما يموتون ويدعون الشوارع باسمائهم. ولعلَّ التمثال او تسمية الشارع باسم عالم راحل اقوى باعثاً على شحذ الهمم من زيادة المرتب او دفع المعاش للورثة

ولا ريب في ان وضع نظام لمكافأة العلماء يصطدم بعقبة كؤود هي الصعوبة في تقدير قيمة اكتشاف علمي في الوقت الذي يكون العالم قادراً ان يتمتع بنتائج هذا التقدير . وقد يجيء اعتراف الامة باكتشافهِ بعدموتهِ او بعد ما يبلغ من السن ما لا يفيد معهُ جمع المال. والمرجح ان اللجان التي قد تعيَّن لمكافأة العلماء تهتمُّ بما يكشف من الحقائق الجديدة اكثر مما تهتم باسلوب جديد للبحث . نضرب مثلاً على ذلك منح جائزة نوبل الطبية لبانتنغ ومكلود لكشفهما الانسولين — المادة التي اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري . فان كل المواد التي حُضّرت قبل الانسولين كانت تجرَّب في كلاب حتى يعرفَ ما لها من الاثر في مقدار السكر في الدم . ومن المعروف ان تحليل الدم تحليلاً دقيقاً حتى يُعرَف ما فيهِ من السكر عمل دقيق جدًّا وخصوصاً متى كان الباحث يشتغل بقطرتين فقط من الدم . هذا التحليل لم يبلغ الدرجة من الدقة التي بلغها الآن الا بعد ٦٠ سنة من البحث الدقيق في مئات المعامل الطبية والفسيولوجية وقد استغرق ارتقاؤه وقتاً اطول واقتضى دقة ومهارة اعظم مما اقتضاه كشف الانسولين فاعطيت الجائزة لمكتشفيِ الانسولين لا للذين مهدوا بعض السبيل لاكتشافهِ

فاذا وضع نظام لمكافأة العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم بقي كثير من المكتشفات العلمية مجهولاً ولم ينل اصحابه المكافأة الجديرة به . ما من نظام مهما كان محكماً يمكن اصحابهُ من التنبؤ بما يكون حكم المستقبل على مكتشف من المكتشفات . وفوق ذلك فانهُ يحول العلماء عن البحث العلمي المحض الى البحث عن امور تسترعي الانظار حتى يفوزوا بالمكافآت . ولو وهب احد الاغنياء من خمسين سنة مكافأة مالية تعطى لمن يكشف مادة اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري لتحول كثيرون من الباحثين الذين وضعوا الاسلوب الدقيق لتحليل الدم عن بحثهم هذا الى البحث عن الانسولين ولعجزوا عن الاثنين

ثم لننظر الى امر آخر . ما من اكتشاف كيماوي احرى بالمكافأة من اكتشاف عنصر جديد . ولقد كشف في السنوات الاخيرة اربعة عناصر جديدة ولكن هذه العناصر لم تكشف الاَّ بتطبيق قانون موزلي الذي يعين علاقة محدودة بين طيف اشعة اكس وعدد العنصر الجوهري . ولم يتوصل موزلي الى وضع هذا القانون الاَّ بعد مباحث جمه وقياسات دقيقة نجم عنها شبهُ اداة يستعملها الكيماوي في كشف العناصر الجديدة . مع ذلك ارجح ان قانون موزلي لم يذكر في الصحف على الاطلاق حين كشف وأرتاب كل الارتياب في هل يرضى الشعب عن توزيع اموال الدولة على امثال موزلي مكافأة على اكتشاف لا يدرك قيمتهُ

وقد ارتأى الاستاذ هلداين — منشىء هذا المقال ان انشاء نظام يكافأ بهِ العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم لا يفي بالغرض ولذلك اقترح انهُ يضمن للاساتذة والباحثين في الجامعات والجمعيات العلمية مرتبات تكفهم ليكونوا في بسطة من العيش. وعندهُ انهُ يجب الاهتمام بنوع خاص بالمباحث العلمية المحضة ، وان يُفصل اذا امكن ، بين رجال البحث العلمي المحض ورجال التعليم . اذ قد يكون احد الباحثين من اقدر الناس على المباحث العلمية ولكنهُ قد يكون من اضعفهم في سرد الحقائق على جمهور المتعلمين ثم قال :

لقد مضى الوقت الذي نستطيع فيهِ ان نكافئ فراداي وهرتز وباستور ولكننا نستطيع ان نكفل لخلفائهم ما يمكن كلاً منهم من تربية عائلة صغيرة وتعليم اولادهم تعليماً راقياً والحصول على بعض الكماليات كاتوموبيل صغير . انني لا استطيع ان اذكر الآن منصب استاذ واحد في بلاد الانكليز او فرنسا يضمن هذه الشروط . فعلى رجال البحث العلمي ان يختاروا بين ترك البحث الذي تفرغوا لهُ او عدم الاقبال على الزواج او تحديد العائلة. واني اعرف كثيرين من اكبر رجال العلم الذين تركوا البحث العلمي فصاروا صحافيين او تجاراً فكسبوا اموالاً طائلة ولكن ماذا كسب العالم — بل كم خسر ! وبعضهم يكتفي بولد او ولدين وفي هذا خسارة ايضاً لان جانباً كبيراً من المقدرة العلمية يورَّث وراثة طبيعية واجتماعية



صورة خيالية مبنية على حقائق علمية للحيوان اللبون الضخم الذي وجدت آثاره في منغوليا . وفي الزاوية صورة الدكتور اندروز موضوع هذا المقال

مقتطف يوليو ١٩٢٩

أمام الصفحة ١٣٧

رجال العلم والعمل

سيرة الباحث عن منشإِ الاحياء

ماذا تقول ايها القارئ اذا عهد اليك في قيادة بعثة علمية الى صحراء غوبي لتبحث في ارجائها المترامية الاطراف عن آثار الاحياء المطمورة في طبقات ارضها؟ ماذا تفعل اذا حاول الثوار احباط عملك بالحرب تارة وقطع الطريق عليك تارة اخرى؟ هل تحملك محبة العلم والعمل على الاستهانة بجرح بليغ يصيبك او كأس الموت ترده ظمأً او جوعاً او لدغاً او تحت كثيب من الرمل تطمرك به العاصفة الهوجاء؟ اجب عن هذه الاسئلة ثم اقرأ هذا المقال

صدر الصحراءِ الصينية مضطربٌ تقيمهُ وتقعدهُ عاصفة هوجاء . والريح صرصر تسفي الرمل كثباناً وتقذفهُ رشاشاً فيلطم الرؤوس والارجل والافخاذ وينخس الوجوه كالابر . حرُّ النهار شديد يزهق النفوس وبرد الليل قارس يحزُّ العظمَ ويقضُّ المضجع الدفئ . وفي خيمة مضروبة في ذلك الفضاءِ المترامي الاطراف رقد على سرير الضنى رجل جريح في مقتبل العمر احمر العينين ضيّق النفس يئن من وطأة الحمّى . دخل عليهِ اثنان من صحبهِ لتفقد حاله وما لبث ان همس احدهما في اذن الآخر « لا بدَّ من نقلهِ » فانتبه الجريح من سباتهِ وسألهما عن حال العاصفة فاجيب انها لا تزال على ما كانت عليهِ من شدة الهبوب. فسألهُ الاول « كيف حال ساقك » فاجاب « لا بأس انما الالم ينبض نبضاً ». فقال الثاني ودلائل العزم والحزم تبدو في كلامهِ — لقد قررنا ان ننقلك من هنا حالما تسكن هذه العاصفة الثائرة. فلما سمع الجريح كلام رفيقهِ رفع رأسهُ واتكأ على ذراعهِ وقال غاضباً « لن تفعلوا شيئاً من هذا » فقال احد الصديقين ولكن اذا تركناك هنا فقد يلتهب الجرح ويفضي النهايةُ الى ما لا تحمد عقباهُ . فاعترض الجريح قائلاً « لن يلتهب » . فتركاهُ عند هذا الجواب ليظهر لهُ انهُ فاز في الجدال خوفاً من هياج اعصابهِ الضعيفة ظنّاً منهما انهما يستطيعان استئناف المناقشة صباح اليوم التالي فيقنعانهِ بصحة رأيهما . فلما فعلا ذلك وجداهُ على ما كان صلباً لا يلين

هذه حادثة صغيرة تمثل حياة الدكتور روي تشابمن اندروز قائد البعثة الاميركية الاسيوية الى «صحراء غوبي» سنة ١٩٢٨ . فانهُ رغماً عن جرحهِ البليغ واصابتهِ بالحمى

على اثرهِ واشتداد العاصفة رفض وهو القائد ان يتقهقر وان يوقف عمل البعثة العلمية مدى فصلٍ كاملٍ .هذا هو الرجل الذي صوَّب مصباح العلم الحديث الى صحاري اسيا المتوسطة فاعادها تنبض بالحياة ولكن بالحياة كما كانت فيها منذ عشرة ملايين من السنين

خطر لهُ وهو شاب ان الكرة الارضية كانت غير مستقرة على حال في بدءِ تكوينها وان قاراتها كانت ترتفع وتنخفض فكانت مياهُ البحار تنحسر عنها آناً وتغمرها اخرى. وظلت كذلك عصوراً طوالاً قبلما استقرت يابستها وبحارها . وتراءى لهُ ان اسيا كانت اول قارة استقرت كذلك وذهب الى انها يجب ان تكون منشأ الحيوانات الاول ووطن الحيوانات اللبونة الاولى والانسان القديم . فاذا تمكن من ان يعثر على آثار متحجرة لبعض انواع من هذه الحيوانات في طبقات ارضٍ استقرت على ما هي قبلما استقرت طبقات الارض في القارات الاخرى — اوربا واميركا مثلاً – فتلك الحيوانات هي الاصل التي نشأت منهُ انواع الحيوانات في سائر انحاء العالم

مذهب جريء ولكنهُ يحتاج الى ادلة علمية تؤيدهُ قبلما يسلّم بهِ العلماء . وكان اندروز يومئذٍ شاباً على جانبٍ كبير من الذكاء ولكنهُ على غير جانب كبير من المكانة العلمية تنفح كلماتهِ قوة تسترعي الاسماع ، اذاً اين الادلة يجمعها ويذيعها ! ومن يبحث عن اثار متحجرة في طبقات قارة مساحة سطحها يبلغ نحو ١٧ مليوناً من الاميال المربعة !

اما كيف بحث اندروز عن الادلة التي تؤيد مذهبهُ وكيف وجدها ، وكيف تمكن من تعيين « جنة عدنٍ » في اواسط اسيا فقصة من اعجب القصص في تاريخ الارتياد الحديث

***

ولد اندروز في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٦ في بلدة بولاية وسكنصن الاميركية فهو في الثالثة والاربعين من عمرهِ الآن . وكان والداهُ متوسطي الحال على جانب من العلم والتهذيب لكنَّ وسطهما لم يكن فيهِ ما يدلّ اقلَّ دلالة على ان ابنهما سيكون يوماً ما رجلاً تتناقل الاسلاك البرقية انباءهُ في القارات الست . والظاهر ان الفتى اندروز اظهر منذ نعومة اظفارهِ الصفة التي اشتهر بها في كبرهِ وهي العناية بالحيوانات والطيور وجمع نماذج من جلودها ورؤوسها والاعتماد على البحث عنها في الحقول بدلاً من الاكتفاءِ بما كتب عنها في الكتب . فان امهُ تروي عنهُ انهُ كان يذهب مع اترابهِ لاصطياد الطيور ولكنهُ لم يكن يكتفي بان يعود بها الى البيت لتشوى او تطبخ بل كان يعنى اولاً بزيادة المجموعة التي جمعها من جلود الطيور ورؤوسها . وكان ينفق ساعات متتابعة في العناية بهذه المجموعة .

ثمَّ قالت : واني موقنة انهُ لو انفق هذه الساعات في درس الكتب لكان افاد منها شيئاً كثيراً ولكنهُ كان يسرُّ دائماً في التنقيب عن الحقائق بنفسهِ

« التنقيب عن الحقائق » ! ما اصدق نبوءتها . ان لم يكن اندروز قد نبش الحقائق من طي التراب فانهُ لم يفعل شيئاً !

ولما نال شهادتهُ من كلية بلويت كتب كتاباً الى مدير متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك يطلب فيهِ ان ينتظم في سلك رجاله لانهُ كان قد سمع ان في المتحف كثيراً من الحيوانات التي تحب ان تصبَّر . ولكن لم يخطر على باله حينئذٍ ان الجامعات الاميركية في الولايات الشرقية كهارفرد وييل وبرنستن وغيرها كانت تخرج كل سنة الوفاً من الشبان الذين توفروا على هذا العمل مع ان المتحف لم يكن يتسع لاكثر من ستة او سبعة منهم كل سنة

على ان المدير وجد في كتاب اندروز ما حملهُ على الاهتمام بهِ فنادى سكرتيره وقال لهُ اكتب الى أندروز هذا ان يأتي نيويورك على حسابهِ. فجاءها على جناح الطير ولما سألهُ مدير المتحف قائلاً «هل تريد ان تشتغل في المتحف فعلاً »؟ اجاب الفتى « نعم . جربوني»

وقد جاء في مجلة التاريخ الطبيعي ان عملهُ في المتحف ظلَّ مدة يدور على غسل ارض الغرف وتنظيفها ولكن ذلك لم يثبط عزمهُ « لانهُ كان يشتغل في مكان ينظر الى رجالهِ نظرهُ الى الانبياءِ »

وفي احد الايام ورد نبأ على المتحف بان الامواج قذفت حوتاً ضخماً على شواطئ لونغ ايلند بنيويورك . وان جسمهُ غارز في الرمل . وكان الجوُّ بارداً والثلج يسقط سقوطاً متواصلاً والبحر على شواطئ لونغ ايلند ثائراً ورائحة الحوت منتنة . فالتفت المدير الى اندروز وقال لهُ دونك وهذا الحوت اعدّهُ ليرسل الى المتحف . فغاب الشاب اسبوعاً لم يظهر لهُ في اثنائهِ عين ولا اثر . وفي آخر الاسبوع كان المدير يكلم سكرتيرهُ فقال لقد طال غياب اندروز ولعلهُ وجد العمل صعباً فعاد الى امهِ . وقرع جرس التلفون حينئذٍ وجاء على اسلاكهِ صوت الفتى تهزهُ غبطة الانتصار . فانهُ ظلَّ يعالج العمل الصعب الذي عهد اليهِ فيهِ رغم خمس عواصف متعاقبة من الثلج في سبعة ايام حتى فاز بانجازهِ . ولما عاد قابلهُ المدير وقال الم يهرأك البرد كيف استطعت العمل في هذه العواصف الثلجية . فابتسم الفتى ابتسامة الظفر وقال: برد مدينتكم لا يكاد يكون شيئاً ازاء البرد في بلادنا

كان نجاحهُ في اعداد الحوت وشحنهِ مقدمة لانتصارات باهرة في ميدان البحث العلمي . اذ ما لبث مدير المتحف ان عهد اليهِ سنة ١٩٠٨ في انهُ يسافر الى شواطئ

الاسكا لدرس الحيتان التي تكثر هناك ثم ندبهُ ليرافق بعثة علمية الى جزائر الهند الشرقية وبورنيو وارخبيل السلبيز وفي السنة التالية دعي الى قضاء سنةٍ في الاصقاع المتجمدة الجنوبية للبحث في حيتانها وسنة ١٩١٢ ندبهُ المتحف للذهاب الى شواطىء كورياواليابان لدرس الحيتان هناك ثم رافق بعثة بوردن الى الاسكا سنة ١٩١٣ للغرض نفسهِ . فوضع بعد ذلك كتابهُ في « الحيتان » الذي يحسب المرجع الاكبر في هذا الموضوع

***

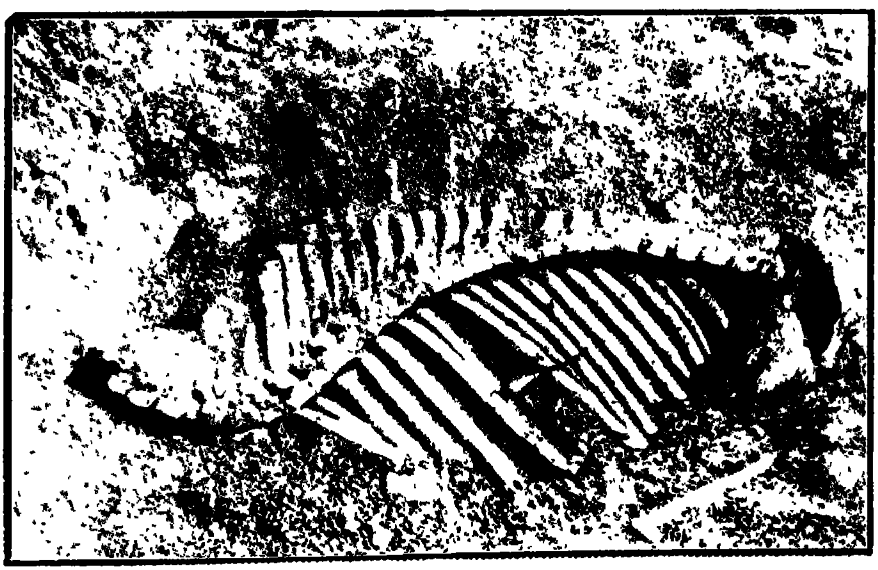
كان رحلتهُ الى كوريا لدرس الحيتان في بحارها مقدمة للعمل العلمي العظيم الذي وقف حياتهُ عليهِ وهو البحث في صحاري آسيا عن آثار الحيوانات الاولى والانسان الاول . ذلك انهُ لما كان في كوريا سمع من شيوخها خرافات عن صحراء منغوليا استهوت فؤادهُ وحملتهُ على اعداد المعدات للرحلة اليها .فرحل اولاً سنة ١٩١٦ الى تيبت وغرب الصين ثم عاد ثانية سنة ١٩١٩ فقضى سنة يرتاد البلاد التي على حدود منغوليا ليضع خطة يجري عليها. وعاد الى اميركا ليعد معدات الرحلة فوقفت في سبيله عقبات كاداء اهمها جمع المال فذللها بصبرهِ ونشاطهِ وعاد الى صحراء غوبي وهي البقعة المتوسطة في صحاري منغوليا اربعاً سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٣ و ١٩٢٦ و ١٩٢٨ يرتادها بالسيارات بدلاً من الجمال فكشف عن آثار متحجرة تعدُّ في الطبقة اولى بين مكتشفات العصر لانها مكنت العلماء من تنقيح آرائهم في احياءِ العصور البائدة وصفاتها .وبلغ ما عرضهُ احد الاغنياء ثمناً لبيضة متحجرة واحدة من بيوض الدينوسوروس التي عثر عليها عشرين الفاً من الجنيهات

ولا يخفى عليك ان البحث عن المتحجرات كالبحث عن الذهب لا يعرف الباحث متى يصيب غنيمتهُ ويعثر على ضالتهِ . بل لقد ينقضي زمن طويل يعاني فيهِ اشد المصاعب ويتكبد اكبر المشاق ولا يعثر على ما يوازي تعبهُ او جزءًا منهُ . وقد يصيب من النجاح بضربة معول واحدة ما يكشف للعالم العلمي اموراً تدهشهُ وتحيرهُ

وقد كان نصيب اندروز وصحبهِ في رحلاتهِ الاربع مزيجاً من الفشل والنجاح . فان عثورهُ على بيوض الدينوسوروس هبط عليهم منحة من السماء . فانهم كانوا يستريحون في بلدة صغيرة فذهب احدهم يجوّل في جوارها ليرى اثار التنانير الترابية فدهش حين رأى نفسهُ واقفاً على طرفِ مرتفع من الارض ينحدر فجأة الى منخفض متسع فدفعهُ حب الاستطلاع الى البحث هناك فعثر في الحال على جمجمة صغيرة بيضاء ملقاة على صخر وملي فظنها الدكتور غرانجر جمجمة نوع منقرضٍ من الزحافات . فكان ذلك باعثاً للبعثة



بيوض الدينوسورس المتحجرة كما عثر عليها



هيكل متحجر لاحد الحيوانات اللبونة المتوغلة في القدم

مقتطف يوليو ١٩٢٩

امام الصفحة ١٤١

على ان تحطَّ رحالها هناك لقضاء بضعة ايام في التنقيب والاستكشاف فكشفوا عن بيوض الدينوسوروس المشهورة . وهو من الزحافات المنقرضة التي كانت تعيش منذ عشرة ملايين من السنين . وكان العلماء يفرضون بقياس التمثيل انها كانت بيوضة. الا ان بعثة اندروز وفقت الى البرهان المادي الاول على صحة هذا الفرض . وهو وجود البيض نفسهِ

وازاء ذلك قضى اندروز ورجاله ما يزيد عن شهر في رحلتهم الاخيرة سنة (١٩٢٨) يضربون في غربي منغوليا وهي ارض قاحلة من غير ان يعثروا على شيء يذكر واخيراً عزموا ان يرجعوا من حيث جاءوا وذلك بعد ما لبثوا ستة اسابيع في مكان واحد لان اندروز جرح في فخذه من جهة ولان الزوابع الرملية كانت تتلو بعضها بعضاً فتمنعهم عن التقدم

***

عاد اندروز وصحبهُ سنة ١٩٢٣ بخمس وعشرين بيضة من بيوض الدينوسوروس بعضها كان على سطح الارض وبعضها كان لا يزال في الصخر الذي تحجر فيهِ ورؤوسهُ بارزة . وعدا البيوض كشفوا عن آثار متحجرة اخرى رتبت ونظمت فتكونت منها سلسلة تامة لحياة الدينوسوروس

قد يسأل البعض الا يجوز ان تكون هذه البيوض بيوض طائر . والجواب على ذلك نفياً لان الطيور لم توجد في عصر يقابلهُ في طبقات الارض الدور الطباشيري الاسفل وهي الطبقة التي وجدت فيها بيوض الدينوسوروس . اما الطيور التي كانت تعيش في الدورين الجوري والطباشيري الاعلى فكانت صغيرة لا تستطيع ان تبيض بيضاً كبيراً كالبيض الذي وجدوهُ (طول البيضة ثماني بوصات ومحيطها سبع) وزد على ذلك ان شكل البيض المتحجر الذي وجد مستطيل وهو من مميزات بيض الزحافات . ومن الادلة على ان هذه البيوض بيوض دينوسوروس ان الناحية التي وجدت فيها حافلة بعظام الدينوسورس المتحجرة ولم يعثر فيها على آثار حيوانٍ آخر

اشرنا قبلا الى الجمجمة الصغيرة التي عثر عليها اتفاقاً احد مساعدي الدكتور اندروز وحسبها الدكتور غرانجر جمجمة زحافة منقرضة . فلما نقلت هذه الجمجمة الى نيويورك رآها الدكتور متيوز امين المتحجرات في متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك واثبت انها من آثار الحيوانات اللبونة لا من آثار الزحافات بل ذهب الى انها قد تكون من آثار اقدم الحيوانات اللبونة فكتب الى اندروز ومساعديهِ لبذل الجهد في الكشف

عن كل ما يستطاع كشفهُ من هذا القبيل وذلك لان المعروف لدى علماء النشوء والمتحجرات والجيولوجيا ان الحيوانات اللبونة التي دمها حارٌّ وترضع اطفالها نشأت من الزحافات البيوضة باردة الدم . وكان العلماء حتى سنة ١٩٢٣ لم يعثروا الاَّ على جمجمة واحدة من جماجم الحيوانات اللبونة الاولى، عُثر عليها في جنوب افريقية في طبقة من طبقات الترياسيك التي يرجع تاريخها الى ١٦ مليون سنة وتحسب من الكنوز الاثرية التي لا تقوَّم بمال

فعنيت بعثة اندروز التي ذهبت الى صحراء غوبي سنة ١٩٢٥ بالنقب عن آثار الحيوانات اللبونة وكان الحظ يسير في ركابها فما حطت رحالها في المكان الذي وجدت فيهِ الجمجمة الاولى حتى عثرت على جمجمة متحجرة لحيوان لبون متوغل في القدم . ثم جمعت ست جماجم اخرى من هذا القبيل كلها صغيرة لا يزيد طول الجمجمة منها على بوصة ونصف بوصة . قال الدكتور اندروز . . . «وقد كنت احرص على هذه الجماجم كما احرص على ولدي» ويستدلُّ منها على ان اصحابها لم يكونوا اكبر من الجرذان حجماً وعهدها يرجع الى عشرة ملايين سنة ويجب ان ينظر اليها كاول محاولة حاولتها الطبيعة في توليد حيوانات لبونة فلما انقرضت الزحافات البرية والبحرية الضخمة كانت الحيوانات اللبونة قد اخذت تتنوع وترتقي « وما زالت كذلك حتى تسلطت على البر والبحر »

ولم يكن نصيب الرحلة الاخيرة من التوفيق نصيب سابقاتها بسبب الجرح الذي اصاب الدكتور اندروز فاخرهم ستة اسابيع عن التقدم وبعدما ساروا شهراً في صحراء قاحلة لم يعثروا فيها على شيء عادوا ادراجهم وفي اثناء عودتهم عثروا على كنز من الآثار المتحجرة لعلهُ اغنى الكنوز الاثرية في صحراء منغوليا على الاطلاق وعلى آثار بشرية من العصر الحجري المتوسط والجديد . وفي مكان آخر عثروا على آثار تكاد تكون كاملة لبعض الحيوانات اللبونة اهمها حيوان من جبابرة العصور الماضية . ولم يستطيعوا استخراج كل الآثار التي وجدوها هناك لقصر الوقت وقلة الزاد ولذلك ينتظر ان يعودوا اليها قريباً

***

لما بلغ الدكتور اندروز مدينة بكين في بدء رحلتهِ الاولى الى صحراء غوبي كانت العواصف ثائرة فقال لهُ حكماء الصين « هذه علامة تنذر بالويل لانها تشير الى الجوع والحرب والمرض والموت . فعملك مقضيٌّ عليهِ بالفشل وانك لن تجد ما تبحث عنهُ » الاَّ ان عزمهُ وصبرهُ وحنكتهُ وتفانيهُ في خدمة العلم صفات مكنتهُ من الفوز في تحقيق ما يصبو اليهِ واذاعت اسمهُ في الخافقين رجلاً من اكبر رجال العلم والعمل فمنحتهُ الجمعية الجغرافية الاميركية اعلى وسام في حوزتها جزاء لهُ على مآتيهِ



البوهيمية

من تصوير فرانز هالز المصوّر الهولندي (١٥٨٠م — ١٦٦٦م)

مقتطف يوليو ١٩٢٩

امام الصفحة ١٤٣

شعر التصوير

البوهيمية

La Bohémienne

تصوير فرانز هالز الهولندي (١٥٨٠م — ١٦٦٦م) ومحفوظة في متحف اللوفر

لم تعبئي من هذه الدنيا بما ... شغلت مفاتنها وهام الناس
فعلى محياك البساطة كلها ... ومن البساطة قد يكون الباس
وحرمت زخرف عيشة ما شئتها ... يوماً ، فعز شعورك الحساس
فكستك أحلام القناعة ثوبها ... إن لم يصنك من الحياة لباس
وألفت حر العيش غير طريدة ... حتى تحرر جسمك المياس
وتحررت قسمات وجهك عندما ... شغل الأنام بعرفهم مقياس
الحسن عندك في انطلاقك وحده ... وسواه ليس له لديك قياس
لم تحجبي نهديك خشية ناظر ... حين اعتدادك كله أحراس
أو تحذري من بسمة ممزوجة ... بالسخر وهي بسخرها إيناس
أو تحفلي برشاقة وتحايل ... حين التحايل صنوه الإفلاس
إن الأنوثة ملء زهدك هكذا ... والزهد في ملكوته إحساس
فعلى جمالك مسحة علوية ... هي للضمير وإن أبتها الكاس
وإذا نظرت الى الغواية نظرة ... عرف الغواية من حلاك الناس

ابو شادي

بحث في الصحة والزواج

ربط الزوجية واسباب الهناء والشقاء

ليس من العدل ان تمنع شخصين متحابين من الزواج بحجة ضعفهما وعدم اكتمال قواها . فقد ثبت ان الكثيرين ممن لم يسبغ الله عليهم ثوب الصحة تزوجوا فكانوا من اسعد الناس واهنأهم . بيد ان الاطباء قد اجمعوا على وجوب منع المصابين بالامراض الزهرية المزمنة من الزواج . ويجب ان ينص القانون بالصراحة على عزل المصاب بها كما يعزل المصاب بالجدري او غيره من العلل المعدية

الصراحه شرط لازم

ان فتك الزهري والسيلان المزمن بالمتزوجين لما يقصر دونهُ الوصف . فهما اعظم اللعنات التي تنتاب الازواج وتذهب بهنائهم . وكثيراً ما تضيع بهجة الحياة وتزول مسرات الزواج — ليس لما قد ينشئانهِ من الاثر في صحة الزوجين ونسلهما بل ولما قد يحدثانهِ من الاثر السيء في القوى العقلية ايضاً ولما قد يورثانه من الندم والحسرات

فسلامة الزوجين من هذين المرضين شرط لازم . وعلى الذين يقدمون على الزواج ان يلزموا جانب الصراحة ويعترفوا بحقيقة حالتهم الصحية على وجه الاجمال وسلامتهم من كل محظور ومحذور . ومن المستحسن تأييد هذا الاعتراف بشهادة حكيم الاسرة او من يقوم مقامهُ. وفي الواقع ان قانون بعض الولايات الاميركية ينصُّ على وجوب فحص طالبي الزواج لاثبات لياقتهم للزواج . ومثل هذا القانون يجب نشره في جميع البلاد المتمدنة بحيث لا يباح لمن كان مصاباً بعاهة جسمية طارئة او وراثية او بداء السل او ضعف القلب او ما اشبه ان يتزوج من دون ان ينذر زوجهُ. والا عدَّ خادعاً وكان زواجهُ عرضة للالغاء. فاذا اعترف كل من طالبي الزواج للآخر بحقيقة حاله ولم يكتم عنهُ شيئاً ثم اتضح انهما مع ذلك لا يحجمان عن الزواج فذلك شأنهما وليس لاحد ان يتعرض لهما برأي او انتقاد لانهما يحملان تبعة عملهما ولو كان بعض اليوجنيين يذهبون الى ان هذا من شأن الامة ويجب ان تمنعهُ لتمنع تكاثر المرضى والمصابين بالعاهات

ومن دواعي الغبطة ان الامراض التي ثبت انها وراثية ليست كثيرة . ومن فساد الرأي ان يحجم المرء عن الزواج خيفة ان يورث نسله الديابيطس او حسر النظر أو

ضعف الاعصاب او ما الى ذلك . فان هذه الامراض ليست وراثية . ولكنَّ عدد الامراض الجسمية والعقلية كثير جداً ومن المستحسن ان يستشير المقبل على الزواج طبيباً في امرها وان يبحث عن مصدرها وهل هي موروثة او طارئة وقد يكون من الحكمة في بعض الحالات تعمُّد احداث العقم والامتناع عن النسل بحيث يكتفي اذ ذاك كل من الزوجين بان يعيش مع زوجهِ محروماً لذة النسل ومعتاضاً عنها ببهجة العيشة المنزلية الراضية

اساليب العيشة الصحية

تقوم الحياة السعيدة في الزواج على اعتبارات عدة اولها واهمها ان يجري الزوجان في معيشتهما على نظام منطبق على شروط الصحة والحكمة . ولا يخفى اننا نعلم اليوم عن حقيقة الامراض وكيفية الوقاية منها اكثر مما كان اسلافنا يعلمون . واننا نحسب مقصرين اذا نحن لم نلزم جادة الحكمة في امورنا . ومن الواجب علينا ان نطبق العلم على العمل في كل ما لهُ علاقة بالغذاءِ والماء والنظافة والثياب والرياضة والهواءِ الطلق وغيرها

ومما يدعو الى الارتياح اننا قد وقفنا على اسرار كثيرة خاصة بالامراض العقلية وعلاقتها بناموس الوراثة وتربية النسل ولاسيما ما يصيب الجسم من الضعف بسبب الخوف والتوهم واضطراب الفكر . كما ان العلم قد اماط اللثام ايضاً عن علاقة الغذاء بالقوى العقلية وحدد المبادئ التي يجدر السير بحسبها والاستعانة بها على اجتناب المحن التي قد تصيب الزوجين او يصاب بها نسلهما . وليس يكفي ان يعيش المرء عيشة صحية فقط بل يجب ان يعنى ايضاً باساليب الوقاية من المرض ومن جماتها «التطعيم» بما يقي من الجدري والدفتيريا واستشارة الحكيم وطبيب الاسنان عند كل عارض . ومن الناس من يعتقد ان الافراط في الاهتمام بالشؤون الصحية مجلبة للمرض وهو خطأ لا يبررهُ الواقع

وهنالك امر آخر ذو شأن تجب مراعاته عند المرض وهو الحالة العقلية او النفسية في الشخص العليل . فكثرة التفكير في المرض قد تورث اعراضاً لا تختلف كثيراً عن المرض نفسه الاَّ في كون مصدرها العقل . ومن الاوجاع الطفيفة ما يصبح خطيراً اذا كثر الاهتمام بهِ . والغريب ان بعض الناس يفرطون في التفكير في اوجاعهم حتى ليخيل اليك انهم يشعرون بلذة في ذلك التفكير . وامثال هؤلاء يكبرون توافه الامور فيحسبون الخدش جرحاً والبثر الصغير خراجاً والرعاف نزيفاً والشامة سرطاناً والالم الطفيف كارثة وهم يشعرون بلذة باطنة كلما كثر اهتمام الناس بهم والتفاتهم اليهم فكأنهم يتمتعون بآلامهم ويجدون فيها سبباً من اسباب الغبطة

ان الصحة ليست غاية الحياة بل هي واسطة لبلوغ الغاية . والمرء لا يشعر عادة بقيام

اعضاء جسمه بوظائفها المختلفة . فالقلب ينبض والمعدة تنقبض والرئتان تمددان والاعصاب تنقل الحواس والجهاز الهضمي يقوم بعمله — كل ذلك والمرء غير متنبه الى ما يجري في باطنه غير شاعر بما تحتاج اليه الاعضاء من تصليح وترميم

والرجل الذي يستلذ التفكير فيما يتوهمهُ من اوجاع يجد نفسه فريسة للافكار والخيالات المرعبة . فاذا طال بهِ الزمن اصبح ما يتوهمهُ من الامراض امراً اعتياديًّا ونقص اهتمام الناس بهِ . وفي هذه الحالة تشتدُّ بهِ السوداء ويخيل اليهِ ان الناس لا يكترثون لامره ولا يهمهم ما يعانيهِ . وفي ذلك ما يستفزُّ حقده على الاجتماع وما يزيد في اوجاعه الموهومة . ومثله في ذلك مثلَ مدمن المخدرات لا بدَّ له من تقوية الجرعة التي يتناولها باستمرار حتى تفعل الفعل المرغوب . لانهُ اذا لزم مقداراً معيناً منها فلا يلبث حتى لا يشعر بفعلهِ

عناية الطبيب قد تزيل الهموم

على انهُ اذا كانت الحكمة تقضي بعدم المغالاة في التفكير في الامراض فانها تقضي ايضاً من الجهة الاخرى بعدم تجاهل الاعراض الحقيقية . وان صحة كل من الزوجين لذات شأن عظيم في نظر الآخر . ومن العدل ان يعترف كل منهما بما قد يهدد صحة الاسرة كلها لكي يتاح تلافي الضرر قبل وقوعه . ان طائفة كبيرة من مساوئ الزواج واسباب الشقاء ترجع الى علة أو عاهة في الجسم. فشدة الانفعال وسرعة الغضب وقلة الصبر ونقص الرزانة هي اعراض قد لا تدل على فشل الزواج او انقطاع حبل المودة بين الزوجين بل على ان احدهما يعاني مرضاً حقيقيًّا كالتهاب الزائدة او تقرح المعدة او عن خلل طارىء على احدى الغدد او . . او . . ففي هذه الحالة لا تعيد السعادة الى صابها الا مدية الجراح

المرض امتحان خطير

والمرض امتحان عظيم يكشف مواطن الضعف او القوة في العقد الزوجي . فاذا كان الحب الذي يربط الزوجين حقيقيًّا فالمرض يقويه ويزيل جميع عوامل الخلاف والشحناء واذا لم يكن كذلك — أي كان مؤسساً على الشهوة وحب الذات — فان المرض يبرزهُ بحالته الحقيقية . ومن الازواج من قد لا يكون الحب عندهم كثير الظهور وفي هذه الحالة يكون مرض احد الزوجين بركة لانهُ يعين على اظهار ذلك الحب الكامن . وليس غريباً ان يكون الحب كامناً وان لا يقوى صاحبهُ على التعبير عنهُ فكأنهُ يقيم حول عواطفه اسواراً تحول دون الوصول اليها . وهذه الحال توهم المراقب عن كثب ان الحب ميت بين الزوجين فينشأ عن ذلك شيء من النفور الذي يسميهِ الافرنجة « سوء تفاهم » . فاذا اصيب احد الزوجين بمرض وقام الآخر بالعناية

بهِ واظهار الحنان عليهِ ازال ذلك ما بين الزوجين من نفور وفتور

وليس ذلك فقط بل ان الاشخاص الممتازين بالافراط في اظهار العواطف والذين يغالون في الاعراب عما تكنهُ قلوبهم من الحب قد يوثق المرض اواصر حبهم ويزيد كلاً منهما تعلقاً بالآخر . ولقد يتفق ان تتوالى الامراض والمحن على اسرة من دون ان يكون ثمت سبب ظاهر . فينشأ عن ذلك شيء من الضيق قد يزيد في سوء حالة الاسرة ومصائبها . فمثل هذه الحالة قد تزيد في ارتباط الزوجين واشتداد اواصر الحب بينهما اذ عند الشدائد تعرف الاخوان . واذا مرض الاولاد واحتاجوا الى العناية في الليل والنهار واشتد الخطر ولاح ان حبل الرجاء ضعيف فحينئذٍ يبرز الحب من مكنه وتظهر العواطف على أجملها . ثم ان الجهود التي تبذل في سبيل تربية الولد الوارث علة او عاهة من احد والديهِ تقوّي ربط المحبة بين الوالدين . فكأنَّ ذلك الولد هو صلة الموصول بينهما وهما يشعران بما عليهما من تبعة تربيتهِ

والاهتمام بالولد العليل يجب ان لا ينقلب الى ما يشبه الشفقة . وكذلك العطف ايضاً يجب الفصل بينهُ وبين الشفقة . وكثيراً ما تكون المواساة رباطاً قويًّا بين الزوجين واما الشفقة فانها تفصل احدهما عن الآخر لانها تشعر بوجود تفاوت بين المشفق والمشفَق عليهِ . وليس أشقّ عليك من ان تكسب ودًّ من اشفقت عليهِ

على ان المرض لا يقوّي بالضرورة الرابطة الزوجية بل قد يضعفها احياناً ولاسيما اذا كان ذلك المرض مزمناً يقضي بعزل المصاب وخدمتهِ خدمة خاصة. وقد تكون هذه الخدمة عبئاً ماليًّا ثقيلاً على الاسرة يستنزف كل قواها . فضلاً عن ان مرض احد الزوجين مرضاً مزمناً قد يحول دون اشتراك كليهما في الاعمال والزيارات والحفلات التي تقتضيها الحياة الزوجية وهذه الحيلولة توسع شقة الفصل بين الزوجين فيستسلم المريض منهما الى مرضهِ ويلتمس الصحيح منهما مباهج الحياة عن غير طريقة الزوجية . وقد يقودهُ هذا الى ادمان المسكر والتماس اللذة الكاذبة عن طريق المخدرات وما قد يلي ذلك من العواقب

المشاكل الخاصة بالزوجة

ومن الاخطار التي تهدد سعادة الزوجين ما يرجع الى الخلاف الطبيعي بين الجنسين. فالرجل الذي قد كفتهُ الطبيعة عناء الحيض الشهري يجب ان لا ينسى تأثير ذلك الحيض في المرأة وما يكبدها من الجهد الجسدي والعقلي . فلقد ينشئُ فيها شيئاً من الخمول او سرعة التأثر . وللحمل ايضاً — او للخوف من الحمل اثر عظيم في المرأة . ومن النساء من يكرهن الحمل وينظرن اليهِ نظرة الهلع كلما فكرن فيما يسمعنهُ عنهُ من غيرهن . وفي وسع

الرجل الحكيم ان يزيل ذلك الخوف من نفس زوجتهِ بان يفهمها ان الطبيعة التي نظمت الحمل لا يمكن ان تكون قد قصدت منهُ ايذاء المرأة . وان ما قد ينشأ عن الولادة من الحوادث التي تدعو الى الاسف انما هي بسبب خطإٍ في امكان كل حكيم عاقل ان يتلافاهُ

ومن دواعي الغبطة ان الحمل هو سبب سرور عظيم لطائفة كبيرة من النساء اللواتي يرين في هذا النظام الطبيعي دليلاً على ما فيهن من قوة الخلق . اما غيرهن فيرين في الحمل عناء تسعة اشهر ويعانين من جرائهِ اضطرابات جسمية وعقلية ويستدقُّ احساسهن حتى يصبحن شديدات الانفعال لاتفه الاسباب . وفي الواقع ان طباع المرأة تتغير في اثناء الحمل فيكثر اهتمامها بنفسها ويقلُّ اهتمامها بزوجها حتى لقد يخيَّل الى هذا انهُ اصبح نسياً مهملاً — على ان التبعة التي تقع على عاتق الرجل في اثناء هذه المدة عظيمة جدًّا . فاما ان يستعمل الحكمة فتقوى الرابطة الزوجية بينهُ وبين امرأتهِ . أو ان ينكب عن جادتها فيؤدي ذلك الى اضطراب حبل الزوجية

ومن دواعي الاسف ان بعض النساء لا يتاح لهن ان يلدن لسبب من الاسباب مع شدة رغبتهن في النسل . وفي هذه الحالة قد يعمد بعض الاباء الى تبني طفل اجنبي . على ان الطفل المتبنَّى لا يمكن باية حالٍ ان يقوم مقام الطفل الحقيقي . والواجب يقضي على كلا الزوجين ان يستقصي اسباب العقم فقد يكون العقم لعلةٍ في الرجل او في المرأة او في كليهما معاً . بل لقد يسبب الرجلُ عقم المرأة

الرجل ايضاً ادوار

ان الانقلابات النفسية والجسمية التي تطرأ على المرء في الكهولة وتؤدي الى توسيع الشقة بين الرجل والمرأة ليست مقصورة على احد الجنسين فقط بل هي عامة في كليهما ولعمر الحق ان هذه هي مراحل الحياة الحاسمة . فالمرأة التي تجاوز سن الاربعين وتصبح سريعة الانفعال عليها ان تستشير طبيب الاسرة أو اي طبيب اخصائي اذ ليس من الحكمة ان تستسلم الى المؤثرات الناشئة عن ادوار الحياة المختلفة . ولقد توصل العلم الى معرفة الكثير من اسرار الغدد ومفرزاتها وما يتوقف عليها من النتائج التي تؤثر في كلا النفس والجسم . وقد يفلح الطبيب في ازالة عوامل الشقاء المخيمة على حياة الاسرة

ولعل اسوأ حالات النفس ما يعرف بالنورستانيا او انخفاض القوى والعصابية (اضطراب وظائف الاعصاب) التي تنشأ عن الخوف والقلق . ومثل هذه الحالات تنشأ في الغالب عن المشادة التي تقع بين الزوجين او هي نتيجة الخلاف بين الحياة كما هي والحياة كما يريدها الزوجان — او بين الاماني الخيالية والحقائق . وقد تنشأ ايضاً عن

الخيبة في الزوج او النسل او المال . او عن الجهاد بين الاخلاص والواجب من جهة ودواعي الغرام من جهة اخرى. وهذا الجهاد عقلي يشتدّ بالنفس الى حدّ يمت على اليأس

جهاد النفس

والنفس في هذا الجهاد تبحث عن حلّ يسدّ رغباتها ويحتفظ بكرامتها ويبعد عنها ما يشين . وكثيراً ما يتفق في اثناء ذلك الجهاد ان ينشىء الفكر خللاً بدنيًّا او علة تبرر مسلكاً معيناً . من ذلك ما يعرف عند الافرنجة « بصداع يوم الاثنين » الذي يدعيهِ التلميذ اذا اراد الانقطاع عن المدرسة يوم الاثنين الذي يلي عطلة الاحد . وكذلك ما يشعر بهِ أحد الزوجين من الجهد والاعياء اذا لم يرد الذهاب مع زوجهِ لزيارة أسرة معينة

فالشخص الذي ينتحل مثل هذه الاعذار هو عادة سريع التهيج دقيق الاحساس . وكثيراً ما يصاب بعسر الهضم او الارق او الصداع او ما اشبه من العلل . والطبيب الاخصائي في معالجة الامراض العقلية والنفسية يستطيع في مثل هذه الحالات ان يؤدي للمصاب خدمة جليلة

أما المصابون بالعصبانية (ارتباك وظيفة الاعصاب) فكأنهم يغتبطون بالمرض لانهُ يوجه اليهم الابصار ويحمل الذين حولهم على توجيه العناية اليهم — سواء أكانوا في حاجة الى تلك العناية ام لم يكونوا . والعصبانية تصيب الزوجة عادة ولكنها قد تصيب الزوج ايضاً . وهي تقتضي المعالجة وليس من الحكمة اهمالها بحجة انها ناشئة عن تهيج الاعصاب فان الشخص المصاب باعراضها لفي اشد الحاجة الى نصح الطبيب الاخصائي

ولا شك ان ادعى العلل الى الاسف هي العلل العقلية . فقد تصوّر الاوهام لاحد الزوجين اشباحاً غير حقيقية وتلقي في وهمهِ اموراً تقضى على هنائتهِ وسعادة أسرتهِ . وقد ينقلب فجأة من طبع الى طبع كأنْ ينتقل من البخل الى التبذير ومن الرقة الى القساوة ومن الهدوء الى الاضطراب . ومثل هذا الانتقال كثيراً ما يكون نذير جنون مقبل ولذلك يجب توجيه العناية اليهِ

ومن دواعي الاسف ان القوانين الحالية في اكثر البلدان لا تبيح الطلاق في حالة جنون احد الزوجين . والعقل يقضي باباحتهِ اذا كان الجنون غير قابل للشفاء بشرط مرور زمن يكفي للحكم بانهُ كذلك . اذ ليس من العدل اذ يظلّ سليم العقل مرتبطاً مدى العمر برفيق حياة مجنون . وقد يكون ضعف الصحة سبب شقاء الاسرة في حالات كثيرة . وفي الواقع ان الصحة هي اساس سعادة الاسرة وهي مرتبطة بمعضلة الزواج ارتباطاً وثيقاً وتجد آثارها جلية في الوفاق بين الزوجين

اوراق الورد

رسالة الجاذبية [1]

آهِ لو أستطيعُ أن أُخرِجَها   من زماني ، إنني لا أستطيعْ
آهِ لو أستطيعُ أن أُدخِلَها   في حياتي ، إنني لا أستطيعْ
قَدَرَتْ قُدرتَها فيَّ فلا   أستطيع قُدرةً ، لا أستطيعْ

***

كلُّ من يكذبُ في الحب قَدَرْ   إن أطاق الحبُّ واللهِ غدَرْ
وصحيحُ الحبِّ حبُّهُ هَدَرْ   كلَّما يَسطيعُ أنلا يستطيعْ

***

في عينيكِ يا حبيبتي سحرٌ ظاهرٌ بمعانيهِ يُلاقي الحبَّ على من ينظر اليهِ
أهو سرُّ الضرورةِ الذي يُشعِرنا من معانيكِ الرحيمةِ بمعانيك القاسية ؟
أم هو روحُ اضطرابٍ مجهولٍ أودعتكِ القدرةُ إياه ليخلقَ حولكِ العواصفَ القلبية ؟
أم هو استبدادُ الجمالِ الذي خُصِصْتِ بهِ ليكون قلبُكِ وحدَه في قوة القلوب كلها ؟
أم هو ذلك المعنى الخالق الذي يُفيضُ على جمالتِك تميزَ جمالِك في شيء شيء وفي حُسْنٍ حسن ؟
أم أنتِ أنتِ وذلك السرُّ في عينيكِ معنى أنتِ ؟

***

دائماً يضيفُ وجهُكِ الى كلامكِ بلاغةً الهية ،ولو نطقت بألفاظ القوة التي تُشبه أجراسُها صَلْصَلَةَ السلاح لخرجتْ من شفتيكِ متنهدة ، ولو تكلمتِ بأشد ألفاظ القسوة لذابت في حلاوة شفتيك ، ومتى نطقتِ باسمي خرج من فمك سكران . . .

أيُّ سرٍّ هذا الذي يجعلكِ على كل أحوالكِ تَفيضين بالقوة كأنما بُنيتِ على شكل

---

(١) هذه الرسالة مما كتبه اليها وقد ردت هي عليها بكتاب عاية في الجمال سيراه قراء المقتطف في كتاب (أوراق الورد) الذي نقدمه للطبع ان شاء الله في اواخر هذا الصيف

لا يزال يجمعُها في نفسه ويبثُّها من نفسه ؟ إنهُ طابَعُ الجاذبية على القوة

وايُّ ابداع هذا الذي يُظهركِ في محاسنكِ مَظهَرَ كونٍ خُلق كلُّه من الزَّهر، وهو جميلٌ في مجموعهِ باجزائهِ وفي اجزائهِ بمجموعهِ ؟ إنهُ طابعُ الالوهية على المعجزة

***

حولكِ ما نحِسُّهُ ولا نعرفُ منهُ الاَّ انهُ حولكِ وحسْبُ . والجوُّ الذي انتِ فيهِ ينعكس عن جمالكِ في صورة سحريةٍ فلو أنني طُفتُ العالمَ كلهُ لرأيتهُ حولي أينما كنتُ وأبصرتُ وجهكِ دائماً أمام عينيَّ كأني محدودٌ بكِ في حدود مسحورة تَدَعُكِ حيث أنتِ وتمضي معي حيث اكون

وما الوجودُ الاَّ انسيابُ قوى المادة بعضها في بعض .وفي هواكِ تنسابُ القوى من روحكِ في روحي ، فالاصلُ الذي بُني عليهِ الكونُ في منافعهِ بُنيتِ أنتِ عليهِ في محاسنك .كأنما يعرض قوانينهُ التي تحسُّ ولا تُرى في صورة منكِ تحسُّ وتُرى ، وتزيد على الرؤية أنها آخر حدود العشق ، وعلى العشق أنها اول حدود العبادة

أما واللّه لو ناديتك بغير اسمك يا حبيبتي لما وضعتُ لك الاَّ اسماً من معانيك ، ولو سميتكِ بهذه المعاني لما ناديتكِ الاَّ بهذا الاسم العظيم : يا نسويَّةَ العالمَ . . . .

***

ناريةٌ في غير نار. آه من يفهم هذا ؟ ولكنني أُحسهُ منك. حتى لا ارى جسمكِ الاَّ مضيئاً بالشباب والجمال . وتاللّه اني لاحسبكِ في بعض سَبَحاتي ناراً مُدمِّرة تقذفين على قلبي منفجرةً فيهِ . ويشتدُّ بي الوجدُ واضيقُ فما اظن الحبَّ الاَّ عداوةً ساخرةً تهزأ بالناس فتجيئهم متلطفةً في غير اسلوبها وعلى غير طريقتها ومن غير اهلها ، من الحبيب. من الحبيب على انها عداوة . . . .

أتلك تلك يا قلبي نارٌ وتدميرٌ وعداوة ؟ أم انت ترتجف من جاذبيتها على زلزلة لا تهدأ ولا تقرُّ ولابدَّ لها ان تتم عملها بطريقتها العنيفة ؟ إن فيها حركةَ الجذب وإن فيَّ حركةَ المقاومة فأنا المتألمُ بطبيعتي لأن انجذابي اليها إن هو الاَّ اصطدامُ معانيَّ بمعانيها واندفاع ما يحطم الى ما يحطمهُ . ولكن يا لها من عجيبة ! ان هذه هي بعينها هي لذة الحب اذ كان تحطيمهُ فينا هو تغييرهُ فينا . وبذلك يجدّد الحياة أيامها واشياءها ومعانيها ويضع في كل امر غراماً ويجعلُ لكل شيءٍ عيناً كحيلة . . . . . .

وراءكِ يا حبيبتي فكرة مختفية كأنك انت عملها على حين تظهر كأنما هي من عملك . أيكما يا ترى الخطر المستور بجماله ؟

مع جاذبية الالوان والعطور في ثيابك وحِلاكِ جاذبية اعطرُ وأزهى في مَلبَس معانيكِ من العواطف وفي ملبس روحك من الدلال . ولا يَعْدِلك في هذه الفتنة الكاسية الا السماء في فتنتها الرجال الالهيين حين تلبس حرائقها من شفق الصبح

يا للجلال ! إذ تفسّرُ الطبيعة نفسها الغامضة بامرأة جميلة لتحقق بها في النفس العاشقة وهْمَ الكمال الانساني المستحيل الذي يخيّل لها اندماجَ الكون بجلاله العظيم في ذاتية انسانية . ذاتية المحبوب المخلوقة على مساواة وتقدير من محبها لتجذبهُ وتفتنه فتخرج بهِ من حكم عقله فتنفذ اقدارها في اقداره فتعقد على اطراف حياتهِ بعقدة عاطفة واحدة تستطيع بها المرأة ان تهزهُ من كل نواحيهِ بأيسر لمسة

***

انما الكون كهربائية ولا بدّ في الكهربائية من ساب وإيجاب ، فمن يدري لعل كلَّ متحابين هما مظهرٌ كهربائي لا يحوطُهما الاّ جوّ النفس المحترقة تشتعلُ بالضحكات كما تلتهبُ بالدموع ، لأن هذه وهذه مادةُ حب ساطعة في مظهرين. كاللهب تكون فيهِ مرة شدةُ الانبعاث فكأنما يضحك ، ومرة فترةُ الانطفاء فكأنما يبكي . ويقع الايجاب في السلب فيحدث الحب ، ويحدث فتكون الجاذبية ، وتكون فاذا انسانٌ بمعانيهِ قد احتلّ انساناً في مادتهِ فتتفاعل اجزاؤهما فان يكون الحبُّ والبغضُ منهما الاّ فوق الاعتدال ففي واحد تهارب اجزاء من اجزاء وفي الآخر يفنى بعضها في بعضها

انما هي قوة تلبَّست الصورة لتعمل بها عملاً في نفسها وتدلَّ بها دلالة في غيرها . ففي المخاص الشديد معناهُ فيكِ انتِ الحسنُ الخالص الفاتن وتفكيري في محاسنكِ معناهُ فيَّ أنا خلق لغة الاشياء الجميلة ليتصلَ عقلي بحقيقتها

وإحساسي بكِ وحدكِ معناهُ في الوجود إحساسي بجمالهِ كلهِ

والآن وانا أكتب اليك تمثلين لي فأرى تقاسيم الحسن فيكِ فأقول : وما هذه التقاسيم البديعة ؟

ألا رِفقاً بالقلب الذي اجابني إنها تركيب المغناطيس الغرامي وتوزيعهُ في اماكنه على هندسة الجاذبية . رفقاً بالقلب الذي تلمسينهُ من جاذبيتك بالنظرة والكلمة والفكرة كأنهُ حولك لانك حوله . . . بالوحي ، والخيال ، والحسن

من اجل الابداع ، والسموّ ، والحب . انت في نفسك، انت في معانيك ، وانتِ فيَّ

(طبق الاصل) مصطفى صادق الرافعي

اغرب الحقائق الطبيعية

الطبيعيات الجديدة تقلب الآراء القديمة

اذا اغليت لتراً من الماءِ زاد وزنهُ قليلاً عما يكون عليهِ حين تكون حرارتهُ على درجة الجليد وهذه الزيادة تبلغ خمسة اجزاء من مليون مليون جزء من اللتر. واذا جمد لترٌ من الماءِ قلَّ وزنهُ ثلاثة اجزاء من مليون مليون جزء مع ان حجمهُ يزداد. واذا اتحد مقداران من غازي الاكسجين والهدروجين لتوليد مقدار معين من الماء كان وزن الغازين اللذين اتحدا كذلك اكثر من وزن الماءِ الذي يتولد منهما والفرق يبلغ جزءًا من ستة آلاف مليون جزء. والسبب في ذلك انهُ اذا برد الماءُ فقد شيئاً من حرارتهِ واذا اتحد الاكسجين بالهدروجين انطلقت حرارة عظيمة حين اتحادهما. ففي كلا الحالين ينطلق شيء من القوة من الجسم وللقوة جرم يفقدهُ الجسم بانطلاقها فيخفُّ وزنهُ

***

نحن نعلم الآن ان ٧٧٨ قدم — ليبرة من العمل (اي العمل اللازم لنقل ٧٧٨ ليبرة قدماً واحدة او لنقل ليبرة واحدة ٧٧٨ قدماً) تتحول مقداراً معيناً من الحرارة. ولكن العلماء منذ سبعين سنة وجدوا صعوبة في قبول هذا الرأي القائل بتحوُّل العمل الى حرارة. كذلك يجد علماء اليوم صعوبة في قبول الرأي القائل بتحول الجُرْم الى قوة

***

تدلُّ الحسابات الرياضية الدقيقة ان الشمس تفقد من مادتها بالاشعاع اربعة ملايين طن كلَّ ثانية. وقياس ما تفقدهُ قياساً عمليًّا صعب جدًّا الصعوبة لاننا لا نستطيع ان نقيس النقص في جرم الشمس الا بقياس النقص في قوة جذبها للارض وغيرها من السيارات. وقياس قوة الجذب يدلُّ على ان حرم الشمس اكبر من ان تدركهُ عقولنا فاذا استمرت تفقد من وزنها اربعة ملايين طنٍ كل ثانية مدة عشرة ملايين من السنين نقص جرمها بعد ذلك — وضعف جذبها — جزءًا من مليون جزء فقط

***

يلخص اينشتين الموضوع بقولهِ : اما ان نعترف بامكان تحول المادة الى قوة واما ان نتخلى عن نظام الميكانيكيات الذي وضعهُ كپلر ونيوتن وكلارك مكسول وغيرهم

ورجال العلم لا يحجمون عن التخلي عن مذهب علمي اذا توافرت لديهم الاسباب التي تحملهم على ذلك . ولكنهم يرون ان نظام الميكانيكيات القديم مؤيَّد بالادلة العلمية والعملية . ولذلك تراهم مرغمين على قبول القول بتحول المادة الى قوة . وهذا الرأي من آراء اينشتين مستقلٌ عن النسبية . واذا كانت النسبية تؤيدهُ فذلك مما يدعمها

***

لقد مرَّ معنا انهُ اذا انطلقت القوة من جسم خفَّ وزنهُ . فاذا صحَّ ذلك فيجب ان يزيد وزنهُ متى اتتهُ قوة من الخارج . اي اذا كان الماء البارد اقل وزناً من الماء الساخن فالماء الساخن اثقل وزناً من الماء البارد. فاذا وضعت ابريق ماء على الموقد واشعلت النار تحتهُ فانت بفعلك تضيف القوة — الحرارة — الى الماء وبالتالي انك تزيد وزنهُ . واذا امررت تياراً كهربائيًّا في مقدار معيَّن من الماء وحللتهُ الى عنصريهِ الاكسجين والهدروجين فامرار التيار—أي اضافة القوة الى الماءِ — زادت وزنهُ لان وزن الغازين اللذين يتألف منهما مقدار من الماءِ اكبر من وزن الماءِ نفسهِ

***

كنا نقول قبلاً انهُ اذا رفعنا جسماً من الاجسام مسافة مترٍ زادت قوتهُ الكامنة بسبب العمل الذي انفق في رفعهِ. اما علماء اليوم فيقولون ان الجسم المرفوع اكبر جرماً من الجسم نفسهِ وهو على سطح الارض اي ان بعض القوة التي انفقت في رفعهِ زادت جرمهُ. وكذا تخلى العلماء عن آرائهم المبهمة في ماهية القوة الكامنة واحلّوا محلها شيئاً يقاس ويوزن

فالمذهب القائل بان المادة لا تخلق ولا تتلاشى قد انقضى عهدهُ لان المادة تصير قوة ثم تعود القوة فتصير مادة .فالمادة لم تتلاشَ في الاول ولم تخلَق في الثاني ولكنها تحولت

***

ان توحيد آرائنا ومذاهبنا الطبيعية قائم على قدم وساق . وقد تكرر هذا العمل في القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين . ففي اوائل القرن التاسع عشر كان العلماء ينظرون الى كلٍّ من النور والحرارة والنور الفوتغرافي نظرهم الى وحدة مستقلة عن الاخرى . على ان كل الاشعة صارت في نظرنا الآن شيئاً واحداً والاختلاف بينها ناشىء عن طول الموجة فقط . وقد اضيف عليها من الطرف الواحد الامواج اللاسلكية ومن الطرف الآخر اشعة اكس والاشعة الكونية .فاز مكسوِل اولاً بتوحيد النور والكهربائية وتلاهُ اوهم وفراداي فوحّدا بين المغناطيسية والكهربائية ثم جاء اينشتين الذي وحّد اولاً بين الجاذبية وقوة الاستمرار ثم بيّن ان المادة والقوة وجها لوحةٍ واحدة

صور جديدة للأدب العربي

مناظرة الهمذاني والخوارزمي

«اذا أرت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب الا خمول نبيه»

—0:0—

« وأعان الهمداني عليه قوم من الوجوه ، كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاق ما لم يكن في حسابه» « الثعالبي »

أما أثر هذه المناظرة في الهمذاني فقد اوجزهُ الثعالبي في قولهِ : —

« فلما تصدى الهمذاني لمساجلتهِ ، وتعرض للتحكيك بهِ ، وغلّب هذا قوم وذاك آخرون ، طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارات الاقبال على أموره ، ودرّت لهُ أخلاف الرزق ، وأجاب الخوارزمي داعي ربه ، فخلا الجو للهمذاني »

وأما أثرها في الخوارزمي فكان كما يقول الثعالبي نفسه : —

« أنف من تلك الحال ، وانخذل انخذالاً شديداً ، وكسف باله ، وانخفض طرفهُ ، ولم يَحُلْ عليهِ الحول حتى خانه عمره ونفذ قضاء الله فيهِ ! »

والحق ان هذه المناظرة كانت أشبه بمبايعة قهرية من الخوارزمي للهمذاني ، فقد انتهت المعركة بمثل ما تنتهي اليهِ هزيمة الملوك ، وانتقل تاج الشهرة من رأس الى رأس !

ولعل أصدق مثل ينطبق على ما حدث بين الهمذاني والخوارزمي هو مثل السلحفاة والأرنب المشهور ، حين تراهنا على السباق إلى غاية، فتهاون الارنب اعتماداً على سرعته وجدّت السلحفاة لتعوض ما فات من قوتها

فقد كان الخوارزمي حينئذٍ شيخاً قضى عمره بين حلّ ٍ وترحال ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب — كما يقولون — وشرّق بعد ان غرّب وخبر الدهر وأهليهِ ، وتعرض لكيد الرؤساء وغضب الزعماء . فلما تصدى الهمذاني لمناظرتهِ ، وهو حينئذٍ في سن الشباب — استخفّ بهِ ولم يعدّ العدة لمناضلتهِ ، وكأنما كان يتمثل قول القائل : —

« عذرت البزل إن هي غالبتني فما بالي وبال ابني لبون ! »

ولم يكن زهد الخوارزمي في مساجلتهِ بأقل من ولوع الهمذاني بها وتحرقهِ اليهـا ، لانهُ كان يرى فيها اكبر فرصة للظهور

ألا ترى إلى الهمذاني يبدأ بالتجني على الخوارزمي وتقريعه واتهامه بالجفاء والكبر[١] فيرد عليهِ الخوارزمي رداً كريماً يختمهُ باظهار خطاءِ الهمذاني فيما ذهب اليهِ من توهم الجفوة[٢] فلا يكون للهمذاني شاغل الا استثارة الخوارزمي وتنقصه وعيبه في كل نادٍ ومحفل ، مرتقباً الفرص لمناضلتهِ وقهرهِ ، ليصل بذلك الى الشهرة من أقرب طريق. فاذا بدا لهُ أمل في الاجتماع بهِ ، حرص الهمذاني على تعجل الفرصة وسعى الى تحقيقهـا جاهداً خشية ان تفلت من يده . كما ينم على ذلك قوله : —

« واتفق أن السيد أبا علي نشط للجمع بيني و بينهُ ، فدعاني فأجبت ، ثم عرض عليّ حضور أبي بكر الخوارزمي فطابت ذلك وقلت : « هذه عدة كنت أستنجزها . وفرصة لا أزال أنتهزها ». فتجشم السيد أبو الحسين وكاتبه يستدعيهِ ، فاعتذر أبو بكر في التأخر فقلت : « لا ، ولا كرامة للدهر أن نقعد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ، ولا عزازة للموائق أن تضيعنا ولا نضيعها وتعيينا ولا ندفعها ».وكاتبتهُ أنا أشحذ عزيمته على البدار، وألوي رأيه عن الاعتذار ، واعرفهُ ما في ذلك من ظنون تشتبه ، وتهم تتجه »

وهنا يقول الهمذاني :

« وقدنا اليهِ مركوباً لنكون قد الزمناهُ الحج وأعطيناهُ الراحلة ، فجاءنا في طبقة أف، وعدد تف

« كل بغيض قده اصبع وأنفه خمسة أشبار ! » الخ

ولم يكد يستقرُّ بهِ الجلوس حتى بدأ يستثيره الهمذاني ويتحرش بهِ إلى ان زجَّ بهِ في ميدان المساجلة . وانشدهُ الهمذاني ابياتاً كلها تهكم بهِ وزراية عليهِ وتنقص لأدبهِ

وقد اجاز الخوارزمي بيتاً للمتنبي كما اجازهُ الهمذاني ، وعاب عليهِ الهمذاني ما في نظمه من قافات مكروهة . فلما بدأ الخوارزمي يعيب عليهِ قوله :

« يا أحمقا ! وكفاك ذلك خزية جرّبت نار معرتي هل تحرق ! »

ونعى عليهِ صرف كلة « أحمق » أمطرهُ الهمذاني بسيل من السباب ، فقال :

« وأما أحمق فلا يزال يصفعك لتصفعه ، حتى ينصرف وتنصرف معهُ ! »

ومن العجيب أن الهمذاني يسبّه ما شاء أن يسبّهُ ،دون أن يقف في سفاهتهِ عند حد، ومن غير أن يراعى فضل الرجل أو شيخوخته ، ثم لا يخجل أن يقول لهُ بعد ذلك :

---

(١) ارجع الى (ص ١٥) من رسائل الهمذاني (٢) ارجع الى (ص ١٥) من رسائل الهمذاني

« يا هذا إن الادب غير سوء الأدب ، وللمناظرة حضرنا لا للمنافرة ، فإن نفضت عن هذا السخف يدك ، وثنيت عن هذا السفه قصدك ، وإلا تركت مكالمتك الخ »

فاذا انفضّ المجلس طفق الهمذاني يروّج في كل مكان انهُ انتصر على الخوارزمي أيما انتصار وخذله أيما خذلان، ويرسل اليهِ في نفس الوقت رسائل الشوق والمجاملة والتحرق الى اللقاء ، ويوفد اليهِ رسلا يصلحونهُ واياهُ :

ولكن الخوارزمي يبعث اليهِ من يقول لهُ :

« قد تواترت الأخبار ، وتظاهرت الآثار في أنك قهرت وانى قُهرت ،ولا أشك في أن هذا التواتر عنك صدرت اوائلهُ ، والخبر اذا تواتر بهِ النقل قبلهُ العقل ، ولا بدَّ أن نجتمع في مجلس بعض الرؤساء نتناظر بمشهد الخاصة والعامة الخ »

واذن فقد بلغ الهمذاني إربتهُ ، واهتاج الخوارزمي فاندفع الى طلب المناظرة بلا تدبر ولا روية فبعث اليهِ الهمذاني بكلام ظاهره اعتذار وباطنهُ احتثاث على المناظرة واستنفار اليها

***

ومرت الايام ، ثم جاء اليوم المشهود ، وعقدت المناظرة في دار الشيخ أبي القاسم المستوفى الوزير ، بمشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس

وهنا يبكر الهمذاني في الحضور ليتملق من حضر ويتودد الى الشهود بكل ما في وسعهِ ويدبر خطط الدفاع والهجوم تدبير الحاذق الذكي

قال . « وكنت أول من حضر ، وانتظرت مليًّا حضور من ينظر الخ »

فاذا رأى من بعض الحاضرين شيئاً من الانحراف عنهُ،تقرب اليهِ متملقاً ، كما فعل مع الشريف السيد أبي الحسين ، حين رأى منهُ جانب الاعراض فقال لهُ من كلام طويل :

« فإن كنت أبلغت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ، ثم إن لي في أهل الرسول (ص .) قصائد سارت في البلاد ، وطارت في الآفاق ، ولكني أتسوق بها لديكم ، ولا أتنفـق بها عليكم ، وللآخرة قلتها لا للحاضرة ،وللدين ادخرتها لا للدنيا ! »

فقال للهمذاني : — « أنشدني بعضها »

فأنشدهُ الهمذاني شيئاً مما قالهُ . فماذا حدث ؟ نترك للهمذاني نفسهِ روايتهُ ، قال :

« فلما أنشدت ما أنشدت انحلت لهُ العقدة ، وصار سلِماً ، يوسعنا حلماً الخ » وبذلك أصبح الشريف من أنصار الهمذاني ومؤيديهِ

وجاء الخوارزمي بعد أن تكامل العدد ، وتمت المؤامرة ، فقوبل بفتور ولم يكد يجلس

مكانهُ الجدير بهِ حتى طلب اليهِ الهمذاني أن يتخلى عنهُ الى غيرهِ . ووافقهُ الحاضرون على سفسطتهِ الفارغة . ولقد اخطأ الخوارزمي أشنع الخطأ حين رضي بالبقاء والمناظرة في مجلس مشبع بروح الخصومة واللدد. وليتهُ اتبع قول ابن المقفع في وصف صديق حازم: « وكان لا يدلي بحجتهِ حتى يجد قاضياً فهماً وشهوداً عدلاً » إذن لأمن عواقب هذا الاندفاع والتسرع . ولكن

ألا يا قوم للعجب العجيب   وللغفلات تعرض للأريب

***

ولكن كيف انهزم الخوارزمي في المناظرة ؟

ليس لدينا غير مصدر واحد نعتمد عليهِ في ذلك غير رواية الهمذاني نفسهِ ، وهي رواية خصم عن خصمهِ لا تقابل بغير الحذر والانتباه ، وقد تعمد الهمذاني — بلا شك — أن يسجل فيها انتصارهُ مضاعفاً ، بأسلوب جديد من اقوى أساليب الدعاية ، ولو كان لدينا مصدرٍ آخر لتكشفت لنا جوانب كثيرة تعمد الهمذاني اخفاءها عنا ، ليزعم لنفسهِ الفوز كاملاً والانتصار حاسماً !

على أننا نلمح في كلام الهمذاني نفسهُ ، أنهُ قد انتصر على الخوارزمي انتصاراً ، الهزيمة خير منهُ ،وقد ذكرنا للقارئ طرفاً من تلك الأساليب العجيبة التي سلكها الهمذاني للتغلب على خصمهِ « الخوارزمي » الاديب الكبير وابن اخت الطبري المؤرخ الكبير

وهي أساليب نعدها دروساً قاسية في التهافت المستنكر على الشهرة وعواقبهِ،فقد رأيتَ أنهُ لم يدع وسيلة من وسائل التهويش وتملق الحاضرين وارضائهم إلا أتاها

فلما انتهت المناظرة وأراد تسجيل ما حدث فيها كما شاء لهُ الهوى ، طفق يكيل المدح كيلاً لكل من لهُ خطر من الحاضرين حتى يأمن أن يكذبوهُ في شيء مما رواهُ . وطفق الهمذاني وأنصاره وخصوم الخوارزمي يذيعون في كل مكان أن الخوارزمي قد انهزم شر انهزام

***

ولكن ، هل كانت الهزيمة حاسمة !

ذلك ما نرتاب فيهِ رغم ما يؤكدهُ لنا الهمذاني ، ويصورهُ لنا في روايته التي ليس لدينا مصدر سواها . ونحن نعتقد أن الهزيمة — إن كان ثمة هزيمة — لم تكن شريفة ، وليست تنقص من فضل الخوارزمي.فقد كانت كل كلمة يقولها الهمذاني تقابل بالاستحسان

ويعرب الحاضرون عن رضاهم عنها بالقول والاشارة وانبساط الأسارير . وقد أحسن الخوارزمي في وصف خصمه بالشعبذة فلم يعن أحد بقولهِ . مع انهُ وصف صادق لادب الهمذاني في ذلك الحين . فقد طلب من مناظرهِ مثلاً : ان يكتب كتاباً « خالياً من الحروف العواطل » وآخر « اوائل سطوره كلها ميم وآخرها كلها جيم » الى آخر هذه الأمور التي لا نرى أصدق في وصفها من كلمة الشعبذة !

***

لقد كان الخوارزمي في سن الشيخوخة ، وقد احرز اقصى ما يتطلع اليهِ من شهرة ومجد ووصل الى ارقى منزلة تتسامى اليها نفس اديب ، وهي منزلة الزعامة ، وهو حينئذٍ قد اجتاز مرحلة الجدال والمهاترة والمباهاة بالحفظ الى آخر هذه الاشياء التي يكثر منها الأديب الناشىء الطامح الى الشهرة ، وأصبح يأنف بطبعهِ من ذلك ، ولو حاوله — وقد فعل — لأخفق كل الاخفاق . ومثل لنفسك شابًا ذكيًا يواصل ليله بنهاره في الدرس والتحصيل وتطمح نفسه الى عظائم الامور ، يأتي الى زعيم من زعماء الادب في عصره فيناقشهُ في تلك القواعد التي تركها منذ زمن بعيد وانصرف عنها الى ما هو اسمى منها من الاهتمام بفلسفة الحياة ومثلها العليا ، فماذا تكون النتيجة ؟ !

فاذا سلمنا بانهزام الخوارزمي فليست هذه الهزيمة مما ينقص من مكانتهِ العالية عندنا ، فقد يكبو الجواد . وكثيراً ما صاحبَ التوفيق من ليس لهُ اهلاً ، وخذلت الظروف من هو أجدر الناس بالفوز . وربما أجبلت القريحة الوقادة كما حدث للحريري في موقفه المشهور . ومن الناس من يصلح للكتابة ولا يصلح للخطابة ، ومنهم من يلائمه الجو الهادىء ويؤذيهِ الصخب . ولقد تلعثم مثلاً أبو علي القالي — الاديب الكبير — وارتج عليهِ حين اراد الترحيب برسل ملك الروم في الاندلس واظهار مجد الاسلام امامهم[1] فهل دل ذلك على شيء اكثر من ان لكل مقام ناساً لا يصلحون الا لهُ ، فلابي علي القالي التفكير الهادىء والبحث الأدبي المطمئن ، وتمحيص الروايات والاسانيد ، ولغيره الثرثرة والتأثير الخطابي على نفس العامة ، وليس في استطاعة احدهما ان يقوم مقام الآخر . وللهمذاني كذلك

(١) لما امره الناصر بالكلام حمد الله وصلى على النبي ثم ارتج عليه لهول الحفل وابهة الخلافة ، قالوا : «وانقطع وبهت ، فما وصل الا قطع ، فوقف ساكتاً مفكراً ، فلما رأى منذر بن سعيد البلوطي ذلك قام قائماً بدرجة من مرقاة ابي علي ، ووصل افتتاحه وخطب خطبة ضافية ». (ارجع الى نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ص ٢٠٦) وقد كانت هذه الخطبة سبباً في رفع شأنه بعد ذلك كما رفعت المناظرة من شأن الهمذاني !

دولة الالفاظ يلعب بها لعب الماهر الحاذق بالشطرنج ، وللخوارزمي التوفق في التعبير عما يدور بنفسهِ من أدق المعاني وأخفى الخوالج ، وعرضها على الناس في أجمل معرض !

***

وجماع القول أن الخوارزمي كان يعتد بنفسهِ اكبر اعتداد ويحتقر الهمذاني ، ولا يرى فيهِ كفئاً جديراً بالاستعداد لمساجلتهِ . بينما كان الهمذاني يعدُّ كل عدتهِ في سبيل الانتصار عليهِ لأنه كان يرى في هذا الفوز ادراك اقصى غايات الشهرة ، وكان شهود المناظرة ممن يكرهون الخوارزمي ويميلون الى الزراية عليهِ والحط من شأنهِ كما قلنا . وقد بكر الهمذاني في الحضور واعد أركان الدفاع ورسم الخطط الهجومية ، واستمال الحاضرين بدعابتهِ وظرفهِ ومدائحه ، وهيأ لنفسهِ كل اسباب الانتصار وقد كان الهمذاني قوي العارضة حاضر البديهة سريع الخاطر وهذه اقوى عدة يعتدُّ بها كل من يتصدى للمناظرة والجدل

***

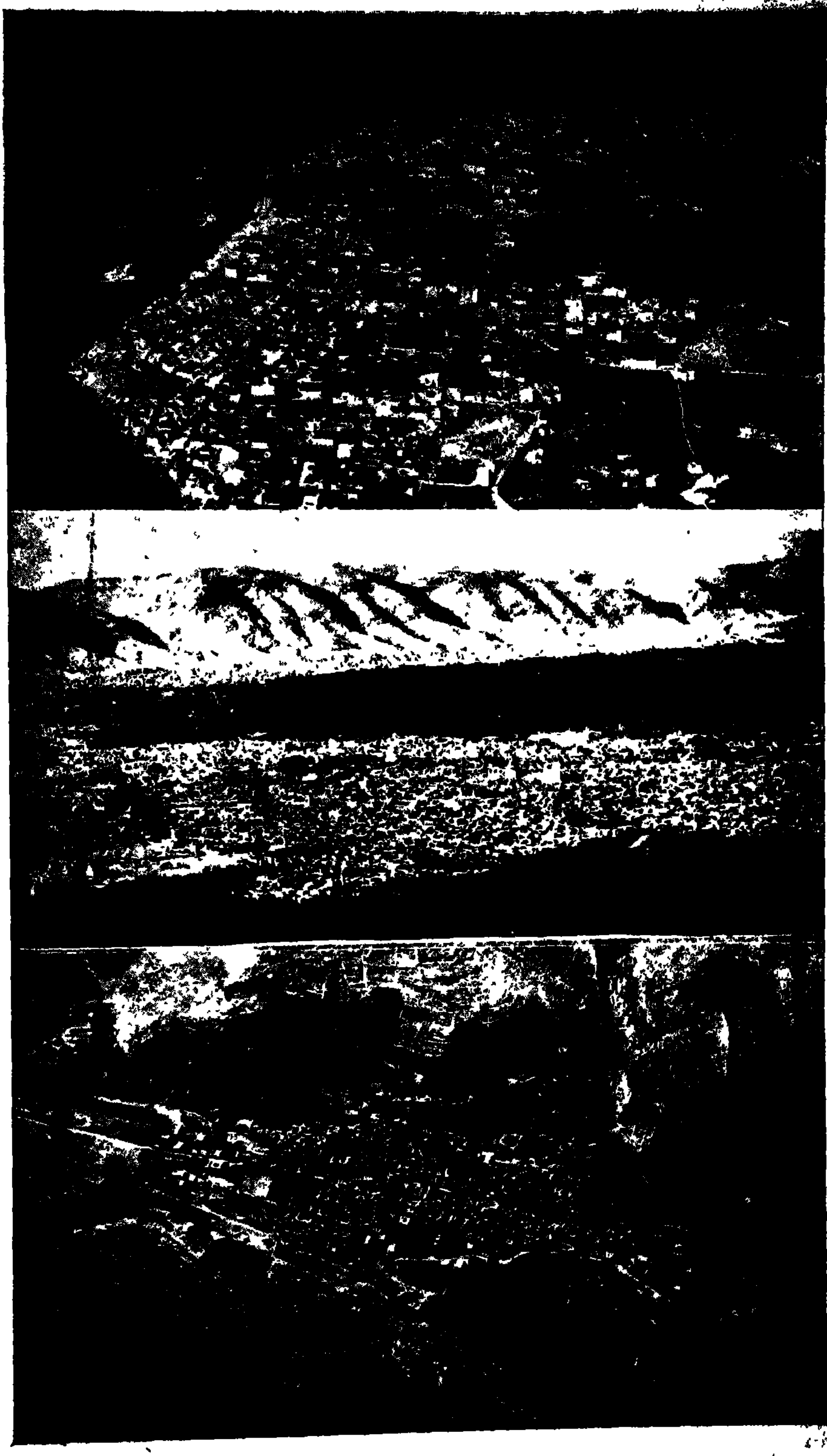
بقي علينا أن نقول ، انصافاً للحقيقة

اننا نتكلم الآن عن الهمذاني وهو في زمن المناظرة ايام كان يطمح الى اغتصاب الشهرة اغتصاباً من أديب عصره الفذ « ابي بكر الخوارزمي » على اننا جديرون ان نقرر أن الهمذاني قد وصل بعد ذلك حين خلا له الجو — عقب موت الخوارزمي — الى منزلة إن لم تصل الى منزلة الخوارزمي فهي ليست جد بعيدة عنها ، ولا جرم انهُ لم يبلغ هذه المرتبة إلا بعد أن وجه همتهُ الى الادب الخالص والتعبير الصادق عن احساسه ،ولو عاش الى مثل سن الخوارزمي لما قصر عن شأوه . وربما مثل معهُ أحد الناشئين نفس هذه الرواية التي مثلها مع الخوارزمي — على أن كلا الاديبين — في التقصير والنبوغ على السواء متفق في العناية بالسجع والمحسنات اللفظية التي لا يرضاها عصرنا . وإن كان السجع قد أصبح لكليهما سجية ، وكان لا يجيء منهما إلا عفو الخاطر فلا تكاد تشعر بتكلف في صياغته ، لاسيما في كلام الخوارزمي المملوء حكمة وتعقلا

فإذا تعنت ناقد فعرض علينا شيئاً من سخافاتهما محاولاً اسقاط قيمتهما ، عرضنا لهُ أضعاف ذلك من حسناتهما ، وقلنا له : إن كائناً من كان ، لا يخلو من سقط

على أنهما كانا متأثرين بعصرهما في ذلك ،وقد حملا لواء الزعامة متعاقبين وكانا قدوة للناشئين من الأدباء كما كانا محل تبجيل اساطين الادب في ذلك العصر الحافل بالادباء

القاهرة كامل كيلاني



ثلاث مدن سورية كما ترى من طيارة محلقة (من أعلى الى اسفل) مرفأ يافا فدمشق الشام فنابلس
مقتطف يوليو ١٩٢٩ أمام الصفحة ١٦١

مشاهد مصر وفلسطين من الجو

اعظم الرحلات الجوية الحديثة

للسر الان كوبهام الطيار الانكليزي المشهور

كانت الحلقتان الاوليان في هذه السلسلة لاثنين من اشهر طياري العصر اولهما الجنرال نوبلي زميل امندصن في رحلة البلون نورج (مقتطف يناير وفبراير ١٩٢٨) . والثاني الكومندر برد اول من بلغ القطب الشمالي عن طريق الجو واحد ابطال الطيران في اميركا (مقتطف مارس وابريل ١٩٢٨) . وهذه الحلقة الثالثة لاشهر طياري الانكليز السر الان كوبهام لخصناها عن المجلة الجغرافية الاميركية الاهلية

١

اتيح لي في السنوات السبع الاخيرة من حياتي ان ازور كل عاصمة من عواصم الممالك الاوربية وان اخترق القارة الافريقية من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها وان اجتاز البادية السورية الى العراق فالهند فبرما ومنها الى استراليا عن طريق رانغون وسنقافوره وجزائر الهند الشرقية. ومع ذلك لم امتط سفينة بخارية في اثناء تلك الرحلات الا في اواخر سنة ١٩٢٧ حين زرت الولايات المتحدة الاميركية. لان كل رحلة رحلتها في السنوات المذكورة كانت على متن الطيارات . واشعر الآن ان ما احفظهُ من ذكريات الاماكن التي زرتها او طرت فوقها اكثر وضوحاً من ذكريات مسافر عادي يمتطي باخرة اوقطاراً او سيارة

ففي اوائل سنة ١٩٢٣ رحلت رحلة طويلة قطعت في اثنائها نحو ١٢ الف ميل على سبيل النزهة فزرت كثيراً من بلدان اوربا ومصر وفلسطين والجزائر ومراكش . وكان رفيقي فيها صديق قديم اولع بالسفر الجوي لانهُ يحسبهُ من اجلّ الوسائل لدرس الحضارات القديمة وآثارها

قمنا من لندن الى باريس ثم اخترقنا فرنسا الى شاطئها الفيروزي Cote d'Azur فطرنا فوقهُ الى ايطاليا ومنها الى بلاد اليونان فتسنى لصديقي ان يشاهد معاهد الخرافات اليونانية والرومانية ونحن سائرون فوقها من برندزي الى كورفو الى خليجي بتراس وكورنثوس الى اثينا . من اثينا اجتزنا البحر المتوسط الى الشاطئ الافريقي الى مصر ولما

ولما في مصر عزمنا ان نطير من شرق افريقيا الى غربها فقمنا من مصر الى مراكش في مراحل كثيرة كما يجيء ثم اجتزنا بوغاز جبل طارق الى اسبانيا ومنها عدنا الى فرنسا فانكلترا

رأينا اكمة الاكروبيلس اولاً من الجوّ فكان منظرها رائعاً. ولبثنا في العاصمة اليونانية بضعة ايام شاهدنا في اثنائها البارثنون والستاديوم الجديد وهو الملعب الذي بني على انقاض الستاديوم القديم حيث كانت تقام الالعاب الاولمبية . ولما اكملنا عدتنا للطيران من بلاد اليونان الى افريقية اصبحنا في اليوم التالي والجوّ صافٍ كعين الديك فطرنا فوق جزائر بحر ايجه وهي كالجواهر ترصّع سهلاً من الفيروز ثم مررنا فوق جزيرة كريت حيث ولد اول الطيارين في التاريخ

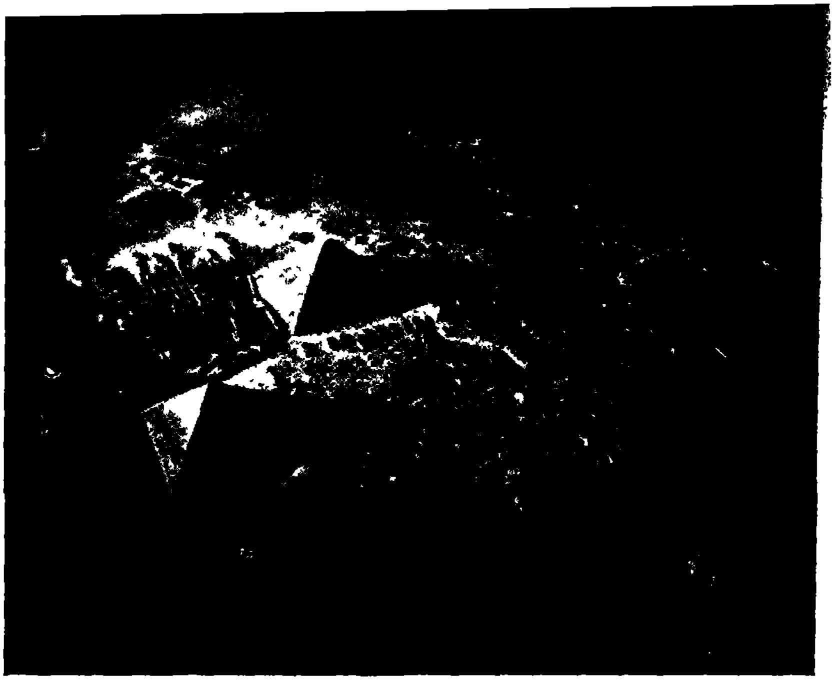
ففي الخرافات القديمة ان طائرين يدعيان ديدالس وايكارس صنعا اجنحة من الريش وحلقا في الجوّ فوصل ديدالس الى جزيرة صقلية طائراً واما ايكارُس فهزهُ الفوز بالطيران فحلّق في الجوّ حتى اقترب من الشمس فذاب الشمع الذي شُدَّ بهِ الريش الى الجناح وهبط الطيّار في البحر . ولحسن الحظ لم نصب بما اصيب بهِ ايكارس

فاننا غادرنا جزيرة كريت وراءنا حين اتجهنا الى السلّوم معتمدين على البوصلة المغنطيسية وبقينا طائرين ثلاث ساعات لا نرى الاّ الازرقين السماء والماء حتى تراءى لنا الشاطىء الافريقي عند الافق فالتزمنا السير في خط مستقيم حتى بلغناهُ فاذا نحن على ميل واحد من السلوم التي سدّدنا مقدم طيارتنا اليها .وهي مركز من مراكز الحدود المصرية على حدود الصحراء الليبية فرحب بنا مأمور المركز ودعانا الى العشاء فاجتمعنا عندهُ بمحافظ الصحراء الغربية وفي السهرة دار الحديث على مشاقّ الرحلة في الصحراء وذكر الحاكم انهُ مقبل في الغد على رحلة مضنية الى واحة سيوه تستغرق مسيرة يومين بالاتوموبيل

فراجعت الخريطة التي كانت في حقيبتي ووجدت ان سيوه واحة على مائتي ميل الى الجنوب من السلّوم في صحراء ليبيا . فاقترحت على المدير ان اطير بهِ الى سيوه فنصلها في ساعتين فقبل الدعوة شاكراً

نزلنا في سيوه او على مقربة منها على سطح ملحيٍّ متسع مستوٍ كل الاستواء حتى كأنهُ سطح مائدة من موائد البلياردو والظاهر انهُ كان قبلاً قعر بحيرة من الملح. ولما وقفت الطيارة رأينا قافلة من الجمال مستعدة لاستقبالنا والذهاب بنا الى البلدة وقد علمت بعدئذٍ ان الاوامر صدرت الى سيوه من السلوم بالتلفون لارسال هذه القافلة الى استقبالنا

وقد كانت سيوه الى زمن قريب ملوثة بجراثيم الملاريا ولكن العناية ببرك المياه الراكدة



الهرمان الكبيران وما يجاورهما كما يريان من طيارة محلقة



[illegible] كما ترى من طيارة محلقة فوقها . والمربعات التي ترى في الصورة هي أسوار تحيط بالدور وفي
[illegible] ١٩٢٥ • أمام الصفحة ١٦٣

واصدار الاوامر بتجفيفها او تحريكها مرتين على الاقل كل يوم او صبّ زيت النفط عليها منعت البعوض من التكاثر فيها فزالت الملاريا منها

الصحراء حول سيوه ليست كثباناً من الرمل الناعم بل تراب متحجر وفي كثير من الاماكن ترى الارض مستوية استواء صحن المسجد . وفي اليوم الثاني قبيل رجوعنا نقشت الحرف T في الساحة التي نزلنا فيها للدلالة على ان المكان صالح لنزول الطيارات . وقد قيل لي ان هذا الحرف لا يزول قبل انقضاء ٢٠ سنة لجفاف الهواء وعدم وقوع المطر الذي قد يطمس آثارهُ

شاهدنا في مرسى مطروح بحيرة ضحضاحة الماء جميلة المنظر . وقد قيل لي ان في بعض التواريخ ما يؤخذ منهُ ان كليوبطرة ومرقص انطونيوس كان لهما قصر في هذه الناحية . وبعدما طرنا من مرسى مطروح نحو ٣٠٠ ميل وصلنا فجأة الى الحد الفاصل بين الصحراء والدلتا الممرعة ولم نسر بضع دقائق حتى رأينا الارض تحتنا خميلة خضراء . ثم رأينا عند الافق قمتين علمنا من شكلهما انهما قمتا هرمي الجيزة الكبيرين فاتجهنا اليهما ولما وصلنا اليهما شاهدنا ايضاً على مقربة منهما الى شرقيهما الجنوبي اهرامات اخرى

من يطر فوق البلاد المصرية يدرك الى اي حدّ مصر ارض النيل وانها لولا هذا النهر العظيم لما كانت مصر على الاطلاق وقديماً قال هيرودتوس « مصر هبة النيل ». وحين تشاهد النيل من الجوّ تحسبهُ نهراً من الخضرة النضرة يسيل في الصحراء القاحلة وفي وسط هذه الخضرة تلمح مياه النيل الفضية كالسيف المصقول

سرنا من القاهرة محاذين النيل الى الاقصر وقبل النزول الى الارض طرنا فوق وادي الملوك وطيبة وهيكل الكرنك وبعد نزولنا الى الارض قضينا اياماً نجول في الاماكن التي شاهدناها من الجوّ فكانت مشاهدتها الاولى مما ساعدنا على ادراك نسبتها بعضها الى بعض

الرحلة من القاهرة الى الاقصر بسكة الحديد تستغرق نهاراً كاملاً او ليلة كاملة ولكننا اجتزنا المسافة بطيارتنا في اقل من اربع ساعات . ومن الاقصر استأنفنا رحلتنا جنوباً فشاهدنا آثار اسنا وادفو حتى بلغنا جزيرة انس الوجود عند الشلال الاول وشاهدنا خزان اسوان العظيم وفي البحيرة التي تكونت وراء الخزان من خزن المياه رأينا هياكل « انس الوجود » مغموراً اكثرها بالمياه وقد كانت حتى بناء الخزان على اليابسة فوق حدّ مياه النيل

كان الصيف قد اقبل بحرّهِ فلم نشأ ان نتعرض لهُ فيحمى محرك الطيارة ونضطر الى النزول في الصحراء على منأى من العمران فقررنا ان نستأنف سفرنا الى حلفا قبل فجر اليوم التالي فشاهدنا الآثار المصرية على ضفاف النيل واشهرها هيكل ابو سمبل التفوقي

الصخر الحي وقد قام امام مدخله تمثالان ضخمان لحراسته

ولما بلغنا حلفا عند الشلال الثاني حوّمنا حولها ثلاثاً ورجعنا الى اسوان فبلغناها بعد ما بقينا في الجوّ نحو خمس ساعات فتناولنا طعام الفطور في ساعة متأخرة ولو شاء السائح ان يسافر من اسوان الى حلفا ويعود اليها بالباخرة لاستغرق ذلك نحو اسبوع كامل

وفي عودتنا الى القاهرة طرنا فوق آثار ابيدوس واذ نحن طائرون نتمتع بمشاهدة الآثار الضخمة التي تحتنا شعرت بان محرك الطيارة غير منتظم الدوران فادركت في الحال ضرورة النزول الى الارض لاصلاح الخلل وكانت الارض تحتنا خمائل غنّاء تخترقها ترع الري فالنزول بالطيارة فيها محفوف بالخطر ولذلك اتجهت الى الصحراء فنزلنا على اطرافها سالمين ولم يمض على نزولنا دقيقتان حتى التفّ حولنا جمهور كبير من السكان فخفت على الطيارة ان تصاب بعطل ما من ازدحامهم حولها. ولحسن الحظ لم يلبث شيخ القرية ان جاء ليعرف ما الخبر فطلبت اليه ان يمنع الجمهور عن الازدحام حول الطيارة ففعل وللحال اكببت على اصلاح الخلل ولكننا لم نتمكن من استئناف الطيران الى القاهرة فبتنا في قرية قريبة من المكان الذي نزلنا فيه واستأنفنا الطيران صباح اليوم التالي فبلغنا القاهرة حوالي الظهر

ولما كنا في القاهرة عزمنا ان نزور فلسطين فقمنا من مطار هليوبوليس واتجهنا الى البحر الابيض المتوسط على حدود الصحراء الشرقية . وبعدما طرنا نحو ساعة ونصف ساعة دهشت لما رأيت باخرة تسير في الصحراء وتخترق الرمال فهبطت قليلاً واقتربت من الباخرة فاذا هي تسير في ترعة السويس التي لم ارها لاني نظرت اليها من مكان منحرف فخفيت مياهها وراء كثبان الرمال

وكانت هذه الرحلة الاولى التي رحلتها الى فلسطين فخطرت على بالي اقوال اسفار التوراة التي يؤخذ منها ان اسباط بني اسرائيل قضوا اربعين سنة في صحراء سينا قبلما جاءوا فلسطين التي تفيض لبناً وعسلاً فجعلت اراقب البلاد التي تحتنا كيف تحول الصحراء القاحلة الى ارض قليلة الخصب فيها بعض العشب والشجر ثم الى جنائن فلسطين الغبياء . وطرنا فوق القدس الشريف يوم الجمعة الحزينة وفي يدنا توراة نستدل منها على الاماكن المشهورة وبعد ما حومنا فوق المدينة اتجهنا الى قرية بيت لحم ومنها الى وادي البحر الميت الذي يبلغ انخفاض قعره عن سطح البحر ١٣٠٠ قدم . ثم استأنفنا الطيران الى وادي الاردن فبحر الجليل ثم اجتزنا الاكام الى الناصرة ومنها الى الرملة حيث حططنا رحالنا لنزور الاماكن التي طرنا فوقها فلما زرناها رسخ في اذهاننا ان الطيران فوق بلاد قبل التجول فيها يمكن السائح من فهم جغرافيتها وتاريخها فهماً صحيحاً

مسألة اليوم

في سبيل العربية

ما بين الجمود والاصلاح

استعراضٌ نقديٌّ بقلم الدكتور احمد زكي ابي شادي

١ — تمهيد

بالامس القريب ثارت ثائرة الادباء في فلسطين لانّ صحيفة انجليزيةً أنشأت قسماً عربيًّا لها مكتوباً بالحروف اللاتينية . وأحسب انَّ كل اديب عربي بعيد النظر لن يتردّد لحظةً في مشاركة اولئك الساخطين في شعورهم واحتجاجهم ، لان هذه هي الخطوة الاولى للقضاء على العربية ، وفي القضاء عليها قضاء على ما يتبعها من مقوّمات اجتماعيةٍ وادبيةٍ وسياسيةٍ نلوذ بها ونعتزُّ ، ونتّخذها عماداً لنهضاتنا المتتابعة

لعلَّ من خير الانسانية ان تكون لها لغة واحدة ، ولعلّ اللغة العالمية التي سوف تكون لها الغلبة هي الانجليزية — لسان العالم الجديد : مقرّ أسمى حضارة عرفها البشر ، ولسان الامبراطورية الانجليزية ، ولسان التجارة الدولية ، ولسان الثقافة والتعامل في شعوب ناهضة كثيرة كاليابان والصين والهند . بَيْدَ انهُ من خيال الخيال أن نتصوّر إمكان القضاء البات على اللغات القومية ما دامت هذه اللغات وليدة معارف وحضارات وعقائد مبجّلة . وغاية ما يسوّغ لنا العقلُ تصوُّرَهُ إمكان ذيوع لغة ظاهرة ذيوعاً كافياً لتكون اللسان الاول للحضارة العالمية ، فيصبح تعلمها فرضاً على جميع الشعوب المتحضرة، دون ان يتعارض ذلك وواجبات تلك الشعوب نحو لغاتها الخاصة بها . وقد ذكرتُ آنفاً ان اللغة الانجليزية مرشحة قبل سواها (ولا استثني الفرنسية) لتبوُّء هذه المكانة ، وربما نالتها قبل شروق القرن التالي . وقد اصبحت الانجليزية بما تستوعبهُ من شتى العلوم والفنون والآداب كنزاً وفيراً لأنفس معارف الامم ، وصار التبحر فيها مغنياً في معظم الاحوال عن الألسنة الاوروبية الاخرى . ولكنهُ برغم ذلك لم يعُرف قديماً ولا حديثاً عن امة من الامم التابعة للتاج البريطاني انها استغنت بهذه اللغة السهلة المرنة الزاخرة بالعلوم

والفنون والآداب عن لسانها القومي الرؤوم ، ذلك لانها تحسُّ انهُ وحده مستودع اسرارها واحلامها وآلامها

هذا مثلٌ نسوقه لنسوّغ بهِ تعلقنا (لا من جانب العاطفة وحدها ، بل من جانب المنطق ايضاً) بلساننا القومي ، دون ان تكون في هذا التعلق مسكة من التعصب المشين ولا ايّة مضادة لنزعتنا العالمية . وما من شكّ في ان اللغة العربية — وريثة الكثير من المدنيات القديمة — قد برهنت على استطاعتها ان تتكيف في اقطار شتى بلهجاتها وتعابيرها ذلك التكيف العجيب الذي يجعل حتى من صورتها الفصحى ألسنة قومية متعددة لافارق بينها الا في ما يسبغهُ عليها الذوقُ المحليُّ من الوان التعبير وما يكسبها من جرس خاص ترتاح اليهِ كل امة تخذها لسانها القومي

فما تقدم يتجلى لنا ان محاولة القضاء على الخط العربي مثلا لا تجدينا شيئاً لانها تجعلنا نفقد صلاتنا بالماضي وهو تراث ثمين لنا ، ولا تكسب الانسانية خيراً لانها لا تساعد على تعزيز اللغة العالمية المرتقبة فهذه بالغة منزلتها لامحالة بحكم الحاجة العامة وبدافع الروح العالمية التي اخذت تسيطر على الفكر الانساني ، وكل ما سينشأ عن هذا العبث او عن هذه الثورة الناشئة لو نجحت هو افساد اصول العربية وتكوين لغة خلاسية جديدة لاثقافة لها تدعمها ، وهكذا نخسر خسراناً مبيناً من ضلالة الهوى

فاذا كانت هناك مسألة جديرة باتفاق المحافظين والمجددين على السواء فهي صيانة حرمة لغتنا وشخصيتها ، واذا كان الاختلاف بينهم مبعثهُ غيرة كل فريق منهم على كرامة هذه اللغة فأكرم بهذا الاختلاف واجمل بهِ

ومن رأيي انهُ لا يمكننا التهاون آمنين في ما يُدعَى بصغريات المسائل الخاصة بكيان اللغة وحياتها لان هذا التهاون — سواء كان في صورة الجمود او الاستهتار — متى بدأ بهذه المسائل الصغيرة تدرّج الى الكبريات وجنى على اللغة تدريجيًّا . فكلُّ عنايةٍ باللغة وان حُسبت صغيرةً ذات أثر في حفظ صحتها وترجيح حياتها . ومن اجل هذا تفرحني كلُّ عنايةٍ بها في المطبعة وفي الصحافة وفي التأليف شكلاً وروحاً ، عَرَضاً وجوهراً . لذلك لم تفتني الاشارة النقدية الى استعمال إحدى مطابعنا الشهيرة حروفاً قديمة للعناوين الجانبية لتكون بارزة الى جانب الحروف الجديدة (المقتطف م ٧٤ ص ٥٨٩) ، ومن أجل ذلك رحّبتُ بالمجهود الذي تبذلهُ الآن بعض مطابعنا الكبرى لاتقان صناعة آلات الصفّ الفردي (monotype) والصفّ السّطري (linotype) العربية ، ولهذا السبب سُررتُ بالعناية المطّردة الى تحسين الطباعة العربية كتابةً وترقيماً واخراجاً . وما اشك

في ان كثيرين من رجال القلم — فضلاً عن جمهرة القراء — يشعرون بمثل هذا الارتياح. فالعناية باللغة يجب ان تكون عناية عملية تطبيقية ، لاشقشقة لسانٍ رفيقة للجمود، ويجب أن تشمل جميع مظاهر الحياة للغة حتى يكون لها الاثر الاتمّ

٢ — سعة العربية

سمعنا تكراراً أنَّ كلام العرب « لا يحيط بهِ الاَّ نبيٌّ » ، وأنّ ابنية اللغة العربية تتجاوز الاثني عشر مليوناً من الكلمات على ما ذكر الخليل بن احمد ، وانّ الزّبيدي قدر أن عدّة مستعمل الكلمات العربية الكائنة فعلاً ومُهمَلها يُربي على ستة ملايين ونصف المليون من الكلمات . وكلُّ هذا من قبيل المباهاة التي لا جدوى منها ، لاننا في غنى عن كلّ هذه الملايين من الالفاظ التي يمكن نحتها بغير اصول فنية،والتي تستطيع اية لغة انتجارينا فيها متى تطرّقنا الى باب النحت الصناعي الصوتي على غير اساس معقول سوى تركيب الحروف في صور كلمات ثنائية وثلاثية الخ . ! ولعلّ في معجم وبستر الاممي (Webster's International Dictionary) بكلماتهِ التي لا تبلغ المليون عدًّا من الثروة اللغوية والذهنية ما يفوق في قدره دعاوى تلك الملايين الوهمية من الكلمات العربية ، وما هو أدعى حقًّا الى الفخر بهِ لدى اصحابهِ

فاذا شئنا ان نفتخر بسعة العربية فلنفتخر بثروة مترادفاتها ، وبمفرداتها الجمة الكفيلة بالتعبير عن عواطف النفس وخلجاتها ،وعن صنوف المعاني العامة كيفما كانت ومهما تعدَّدت واستدقت،وعن تعابيرها المتنوعة الطيِّعة لكلِّ مَنْ تذوَّق بلاغتها وتعرَّف روحَها . ولكن هذا الفخر عمليًّا ، اي مقروناً بمواصلة الدرس لها وباستخراج كنوزها الى عالم النور . اما التشدق النظري بسعة العربية — ذلك الذي يقود الى الجمود ثم الى التعصب ضدّ التعريب كلما دعت الحاجة اليهِ — فليس من البرّ باللغة في شيء . ومن العبث التمثل بالجرمانيين ، فتلك نعرة اخذت تتضاءل امام روح الثقافة العالمية المتسلطة في هذا الوقت خاصة على الممتازين من اهل العلم والادب في جميع الشعوب الحية

لنؤمنْ اذن بسعة العربية الى حدٍّ ما ، عاملين على تداول الجيل من الفاظها المنسية وجمع المتفرّق الضائع منها ، مجدّدين ما شاء العصر في تعابيرها ، نازعين على الاخصّ الى ما يصحّ لنا ان نسميهُ بالاسلوب المتعادل (Neutral Style) — ذلك الاسلوب الذي يعبرّ تعبيراً مستقيماً عن افكارنا وعواطفنا ومعارفنا بغير لغوٍ او اسرافٍ ، بحيث لا يشقّ نقلهُ في مجملهِ سواء كان نثراً او نظماً ، تقريراً او شعراً ، من اية لغة الى اخرى دون ان يفقد بهاءه ما دامت القدرة على النقل موفورة

ومن العجيب انهُ لا يزال بيننا من يتحدث عن المفردات والاساليب الفصيحة الاولى حينما لا تعرف لهذه الاساليب القديمة الصرفة حياة صافية اكثر من قرن بعد ظهور الاسلام، وهذه سنة النماء والتطور الطبيعية التي لا غضاضة فيها ولا ضير منها على اللغة ما دامت غذاءً لحياتها، لا داءً متسرّباً الى كيانها. والفصاحة على أيّ حال مسألة نسبية في شتّى العصور، ولا يمكن ان يصونها الاستقرار والاغفاء حينما التطور العالمي ينادي بحاجات جديدة في كل شيء

ولسنا الآن بحمد الله في عصر جهل وانحطاط كعصر المغول والتتر، بل نحن في عصر بعث اكيد، بل نهضة للغة العربية في معظم البلاد التي تعتبرها ألسنتها القومية، وما ذلك الاَّ بفضل التجدّد القوي والرغبة الصحيحة في نشر العلوم والآداب العصرية وإحياء القيّم العزيز من الآداب العربية الاصلية. وما دامت هذه النهضة عِدّها الاخلاص وحب الحق والتسامي بروح المعونة فهي متواصلة لا محالة، وسيعمّ خيرُها نسبةً مطردةَ النموّ — إن عاجلاً او آجلاً — من السبعين مليوناً بل يزيدون من الناطقين بالضاد. ولن تعرقل ذلك الاَّ نزعة الجمود والرجعية العمياء التي تحسب إعزاز اللغة في المباهاة بماضيها، حينما سعتها بل حياتها لا تتجلى بغير الاستعمال، ولا يكون الاستعمال بالاقتصار على تكرار القديم المعاد وانما يكون بخدمة الثقافة العصرية قبل سواها، لان اللغة اساسيًّا وسيلةٌ لا غايةٌ وإن تكن موضع تقديرنا وحبنا. ومن هذا نستخلص ان كل من يتعاون على جعل اللغة تستوعب معارفَ العصر وآدابهِ في غير جمود ولا استهتار هو الذي يبرهن على سعتها بل يزيدها رحابة، وهو اولى من سواه بالفخر، واجدر بان يُصغَى اليهِ في عطف ومؤازرة. كذلك نستخلص مما تقدّم ان كل حركة تعادي الابتداع في النقل والتعريب — متى كان ذلك بايدي القادرين عليهِ — انما هي حركة غاشمة تعتز بثروة مبهمة مدفونة لا يمكن الانتفاع بها، لان اللغة ليست معاجم ميتة بل هي ثقافة حية ذائعة الاثر تحملها المفردات والتعابير ولا يمكن ان تعيش الاخيرة بغير الاولى. وبهذا التطبيق وحده آمنَّا بسعة العربية وليونتها وقابليتها للتجديد حينما دوّنت بها نفائس مدنيات شتى في غابر العصور شرقاً وغرباً، وحينما كانت أهلاً لإنجاب اعلام الفلاسفة وكبار العلماء وفحول الكتاب والشعراء المتصرفين اقدر تصرّف في اوضاعها استعمالاً واستحداثاً، اشتقاقاً وتعريباً. واذا كان الماضي في أحايين كثيرة مرآة الحاضر فنحن لا نغالي اذا اعتقدنا ان هذه الحرية المعقولة في التعبير وفي تطويع اللغة لحاجات الزمان والمكان والثقافة هي التي زادت العربية في الماضي سعة على سعة وحققت انها كائن حيٌّ، وهي الكفيلة في زمننا هذا بابلاغها كل ما نتمنى لها من مكانة وسؤدد

٣ — المجامع اللغوية

اذا تتبعنا تاريخ تكوين مجامعنا اللغوية على حداثتها وجدنا أن أقوى البواعث على تأليفها هو روح الغيرة على كيان اللغة ، ولكنها غيرة تتسم بنزعة المحافظة والرجوع بنا الى منابعها الاولى والتخلي عن الصلات العالمية ! والدليل على ذلك ان اكثر اعضاء هـذه المجامع هم من فقهاء اللغة النقليين الذين قد يعجزون عجزاً تاماً عن تطبيقها في مناحي العلوم والآداب، وبرغم ذلك تتصور الحكومات التي تقيم امثال هذه المجامع انها تكون خطيرة الاثر في الحياة الأدبية ، وانهـا سوف تجد من الادباء الذين يحترمون أنفسهم من يمكنهُ ان يستسيغ فيستعمل معظم بَلْـهَ كلّ المصطلحات التي تنشط الى وضعها هـذه المجامع. ولن يشقّ عليَّ ضربُ الامثلة الصريحة تبياناً لهـذه الضلالة ، ولكن ربما كان التلميح أكرم من التصريح في هذا الموقف . واذا صحَّ ان نيّـة الحكومة المصرية متجهة الى اتباع هذه الخطة العقيمة فان هذه الغلطة الجديدة سوف تستثير أسفنا المجدَّد على ضياع الوقت والجهد والمال . على ان ما اعتقدهُ في حصافة معالي لطفي بك السيد وحكمتهِ وترحيبهِ بكل ملاحظة وجيهة أيًّا كان مصدرُها يشجعني على بسط هذا البيان ، راجياً في الوقت ذاتهِ ان يكون ذا أثر خارج مصر وإن يكنْ ضئيلاً في أوله

إذا اردنا أن نكون عمليّين جديين دون افتتان بالتّـقليد فعلينا ان نذكر ان حاجتنا من المحافل أو المجامع اللغوية في العالم العربي إنما هي تجديد شباب اللغة بحالة دائمة مع مجاراة تطور الزمن ، ثم هي الى جانب ذلك قيمة على توحيد المصطلحات الفنية المستعملة في الامم العربية . فلها إذاً وظيفة مزدوجة ذات صلة وثيقة ببيئات أدبية وعلمية شتى ، دعْ عنك صلاتها بشعوب متعددة . ومن اجل كل هذا أُخالف من عملوا على ان تكون هذه المجامع هيئات معينة من قبل الحكومات ، وأرى ان تكون هيئات نيابية تمثل بيئات فكرية مختلفة لتكون فيها عناصر الادب والعلم ممثلة خير تمثيل ، إذْ ما من تعيين الا ويكون غالباً موضع اعتراض وربما وُجد ما هو افضل منهُ . وبعبارة اخرى لا فائدة من مجامع تتسلط على بيئات الثقافة في شعوبها وتحكم فيها ، وانما الخير كلُّ الخير في هذه المحافل اذا مثلت تلك البيئات ، وكانت غايتها تضافر جهودها وتوحيدها ، ثم عملت من جهة اخرى على التعاون مع من تمثلهم

ولدينا في اللجنة اللغوية الطبية التي ألفتها (الجمعية الطبية المصرية) مثال جدير بالاحتذاء من البيئات العلمية والادبية الاخرى . فمن الخير لنا ان توجد لجنة لغوية هندسية ، واخرى زراعية ، وغيرها صناعية الخ . ومن الفائدة المحققة ان توجد جمعية لغوية لخدمة

فقه اللغة وأدبها العام . ومن هـذه الهيئات القوية التمثيلية تستطيع الحكومة المصرية أن تطلب ارسال مندوبيها أعضاء في المجمع اللغوي العام، على أن يُجدَّد انتخاب هؤلاء المندوبين أو سواهم في مدد معينة . فاذا تحقق ذلك كان لمثل هذا المجمع كلمتهُ المسموعة في جميع دوائر العلم والأدب التي يُعتَدُّ بها ، لانهُ يمثل روحها الناهضة ولا يتحداها باملاء ارادتهِ العمياء عليها

إن مجمعاً لغويًا يؤلف بهذه الصورة يكون حقاً ذا قوة معنوية عظيمة ، لانهُ بمثابةِ هيئة تمثيلية لخير الكفايات اللغوية بين اهل العلم والادب ، وبهـذه الخاصية يكون اهلاً للاحترام الكلي من كل جانب ، فبيناه خادم جميع هـذه البيئات إذاه ممثلها المبجَّل لانهُ رمز تضامنها وتعاونها ووحدتها المعنوية والفعلية . عليهِ ان يكون ذا صلة مستمرة بالهيئات التي عاونت الحكومة على تأليفهِ ليعبر عن آرائها وينفذ مقترحاتها ويعمل على التوفيق بينها بقدر الاستطاعة ، وعلى هذه الهيئات ان تمدَّ المجمع بنتائج بحوثها الخاصة وثمار جهودها ، وأن تضنَّ بتنفيذ مقترحاتهِ ايضاً ، وان تحترم قراراتهِ ، وبذلك يكون التعاون متبادلاً معقولاً ونتائجهُ محترمةً مكفولاً لها التنفيذ والحياة كما هو شأن النُّظم التمثيلية القوية البعيدة عن ثائرة الاهواء الوقتية . وعندي ان مثل هذا المجمع هو الحلُ الوحيد المعقول لمشاكلنا اللغوية الموزَّعة بين شتى البيئات التي لم يجمع بينها حتى الآن روح التعاون. وقد مضى ربع قرن بل يزيد في التحدث عن المجامع اللغوية فلم نظفر في الماضي ولا في الحاضر في اي قطر من الاقطار العربية بمجمع شامل قوي الاساس قوامه التمثيل الصحيح لنواحي الثقافة لا الرغبة الشخصية لحاكم او وزير. وهكذا ما يزال العالم العربي محروماً تأليفَ الأكاديمية النيابية التي تستطيع وحدها ان تكون بعيدة الاثر في جميع فروع العلم والادب سواء مباشرة او غير مباشرة .وفي مقدمة الدوافع التي تحفزني الى كتابة هذه السطور ان اتوسل الى ذوي الرأي والنفوذ في الاقطار العربية أن ينظروا نظرة حرة جديدة في تهذيب المجامع الكائنة وذلك على اساس تمثيل الكفايات اللغوية بين اهل العلم والادب ، وأن لا يقدموا على تأليف سواها على غير هذا الاساس

٤ — مشكلة الترجمة والتعريب

ننتقل الآن الى مشكلة الترجمة والتعريب المرتبطة أشد الارتباط بالمجامع اللغوية فنقول إن الوهم الشائع هو أنَّ حلَّ هذه المشكلة مفتاحهُ تأليفُ مجمعٍ لغوي في كل قطر عربي يقوم بوضع المصطلحات، وما على المعربين والمترجمين بعد ذلك الا متابعة قراراتهِ وارشاده ! وبغض النظر عن استحالة تنفيذ ذلك جهداً وزمناً بواسطة هيئة معينة اعضاؤها محصور

عددهم وكفاياتهم فما لا شك فيه اننا نبني هنا على غير اساس صحيح، ونخلق للترجمة والتعريب مشكلة حيث لا توجد في الواقع مشكلة الا من جراء اضطرابنا وعدم نظرنا الى الامور نظراً مسدداً حتى التبس علينا الامر فغابت عنا الحقائق . إن عقدة المشكلة محصورة في تعوُّد شيوخنا التقاليد غير النيابية ، وافتتانهم باصدار المراسيم واملاء رغباتهم ، ولو انهم بدأوا بالاساس المتواضع السليم لما تعقّد البناء ولما شقّ الاستمرار فيه . وبرغمي ان التفت ثانياً الى الوراء فأقول مكرراً ومفسّراً إن عماد الترجمة والتعريب والتأليف جملة هم المترجمون والمعربون والمؤلفون لا فقهاء اللغة النظريون . فلو اننا عنينا بتكوين الهيئات العلمية الادبية التي اشرت اليها سابقاً من الرجال الاكفاء الضليعين الذين يعملون للعلم والادب لا لذواتهم ، والذين يعتبرون من الواجب عليهم الاتصال الكلي ببيئاتهم ليستمدوا منها دائماً روحَ التجديد — لو اننا عُنينا حقّ العناية بهذا الاساس لسهل علينا بعد ذلك حل مشكلة الترجمة والتعريب لانها في الواقع جزء من كل ، وهي مترتبة حتماً على تكوين ذلك الاساس . ستكون تلك الهيئات بمثابة لجان خارجية عاملة وسيكون المجمع المستمدُّ منها واسطة عقدها ، في حين ان ما خالف ذلك من نظام امرٌ غير طبيعيٍّ ولا يناسب احوالنا وحاجتنا على اقل تقدير : اذ ما معنى تعيين اعضاء المجمع اللغوي تعييناً ثم تقسيم اعضائه الى لجان داخلية ومطالبتهم بتكاليف لا قبل لهم باحتمالها الا مكابرةً ، وارتقاب جولاتهم في مصطلحات العلوم والآداب وهم مهما عظموا ضعاف بمفردهم ، مقطوعو الصلة بهيئات او ببيئات محترمة لا يمتون اليها برابطة من التمثيل المباشر ، وبذلك يستهدفون للتقصير وللتحدي ايضاً ؟! لو اننا عُنينا خير عناية بتكوين ذلك الاساس وبُنيت عليه المجامع القوية لما بقي علينا سوى ربط هذه المجامع (التي تمثل اقطار العالم العربي) بعضها ببعض عن طريق المراسلة وعن طريق المؤتمرات السنوية . ويسرني ان اقول ان اساس هذه الفكرة التي عرضتُها من قبل على لجنة توحيد المصطلحات العلمية في الطب والعلوم المتصلة به قد لاقت تعضيداً اجماعيًّا بحيث عُهد الى شاعر القطرين الاستاذ خليل بك مطران بالترويج لها والدعوة الى قبولها في اثناء تجواله بلبنان وسورية في هذا الصيف

هذه هيئةٌ محترمة تجعل اساس نشاطها المبارك احترام آراء المتخصصين من اهل العلم خارجها برغم كونها في جملتها مؤلفة من ادباء متخصصين في فروع علوم الطب ، فتريد ان تعبر عن آرائهم وأن توفق بينها لا ان تكون آمرة مطاعة فيهم . وتوافق من جهة أخرى على الاتصال الوثيق بنظيراتها من الهيئات المتخصصة في الاقطار العربية الاخرى ، حتى تضمن

بذلك التوحيد الاتم لجميع جهودها المشتركة فتتضامن الفائدة وتهون الصعاب وتحل بذلك في جملة ما يحل مشكلة الترجمة والتعريب

***

ترجع هذه المشكلة المصطنعة إذن الى النزعة الفردية التي لا تحترم غيرها وتعيش مع الغابر اكثر من مصاحبة الحاضر ، فتنسى اننا في زمن تسود فيه النزعة العالمية والاتفاقات الدولية في اهم مرافق الحياة والفكر والعلم معاً ، بحيث اصبح من السخف ان ننهج منهج الاسلاف في شؤون كثيرة مهما بلغ احترامنا لجهودهم العظيمة بالنسبة لازمانهم

فاما عن الترجمة الادبية فلا غبار على ترسمنا نهج السلف وتنكبنا عن الاوضاع الشاذة أو المبتذلة ،ولا حاجة بنا الى التعريب الاَّ حيثما دعت الضرورة الى ذلك، بيد أن للادباء الناثرين والناظمين قبل سواهم حقَّ تقرير هذه الحاجة ، وليس لمن يتصدَّرون للامامة اللغوية حقُّ الامر — وان كان لهم حقُّ الاقتراح — ما داموا هم ابعد الناس عن تعرف هذه الحاجة بدليل انقطاعهم عن استعمال اللغة استعمالاً تطبيقيًّا واسعاً ، واقتصارهم على الفتاوى في اسرارها ، وليس هذا وحده كافياً للمعونة على اختيار النهج الاسد في الترجمة الادبية دع عنك صياغة التعابير العصرية المناسبة في فنون الادب . وهنا لابدَّ لي من الاشارة الى التهاون الشائع في الترجمة اذ اصبح كثيرون يعدون الترجمة والتضمين العام شيئاً واحداً ، وهـذا يقضي على روح الامانة في النقل خصوصاً في ترجمة الشعر ونفائس الآداب الغربية ، ولم تسلم من هذا التشويه والعبث حتى آثار شكسبير !

واما عن الترجمة العلمية فأرى انهُ لابدَّ من تقسيمها الى قسمين :

(١) الترجمة المقصود بها تنوير الجمهور المتعلّم الذي يطلب العرفانَ لذاتهِ ويريد ان يلمَّ بالجديد في العلم إلماماً عامًّا ، وهذه ينبغي ان تكون جامعة للكثير من مترجمات الاصطلاحات بلغة سهلة ، دون التشبث بالاصطلاحات العلمية الدولية الا عند الحاجة القصوى . وفي هذا المجال قد نستفيد من معارف فقهاء اللغة في المجامع الرسمية وفي الهيئات الخارجية ايضاً ، وان كان العلماء المتخصّصون انفسهم لم يفتهم الالتفات الى خدمة اللغة من هذه الناحية ، وجاءوا بمرادفات مترجمة قيمة جديرة باحترام فقهاء الامة في عصرنا كما كان اسلافهم من قبل يحترمون نظائرها في عصورهم . واحسب انهُ لولا هذا الاحترام للاصطلاحات التي يجيزها المتخصصون ويستعملونها لما كان لابن سيده مثلاً ان ينجح في تأليف موسوعتهِ (المخصص) فعلينا إذن ان نرحّب بجهود الكرملي والسكندري وتيمور و[illegible] ضومط ومعلوف والمقدسي وغيرهم من ائمة اللغة في هذا المجال الرحب كما قدرنا من

قبل جهود دار العلوم ، ولنا اسوة في ذلك أساليب المجلات العلمية الذائعة بين جمهرة القراء مثل مجلة (Popular Science) ومجلة (Armchair Science) وغيرها ، دعْ عنك المصنفات العلمية العديدة المكتوبة بلغة الشعب المتعلم لجمهور المطلعين. واني اخالف الذين يحسبون من الحذلقة الكاذبة الاهتمام بوضع كلّ ما يُستطاع من مرادفات العديد من الالفاظ العلمية سواء ترجمة او تعريباً على القواعد المألوفة ، لأنّ لكلّ هذا فائدتهُ في تربية الجمهور فضلاً عن خدمة اللغة ذاتها ، واعدُّ من الخيانة لكرامة اللغة وتراثها العظيم التهاون في هذا الباب ، بل الأولى بائمة اللغة ان يتواروا خجلاً اذا هم قصّروا في هذا الواجب وتركونا عالةً على ألسنة الغرب في غير ما حاجةٍ الى ذلك ، فنصبح عاجزين عن نشر المعارف ببيان فصيح بين الآلاف المتشوقين الى اثماء معارفهم .وقد كان رجال اللغة من المقصّرين فعلاً في مواقف كثيرة بحيث ان اكبر الفضل في خدمتها يرجع الى مجلاتنا المحترمة قبل رجوعه إليهم نظراً لتقاعد معظمهم وتهاونهم السابق، بينما هم لا يعترفون بفضل هذه المجلات العميم في خدمة اللغة ، وهكذا كان موقفهم — للاسف — سلبيًّا ، وتبرّعاً لا حدَّ لهُ بالنقد الهادم !

(٢) الترجمة العلمية الصميمة ، وهذه ينبغي أن تكون بأيدي العلماء المتخصّصين البصيرين باللغة ، بحيث يُعَدُّ من التطفّل غالباً تدخُّلُ فقهاء اللغة بالحكم الجازم فيها. ولقد كانت للمجتهدين من علماء السلف طرائق شتى في الترجمة والتعريب وفي وضع المصطلحات، ولكنّ كلّ هذا انقضى زمنهُ وأصبحنا ازاء الترجمة العلمية الصميمة مقيدين بقيود من الثقافة الدولية أقرّها العلماء في كلّ امةٍ متقدّمةٍ فأصبح من الفضول على العلم أن يعيبها ويتعرض بالاستهزاء لتفاصيلها من ليس من أهل العلم الصميم

ولا تعني الترجمة العلمية الصميمة الانتصار للعامية في الديباجة كما يتوهم بعض النقاد ، — وان كانت العامية في ذاتها موضع تقدير حتى في الادب الصرف كاساس لانواع من الاشتقاق والتعابير المستحدثة في الغرب ، وفي مقدمة أنصارها الكاتب العصري المشهور المستر كومبتون ماكنزي — فان فصاحة الديباجة السلسة مما يجب أن يُتوخّى في العلميات والادبيات على حدٍّ سواء ، ولكنها تعني الانتصار المحتّم لنظام الاصطلاحات الدولي الذي يقضي بتضحية النزعات الاقليمية الخاصة فضلاً عن النزعات الفردية في سبيل توحيد المصطلحات العلمية في جميع البلاد ، بحيث أنّ من يتبع ذلك النظام تكون اصطلاحاته مفهومةً في جميع الدوائر العلمية في العالم. وقد كانت الفوضى ضاربة أطنابها في التسمية حتى في نفس اوربا في علم الحيوان مثلاً حيث توجد آلافٌ من العائلات والاجناس

والانواع الحيوانية حتى جاء لينيوس Linnaeus واقترح لنا سنة ١٥٧٨ م اساسَ القانون الدولي المتبع الآن في وضع اسمائها ، وأهمُّ ما يعنينا منهُ أن العائلات الحيوانية (famlies) يجب تحديدها ، وان هذه العائلات تقسَم الى أجناس (genuses) وأنواع (species) الخ . ، وأننا اذا ما وضعنا اسماً لحيوان مكتشف حديثاً فيجب بعد تَعرُّف عائلته ان لا نكتفي بوضع اسم مفرد اللفظ لهُ ، بل يجب ان يكون اسمهُ مؤلفاً من اسم جنسهِ + اسم نوعهِ + اسم مكتشفهِ + تاريخ الاكتشاف . وبهذه الطريقة امتنعت الفوضى بتاتاً في هذا المجال . ولدينا الى جانب ذلك اتفاقات دولية حديثة نسبيًّا للاصطلاحات في علم التشريح وعلم البكتريولوجيا وغيرها ، وكلها تعتمد على اللغتين اللاتينية والاغريقية في الاشتقاق باعتبار ان هاتين اللغتين أصبحتا ملكاً للعالم وتراثاً من ثقافته القديمة ، وليستا خاصتين بشعب من الشعوب او بفريق منها . فاذا كنا ننظر الى مهجور اللغة العربية كتراث للاشتقاقات الادبية فلا يمكننا ان نعيش بمعزل عن العالم العلمي في التنكب عن قواعده للاشتقاق العلمي ، والاَّ كنا أشدَّ الخاسرين . واحسب ان هذا موضوع مفروغ منهُ في نظر كل مشتغل بالعلم اشتغالاً صحيحاً وإن كابرَ في ذلك مَنْ ليسوا من أهله ، ولا بدَّ من مراعاتهِ في وضع المعاجم المستقبلة وما اكثر حاجتنا اليها والى تنوعها وتعَدُّدِها في جميع فروع العلم والادب

ولا تقتصر الحاجة في مجاراة العالم العلمي على اتّباع صيغ التسمية المتفق عليها ، بل تشمل حتماً تعريب طائفة من النكرات التي هي بمثابة اسماء جنس وهذه لا يمكن ترجمتها بل لا بدَّ من الحرص على اصولها ثم الاشتقاق منها . وكذلك بعض صيغ جديدة معرّبة للنسبة (وقد استعملت هذه الصيغ سابقاً في علم الكيمياء ، وآن استعمال نظائرها في علم البكتيريا وفي علوم اخرى) لانها تساعد على تحديد صفات المركبات او منزلة المسميات . ففي كلّ هذا يكون الجمود اللغوي خيانةً للعلم ، كما انَّ تهيُّبَ استحداث المرادفات في اللغة الادبية للعلم العام خيانةٌ للغة . وكما انهُ لا يحق للعالم أن يعترض على الادباء اللغويين لتصرّفهم هذا في مجالهم ، فكذلك لا يحقّ للاخيرين أن يعترضوا على ما لا يعنيهم في مجال العلم الصرف ما دامت أساليب لغة التعبير العامة مرعية محترمة

ومتى كانت هذه القواعد الاساسية ملحوظة مقدسةً لم يبق الاّ الاتفاقُ على التفاصيل وعلى تنظيم مناحي النشاط الادبي والعلمي ، وهكذا تستطيع أن تتضافر الهيئات النيابية المتخصصة والمجامع اللغوية الممثلة لها ، فتخدم بذلك اللغة والعلم والادب في آن اجلّ خدمة وأبقاها

الى الفرد ده موسه

صاحب الليالي

يا شاعر الليل والآلام والسقمِ هاجت لياليك ما اخفيهِ من ألمِ
تغلغلت في دماغي روحها وسرت منهُ الى القلب فاحتلت عروق دمي
انا نظيرك رهن البؤس من صغري ومنهل الحزن والاسقام والنقمِ
لهف النفوس على الآهات ترسلها وويلها يوم تطويها يد العدمِ
هذي الليالي ليالي الدهر مظلمة اما « لياليك » فالمشكاة في الظلمِ
لم الفِ قبلك محزوناً على فمهِ في معمعان الشقا سيماء مبتسمِ
ولا سجيناً ظلام السجن يطربهُ ولا جريحاً يغني اطيب النغمِ

***

يا شاعر الحب والاحلام والاملِ جنت عليك لحاظ الاعين النجلِ
طوحت بالنفس مدفوعاً بشهوتها وغصت في لجج الآثام والخطلِ
سئمت دنياك فاستأنفت مرتحلا يا ويح نفسك في حلٍّ ومرتحلِ
طلبت من نزوات الحب آلمها وعدت ترقب عقباها على مهلِ
ورحت تطلب بالآلام مرحمةً فلم تعد بسوى الخذلان والفشلِ
شفت لياليك عن روح معذبةٍ تعالج اليأس بالآلام والاملِ
يا اسعدَ الخلقِ في يأسٍ يكابدهُ لي من عذابك سلوى اليائس الجذلِ

***

يا شاعر الاملِ الممزوج بالياسِ ضاعت حياتك بين الطاس والكاسِ
يا لهف قلبي على نفسٍ مسهدةٍ اذابها فرط ايلامٍ واحساسِ
هذي « لياليك » شعر الكون تجمعهُ وان تكن تلتظي من حكمهِ القاسي
نظمتها وسط آلامٍ مبرحةٍ وهي التي تبعث الآمال في الناسِ
شكوت في الارض بؤساها ومحنتها أتشتكي في ديار الخلد من باسِ
يا ثورةً من جيوش الياس داميةً فلت جيوشك طاقاتٌ من الآسِ
يا نسمةً من رياح الحب وادعةً لقد تلاشيتِ انفاساً بانفاسِ

الكلية الوطنية في الشويفات سمعان الدبس

آلة العيش صحة وشباب

الغدد واعادة الشباب

واذا الشيخ قال افٍّ فما مــــلَّ حياةً وانما الضعف ملاّ
آلة العيش صحة وشباب فاذا ولّيا عن المرءِ ولّى

الا ليت الشباب يعود يوماً فاخبرهُ بما فعل المشيب

هكذا يتغنى الشعراء ! ما ابلغ ما يتغنون بهِ وما اوقعهُ في النفس !

على ان العلماء لا يكتفون بذلك فيبحثون عن اسباب الشيخوخة والضعف والموت ووسائل اتقائها او منعها . وقد اطلقوا على هذا النوع من البحث كلمة اعادة الشباب rejuvenation مع انها لا تؤدي المعنى العلمي المقصود كلّ التأدية لانها تبعث في الذهن صورةً خلاّبة غير صحيحة لانقلاب عظيم في جسم الانسان ورظائف اعضائهِ وخصوصاً في اعادة النشاط الى اعضاءِ التناسل . ولكنهم لم يهتدوا الى كلمة ادق منها في التعبير عمَّا يريدون فرأينا ان نستعمل ترجمتها هنا

والعناية بمسألة الشباب وعوده تدور في الغالب حول اسمين الاول هو الدكتور فورونوف الروسي المعروف في هذا القطر . والثاني الدكتور شتيناخ النمسوي استاذ علم وظائف الاعضاء في جامعة ڤينا الذي وقف السنين الاخيرة من حياتهِ على درس فسيولوجية التناسل. وقد جرّبت تجارب شتيناخ اولاً في الجرذان . ومراقبة التغير في قوة الجرذان التناسلية اسهل من مراقبة التغير في بعض وظائفها الاخرى . لذلك ظن الناس وهم يقرأون اخبار شتيناخ ، ان المقصود من عملية اعادة الشباب انما هو تجديد النشاط في اعضاءِ التناسل لاغير . ولكن ذلك يجب ان لا يوهم القارئين بان تجديد النشاط التناسلي هو الغرض الاول من مباحث العلماءِ في هذا الصدد وان كان هذا التجديد من اجلى مظاهرهِ في الحيوانات . على انهُ لا شك في ان بعض التجديد في قوة التناسل يعقب في الغالب التقدم العام في الصحة . وعلى كل حال لا يمكن تجديد قوة التناسل الاّ اذا تجدّد نشاط الجسم بوجهٍ عام على اثر العملية



الدكتور فورونوف

مقتطف يوليو ١٩٢٩
أمام الصفحة ١٧٧

على انهُ لا بدَّ من كلمة تحذير للقارئ مؤداها ان عملية « اعادة الشباب » ليست دواءً ناجعاً لكل علل الجسم . فانها لا تستطيع ان تشفي عضواً مصاباً بالتلف في احد نواحيهِ ولا تمكن الانسان من ان يعيش الى الابد حتى ولا ان يعيش مائتي سنة كما يدعي فورونوف او كما تدعي الصحف على فورونوف

ولكنها تؤدي في بعض الحوادث الى ازالة آثار الشيخوخة وتأخير الضعف والانحطاط. وقد كان من اثرها في الجرذان ان زادت عمر الجرذان في بعض الاحوال ٢٥ في المائة . ولا يعلم حتى الآن هل يستطاع اطالة عمر الانسان هذا المقدار . ولكن المعروف المقرَّر ان الوفاً من الرجال عولجوا بهذه العملية على ايدي جراحين مهرة فلم تترك المعالجة في احدهم اثراً ضارًّا بل حسَّنت صحة المتعالجين في اكثر الاحوال

لقد لاحظ القارئ اننا نستعمل الحذر العلمي في تأدية معاني هذا المقال لاننا لا نريد ان نفهم القراء ان عملية اعادة الشباب تشفي معى خرقهُ التيفوئيد او عظماً كسرهُ الرصاص او تطيل حياة رجل هدَّمهُ السكر والافراط الى مائة وخمسين سنة او مائتين. وهذا لا بدَّ منهُ في بحث لا يزال العلماء يتلمسون طريقهم في نواحيهِ تلمُّساً

***

يستدل من الاحصاءات الصحية العامة ان متوسط عمر الانسان تضاعف في القرنين الاخيرين وهذه الزيادة ترجع في المقام الاول الى السيطرة على الامراض المعدية كالجدري والطاعون وحمى التيفوس والكوليرا التي كانت تتفشى فتجرف ملايين الناس امامها . وفي المقام الثاني الى اصلاح المعامل الذي ادَّى الى تقليل امراض العمال كالسلّ وغيره . وفي المقام الثالث الى التقدم في طرق العلاج واساليب الجراحة وتطبيق مبادئ علم الصحة على المدن بوجهٍ خاص والارياف بوجه عام . ويؤخذ من احصاءات شركات التأمين الاميركية ان متوسط عمر الانسان زاد ١٢ سنة من اوائل هذا القرن الى الآن

ولا ريب في ان زيادة متوسط عمر الانسان سببها تقليل الوفيات بين الاطفال. ولكن الباحثين يؤكدون انهُ بعد حساب ذلك تبقى زيادةٌ في متوسط العمر البشري لا بأس بها . وعدد الرجال والنساء الذين يجتازون سن الخمسين او الخامسة والاربعين اكثر الآن مما كان قبلاً . وهذا يعلل لنا ازدياد انتشار السرطان . فالسرطان داء يصيب في الغالب المتقدمين في السن. فاذا كان الناس يموتون في شرخ الشباب فالمرجح انهم لا يعيشون الى السن التي يتعرضون فيها للاصابة بالسرطان. اما عدد الناس الذين يبلغون هذه السن فيزداد

بارتقاء الطب والجراحة وعلم الصحة العامة والخاصة فاحتمال حدوث السرطان يزداد وفقاً لازدياد متوسط العمر البشري

ولكن مما يشك فيهِ ان تكون هذه الزيادة في متوسط العمر البشري مقرونة بزيادة في فترة النشاط العقلي والجسماني التي يتمتع بها الانسان. بل يذهب البعض الى ان الناس في هذا العصر يهرمون باكراً لكثرة مشاق الحياة في هذا الزمن المزدحم بالاعمال والمسؤوليات. لذلك يتساءل الاذكياء من الناس: ما الفائدة من اطالة الحياة اذا كان لا يصحبها اطالة في فترة النشاط الجسدي والعقلي — « والجنسي » ايضاً!

واهم امارات الضعف الناجم عن التقدم في السن هو قلة النشاط الجسدي والعقلي وضعف السمع والنظر والشيب وتغضّن الجلد وغيرها. وهذه الدلائل التي يراها الناس وغيرها مما لا يراهُ الا الطبيب ناشئة عن تغيرات عضوية سببها تغيُّر في افعال الجسم الحيوية

فصحة كل عضو من حيث بناؤهُ ووظيفتهُ تتوقف مثلاً على مقدار الدم الذي يدور فيهِ ونوعهِ. ومقدار الدم يتوقف على حالة الاوعية الدموية كسعتها ومرونتها. وحالة الاوعية الدموية متصلة اتصالاً وثيقاً بالغدد الصماء. اما نوع الدم فيتوقف على صحة اعضاء الجسم لانهُ لا يخفى ان الدم يجب ان يحتوي على كل المواد الكيماوية التي تحتاج اليها اعضاء الجسم للغذاء والنمو وفوق ذلك يجب ان تكون النسبة بين مقادير هذه المواد في الجسم نسبة معينة حتى تكفل اقصى درجة من انتظام العمل. وبين هذه المواد الكيماوية بل واهمها مواد تعرف « بالهرمون » وهي المفرزات الداخلية التي تفرزها بعض الغدد الداخلية مباشرة الى الدم

الغاية من هذا المقال الاشارة الى اهم النقط في هذا البحث لان التبسط فيهِ يستغرق مجالاً لا يتسع لهُ هذا المقام ولكن الفكرة التي نحاول رسمها هي هذه:— الجسم مجموع منتظم من الاعضاء التي يعتمد احدها على الآخر في القيام بوظائفها فاذا كان الدم الذي يرد على احدها ناقصاً في مقداره او محتوياتهِ الحيوية لم يقم العضو بوظيفتهِ قياماً كاملاً فيؤثر ذلك في بنائهِ. والخللُ في عضوٍ ينجم عنهُ خلل في عضو آخر لان كل الاعضاء مترابطة متلازمة من هذا القبيل. وهكذا يدبُّ دبيب الضعف والهرم في الجسم ويأخذ في الازدياد. فالرأي الاساسي الذي تقوم عليهِ حركة « اعادة الشباب » بل وجانب كبير من الطب الحديث هو ان الصحة تقوم على قاعدةٍ ركنُها الغدد الصماء

***

والغدة عضوٌ يصنع من المواد التي يوصلها اليهِ الدم مادة كيماوية خاصة ثم يفرزها.

فبعض الغدد لهُ قناة تمرُّ فيهـا مفرزات الغدة الى خارج الجسم كما هي الحال في « غدد العرق » او الى بعض تجاويف الجسم كغدد اللعاب التي تفرز مفرزاتها في تجويف الفم وغدد الدمع في تجويف العين وغدد العصارة الهضمية في تجويف المعدة والكليتين وهما غدتان كبيرتان تفرزان في المثانة. هذه الغدد تعرف بالغدد المفناة ولكل منها مفرز خارجي

وهناك طائفة اخرى من الغدد لا قناة لها لنقل مفرزاتها تعرف بالغدد الاندوكرين وقد ترجمت الى اللغة العربية بالغدد الصماء ولم تعرف وظيفة هذه الغدد واثرها في الصحة والمرض الاَّ من عهد قريب. فالمفرزات التي تفرزها هذه الغدد وتعرف بالمفرزات الداخلية او « الهرمون » لا تنتقل الى الجسم في قنوات خاصة لذلك ولكن الدم يمتزج بها حين يمرُّ في الاوعية الدموية التي تخترقها ثم ينقلها الى اعضاءِ الجسم وانسجتهِ فيختار كلٌّ منها ما يناسبهُ عن طريق الاوعية الدموية التي تمرُّ فيهِ . فيتضح لدينا اذاً ان اثر « الهرمون » او مفرزات الغدد الصماء واسع الانتشار وقد يصيب الاعضاء القريبة والبعيدة عن الغدة التي تفرزها على السواءِ .واشهر هذه الغدد الصماء الغدة النخمية والغدة الصعترية وكلتاهما في الدماغ والغدة الدرقية في العنق والغدد التي فوق الكليتين ومكانهما يعرف من اسمهما

هذه الغدد صغيرة الحجم ولكن اثرها في الصحة خطير جداً فاذا اختلّت احداها اضطربت الصحة اضطراباً عظيماً .فان اختل عمل الغدة النخمية فقد يصاب صاحبها بالسمنة او بما يجعلهُ قزماً كالاقزام او مارداً بين المردة .واذا اختلَّ عمل الغدة الدرقية فقد يصاب صاحبها بالبله او بخالل او بلادة في العقل من جهة او قد تجعلهُ دقيق الاحساس سريع التأثر والاضطراب معرضاً لمرض القلب او اضطراب البصر من جهة اخرى . ولا يتسع مجال هذا المقال الموجز لبسط العلل التي تنشأ عما يصيب كل الغدد الصماءِ من الخلل

ومن الغدد ما لهُ مفرزات داخلية واخرى خارجية في آنٍ واحد.والبنكرياس اشهرها فمفرزاتهُ الخارجية تنقل في قناة الى الامعاء وتفعل فعلها في عمل الهضم . اما مفرزاتهُ الداخلية فتتصل بالدم مباشرة وتمكنهُ من تمثيل السكر والنشاء اللذين يمتصهما من الجهاز الهضمي.فاذا اختلَّ عمل البنكرياس ووقف عند افراز مفرزاتهِ الداخلية اختلت عملية تمثيل السكر والنشاء واصيب الرجل بداء البول السكري . وقد وفّق العلماء والاطباء منذ عهد قريب الى استخلاص مفرزات البنكرياس الداخلية من الثيران وحقنها في دم المصابين بالبول السكري فتخفف اعراضهُ لانهُ تمكن الدم من تمثيل السكّر والنشاء.وهذا هو الانسولين

***

اما الغدد التي تهمنا بنوع خاص في موضوع « اعادة الشباب » فهي الغدد الجنسية

وهي الخصيتان في الرجل والمبيضان في المرأة .ومع ان الغدد الجنسية لها مفرزات داخلية وخارجية في آنٍ واحد تراها تختلف عن هذا النوع من الغدد في ان مفرزاتها الخارجية تحتوي على احياء دقيقة هي الخيوط المنوية في الرجل والبيض في المرأة . واما المفرزات الداخلية فشبيهة بمفرزات اية غدة صماء

قلنا ان مفرزات الخصيتين تحتوي على الخيوط المنوية اي النطف التي تحتد بالبيضة التي يفرزها مبيضا المرأة كلَّ شهر ثم يدخلها الغذاء فتكبر وتنقسم وكل قسم منها يدخلهُ الغذاء ويكبر وينقسم ثم تتنوع الاقسام حتى يتكوّن منها الانسان بيديهِ ورجليهِ ورأسهِ وجلدهِ وعضلهِ وغضروفهِ ودمهِ وعصبهِ

اما مفرزات الخصيتين الداخلية فيظن انها العامل الاقوى في تعيين صفات الذكر الجسدية والنفسية واتجاه ميلهِ الجنسي نحو الانثى . والمرجح ان فعلها ليس مباشراً اي انها لا تفعل مباشرة في تعيين هذه الصفات بل تثير الغدد الصماء الاخرى او تمنعها عن افرازها مادتها الخاصة وهذه بدورها تعيّن الصفات المذكورة

فعلماء الطب يحسبون الغدد الجنسية زعيمة لجماعة الغدد الصماء تنظم عملها وتضبطهُ حسب مقتضيات الجسم الحي . فاذا كانت مفرزاتها ناقصة ظهر خلل في الجسم قد يكون جسديًّا صرفاً او نفسيًّا صرفاً او جامعاً للاثنين.ومن وجوه هذا الخلل تأخر النمو الجنسي في فرد من الافراد او التخنث او الميل الى اللواط او الضعف الجنسي (العنانة) او الميل الى السمنة او القـزَم او ضخامة الجثة وعتوّها . والمظنون ان مفرزات هذه الغدد ترتبط ارتباطاً دقيقاً بقوة الجسم ونشاطهِ

لقد عرف الناس من ازمان بعيدة ان الخصيتين مرتبطتان ارتباطاً دقيقاً بالتناسل.وخطر ذات يوم على بال رجل ذكيٍّ ان يجرد عدوه من قوة التناسل بخصيهِ فنجم عن الخصي آثار لم تكن منتظرة . ذلك ان حيوية الخصيّ ضعفت ونشاطهُ خمد واخذ يسمن ويخمل ومال شعره الى السقوط وارتفعت نغمة صوتهِ وفقد ميله الى الانثى .ونتائج الخصي في الحيوانات تقابل نتائجهُ في الانسان فالديك يفقد عرفهُ والايل قرونهُ التي تميزه . واثر عملية الخصي في الانسان تختلف باختلاف السن فاذا اجريت في فتى قبل بلوغهِ سن المراهقة نشأ الخصي طويل القامة نحيف البنية مستدق الاطراف . واذا اجريت بعد بلوغهِ سن المراهقة نشأ الخصي قصير القامة سميناً

اما افراز المبيضين الداخلي فله اثر في جسم الانثى شبيه باثر افراز الخصيتين في جسم

الرجل . فالمبيضان زعيما طائفة الغدد الصماء في جسم المرأةِ ويسيطران بواسطتها على صفاتها الجسدية والعقلية . فاذا ازيل المبيضان فقدت الانثى مقدرتها على التوليد وضمر ثدياها . اما انثى الحيوانات التي يستأصل مبيضاها فتسمن وتميل الى الخول وتبدو عليها بعض مظاهر الذكر لكن التغير في المرأة من هذا القبيل لا يلاحظ في الغالب

ومما لا ريب فيهِ ان ذكور كل نوع من الاحياء تختلف عن اناثهِ فوق ما بينهما من الاختلاف في الاعضاء الجنسية . وما على المتردد في الامر الا ان يذكر عرف الديك ولبدة الاسد وذيل الطاووس حتى تتجلى لهُ هذه الفوارق . وعلاوة على هذا وذاك توجد فوارق في بناء الجسم — في طول الجسم ووزنهِ وقوة العظام وشكلها ، في الثديين والقصبة والصوت ونمو العضلات ونسبة عظام الكتف الى عظام الحوض . كل هذه الفوارق لا تظهر في سن الطفولة ولا في سن الشيخوخة وتعرف بالصفات الجنسية الثانوية . فاذا خصي الطفل بجبّ خصيتي الذكر او استئصال مبيضي الفتاة لم تظهر هذه الفوارق بمظهرها الكامل

***

على ان الصفات الجنسية بنوع خاص اي اعضاء التناسل ووظائفها مرتبطة ارتباطاً لا انفصام لهُ بالخصيتين والمبيضين فاذا استؤصلت ضعفت هذه الصفات . وقد عرف الناس ذلك من اقدم الازمان فقالوا اذا كان خصي الفتى يضعف فيهِ قوتهُ الجنسية فلماذا لا تقوى فيهِ هذه القوة اذا اكل خصى الحيوانات . على انهُ يظهر ان عملية الهضم تتلف المواد الخاصة التي تفعل هذا الفعل العجيب. وفي سنة ١٨٤٩ اخذ برتولد ديكاً وخصاهُ ثم غرس احدى خصيتيهِ في جدار معدتهِ فمنعهُ كذلك عن ان يفقد كل صفات الذكر كما كان يفقدها لو خصي ولم تغرس احدى خصيتيهِ فيهِ. فثبت بالتجربة ارتباط صفات الذكر الجنسية بالخصيتين. وسنة ١٨٨٩ جرب برون سيكار تجاربهُ بباريس في خلاصة استخلصها من خصى كلب وحقنها في جسمهِ (برون سيكار) واجسام بعض الشيوخ وصرّح بعد الحقن ان قوتهُ الجسدية والعقلية والجنسية زادت وابتدع حينئذٍ لفظ rejeunissement اي «تجديد الشباب» فضحك منهُ كثيرون ولكن طائفة من الباحثين اقتفت خطواتهِ فاختلفت النتائج التي حصلوا عليها باختلاف طرق تحضير خلاصة الغدد فعادوا يعنون بغرس الغدد

هذا هو الاساس العلمي الذي بنيت عليهِ مباحث تجديد الشباب . وفي الجزء القادم ان شاء الله نبسط للقراء ما بلغهُ الباحثون المعاصرون من النجاح في هذا البحث

هل تحل الحروف محل الحركات العربية

حديث خطير مع المستشرق الالماني الدكتور مورتز مستشار
وزارة الخارجية الالمانية في تعويض الحركات بحروف عربية

كانت الساعة ٨ مساءً لما قابلت الدكتور مورتز المستشرق الالماني المشهور (الذي يعرفهُ المصريون منذ كان في دار الكتب الخديوية) في ردهة الاستقبال في هوسبيس النمسا في القدس. جلسنا نحادث عن الآثار العربية الاسلامية بالحرم وأنواع الخط الكوفي المكتوب على جدران قبة الصخرة والمسجد الاقصى ثم سرد تاريخ الخط العربي منذ نشأته الى الآن كما ذكرهُ عطوفة الامير شكيب ارسلان في الجامعة العربية. فقلت لهُ إن جميع ما تفضلتم بهِ منشور بالجامعة وقدمت لهُ المقالتين فسرَّ بهما كثيراً . ثم دخل الخادم بالقهوة وبدأنا نشربها فقلت لهُ أحب أن اطلعكم على مشروع لإبدال حروف عربية بالحركات لتكون الكتابة كاملة كما تتكلم والقراءة أسهل وأضبط فيسهل نشر اللغة الفصحى بين الامم عامة والعرب خاصة

فما كدت انتهي من كلامي حتى شرب فنجان القهوة جرعة واحدة وقال بلهف وشوق عظيمين أرني كيف ذلك ! فعرضت عليهِ صفحة فيها الحروف العربية المقترحة بدل الحركات وما يقرب من خمسين كلمة مكتوبة بالطريقة العادية ثم مكتوبة على اسلوب حلت فيهِ الحروف محلَّ الحركات وقلت لهُ ان الاقتراح مبني على الشروط الآتية :

١ — أن تكون جميع حروف الابجدية عربية سواء منها الحروف الاصلية والحروف النائبة عن الحركات ليبقى الاتصال موجوداً بين الكتابة العصرية والكتابة القديمة

٢ — أن تكون الحروف العربية بشكل واحد سواء في اول الكلمة أم في وسطها أم في آخرها فلا يكون سوى ابجدية عربية واحدة

٣ — أن تكون الابجدية العربية بشكل واحد للطبع والكتابة فلا تتغير

٤ — أن تكون الابجدية العربية بصورة يسهل معها كتابة الحروف منفصلة أم متصلة حسب الرغبة بدون تغيير في شكلها

٥ — أن تكون الحروف النائبة عن الحركات عربية الشكل قابلة الاتصال بما قبلها وما بعدها تسهيلاً للكتابة

٦ — أن تكتب الكلمة كاملة كما هو لفظها الفصيح فلا تحذف حرفاً ولا تزيد آخر تخلصاً من الالتباس والتشويش

وبعد بيان هذا الاقتراح وشروطهِ وفوائدهِ طلبت منهُ ان يحفظ شكل الحروف الاربعة النائبة عن الحركات بضع دقائق لتسهل عليهِ قراءة الكلمات المكتوبة حسب الاقتراح فما وصلنا الى الكلمة الثالثة حتى وجدتهُ يقرأ بسرعة عادية كأنهُ تعود هذه الكتابة منذ القديم فسرَّ لذلك كثيراً وقال انني مسرور جداً لما أراهُ في هذا الشرق العربي من النشاط والتجديد الصحيح ولا أحبذ التطرف في التجديد كإبدال الحروف الافرنجية بالعربية لانهُ خطأ محض فأيدت كلامهُ بأن الحروف الافرنجية تقطع علاقتنا بماضينا المجيد فضلاً عن انها ناقصة لا تؤدي جميع الاصوات العربية فنحتاج في اصلاحها إلى مجهود أعظم جداً مما نحتاج اليهِ في إصلاح حروفنا العربية وهذا الذي جعلني اشتغل فيما عرضتهُ عليكم خدمة للغة العربية وغيرة عليها وإن لم اكن من فرسان هذه الحلبة. على انني بدأت اشتغل بهذا الموضوع منذ ٩ سنوات حينما كنت أعلم التهجئة للاطفال في بدء حياتي التعليمية فوجدت ان التلاميذ يلاقون مصاعب جمة من تعدد صور الحروف لاربعة اشكال (الشكل الاصلي، اول الكلمة ، وسطها، آخرها) فضلاً عن أنهم يدرسون أبجديتين معاً ، أبجدية النسخ ليقرأوا في الكتب وأبجدية الرقعة ليكتبوا ما يملى عليهم أي انهُ يجب على الطفل الذي لا يتجاوز عمرهُ ٦ سنوات أن يدرس : ٤ (٢٨ نسخ ، ٢٨ رقعة) ٢٢٤ شكلاً للحروف ثم ٣ أشكال للحركات ومثلها للتنوين أي ٢٣٠ شكلاً للحروف والحركات ؟ ! ! . . لعمر الحق إن هذا من أصعب الامور على الرجل الكبير فكيف بالطفل الصغير ؟ ! !

ولكن بهذه الطريقة لا يحتاج إلاَّ الى دراسة ٣٢ شكلاً للحروف فيكتب ويقرأ كلَّ حرف منها بشكل واحد بسهولة واتقان وبذلك نكون قد وفرنا على الطالب ⅞ الوقت (تقريباً) الذي يصرفهُ لتعلم اشكال الحروف المتعددة من غير ان يتقن القراءة والكتابة ولا ينكر أن في هذه الطريقة اقتصاداً عظيماً إذ يقتصد ⅞ المجهود والوقت اللذين يصرفهما المعلم والتلميذ فيستثمر ذلك المجهود المقتصد والوقت في الحصول على تقدم آخر

وقد وجدت كذلك أن التلاميذ بعد ما كانوا يقرأون بسهولة حينما كانت الكتابة مشكولة بفضل أساليب التربية الحديثة أصبحوا لا يضبطون إلاَّ قراءة كلمة او كلمتين فقط من السطر في الكتابة غير المشكولة . فقال عجيب ذلك ؟ ! فقلت لهُ لا تعجب من حال

هؤلاء الاطفال الموقرة عقولهم بما لا تطيق وكلٌّ منا قد جرب بنفسه أنهُ كثيراً ما يحتاج لضبط لفظة جديدة تمر عليه الى مراجعة القاموس (ولا يخفى ما في ذلك من ضياع الوقت والمشقة) وليس ذلك لتقصيرنا في التحصيل او لقلة عنايتنا . بل لانا نكتب نصف او ثلث الكلمة التي نتكلمها وليس عندنا سليقة نعتمد عليها في ضبط ما نريد قراءتهُ كما هي الحال عند الامم الاخرى. هذه حالنا مع لغتنا فكيف حال الاعجمي الذي يريد ان يتعلم لغتنا أو الاعجمي الذي من مصلحتنا ان نعلمهُ إياها ؟! فقد جربت ذلك مع عدة أشخاص أجانب علمتهم القراءة والكتابة العربية فكانوا يتعلمون بنجاح ما داموا يدرسون مشكولاً ولكنهم حينما يبدأون بقراءة الكتابة غير المشكولة يتركون تعلم اللغة العربية متذمرين شديدي الاستغراب لاهمال العرب اصلاح الكتابة العربية

وما فائدتهم من المثابرة على القراءة المشكولة ما داموا مضطرين للقراءة في الجرائد والكتب والرسائل وكلها غير مشكولة ؟! فقال ولماذا لا تكتبون بالحروف المشكولة ؟ . فقلت لهُ ان الكتابة المشكولة تقتضي نفقات عظيمة منها :

(١) أن كتابة كل سطر تعني كتابة ٣ سطور في آن واحد (نفس الكلمة ثم النقط والحركات التي فوقها ثم التي تحتها . (٢) لان الحركات تحتاج لرفع اليد حين الكتابة بعدد حروف الكلمة او اكثر . (٣) لان القارئ والكاتب يضطران لقراءة وكتابة ٣ سطور في آن واحد ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضياع الوقت . (٤) صعوبة طبع الحروف المشكولة من وجهة مطبعية فنية . على ان الكتابة بالاقتراح المعروض عليكم خلو من هذه الصعوبات كلها فضلاً عن محسناتها الاخرى التي منها :

١ — كفاية تعلم ٣٢ شكلاً بدل ٢٣٠؟؟!! .. (١) قابلية هذه الحروف للكتابة المتصلة او المنفصلة حسب الارادة سواء في الطبع او الرسائل (٣) كتابة الكلمات كاملة معبرة عن اصوات جميع حروفها فلا خوف من خطأ القراءة او الكتابة (٤) ان الكلمة تكتب دون احتياج لرفع القلم باكثر من ربع المرات التي يحتاج اليها في الكتابة المشكولة (٥) نقرأ ونكتب سطراً واحداً لا ثلاثة كما هو الحال بالخط المشكول (٦) ان الكتابة بحسب هذا الاقتراح لا تبعدنا عن ماضينا لانها نسيجه وليست غريبة عنهُ (٧) القراءة والكتابة بحسب هذا الاقتراح تزيل صعوبة الهمزة في اول الكلمة ووسطها وآخرها (٨) تتخلص من عدم مطابقة صوت التنوين للاشكال التي يكتب بها (٩) إن هذه الطريقة تسهل نشر اللغة الفصحى بضبط اللفظ الصحيح واتقانه بين اهل البلاد العربية وبين من يتعلمها من الاجانب (١٠) التخلص من صعوبة تميز الالف المقصورة عن الالف العادية

ولو لم يكن لهذا الاقتراح من حسنات سوى اجتناب نفقات الكتابة الحاضرة لكفى فكيف بهِ ولهُ حسنات اخرى عدا اجتناب تلك العراقيل والقيود المانعة لانتشار اللغة الفصحى حتى بين اهلها !

فابتسم وقال إذن انت تتكلم عن تجربة قات ولولا ذلك ولولا غيرتي على اللغة العربية لما كلفت نفسي عناء البحث في هـذا الموضوع الخطير ٩ سنوات على اني سأعرضهُ على المجامع العلمية في البلاد العربية بعد مراجعتهِ للمرة الاخيرة واحضار النماذج الكافية فقال أحسنت اقرأ لي ماذا كُتب في الجامعه عن تاريخ الحروف فبدأت بقراءة مقدمة المقالة وشرع يقرأ معي وبعد قليل توقف عن القراءة ممعناً النظر في المقالة فنظرت اليهِ لأرى ما سبب توقفهِ عن القراءة إذ قرأ كلمة على غير لفظها الصحيح وقات لهُ عفوكم يادكتور إن مثل هذا السبب دعاني لهذا الاقتراح فاذا كنتم وانتم من أعلام اللغة العربية تضطرون لتضييع الوقت بامعان النظر حتى تقرأوا كلمة بصورة صحيحة فكيف بالآخرين الذين لم يصرفوا لتعلم العربيه ما صرفتم من الجهد والمثابرة وبديهيٌ ان سبب ذلك ليس تقصيراً منكم استغفر الله ان يكون ذلك بل هو نقص في طريقة الكتابة فقد قال الرصافي شاعر العراق في النشرة الثالثة لجمعية « تعميم معارف واصلاح حروف جمعيتي » في الامبراطورية العثمانية ص ٢٨ ما نصهُ :

« درست العربية زهاء عشر سنين على اعلم رجل بها ومارستها طول حياتي وحفظت كثيراً من شعر الاوائل فاستعنت بهِ على ضبط مفردات اللغة وقلت الشعر حتى زعم بعض الناس اني اجيده كل ذلك وأنا اليوم اذا قرأت كتاباً او قصيدة من الشعر فلا آمن الخطأ عند قراءتها اللهم الاَّ في الكلمات التي كان لي سابق معرفة بها . هبني اعتصمت من الخطأ في اعراب اواخر الكلمات بما اعرفهُ من قواعد علم النحو ولكن بماذا اعتصم من الخطأ في اوائلها او اواسطها سواء اكانت من الاسماء او من الافعال الثلاثية ومصادرها فان امر هذه الكلمات كلها راجع الى السماع وما نعرفهُ من قواعد الصرف لا يجدي نفعاً ولا يغني من الرجوع فيها الى السماع شيئاً . فيجب اولاً أن أعرف كل كلمة على حدة بمراجعة معاجم اللغة واحفظها في ذاكرتي حتى يتسنى لي أن أقرأها على وجه الصحة عند ما اصادفها في كتاب او في قصيدة وذلك مالا استطيعهُ أنا ولا غيري من الناس إذ لا شك ان الاحاطة بكل مفردات العربية مع ضبط الحركات متعذر على اقوى ذاكرة في الانسان . أجل إن ذلك متعذر إلا على السليقة التي كان العرب الخُلَّص بها يعرفون لغتهم وتلك السليقة معدومة

اليوم البتة . ولو كنت وحدي مخطئاً في القراءة لحملت ذلك على جهلي بالعربية وفرط غباوتي عنها ولكني حضرت مجالس علمائها الكبار وجالست منهم من يعد ابن بجدتها فرأيتهم يخطئون مثلي حذو القذة بالقذة

« فعرفت ان هذا الخطأ لم يكن من جهل وادركت ان هنالك ثلمة يجب سدها وأن الأوائل قد أدركوا هذه الثلمة وفطنوا لها إذ حاولوا سد خللها بالشكل وجعل الكتابة مشكولة غير ان عملهم هذا كان خداعاً وسعيهم عاد مخفقاً لأن في الشكل من الصعوبة وخصوصاً على المؤلفين والمترسلين ما دعا الى تركه إلا في القرآن الذي قد يؤول الخطأ في قراءة الفاظه الى الكفر . ومن اجل تلك الصعوبة نرى كتب القوم غير مشكولة على ان هذه الصعوبة قد اصبحت متضاعفة في المطبوعات فإن علامات الشكل تستلزم مشاكل ومتاعب جمة في الطباعة كما هو معلوم لدى اهل هذه الحرفة

« وقصارى القول ان فن القراءة عندنا من أصعب الفنون لتوقفه على الفهم المتوقف على القراءة. وبهذا يظهر الفرق في هذه المسألة بيننا وبين غيرنا من الامم الراقية في العصر الحاضر وذلك أننا نفهم لنقرأ وغيرنا يقرأ ليفهم ؟ . . . . » معروف الرصافي

***

قد تركت بقية مقال شاعر العراق الاكبر لأن الاستشهاد به قد تمّ والمقام قد ضاق وان كان في بقيتها استشهاد اعظم على أنها من جهة اخرى توضح السبب الذي يعوق نشر اللغة الفصحى بين العامة حتى المتعلمين من ابنائها إذ ما الفائدة من قراءة الكتب والجرائد والمجلات العربية قراءة غير صحيحة ؟ !

ثم ترك الجريدة من يده وقال كل ذلك حسن فإذا توفقت في نشر هذه الكتابة في القدس فكيف يكتب أهل بغداد ودمشق والقاهرة فقلت له تعلمون ياحضرة الدكتور ان هذا الاقتراح يمس الامة العربية بل امم العالم الاسلامي بأسرها فلا بد من عرضه على المجامع العربية كما ذكرت لكم سابقاً وهذه الهيئات صاحبة الاختصاص في الموضوع تأخذ على عاتقها النظر في هذا الاصلاح من جميع وجوهه وطرق تنفيذه فقال أوتعتمد على المجامع ؟ ماذ تفعل المجامع ؟ أنا أعرف المجامع ودرجة تأثيرها . عندنا مثل الالماني يقول « من المستحيل أن تجمع الناس تحت برنيطة واحدة » (كناية عن ان الناس لايجتمعون على رأي واحد)

فقلت حسن ما تقول فهل كان الخط معجماً في صدر الاسلام فقال كلا واول ما اعجم

من الحروف هو الباء فقلت وما الدافع الذي جعلهم يعجمون الحروف فيما بعد ؟ قال ضبطاً لالفاظ القرآن الكريم خاصة واللغة العربية عامة . فسألتهُ وهل كان الخط مشكولاً ؟ قال كلاّ بل شكل فيما بعد والدافع لذلك ايضاً هو الدافع السابق نفسهُ

فقلت وكيف اجتمع العرب والمسلمون تحت « برنيطة » التنقيط (على حد المثل الالماني) ثم الشكل ولا يجتمعون تحت « برنيطة » الحروف العربية النائبة عن الحركات والدافع لهذا هو نفس الدافع للتنقيط والشكل والنية حسنة والعمل حسن

فسكت سكوت من لزمتهُ الحجة برهة ثم قال هل تفكر بأن اصحاب الجرائد والمجلات سيكتبون بهذه الحروف الاربعة النائبة عن الحركات فقلت لهُ متى اقتنعوا بفائدتها وسهولتها للطبع والقراءة اتبعوها لان سهولة القراءة في الكتابة الجديدة سوف تكثر من قراء الجرائد والمجلات والكتب وطريقة الكتابة هذه لا تكلف اصحاب المطابع شراء حروف جديدة أو دراسة أبجدية جديدة كما حدث في تركيا لان الحروف موجودة من الاصل

ثم قال وكيف نكتب القرآن الكريم ونقرؤهُ فقلت لهُ بهذه الحروف لانها عربية كالحروف الاخرى . ثم قال تظنُّ ان رجال الدين يقبلون كتابة القرآن الكريم وقراءته بهذه الحروف ؟ فقلت وما المانع من ذلك أليست هذه الحروف هي نفس الحروف المطبوع بها القرآن الكريم الموجود الآن في جميع انحاء العالم وهل حينما نزل الوحي كتب بهذه الحروف ؟ . فقال كلا بل بالكوفي قلت وهل كان القرآن معجماً كما هو الآن ؟ قال كلا بل اعجموه وشكلوهُ حينما اختلط العرب بالاعاجم وخيف ان يغلق فهم القرآن الكريم على المسلمين . فقلت ونحن نفعل مثلما فعل آباؤنا في صدر الاسلام لضبط الفاظ القرآن بصورة صحيحة وعدم الاشتباه بقراءتها . فقال انك ستلاقي صعوبات جمة في هذا السبيل وان كانت النية حسنة والعمل حسن فقلت لهُ « لا بد دون الشهد من ابر النحل » ثم استأذنتهُ بنشر الحديث باحدى المجلات العربية خدمة للغة العربية فاذن بكل لطف ورغبة في ذلك وكان العقرب يعانق الدقيقة العاشرة بعد الساعة التاسعة مساء فاستأذنتهُ بالانصراف شاكراً لطفه وخدمتهُ اللغة العربية بجد وثبات فقال لقد صرت ممنوناً جداً لهذه المقابلة وللبحث في اهم موضوع يلذ لي البحث فيهِ وارجو ان توافيني بالحالات التي يمر بها هذا الاقتراح بعنواني هذا وقدم لي بطاقة باسمهِ وعنوانهِ فشكرت لهُ ذلك جزيل الشكر وقمت مودعاً

القدس ابن ابي سلمى

القرآن والبحر (١)

لقد اشار الاستاذ هـ . باور (H. Bauer) في مقالة نشرها في احد اجزاء الانسكلوبيذيا الاسلامية عن كلمة « فُلْك » الواردة في القرآن بمعنى السفينة او القارب الى ما كان لجريان الافلاك في البحر من قوة التأثير على محمد وقال هناك انهُ يظهر من بعض مواضع في القرآن (٢) ان النبي العربي كان يرى في تسخير امواج البحر للناس وحملها لسفنهم المصنوعة بايديهم آيات شاهدات على رحمة الله . وقد كان في وسع الاستاذ باور ان يزيد على ذلك ان تصورات القرآن عن البحر وعواصفهِ تمتاز بشدة جلائها وقوة وصفها وان محمداً الذي لم يعرف بسعة تخيلاتهِ في وصف الطبيعة حتى في وصف جنات النعيم صور لنا تصويراً جليًّا لذا حياة جريان الافلاك في البحر (النحل ١٤) وتسيير الله للناس فيهِ ويصف فرحهم وهم في الفلك « تجري بهم بريح طيبة » وشدة خوفهم « اذا جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان » (يونس ٢٢) ويشبه حياة الكفار « بسراب بقيعة » او « بظلمات في بحر لجيّ يغشاهُ موج من فوقهِ موج من فوقهِ سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها » (النور ٤)

اننا لسوء الحظ لا نجد في السيرة النبوية التي لا تزال الابحاث الحديثة تزعزع ثقتنا بها مواداً كافية نقدر معها ان نجيب عن السؤال الآتي وهو كيف ومتى تحصلت لدى محمد تصوراتهُ الجلية عن البحر وعواصفهِ وهذا السؤال في نظري على جانب عظيم من الاهمية لان وصف البحر وماله علاقة بالبحر من الموضوعات التي لم يطرقها الشعر العربي وعلى الاخص الجاهلي منهُ

من المعلوم ان اصحاب السيرة النبوية لا يذكرون عن رحلات النبي البحرية او رحلاتهِ الى احد شواطئ البحر شيئاً بل هم لا يذكرون شيئاً عن زيارتهِ المرافئ القريبة من مكة كجدة وشعيب (يذكر الطبري ١ : ١١٣٥ المرفأ الاول في حديثهِ عن السفينة اليونانية التي القتها الامواج على ساحل البحر واستفادت منها قريش يوم جددت بناء الكعبة ويذكر المرفأ الثاني في حديثه عن هجرة المسلمين الاولى الى بلاد الحبش وهذا المرفأ كان الى جنوب جدة (٣)) نعم ان السيرة تحدث عن رحلة النبي الى سوريا في قافلة لعمهِ ابي طالب ثم في قافلة

(١) للاستاذ العلامة وسيلي بارتولد (W. Barthold) عضو اكاديمية بطرسبرج العلمية نقلها الى العربية الاستاذ بندلي الجوزي (٢) وذكر منها : ابرهيم ٣٢ والنحل ١٤ والاسراء ٦٩ ولقمان ٣١ وفاطر ١٢ (٣) ج ٦ ص ١٤٨ و ١٩٣ (من طبعة ليدن)

اخرى لخديجة التي تزوجها بعد ذلك الا انها لا تذكر شيئاً عن مجيء النبي الى غزة مثلاً وهي اقرب مدن سوريا البحرية الى بلادالعرب حيث صاروا بعد الاسلام يزورون قبرهاشم جد محمد الا ان رحلة النبي الى سوريا هي من التفاصيل التي يشك في صحتها العلماء المتأخرون ومنهم الاب Lammens [1] الذي حار كيف يوفق بين ضآلة التخيلات التي ابداها النبي في وصف جنات عدن وقوتها في تصوير البحر وعواصفه Comment consilier cette indigence descriptive avec l'hypothèse de ses voyages en Syrie? لا ننكر ان هرشفلد[2] احد المستشرقين المعاصرين يظن ان الآية القرآنية (الصافات ١٣٧ و١٣٨) الذي يقول فيها محمد للقريشيين - بعد ان وصف لهم هلاك اصحاب لوط—« وانكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل » تدل على معرفة النبي لاحد شواطئ البحر الميت . الا ان هذا الرأي ضعيف وغير مقنع ومثله الحديث الذي ورد ذكره في السيرة ورواه ابن سعد والواقدي عن الزهري وهو ان محمداً صحب قافلة لخديجة الى سوق حباشة في تهامة (وتهامة عندالعرب[3] هي الارض الحارّة المسايرة للبحر يُضمّ اليها احياناً بعض القرى البعيدة قليلاً عن البحر كمكة مثلاً) الا ان سوق حباشة لم يذكر بين المواقع البحرية بل لم يحددوا مكانه فهذا ياقوت الحموي لا يعرف عن حباشة الا ما جاء في الحديث المذكور آنفاً والمرفوع الى الزهري. وفي كتاب لابي عبيدة حيث دعيت سوق حباشة بسوق قينقاع اي قبيلة بني قينقاع اليهودية التي كانت نازلة في المدينة والتي طردها النبي بعد ذلك منها . على انهُ لم يقم حتى الآن دليل على ان اولئك اليهود ، وهم سكان المدينة ومحترفوها الذين لم تكن لهم اراض، كانوا يسكنون شواطيء البحر او انهم كانوا على الاقل يتاجرون هناك

ان كلمة بحر العربية (ومثلها كلمة دريا الفارسية) تدل على البحر والنهر الكبير كما يظهر ذلك جليًّا من الآية « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً »(الفرقان ٥٣) ومن الآية« وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابهُ وهذا ملح اجاج ومن كلّ تأكلون لحماً طريًّا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيهِ مواخر...» (فاطر ١٢) ثم من اقوال المفسرين وقد قيل في الآية الاولى « ان الله جعل بين البحرين برزخاً وحجراً محجوراً » ووردت فيها كلمة فُرات بمعنى عذب وفرات كما هو معلوم اسم النهر المعروف فاذا اعتبرنا كل ذلك جاز

(١) « مهد الاسلام » (في الفرنساوية) ج ١ ص ٩٠

(٢) انظر كتابه : New researches into the composition and exegeris of the Qoran, 28:

(٣) اطلبها في معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١ ك ١ ص ٩٠١—٩٠٣ م

لنا ان نقول ان الجناس المذكور (فُرات - الفرات) لم يجيء هنا عفواً وان محمداً اراد من الآية الثانية التي ذكر فيها ان الناس يستخرجون من البحرين - العذب والمالح - ما يحتاجون اليهِ من الحلي الافلاك التي كانت تمخر في بحر الهند او في خليج العجم وفي الفرات فاذا صحّ هذا الافتراض كان البرزخ الذي اقامهُ الله بين البحرين هي تلك الرمال التي كانت تفصل الفرات عن خليج العجم يؤيد ذلك ان اكبر شعبة للفرات كانت وقتئذٍ الشعبة الغربية وهي التي كانت تجري امام الحيرة وتغور في البطائح وان الشعب الصغيرة فقط كانت تبلغ دجلة وتتحد معهُ قبل ان يصب في البحر. ومعلوم ايضاً ان كتبة العرب كانوا حتى في العصرين التاسع والعاشر يعتقدون خطأ ان المسافة بين الحيرة والبحر حديثة العهد وان الحيرة كانت في الاعصر السابقة مرفأ على شاطئ البحر وعليهِ وبما ان محمداً كان يعرف بعض القرى الواقعة على شاطئ الفرات وقد ذكر منها (البقرة ٥٨) مدينة بابل وهي المدينة الوحيدة بعد مصر التي ورد ذكرها في القرآن من المدن الواقعة خارج جزيرة العرب يجوز لنا ان نفترض ان محمداً اراد بالبحرين في الآيتين المذكورتين سابقاً نهر الفرات وبحر الهند

وانها لجديرة بالاعتبار تلك الرابطة المعنوية التي جعلها القرآن بين الملاحة وبين عبادة الله الاحد وقد سبق الاستاذ مكدونلد Macdonald فبيّنه في مقاله عن « الله » نشرها في الانسكلوبيذيا الاسلامية ان سكان مكة كانوا يلجأون الى الله وهم في اشد حالات الخطر وقد استشهد على ذلك ببعض الآيات ومنها «ثم اذا مسكم الضرّ فاليهِ تجأرون * ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون» (النحل ٥٣ و ٥٤) الاّ انهُ يؤخذ من اربع آيات اخرى (يونس ٢٢ الاسرى او بنو اسرائيل ٦٩ الفرقان ٦٥ ولقمان ٣١) ان استغاثة الناس بالله واعطاءهم الوعود بان لا يعبدوا الاّ الله وحدهُ كانا يكونان في ساعات الخطر من العواصف البحرية وان عودهم الى الشرك كان يحدث بعد وصولهم الى البرّ يؤيد ذلك ويستظهرهُ حكاية رواها الطبري في تاريخه (١ : ١٦٤) عن ابن اسحاق ولم يذكرها ابن هشام ولهذا لم يستفد منها A. Sprenger [1] ولا تداولتها ايدي علماء اوربا. وخلاصة هذه الحكاية ان عكرمة ابن ابي جهل احد اعداء محمد الالداء [2] الذين لم

(١) مؤلف كتاب « حياة محمد وتعاليمه » واحد مشهوري المستشرقين . م

(٢) وهو الذي عناه حسان بن ثابت في بيته :

فلا تأمننا يا ابن أم مجالد اذا لقحت حرب واعصل نابها

(انظر ديوانه طبع H. Hirchfeld ص ٦٤) ورواه ابن هشام (٣ : ٢٣١)

فلا تأمننا يا ابن ام مجالد اذا احتلبت صرفاً واعصل نابها

يشملهم العفو يوم الفتح اراد ان يذهب الى البحر ليلحق بالحبشة قال « فلما اقتربت من السفينة لاركبها قال لي صاحبها لا تركب السفينة يا عبد الله حتى تقر بوحدة الله وتكفر بجميع الآلهة فاني اخاف ان انت لم تفعل هذا ان نهلك في السفينة فقلت لهُ هل لا يركب احد البحر الاّ اذا اعترف بوحدة الله وجحد كل اله دونه [1] فقال نعم لا احد يركب البحر الاّ اذا كان لهُ ايمان صادق فقلت اذن مالي افارق محمداً وقد جاءنا بذات الشيء ان الهنا في البحر هو والله نفس الهنا في البر وعندها عرفت الاسلام ودخل قلبي »

ولا حاجة لان نبين للقارىء ان هذه الحكاية التي يعزونها الى عكرمة لا تستند على ادلة ثابتة والاصح انها مفتعلة او محرّفة وذلك لان عكرمة كما هو معلوم قد نالهُ العفو يوم الفتح بواسطة امرأته ام حكيم التي اعتنقت الاسلام قبله وقد جاء في رواية اخرى انها ذهبت تطلب زوجها الذي فرّ الى اليمن واتت بهِ الى النبي وجاءت في رواية ثالثة مأخوذة عن كتاب لموسى بن عقبة احد اسلاف ابن اسحاق حكاية عن الواقدي تفاصيل تختلف عما سبق قيل فيها ان ام حكيم بعد ان نالت العفو لزوجها من النبي ذهبت تطلبهُ فوجدتهُ في احدى قرى تهامة الواقعة على شاطىء البحر وقد ركب السفينة فاخذت تلوّح بيدها وتقول «يا بن عمي اني اتيتك من ارحم الناس ومن ابر الناس ومن خير الناس فلا تهلك نفسك وقد طلبت لك العفو منهُ فعفا عنك » . فقال لها عكرمة هل فعلت هذا ؟ فقالت « نعم فعلت وحدّثتهُ عنك فعفا عنك» فعاد عكرمة معها ولما اقترب من مكة قال رسول الله لاصحابه « لقد جاءكم عكرمة ابن ابي جهل مؤمناً ومهاجراً فلا تشتموا اباهُ لان شتم الميت يهين الحيّ ولا يصيب الميت » ثم ذكر بعد ذلك مقابلة عكرمة لمحمد

الاّ انهُ يؤخذ من كلام اليعقوبي المؤرخ الشيعي (٣ : ٦٣) ان عكرمة لم يهرب من مكة بل لم تحوجهُ الظروف الى ذلك فقد ذكر المؤرخ المذكور ان النبي امر بعد فتح مكة بلالاً ان يصعد الى سطح الكعبة ويؤذن فلما سمع القريشيون الاذان اكبروهُ وقال عكرمة ابن ابي جهل وخالد ابن اسيد « بلال يجأر فوق الكعبة » وقال غيرهم مثل ذلك فارسل رسول الله اليهم رجلاً فقالوا لهُ « نعم قد قلنا هذا وانا نستغفر الله على ذلك» فقال محمد اني والله لا اعلم ماذا اقول لكم . قد حان وقت الصلاة فمن اقامها منكم فليس عليهِ من حرج ومن لم يقمها فاني لمقدّمهُ وقاطع رأسه » فيستنتج من هذا الحديث ان عكرمة

(١) انظر ايضاً كتاب المغازي للواقدي ج ٥ ص ٤١٥

حضر اول صلاة اقامها النبي في الكعبة [١]

ويقرب من هذا الحديث — حتى في عباراته — حديث آخر عن هرب عكرمة لابن اسحاق ذكر فيه هرب رجل آخر من القريشيين وهو صفوان بن امية نسيب النبي (كانت ام محمد بنت جدّ صفوان) قال ابن اسحاق « ان صفوان بن امية خرج يريد جدة ليركب منها (بحراً) الى اليمن فطلب عمير بن وهب (احد اقرباء صفوان وخال النبي) الى محمد ان يؤمنهُ فأمنهُ فخرج عمير يطلب صفوان حتى ادركهُ وهو يريد ان يركب في البحر فقال « يا صفوان فداك ابي وامي الله الله في نفسك ان تهلكها » واخبرهُ انهُ جاء « من ابن عمه محمد افضل الناس وابرّ الناس واحلم الناس وخير الناس عزّه عزّك وشرفه شرفك وملكهُ ملكك » فاقتنع صفوان — بعد أن تردّد قليلاً — بصحة كلام عمير وعاد معهُ الى محمد [٢] »

فلو عرضنا هذه الاحاديث بعضها على بعض لتبين لنا منها مقدار عنصر « الاختلاق الادبي » الذي ادخلهُ الكتبة المتأخرون حتى على الاخبار المتعلقة بسني حياة النبي الاخيرة ناهيك عن التي لها علاقة بالدور المكي من حياته ومع ذلك فانا نجد بين الحكاية المنسوبة الى عكرمة وبين الآيات القرآنية التي اوردناها سابقاً عن استغاثة العرب بالله تعالى في البحر وعودهم الى الشرك في البر مقارنة ظاهرة حتى لو عددنا الحكاية المذكورة من مبتكرات الخيال . وقد يجوز ان نقل الركاب من جزيرة العرب الى الشاطيء المقابل لها في البحر الاحمر كان وقتئذٍ في ايدي الحبش المسيحيين وان هؤلاء كانوا يخافون ان يصيبهم غضب الله ان وجد في قاربهم رجل مشرك. فان صحّ هذا الافتراض كان لنا في الآيات المذكورة دليل جديد على ان تصورات محمد عن الله تكوّنت تحت تأثير الفكرة المسيحية عن وحدة الله لا الفكرة اليهودية وهو ما تؤيدهُ كل يوم الابحاث العلمية عن منشأ الاسلام وتاريخ الدور الاول منهُ

(١) انظر ابن هشام — السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ من الطبعة المصرية والطبري ١ : ١٦٤٤ — (٢) ومما نعرفه عن عكرمة بعد اسلامه انه اشترك في قتال اهالي عمان حين ارتدوا في خلافة ابي بكر واصاب منهم مغنماً وقتل نفراً ثم اشترك بعد انصرافه من عمان في قتال بني وليعة والاشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية الكندي وقاتل الروم يوم اجنادين فقتل هناك مع من قتل من المسلمين اما امرأته ام حكيم فانها تزوجت بعده خالد بن سعيد بن العاصي بن امية فقتل في معركة يوم الصفر (سنة ٦٣٦) فلما بلغها مصابه انتزعت عمود الفسطاط فقاتلت به « فيقال انها قتلت يومئذ سبعة نفر وان بها لردع الخلوق » (فتوح البلدان ص ٧٦، ٧٧، ١٠٢، ١١٤، ١١٨) م

سوريا ولبنان في نظر الغرب

خلاصة لاشهر الكتب الفرنسية

رواد الشرق

هذا هو كتاب بوردو الثاني في مجلدين ضخمين . رائع قيم . لم يقم قبلهُ بمثله أحد . لقد اودعهُ ذكر اهم الاهم من الذين زاروا سوريا منذ عهد الصليبية الى يومنا هذا . ففي المجلد الاول يحدثنا عن الحجاج الى الاراضي المقدسة قبيل الصليبية كوالد وليم النورماندي، الملقب بالفاتح . والذي مات وهو في طريق رجوعهِ . يحدثنا عن كبار افراد الصليبيين . عن بوهيمند الثاني .عن ريمون دا كتان، ورينو دي شاتيلون ، وجود فروى دي بويون وغيرهم من كبار وعظماء . ولا يحدثنا فقط عنهم بل عن صلاح الدين ايضاً .عن اشياء يجهلها اكثرنا اتم الجهل . يحدثنا عن استيلاء الصليبيين على اكثر انحاء سوريا ثم انسحابهم منها. ولا يقف عند ذلك . بل يتلوه بحث مستفيض مملوء لذة وفائدة . عمن تلاهم من العظماء ، كنابليون وشاتوبريان ووليم ري ، ودي فوجيه . والبرنسيس دي بلجيوزو ، واللادي استر ستانهوب، ورينان وغليوم الثاني ورينه بازان وسوام . وفي مجلده الثاني عن ثلاثة فقط اتخذهم موضوعاً لبحث طريف هم لامرتين .وميشو، ومورس بارس . . . . ولكن هيهات ! انـى لي ان اصف ما فيهِ ! ماذا انقل بل ماذا اهمل ! كلهُ مفيد وكلهُ جميل لذيذ ! لقد ملأ بوردو كتابهُ هذا بمستندات، ومعلومات ثمينة.وبحث في كتب تفيد تاريخ سوريا فائدة جلى . خصوصاً في عهد الصليبيين الذي قلما نعرف عنهُ في الشرق شيئاً إلاَّ ما قرأناهُ في امثال ابن جبير وصالح بن يحيي وامثالها . جميع هذه سبكها في قالب بليغ يستهوي القلوب. وكتابهُ ايضاً ليس كتلك الكتب التي يشحنها ويكدسها اصحابها بالمستندات ، وباسلوب جاف خشن يدعو الى السآمة والملل . فما يقرأ الانسان صفحة منها حتى يلقيها في زاوية النسيان فهي لهُ درس عنيف يستلزم جهداً وعناءوبذل فكر . لا ! فكتاب بوردو كلهُ حياة وبهجة. ان قارئهُ لا يملُّ قط . فبينما هو يتنقل في حدائقهِ الغناء ويجني فواكه اللذة والابتهاج اذ هو يقطف ازهار الفائدة والاطلاع دانيات حيث شاء وكيف قلبهُ . فالاسلوب مسلٍ ومفيد ومغرٍ . . ورب قائل يقول : انهُ يفيد سوى ابناء الغرب ولكن

رويدك ياصاح ! ففي قولك ما هو بعيد عن الحقيقة. ان فيه فائدة لكل سوري ولبناني . ولذا يجب ان يقرأه كل سوري . واردد ايضاً انهُ يجب ان يقرأهُ كل سوري صميم ولبناني صميم ويطلع على محتوياته . مهلاً ! على رسلك ما بالي اراك ترمقني بطرفك ثم تغضيهِ بتهكم وازدراء دع عنك العجب والخيلاء فلست اقول عبثاً . فان فيهِ من المعلومات القيمة ما ليس يعرفهُ جل ابناء الشام . وما لا اصفهُ ولا اقدر ان اصفهُ في هذه السطور القليلة ولا تظن اني ابالغ اذا دعوتهُ « معلمةً سورية ولبنانية » فهو للسوريين كنز ادبي عظيم ومعين لا ينضب يرشدهم عما خفي عنهم ويجلي عن اعينهم غشاوة طالما عاقتهم واخفت عنهم اشياء

اننا لا نقدر ان نأتي بشيء منهُ هنا . ولا ان نقتطف منهُ شيئاً فانا لا ندري ماذا نقتطف وماذا نترك ! وماهو برحلة ننشر ملخصها ورواية نكتفي بكلمة عنها . بل هو مجموعة ملاحظات وبحوث عن سوريا وكتب عنها وحسبنا ان نقدر سعة جهد المسيو بوردو وبراعة نقده وحذاقتهِ الخارقة في التاريخ التي مكنتهُ من اخراج هذا الكتاب الباهر الجليل والذي هو ملجأ مفيد نافع وجليس لا يملُّ وحسبنا ان نقول عنهُ انهُ اراد في عمله هذا ان يلقي النور على اشياء مخفية ومظلمة واشياء موجودة ولكنها مهملة واحب ارشادنا اليها وتشويقنا وقد ظهر فيهِ بمظهر الباحث والتاريخي والاثري

في جبل الدروز

حينما كانت الثورة الدرزية على اشدها . برز هذا الكتاب الى الوجود ولم يكن بوردو يود نشره لولا حصولها اذ كان يود نشره ضمن تاريخ رحلتهِ الذي يعدنا في مقدمة هذا الكتاب بنشره بعد حين

يحدثنا في كتابهِ هذا اولا عن غليوم ري Guillaume Rey اكبر رحالة اثري دخل حوران في القرن المنصرم ويحدثنا عن كتابيهِ الثمينين اللذين نالا شهرة عظيمة في اوربا جمعاء ولدى المستشرقين الاثريين ونظنهما اهم ما كتب عن اثار الافرنج في سوريا وعنوانهما «درس في العمارة الحربية الصليبية في سورية وجزيرة قبرص » و« المستعمرات الافرنجية في سوريا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر » ثم بمقتطفات من « رحلتهِ في حوران وشواطئ البحر الميت »

ثم يحدثنا كيف تمكن من زيارة حوران . فقد كان في حفلة اقامها الجنرال غورو ، في قصر الصنوبر « الذي يشبه قصر علاء الدين » حيث اجتمع رؤساء طوائف سوريا وعشائرها اجمع . فهناك كانت فتيات بيروت ودمشق تمر بجانب عقلاء الدروز واشرافهم. هناك حيث كانت الملابس الرسمية السوداء تماوج مع العباءات الحريرية ، والكوفيات

الموشاة بالذهب . في وسط هذا المشهد الباهر وقف بوردو يتحادث مع الجنرال غورو الطيب والقومندان دينان Denain ، قائد القوات الجوية ، في جيش الشرق ، وقد اشار عليهِ غورو بزيارة حوران . لكنهُ اعتذر ان ليس امامهُ غير يومين . اذ بعد يومين سيودع سوريا . وقد نظم برنامج اعمالهِ . ولكن غورو قال لهُ انهُ سيصحبهُ الى غبطة بطريرك الموارنة . فاجاب بوردو « اذن لم يبق سوى يوم » ولكن القومندان دينان سألهُ « ألك جلد على عشرين ساعة ؟ »

— لا شك ألم احارب ؟

— ولكنهُ جلدٌ على كل معدات النقل ؟ سأذهب غداً في الساعة الرابعة ، لاتفقد فرق البقاع ، واذا سمح الجنرال (غورو) آخذك معي ، وتطير الى جبل الدروز وفي نصف الليل تكون في بيروت . وعليهِ فبعد غد تذهب ، مع الجنرال الى لبنان

فاتى غورو بحركة سرور ، البستهُ حلة الشباب . وقال : من المحال ان يزار جبل الدروز من بيروت في اربع وعشرين ساعة

ولكن القومندان دينان اعترض : اهذا ما تقوله ايها الجنرال ؟

— « لكنهُ صعب ! »

وافترق عنهما غورو . واختفى في وسط الامواج الانسانية . وبقي بوردو مع دينان، الذي قال لهُ : انك ستبصر كل شيء ، فالطيارة سيدة البسيطة وفي السويداء سيقابلك الترجمان ترنجا Trenga وهو يعرف كل شيء ، عن دين الدروز وعاداتهم ، وسيحدثك عنها . وسيقدمك ايضاً الى « بابا الدروز » وستزور معهُ اثار قنوات الرومانية

ثم تفارقا وما لبث ان قابل بيير ليوتي (ابن اخي المرشال ليوتي) مع الاخوين تارو Tharaud . وتحادثوا معاً عن الدروز ومعتقداتهم وعاداتهم وعن سوريا والخ . ثم ترك القصر ، وذهب ليأخذ قسطهُ من الراحة ، قبل ان يأتي دينان . لكنهُ احب ان يعرف ، من هم هؤلاء الذين سيزورهم ، ويجول في بلادهم في الغد ، فتناول كتباً على طاولتهِ ، اعاره اياها بيير ليوتي المذكور ، وابتدأ يقلبها

انها لعادة حميدة ، ان يعرف المرء شيئاً عن بلاد سيزورها ، وهي عادة ، امتاز بها الافرنج ، وبالاخص الفرنسيس ، ولكن من منا نحن ابناء الشرق يقرأ كتاباً واحداً ، عن بلاد المغرب، أو فارس ، او اي بلدة يبغي ارتيادها ، لترويح النفس وقضاء عطلتهِ ؟ لا اظن احداً يفعلها ! ان الحكمة تقضي على المرء ، ان يعرف البلاد التي يسافر اليها والشعوب التي تقطنها. وهذه من اسرار تقدم الاوربيين. واستيلائهم على مستعمرات كثيرة

جلس يطالع،ويختار ملحوظات من حوادث ١٨٦٠ المشؤومة وعن الدروز ودينهم، وما اليها ، واورد جملة منها في كتابهِ هذا نضرب عنها صفحاً لضيق المقام ، ولشهرتها عند اكثر القراء الكرام . وعند ما انتهى اذا بوقت الرحيل قد ازف . فارتدى لباس ركوب الخيل، واستعدَّ وكانت الساعة الرابعة صباحاً ،فاذا برفيق السفر، قد وافى .فذهبا معاً الى قصر غورو ، فتناولا طعام الفطور في تلك الساعة المتأخرة من الليل او المبكرة من الصباح ، وكانت افواج الراقصين لا تزال تموج في قاعاتهِ

استقلا سيارة . وحيث ان بوردو لم يكن قد ذاق طعم الكرى بعد، لاشتغالهِ بالمطالعة انتهز الفرصة ونام هنيهة . فلما وصلا رياق امتطيا طيارة لدى انبثاق اشعة الشمس الذهبية ، وتكسرها على ثلج جبل الشيخ. يا لهُ من منظر بهيج من الجو ! لبنان باوديتهِ ، وجباله ، وحزونهِ ، وسهوله ،كالكف المبسوطة تحت بصره !

ها كهما اخيراً مع الترجمان ترنجا . ركبوا الخيل وقال لهُ ترنجا انهُ سيأخذهُ الى قنوات حيث يسكن زعيم الدروز الروحي فساروا اليها ورأى بوردو كثيراً من آثارها البديعة ووصفها وصفاً شيقاً . ثم انتهى بهم السير الى قصر هذا الرئيس المحترم . واذن لهم بالدخول . فقابلوهُ . وبعدئذٍ قابلوا سلمان الاطرش امير الدروز حينئذٍ

هذا ملخص هذا الكتيب. وقد اودعهُ ملاحظات شتى مفيدة عن الدروز وحوران وتبسط قليلاً في كلامهِ عن مقابلتهِ لرئيسهم الروحي . وما سألهُ هو . وما اجابهُ ذاك . مما نكتفي بالاشارة اليها . ونحيل القارئ عليهِ في مكانهِ

هذا الكتيب ،وان لم يكن ذا شأن كبير كغير كتبهِ عن سوريا — واهمها روّاد الشرق علاّنا املاً . وحسبنا انهُ يعلمنا عن عزم بوردو على نشر رحلتهِ الى سوريا ، بعد ان يستوفي جمع المعلومات الكثيرة القيمة . فهو يريد ان يظهر للغرب والمدنية ، ان الشرق « الذي لا يتغير »قد بدأ بالتغير. وها هو يتماوج ويتقلب ويندفع مع تيار التقدم ، بعد ان ركد القرون في بدء كتابهِ يحدثنا بقوله : —

« انني اجمع مذكرات رحلتي في سوريا ، وقد تأخرت عن نشرها ،حيث اردت حين رجوعي ان اكملها باسنادات اكثر قيمة . ان زائر البلاد ليخمد نشاطهُ امام ما كتب عنها طائفة من الرواد المشهورين. لكن الشرق القديم التغير هو اليوم في تقدم وكما تسري الرعشة في ابدان الجياد العربية اذ تشعر بالفضاء الطلق كذلك تسري فيهِ رعشات طويلة فمن عام لآخر تتكيف الوثائق تبعاً لسير الوقائع وسآتي بوثائقي لاني اسمع من الشرق اصواتاً تدعوني وها اني اقطع من مذكراتي نبأ جولتي الوجيزة في جبل الدروز »

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذ الاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

بين العلامتين ضومط والكرملي

١ - أعربيَّات ؟ للعلامة الاب انستاس الكرملي

إني من الذين يقولون : « ان المرء اذا كتب في موضوع ، فلا حاجة لهُ الى ان يعود اليهِ ليجادل من يخالفهُ فيهِ » اذ لكلّ باحث رأيٌ خاصّ بهِ ، وقلما يتحول عنهُ ، ولاسيما اذا كان ذلك الرأي مستنداً الى ادلة علمية في نظره

وقد كنتُ قد قلتُ بأن « الاديب » و « الخليفة » و « قريش » من الحروف غير العربية النِجار . وهناك ألفاظ اخرى تشبهها بثوبها العربي لكنها دخيلة الجوهر او المادة

فقام غير واحد من ارباب اليراع وحاولوا نقض ما بَنَيْتُ ، إلاَّ إني لم اقفْ على مقالاتهم لاني قلتُ في نفسي : إنَّ الكاتب اما ان يذهب الى مذهبي واما ان يخالفهُ . فان كان يصوّبُ ما ارتأيتهُ فلا حاجة لي إلى مطالعته ، وان كان ممن يخالفني ، فلقد قرأت مثل هذه المخالفة في مصنّفات اللغويين الاقدمين شيئاً كثيراً . إذن فالضنُّ بالوقت احسن . وهكذا لم اطالع ما كتبهُ حضرة الاستاذ الكبير جبر ضومط ، ولا ما أتى بهِ حضرة الكاتب المبدع السيد مصطفى صادق الرافعي . ولما اشرتُ في مقالي الآخر الى أنَّ بعضهم اقاموا القيامة عليَّ ، فكان تلميحاً الى ما نفثتهُ اقلام جماعة من ابناء وطني العراق ، إذ قابلوا فكرتي في أصل تلك الالفاظ بالشتم والسبّ والاهانة ، بل هددني بعضهم بالقتل اغتيالاً على ما سمعت وعلى ما جاء مسطوراً في رقعة أُنفذت إليَّ بالبريد

اما هذه المرة فان اخصّ اصدقائي واخلصهم وُدًّا كتب اليَّ ليوجّه نظري الى ما

يأتي في هلال (مايو) من هذه السنة ، فليت طلبه وطالعته من الاول الى الآخر فلم اجد فيه شيئاً طريفاً ولا مقنعاً وعلمت ان من لشأ على فكر يعزّ عليه ان يتركهُ . ودونك الاسباب التي لا تحملني على ان اوافق الاستاذ ضومط في رأيهِ ، وضومط ذاك الرجل العظيم الذي اجلّه اعظم الاجلال

قريش

لما قلت ان لفظة « قريش » غير عربية الاصل ، كان ذلك رأيي الخاص بي ولا أعلم أسبقني اليهِ سابق ام لا

اما الدليل الذي اعتمدتُ عليهِ فهو ان في الالفاظ القديمة العربية من اعلام ونكرات حروفاً دخيلة في العربية. ففي نسب قريش مثلاً الياس، والياس صورة يونانية «لاإِليَّا» الإِرَمِيَّة او « إِليَاهو » العبرية . فترك السلف لغة الساميين وتمسكوا بلغة اليونانيين . وما ذلك الاَّ لقرب مادتها من المادة العربية وخفة وزنها . والقائل بانها عربية كالقائل بان الترك والكرد وجميع امم الارض عرب . وهناك غير الياس من الاعلام التي اتخذها العدنانيون كإِدْرِيس ، وابراهيم ، واسحق ، ويعقوب ، وعليّ ، ويونس ، الى غيرها

واما وجود النكرات في لساننا فهذا أشهر من ان يذكر وقد صرَّح بهِ حتى من كان اشدَّ الناس تعصباً للعروبة. وهل من عجب ان تسمَّى قريش باسم من اصل أعجمي وقريش تنتمي الى أبيها النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن «الياس» ابن مضر. و« الياس» كما رأينا اعجمي، ثم ان الذي يزيدني ثبوتاً في هذا القول ان بعضهم حكى في تسميتها عشرين قولاً (التاج) فلو كان سبب التسمية عربياً محضاً لما نشأت كل هذه الآراء. ومن جملة هذه الاقوال انها سميت قريشاً بمصغر القِرْش وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها (القاموس)

ووزن القِرْش، ومادتها، واشتقاق الفاظ منها، كل ذلك لا يمنع ان تكون اعجمية ، واعجمية يونانية . وذلك لان اليونانيين من ديار تحيط بها البحار من كل جانب، فهم بحارون وعارفون بما في البحار اكثر من سواهم، واللفظة ترى في لسانهم من قديم العهد، فقد ذكرها صفرون السرقسطي الصقلي [وكان عائشاً في نحو سنة ٤٢٠ قبل المسيح] وصرح بكلامهِ عن القرش آثينيا النقراطسي (في ٧ : ٣٠٦ وفي مواطن اخرى) . ومعنى اصل القرش في اليونانية الحادُّ الاسنان وهو يوافق هذا الوحش البحري. اما القرش فيصعب توجيهها في لغتنا الى مادة توافقهُ

اما اذا لم يرضَ حضرة الاستاذ بنسبة هذه القبيلة الى السمك المذكور ويذهب الى

انها سميت بالقرش بمعنى الجمع من ههنا وههنا ،والكسب والتجر قلنا : وهذا يناسب ان يكون من الرومانية (اللاتينية) قُمرْش Commercium بميم بين القاف والراء ومعناه ما يريد. وكانت قريش تتجر يومئذٍ مع الشام ولغة الشاميين يومئذ اليونانية والرومانية . ثم نقلت «قُمرْش» الى «قرش» تخفيفاً. وسبب اصرارنا على القول بعجمتها ان سائر اللغات السامية لا تعرف القرش بالمعاني التي اوردها حضرتهُ وغيره من اللغويين الاقدمين . فالقرش من هذا القبيل تشبه « الفيل » في عجمتها وحالتها ووزنها ومادتها والمشتقات منها، اذ كلها على مثالها وان اختلفت حروفها .وقد سمَّوا بالفيل رجالاً ، كأبي الفيل و«فيل» مولى زياد، والفيل اليشكري . الى غيرهم، مع انهم كانوا في مندوحة عن اتخاذ هذا اللفظ الاعجمي ، لما عندهم من مرادفاته الكثيرة،ومع ذلك لم يفعلوا إذ وجدوا في هذه الكلمة الاعجمية خفة ورشاقة ومشابهة لما عندهم ما حبَّبتها لهم . وكذلك القول عن القِرش

اما ان وجود الشيء في بلاد السلف يمنعهم من ان يلجأوا الى اتخاذ الفاظ ليست في لسانهم، او يمنعهم من اتخاذ الفاظ اعجمية ، فليس ذلك دليلا قويًّا ،اذ السلف قد جمع بين الدخيل والفصيح لاسباب كثيرة لا محل لاستقصائها هنا. وكفى نسفاً لهذا الدليل ان نعرف ان ليس من شيء اشهر من الشمس والقمر ومع ذلك فان الاقدمين منا اتخذوا الالفاظ اليونانية للدلالة عليهما . قال صاحب « لسان العرب » في كتابهِ « نثار الازهار » حين يذكر اسماء القمر ما هذا نصهُ : « . . . والسَلِني وهو اسمهُ باليونانية وقد تكلموا بهِ» اهـ. وقال في ذكر اسماء الشمس : « . . . وايليوس وهو اسمها باليونانية وقد تكلموا بهِ » : فنسأل الاستاذ الجليل: ما معنى ان السلف نطقوا باليونانيتين وعندهم عشرات من الالفاظ الدالة على النيرين المذكورين ، إذن وجود الشيء عند آبائنا لا يدل على انهم لا يقتبسون من مجاوريهم شيئاً من حروفهم ولغاتهم، كما انهُ لا يكرههم على وضع الفاظ صرفة لها،وعلى عدم استعمال الدخيل في كلامهم . فاتخاذ هذا الاعجمي كان مرضاً في عقول بعضهم ،على حد ما يرى من امثالهم في هذا العهد. وهناك داء آخر ولع فريق من الكتبة باتخاذ الحوشي في ترسلهم ، وطائفة اخرى منهم باستعمال العامي المبتذل في حين انهم في غنى عنهُ

إذن : قد تجتمع صحة العربية وداؤها ، والالفاظ المحضة والدخيل في زمن واحد، لكن لا في شخص واحد ، بل ربما وقع هذا الامر أيضاً لعلة في دماغ الكاتب ، لايمكنني ان اعرفها ، ولعل الاطباء يعرفونها . وهذه سنة الله في خلقهِ ولن تجد لسنة الله تبديلا

اطلنا الكلام في هذه الكلمة لان امثالها كثيرة ، ولان الادلة على نقض ما يعن في الخاطر هي على هذا الغرار . جئنا الآن الى لفظ

الخليفة

مادة هذه الكلمة عربية، والاشتقاق عربي مقيس، والوزن عربي محض، ومع ذلك نقول: ان الكلمة غير اصلية في لغتنا ، لان نظام قوة « الخليفة » بمعنى رئيس القوم في الدين وغيره والقائم بالامور مقام الرئيس الاصيل النائب عنهُ، من الامور التي اختص بها الاغريق والرومان . ولهذا نرى الفاظاً عديدة تدل على الرئاسة وهي مأخوذة من الاقوام غير العربية المجاورة لاجدادنا . ولما نقول « ألفاظاً » نجمع فيها ما يتعلق بالدين والدنيا على السواء .فأمثال الدّينيّات : الجاثليق، والبطريرك والاسقف ،والمطران ، والجَمْفَلين والساعود ، والسطوس، والايل ، والحبر ،والصير ، والرباني الى غيرها. واما الدُنيويات فاشباه : الدقس ، والدقوس ، والدعوس ، والعطوس ، والقدوس ، والداقوس ، والسرسور والزرزور ، والزرزار ، والزردار ، والزروار ، والسفسير ، والسفسار ، والقسطار ، والاطربون ، الى غيرها وتعدُّ بالعشرات .فهذه كلها ليست من العربية في شيء وان وجَّه لها اللغويون وجوهاً عربية

اذن الخليفة من هـذا القبيل . اما ان الامام الثعالبي كان قد سبقني الى هذا المقال فكنت اجهله . واظن ان جعله الخليفة بين الالفاظ الفارسية لا يدل على انهـا فارسية الاصل حقيقة بل اعجمية . مهما كانت تلك العجمة فارسية النسب صريحة الايرانية أم غير ايرانية كاليونانية او الرومانية أو العبرية او الارميَّة،اذ رأيتُ بين تلك الكلم التي اوردها الامام الثعالبي ما يرجع بعضها الى لغة وبعضها الى لغة اخرى اعجمية من اللغات التي ذكرناها

وهنا نعيد بعض الادلة التي ذكرناها في لفظة « قريش » في ان وجود الشيء عند سلفنا العرب لا يمنعهم من اتخاذ الفاظ اعجميه للدلالة عليها

بلغنا الآن الى اللفظة التي قام لها وقعد حضرة الاستاذ الكبير وهي :

الاديب

واول كل شيء اني لا اجيب على كلمات او عبارات الهزء والسخرية التي جاءت على قلم حضرة الاستاذ فهي وان كان لها محل ومفيدة في بعض الاحوال فليس الآن محلها هنا ولهذا اغضّ الطرف عما وجههُ اليَّ من الالفاظ القارصة . بل اذهب توّاً الى موضوعي واقول : ان سيدي الاستاذ ينقاد للانخداع بسهولة لا مزيد عليها لانهُ لا يحكم الا على الظواهر ،وقلما يعدّ نظرهُ الى بواطن الامور . ان « الاديب » في نظره عربي

لان منهُ « الادب والمتأدب وادّبهُ وتأدب » الى غيرها . ونعني ان الكلمة اذا عربت حق تصرف لنا ان نتصرف فيها اللفظة العربية المحضة

هذه كلمة « المسك » بمعنى المشموم المشهور فاننا نشق منهُ مسّكهُ تمسيكاً ودواء ممسَّك وتمسَّك الرجل الى غيرها من الاشتقاقات . فهل يُقال يا ترى انها عربية وقد اجمع اللغويون على انها اعجمية صرفة ؟ نعم ، حينما لم يَبْدُ لهم وجه التعريب ، لم يقولوا بعجمتها لكن اليوم ذهب مدّعى البعض من المحخرقين وقام النقدُ مقام النقل ولا يفيدنا بعد الآن : قال شيخي ، ونص فلان . إن النقل يذوب امام النقد كما يذوب الشمع بين يدي النار . فيا استاذي ان «الاديب» غير عربي مهما كان وزنهُ واشتقاقهُ ومادتهُ . والسبب : ان معناهُ يدل على امعان في الحضارة لم تتهيأ يومئذٍ للسلف . ومن «الاديب» ولدت سائر المشتقات على حدّ ما تُرى اشباههُ في المسك وغيره من الحروف التي لا تحصى كالكيِّس (الذي منهُ الكياسة) والترف ، والظرف ، ونحوها وان لم يذهب الى القول بعجمتها بعضهم او كلهم . فكل ذلك لا يغير من اجنبيتها بشيء

واغرب ما جاء في رد حضرة استاذي انهُ يحيلني على مطالعة بعض اسفار التوراة لورود « الادب والاديب » فيها . وانما يفعل مثل هذا إذا كان النصُّ اصليًّا صحيحاً ، والحال ان الاصل عبريّ العبارة ولا ورود للادب بالمعاني التي يشير اليها ومتفرعاته في تلك المنزلات . فكيف ساغ لهُ ان يحيلني عليها ؟ ولو نقل لي احد ان الاستاذ جبر ضومط يقول ذلك القول لما صدقتهُ ، لاني أُجلّهُ عن ان يتوسل بهذه الوسيلة إلى اثبات مدعاهُ لكن اسمهُ الصريح في ذيل المقالة يؤيد لي ان الناطق بتلك العبارات حضرة استاذي حفظهُ الله . فلا اعلم كيف اجمع بين علمهِ الغزير وبين هذا الرأي الفطير الذي انزههُ عنهُ ؟

نعم ان كلمة الادب وردت في نصّ التوراة العبرية (راجع سفر الملوك الاول ١ : ٣٣) لكن بمعنى الذوب والذوب من الاسى . وورد في سفر الخلق (٢٥ : ١٣) وسفر الايام (١ : ٢٩) اسم ولد من وُلد إسمعيل يعرف بأدبئيل والمفسرون قالوا في معناهُ انهُ مشتق من الأَدْب (بفتح فسكون) اي العجب فيكون مؤداهُ أعجوبة الله . هـذا اقدم ما جاء عندنا من النصوص التي تذكر لنا الادب ، اي انهُ بمعنى العجب . وعندنا ان العجب تصحيف الادب من باب تفخيم الحروف فانهم جعلوا الهمزة عيناً من باب العنعنة ثم لفظوا الدال جيماً على لغة اخرى كما قالوا في الابلد : ابلج ، وفي دنيّ : جنيّ ، وفي السدفة : السجفة ، وفي دهوره : جهوره ، الى غيرها . وهنا لا اتعرض للتآويل التي أتى بها لتأييد مدعاهُ ان الادب مشتق من معنى الدعوة . اني لا اظن انهُ يقبل رأيهُ هذا اذا ما خلا إلى شيطانهِ

ألا يرى القارئ ان تلك الادلة التي ابتدعها حضرة استاذي لا تتماسك ولا تتناصر، فكيف يريد ان يقنع بها ابناء هذا العصر، ابناء النقد والتعليل والتحليل ؟

ألم يقرأ ما كتبهُ الاستاذ الدكتور طه حسين في كتابهِ «في الادب الجاهلي» ص١٩ من الطبعة الثانية اذ يقول : « فليس لنا من النصوص او القرائن العلمية الواضحة ما يبين لنا ان لفظ « الادب» قد اشتق من الادب » بمعنى الدعوة الى الولائم، او قد اشتق من الآداب جمع دأب . ولكن الشيء الذي لا شك فيهِ هو اننا لا نعرف نصًّا عربيًّا جاهليًّا صحيحاً ورد فيهِ لفظ الادب والشيء الذي لا شك فيهِ ايضاً هو اننا لا نعرف ان لفظ الادب قد ورد في القرآن . وكل ما نعرفهُ هو ان هذه المادة قد وردت في حديث مهما يكن رأي المحدثين فيهِ فليس هو بالحجة القاطعة على ان النبيَّ قد استعمل هذه المادة وهذا الحديث هو قوله صلى الله عليهِ وسلم: « ادبني ربي فاحسن تأديبي » هذا الحديث لا يثبت حكماً لغويًّا الاَّ اذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك او كان من الراجح على اقل تقدير انهُ صحَّ بلفظهِ عن النبي . ولكننا بعيدون عن هذا كلهِ . فنستطيع اذن ان نقول في غير تردّد : ان ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت ان لفظ « الادب » وما يتصرف منهُ من الافعال والاسماء قد كان معروفاً او مستعملاً قبل الاسلام او ابان ظهوره ». اهـ بحرفهِ

اذن : « لا نرضى لك بما ذهبت اليهِ فيهِ ، ولكنها كبوة! هيهات ان يخلو جواد من مثلها وان سلك الجدد »

٢ — اداة التعريف في التاريخ — للعلامة الاستاذ ضومط

يسرُّنا في مقالة العلاَّمة الاب انستاس الكرملي في مقتطف فبراير (شباط) المارّ انهُ يختمها بقولهِ — كلما ذكرناهُ خواطر مرَّت في سماء الفكر ونحن لا نجزم بها ومَنْ احبَّ ان يدحضنا او يردُّنا فليأتنا ببيّناتهِ وادلَّتهِ على ما فعلنا . ونحن اوَّل من يتَّهم نفسهُ اذا ما رأى شعاع الحقّ بادياً في كلام الخصم انتهى : — ونحن لا ننكر على الاب عباراتهِ هذه من جهة ما فيها من المحلاَّت بالبلاغة . ولكننا ننكر عليهِ ان يحسب مَنْ يناقشهُ آراءهُ خصماً لهُ . نعم انَّ بعض مَنْ يردُّون علينا اقوالنا يردُّونها لانهم اخصامنا ولكنَّ بعضهم قد يكونون من احبّ احبائنا واخلص اصدقائنا . ولو انَّ الاب المحترم عدَّل من حدَّتهِ فيمنْ تصورهُ يردُّ عليهِ بعض ماجاء في مقالتهِ هذه النفيسة في موضوعها لكان اجدر بعلمهِ وفضلهِ ومكانتهِ الادبية الرفيعة بل كان اجدر بفضلهِ لو استغنى عن هذه

الخاتمة بما جاء بهِ في مقدّمة المقالة مما يقع في اسماعنا وقلوبنا موقعاً خليقاً بعلم الاب وفضلهِ

ايها الاب المحترم نحن لا نوافقك على اغلب ما ارتأيتهُ في اداة التعريف ولكننا لسنا من اخصامك وما كنا الاّ من المخلصين لك ولا نزال . لكن كان يسوءنا منك ظهورك مظهر المعتدّ بعلمهِ وفضلهِ ظهوراً ما كان يخفى على معظم قرّاء مقالاتك وفي الوقت نفسهِ كانت كأنما يشوبها اظلالٌ من الاستخفاف بكل رأي يخالف رأيك كانك من الذين خصوا بالعصمة

ايها المحترم نوافقك في أن همزة « ال » محوَّلة عن الهاء لانها اخفّ على النطق ولكننا لا نوافقك في انها مقتطعة من فعل لا وجود لهُ الآن وهو فعل الوجود العبراني . واما قولك انهُ كان عندنا في سابق الازمان فيجوز ايضاً

كل هذا لا نعارضك فيهِ لانهُ من الجائز الممكن . واما ما أقَمْتَهُ دليلاً على انَّ هذا الفعل كان عندنا في سابق الزمان وأنَّ « ها » التعريف مقتطعة منهُ فلا نوافقك فيهِ ولا نظنُّ احداً من علماء الفيلولوجيا يوافقك عليهِ ولعلك لا تخاف معارضةً من احدٍ في كل ما تُغرِب بهِ من مسائلها ولو كان اشدّ من اغرابك في « اللكاتيّ » وردّهِ الى الاصل العربي « لاح » واليك ما قلتَ بالحرف الواحد تحت رقم (٢)

ولكن من اين اتت تلك الهاء في اللغتين الساميتين . الذي عندنا انها مقطوعة من فعل لا وجود لهُ الآن في العربية وهو هَوَه يَهْوَه(١) او هيه يهيا ومعناهُ وُجِد يُوجَد (بصيغة المجهول) ولا جرم ان هذا الفعل كان عندنا في سابق الازمان والدليل ما بقي من اثرهِ وهو الضمير الغائب في المفرد والمثنى والجمع في المذكر والمؤنث اي هو ، هما ، هم ، هي ، هنَّ ، ومعناهُ في اصل وضعهِ موجود ، موجودان ، موجودون وقد صارت هذه الضمائر الى حرف واحد في قولك هذا ، هذان ، هولا . . . وهذا الحرف سماهُ نحاتنا هاء التنبيه كما سموا تلك الهاء هاء الضمير . اما الحقيقة فان لكليهما اصلاً واحداً هو الفعل المات المذكور انتهى ما قاله الاب

ايها الاب العلاّمة يُفهَم من القطعة التي نقلناها عنك ان الفعل هوه يَهْوَه او هَيَه يَهْيَه (الفعل الدال على الوجود) متقدّمٌ على الضمير لان الضمير مقتطع منهُ ثم تقول ان « الهاء » في هذا ، هذين ، هؤلاءِ مقتطعة ايضاً من ضمير الغائب اذن هي مقتطعة من الفعل المات المذكور وان نحاتنا سموا هذا الحرف هاء التنبيه جهلاً منهم للحقيقة التي اكتشفتها انت . ونحن نقول يا ليتك صبرت حتى اعدت النظر فيما خطر لك وروّيت في فكرتك هذه قبل ان اذعتها فان سماء الفكر كالسماء التي فوق رؤوسنا والخواطر التي تمرُّ

(١) والهاء العبرانية المتطرفة هي الالف المقصورة في العربية

في هذه كالفيوم ذات الالوان الجميلة التي تمرُّ في تلك لا تلبث احياناً كثيرة أن تنقشع وهيهات ان ترجع كما كانت اولاً

وقبل ان اذكرك بما لا اظنه يخفى على علمك عند تروّيك اسألك هل وجدت احداً من المشتغلين بمثل بحثك بين علماء الفرنساويين او الانكليز او الالمان او الايطاليان يقول بقولك هذا اي بردّ ضمير الغيبة وادوات التعريف في العربية وغيرها الى فعل الوجود العبراني اصلاً لها جميعها .انا اشكُّ في انَّ احداً يقوى على هذا القول او يقدم عليهِ غيرك

ايها المحترم انت تعلم من غير ان اذكرك أن ثم مذهبين في اللغة مذهب التوقيف ومذهب النشوء والارتقاء . اما مذهب التوقيف فقد جاء عنهُ في كتابنا نحن المسيحيين ما يأتي :

وجبل الربُّ الإلهُ من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فاحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا بهِ آدم فهو اسمها فدعا آدم باسم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية .واوضح من ذلك ماجاء في كتاب اخواننا المسلمين. (وعلم آدم الاسماء كلها . . .) « ٣١ البقرة » . . .) . الواضح من هذين الاقتباسين انَّ الذين يأخذون بمذهب التوقيف يرون ان الاسماء قبل الافعال . والضمير من الاسماء ومن اقدمها واخصها . وهذا عند الممتحن ينافي ما زعمتهُ اي ان ضمير الغيبة مقتطع من هوه او هيه « الفعل المات في العربية والدال على الوجود المطلق »

واما اذا ذهبت مذهب النشوء والارتقاء فما اظنهُ يخفى على علمك ان هذا المذهب يقدّم الاصوات الطبيعية الدالة على الانفعالات والاعراض النفسانية على الاسماء والافعال والحروف ولا تزال لغة العجاوات مقصورة على هذه الاصوات . ثم اضيف اليها الاشارة ولا تزال الاصوات والاشارات اهم جزء في لغات بعض منحطّي الشعوب الهمجيَّة لحد هذه الساعة وقلَّما عندهم من المجرّدات العقلية .ولعلَّ معظم افعالهم ما اخذوهُ عن الاصوات الطبيعية او ما اشتقوهُ عنها واقرب ما يُمَثَّل بهِ قاقَت الدجاجة وزقزق العصفور

واكثر الاصوات دلالات هو هذا الصوت « ها » فانهُ للتنبيه وما يترتب على التنبيه بدلالة القرائن.ومن ادوات التنبيه ادوات النداء وهي آ . وأيا . وهَا . وهَيَا . واي . والهمزة وكلها تحوُّلات من « ها » والنداء بواسطة القرائن الطبيعية والعقليَّة ينقلب الى اغراء او استغاثة او تعجُّب . او تحيُّر . او تدلُّه . او توجُّع وتحسُّر . او ندبة . وكل هذه الاغراض وفوقها اغراض اخرى ومن جملتها التعريف مما يُدلُّ عليهِ بهاء التنبيه . وايُّ شيء ادل على التعريف من هذا الصوت المنبّه والاشارة . قل اعطني . ها كتابي واشر اليهِ. قل ها واشر الى زيد فتفهم من الجملة الاولى مقصود القائل باسرع

واقل كلفة مما لو قلت اعطني الكتاب ولم تشر . بل وبما لو اشرت لكن أخّرت اسم الاشارة . وتفهم من « ها زيد » مع الاشارة ما تفهمهُ من هذا زيدٌ والصورة الاولى أسهل على الذهن من الصورة الثانية اذا لم تشر بيدك او برأسك او بعينك

فالها اذن هي حرف التعريف ومع الايام انقلبت الى همزة للتخفيف وذلك من عهدٍ غير بعيدٍ كما بين ذلك العلامة جويدي في محاضراتهِ لطلبة الجامعة المصرية وجُمعت في كتاب أُرجّح انهُ وصلك واطّلعتَ عليهِ في حينهِ . على انها لا تزال على الالسنة بصورة « هل » على الاصل ولا نفطن لذلك

اذا كانت « ها » هي الاصل في اداة التعريف فمن اين اوكيف جاءت اللام في لغة مضر والميم في لغة حمير ؟

انا لا اشكّ أن قدكنا نحن واخواننا العبرانيون نستعمل نفس الاداة الواحدة اعني « ها » مدّات متطاولة غير أنّ العبران دوّنوها في اقدس الكتب واقدمها فثبتت على الالسنة كما هي واما عندنا فكانت تخفّف او تبقى على لفظها

وكانت « الها » وحدها او مخففها عندنا وعندهم على السواء ولا يزال الحال على ذلك الى الآن مع الحروف المسمّاة بالشمسيّة . فانهم كما يقولون « هشّمايم »ونقول نحن أسّماوات وامّا مع الحروف القمريّة فهم يقولون هَا « آرِص » ونحن نقول أل « أرْض » اي هم يقفون على حرف المد وامّا نحن فنقف على حرف الغنّة . وحروف الغنّة ثلاثة اللام والميم والنون ومعنى الوقف عليها انا نقلب حرف المدّ الى حرف غنّة

والحسّ يَشْهَد أن الوقوف على حرف الغنّة بدلاً من الوقوف على حركة الاشباع مع الحروف القمرية هو اسهل على النطق واشهى في السمع فليراجع كلٌّ شعورهُ في لفظ «هَابحْر وهاكْتاب» ولفظ «هَلْ بحْر وهَلِ كْتاب» او «ألْ بحْر» و «ألْ كْتاب».

انّ العبران مَنَعَهُم التدوين في كتاب مقدّسٍ مفروضٍ عليهم أن يقرأوا كل يوم آياتٍ كثيرة منهُ فتحجّرت الاداة عندهم دوننا فانها بقيت حية فتغيّرت الى ما يوافق بداهة الفطرة اي الى ما هو اسهل نطقاً واحسن او اشهى في السمع وقعاً كما ذكرنا . فوقف المضريّون على اللام ووقفتْ حمير على الميم وخُفّفت الهاء الى الهمزة ولكنها بقيت على الالسنة لحد هذه الساعة عندكثيرين ومن جملتهم فيما ارجح الاب انسطاس وإنْ لم يفطن لذلك. مَنْ لم يقل منا « أعْطني هَلِ كْتاب » . لان في الهاء ظلاً من المعنى لا يؤدّى بمحوٌلها اعني بالهمزة . ولهذا الظلّ عاشت هل ايضاً لكن على الالسنة وهم يحسبونها من قبيل استعمال العامة المرفوض عند محبي العربية والمحافظين على فصاحتها

الهمزة اداة تعريف بعد الهاء

أيها الاب المحترم . رأيناك في هذا الجزء من المقالة ربطت ضمير الغيبة بفعل الوجود العبراني هَوَه يَهْوَه[1] او هَيَه يهيه الذي قلت انهُ كان مشتركاً بيننا وبين اخواتنا العبرانيين وزعمتَ ان هذا الضمير مقتطع منهُ . وعذرك في ذلك ظاهرٌ لامكان هذا الاقتطاع بسهولة. ثمَّ زعمت أنَّ « ها التعريف المشتركة كانت بيننا وبينهم ،مقتطعة من هذا الضمير المقتطع من الفعل وهذا هو السبب في دلالتها على التعريف وقد رددنا عليك هذا واعذرني اذا قلت هذا التخبط الذي توصلت بهِ الى اكتشافك الغريب الذي صرَّحت انهُ لم يسبقك اليهِ احد ونحن نسلم لك بحق هذه السابقيَّة ونعتقد انك ستبقى فيها سابقاً ومبتكراً معاً ولك عذرك فيهِ لانك رأيتَ رابطاً لفظيًّا يربط هذه الهاء وضمير الغيبة بفعل الوجود هذا ولكن ما هو الرابط بين ما كنت فيهِ وبين ما وثبت اليهِ في هذه التريسة واليك ما قلتهُ بالحرف الواحد :وهكذا فعل اسلافنا فانهم حوَّلوا الهاء همزةً واخذوا ينطقون بها عوضاً عن الهاء .وقد شاع ذلك في نحو المئة الثالثة قبل المسيح — وقد وصل الينا من ذلك قول المؤرخين الاقدمين « اطورية » اي الجبلية بتقدير البلاد فالاطوريون « جبليُّون » واسمهم مشتقّ من الطور بمعنى الجبل نعم انَّ هناك رجلاً انتسبوا اليهِ وهو يطُور او إطُور من إبناء اسمعيل (راجع سفر اخبار الايام الاوَّل) الاَّ انك تعلم انَّ اسماء الاقدمين كانت تتخذ بالنظر الى ما سيكونون عن امرهم طالع معنى «فاشين وهابيل وشيث ويوسف الى غيرها وتُعدّ بالعشرات بل بالمئات » انتهى قولك بحرفهِ

فما دَخْل هذه القطعة هنا وعلى هذه الصورة ايضاً بالموضوع الذي كنت فيهِ ؟ واغرب منهُ ما جاء لك بعد ذلك من شرح اداة التعريف عند اليونان وصلتَ فيهِ من الهمزة الى « التاء مضافة الى حرف مصوّت هو « O » فنشأ من اجتماعهما « تو To » اما الحقيقة فاداة التعريف هنا هي التاء لاغير . اه »

ثمَّ سألت نفسك من الآخذ عن صاحبهِ نحن ام اليونان ؟ ورجّحت جانب اليونان. الاَّ انك عدت فختمت سؤالك بقولك « اما انَّ الناطقين بالضاد اتخذوا التاء اداة للتعريف في زمن من الازمان . فهذا مالا نرتاب فيهِ كما نشرحهُ لك الآن . اه »

التاء او الثاء اداة تعريف في العربية القديمة

راجعت شرحك كما هو تحت هذا العنوان عدَّة مرَّات وبكل اسف اقول لك انهُ يصعب عليَّ ان اصارحك بما شعرت بهِ بعد تلك المراجعات ولكني اكرّر هنا ما قلتهُ

(١) الهاء العبرانية المتطرفة هي الالف المقصورة عندنا

قبلاً وهو ياليتك لم تُـولَـع بردّ المفردات اليونانية واللاتينية الاحادية الهجاء او الثنائية الى اصول عربية ولا وضعت مبدأك الذي اوصلك من Volpes الى عُلْـب الى تَـعْلب او ثَـعْلب الى انّ التاء او الثاء حرفا تعريف : ثم دعمت برهانك او ايضاحك على صحة ما زعمت فجاء هذا على شاكلة كل ما سبقهُ او تأخر عنهُ في مقالتك. والى القارئ الصابر ما قلت : « وتاء التعريف بالمثنّاة او ثاءه (بالمثلثة) باقية في الفاظ كثيرة عربيّـة لا يكاد يفطن لها المتكلم لتعوُّدهِ النطق بها بلا فكرة فامثلة التاء المثنّاة التَّـتْـفَـل ومعناهُ الثعلب او كما صحّـحها كثيرون : جرو الثعلب واصلهُ « الطفل » وهو الولد الصغير من الانسان والحيوان : فلا جرم ان اصل الكلمة « تطفل » او الطفل طفل الحيوان ثم غيروا شيئاً من التركيب وقالوا تـتْـفل وخصُّـوهُ بجرو الثعلب . ثم جئتَ في آخر هـذه العبارات بما قالهُ التاج : (واللسان ايضاً) قال شيخنا اتفق ائمـة اللغة والصرف قاطبة ان التاء الاولى في اوله زائدة على ما عرف في الأوزان الصرفية اه . فهذه شهادة واضحة على ان التاء زائدة لكنهم لم يعلموا انها كانت للتعريف واخذنا اليوم نقول : التتفل « اي الـ الطفل » باداتين للتعريف اداة قديمة (التا) واداة حديثة (ال) كما يقول الفرنسويون اليوم : La Al Coran . انتهى النقل عنك بالحرف الواحد

فمن يقوى غيرك ان يستنتج كما استنتجت ويمثّل كما مثلت. أإذا كانت التاء في تتفل زائدة افيكون ذلك برهاناً على انها للتعريف ؟ واذا كان الفرنساويون يدخلون « La » على الاعلام والمعارف بلغة غيرهم افيقوم هذا دليلاً عندك على ان (ال) عندنا تدخل على المعرَّفات (بأل) في لغتنا ؟ ولم تكتف بالتتفل وهو لفظ قلما يدور على الالسنة وقلما قرأه اديب في كتاب ادب ايضاً فزعمت ان (تاء) تمساح . وترمس . وتنضب . وتذرح وترنموت . وتذنوب هي ادوات تعريف ولم تبالِ بروح العربية الساري فيها منذ القدم الى الآن اي انها لا تدخل ادوات التعريف لا على ما فيهِ « أل » التعريف فقط بل على المعارف اجمالاً . ولم تكتفي بذلك بل زعمت ان الثاء محوّلة عن التاء تكون حرف تعريف بعد ان كنت فجعلتها اسوة بالتاء في اصالتها كما هو ظاهر مما ذكرتهُ في (الرقم ٤)

واغرب ما في هذا الرقم ما ختمتهُ بهِ مما لا يمكن لي ولا لغيري فيما اظن ان يُغيّـرهُ عما اتيت انت بهِ واليك هو بحرفهِ: « بقي علينا ان نذكر معنى الثعلب فان الباحثين عن اسرار اللغة لم يصلوا الى حقيقة سبب هذه التسمية فلو علموا انها عربية الوضع لعللوا انها مشتقة من العَـلْـب وهو الرجل الذي لا يطمع فيما عنده وذلك لدهائهِ والعَـلْـب هنا كالغَـلْـب اي الغلب لكل من يناوئهُ والثعلب هو كذلك فانهُ معروف بدهائهِ حتى انهُ ليضرب بهِ

المثل: فانظر كيف ان اللغة العربية تهتك لك استار الاسرار وتفتح لك معضلات المعاني. انتهى

لا ايها الاب العلاَّمة ليس العربية هي التي هتكت استار هذه الاسرار بل انت الذي هتكتها. وهنا اقول اني استغربت منك انك اكتشفت ان التاءات الزائدة في تمساح وترمس وتنضب وتذرح وترنموت هي اداة التعريف وغفلت عن ان تحسب الياءات الزائدة في يربوع ويعفور ويعبوب ويرقود ويعسوب الخ اداة تعريف مع ان ردَّها جميعها الى تلك الاداة اسهل على الذهن واقرب الى القبول من ردّ تاء تمساح وترمس وثاء ثرملة

اللام اداة اخرى للتعريف

قلت ايها السيد تحت هذا العنوان ان سلفنا «كانوا يستعملون الهاء ما داموا مخالطين للعبرانيين. ثم نطقوا بالهمزة والتاء حينما كثر اختلاطهم باليونان ذلك لان هذين الحرفين اهون في اللفظ من الهاء فاما ان يكون السلف نفسهُ احدث هذا التغيير واما انهم تلقوه عن اليونان. لكن بعد ذلك تغلب الرومان على الشرق الادنى فاتخذوا لهم اداة اخرى لمثل تلك الغاية. وتلك الاداة هي اللام التي لم تظهر الا بعد اختلاط بني يعرب ببني الاصفر (الرومان) وانت تعلم ان ليس في اللغة اللاتينية اداة تعريف بل يستعملون اداة الاشارة Ille باختلاف صيغها اذا اضطروا الى مزيد في التعريف والتحقيق فيقولون مثلاً Ille Homo اي هذا الرجل اذا ارادوا تعريفهُ. فاستعمل السلف نفسهُ اللام التي هي الحرف البارز في الكلمة اداةً لهذه الغاية فقالوه لرجل انتهى النقل عن الاب. وبيان خطاءٍ الاب هنا مما يطيل نقدنا لحد لا يطيقهُ صبر اكثر القراء ولكني اقول ان من يتروّى مقالة الاب هذه ومقالتهُ التي ادرجها في الهلال ورددنا على بعض ما فيها لا يعجب من غرابة مكتشفاتهِ فقط بل يعجب من مقدرتهِ على عدم توخي الصراحة كانما هو قد درس فن التوجيه البياني درساً خاصًّا فيختار من ثمَّ العبارات التي يدفع بها اعتراضات الناقد مهما كانت ويظهرهُ بمظهر مَن لا يُحسِن فهم فحوى الكلام ولا اقول هذا افتراء على علامتنا العامل الفاضل فانظر كيف بدا كلامهُ في هذا العنوان بما يوهمك ان العرب اخذوا التعريف بالالف والتاء عن اليونان فلما وصل الى آخر ما جاء بهِ ليحدث هذا الايهام عاد فقال إمَّا ان يكون السلف نفسهُ احدث هذا التغيير واما انهم تلقوهُ عن اليونانيين

وهكذا فعل ايضاً لما اراد ان يقول ان العرب اخذوا التعريف باللام عن الرومان فانهُ عاد في آخر عباراتهِ فقال «فاستعمل السلف نفسهُ اللام التي هي الحرف البارز في الكلمة اداةً لهذه الغاية. ولو استمرَّ على صراحتهِ لكان ينبغي ان يقول (هذه اللام) لا «اللام» وفي «كلتهم» او لغتهم لا في «الكلمة»

واخيراً ادعى الاب ان هذا الحرف (ولكن من يعرف اي حرف يريد الاب هنا ؟) « قد وصل الينا في الرقم التي وجدها الاثريون في ديار العرب » . من ذلك الرقيم الذي وجده المنقبون عن امرئ القيس البدء واظن الاب يشير الى ما ذكره عن هذا الرقيم العلامة الاستاذ جويدي في محاضراته للجامعة المصرية المطبوعة في مجلة تلك الجامعة منذ ما ينيف عن خمس عشرة سنة

ايها المحترم ان العلامة جويدي يقول — وفي عصرنا عثر المسافرون على كتابات وجيزة خطت على الصخور في النواحي التي بين دمشق والعلى ولغة هـذه الكتابات هي العربية القديمة وتجانسها كتابة خطت على قبر ملك اسمهُ امرئ القيس الذي مات سنة ٣٢٨ ب . م ويقول ايضاً ان التعريف في كتابات العلى هو بحرف الهاء لا بالالف واللام وتاريخ هذه الكتابة سنة حرب نبط اي في اوائل القرن الثاني المسيحي كما اشرت انت الى ذلك نقلاً عنهُ في الراجح. وبنو الاصفركانوا في ذلك الحين قد مرَّ عليهم في مخالطتهم بني يعرب مئة وخمسون سنة ونيف ومع ذلك كانت اداة التعريف فيها الهاء واما الكتابة على قبر امرئ القيس البدء فيختلف ما ذكرتهُ انت عنها عما ذكره العلامة جويدي . أأنت قرأت او نقلت

تي نفس مر القيس بر عمر ملك العرب ذو اسر التاج وملك الشعوب ووكلهُ لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغهُ. واما العلامة جويدي فيقول عنها انها مكتوبة بالاحرف النبطية ولكنهُ يكتبها بالعربية وقد كتبها هكذا

في نفس امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهُ ذواسر التاج (أَسَر . لَبس) وملك الاسدين ونزار وملوكهم وهرب مذحج — وملك ابنهُ (وهنا اسمان لا يقرآن) الشعوب ووكلهم فراس للروم (وكلهم جعلهم) فلم يبلغ ملك مبلغهُ هلك سنة ٣٢٨

يظهر ايها الاب ان قراءة جويدي لا تتفق مع قراءتك في ادخال اللام على (فرس) وتكتبها (فراس) ومن الفعل وكلهم اي جَعَلهم قبلها يظهر ان اللام في (للروم) هي حرف الجر المعروف لا اداة التعريف والذي اراه انا ايها الاب (١) ان قراءة العلامة جويدي اتم من قراءتك وأخلص من شائبة الغرض الظاهرة اظلالهُ في قراءتك او نقلك (٢) لي رأيي الخاص في قراءة اللفظة التي صوَّرها العلامة جويدي هكذا (فراس) واليك هو

ان في الخطّ النبطي المكتوب فيهِ هذا الاثر صورة واحدة للقاف والفاء ومثل ذلك للسين والشين وهو خلوٌ ايضاً من علامة التشديد . وبناءً على ذلك يصح في هذه الصورة اي « فراس» ان تقرأ فراس. وفراش وقراس وقراش وكلها بالتشديد او بدونهِ وبفتح

الحرف الاول او ضمّهِ او كسرهِ . وعندي اقتضاء للمعنى الذي يناسب الفعل ، وجعلهم ، يجب ان نقرأها قُرّاش للروم. وقُرّاش جمع قارش اسم فاعل من قرش لاهله اي كسب او تجر ويكون معنى الرقيم ان ابن امرء القيس الذي ملك الاسَدَيْن ونزار جعلهم اي الاسدين ونزار وملوكهم تجّاراً للروم كما كانت قريش قبل الرسالة بل قبل زمان هاشم جدّ الرسول تجّاراً للروم فانهم اخذوا من الروم الايلاف اي الاذن بالتجارة: فكانوا وهم تجار الحجاز بل العربية في ذلك الوقت يحملون تجارة اليمن وحضرموت ونجد وارض البحرين الى سوريا وفلسطين كما كان التدمريون من قبلهم . ولا شك ان ملوك الحيرة من اللخميين كانوا وكلاء على تجارة الروم يحملون العرب على نقل رقائق الهند واطياب حضرموت وذهب اوفير (ارض وبار) وارض بني عقيل ولؤلؤ البحرين من فُرَض خليج فارس الى تدمر ومن هناك الى الروم وربما كان عملاؤهم يسيّرون اليهم هذه الواردات واخصّها رقائق الهند واطياب حضرموت وخيرات اليمن عن طريق عدن الى العقبة ومنها الى سالع او البتراء

(٣) واخيراً اختم مقالتي هذه التي قد طالت جدًّا بفضل مدَّعيات علامتنا الاب انستاس وذكرهِ الآراء المتضاربة جنباً الى جنب على طريقة لا يضارعهُ فيها احد كما اشرنا الى ذلك .ومع انتقادي الشديد هذا على مدّعيات الاب في مقالتهِ هذه لا ازال من العارفين مقدار علمهِ وادبهِ وفضلهِ

جبر ضومط

عن الجامعة الاميركانية في بيروت

في سبيل العربية

نشرنا في غير هذا المكان من (المقتطف) مقالاً ضافياً للدكتور ابي شادي استعرض فيهِ اهمَّ المباحث الشاغلة للاذهان في هذا الوقت عن نهضة اللغة العربية ، وقد عقب عليهِ بنقط تمثل خلاصة بحثهِ رأينا ان ننشرها مستقلةً في هذا الباب لتكون اساساً للمناظرة او المناقشة لدى من يشاء من الباحثين والكتّاب. وهذه هي خلاصة البحث كما دوّنها:—

(١) يُرتقب ان تنشأ لغةٌ عالميةٌ بين اللغات الذائعة ، والراجح انها سوف تكون اللغةَ الانجليزية ، بيد انَّ هذا لن يحول دون استمرار اللغات القومية ، كما انَّ حبَّ اللغة الوطنية لا يعني التجرُّدَ من الروح العالمية او ضعفها

(٢) اللغة العربية لسانُ حيٌّ عظيمٌ ، ولها قدرةٌ مدهشةٌ على التوطُّن وعلى التكيُّف الاقليمي، فكونها لسانَ الامم العربية جمعاء لا ينافي اتخاذَها لساناً وطنيًّا لكل

أمةٍ من تلك الامم، مصطبغةً في كلٍّ منها بالصبغة الوطنيّة التي تلائمها، كما هو شأن تكيف اللغة الانجليزية في بريطانيا وفي اميركا مع ان الاصل واحد

(٣) الجمودُ نحو انعاش اللغة الوطنية والاستهتارُ سيّان في اضعافها، دون ان تكون من وراء ذلك ادنى فائدة للثقافة العالمية ولا لخير الانسانية، لانّ الطبيعة البشرية لن تكتفي بلسانٍ مشتركٍ بل لن ترى مُغنياً عن الالسنة القوميّة لتكون مستودع اسرار الامم وملجأ احلامها وهمومها وامانيها، فالخيرُ كلُّ الخير في تفهُّم هذه الحقيقة حتى لا نضيّعَ جهودَنا عبثاً، فنصون كرامة اللغة وكرامتنا

(٤) العنايةُ الحقّةُ باللغة تُحتّم ان تشمل جزئيّاتها وكليّاتها على السّواء في جميع المظاهر، لان التهاون في المسائل الجزئية قد يؤدّي تدريجيًا الى افساد الكليات. ومن اجل ذلك تكون اصابةُ الرأي والرجاحة في ان نحفل بكلّ ذي مساس باللغة من خطٍ وترقيمٍ وطبعٍ وانشاء وتأليف الخ. لان كلّ هذا من المظاهر التي لها اثر في مكانتها بين اللغات بل وفي حياتها

(٥) لا فائدة من المباهاة بسعة العربية ومن التعلّق بذلك إذ لا جدوى من هذه السّمة النظريّة، وانما الفائدةُ الصحيحةُ والفخرُ المعقول يتّصلان بنشاطنا في تطويع اللغة وحسن استعمالها وسعة تطبيقها في غير تنطّعٍ او جمودٍ. ولغتُنا رحبةٌ طيّعةٌ، جديرةٌ بالثقة بها، وقادرةٌ على مجاراة العصور كما يدلّ ماضيها الباهر في مدنيّات شتى. فان كان ثمّتَ قصورٌ فهو في طباعنا واذهاننا، وليس التعلّق بالفخر الكاذب الاّ نوع من القصور. وليست مجاراةُ الزمن عيباً، ولا حرج منها على اللغة، ولا مساس بكرامتها، وحسب مَنْ يشكّون في ذلك ان يتأملوا جهودَ جمعية فقه اللغة الانجليزية للتوفيق ما بين الهجائين الانجليزيّ والاميركيّ لاجل مصلحة اللغة ذاتها، دون ان يُعَدّ ذلك ماسًّا بكرامتها في شيء

(٦) تأليفُ المجامع اللغوية امرٌ ضروريٌّ لبثّ الحياة الدائمة في اللغة، وانما يتحقّق ذلك متى كانت هذه المجامعُ نيابيةً تمثّل بيئات الثقافة المتنوعة وتعبر عن آرائها وتحقق رغباتها، لا ان تكون محافل تعيينية لا صلة لها مباشرة ببيئات العلم والادب الفعالة وكل ميزاتها أنها صورة ما تقضي بهِ رغبات الحكام وحدهم!

(٧) القاعدة التقليدية في انشاء المجامع اللغوية ثم تقسيم هيئاتها الى لجانٍ اختصاصية صورية يُنافي طبيعة حاجتنا الملحة، إذ الواجب أن تكون هذه اللجان هي الاساس في صورة هيئات خارجية محترمة كلٌّ منها متخصصةٌ بعلمٍ او فنٍّ او ادبٍ، ثم يختار منها

المندوبون لتأليف المجمع اللغوي الذي يكون بهذه الكيفية مجمعاً نيابيًّا مسموع الكلمة قويّ النفوذ شديد الصلة بثقافة عصره عظيم الاثر فيها ، وللمجمع بعد ذلك أن ينظّم كيانه وان يوزّع جهوده كما يشاء ، ما دام الاساس النيابي الصالح محققاً

(٨) في الامكان عمليًّا توحيدُ جهود المجامع اللغوية في العالم العربي عن طريق المؤتمرات فضلاً عن المراسلة ، وقد خطت فعلا لجنة الاصطلاحات العلمية (للجمعية الطبية المصرية) الخطوة الاولى في هذا السبيل . وتدلُّ الظواهر على وجود رغبة عامة صحيحة في تحقيق ذلك ، وهذا ما يؤيدهُ اختباري الشخصي

(٩) لم تنشأ مشكلة الترجمة والتعريب وما يحفُّ بها من عقبات ومثبطات للعاملين الا من تدخل غير المتخصصين في ما لا يعنيهم من شؤون اللغة ، وبذلك يسيئون الى اللغة التي يدّعون الغيرة عليها كما يسيئون الى النهضة الفكرية . ولو اننا عنينا بتأليف الهيئات الاختصاصية المتنوعة وبتدعيمها وحفظنا لها وحدها الكلمة العليا في ما يخصها من ذلك لَحُلّتْ المشكلة ووفر الانتاج واستفادت اللغة وشتىَّ العلوم والآداب ولهانت بعد ذلك اعباء المجامع اللغوية ، إذ سيكون جُلُّ العمل موكولاً الى تلك الهيئات وفي مقدمة ذلك تأليف المعاجم العلمية والفنية والادبية المتنوعة ، ولا تكون وظيفة المعاجم سوى توحيد الجهود ، والهيمنة اي الاشراف الاعلى عليها ، والتنظيم والاقتراح ، والحكم بينها في مواضع الاختلاف ، وتنفيذ رغباتها الناضجة في غير تعثر او إبطاء

(١٠) آن الأوان لخير اللغة والعلم معاً بأن نعترف (أسوةً بجميع الأمم المثقَّفة) بوجوب استعمال لغتين علميتين : الاولى ذات مَسْحَةٍ أدبية قومية لتستفيد منها جمهرةُ المتعلمين من الحركة العلميَّة المتواصلة، والثانية ذات مسحة دولية قوامها التعابير والمصطلحات العلمية الصميمة المتعارف عليها بين جميع الامم الراقية لاجل خدمة المتخصصين بهذه العلوم ولاجل خدمة اللغة العربية العلمية ذاتها . وبناءً على ذلك تكون الترجمة العلمية الادبية لنشر العرفان العام غير اللغة العلميَّة الصميمة لخدمة اصول العلم ودقائقهِ في غير ما التباس . وعلى هذا النحو جرت جميع الامم القوية في عصرنا الحاضر، وكلها تعتز بلغاتها كما نعتز بعربيتنا، ولم ترَ في ذلك الاَّ خير العلم والادب والانسانية . واما الاستشهاد بأساليب القدامى فينافي بتاتاً ما تحتمهُ نهضة هذا العصر التي تثب وثوباً فوق كل خيال ، بحيث اتسعت دوائر البحوث العلمية اتساعاً هائلاً جعل قانون الاصطلاحات الدولية العلمية امراً لا مفرَّ منهُ توحيداً للجهود وحرصاً على نفائس العلم ، فان أبينا ذلك فنحن وحدنا الخاسرون

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مقام العلم في تهذيب المرأة

خلاصة الخطبة الانكليزية النفيسة التي القتها الآنسة اليس مرشاق في الحفلة التي اقامتها كلية البنات الاميركية بالقاهرة لتوزيع الشهادات على مستحقاتها في آخر مايو الماضي

في خلال حديث دار بين مدام كامپان والامبراطور نبوليون قال الامبراطور : ان طرق التعليم القديمة لا تجدي نفعاً . فماذا يلزمنا لكي نعلم الشعب تعليماً وافياً ؟

فاجابت مدام كامپان : « امهات » !

فوقع الجواب موقعاً حسناً لدى الامبراطور فقال : هـذا نظام كامل للتعليم في كلمة واحدة . فلتوجَّهْ عنايتك لتدريب الامهات حتى يعرفن كيف يعلمن اولادهنَّ

***

ايها السادة : ليست الغاية من حياة المرأة ان تكون زينة لحياة الرجل في ساعات فراغه ولا ان تكون خادمة خاملة خالية من قوى الشعور والتفكير . انها تحيا لنفسها كما تحيا لغيرها. والتبعات الكبيرة التي تلقى على عاتقها في ميدان الحياة تحتاج في القيام بها الى العقل المثقف والقلب العطوف. انها لا تستطيع ان تحقق الغرض الاسمى من كيانها بالمزينات التي تمرُّ مر السحاب مهما عظم ما تنفقهُ المرأة في سبيلها من الوقت والمال. لان هذه المزينات وان حبَّبت جمالها وشبابها روعة ورشاقة لا تغني فتيلاً في شؤون الحياة العملية . وما اكثرها في البيت والمجتمع !

واذا نظرنا الى الموضوع نظرة اجمالية وجدنا ان اساليب التعليم التي توافق احد الجنسين توافق الجنس الآخر كذلك . والثقافة التي يتثقف بها عقل الرجل تصقل عقل المرأة وتهذب نفسها . وكلما ارتقت قوى الاثنين — العقلية والنفسية — ارتقاء متناسباً انتظمت اعمال الاجتماع وتمهد السبيل الى الرقي العام

البيت — مملكة المرأة . وهو الركن الذي تقوم عليهِ الحضارة الحديثة . اذ فيهِ يتلقى كل مولود ، فتى كان او فتاة اعلى مبادئ الخلق والادب او اسفلها . انهُ يتأدب هناك بادب يلازمهُ في حداثتهِ وشبابهِ وكهولتهِ ولا يفارقهُ الاَّ عند مفارقة الدنيا

***

ان العناية الالهية تمهد بصحة النشء الجديد الى المرأة .فهما تبلغ من اسمى درجات المحبة والتفاني والعطف لا تستطيع ان تكون ذات اثر مفيد فعال في هذه الناحية من نواحي الحياة البيتية والقومية الاَّ اذا استعدت استعداداً علميًّا وعمليًّا للاضطلاع بعملها الخطير . انها لا تستطيع ان تجعل بيتها مقراً لنعَم الصحة—صحة الجسد وصحة العقل وصحة الادب— اذا لم تجري على مقتضى الشرائع والنواميس الطبيعية التي حققها العلم واثبتها . ان الجهل بهذه الشرائع والنواميس—الجهل بالحقائق الاساسية عن تركيب الجسم البشري ووظائف اعضائهِ— الجهل بفوائد الهواء الطلق والماء النقي وقواعد الطعام المغذي —كل اولئك اسباب ترجع اليها وفيات الاطفال المروّعة في انحاء العالم، مع ان التقدم الحديث في فرعي الطب المنعي والعلاجي قد مهّد امام الاطفال الذين يولدون في هذا العصر سبيل الحياة الطويلة المفعمة بنعم الصحة . فيجب على كل امرأة ان تفهم فهماً صحيحاً تلك العلوم التي تعلمنا كيف نحفظ اجسامنا وعقولنا — واجسام الذين نعهد اليها بهم وعقولهم — في اكمل حالات الصحة والنشاط . هذه العلوم تحسب الآن ركناً اساسيًّا من اركان التعليم الحديث في مدارس الاولاد والبنات على السواء

***

على ان الانسان لا يحيا بالخبز وحدهُ . وفي البيت عناصر اخرى تؤول الى توفير اسباب البهجة والسعادة لا يمكن ان يوفرها الاَّ عقل امرأة قد تثقف باساليب الثقافة العلمية . فدرس الطبيعة مثلاً ، يكشف للمرأة ولاولادها بواسطتها عن عجائب السموات والارض من جهة،وعن غرائب الحياة في انواع النبات والحيوان من جهة اخرى .وهذه الحقائق هي الركن الذي تقوم عليهِ أصول التربية الفنية التي لا يستغني عنها في هذا العصر انسان مثقف . وعلاوة على ذلك ان درس الطبيعة يشيع في نواحي البيت نور البهجة والحبور الذي لا يستمدُّ الاَّ من فهم صحيح لطرق الباري في خلقهِ

***

ولا تنحصر فائدة العلوم للمرأة في البيت والرجل والاولاد بل تتعداهم الى قومها .

ففي كل ميدان من ميادين الحياة العامة تستطيع المرأة ان تتولى زعامة الاصلاح الاجتماعي في كثير من اخطر نواحيه. لقد قيل حقاً ان الفضل في سن قانون منع المسكرات في اميركا وتطبيقه الى حدّ بعيد يعود الى جمعية نسوية تدعى جمعية الاعتدال النسوية المسيحية

ان مقام المرأة الخاص في البيت، وسيطرتها على تهذيب اولادها وتعليمهم، وحرصها في تناول نفقاته وحفظ ميزانيته تمكنها من ان تدرك — كما لا يستطيع غيرها — ان البيت الهنيء يجب ان يكون بيتاً خالياً من شرور السكر. هذه الصفات تؤهلها بصفة خاصة لمقام الزعامة في مكافحة شر المسكرات وهو من اعظم الشرور التي مُني بها العمران

وزد على ذلك ان اصلاح السجون وانشاء مراكز العناية بالاطفال والملاعب الخاصة بهم للعب والنزهة ووقف الاموال على المستشفيات الخاصة لتوليد الامهات الفقيرات وتأسيس الجمعيات الدولية للتعاون على مكافحة الشرور الاجتماعية وانشاء جمعية الصليب الاحمر التي قدستها المرأة باستعدادها للبذل والخدمة — كل هذه وجوهٌ من وجوه الاصلاح لا تبعث فيها معاني الحياة والنشاط الاّ اذا عنيت بها نساء تفهم فهماً علميًّا صحيحاً خطر الشرور المختلفة التي يجب القضاء عليها. هذه طائفة من اعمال الاصلاح في كل مجتمع حديث تفسح امام المرأة المتعلمة ميدان الزعامة والخدمة

***

ويكفيني القول في هذا المقام ان العمران الحديث انما هو نتيجة من نتائج التفكير العلمي. فالماء الذي نشربهُ والطعام الذي نغتذي بهِ والدور التي نأوي اليها وكل وسائل المواصلات والمخاطبات التي تربط الافراد والشعوب، بل وكل الوسائل المتبعة في تعليم الصغار وتهذيبهم واعدادهم لميدان الحياة والعمل — كل هذه الاركان وكثير غيرها من وسائل الحضارة انما هي نتيجة التقدم الحديث في المكتشفات والمخترعات وللمرأة في كلٍّ منها مكانة خاصة وأثر خطير

هذا هو النداء الذي يوجههُ العمران الى المرأة

لحالتها الخاصة اكبر اثر في حالة قومها العامة. بل ان حالتها عنوان لحالة قومها. فحيث تراها جاهلة ترى الشعب جاهلاً بوجهٍ عام. وحيث تراها متنورة متعلمة ترى المجتمع راقياً. اذ لا يستطيع قوم ان يرتفعوا عن مرتبة وضعوا فيها نساءهم

لذلك اذا علّمتَ المرأة فقد علمت الرجل. واذا وسعت امامها آفاق الحرية العقلية فقد مهدت سبيل الحرية العقلية لشعبها. فالبيت وحدة الامة. والشعب نسيج الامهات

الاجازة الصيفية : سر الصحة والجمال

الرياضة والنوم



جاء فصل الصيف واخذ سكان القاهرة وغيرها من مدن الشرق يهجرونها الى المصايف زرافات ووحداناً . فنهم من يقصد الى اوربا ليمكث في مدن المياه المشهورة فيها او في المصايف البحرية ليستفيد من الرياضة في الهواء الطلق او الاستحمام في ماء البحر . ومنهم من يقصد الى الجبال جبال لبنان او جبال سويسرا او غيرها من جبال اوربا . ومنهم من يكتفي بالذهاب الى شواطئ الاسكندرية او بورسعيد او رأس البر . فكيف تنوي ان تقضي اجازتك يا سيدي الكريم ? هل تنتقل من مقرّ عملك حيث تتقيد بقيوده الكثيرة الى مصيف تتقيد فيه من جديد بقيود اخرى من الزيارات والسهر وحضور الحفلات المختلفة. اذاً فالاجازة لا تجدي نفعاً سواء اكانت في الاسكندرية او في صوفر او في شاموني اذ لا يجب ان ينظر الناس الى الاجازة نظرهم الى مدة يكسبون فيها صحة بالكيلو . ان الصحة لا تقاس ولا توزن فهي انتظام في وظائف الاعضاء واستجمام للقوى وهذا الانتظام لا يجيء الاّ عن طريق الحرية تطلق للاعضاء فتنام حين تشعر بالكرى اخذاً بمعاقد الاجفان وتستيقظ حين تشعر انها اخذت كفايتها من الراحة وتتروض على رمال الشاطئ او في الاودية والجبال وصاحبها باسم ضاحك خالٍ من هموم الدنيا . فاذا انت فعلت ذلك فاجازة اسبوعين تقضيها على ما تقدم اكثر فائدة لك من اجازة شهرين تقضيها في بلدة يؤمها الكبراء فيقضى عليك أن تعيش فيها عيشاً احكم قيوداً وانقل ظلاً من عيش المدينة والعمل الذي فررت منهُ

وما يصحُّ على الرجال يصحُّ على النساء كذلك . فليس شيء كالطبيعة يزيد الجمال . والتروض في الهواء المطلق يكسب الوجه لوناً وبهاءً يغنيانهِ عن المساحيق والادهان ويعدّل القد حتى يصير اجمل مما يصيره المشد . ومن اراد ان يكون طلق المحيا يتدفق البشر من وجههِ فعليهِ ان ينظر في امر جسمهِ ويجعلهُ نشيطاً بالرياضة. واليق رياضة بالمرأة المشي الذي يكسبها الرشاقة وخفة الحركة وحسن التثني فضلاً عن تورُّد الوجنتين . على انهُ يجب ان يجعل المشي لنظام مخصوص لكي ينفع النفع المطلوب . واللباقة والخفة في

المشي والحركة من مقوّمات الجمال المهمة ورب حسناء ذهبت قباحة مشيها وثقل جركتها برونق حسنها ورب امرأة يقربها لين تثنيها ولباقتها من القلوب مع انك اذا نظرت الى صورتها الفوتوغرافية لم ترَ فيها شيئاً يجعلها من الجميلات. ففي الجمال شيء غير اللون وحسن التكوين . وكثيراً ما تسحرك راقصة على المرسح بخفة حركتها ولباقتها فاذا رأيت صورتها لم تجدها فتانة كما تصورت. فعلى المرأة ان تعرف كيف تحرك يديها وتدير رأسها وكيف تقعد وتقوم . ولا شيء يكسب الرشاقة واللباقة والخفة في الحركة مثل الرياضة البدنية المعتدلة في الهواء المطلق اما الافراط في التروض فيضر بالجمال . فاذا ذهبت سيدتي لقضاء الاجازة الصيفية في بلد من البلدان فلا تهملي ترويض جسمك بما يتاح لك فيهِ من اسباب الرياضة ووسائلها. ولتكن الرياضة معتدلة وليكن اقبالك عليها اقبالك على عمل سارّ. فاذا اصبحت تنظرين الى الرياضة نظرك الى واجب يجب قضاؤه فقدت اهم مزايا الرياضة واهم فوائد الاصطياف

والنوم الكافي ضروري لبهاء الطلعة ورونق العينين. وما من احد الاّ ويعرف ضرورة النوم واهميتهُ ومع ذلك يخسر كثير من الفتيات عافيتهنَّ وجمالهن بقلة نومهن. فمن كان عليهِ ان ينهض باكراً وجب عليهِ ان لا يطيل السهر ومن كان عليهِ ان يطيل السهر كالممثلات فعليهِ ان لا ينهض باكراً . ومن يقضي يوماً كاملاً من كل اسبوع في النوم تتحسن صحتهُ ويزداد مظهرهُ رونقاً . وتسهل الاشارة بالنوم ولكن كيف السبيل الى ذلك اذا كان الانسان يقضي وقتاً طويلاً مستلقياً ولا يغفي. ففي مثل هذه الحال قد تفيد اشارة الدكتور الكسندر بريس وهي « اجعل جسمك في الوضع الذي ترتاح اليهِ اكثر من غيرهِ وهو عادة الاستلقاء على الجانب الايمن مع انحناء قليل في الركبتين. ثم اطبق فمك من غير ان تضغط شفتيك وارخ فكك الاسفل ولسانك واغمض عينيك غمضاً غير عنيف واجعل غطاءك الى ما فوق اذنك اليسرى وبذلك يمتنع احساسك بالنور والصوت وترخي بعض عضلاتك . ثم ابدأ بارخاء عضلاتك الاخرى بادئاً بعضلات القدمين فعضلات الرجلين فعضلات الفخذين فعضلات الذراعين وذلك بتصورك العضو الذي تريد ارخاء عضلاته جاداً ملقى في الفراش ثم تخيل ان عينيك تنظران الى بُعد . فتتجهُ افكارك باجمعها الى ارخاء العضلات ولا تلبث ان يبطل عملها وتسكن مخيلتك فتغفي »

ان الاجازة الصيفية حيثما تقضى يجب ان تمكن الانسان من ان ينام نوماً كافياً لا يتخللهُ اضطراب او انزعاج . فبالرياضة المعتدلة في الهواء الطلق ونور الشمس المنعش والنوم الكافي الخالي من القلق تستجمّ القوى وتنتظم وظائف الاعضاء ويكسب الانسان قوة ونشاطاً فيعود بهما الى عمله شاعراً انهُ السيد الذي تنقاد لهُ الامور

مصل جديد

اخترع في فرنسا مصل جديد حلَّ محل الدم الذي يلقنهُ الاطباء للمرضى في معالجة كثير من الادواء — فقد أُعلن حديثاً في اجتماعٍ عقدهُ المجمع العلمي الفرنسي أن الدكتور (ليون نورمه) الجراح بالجيش استنبط مصلاً يضاعف عاجلاً عددكريات الدم الحمراء في جسم مريض . ويقال ان قاعدة المصل المشار اليهِ بعض أملاح من حامض الليمون . ذلك ان الاطباء أُدركوا بالاختبار ان عملية نقل الدم من شريان شخص سليم الى شريان سقيمٍ لا تنجح اذا كانت كرياته في دم المعطي تختلف عنها في دم المعطى فاذا لم يحقق الطبيب من نجاح العملية قبل اجرائها استعمل هذا المصل مكان دم المعطي

ويتوقع الخبراء ان هذا المصل لا يستغنى بهِ عن النقل الدموي حيث يتفق دم الواهب مع دم الموهوب لهُ في نوعهِ . الا انهم موقنون بنجاحهِ في انقاذ حياة بعض المرضى الذين لا يجدون مانحاً يمنحهم دماً نقيًّا من ادران الاوصاب وكذا حين يكون القيام بعملية التلقين الدموي في الحال من المحال . وقد اختبر هذا المصل في مائة كلب فقدت مقادير كبيرة من دمائها فابلَّ ٩٥ كلباً منها . ويزعم المطلعون ان تجربته في الخلائق البشرية قد اسفرت عن النجاح . وقد اخذت تستعملهُ طائفة من مستشفيات باريس

حديث صحي — العناية بالاطفال

لباس الطفل

كريم — ارجوك ايها الصديق ان تقول كلمة في ثياب الطفل وانواعها وما يلائمهُ منها في فصل الصيف والشتاء فالآراء فيها متباينة

الدكتور — فائدة الثياب للطفل تكون على قدر مناسبتها لجسمهِ تمام المناسبة فالضيقة تزعجهُ وتقيِّد حركات صدرهِ واعضائهِ في حالتي التنفس والحركة وتضغط على معدتهِ واحياناً تكون السبب في اثارة القيءِ بعد الرضاعة وامتلاء المعدة. والواسعة تزعجهُ ايضاً فانها تتجعد وتنطوي طيات غير متناسقة تحت جسمهِ وهذا التجعد يحدث في الجلد ما يشبهُ القروح

واذا استعملت الدبابيس في بعض ثيابهِ فالحذار لئلا تسبب لهُ المأمن خدش تحدثهُ في الجسم

وفي سائر الاحوال يجب ان يكون قميصهُ من الفانلا الناعمة وكذلك رباط بطنهِ ويجب ان تغطى قدماهُ ولكن من غير ان تتقيَّد حركاتهما بهذا الغطاء وفي الصيف يجب ان تكون ملابسهُ قطنية ناعمة رقيقة اما في الشتاء فصوفية ناعمة ويشترط ان يلبس الطفل وهو ملقى على فراشهِ او في حجر والدتهِ

كريم — اية فائدة من حزام البطن

الدكتور — انهُ يسند جدار البطن ويقويهِ ويمنع حدوث فتاق وحتى نضمن هذه الفائدة يجب احكام وضعهِ على البطن فنشبكهُ بالقميص من فوق وبالرفادة من اسفل ونجعله عريضاً بمقدار البطن

كريم — كم تقدر مدة استعمال الحزام

الدكتور — يستبدل بهذا الحزام القطني آخر كتاني اضيق منهُ قليلاً في نهاية الشهر الثالث ومدة استعمال هذا تطول الى ١٨ شهراً

كريم — كثيراً ما يقع نظري على سيّدةٍ تحمل طفلها وكانها تحمل رزمة ملفوفة من البفتة السمراء ومربوطة بأقمطة مزركشة الالوان ولولا بروز قدمي الطفل من طرفها الاسفل لما كان يتبين لاحد انها تحتوي على طفلها فهل من تعرية قدمي الطفل فائدة صحية

الدكتور — ليس من فائدة صحية في تعرية قدمي الطفل سواء كان ذلك في الصيف او في الشتاء وهي عادة متأصلة في الام المصرية اجهل تاريخ اتصالها بها وانكر فائدتها ان كان احد يظن ان لها فائدة بل اقول انها مضرة ينشأ عنها الزكام والمغص المعوي والاسهال وغير ذلك من الامراض المزعجة الخطرة. كذلك ليس من فائدة صحية في لف الجسم وتطويقه بكثير من الثياب الغليظة بل في هذه العادة ايضاً ضرر جسيم والغريب ان معظم الاطفال في مصر وغير مصر يرتدون ثياباً تزيد اضعافاً على ما تحتاج اليهِ اجسامهم منها

دميانة — كيف نعتني بالفوط

الدكتور — يجب استبدال الفوط او الروافد حال اتساخها او بلها والروافد المبلولة تحفظ في وعاء محكم الغطاء وتغسل في اول فرصة تسنح

دميانة — هل نستعمل فوطة مبلولة مرة ثانية قبل ان نغسلها

الدكتور — لا شك ان استعمال الفوطة مرتين قبل غسلها يسبب تسميطاً وطفحاً مزعجاً فتغييرها عند ما تبتل او تتسخ احفظ لسلامة الطفل واضمن لراحتهِ

دميانة — هل من شروط تذكر هنا في غسيل الفوط

الدكتور — اهم شروط يجب السير عليها في غسيل الفوط هي ان لا تترك حتى تنشف باوساخها بل يجب ان تغسل في الحال غسيلاً يزيل عنها القذارة ثم تحفظ في المكان المعد لها الى ان يتسنى للمربية او الوالدة غسيلها وتنظيفها كما يجب وفي جميع الاحوال يجب ان لا تستعمل الفوط الرطبة

الدكتور شخاشيري

باب الزراعة والاقتصاد

انضاج الثمار بالغاز

كان اهل الصين في العصور القديمة ينضجون الفواكه ومنها الكمثرى الفجّة بوضعها في غرفة محكمة ثم حرق البخور حولها . فاقتبس علماء هذا العصر ذلك الفن فاخذوا ينضجون الاثمار المختلفة الأنواع بطرق صناعية شتى تقوم بقطف الفاكهة من أشجارها قبيل نضجها ثم اتمام الانضاج بالوسائل الصناعية العاجلة لتكتسب الفاكهة رونقاً وجودة من الطعم فينتفع الزراع ببيعها مبكراً

ومما استخدم لهذه الغاية غاز الإثيلين فنجح نجاحاً باهراً — وقد قام بتجاربهِ الاستاذ ور . ب . هارفي من أساتذة مدرسة مينسوتا الجامعة وغيره من العلماء متوخين تسهيل الطريقة ما أمكن كي يستطيع غير العلماء مباشرتها بنفقات قليلة وقد اشرنا الى تجاربهِ ونتائجها في مقتطف اغسطس ١٩٢٧ صفحة ٢٣٧

وقد تسنى انضاج الموز والطماطم والكرفس والاناناس والسنطاوي والبرتقال والليمون البنزهير والليمون الاضاليا والليمون الهندي بهِ فجاءت من اشهى ما يؤكل

اصلاح الارض وتحسينها

٢

قد وضعت وزارة الاشغال جدولاً باقطار مواسير الفتحات التي تجيز للملاك وضعها على نفقتهم بالترع والمصارف العمومية افماماً ومصبات للمراوي والمصارف الخصوصية — محررة بنسبة الاطيان المنتفعة منها في الوجه البحري ومصر الوسطى عدا الفيوم وستذكر بعد. وقد اثبت الجدول فيما يلي وبازائه القطاعات المناسبة للمراوي بالجهات الشمالية والجهات الجنوبية ومثالها مصر الوسطى محررة بمعرفة محمد بك الالفي من كبار مهندسي وزارة الاشغال بعد تعديلات اجريتها فيها لتتقارب ومشاهداتي الخاصة — هذا عدا ما يجب ان تكون عليه تلك القطاعات مع سائر الظروف التي ستذكر عقب الجدول

قطاعات المراوي

قطر الماسوره بالسنتمتر	مقدار الاطيان بالفدان	في الجهات الجنوبية بالسنتمتر: العمق	القاع	القمة	في الجهات الشمالية بالسنتمتر: العمق	القاع	القمة	الميل
١٠	١٠	٣٠	٣٠	٦٠	٣٠	٣٠	٦٠	
١٢ر٥	٢٠							
١٥	٣٠	٣٥	٣٥	٦٠	٤٠	٤٠	٨٠	الميل ½ الى واحد
١٧ر٥	٤٥							
٢٠	٦٥	٤٠	٤٠	٨٠	٥٠	٥٠	١٠٠	
٢٢ر٥	٨٥							
٢٥	١١٠	٤٠	٤٠	١٠٠	٥٠	٦٠	١٣٥	الميل ¾ الى واحد
٢٧ر٥	١٣٥							
٣٠	١٦٥	٥٠	٥٠	١٢٥	٦٠	٧٠	١٦٠	
٣٥	٢٣٥							
٤٠	٣١٥	٥٠	٥٠	١٥٠	٦٠	٨٠	٢٠٠	
٤٥	٤٠٥	٦٠	٦٠	١٨٠	٧٠	٨٠	٢٢٠	
٥٠	٥١٠	٦٠	٨٠	٢٠٠	٧٠	١٠٠	٢٤٠	
٥٥	٦٢٥	٧٠	٨٠	٢٢٠	٨٠	١١٠	٢٧٠	
٦٠	٧٦٠	٨٠	٩٠	٢٥٠	٩٠	١٢٠	٣٠٠	الميل ١—١
٦٥	٩٠٠	٩٠	١٠٠	١٨٠	٩٠	١٦٠	٣٤٠	
٧٠	١٠٦٠	١٠٠	١١٠	٣١٠	١٠٠	١٦٠	٣٦٠	
٧٥	١٢٢٠	١١٠	١٢٠	٣٤٠	١٠٠	٢٠٠	٤٠٠	
٨٠	١٤٠٠	١٢٠	١٢٠	٣٦٠	١١٠	٢٠٠	٤٢٠	
٨٥	١٥٩٠	١٢٠	١٤٠	٣٨٠	١١٠	٢٣٠	٤٥٠	
٩٠	١٧٩٠	١٣٠	١٥٠	٤١٠	١٢٠	٢٥٠	٤٩٠	
٩٥	٢٠٠٠	١٣٠	١٦٠	٤٢٠	١٢٥	٢٨٠	٥٣٠	
١٠٠	٢٢٣٠	١٤٠	١٧٠	٤٥٠	١٣٠	٣٠٠	٥٦٠	

العادة ان لا ينقص عمق اصغر مروى عن ٣٠ سنتمتراً حتى لا يفسد بالطوارىء المعرض لها بالغيط

هذه الميول في الارض السوداء . اما في الارض الرملية فيجب ان تكون اكثر كما سيذكر في فصل آت

ملحوظة — كلما كان الانحدار اقل كما في الجهات الشمالية لزم ان يكون قطاع المروى اكثر وكذلك نسبة عرض القاع الى العمق لتسهيل جري الماء . اهـ

هذا عدا ان عمق المروى الخصوصي يتعلق (١) بعمق الترعة العمومية فان فرش ماسورته يصمم غالباً على ان لا يعلو عن قاعها الا بما يساوي ربع عمقها تقريباً او حسب منسوب التحاريق ليمكن الانتفاع من اوطى منسوب للمياه فيها ان لم يكن بالراحة فبالروافع — فاذا كان عمق الترعة متراً فان قاع المروى لا يعلو عن قاعها الا ٥٠ سنتمتراً واذاً يجب ان يكون عمق المروى عن الفتحة ١٫٥٠ م وهذا بفرض ان منسوب سطح الارض بجوار الترعة اوطى من منسوب فيضانها بـ ٢٥ سنتمتراً فقط فاذا كان اوطى من ذلك قل عمقه بحسبه واذا كان اعلى زاد عمقه بحسب زيادة علوه (٢) بمنسوب الارض التي يمر فيها وحساب انحدار القاع فمثلاً اذا اريد انشاؤه بعمق متر في ارض متناسبة الارتفاع مع الانحدار المناسب لتسهيل سيولة الماء فيحفر بهذا العمق ولكن اذا كان بعض اجزاؤه اعلى مما قبله ومما يليه بـ ٥٠ سنتمتراً مثلاً وجب زيادة العمق فيه بهذا القدر حتى يمكن توصيل المياه الى ما يليه ووجب قبل ذلك تعلية جسور الجزء الذي قبله حتى يمكن ان يحمل المياه اليه كما ينبغي

ملحوظات

(١) اقطار المواسير موضوعة بحيث تصمم الترع على ان يمكن ان تعطي للفدان اولاً في مناطق القطن ٣٥٠ متراً مكعباً من الماء في كل اسبوع من اسبوعين في فصل الفيضان (اي رية واحدة كل ١٤ يوماً) حيث لا تقفل الترع العمومية عادة بل يكون الماء فيها اسبوعاً عالياً واسبوعاً واطياً . اما في سائر الفصول فالمياه محدودة بالمناوبات . ثانياً في مناطق الارز ان يكون الري لمدة اربعة ايام من ثمانية اي رية واحدة كل ثمانية ايام اربعة منها دور عالي واربعة منها دور واطي — وفي احوال استثنائية يزاد القطاع لمناطق الارز حيث يجعل التصرف ٦٥ متراً مكعباً بدلاً من ٥٠

(٢) حينما تكون الارض واقعة على ترعة رئيسية ذات عمق كبير تعطى لها عادة فتحة صيفية تستعمل في الصيف يعمل فرشها كما ذكر قبلاً اما في فصل النيل حيث يعلو الماء كثيراً فتستعمل فتحة نيلية اعلى من الفتحة الصيفية وتقفل هذه

(٣) اذا استعملت سحارات بدل المواسير لتعدية ماء الري او الصرف تزاد سعة السحارات نحو ٢٠ ٪ في الاقطار الكبيرة واكثر من ٤٠ ٪ في الاقطار الصغيرة

(٤) يحمل المروى من الماء اكثر من سعته المحفورة في الارض بقدر ما تحتمله جسوره فوقها حيث يلزم للري بالراحة ان يعلو الماء فوق سطح الارض نحو ٢٥ سنتمتراً او حيث

يلزم تعلية جسوره في بعض اجزائهِ الواطية لتحمل الماء الى الاجزاء العالية التي تليها كما ذكر قبل

(٥) ومما تفيد ملاحظتهُ ان تكون فتحة المروى الخصوصي في اقرب موضع متصل او ممكن اتصاله باول الاطيان حتى يمكن ان تستفيد هذه من اول موضع ممكن من الترعة العمومية فلا يتقدم عليها ما يمكن ان تتقدم هي عليهِ من فتحات الاطيان الاخرى واهم ما يلزم ذلك اذا كانت الترعة العمومية صغيرة (توزيعية) أو عليها دوافع كثيرة تؤثر فيما يجاورها

***

جدول عن تصرف المواسير في الثانية بالمتر المكعب ريًّا وصرفاً وعن قطاعات المصارف

بقلم محمد بك الالفي

قطر الماسوره	مقدار الاطيان	التصرف في الري	التصرف في الصرف	القطاع عمق بالسنتمتر	القطاع قاع بالسنتمتر	القطاع لحد ١٦٥ فداناً كقطاع مسقى صغيرة
٣٥	٢٣٥	٠ر١٣				
٤٠	٣١٥	٠ر١٨				
٤٥	٤٠٥	٠ر٢٣	٠ر ٧	٥٥	٥٥	هذه هي القطاعات التي علوها ماء
٥٠	٥١٠	٠ر٣٠	٠ر ٩	٦٥	٦٥	الصرف ولكن يجب ان يكون اصغر
٥٥	٦٢٥	٠ر٣٦	٠ر١١	٦٥	٦٥	مصرف (زاروق) لاصغر قطعة من
٦٠	٧٦٠	٠ر٤٤	٠ر١٣	٧٠	٧٠	الارض خالياً من الماء بعمق نحو
٦٥	٩٠٠	٠ر٥٢	٠ر١٥	٧٥	٧٥	٦٠ سنتمتراً على الاقل ليمكن تجفيف
٧٠	١٠٦٠	٠ر٦٠	٠ر١٨	٨٠	٨٠	التربة واحلالها للزراعة او اكثر
٧٥	١٢٢٠	٠ر٧٠	٠ر٢١	٨٥	٨٥	بحسبما تسمح به حالة المصرف
٨٠	١٤٠٠	٠ر٨٠	٠ر٢٤	٩٠	٩٠	العمومي او اذا كان الصرف
٨٥	١٥٩٠	٠ر٨٦	٠ر٢٥	٩٥	٩٥	بالآلة واذاً يلزم ان يزداد العمق
٩٠	١٧٩٠	١ر٠٣	٠ر٣٠	١٠٠	١٠٠	٦٠ سنتمتراً فاكثر عما هو وارد
٩٥	٢٠٠٠	١ر٢٠	٠ر٣٦	١٠٥	١٠٥	بالجدول اما عرض القمة فحسب
١٠٠	٢٢٣٠	١ر٣٠	٠ر٣٩	١١٠	١١٠	الميل

ملحوظات

(١) لاجل معرفة التصرف في الثانية نورد المثال الآتي : ٢٢٣٠ فداناً × ٥٠ مم للفدان يومياً = ١١١٥٠٠ مم ÷ ٨٦٤٠٠ ثانية الموجودة في ٢٤ ساعة = ١٫٣٠ م م في الثانية هذا في الري

(٢) اما في الصرف فانما يصرفهُ الفدان — ٣٠ ٪ من ماء الري او ١٥ مم ومثلها تتشربهُ التربة ومثلها يذهب في التبخر و ٥ مم فقد وحساب ١٥ مم لصرف الفدان هو في المصارف العمومية الصغيرة اما في المصارف الخصوصية فاكثر من ذلك وفي المصارف العمومية الكبيرة اقل

(٣) كلما كثرت الفتحات من المروى للري كان تصرفه اتم فالمروى الذي فتحت منهُ (٥) مطلق في الارض لري زرعها يكون تصرفهُ اكثر من الذي فتحت منهُ (٣) مطلق

***

جدول المياه اللازمة يوميًّا لكل فدان وهو الذي تحسب على موجبهِ رخص الآلات او روافع الماء

نوع الزراعة		في مصر العليا	في مصر الوسطى	في الوجه البحري
صيفي	قطن	٣٦	٣٠	٢٤
	قصب	٤٠	٣٦	٠٠
	ذره	٤٠	٣٦	٠٠
	ارز	٠٠	٠٠	٦٠
نيلي	ذره	٣٦	٣٠	٢٤
شتوي	قمح وشعير وبرسيم وفول الخ	١٦	١٤	١٢

تبنى المناوبات الصيفية على ان زراعة الصيف لا تزيد عن نصف الزمام وان يروى القطن رية واحدة كل ١٥ او ١٨ او ٢١ او ٢٤ يوماً وان يروى الارز رية واحدة كل ٨ او ١٢ يوماً حسب حالة المياه

***

جدول قطاعات الترع في الفيوم بقلم محمد بك الالفي وتصرفها باعتبار ان يعطى الفدان الواحد ٣٠ م من المياه يوميًّا

مقدار الاطيان	التصرف في الثانية بالمتر المكعب	قطاع الترعة: العمق بالسنتمتر	قطاع الترعة: القاع بالسنتمتر
٤٠٥	٠ر١٤	٦٥	٨٥
٥١٠	٠ر١٨	٦٨	٩٥
٦٢٥	٠ر٢١	٧٠	١٠٠
٧٦٠	٠ر٢٦	٧٥	١١٥
٩٠٠	٠ر٣١	٧٨	١٣٠
١٠٦٠	٠ر٣٦	٨٢	١٤٠
١٢٢٠	٠ر٤٢	٨٧	١٥٠
١٤٠٠	٠ر٤٨	٩٠	١٧٠
١٥٩٠	٠ر٥١	٩٠	١٧٥
١٧٩٠	٠ر٦١	٩٧	١٩٢
٢٠٠٠	٠ر٧٢	١٠٢	٢١٠
٢٢٣٠	٠ر٧٨	١٠٣	٢١٥

القطاع اللازم قبل ال ٤٠٥ فدادين يكون كقطاع مسقى صغيرة في الفيوم لا توجد فتحات بمواسير يطبق عليها الجدول السابق بل توجد فتحات ذات اعتاب عرضها بنسبة الزمام لكل ٢٠٠٠ فدان متر واحد او لكل ٢٠ فداناً سنتمتر واحد ويرتفع الماء فوق العتب ٥٠ سنتمتراً في فصل الفيضان اما في غيره فحسب حالة المياه

وتروى ارض الفيوم (الا قليلاً) بالراحة في كل فصول السنة وفي المناوبات تتساوى ايام الادارة وايام البطالة وايام الدور العالي وايام الدور الواطي فيكون كل منها ٧ او ٨ او ١٠ حسب حالة المياه ولا يزرع فيها ارز صيفي وتعطى مواسير مساعدة لزراعة الارز النيلي وغسيل الارض الملحية في فصل النيل

احمد الالفي

تعتيق الخمر بالكهرباء في ساعتين

ظل الكرامون من الاوربيون مئات من السنين لا يعرفون وسيلة لتعتيق الخمر غير نقلها من برميل الى آخر بالطريقة المعروفة باسم التقطير . وقد اعلن كيماوي فرنسي خبير في صناعة النبيذ استنباطهُ طريقة جديدة لتعتيق الخمر تدور على تعريض الخمر الحديثة الرخيصة لتيار كهربائي متناوب من قوة ١٢٠٠٠٠ ڤولط فتعتق الخمر وتكتسب في ساعتين فقط طعماً ولوناً كخمر انقضى عليها قرن كامل من الزمان وكل ما تقتضيه هذه العملية وجوب استعمال خمر جيدة لان التعتيق السريع انما هو نتيجة التغييرات الكيماوية التي تحدث في الزيوت المطيبة لها وغيرها من العناصر الداخلة في تكوينها

مكتبة المقتطف

ابراهيم باشا في سوريا

تأليف سليمان بك ابو عز الدين — صفحاته ٣٤٤ مصورة — طبع بالمطبعة العلمية ببيروت

لقد اسدى سليمان بك ابو عز الدين خدمة جليلة لتاريخ الشرق الادنى في الحقبة التي وقعت فيها غزوة جيوش محمد علي لسوريا . وجعل الذين يقرأون صفحاتهِ يشعرون انهم يطالعون تاريخاً ممحصاً ملخصاً من مئات الروايات والمؤلفات تتبع فصولهُ بعضها بعضاً كأنها الحلقات المترابطة في سلسلة تامة التكوين. وقد جعلهُ «تاريخ بدء النهضة الحديثة في الشرق الادنى واحوال سوريا في عهد محمد علي وثورات السوريين ودروز حوران على حكومتهِ وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية ومطامع دول اوربا في البلاد العثمانية »

***

وقف المؤلف الفصول الاولى من كتابهِ على ترجمة محمد علي باشا وطموحهِ الى التوسع والاستيلاء على سورية . وبيان اسباب الحملة على سوريا — كطموحهِ لتوسيع دائرة حكمهِ وتوطيد اركانهِ باستخدام ما في سوريا من خيرات ورجال وبابعـاد عاصمة بلادهِ عن الحدود العثمانية واقامة حاجز حصين بينهما .. (ص ٥١) وكيف توثقت الرابطة بينهُ وبين الامير بشير الشهابي ويلي ذلك فصلان احدهما يشتمل على وصف لحالة سوريا بوجه خاص والسلطنة العثمانية بوجه عام حين بدأ عزيز مصر في تنفيذ عزمهِ والاخر على موازنة بينهُ وبين السلطان محمود الثاني والعوامل السياسية والاجتماعية التي نصرت الاول وخذلت الثاني . وقد نشرنا هذا الفصل برمتهِ في مقتطف يونيو الماضي ص ٣٠ ومنهُ يتضح للقارىء اسلوب المؤلف في استنباط الحقائق التاريخية وسوقها في بلاغة قوامها سهولة التعبير ووضوح المعنى

ثم عرض للمعارك المختلفة التي خاضتها جيوش محمد علي واساطيلهُ من حصار عكا وفتحها الى معركة الزرّاعة التي كانت على صغرها — معركة فاصلة لان انتصار ابراهيم باشا فيها شدّد عزائم جنودهِ وحالفيهِ ونزع الشكوك من نفوس المتريثين الذين كانوا يرتقبون رجحان احـدى كفتي الميزان . . (ص ٨٣) ثم الى فتح دمشق في ١٦ يوليو سنة ١٨٣٢ الى موقعة حمص الى احتلال حلب في ١٥ يوليو سنة ١٨٣٢ الى معركة بيلان

٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢ (وبيلان مضيق واقع على طريق القوافل بين حلب والاسكندرونة) الى معركة قونية في ٢١ دسمبر ١٨٣٢ التي اسر فيها رشيد باشا الصدر الاعظم وقائد الجيوش العثمانية العام واصبح بعدها ابراهيم باشا وكأنهُ على ابواب الاستانة

هذا الجزء من الكتاب يصح ان يدعى الجزء الحربي وفيهِ وصف المعارك المذكورة وغيرها وصفاً حربيًّا دقيقاً يطالعهُ القارىء متشوقاً لمعرفة ما تكشف عنهُ المعركة من مصير الجيشين المتحاربين وضلعهُ في الغالب مع ابراهيم باشا لما يبديهِ من الحنكة والبسالة

ولما توغل ابراهيم باشا في الاناضول بلغ النزاع بين السلطان محمود ومحمد علي درجة دقيقة جدًّا جعلتهُ ذا صبغة سياسية عامة واصبحت تسويتهُ خاضعة لمقتضيات السياسة الاوربية. هنا يتم الجزء الاول من الكتاب وهو يشتمل كما تقدم معنا على ترجمة محمد علي واستعدادهِ لغزوة سوريا وتفاصيل هذه الغزوة

اما فصول الجزء الثاني فتشتمل على وصف مسهب لحكومة محمد علي في سوريا وترتيباتها الادارية والقضائية والمالية والثورات التي عقبتها التي نشأت عن اوامر محمد علي القاضية باحتكار تجارة الحرير وتحصيل الفرده اي فريضة الرؤوس ونزع السلاح واجراء التجنيد بزيادة الضرائب واهمها ثورة فلسطين والاضطراب في الشام — في طرابلس وعكاء وصافيتا والحصن — وثورة النصيرية (وقد وقعت كلها سنة ١٨٣٤) ثم ثورة دروز حوران (سنة ١٨٣٨) وقد تلا ذلك حوادث سياسية ووقائع حربية خطيرة لا مكان لذكرها

وبالجملة فان كتاب ابو عز الدين بك تاريخ نفيس تقرأهُ فيأخذ بمجامع قلبك كالرواية الشائقة وتتعهد معانيهُ بالتمحيص والتدقيق فتجدها مستمدة من مؤرخي العرب والفرنجة بعد احكام العقل في رواياتهم واستنباط الحقائق بالقياس والموازنة

طرابلس الفيحاء

تراجم علمائها وادبائها

تأليف عبد الله حبيب نوفل — صفحاته ٣٠٠ قطع المقتطف — طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام

تراجم الراحلين من العلماء والفضلاء نبراسٌ يهتدي بهِ الناشئون . اذ ليس اوقع في نفس الناشيء من الاطلاع على ما في سير الرجال من الفضائل والمناقب فيدرك ان العلى لا تنال الا بالكد والمثابرة وسهر الليالي . وهذه الحقيقة اصبحت من الاركان التي تقوم عليها نزعة خطيرة من نزعات التربية الحديثة . فدرسو العلوم يرون ان التلميذ المبتدىء لا يستطيع ان يدرك مبادىء العلوم مجرَّدة فيعتمدون الى تجسيمها وضرب الامثلة عليها .

وهم يريدون ان يفروهُ كذلك بالاكباب على درسها فيسردون له سير العلماء الذين كشفوا مبادئها وما لاقوهُ في حياتهم من المشاق — كضعف الصحة وقلة المال وتنديد المزاحمين بعملهم — وكيف تغلبوا على كل ذلك . فيشغف التلميذ بما في الترجمة من عناصر الرواية الاخاذة فيقبل عليها اقبال الظمآن على الماء لانها فملأ تروي ظمأهُ النفسي فتحبب اليهِ العلم الذي اشتغل بهِ ذلك الرجل وتغريهِ بدرسهِ

وطرابلس من اشهر مدن الشام بعلمائها وادبائها ووفرة المتعلمين فيها من قديم الزمان « وحسبك ان عالماً كابي العلاء تلقى العلم فيها » . وقد قال الدكتور كرنيليوس ڤانديك « ان طرابلس بلدة العلم والعلماء » . لذلك نرحب بهذا الكتاب النفيس الذي يحتوي على تراجم نحو مائة وخمسين عالماً واديباً من علماء الفيحاء وادبائها . وقد احسن المؤلف في اختيار الذين لبّوا دعوة ربهم لان ترجمة الاحياء محفوفة بالمصاعب اهمها تعذُّر التجرّد في التقدير والنقد لصداقة او نفار بين الكاتب والمترجَم

والكتاب اقرب ان يكون معجماً للادباء والعلماء الطرابلسيين المترجين منهُ الى كتاب سِيَر "Biograpby" تغلب عليهِ الصبغة المدرسية التهذيبية التي قدمنا ذكرها في هذا الكلام . وحبذا الحال لو اختار المؤلف عشرة او عشرين من المترجين في هذا الكتاب وتوسع في كتابة سيرهم حتى تشمل السيرة ٢٠ صفحة مثلاً لكي يتسع امامهُ مجال التحليل والتصوير — تحليل الصفات والمناقب التي امتازوا بها وتصوير اثرهم في ميدان الفكر الذي جالوا فيهِ . اننا لا نغمط المعاجم قيمتها وفائدتها ولكنها تخلو من شعلة الحياة تتلظى في سطورها . وهذا ما يطلب لاغراء النشء بالمطالعة . فاذا كان القصد من الكتاب جعلهُ مرجعاً يرجع اليهِ فمؤلف الاستاذ نوفل من خيرة المؤلفات في موضوعهِ واذا اردنا بهِ ان نبثّ في نفوس اولادنا واخوتنا حب التاريخ القومي والاتعاظ بسير رجالهِ فيجب ان يعاد النظر في بعض السير المقتضبة التي نشرت فيهِ . وللكتاب مقدمة حسنة في تاريخ الفيحاء من اقدم الازمنة الى الآن

خطط الشام

دائرة معارف تاريخية — بقلم الاستاذ كرد علي — الجزء السادس — صفحاته ٤٢٨ قطع كبير ثمنه ٣٠ قرشاً — طبع بمطبعة المفيد بدمشق — يباع في المكتبة السلفية بمصر

اطلع قراء المقتطف على طائفة مختارة من مباحث هذا الجزء وكونوا لانفسهم فكرة صادقة عن موضوعاتهِ واسلوبهِ وبهِ انتهت اللجنة التي ألفت لنشر الخطط من عملها واعلنت عن عزمها على نشر معجم الخطط في وصف البلدان والقرى والجبال والاودية

والانهر والبحيرات وغير ذلك وهي مؤلفة من حضرات السادة بدر الداغستاني وخليل مردم بك وسامي العظم وفخر البارودي وفوزي الغزي و لطفي الحفار فنرجو ان توفق في نشر المعجم كما وفقت في نشر الخطط

ولقد تيسر لحضرة الاستاذ الكبير محمد كرد علي بك وزير معارف سورية ورئيس المجمع العلمي العربي ما لا يتيسر لغيره من وفرة المراجع فضلاً عما يؤثر عنهُ من دقة في البحث وانصاف في الحكم وتحري الحقائق وسعة في المعلومات والمعارف مما جعل خططهُ في مقدمة الموسوعات التاريخية الموثوق بها

ومباحث هذا الجزء خاصة بالتاريخ المدني ففيهِ وصف مسهب للبيع والكنائس والديرة ومنشئها واعظمها واقدمها ووصف اشهرها في البلاد الشامية وعمل الرهبان والراهبات . والمساجد والجوامع في اول الفتح واشهرها في البلاد الشامية . والمدارس ودور القرآن والحديث ومدارس المذاهب الاربعة والمدارس الحديثة والطبية وغيرها والخوانق والربط والزوايا والمستشفيات والبيمارستانات ودور الآثار والمتاحف . ودور الكتب والاديان والمذاهب واديان القدماء . والاخلاق والعادات عند الدمشقيين والحلبيين واللبنانيين وغيرهم . وفي نهاية الجزء سيرة مؤلفه الفاضل بقلمهِ وحسب القارئ هذه المباحث وما تفرع عليها ليدرك قيمة الكتاب مما لا يتيسر للباحث الوقوف عليها الاً في كتب متفرقة

وللاستاذ كرد علي كلمة تلهف فيها على العبث بالمدارس وغيرها . فبعد ما القى اللوم على الحكومات والامة الذين سهلوا للعابثين والسارقين والمقوضين لتلك المدارس والعاملين على انتهاك حرماتها عملهم قال :

« اضاع الخلف ما ابقاه السلف معموراً زاهراً من المدارس التي كانت في العصور الغابرة غاية ما وصل اليهِ العقل البشري ظرفاً ومظروفاً وبها اثبت اجدادنا قبل القرون الوسطى انهم كانوا شيئاً مذكوراً في اتقان الهندسة والبناء وانهم على جانب من سلامة الذوق وانهم حراص على مجد امتهم وان الاعمال العظيمة لم تقم بنفسها لو لم تفكر فيها عقول كبيرة وما كانت تلك المدارس تعمر لو لم يدرس فيها نوابغ من رجال العلم والآداب ولو لم تكن ذات قانون معقول . نعم لم نعرف سر هذه الصناعة التي مثلتها لنا هذه المدارس ولعلهُ يقوم في الجيل المقبل من ابنائنا علماء بالآثار والبحث يكشفون سر اعمال الاجداد كما توفر علماء الآثار في اوربا مائة سنة حتى كشفوا لامهم اسرار البيع العظمى التي قامت في قارتهم خلال القرون الوسطى ، وعسى ان يبرهن الباحثون منا انهُ لم يقم في الارض

شيء من العظمة الاكان الى جانبه عظماء يتعهدونهُ ويغذونهُ بمادة عقولهم ، ويفيضون عليهِ من معين قرائحهم »

هذا ونود ان نلفت نظر اعضاء اللجنة التي وقفت على نشر الخطط ومؤلفها الفاضل الى انهُ كان يحسن عمل فهرس عام للخطط كلها ليسهل على الباحث الوصول الى غرضهِ في اقرب وقت وعسى ان ينشروا هذا الفهرس في كراس خاص قريباً ليتم عملهم المفيد فهذا امر لا غنية عنهُ اذا اريد استكمال الفائدة والله الموفق م . ر

جغرافية مصر في العهد العربي

ظهر القسم الثاني من الجزء الاول سنة ١٩٢٨ من كتاب جغرافية الوجه البحري المعروف عند جغرافيي العرب باسم اسفل الارض اخرجهُ الامير الجليل عمر طوسون للناس كتاباً علمياً حافلاً جديراً بان يحمل اسمهُ الكريم

يبدأ هذا القسم الثاني بالفصل الثالث متكلماً عن عصر المديريات الكبرى بعد ما قدم له بمقدمة عن التغيير الاخير الذي حدث من الوجهة الادارية في التقسيم الجغرافي بالوجه البحري اثناء حكم العرب . وفي الحق ان هذا القسم ظل معمولاً بهِ لغاية الوقت الحاضر الا في اختلاف قليل ضئيل. يقول سمو الامير ، نعرف تاريخين حصل فيهما هذا التغيير :—

الاول — الروك الحسامي الذي تم في مدة تملك السلطان المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٨ م) وقد تكلم عنهُ المقريزي في الجزء الاول صحفة ٨٨ حيث قال ان المنصور امر بمساحة اراضي مصر . كذلك قال ابن اياس (جزء اول ص ١٣٧) انهُ في سنة ٦٩٧هـ أمر بمساحة الاراضي وهو المعروف بالروك الحسامي حيث بدئ بهِ في ٦ جمادى الاولى سنة ٦٩٧ (٢٠ فبراير سنة ١٢٩٨) وكان الرئيس المدعو التاج الطويل الذي شرع بعمل الكشوف المبين بها مسافة اقسام البلاد المختلفة واسماؤها

الثاني — الروك الناصري الذي أمر بعمله السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ (١٣١٥ م)وقد ذكره المقريزي في الجزء الاول ص ٨٨ واشار اليهِ ابن اياس(اول:١٥٩) في حوادث سنة ٧١٥ للهجرة و ١٣١٥ م

ومن المهم ان يذكر عدد الاقاليم وتقسيم المديريات حسب الترتيب المجاني اخذاً عن كتاب التحفة السنية باسماء البلاد المصرية للشيخ الامام شرف الدين يحي بن المقر بن الجيعان مستوفي ديوان الجيش المتوفى في جمادى الثانية سنة ٨٨٥(اغسطس سنة ١٤٨٠م)وهي:

١ — البحيرة — ٢ — الدقهلية — ٣ — ضواحي ثغر دمياط — ٤ — ضواحي

ثغر الاسكندرية — ٥ — ضواحي القاهرة — ٦ — الغربية — ٧ — جزيرة بني نصر — ٨ — القليوبية — ٩ — المنوفية — ١٠ — فوة والمزاحمتين — ١١ — نستراوه — ١٢ — الشرقية . وهكذا اصبحت الاقاليم الصغرى التي كان عددها ٢٢ مجتمعة في ١٢ اقليماً

(١) فالبحيرة كان بندرها دمنهور (٢) والدقهلية مع المرتاحية مجتمعتين بندرها اشمون طناح او اشمون الرمان (وكان مركز ميت غمر الحالي وجزء من مركز السنبلاوين تابعاً للشرقية) (٣) ضواحي ثغر دمياط بندرها دمياط (٤) ضواحي ثغر الاسكندرية مع رشيد وشاطئ البحر الى ادكو شرقاً وغرباً لوبيا وبوق وسنتريا (بواحة سيوة) بندرها الاسكندرية (٥) ضواحي مصر بما جاورها شمالاً وعاصمتها القاهرة (٦) الغربية كانت مكونة حسب التحديد الوارد في الجزء الخامس من كتاب الانتصار لابن دقماق من جزيرة قويسنا والسخاوية والتمريسية والطنطيدتوية والسمنودية والدنجوية والسنهورية (وقال القلقشندي في صبح الاعشى بمحو نستراوه) وبندر المديرية المحلة الكبرى (٧) جزيرة بني نصر دخلت في زمام المنوفية كما قال القلقشندي وكان بندرها ابيار (٨) القليوبية كما هي الى اليوم وبندرها قليوب (٩) المنوفية كما هي واضيف اليها بعد سنوات جزيرة بني نصر وبقي بندرها منوفية كما كان في العصر الذي قبله

(١٠) فوة والمزاحمتين كما هي (والحد الفاصل كما يقول القلقشندي بينها والبحيرة ترعة الاسكندرية) بندرها فوة (١١) نستراوه كما كانت في العصر السابق ولكن اقليم رشيد ضم الى نستراوه التي اختفت والحقت بعد ذلك بالغربية وكان بندرها نستراوه (١٢) الشرقية كما كانت وانضمت اليها الفاقوسية وبقي بندرها بلبيس

بعد ذلك اتى سمو الامير بجداول مفيدة عن المساحات المزروعة واموالها بلغ ١٦٤٠ ناحية لم يجهل مربوط المال في غير ٢٩ ناحية منها وفي نهاية الكتاب خرائط ملونة بديعة لاسفل الارض حسب الروك الناصري وخريطة للمديريات واخرى للمراكز مما يزيد في قيمة المؤلف الجامع المانع بارك الله في همة سموه وكل عامل مجتهد توفيق اسكاروس

الشيخ محمد عبده

تأليف الاستاذ احمد الشايب — صفحاته ٦٤ من القطع المتوسط — طبع بمطبعة الاسكندرية بالعطارين

يعدُّ الاستاذ احمد افندي الشايب — استاذ الادب العربي بالمدرسة العباسية الثانوية — من خيرة كتاب مصر المتذوّقين لجمال الادب العربي الى جانب شغفه بالادب الاوربي مما

ساعدهُ في دراساتهِ المتنوّعة المنشورة في الكتب والمجلات على ان يتحفنا بالشائق من الاسلوب الصافي ، وبالممتع من نظراتهِ الادبيــة الحرّة . ومن انفس ما قرأناه لهُ من الدراسات الادبية مقالاتهِ النقدية للغزل في تاريخ الادب العربي للبهاء زهير وابن حمديس والشريف الرضي فضلاً عن الشعراء المعاصرين . وقد اتحف الادباء اخيراً بدراســتهِ للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وهي دراسة تاريخية ادبية صرفة لعلَّها الاولى من نوعها من مشربها ومنهجها ، باسلوب سلس رائق جدير بفضل الاستاذ المؤلف ومنزلة المترجم لهُ . وما نشك في ان كتابهُ سيقرأ باهتمام وتقدير في البيئات الادبية كما يُعنى بدراستهِ في معاهد العلم . وهو مطبوع طبعاً فاخراً ومصدّر بصورة الاستاذ الامام

عوائد العرب

تأليف المرحوم الخوري بولس سيور البولسي — صفحاته ١٦٩ — طبع بمطبعة القديس بولس بحريصا لبنان

يشتمل هذا الكتاب النفيس على دروس اخلاقية وكتابية نفيسة ، حوت في تضاعيف سطورها ايضاحات دقيقة وفوائد جمة في عادات العرب ووجوه التشابه التي بينها وبين عادات الشعب الاسرائيلي قديماً . وهو مما لا يستغنى عنهُ كل من اكبَّ على مطالعة الكتب المقدسة او احب الاطلاع على اخلاق فريق من ابناء البلاد السورية وعاداتها

ومن الموضوعات التي طرقها المؤلف عادات العرب في الطعام والمسكن واللباس والزواج والمرأة والقبائل والقضاء والحماية وما يقابل ذلك عند اليهود معززاً بالشواهد والاسانيد من الكتب المقدسة . ومن الغرائب التي ذكرها المؤلف قولهُ صفحة ١٠٢ تحت موضوع الولادة عند العرب « وقد حكى لي احدهم ان امرأة بدوية كانت تحصد ذات يوم مع الحصادين واذ شعرت بدنو ساعتها وانفردت الى ناحية هناك ووضعت ابنها وخبأتهُ في كومة تبن . ورجعت الى شغلها من الحصيد كأنها لم تجر شيئاً . وعند المساء حملت وليدها بطاقة التبن الى بيتها »

الخرسانة المسلحة

اهدى الينا المهندس المعماري المشهور عزيز بك خلاط كتاباً هندسيًّا نفيساً في الخرسانة المسلحة عرض فيهِ لوجوه الموضوع النظرية والعملية وضمنهُ جداول مفيدة جدًّا مبنية على العلم الراسخ والاختبار الواسع لا بدَّ ان تصير مرجعاً للمهندسين وغيرهم من الذين يباشرون اعمال البناء بما تحتوي عليهِ من الفوائد الجزيلة

التربية بالقصص

تأليف حامد القصبي المهندس — صفحاته ٦٤ قطع صغير — طبع بمطبعة بنك مصر

الغاية من هذا الكتاب تهذيب الاطفال بمطالعة قصص تتضمن المبادىء الادبية العالية مجسمة فيفهمونها بدلاً من ان تساق اليهم مجردة في خطبة او عظة فلا يدركون ما يريدهُ الخطيب او الواعظ . وقد اشار المؤلف الى ذلك حيث يقول « . . . ذلك لأني في مطالعاتي في الكتب الانجليزية عثرت على عدد كبير من القصص التهذيبية التي تتضمن الحكمة والموعظة الحسنة في اسلوب شائق وعبارات خلابة يقصد بها الى تربية الناشئين تربية خلقية سهلة . فعوَّلت على ترجمتها لاعطي منها صورة واضحة لطالبات مدارسنا وطلابها . . . الخ »

ولما كانت الغاية من هذا الكتاب وما هو من قبيلهِ وضعهُ بين ايدي الاطفال لمطالعتهِ والاستفادة منهُ فيستحسن ان تكون محتوياتهُ خالية من كل لفظ خارج عن المألوف.واكثر القصص انكليزية والمانية وحبذا الحال لو اضاف اليها المؤلف بعض القصص المستقاة من مصادر عربية فللخلفاء وغيرهم من افاضل العرب قصص ونوادر توازي على الاقل نوادر « فردريك الكبير » و« سوفيت » و« جورج الثالث »

محاورات رينان الفلسفية

تأليف الفيلسوف ارنست رينان — ترجمة الاستاذ علي ادهم — صفحاتها ١٦٢ مطبعة المصور

الاستاذ علي ادهم كاتب بليغ جزل الالفاظ صافي الديباجة حسن الاطلاع على المذاهب الفلسفية يسوق اليك مبادئها في غير كلفة او عناء . لذلك تفتح كتابهُ هذا لتقرأ جانباً من مقدمتهِ في سيرة رينان وفلسفتهِ — وانت تحسبها الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب — فتسترسل في قراءتها لما تحتوي عليهِ من المعاني البديعة في اسلوب بليغ . ففي الصفحات التي يوازن فيها بين كارليل ورينان تقع على نموذج من كتابتهِ بلغ فيهِ حدَّ الاجادة معنىً ولفظاً

اما محاورات رينان فغنية عن الوصف لشهرتها ، وهي تحتوي على موجز لمعتقداتهِ الفلسفية في شكل محاورات لان المحاورة تسمح للانسان ان يتناول الوجوه المختلفة للمسألة دون ان تضطرهُ الى حكم جازم في الموضوع . وقد عني المترجم جهدهُ في تحري الامانة في النقل « لاني لم استطع ان اسيغ فكرة التصرف في الترجمة » . فالكتاب تحفة فلسفية ثمينة وعسى ان يكون لهُ بين الادباء والمفكرين المكانة التي يستحقها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) الشبان والشيوخ

مصر . هل من مصلحة الامم ان تكل اعمالها الى شيوخها اوالى شبانها

ج . يتعذر تعيين الحد الفاصل بين الشباب والشيخوخة . فقد كان اللورد كرزون يحسب شابًّا حين تقلد منصب حاكم الهند مع انهُ كان في الاربعين من عمرهِ . وحسب الناس الرئيس روزفلت شابًّا حين تسلم مقاليد الرآسة في الولايات المتحدة بعد وفاة رئيسهِ مكنلي مع انهُ كان حينئذٍ في الثالثة والاربعين من عمرهِ . والولد البالغ الثامنة من عمرهِ ينظر الى الرجل البالغ الثلاثين ويحسبهُ شيخاً طاعناً في السن ولكنهُ حين يبلغ هو سن الثلاثين يعتذر بصغر سنهِ عمَّا يبدو منهُ من الطيش ونزق الشباب . لذلك تتعذر الاجابة عن سؤالكم جواباً دقيقاً . انما يقال بوجه الاجمال ان الشبان يتصفون بالقوة والهمة والنزق والشيوخ بالحكمة والحنكة ووزن الامور بموازينها . فالامنية المثلى التي تنشدها كل امةٍ هي طائفة من الشبان في حكمة الشيوخ ورزانتهم أو طائفة من الشيوخ في همة الشبان ونشاطهم . والمرجح ان سنَّ الحداثة يتقدم بتقدم الحضارة حتى لقب بعض الناس هذا العصر بعصر الشبان مع اننا لم نرَ فيهِ من الشبان النوابغ مَن اتى من الاعمال المجيدة ما هو خليق بان يقابل باعمال داود والاسكندر وبونابرت وشلي وكيتس وموزار وفوكس وبت وغيرهم . ولكننا نرجح انهُ اذا احصيت اعمار الرجال المتولين اكبر مناصب الادارة والسياسة والمال والتعليم في اوربا واميركا وجد متوسطها اقلَّ من متوسط اعمار الذين كانوا يتولونها منذ قرنين . واشهر مثل على ذلك المستر باركر غلبرت الذي تولى تنفيذ مشروع دوز فانهُ كان في الحادية والثلاثين من عمرهِ حين تقلد

هذا المنصب مع ان مستقبل اوربا الاقتصادي —او بالحري مستقبل العالم — كان متوقفاً على احكامه وقراراته حتى دعاهُ بعضهم قيصر اوربا الاقتصادي . وبالامس قرأنا ان الاميركيين ولّوا فتى يدعى هتشنز في الثلاثين من عمرهِ رآسة جامعة من اكبر جامعاتهم هي جامعة شيكاغو وقد كان قبيل ذلك عميداً لكلية الحقوق بجامعة يايل . فمصلحة الامة تقضي بان تقلّد شيوخها المناصب التي يحتاج تقلدها الى خبرة وحنكة وتعقّل وان تجعل مساعديهم من الشبان المتفوقين في قوة العقل وقوة الخلق فيأخذون عن رؤسائهم اساليبهم في معالجة الامور حتى اذا انفسح امامهم ميدان العمل ساروا فيهِ جامعين بين حكمة الشيوخ وهمة الشبان . والبلاد التي تغلغلت الروح الدمقراطية في طبقاتها تفسح مجال الظهور للشبان النوابغ لان الترقي فيها نصيب الجدارة لا نتيجة الاسبقية

(٢) النائبات الانكليزيات

طنطا . ما هو عدد النساء اللواتي فزن بالانتخاب لعضوية مجلس النواب البريطاني في الانتخاب الاخير والى اي الاحزاب ينتمين

ج . في مجلس النواب البريطاني الذي انتخب في ٣٠ مايو الماضي ثلاث عشرة سيدة تسع منهنَّ ينتمين الى حزب العمال وثلاث الى حزب المحافظين وواحدة الى حزب الاحرار. واشهر هذه السيدات دوقة انول وقد كانت سكرتيرة برلمانية لمجلس التعليم في وزارة المحافظين الاخيرة . واللايدي استور وهي اميركية الاصل واول امرأة انتخبت لمجلس النواب البريطاني (١٩١٩) واللايدي ايفيا Iveagh واللايدي سنثيا موزلي ابنة اللورد كرزون والمس ميجان لويدجورج ابنة زعيم الاحرار وعمرها ٢٧ سنة والمس مرغريت بندفيلد التي تقلدت وزارة العمل في وزارة العمال الجديدة وقد كانت وكيلة لها في وزارة العمال السابقة . وهي اول سيدة انكليزية تقلّدت منصب وزير

(٣) كتاب تربية الدواجن

الاسكندرية . اين يوجد كتاب تربية الدواجن او اي كتاب لعلم تربية الدواجن

ج . نظنكم تشيرون الى كتاب تربية الدواجن الذي وضعهُ الامير مصطفى الشهابي مدير املاك الدولة بدمشق الشام وقد سبق للمقتطف فنشر فصولا منهُ . هذا الكتاب لم يظهر بعدُ ولا نعرف كتاباً عربيًّا غيرهُ في الموضوع

(٤) زراعة البن

شوشتر ايران . كيف يزرع البن وكيف يروى واي ارض اصلح لزراعتهِ وما هو ميعاد زراعتهِ وما هو تاريخهُ

ج . المقام لا يحتمل التبسط ولكن

اليكم اهم الحقائق عن البن وقد نشرنا مقالة مسهبة في جزء سابق سنعود الى نشرها في الجزء القادم اتماماً للفائدة

البن العربي وجد اولاً في بلاد الحبشة ونقل منها الى بلاد العرب ثمَّ الى غيرها من البلدان الحارَّة . واكتشف البن بريًّا في غرب افريقية ثم نقل منها الى جزائر الهند الغربية . ولنباته جذور طويلة لذلك يطلب الارض العميقة التربة

يؤخذ بزر البن الذي لا يزال في قشره البراني ويزرع في مساكب مثل مساكب التوت وبعد مضي سنة يقلع بطينهِ وينقل الى حيث يراد زرعهُ وفي السنوات الثلاث الاولى تكون غلتهُ طفيفة وبعد ذلك تكثر. وشجر البن يشبه شجر البرتقال ولكنهُ لا يكبر مثلهُ فلا يزيد علو الشجرة الى اربعة امتار وورقهُ مثل ورق البرتقال وزهرهُ زكي الرائحة كزهره

(٥) عمر الارض

انديانابوليس بالولايات المتحدة . بماذا يقدر عمر الارض الآن ؟

ج. احدث تقديرلهُ ٣٤٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة وهو للسر ارنست رذرفورد العالم الطبيعي الطائر الصيت صاحب المباحث المشهورة في بناء المادة الكهربائي

(٦) الاسبان والطيران

باهيا البرازيل. هل للاسبان اثر يذكر في ترقية الطيران كالاميركين والانكليز والفرنسيين والالمان والطليان . وهل انجبوا طيارين مثل بلريو ولندبرغ وبرد وكوبهام وده بنيدو وهنكار وغيرهم من الذين جابوا انحاء الجوّ

ج . لا نظن ان للاسبان اثراً يذكر في ترقية الطيران من وجهتيهِ العلمية والصناعية فاننا لم نسمع انَّ عالماً اومستنبطاً منهم اشتهر بين زعماء هذا الاسلوب الجديد من اساليب النقل والانتقال . ولكننا قرأْنا مؤخراً ان اثنين من طياريهما وهما فرانسسكو جمنز واغنا تشيو ايغليسياس طارا من اشبيلية باسبانيا الى باهيا بالبرازيل . ولا بدَّ انكم قرأتم عنهما او رأيتموهما . وقد كان غرضهما ان يطيرا الى ريوده جانيرو فنفد بنزين الطيارة فنزلا في باهيا

(٧) السبرمان

بغداد . هل ترجمت رواية برنارد شو التي عنوانها « مان آند سوبرمان »

ج . لم نسمع انها ترجمت . ولكن برنارد شو يقدم لكل رواية من رواياتهِ بمقدمة مسهبة يتناول فيها الاغراض العلمية والفلسفية التي تنطوي عليها الرواية . وقد ترجم مقدمة هذه الرواية او لخصها الاستاذ سلامه موسى منذ نحو عشرين سنة . اما لفظة السبرمان فقد وضعها برنارد شو ليدل فيها على الانسان المنتظر نشوؤُهُ من الانسان الحالي وتكون نسبتهُ الينا كنسبتنا الى القرود

باب الاخبار العلمية

احلام وحقائق



هذه صورة فنية بديعة نشرتها احدى المجلات الاميركية مصورةً بها مدينة المستقبل — وهي لا تختلف كثيراً عن نيويورك الآن — رامزةً الى الحضارة العلمية الصناعية وفوزها في مختلف ميادين العمران . فانت ترى ان مباني المدينة صروح ممردة وطرق المواصلات بينها طيارات كبيرة وصغيرة وبلونات مسيَّرة ضخمة وجسور معلقة وبواخر كانها البروج السائرة تؤم مرفأ المدينة وتقلع منهُ . اما عجائب العلم والاستنباط التي كانت احلاماً بالامس واصبحت اليوم حقائق لا يلتفت لها الناس لانهم الفوها فلا يمكن ان تظهر في هذا الرسم المصغر . والواقع ان ارتقاء العمران منذ قامت اركانهُ على العلم والصناعة متآخين متآزرين كان ارتقاءً سريعاً يتعذر معهُ التنبؤ بما يكنّهُ الغد في ثناياهُ . قد كنا نحسب قبل بضع سنوات ان مخاطبة صديق لنا يفصل بيننا وبينهُ بحرٌ خضم حلمٌ يصحُّ لو صحت الاحلام .

فاذا نحن اليوم نخاطبهُ ونراهُ في آن واحد. واذا رائد مقدام يحلق بطيارتهِ فوق القطب الجنوبي ويتخاطب منها مع مدينة نيويورك التي تبعد عنهُ نحو عشرة آلاف من الاميال . وكلُّ هذا قد تمَّ في السنوات العشر الاخيرة بل في الخمس الاخيرة منها . وهذه المدة اذا قيست بتاريخ الارض منذ تكونها الى الآن كانت اقلَّ من ثانية في قرن . ولما كان هذا النوع من البحث يغري العقول بالمطالعة والاستقصاء لما يثيرهُ فيها من الدهشة والاعجاب رأينا ان نذكر من حين الى آخر بعض عجائب المستنبطات والمكتشفات تحت هذا العنوان

عصر الانسان او عصر الحشرات

يودُّ كل من الناس ان يتصور ان الانسان سيد المخلوقات وان الوفاً من السنين قد انقضت عليهِ وهو كذلك. ولكن العلماء يهزأون من دعواه . فان احدهم يذهب الى اننا لا نزال في عصر الحشرات

واذا كنت في ريبة مما نقول فوجه السؤال الى الدكتور هورد احد علماء قسم الحشرات بوزارة الزراعة الاميركية. انهُ يسرد لك الدليل اثر الدليل — وكل ادلتهِ مؤيدة بالتجارب والارقام — ان الانسان لم يتغلب على الحشرات بعدُ في النزاع بينهما للسيطرة على الارض. (القطر المصري وحدهُ يخسر ما قيمتهُ اكثر من سبعة ملايين من الجنيهات بسبب الحشرات التي تفتك بمزروعاتهِ رغم الوسائل العلمية التي تتخذ لمكافحتها) فالحشرات تفتك بخشب بيوتنا وتسطو على مزروعاتنا فتتلفها وعلينا وعلى حيواناتنا فتفشو فيها الامراض الخبيثة فاذا شئنا ان نتغلب على جماهيرها وجب ان ننفق على ذلك اكثر مما تنفقهُ على كل اساطيلنا. ومتى فزنا عليها في هذا الكفاح اصبنا بلداناً وكنوزاً تفوق كلَّ ما افتتحهُ وغنمهُ القواد العظام امثال الاسكندرِ وقيصر ونبوليون. واذا لم نفُزْ بشيء الاَّ باسترداد المناطق الاستوائية والسيطرة عليها فكفانا غنيمة

هذا حلم من احلام العلماء اليوم. ولا بد ان نفوز بتحقيقهِ في المستقبل القريب «ان غداً لناظرهِ قريب». ان جنود العلم معبأة الآن لمكافحة المكروبات وغصن النصر كاد يلتوى بين ايديهم واليك احدث الانباء من ميادين المعركة: لقد فاز الدكتور كرمس Kremse المهندس الالماني باستنباط مادة كيماوية لتنقية مقادير كبيرة جدًّا من الماء بنفقة قليلة. وجامعة خرايفسولد تؤيد ما يدّعيهِ. فاذا وضعنا ما وزنهُ غرام ونصف غرام من هذه المادة في ١٢ الف مليون لتر من الماء نقتها من المكروبات وطهرتها من سمومها. انك اذا اخذت هذا المقدار من الماء وصنعت منهُ بحيرة لبلغ طولها ميلاً وعرضها الفي قدمٍ وعمقها ٣٥ قدماً. فسلام على الحمى التيفودية! وسلام على كل الامراض التي تنقل مكروباتها بالماءِ!

اننا ننتظر عالماً يفعل بالحشرات المضرة ما فعلهُ هذا العالم بمكروبات الماء

نزهه الى فندق بنتون

نبتون في خرافات اليونانيين الهُ البحر. ويؤخذ من انباءِ اميركا انهم شرعوا يبنون مطيراً في المحيط الاتلنتيكي على ٣٠٠ ميل الى الجنوب الشرقي من مدينة نيويورك طولهُ ١٢٠٠ قدم وعرضهُ ٤٠٠ قدم وعلوهُ عن سطح البحر ١٠٠ قدم. وعلى هذا المطير ينتظر ان يبنى فندق فخم يحتوي على مطعم تستطيع ان تتناول فيهِ اشهى المآكل. هذا هو مطير ارمسترنغ الذي وصفناهُ وصفاً مسهباً في مقتطف فبراير الماضي وصورناهُ. وهو حُلُم كان يجول في عقول الروّاد الشجعان من الطيارين الذين يحلمون بجعل الطيران بين اميركا واوربا امراً مألوفاً. انهم يبنون

الآن مطيراً واحداً . والمرجح انهُ لا تنقضي بضع سنوات حتى ترى المحيط الزاخر بين اميركا واوربا مرصعاً بهذه الجزائر الصناعية الضخمة تسهيلا للسفر الجوي بين القارتين. لقد كتب بعض كتاب الصحف ان العمل مقضيٌّ عليهِ بالفشل لانك لن تجد اناساً يتبرعون بالمعيشة على هذه الجزائر النائية المنقطعة عن كل اسباب الحياة. ما اجهل هؤلاء الكتاب بنزعة العصر امن يقول ان الموظفين في مطير من هذا القبيل نائون عن اسباب العمران ؟ ! انهم اذا استقلوا طيارة بحرية منهُ بلغوا نيويورك قبلما يبلغ كاتب هذه السطور الاسكندرية بالقطار السريع

ولا بدَّ ان نسمع قريباً ان مباني من هذا القبيل اقيمت في مناطق القطبين بل في الادغال الكثة المترامية الاطراف كبلاد الكنغو وسني الامازون والصحاري القاحلة كالصحراء الكبيرة وصحراء تركستان. ان كلَّ آتٍ قريب

اللغة الصينية والتلغراف

هل بلغك انهُ يستحيل على الصينيين ان يرسلوا رسائل تلغرافية بلغتهم ؟ ذلك لان اللغة الصينية هي لغة تصويرية فلا يستطاع تحويل الفاظها الى شفرة مورس الدولية المستعملة في التلغراف الدولي. ولكن انقلاباً حديثاً في وسائل الابراق مكن الصينيين فجأة من استعمال احدث وسائل المخاطبات اللاسلكية . ذلك ان اتقان نقل الصور بالتلغراف اللاسلكي يمكن الصيني الذي يريد ان يرسل تلغرافاً بلغتهِ من ان يرسلهُ كما ترسل صورة فوتوغرافية بدلاً من ان ترسل الفاظهُ لفظاً لفظاً

جزيرة انس الوجود

انس الوجود جزيرة صغيرة بجانب شلال اصوان طولها نحو اربعمائة متر وعرضها نحو ١٣٠ متراً وهي مغطاة بالخرائب والانقاض اشهرها خرائب هيكل ايسس الذي شرع في بنائهِ بطليموس فيلادلفس (٢٨٦ ق م) واتمهُ الملوك الذين خلفوهُ وبذل الصناع اقصى مهارتهم والملوك غاية كرمهم ولذلك جاء من ابدع الهياكل المصرية الباقية بعد هياكل طيبة وادفو . ويوصل اليهِ برواقين من الجهة الجنوبية ولهُ برجان على بابهِ الاول طولهما ١٢٠ قدماً وارتفاعهما ستون قدماً وعليهما صورة بطليموس فيلو متر وقد رفع فأس الحرب وهمَّ بضرب عدد من الاسرى بعد ما امسك بنواصيهم . وفي الباب كتابة صغيرة تشير الى وصول الجنود الفرنسية الى ذلك المكان حينما غزوا القطر المصري. وداخل الباب دار فسيحة فيها عند اليمين صف من العمد المزخرفة ووراءها صف من الغرف وعند اليسار هيكل صغير وفي صدرها باب آخر يدخل منهُ الى دار الهيكل ثمَّ الى الهيكل نفسهِ . ويقال ان

هذا الهيكل جعل كنيسة في القرن السادس عشر لذلك يرى رسم الصليب على بعض حجارته

هذا الهيكل الفخم ترددذكرهُ مؤخراً في الصحف العربية والافرنجية بعدما اقرت الحكومة المصرية مشروع تعلية خزان اسوان . ولا يخفى انهُ حينما بني خزان اصوان اولاً تكونت بحيرة من الماء المخزون فيه غطت مياهها قرى النوبيين ووصلت الى رؤوس نخيلهم وعلت على جزيرة انس الوجود حتى بلغت ارض هيكلها فوقف فيها كانهُ نابت من الماء. فاذا عُلّي خزان اسوان الآن غمر الماء الهيكل كلهُ وفقد القطر المصري اثراً من افخم آثاره التاريخية. ولكن بعض العلماء يذهب الى ان تغطية الماء لهُ تذيب الاملاح العالقة بالبناء وهي التي تفتت الحجر فيكون الهيكل مغموراً بالماء اسلم منهُ وهو نصف مغمور بهِ فقط. ونحن نقول اية فائدة تجنى من كنز في قعر البحر! على ان مصلحة الملايين من سكان مصر مقدمة على مصلحة الافراد من العلماء والسيّاح . فاذا كان من اثر تعلية الخزان وغمر هذه الهياكل بمائه درُّ الخيرات على مصر وزيادة راحة اهلها ورفاهتهم فالعلم لا يخسر شيئاً كبيراً اذا غمر هيكل انس الوجود فان الهياكل المصرية الباقية في انحاء القطر تفوقهُ فنّاً وصناعة وقيمة تاريخية. وترى صورة هذه الجزيرة في اول هذا الجزء

ثياب من الاسبستوس

الاسبستوس اي الكتان الصخري او حجر الفتيلة فلزٌّ ليفيٌّ لا يحترق من نوع الرخام المعرق رخو النسيج يؤلف من خيوط دقيقة تشبه الياف الكتان. وقد اعلن الاستاذ بولكارد الكيماوي في دائرة الكيمياء الصناعية بمدرسة فيلادلفيا الكلية للصيدلة والعلوم انهُ ينتظر احداث زي جديد للثياب تصنع من الياف الاسبستوس وهي كالحرير في رونقه ولا يضيرها الحامض من المواد اذا سقط عليها ولا تؤثر فيها النار اذا اشتبت فيها

قال : وقد سبقنا قدماء الرومان في غزل الكتان الصخري ونسجهِ ثياباً فكانوا اول امة خلطت خيوطهُ المعدنية اللينة بالكتان الطبيعي لصناعة اكفان الموتى لتودع فيها رفاتهم عقب حرق جثثهم على اكوام الحطب التي تضرم فيها النار لذلك الغرض. والعالم المشار اليهِ موقن ان هذه الصناعة لا تستعصى على الخبراء فيتاح لهم نسج اقمشة كالحرير طلاوة ولكنها تفوقهُ في المتانة والبقاء وسهولة التنظيف اما بقطعة مبللة من الاسفنج واما بخرقة مرطبة بالماء البارد . هذا فضلاً عن رخص ثمنها بالنسبة للمواد الاخرى التي تنسج منها الاقمشة في هذه الايام . ومما يروى في هذا الصدد ان شرلمان كان عنده غطاء مائدةٍ مصنوع من الاسبستوس إذا اتسخ التي هنيهة في

النيران فينظف مما يعلق بهِ من الادران . وكان تجار الصين في القرن السابع عشر يتجرون بمناديل من الاسبستوس . وقد الفت طائفة الاسكيمو القاطنة في بلاد لبرادور منذ عدة اعوام صناعة فتائل المصابيح من نسيج حجر الفتيلة

العين الكهربائية واستخدامها

إذا مالت الشمس للمغيب وعم ضوؤها في الشفق لم يستطع امرؤ القراءة اذا رغب فيها الاَّ باجهاد عينيهِ — ولا يخفى ما في اجهادهما من الضرر ولاسيما لطالبات المدارس العليا وطلابها وغيرهم ولذلك رأت مديرات المدارس العالية للبنات في الولايات المتحدة تلافي هذا الضرر باستخدام البصاصة اي العين الكهربائية وهي كما قلنا في الاعداد السابقة بطارية كهربائية نورية تلتقط النور الطبيعي وتحوّلهُ الى تيار كهربائي يضعف او يقوى بضعف النور او قوتهِ

وتودع العين الكهربائية في صندوق صغير فتراها كأنها جهاز للمحادثات اللاسلكية بجوار نافذة غرفة الدرس حيث توصل بمركز التيار الكهربائي فاذا مرَّ الضوء من النافذة انعكس على البطارية وما دام الضوء الطبيعي كافياً للمطالعة براحة تبقى العين الكهربائية ساكنة حتى اذا بلغت ضؤولتهُ حدًّا معيناً تؤذى معهُ عيون التلميذات اذا طالعن وقتئذٍ رددت العين الكهربائية تأثيره في اداة مثبتة فيها تُتمم الدورة الكهربائية فتنير الغرفة حالاً بالنور الكهربائي — ويرى المهندسون الكهربائيون انهُ سينجم عن استخدام هذا الجهاز فوائد عديدة ومنها انهُ إذا ترك استعمال الانوار الكهربائية تحت تصرف مديرة المدرسة وحدها ربما نتج منهُ ضرر لفريق من التلميذات اللواتي يحرمن من الضوء الطبيعي الكافي لجلوسهن في زوايا الحجرة التي لا يصل اليها الضوء كافياً للمطالعة فيضطررن الى اجهاد ابصارهن والمعلمة لا تدري بما يقاسينهُ. ولما كان التنوير المبكر مضيعة للمال كان استخدام العين الكهربائية في تلك المدارس سبباً في اقتصاد مبالغ لا يستهان بها

أحدث وظائف الراديوم

يستعمل الراديوم ، وهو اثمن المواد المعدنية المستخدمة في علاج الامراض وغيرها — في مصنع من مصانع الصمغ المرن بمدينة لنينغراد عاصمة روسيا لوقاية المنسوجات من النار . والسر في ذلك ان للراديوم خاصية عجيبة واقية من النار إذ يجعل الهواء المحيط بهِ اكثر توصيلاً للتيار الكهربائي مما هو عادة. تحقق هذه الميزة مديرو المصنع ورأوا الشرر يتولد من الكهرباء الاحتكاكية فينتاب الانسجة التي تصنع من الصمغ المرن وذلك عند مرورها

بالاساطين فتضطرم النار في المصنع حيث تكون الحجرة مملوءة بالبخار السخن المخصص لتجفيف تلك المنسوجات وهو قابل للاحتراق — فعمدوا الى الاستعانة بالراديوم . وبفضل دقيقة من الراديوم غدا المصنع المشار اليهِ في نجوة من السعير لان ذرة من ذلك العنصر العجيب ترشّح الكهربائية من الاسطوانات الى الهواء ترشيحاً بطيئاً لا يؤذي شيئاً بدلاً من تجمعها وصيرورتها مصدراً لتوليد طلقة كافية لانتاج شرارة كبيرة

ولما كان المقدار المستعمل من الراديوم ملغراماً واحداً كانت نفقات هذه الطريقة الحديثة لا تربى على بضعة ريالات ولا تستلزم الحال تجديد الراديوم لأَنهُ يظل قائماً بعمله خير قيام قروناً متوالية

أحدث الآراء في الأميبا

الأميبا حيوين دنيءٌ ذو خلية واحدة يتركب من نواة وبرتوبلاسم محبب وشكلها يتغيَّر تغيُّراً مستمرًّا باخراج زوائد من جسمها . هذا هو المعروف عند العلماء منذ كشفها روزل ڤون روزنهون العالم الالماني المتخصص في علم الاحياء الدقيقة اي المكروسكوبية إذ وصفها في عام ١٧٥٥ بأنها كائن حي ذو خلية واحدة وهي ادنى اشكال الحياة الحيوانية

والعلماء في حيرة من ذلك العهد اذ استعصى عليهم تعليل تحرك ذلك الكائن الحي الدقيق بلا سيقان وبغير زعانف وما شاكلها من وسائل التنقل العادية أو الظاهرة. وكان الرأي المرجح عند معظم علماء الحيوان ان الاميبا تندفع بذاتها الى الامام وتنقبض من الخلف بيد أن الدكتور . س ماست الاستاذ بمدرسة جونس هوبكنس الجامعة في مدينة بالتيمور قد قلب الرأي المتقدم ذكره رأساً على عقب إذ تحقق من فحص الاميبا انها تعوم في الغدران والجداول التي تعيش فيها باذابة جانب من جسمها من الخلف ناقلة المادة المذابة الى الامام فتتجمد عند رأسها مكررة هذا العمل مراراً كي تستطيع التحرك حركة وافية بحاجتها

أما : كيف تتصرف الاميبا هذا التصرف العجيب ؟ ومن أين تستمد القوة اللازمة لذلك ؟ فهذا بحسب رأي الاستاذ ماست مازال سرًّا غامضاً

سطح عوام لانقاذ الغرقى

احدث الوسائل للنجاة من غوائل البحار عند غرق البواخر سطح عوّام اخترعهُ المستر دنكان كامبل الانكليزي كي يفلت من الباخرة الغارقة فيسبح على حدته حالاً محل قارب كبير للانقاذ . ويرى مخترعهُ انهُ لو اتيح استعماله في النكبات الملاحية الحديثة

الكثيرة العدد لانقذ الوفاً من ضحاياها

يثبت هذا القارب على دكة الباخرة تثبيتاً وثيقاً في مهدٍ ذي اصلاب حديدية حيث تنطبق قواطعهُ تمام الانطباق على حدود الباخرة فيلتحم بها ولا يعترض هذا الالتحام الاَّ ما تقتضيهِ سهولة انفصال القارب عنها ووقايتها من احتكاكه بها فتوقى بادوات من الصمغ المرن او غيره من المواد . وتلافياً لانزلاق القارب نحو جانب الباخرة باهتزازها قد صنعت قاعدتهُ على شكل يتفق مع تجويف المهد الحديدي فيها — وفي قاعدة القارب اسنان تدخل في تجاويف ملائمة لها صنعت في صلب الباخرة فتمنع تحرك القارب تحركاً جانبيًّا ولا تعوقهُ عن الانفصال والعوم مستقلاً بذاتهِ عند اشرافها على الغرق. ومتى بدت اية علامة من علامات الخطر قصد الركاب الى حُجَر الزورق فاذا ضاقت بهم هم ومن يصحبهم من الملاحين صعد هؤلاءِ على سقفهِ فوق الحُجَر . ويركب ايضاً في القارب جهاز للتلغراف اللاسلكي ليدل البواخر الماخرة عباب البحار على مكانهِ . ويكون مزوَّداً بالمؤن في كل وقت استعداداً للطوارىء

ولما كان اختراع هذا الزورق مبطلاً لعمل قوارب الانقاذ المألوفة فالمخترع يظنُّ انهُ سيفوز عليها جميعاً لقلة ثمنهِ والوثوق بفائدتهِ في انقاذ الركاب والبحارة من اية سفينة تجهز بهِ قبل قيامها من فرضتها

شجر الحليب اي اللبن النباتي

وفق حديثاً الاستاذ صموئيل ج . ريكورد (احد معلمي مدرسة يال الجامعة باميركا) الخبير في فن غرس الغاب — لاكتشاف اشجار عجيبة تسمى اشجار الحليب اي اللبن النباتي — تنبت في اقليم ييورتو باريوس في بلاد جواتيمالا باميركا الوسطى حيث تدرُّ سائلاً مثل حليب البقر واشبه بطعمهِ ويقال انهُ مغذّ جدًّا كاللبن الحيواني . وسكان هاتيك الاصقاع يستدرُّون ذلك اللبن بحز اشجاره حزًّا غائراً ويشربون اللبن النباتي ممزوجاً بالقهوة ويستعملونهُ في صنع الحلوى وهو قابل للحموضة كلبن الحيوان . والاستاذ الذي كشف عن هذا النوع الغريب من الشجر هو احد اعضاء البعث الذي اوفد لارتياد تلك الجهات والوقوف على مجاهل نباتها لموافاة متحف التاريخ الطبيعي الاميركي بما يقف عليهِ من المعلومات النفيسة

صورة الغلاف

صورة الغلاف هذا الشهر تمثل شبح حيوان منقرض من جبابرة العصور الغابرة وامامهُ رجال البعثة الاسيوية يبحثون في صحراء غوبي عن آثارها . نقلناهُ عن مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية مع الصور التي نشرناها في مقالة رجال العلم والعمل صفحة ١٣٧

الجزء الثاني من المجلد الخامس والسبعين

صفحة

اعداء اهالي مصر هم

البق والناموس والصراصير والخنافس وجميع الحشرات المضرة

التي تنمو كثيراً في البلاد الحارة . فلكي تقتل هذه

الاعداء وتستريح منها استعمل يومياً « كيتنج »



أرشّ كل يوم قليلا من كيتنج حول رجلي السرير وفي غرفتك وغرف بيتك فتنجو من هؤلاء الاعداء الذين يزعجوا راحتك ويكدروا صفاء معيشتك — استعمل « كيتنج »

[illegible] الشركة المصرية البريطانية التجارية بمصر والاسكندرية نمرة ١١ شارع سعد زغلول باشا

اكتوبر ١٩٢٩ 1929

المقتطف

أنشئ سنة ١٨٧٦



Al-Muktataf

بابازيان وشركاه

شركة فونوغرافات هوموكورد
وكلاء ومحتكرون بابازيان وشركاه بمصر

بشارع المغربي رقم ٩

اسطوانات عربية حديثة جميلة جداً مسجلة من احسن واعظم واشهر المغنيين والمغنيات المصريين

وهم حضرات

الاستاذ زكي افندي مراد . صالح افندي عبد الحي والشيخ طه مرسي الفشني ومحمد افندي عبد المطلب والست نعيمة المصرية والست نرجس شوقي والست سمحة بغدادي وغيرهم

اسطوانات مغاني بلدي على غاب من خليل محمود المغربي والست نرجس شوقي

بشارف وتقاسيم من سامي افندي شوا وعبد الحميد افندي القضاني

قريبا جدا

وقد استعدت الشركة لعمل تعبئة اسطوانات كبرى بالكهربا طرز حديث وعلاوة على المغنين والمغنيات المذكورين اعلاه قد اتفقت مع جملة مغنيات شهيرات ومن اصحاب الاصوات الجميلة وهم حضرات

الآنسة بثينة محمد والست فضيلة رشدي والست رتيبة احمد والآنسة مفيده احمد والست صديقة محمد والست كارية السيد وغيرهم من مغنيات ومغنين مشهورين

وسننشر بالتالي صورهم الفتوغرافية بجميع الجرائد والمجلات

طلبوا من جميع بائعي الاسطوانات بمصر وجميع البلدان اسطوانات ماركة المسلة وأبر اسطوانات

ماركة مسجلة

PAPASIAN & Co. بابازيان وشركاه

LE CAIRE - ALEXANDRIE مصر - اسكندرية

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميركية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت له خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

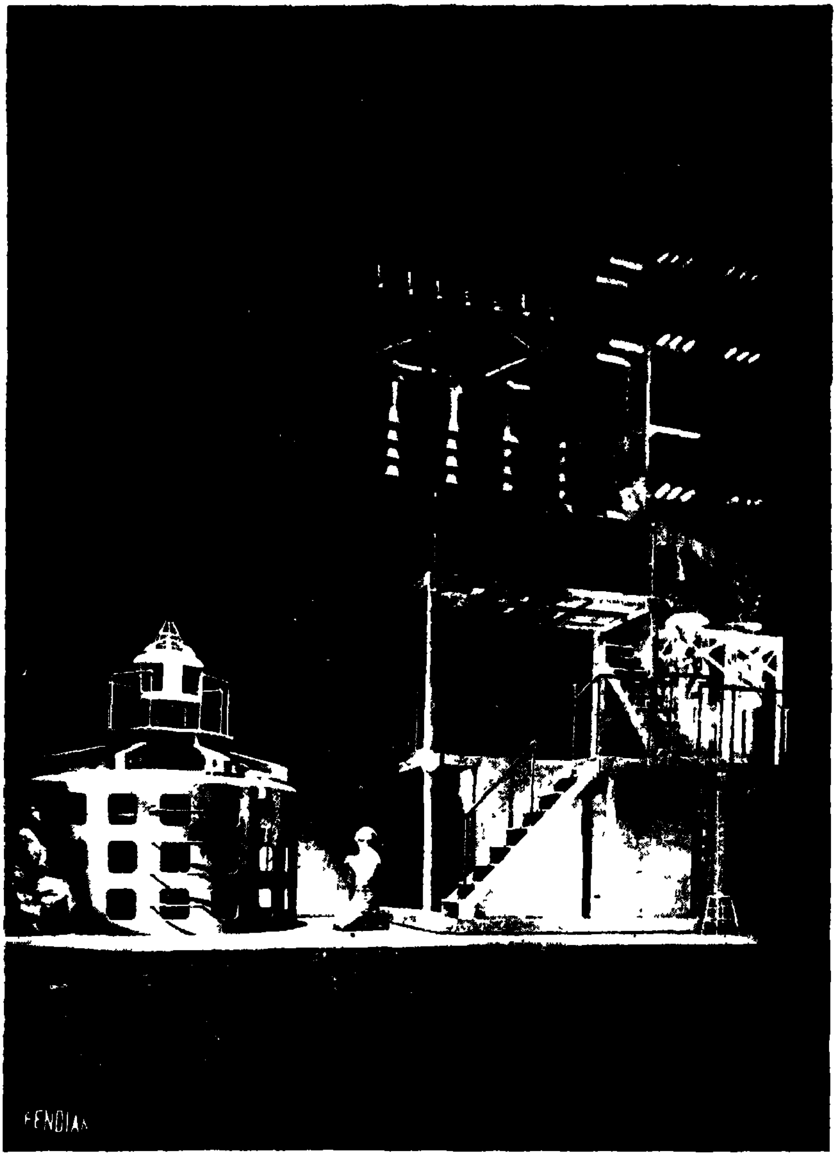
An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

Subscription Price : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars

Foreign 120 P.T. or 6 Dollars



رمز الحضارة الصناعية

ابتهال يرفع الى المولّد الكهربائي (الدينامو) كما ظهر
في تمثيل رواية لاوجين اونيل المؤلف المسرحي الاميركي

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

انظر الصفحة ٣٢٢

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الخامس والسبعين

١ اكتوبر سنة ١٩٢٩ — ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٤٨

كلمات للدكتور صروف

الزمان وقدر الرجال

من الرجال مَن لهم قيمة ذاتية تظهر بكتاباتهم وتعاليمهم وقلما تتغيَّر بتغيُّر الازمنة والامكنة سواء عرف معاصروهم قدرهم او جهلوهُ وسواء كانت بلادهم محتاجة اليهم او مستغنية عنهم مثل سقراط وافلاطون وده كارت وباستور وسبنسر. ومنهم مَن قيمتهم قائمة بحاجة بلادهم اليهم او بالنفع الذي ينالها منهم وتظهر بما يأتونهُ من الافعال مثل بونابرت ووشنطون ومحمد علي. ومنهم مَن تكون لهم قيمة ذاتية ولكن لا يمدُّ لهم الاجل حتى تظهر مزاياهم او لا يوفقون الى نشر آرائهم وافكارهم او تكون بلادهم في خمول فلا تعرف قدرهم او لا تستفيد منهم ككثيرين من اذكياء العقول الذين قضوا في سن الشباب او وُجدوا في بلاد اهاليها سكارى بخمرة الجهل او نيام في ظلمات الإهمال. ومنهم مَن قواهم عادية ولهم امتياز قليل على اترابهم ولكنهم يظهرون زمن شدة التنبه فيكبر شأنهم وينمو قدرهم كأنهم بزور القيت في ارض خصيبة. ومنهم يُتاجَر باكرامهم ويُبالَغ في اعلاء قدرهم لغرض سياسي او ديني او لمصلحة اخرى فيعطون فوق ما يستحقون. وكيفما كانت الحال فقدر الرجال الحقيقي لا يعلم الا بعد مرور الازمان وتمحيص الاقوال والافعال بنار الامتحان. وقد تبقى الحقيقة طامسة طيَّ الخفاء. فكم من عالم حكيم تضمُّ هذه الغبراء وقد نسي اسمهُ ولا يعلم شيء من امرهِ وكم من مزار بني على رفات احمق متنطّع والناس يزورونهُ صباح مساء ويتبرَّكون بهِ. وكم في ميزان هذا الدهر من خفيف مرتفع وثقيل منخفض ولعلَّ الحقائق المجهولة اكثر من المعلومة

الفردوس الأرضي

تحليل لجمهورية افلاطون (1)

افلاطوں : عن افلاطون تصدر كل المسائل التي مازال المفكرون والكتّاب الى يومنا هذا يكتبونها ويتناقشون فيها . . . ان كتبهُ هي توراة المتعلمين منذ اثنين وعشرين قرناً . . . . فسانت اغسطين وكوبرنيكس ونيوتن وبهمن وسويدنبرغ وغوته هم كذلك مدينون لهُ . هو الرائد وهم التابعون . لانهُ من الانصاف ان ننسب الى هذا « المعلّم » العظيم كل التفاصيل التي تستخرج من فلسفتهِ . . . افلاطون هو الفلسفة . والفلسفة هي افلاطون . . انهُ لمن مجد البشر ومن هونهم ان لا يستطيع سكسوني ولا روماني زيادة فكر واحد على مقرّراتهِ . لم يكن لهُ زوجة ولا اولاد ولكن المفكرين في كل العالم المتمدن هم وارثوهُ المتسمون بسيماء عقلهِ . . . . لقد طبعت كتابات افلاطون كلَّ مدرسة من مدارس التعليم وكل محبّ من محبي الفكر ، وكل كنيسة وكلّ شاعر . . . وأكثر ما يثير اعجابي «العصرية» الواضحة في روحهِ وأسلوبهِ . ان فيهِ جرثومة اوربا التي نعرفها ، بتاريخها — تاريخ اسلحتها وفنونها — انك تستطيع ان تتبيّن كلَّ لغاتها ومميزاتها في عقل افلاطون — ولا تستطيع ان تتبينها في احد قبلهُ . لقد تفرَّعت هذه العناصر ونزلت في مئات من مجلدات التاريخ لكنَّ عنصراً واحداً جديداً لم يضفْ اليها . ان هذه العصرية المتجدّدة هي مقياس العظمة في كل فن لانها تدل على ان صاحبها لم يغترَّ بشيء محلّي زائل بل عُني بالصفات الحقيقية الخالدة . . . ما اكثر العصور التي كرَّت وهو لا يزال جالساً على عرشهِ لا يقاربهُ احد !

عن امرسن
في خطبته التي موضوعها « افلاطون الفيلسوف »

---

(١) هذا نص للقدمة التي وضعها رئيس تحرير هذه المجلة لترجمة « جمهورية افلاطون » العربية التي طبعناها واهديناها الى مشتركي المقتطف . وقد نشرناها هنا لفائدة قراء المقتطف غير المشتركين

الجمهورية : من يداخله اقل ريبة في اثر افلاطون ؟ انظر الى الاكاديمية التي انشأها. اول الجامعات في التاريخ وأطولها عمراً . انظر الى الاهتمام العام والتجديد المتكرر الذي كان من نصيب فلسفته . انظر الى المقام الذي احرزهُ في ثقافة القرون الوسطى وما لفكرهِ من الاثر في المباحث اللاهوتية الحديثة . واذكر ان مائة الف تلميذ او اكثر في كل انحاء العالم المتمدّن مكبّون الى اليوم على «جمهوريتهِ» و «محاوراته».انها لمن اثمن الآثار التي يقتنيها البشر . ففيها اتخذت الفلسفة اولاً شكلاً معيّناً . ولما افاض عليها افلاطون من عواطف شبابهِ الزاخرة المتنوّعة بلغ بها قمة الابداع العليا . والجمهورية ! فيها تجد مباحث ما وراء الطبيعة والآداب وفلسفة النفس واللاهوت والسياسة والفن . فيها تجد المبادىء التي تنشدها طالبات التحرر من النساء . وفيها تقع على القواعد التي يدعو اليها علماء الحياة لتحديد النسل . فيها تطالع مبادىء الاشتراكية (بل والشيوعية) واليوجنية والارستقراطية والدمقراطية والتحليل النفسي والمذهب القائل بأن الحياة مظهر من مظاهر التفاعل الكيماوي . فلا عجب ان يقول امرسن في هذا الكتاب « احرقوا كل الكتب ففي هذا الكتاب غنى عنها »

ول دورانت في المجلة الاميركية
مؤلف « قصة الفلسفة » و « قصور الفلسفة »

سقراط

لا يذكر افلاطون الاَّ ويذكر سقراط . فأفلاطون تلميذ سقراط وعلى لسانهِ اجرى المحاورات التي ترفعهُ الى اعلى طبقة بين الفلاسفة والشعراء . ولا بدّ من فهم سقراط لفهم افلاطون بوجهٍ عام ولفهم الجمهورية بوجهٍ خاص . لذلك نبدأ تحليل الجمهورية بمحاولة تحليل الرجل الذي جرت على لسانهِ

اذا صحّ لنا ان نحكم على سقراط من تمثالهِ النصفي الذي عثر عليهِ في ركام بيت قديم قلنا ان وجهه لم تبدُ عليهِ ملامح الجمال الذي يتصف بهِ الفلاسفة في اكثر الاحيان . رأس اصلع ووجهٌ كبير مستدير وعيون عميقة المستقر محملقة البصر وأنف كبير عريض — يؤيد ما قيل — من ان هذا التمثال يمثل رأس حمّال لا رأس اشهر الفلاسفة

ولكن اذا اعدنا النظر الى هذا التمثال الصامت شهدنا في ملامح صاحبهِ من آثار السذاجة واللطف والعطف ، صفات جعلت هذا المفكر الهادىء معلماً لنخبة شبان اثينا . اننا لا نكاد نعرف عنهُ شيئاً ولكننا نعرف عنهُ اكثر مما نعرفهُ عن تلميذه افلاطون

وتلميذ تلميذه ارسطوطاليس . اننا نستطيع ان ننظر اليهِ الآن — فوق جسر من الزمن يعبر ثلاثة وعشرين قرناً — فنراهُ بجسمهِ الخالي من الرشاقة والجمال متشحاً رثَّ الثياب، يمشي في تؤدة ووقار لا تثيره عواصف السياسة ولا تقلقهُ ثم لا يلبث ان يجتمع حولهُ نفر من الشباب والمتعلمين فيسير بهم الى زاوية ظليلة من زوايا رواق في احد الهياكل، وهناك يقف في وجههم ويقول لهم في بساطة ودعة وحزم: « حددوا الالفاظ التي تستعملونها »

كان في هذا الجمهور من التلاميذ -- شبان اغنياء كافلاطون والسيبياديز الذين كانوا يسرهم تحليلهُ الهادم للدمقراطية الاثينية . وكان بينهم اشرا كيون كانتيثينيس الذين كانوا يعجبون بفقرهِ الوديع حتى يدينوا بهِ . وكان بينهم فوصويٌّ أو فوصويان مثل ارستِبّس الذي كان يرنو الى عالم لا اسياد فيهِ ولا عبيد. كل المسائل التي تثير المجتمع الانساني اليوم كانت تثير تلك الطائفة الصغيرة من المفكرين ، الذين كانوا يرون مع معلمهم ان الحياة من غير بحث ليست حياة خليقة بالانسان . كل مدرسة من مدارس الفكر كان لها ممثل هناك بل عند التدقيق ترى انها هناك نشأت

كيف كان يعيش ؟ لا نعلم . انهُ لم يشتغل مطلقاً ولا كان يهتم بالغد . كان يأكل حين يدعوه تلاميذه ليشرّف موائدهم . ولكنهُ لم ينل ترحيباً مثل ترحيبهم بهِ حين كان يؤوب الى بيتهِ، لانهُ كان يهمل زوجتهُ زانتيب فكانت تقول فيهِ انهُ رجل لا يفيد شيئاً . وانهُ جلب لاسرتهِ شهرة اكثر مما جلب لها خبزاً . ولكنها كانت تحبهُ ولم تطق ان تراه يرتشف كأس الردى مع انهُ كان قد اوفى على السبعين

ولماذا اجلّهُ تلاميذه واكرموهُ ؟ لعلَّ السرَّ في ذلك انهُ كان رجلاً (بكل معاني الرجولة) وفيلسوفاً في آنٍ واحد . فمن المأثور عنهُ انهُ غامر بحياتهِ ليخلص السيباديز في احدى المعارك . وكان يستطيع ان يشرب (خمراً) شرب رجلٍ سريّ لا يتعدى فيهِ حدود الاعتدال . ولكن مما لا ريب فيهِ ان احبَّ صفاتهِ اليهم كانت صفة الوداعة في حكمتهِ. فانهُ لم يدَّعِ يوماً انهُ قبض على زمام الحكمة ولكنهُ كان يفاخر بانهُ يسعى الى الحصول عليها سعيَ من يحبّها . فقد كان من هواة الحكمة لا من محترفيها — اذا صحَّ اطلاق هذا التعبير المستحدث. ويقال ان الآلهة في هيكل دلفي قالت فيهِ «انهُ احكم اليونان قاطبة» فحمل ذلك على محمل موافقتها لهُ في تجاهلهِ (لا ادريتهِ) والتجاهل في رأيهِ لا بدَّ ان يكون مرتبة الفلسفة الاولى . فقد كان يقول — اني اعلم شيئاً واحداً وهو اني لا اعلم شيئاً. والفلسفة تنشأ حين يداخل الانسان الريب — الريب خصوصاً في المعتقدات والاحكام والاوليات التي ورثها. كيف صارت هذه المعتقدات بمثابة حقائق ؟ الم تنشأ في اول نشأتها عن رغبة خاصة فاسبغت



سقراط الذي جرت على لسانه جمهورية افلاطون

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٤٨



أفلاطون

نقلاً عن كتاب « قصة الفلسفة » تأليف الدكتور وِل دورانت

عليها الرغبة فيها ثوباً من الفكر فصارت معتقداً محترماً لا يقبل النقض ! ان الباحث لا يصل الى صميم الفلسفة الا حين يشجعهُ عقلهُ الى درس نفسهِ — او حين يقول مع سقراط — اعرف نفسك

اثره الفلسفي

كان قد سبقهُ جمهور من الفلاسفة امثال طاليس وهيراقليطس — بارمنيدس وزينو الايلياني — فيثاغوراس وامبدوقليس. ولكنهم كانوا في الغالب فلاسفة الطبيعة وظواهرها. كانت مباحثهم في صميمها تدور على طبيعة الاشياء — النواميس والمقاييس التي تجري بموجبها الاشياء، والعناصر التي تتألف منها. وهذا عمل جليل — في رأي سقراط. ولكن هناك موضوعاً اجلُّ خطراً في نظر الفلاسفة، يسمو على كل هذه الاشجار والحجارة — حتى وعلى هذه الكواكب — هناك عقل الانسان. ما الانسان وما مصيرهُ ؟

وهكذا مضى سقراط يبحث في نفس الانسان هاتكاً السُتُر عن المسلمات متسائلاً عن محتها وكان اذا اجتمع جمع من تلاميذهِ ودار حديثهم على العدالة تراهُ يسألهم في هدوء — ما هي العدالة ؟ ماذا تعنون بهذه الالفاظ المجردة التي تحكمون بها حكماً فاصلاً في مسائل الحياة والموت؟ ماذا تعنون بالفاظ «الشرف» و«الفضيلة» و« الادب » و«الوطنية». ماذا تعنون حين يقول واحدكم «انا» ؟ وعلى هذا النمط ترى ان سقراط كان يعالج هذه المسائل الادبية السيكولوجية. وبعض الذين كانوا يفضحون بطريقتهِ السقراطية التي توجب التحديد المدقق، والتفكير الصافي، والتحليل الجليّ، كانوا يعترضون عليهِ ويقولون انهُ يسأل اكثر مما يجيب وانهُ بعد توجيه اسئلتهِ كان يترك عقول سامعيهِ اكثر اختلاطاً وتشويشاً مما كانت عليهِ قبلهُ. ومع ذلك تجد انهُ خلف في تاريخ الفلسفة حدين محدودين الاول حدّ « الفضيلة ». والثاني حد « الدولة المثلى »

كانت هذه المسائل اهم ما تحوم حولهُ افكار الشبيبة الاثينية في ذلك العصر. وكان فلاسفة السفسطائيين قد نزعوا من صدور الشبيبة ايمانهم بآلهة اولمبوس وإلاهاتهِ، وبالنظام الادبي الذي نال حرمتهُ من الخوف الذي كان يخالج الناس من الآلهة الكائنة في كل مكان. وعلى ذلك أطلق لهؤلاء الشبان العنان ليفعلوا ما يشاؤون، ما داموا لا يخرجون عن حدود القانون. هذا من جهة. ومن جهة اخرى كانت عوامل الضعف قد أخذت تنخر في الخلق الاثيني، مما جعل المدينة العظيمة مرتعاً لابناء سبارطة الاشداء. اما الدولة — او الحكومة فكانت قد انحطت حتى اصبحت دمقراطية يسيّرها الرعاع تسيّرهم الشهوات. وندوتها كانت قد صارت دار جدال لا غير. فصار القواد ينتخبون او يطردون او يقتلون

لاقل ريح من الشهوة تعصف بعقول الجمهور. وصار الفلاحون السذج ينتخبون ليكونوا اعضاء في المجلس الاعلى لان دورهم جاء حسب ترتيب اسمائهم الهجائي!

فالمسألتان الكبريان كانتا — كيف يستطاع وضع نظام ادبي جديد، وكيف يستطاع خلاص الدولة؟

سبب موته وخلوده

ان اجوبة سقراط عن هاتين المسألتين منحته موتهُ وخلودهُ في آن واحد. فانهُ لو حاول ان يعيد النظام الديني القديم القائم على تعدد الآلهة، ولو انهُ سار باتباعه الى الهيا كل وامرهم ان يذبحوا الذبائح لآلهة آبائهم لوجد شيوخ الامة ملتفين حوله، ينصرونهُ ويؤيدونهُ ويحملونهُ في المقام الاعلى. ولكنهُ ادرك ان ذلك خطة خير منها الانتحار، لانها خطة ترجع بمتبعيها القهقرى الى القبور

وقد كان راسخ الايمان بمعتقده الديني — القائم على الايمان بالهٍ واحد — وكان يأمل ان لا يفنى في التراب متى شرب كاس الردى (اي كان يؤمن بالخلود). ولكنهُ كان يعلم حق العلم انهُ لا يستطيع ان يبني نظاماً ادبيًّا على اساس معتقد واهٍ كهذا الاساس. فقال لنفسهِ اذا كنا نستطيع ان نبني نظاماً ادبيًّا غير مرتبط بالمعتقدات الدينية، يخضع لهُ الملحد والمؤمن على السواء من غير ان يمسَّ عقيدتهما فعندئذ نكون قد فعلنا شيئاً لا يزول. تأتي المعتقدات الدينية وتذهب، وهذا النظام باقٍ على الدهر يجعل ابناء كل دولة اعضاء حية في جسمها الحيّ

فاذا عني «بالصلاح» «المعرفة» و«بالفضيلة» «الحكمة»، واذا استطعنا ان نعلم الناس حتى يدركوا ما هي مصالحهم الحقيقية وان يكونوا بعيدي النظر يرون النتائج التي تنجم عن اعمالهم قبل وقوعها، اذا هذبناهم حتى يضبطوا شهواتهم ويؤلفوا بينها — اذا استطعنا ذلك خلقنا من الفوضى نظاماً ومن الضوضاء ايقاعاً

هذا هو الاساس الذي يجب ان يقوم عليهِ النظام الادبي

للرجل الجاهل شهوات ورغبات تثيرهُ كالشهوات التي تثير الرجل الكامل التهذيب. ولكن المهذب يعرف كيف يضبطها ويمتنع جهد الطاقة عن مجاراة الوحوش في ثورانها. وفي دولة بني نظام ادارتها على اركان من المعرفة والحكمة — في دولة تميد الى الفرد من القوى الواسعة اكثر مما تسلبهُ من الحرية بتقييدها — تقضي مصلحة كل رجل ان يتصرف تصرفاً اجتماعيًّا رائدهُ الحكمة والاخلاص. ولا يبقى الاَّ ان يكون الحكام بعيدي النظر حتى يستتبَّ للدولة سلام ونظام ووئام

ولكن اذا كانت الحكومة فوضى، تحكم من غير ان تمدّ يدّ المساعد الى رعيتها، وتأمر من غير ان تتولى القيادة ، فكيف يستطيع الحكام ان يقنعوا الفرد، في دولة من هذا القبيل ، بان يطيع القوانين ويحصر مساعيهُ في دائرة « الخير الكامل » ؟ فلا عجب اذاً ان يشيح السيبيادز بوجههِ عن دولة لا تطمئن الى الرجال اصحاب المواهب وتحترم العدد اكثر من احترامها المعرفة . ولا عجب ان تجد فوضى حيث لا تجد فكراً ، حيث يحكم الجمهور في تعجل وجهل ثمَّ لا يلبث ان يندم حين لا ينفع الندم . اليست الخرافة القائلة بان الكثرة تولد الحكمة خرافة فاسدة ؟ وعلى الضد من ذلك الا نرى ان الرجال حين يجتمعون جماهير يصبحون اكثر جنوناً واشد فساداً واعظم عنفاً منهم وهم افراد؟ اليس من السخف ان يحكم الناسَ خطباء يستثيرون شعورهم بخطب طنّانة كالاوعية النحاسية الجوفاء اذا ضربت عليها طنَّت وظلت تطنُّ حتى تمسَّها يدٌ ؟ حقّاً ان ادارة الدولة مسألة لا يستطيع الرجال ان يبلغوا في استعدادهم لها حدود المعرفة والحكمة . انها مسألة تتطلب التفكير الحرّ في اقوى العقول . فكيف نستطيع ان نخلص مجتمعاً ما او ان نحكمهُ الاَّ اذا كان حكاؤهُ زعماءه

موقف الدمقراطيين

تصوّر الشعور الذي سرى في صدور الحزب الشعبي حين اطلعوا على مبادئ هذه الدعوة الارستقراطية ، في زمن كانت الحرب تستدعي كمّ افواهُ الناقدين والمعترضين ، وكانت الاقلية المتعلمة السريّة تعدّ المعدات للقيام بثورة على النظام السائد. تصوّر ما شعر بهِ انيتس احد زعماء الدمقراطيين حين رأى ابنهُ وقد صار تلميذاً لسقراط ، منقلباً على الآلهة وعلى ابيهِ ضاحكاً في وجههِ

وجاءت الثورة فخاضها رجال الفريقين عالمين انها معركة الحياة والموت . فلما فازت الدمقراطية تقرّر مصير سقراط . لقد كان الزعيم الفكري لحزب الثورة مهما يكن مسالماً في اعماله وتصرفهِ . لقد كان منبع هذه الفلسفة الارستقراطية المقوتة . هو افسد الشبان السكارى بسحر الجدال والمناقشة . فالافضل ان يموت . هكذا قال انيتس وميليتس

وباقي القصة اشهر من ان يعاد لان افلاطون كتبهُ في «ابولوجيتهِ» نثراً يفوق الشعر رواءً وبلاغة . ففيها يصف موت اول شهداء الفلسفة، الذي اعلن حق الانسان في حرية الفكر مؤيداً فائدتهُ للدولة، رافضاً ان يطلب الرحمة من الجمهور الذي كان يحتقرهُ ، مع ان ذلك الجمهور كان يملك العفو عنهُ واطلاق سراحهِ . انهُ رأى في موتهِ ، وفي حكم القضاة عليهِ بالموت ، حين كان الجمهور الصاخب يطلب ذلك ، تأييداً لتعاليمهِ . فتقدم الى الموت بقلب ثابت وقدم راسخة. ويلٌ لمن يحاول ان يعلم الناس أسرع مما يستطيعون ان يتعلموا !

افلاطون

كان اجتماع افلاطون بسقراط مرحلة انقلاب في حياتهِ . ذلك ان افلاطون كان قد نشأ في مهد الرفاهة والرخاء—والبعض يقولون في مهد الثروة ايضاً . كان شابًّا بهيَّ الطلعة مفتول العضل دعي افلاطون لعرض منكبيهِ . وكان قد برع واشتهر جنديًّا وكان قد فاز مرتين في الالعاب الكورنثية . فلا ينتظر ان ينشأ الفلاسفة من طائفة من هذا القبيل . ولكن روح افلاطون الدقيقة الاحساس كانت قد وجدت جذلاً لايحدُّ في طريقة سقراط الجدلية. ما كان اشدّ سروره ُ وهو يصغي الى « المعلم » يمزق المعتقدات التحكمية بمسائلهِ الجارحة. فدخل افلاطون حومة هذه الرياضة كما خاض قبلاً ميدان الالعاب الرياضية . وبعناية سقراط اخذ ينتقل من الجدل والمناقشة الى التحليل الدقيق والمباحث المجدية . فصار مشغوفاً بالحكمة وبعلمهِ . قال : اشكر الله اني ولدت يونانيًّا لا بربريًّا . حرًّا لا عبداً . رجلاً لا امرأة . ولكن علاوة على كل ذلك اشكرهُ لاني ولدتُ في عهد سقراط » !

استعداد افلاطون

كان في الثامنة والعشرين لمَّا مات معلمهُ . وموتهُ المفجع ترك في نفسهِ اثراً لا يمحى . وملأ نفسهُ باحتقار الدمقراطية، ومقت الرعاع على منوال ما ينتظر منهُ وهو ابن اسرة ارستقراطية. وقادهُ تأملهُ الى وجوب القضاء على الدمقراطية واحلال حكم الاحكم والافضل محلها — هذا هو ركن الجمهورية . واضحى اكبر همهِ في الحياة ان يبتدع طريقة يستطيع ان يكشف بها عن احكم الناس وأفضلهم ثم يقنعهم ان يتقلدوا زمام الحكم

على ان محاولتهُ ان يخلص سقراط جعلتهُ موضعاً لريب الدمقراطيين . فأشار عليهِ اصحابهُ بان اثينا ليست دار امان لهُ، وان العناية الالهية قد تكون هيأت لهُ هذه الفرصة ليرى العالم فليغتنمها. وهكذا كان . فانهُ اعدَّ عدتهُ للرحيل وغادر اثينا سنة ٣٩٩ ق.م. اين ذهب ؟ لا نعلم . فالثقات مختلفون كما تقدم معنا . ولكن يظهر انهُ ذهب اولاً الى مصر فصدمهُ ما سمعهُ فيها من الكهان ان اليونان دولة لاتزال في المهد، لاتقاليد تنزل فيها من مركز الثقل وانها خالية من الثقافة . ولكن الصدمة تفتح العيون فجعل يتأمل . ثم ذهب من مصر الى صقلية فايطاليا وهناك اتصل مدة بالمدرسة التي انشأها فيثاغورس . فتأثر عقلهُ الحساس بصورة طائفة من الرجال لاشأن لهم الا الاكباب على البحث والحكم، ورغم تقلدهم مناصب الحكم كانوا يعيشون عيشة السذاجة الطبيعية . فكانت هذه الصورة المثال الذي بني عليهِ نظام طبقة الحكام في جمهوريتهِ

وهكذا قضى اثنتي عشرة سنة يتلقى الحكمة من كل مصادرها ، جالساً في كل هيكل، «تذوقاً كل معتقدٍ . فبعضهم يقول انهُ ذهب الى اليهودية فاقتبس هناك تقاليد الانبياء الذين كادوا يكونون اشتراكيين في نزعتهم . وبعضهم يقول انهُ وصل الى ضفاف الكنج وتعلم اساليب التأمل الصوفي من الهنود . كلُّ هذا لا نعلمهُ على حقيقتهِ

عاد الى اثينا سنة ٣٧٨ ق. م. رجلاً في الاربعين وقد انضجتهُ الايام والاسفار وهذَّبهُ تعدُّد الشعوب التي لقيها والمذاهب التي اتصل بها .كان قد فقد شيئاً من الحماسة التي اتصف بها في شبابهِ . ولكنهُ اكتسب مكانها قدرة على النظر الى الامور من كل وجهاتها نظراً متزناً وهو اساس الحكمة . فقد كان من جهة واسع المعرفة ومن جهة اخرى ذا نفس لا يملكها الاّ رجل الفن العظيم . في نفس هذا الرجل الفذّ اجتمع الفيلسوف والشاعر في حيّز واحد . فابتدع لنفسهِ اسلوباً جديداً من اساليب الكلام — تتجلى فيهِ الحكمة والجمال — نعني بهِ اسلوب الحوار . ان الفلسفة لم ترتد ثوباً يفوق الثوب بهجة ورونقاً — لا قبل افلاطون ولا بعده . قال شلي ان افلاطون يعرض لك ذلك الائتلاف النادر بين المنطق الدقيق والحماسة الشعرية ذائبين في فيضٍ واحدٍ من الاتزان الى سيل عرمٍ من التأثرات الموسيقية

الصعوبة في فهمه

هنا كل الصعوبة في فهم افلاطون . انهُ يمزج الشعر بالفلسفة بالعلم بالفن مزجاً يسكر. وانك اذا تأملت محاوراتهِ لم تعرف بلسان اي المتحاورين يتكلم افلاطون ، وهل هو يتكلم استعارة او يعني ما يقولهُ بحرفهِ . وهل هو يجدُّ او هو يهذر. ان محبتهُ للتهكم والهزل وللخرافة تحيّر اللب . حتى لنستطيع ان نقول انهُ لم يتكلم الا بالامثال

ويقال انهُ كتب هذه المحاورات لقراءِ عصرهِ . فان الاخذ والردّ فيهما واعادة بعض البراهين لتحكيمها في نفوس المستمعين كان يقصد بها كلها جمهور القراء والمستمعين في ذلك العصر ، لذلك ترى ان كثيراً منها لا نستطيع ان ندركهُ لبعد الشأو بين حياتنا وحياتهم وأساليب معيشتنا وتفكيرنا وأساليب معيشتهم وتفكيرهم . فلا يحزنَنَّ القارىء اذا لقي في الجمهورية كثيراً مما لا يستطيع الى ادراكهِ سبيلاً لما كسي بهِ من الاستعارات التي لا تدركها عقولنا في هذا العصر

وليذكر كذلك ان في افلاطون صفات كثيرة كالصفات التي كان يحمل عليها في محاوراتهِ . انهُ يحمل على الشعراء وخرافاتهم ثم يضيف اسمهُ الى مئاتٍ من اسمائهم وخرافاتهِ الى الوف من خرافاتهم . انهُ يتذمر من الكهان ولكنهُ هو كاهن ولاهوتي وواعظ . يحمل على

الفن حملات صادقة ويرمي بكل الاساطير الى النار ولكنهُ يعمد الى بعض الاساطير لتأييد اقوالهِ بل يعمد الى بعضها فيجعله اساساً لنظام التعليم في دولتهِ . انهُ يعترف على منوال شكسبير ان المشابهات تحمل على الزلق ولكنهُ لايخرج من مشابهة حتى يدخل في اخرى. انهُ يحتقر السفسطائيين لتلاعبهم بالكلام في سبيل اثبات ما يريدون اثباتهُ. ولكنهُ لا يترفع عن ان يفعل فعلهم كالمبتدىء بعلم المنطق . ان اميل فاجيه الفرنسي يقلدهُ ليسخرمنهُ فيقول على منوالهِ : «الكلّ اكثر من الجزء — لا بدَّ — والجزء اقل من الكل — نعم — لذلك يتضح ان الفلاسفة يجب ان يحكموا الدولة — ماذا تقول ؟ انهُ امر واضح — فلنعد الكرة عليهِ »

مقام الجمهورية

على ان هذه النقائص هي اكبر ما يرى بهِ . وبعد ما نقول كل ما يمكن ان يقال فيهِ من هذا القبيل تبقى محاوراتهُ كنزاً من اثمن كنوز العالم . وأهمها الجمهورية وهي رسالة كاملة بذاتها فيها تجد فلسفتهُ فيما وراء الطبيعة — لاهوتهُ — نظامهُ الادبي — فلسفتهُ النفسية — فلسفتهُ التعليمية — فلسفتهُ السياسية — ومذهبهُ في الفن. فيها نعثر على المسائل التي نحسبها الآن من مبتكرات عصرنا — الشيوعية — الاشتراكية — تحرير النساء — تحديد النسل — اليوجنية — والمسائل التي اثارها نيتشه فيما يتعلق بالآداب . الارستقراطية والعود الى الطبيعة ، على ما قال بهِ روسو، والتعليم الحر — الدافع الحيوي الذي ذهب اليهِ برغسن — والتحليل النفسي الذي ابتدعهُ فرويد — كل شيء تجده في الجمهورية — انها مأدبة المختارين يقدمها مضيف كريم

افلاطون هو الفلسفة والفلسفة هي افلاطون — هكذا قال امرسن : ثم قال : احرقوا المكاتب فكلها في هذا الكتاب

تحليل الجمهورية

١ – تقسيمها

الجمهورية عشرة كتب تقسم بطبيعتها الى خمسة اقسام (١) القسم الاول يشتمل على الكتاب الاول وهو مقدمة للبحث فيهِ يثير سقراط المسألة الآتية : ما هي العدالة ؟ (٢) والقسم الثاني يشتمل على الكتاب الثاني والثالث والرابع وهي تحتوي على اركان الدولة المثلى وخصوصاً تعليم طبقة الحكام فيقوده ذلك الى تحديد المقصود بالعدالة، في الدولة اولاً ثم في الفرد (٣) والقسم الثالث يشتمل على الكتاب الخامس والسادس والسابع وهي في

رأي بعض النقاد والثقاة استطراد وتوسع في موضوع الكتاب الاساسي . وهذا القسم يشتمل على بحث في الشيوعية خاصة بطبقة الحكام وعلى وجوب تقليد زمام الاحكام للفلاسفة وعلى نظام لتعليم الملوك الفلاسفة تعليماً عالياً . وتعليم الفلاسفة يستغرق كتابين السادس والسابع وهما في عرف المؤرخين استطراد من الكتاب الرابع (٤) القسم الرابع يشتمل على الكتابين الثامن والتاسع وفيهما يقف البحث على انحطاط الحكومة المثلى (والفرد الامثل) والصور التي تتخذها في انحطاطها هذا فيرى انها تتخذ اربعة اشكال تنتهي بالاستبداد وهو صورة التعدي التام تقابله العدالة الكاملة في الدولة المثلى (٥) والقسم الخامس يشتمل على الكتاب العاشر فتعرض امام المقررات التي سبق وأدى اليها البحث في الفصول السابقة ويختم ببحث في خلود النفس وجزاء الفضيلة ووصف ليوم الدينونة

٢ – غرضها وفكرتها العامة

نشأت الجمهورية عن مناقشة في حقيقة العدالة فذكر بعض المتناقشين حدوداً للعدالة لم يلقَ سقراط صعوبة ما في تفنيدها . ولكن اثنين من اتباع سقراط ذهبا الى ان الانسان لا يميل بفطرتهِ الى العدالة اكثر من ميله الى التعدي وانهُ لا يطلب العدالة لذاتها ولكنهُ يطلبها لانهُ يدرك النتائج التي تحل بالمجتمع اذا اطلق كلٌّ عنانهُ في اعمال التعدي . فكأنهما شبَّها المجتمع البشري — كما شبههُ شوبنهوَر — بجماعة من القنافذ اقتربت بعضها من بعض طلباً للدفء فكان لا بدَّ ان تخز اشواك القنفذ الواحد جسم جاره . ولكن اذا جعلتَ لكل شوكة غمداً من اللبّاد امكنها ان تقترب بعضها من بعض من غير ان يخز احدها الآخر . فغمد اللبّاد هذا هو بمثابة القوانين التي نظن ان العدالة مستقرة فيها وانما هي استنبطت لتمنع الاحتكاك الذي يحدثهُ اجتماع الناس وانطلاقهم في اكفاء رغباتهم وشهواتهم من غير ما رادع او وازعٍ

الادلة التي يدليان بها قوية وطويلة. تنتهي الى السؤال التالي:هل تستطيع يا سقراط ان تبين لنا ان العدالة بطبيعتها اسمى من التعدي . وان الادب اصلح من فساد الادب . اذا كان ذلك في طاقتك فبرهن عليهِ يا سقراط اذا اردت . هكذا قال غلوكون وأديمنتس

هذا هو الفصل الاول. اما باقي الجمهورية فهو ردُّ سقراط على هذا التحدّي الموجَّه اليهِ. ولكي يحدّد معنى العدالة ويثبت انها افضل من التعدي قال ان اقوم الطرق للوقوف على حقيقتها هو البحث عنها حيث تبدو مظاهرها كبيرة واضحة للعيان — اي في المبادىء التي تجري بموجبها المجتمعات البشرية — اي في الدولة . ولا بدّ انها تكون على اوضح ما تكون في الدولة المثلى

فما هي الدولة المثلى؟ هي الدولة التي تنتظم امورها باعتبار ما هو «خير» اعتباراً معقولاً . هكذا يقول سقراط

والدولة المثلى في نظرهِ يجب ان تكون ارستقراطية تحكمها طبقة من الحكام يتعلمون تعليماً عالياً وافياً ثم يختارون لمنصبهم بفضل مقدرتهم على ادراك المبادىء التي تقوم عليها الدولة وجدارتهم في تطبيقها وحفظها . وهؤلاء يعيشون عيشة شيوعية لكي لا تغريهم المطامع بالحياد عن السراط المستقيم . ويلي طبقة الحكام طبقة الجيش للدفاع عن الدولة، وطبقة العمال والصناع لاستغلال مواردها . فدولة افلاطون قائمة على مبدإ الاختصاص . وهذا معارض كل المعارضة للدمقراطية — بمعناها الاصطلاحي — حيث يحسب كلُّ انسان بارعاً في كل عمل وحيث يدعي رجل الشارع انهُ يستطيع ان يدرك ادارة الشؤون على اختلافها ويصدر فيها حكماً يجب احترامهُ

ويقابل تقسيم الدولة الى طبقات ثلاث تقسم نفس الانسان الى مناطق ثلاث . فنفس الانسان لها ثلاثه اقسام بحسب رأي افلاطون في جمهوريتهِ: القسم العقلي — والقسم الحماسي او الغضبي — والقسم الشهوي . فالحكمة فضيلة الاول . والشجاعة فضيلة الثاني والاعتدال فضيلة الثالث . ويقابل كل قسم من اقسام النفس صنف خاص من الرجال . فحاكم الدولة وهو رجل فيلسوف يمثل الرجل العاقل ويقابل في نفس الانسان القسم العقلي . والجندي يمثل الرجل الحماسي وهو يقابل القسم الحماسي في نفس الانسان . والصانع يمثل الرجل الشهوي الذي تتنازعهُ الرغبات المختلفة وهو يقابل القسم الشهوي في نفس الانسان

وكما ان العدالة في الدولة تقوم بقيام كل فرد بالعمل الخاص بطبيعتهِ — فالحاكم يحكم والجندي يحمي الذمار والعامل يستغل موارد الارض — هكذا العدالة في النفس تقوم بقيام كل قسم منها بعملهِ الخاص بهِ — فالعقل يضبط الشهوات حاكماً في المدى الذي يطلقهُ للرغبات . و « العواطف » تساعد العقل في عمله بتجنيد « العواطف الشريفة » لتأييدهِ كالغضب من الخطة والخجل من الكذب . فالعدالة الاجتماعية هي مظهر خارجي لهذه العدالة الداخلية عدالة النفس . ولما سئل كيف يستطيع ان يحقق هذا الحلم الجميل اجاب «ملّكوا الفلاسفة» والفيلسوف في رأيهِ هو الرجل الذي يعرف الحقيقة . والحقيقة في نظره هي « صورة الخير » التي منها تستمد الاشياء الصالحة صلاحها

٣ ـ المشكلات التي تثيرها

المسائل التي يثيرها افلاطون في الجمهورية على لسان سقراط هي هي المسائل التي ما زال ابناء العصر يثيرونها في كل مجتمع وكل ناد . والحلول التي يقترحها لهذه المسائل لم تفقد

جدتها على قدم العهد بها . لانها متسمة بميسم ذلك العقل الجبار ومطبوعة بطابع تلك النفس التي تحررت من قيود الزمان والمكان كما قال امرسن فضمنت الخلود . فما هي هذه المسائل؟

﴿ اولاً : المسألة الادبية ﴾ الحديث يجري في بيت سيفالس الارستقراطي الثري. بين المجتمعين ترى غلوكون وادمنتس اخوي افلاطون وثراسياخس وهو سفسطائي متمنت يثور لاقل بارقة

« ماذا تحسب يا سيفالس اعظم بركة جنيتها من ثروتك » هذا هو سؤال سقراط — بل هو سؤال افلاطون على لسان سقراط

فيجيبهُ سيفالس انهُ يحسب الثروة بركة عليهِ لانها تمكنهُ من ان يكون كريماً واميناً وعادلاً . فيسألهُ سقراط على طريقتهِ في توجيهِ الاسئلة ، ماذا تريد « بالعدالة » . حدّدها . فتثور حرب الجدال وتنطلق شياطينها . لان اصعب ما في العلم والفلسفة هو وضع تحديد . ولا شيء اشق على الذهن من التفكير تفكيراً صافياً خالصاً من الشوائب . على ان سقراط لم يلقَ صعوبة ما في تفنيد الحدود المقترحة حتى يدخل المعمعة ثراسياخس وكأنهُ جنديها الكمي فيتكلم كما يزأر الاسد قائلاً :—

« اي كلام فارغ يشغلكما يا سقراط وبوليمارخس . ولماذا تخدعان الناس بتأنقكما المتبادل . فاذا كنت حقيقة تريد تحديد العدالة فلا تقتصر على توجيه الاسئلة ، وتتسلى بافساد الاجوبة الواردة عليها . لانك عالم ان توجيه الاسئلة اسهل من اجابتها فاجب انت وقل ما تدعوهُ عدالة (٣٣٦)

على ان هذا الزئير لا يخيف سقراط . فيمضي في طريقهِ في تؤدة ولطف يوجّه الاسئلة اكثر مما يجيب عنها . وبعد جدال قصير يحمل ثراسياخس على اقتراح حدّ للعدالة. فيقول: « فاسمع اذاً، تعليمي هو ان العدالة انما هي « فائدة الاقوى » . . . . فمناي يا سيدي انهُ في كل بلد منفعة الحكومة هي العدالة . . . . فنتيجة البحث الحق هي ان منفعة الاقوى هي العدالة في كل مكان . . . . فيؤوب العادل صفر اليدين ويطمع الظالم بالكل . . . . ولانهُ عادل تمنعهُ عدالتهُ من ان يمدّ يدهُ الى اموال الدولة . ثم انهُ يصير مكروهاً من خدمهِ وصحبهِ كلما ابى ان يؤثر مصالحهم على العدالة . . . وحين ينبذ الناس المنكرات فلا يكرهونها لذاتها بل مخافة تبعتها ٣٣٨— ٣٤٤

ان هذا المذهب مرتبط في عصرنا باسم نيتشه حيث يقول في مكان من كتابهِ «هكذا تكلم زرادشترا » : حقًا اني ضحكت مراراً على الضعفاء الذين يحسبون انفسهم صالحين لان

ليس لهم براثن . وباسم مكيافلي حيث يقول: الفضيلة هي الذكاء مع القوة.واذا افرغنا المسألة فيقالب عصري قلنا « ان قبضة قوةٍ اعظم من قنطار حق » . وقد اشار افلاطون الى هذا الموضوع فيمكان آخر من محاوراتهِ (جورجياس) فحمل بلسان الصوفي كليكيس قائلاً : « انهُ ادب استنبطهُ الضعفاء ليعدّلوا بهِ قوة الاقوياء »

فهل نطلب القوة او نطاب الحق ؟ وهل خير لنا ان نكون صالحين او ان نكون اقوياء؟ كيف يجيب سقراط — او بالحري افلاطون — انهُ في البدءِ لايجيب . بل يمضي في توجيهِ الاسئلة يبين بها ان العدالة انما هي علاقة بين الافراد لذا يجب ان ندرسها حيث ترى مظاهرها واضحة مكتوبة بالخطِ العريض — اي انهُ يقترح ان يدرسها في المجتمع . فتحليلها حينئذٍ يكون اقرب منالاً .ولكن يجب ان لا نخطىء فافلاطون يجمع فيالجمهورية بين كتابين— لانهُ ينتقل من مسألة ادب النفس، كما هي مرتبطة بحياة الفرد، اليها مرتبطة بحياة المجتمع . وهذا الاستطراد وهبنا « الجمهورية » على انها صورة العدالة المثلى

﴿ ثانياً : المسألة السياسية ﴾ تكون العدالة مستطاعة اذا عاش الناس على فطرتهم . ولو ان فوضويًّا اراد ان يفسّر كلام افلاطون لقال انهُ يقصد بذلك الشيوعية . ولكن لافلاطون شيوعية خاصة سيأتي ذكرها . اصغ ِاليهِ يصف هذه المعيشة الفطرية وصفَ شاعر

« انهم يجنون ذرة وخمراً ويصنعون ثياباً واحذية ويشيدون لانفسهم بيوتاً ويعملون العمل صيفاً اكثر الوقت بدون احذية ولا اردية .اما في الشتاء فيجهزون بما يلزمهم منها. ويقتاتون بالقمح والشعير ويصنعون خبزاً وكعكاً وينشرون الخبز الجيد والكعك اللذيذ على حصر محبوكة من القش . او على اوراق الاشجار النظيفة . ويجلسون على أسرة مصنوعة من اغصان السرو والآس . ويتمتعون بصفاءِ العيش مع اولادهم، راشفين الخمور ، مكللين بالغار، مسبحين الآلهة—معاشرين بعضهم بعضاً بسلام .ولا يلدون اكثر مما يستطيعون ان يعولوا خوفاً من الفاقة والحرب (٣٧٢)

لاحظ ايها القارئ الكريم اشارتهُ الى تحديد النسل والى مذهب الاكتفاء بأكل الخضراوات والى الرجوع الى الطبيعة . ولكنهُ لا يقبل ان تقودهُ تصوراتهُ الشعرية الى الحيدة عن نهج التدقيق الذي انتهجهُ فيسأل نفسهُ « ولماذا يستحيل علينا تحقيق هذا الفردوس على الارض ! » ثم يجيب: هوالطمع من جهة والترف من جهة اخرى! فالناس لايكتفون ان يعيشوا المعيشة الفطرية الساذجة.فانهم لا يلبثون حتى يتشوفوا الى غيرها فيطلبوا ماليس في حياتهم.ويندر ان يطلبوا شيئاً الاّ اذا كان في حيازة آخرين . فينتج عن ذلك التعدي على ارض

الجار وممتلكاته والزحام بين الافراد والجماعات على الارض ونتاجها فيفضي ذلك الى الحرب وتنشأ التجارة وترتقي فتفضي الى تقسيم جديد بين الناس . « فكل مدينة » قال افلاطون «هي في الواقع مدينتان — مدينة الاغنياء ومدينة الفقراء وكل منهما في حرب مع الاخرى وفي كلّ من هذه الطبقات طبقات اخرى صغيرة — انك لتخطىء خطأً كبيراً اذا نظرت اليها على انها دولة واحدة » : (٤٢٣) وتنشأ طبقة التجار العامة التي يحاول افرادها الوصول الى المراتب الاجتماعية السامية عن طريق المال — « وينفقون مبالغ طائلة من المال على نسائهم » (٥٤٨). وهذا التغير في توزيع الثروة يصحبهُ او يعقبهُ انقلاب في الاحوال السياسية . فاذا امتدت اصابع التاجر الغني الى الارض أخذت الارستقراطية تندحر امام الاوليغاركية فيحكم الدولة التجار واصحاب البنوك فتهبط السياسة — وهي تعاون القوى الاجتماعية وتطبيق الخطط لنمو البلدان — الى درك اسفل وتحلّ محلها الالاعيب السياسية وفي مقدمتها فائدة الحزب وشهوة المناصب . وهكذا يميل كل شكل من اشكال الحكومة الى الانحطاط والاندثار اذا تمادى في المبدإ الاساسي الذي يقوم عليهِ . فالارستقراطية تتلاشى اذا حدّدت الدائرة والطبقة الارستقراطية التي يحق لها ان تتولى الاحكام تحديداً ضيقاً والاوليغاركية تميل الى التهدم متى قوي الميل الى جمع المال جمعاً عاجلاً من غير اي اعتبار آخر . وفي كلا الحالين يمضي التصدع الى الثورة . ومتى جاءت الثورة ظهر ان الباعث عليها سبب طفيف او شهوة زائلة . ولكنها في الواقع تكون نتيجة لعوامل خطيرة تعمل مدى دهر طويل كالجسم اذا اضعفتهُ العلل انزل بهِ اقلُّ تمرض المرض افتكَ الادواء (٥٥٦)

ثم تجيء الدمقراطية فيفوز الفقراء على خصومهم يذبحون بعضهم وينفون البعض الآخر ويمنحون الناس اقساطاً متساوية من الحرية والسلطان (٢٥٧)

ولكن الدمقراطية قد تتصدع وتندثر بكثرة دمقراطيتها. فان مبدأها الاساسي تساوي كل الناس في حق المنصب وتعيين الخطة السياسية العامة . هذه لمحة خلابة من نظام يستهوي العقول والنفوس ولكن الواقع ان الناس ليسوا اكفاء معرفة وتهذيباً ليتساووا في اختيار الحكام وتعيين افضل الخطط . وهذا منشأ الخطر (٥٨٨) ان حكم الرعاع بحر مصطخبٌ اذا امتطتهُ سفينة السياسة تقاذفتها كل ريح تهبُّ فينشأ من الدمقراطية الاستبداد . لان الجمهور يحبُّ المديح والاطراء فاذا جاءهُ زعيم يطرئهُ ليحقق مقاصده الخاصة داعياً نفسه حامي حمى الشعب وولاهُ الشعب السلطة العليا فيستبدّ بهِ (٥٦٥)

وكلما فكّر افلاطون في الامر تراهُ وقد تولاه العجب من هذا الجنون الذي يسمى دمقراطية — اي ان تمهد الى شهوات الجمهور واهوائه في اختيار الموظفين السياسيين . وحجتهُ في ذلك :

اذا كنا في المسائل الصغيرة كصنع الاحذية مثلاً لا نعهد في صنع احذيتنا الا الى اسكاف ماهر فكيف نحسب كل من يفوز باصوات كثيرة قادراً على ادارة احكام المدينة . فاذا مرضنا — يقول — ندعو طبيباً بارعاً في طبه ولا نبحث عن اجمل طبيب او افصح طبيب . واذا كانت الدولة معتلة يجب ان نبحث عن اصلح الناس واحكمهم لمناصب الحكم. ففرض الفلسفة السياسية هو استنباط طريقة تمكننا من ذلك

﴿ المسألة السيكولوجية ﴾ ولكن وراء مشاكل السياسة طبيعة الانسان . ولكي نفهم السياسة يجب ان نفهم الفلسفة النفسية . « الرجل كالدولة » ٥٧٥ . و« الحكومات تختلف كما تختلف اخلاق الناس . . . والدول مكونة من الطبائع البشرية » ...٥٤٤ . فالدولة تكون ما تكون لان ابناءها هم ما هم . فلا نطمع في ترقيه الدولة الا بترقية افرادها (٤٢٥)

فلنفحص قليلاً هذه المادة البشرية التي تتكون منها الدول. ان تصرف الانسان ينشأ عن ثلاثة مصادر : العقل : الشهوة : العاطفة

انك تجد هذه القوى في كل النفوس ولكن على درجات متفاوتة . ففي بعض الرجال ترى الشهوات مجسمة — لا يستقرّون على حال من القلق في طلاب المال والرفاهة والظهور والنزاع . فلا يحققون غرضاً حتى تحوم في نفوسهم اغراض. هؤلاء هم الرجال الذين يسيطرون على الصناعة . وفي طائفة اخرى ترى الشعور مجسماً والشجاعة ظاهرة . هؤلاء لا يهتمون بالباعث لهم على خوض غمار حرب وغرضهم منها وانما يهتمون اولاً بالنصر . وعظمتهم تتجلى في ابهة السلطان تساقالهم لا في الممتلكات واحراز الثروة . واعظم جذلهم في ميدان الحرب لا في سوق المال . من هؤلاء تتألف جيوش البر والبحر . ثم هنالك طائفة هي اقلية صغرى تهتم بالتأمل والفهم ، تدع جانباً السوق والميدان ، لتنسى الدنيا وما فيها في ملكوت الفكر . ارادة هؤلاء نور لا نار . وغرضهم الحقيقة لا السلطان . هؤلاء هم رجال الحكمة الذين لا تفسدهم الدنيا

ولما كان عمل الانسان الفرد على اتمه اذا كانت تمايه الشهوة تذكيها العاطفة ويقودها العقل ويكبح جماحها فهو كذلك في الدولة المثلى : رجال الصناعة ينتجون ولا يحكمون . ورجال الحرب يحمون حمى الدولة من غير ان تلقى اليهم مقاليد الحكم . ورجال المعرفة والعلم والفلسفة يُقاتون ويكسون ويحمون ليحكموا . لان الناس اذا لم يهدهم العلم كانوا جمهوراً من الرعاع من غير نظام — كالشهوات وقد اطلق لها العنان . فالناس في حاجة الى هدي الفلسفة والحكمة، كما تحتاج الشهوات الى انارة العقل . ان الدمار يحلُّ بالدولة حين يحاول التاجر، الذي نشأت نفسهُ في الثروة ان يصبح حاكماً (٤٣٤) او حين يستعمل القائد جيشهُ

لفرض دكتاتورية حربية . المنتج على اصلحهِ في ميدان الاقتصاد والجندي على اصلحهِ في ميدان الحرب . وكلاهما يكونان على افسدهما في المنصب العام ، وفي ايديهم غير المثقفة تفرق الاعيبُ السياسة حكمتها . لان السياسة علم وفن والرجل السياسي يجب ان يقف نفسهُ عليها ويستعدّ لها والملك الفيلسوف هو الرجل الوحيد الجدير بقيادة امة

وما لم يصبح الفلاسفة ملوكاً ويصبح الملوك والامراء حائزين لروح الفلسفة وقوتها ، وما لم تجتمع الحكمة والزعامة السياسية في رجل واحد ، لا تستطيع الدول ان تشفى من ادوائها . . . ولا الجنس البشري (٤٧٣)

هذا هو ركن الدولة المثلى في جمهورية افلاطون . وهذا هو مفتاح فلسفتهِ

٤ ـ الحلول التي تقترحها

﴿ الحلُّ السيكولوجي — نظام التهذيب ﴾ فما هو السبيل الى تحقيق هذا الغرض الاسمى ? نشرع بالاستيلاء على كل الاطفال الذين دون العاشرة (٥٤٠) اذ ليس في الطاقة انشاء الفردوس الارضي ما زال الصغار يفسدون كلَّ ساعة باقتفاء آثار كبارهم . يجب ان نفسح امام كل طفل ميدان المساواة في الحصول على التهذيب لاننا لا نستطيع ان نقرّر في اي سنٍّ يلمع مصباح العبقرية في نفوسهم وعقولهم . فعلينا ان نبحث عنهُ في كل طبقة من الطبقات وكل عمر من الاعمار . والخطوة الاولى على طريقنا هي « التعليم العام »

ثم قسّم مراحل التعليم . فجعلهُ تعليماً بدنيًّا محضاً في السنوات العشر الاولى وقضى ان يكون في كل مدرسة دار وميدان للالعاب الرياضية على اختلافها (الجمناستك). وهكذا نخزن في اجسامهم صحة تجعل الطبَّ فنًّا يستغنى عنهُ . اننا لا نستطيع ان نكوّن جمهوريتنا من افراد معتلي الابدان . ففردوسنا الارضي يجب ان يبدأ في جسم الانسان

ولكنَّ التمرين الرياضيَّ ينمي الانسان في جهة واحدة « فما هي السبيل الى الحصول على طبيعة لطيفة تدعمها شجاعة عظيمة — لانهُ يظهر ان الاثنين لا يجتمعان » ٣٧٥ . لعلَّ الموسيقى تحلُّ هذا المشكل المعقد . فبالموسيقى تتعلم النفس الايقاع والاتساق وينشأ فيها ميل الى العدل لانهُ «ايستطيع من كان ذا نفسٍ متسقةٍ ان يكون متعدياً» . ان الموسيقى تهذّب الاخلاق ولذلك تجد لها اثراً كبيراً في تعيين الاحوال الاجتماعية والسياسية . ثم يتناول افلاطون اثر الموسيقى في الصحة على منوال مذهب القائلين « بالشفاء بالاستهواء » وينتقل الى تعليل الاحلام على منوال فلسفة فرويد —اي ان مصدرها هو رغبات النفس المكبوتة . ففي كلٍّ منا حتى في الرجال الصالحين تكمن طبيعة الوحش البرّي وتظهر في اثناء النوم (٥٧٢)

فالموسيقى والايقاع يحبوان النفس والجسد صحة واتساقاً . ولكن التمادي في الموسيقى كالتمادي في الالعاب الرياضية يفسد النفس . لان هذا يجعل الرياضي كالوحش وذاك (اي الموسيقى) يُلينهُ ويضعفهُ (٤١٠) فيجب الجمع بين الاثنين ولذلك متى تجاوز الفتى السادسة عشرة يجب ان يقلع عن انفاق وقتهِ في تعلم الموسيقى

وهو لايقصد بالموسيقى الانغام فقط بل عرض الموضوعات التي لايفهمها الفتى في قالب يستهوي كالقالب الشعري مثلاً . وحتى هذه « القوالب » يجب ان لا يرغم على حفظها لان افلاطون يرى ما يراه ديوي وغيره من فلاسفة هذا العصر في طرق التعليم . انهُ يقول :

«فيجب تلقين تلاميذنا. . . . .مع الاعتناء بتلقينهم العلم بطريقةغير اجبارية. . . لانهُ لا يجوز ان يمزج تهذيب الحرّ بشيء من ملابسات الاستعباد . ان ارغام الجسد على الاعمال الجسدية لا يحدث تأثيراً في الجسد . اما في امر العقل فلا يتأصل علم في الذاكرة اذا اتاها بطريق الارغام. فيجب اعطاء الدروس للاحداث باسلوب الالعاب والتسلية ... ٥٣٦

هذه العقول الناشئة المتفتحة عن ازهار الفكر تفتحاً حرًّا ، وهذه الاجسام القوية المتسقة في جمالها وقوتها هي اساس الدولة النفسي والفسيولوجي. ولكن يجب ان نضيف الى هذين الاساسين اساساً ادبيًّا لان اعضاء المجتمع يجب ان يعيشوا عيشة وئام . على ان نفس الانسان تتنازعها الشهوات والرغبات . فكيف نقنع اصحابها بان لا يطلقوا العنان لشهواتهم . بنبابيت يتقلدها المحافظون على الامن العام ؟ انها طريقة وحشية تثير النزاع وتستدعي نفقات طائلة . فماذا نفعل — يقول افلاطون : يجب ان نمدَّ القوانين الادبية بسلطة من وراء الطبيعة : — اي يجب ان يكون لنا دين

وهو يعتقد كل الاعتقاد ان الامة لا تكون امة قوية الاّ اذا كانت تؤمن بأله — ليكن قوة كونية ، او سبباً اوليًّا ، او اندفاعاً حيويًّا ، ولكنهُ اذا لم يكن مجسماً في شخص فلا يستطيع ان يثير في صدور الناس رجاءً او عطفاً او تضحية . انهُ لا يستطيع ان يعزي القلوب الجريحة ولا ان يشجع النفوس الخائرة . وهكذا ترى افلاطون يسير بأدلتهِ على منوال ادلة بسكال . مع انهُ سبقهُ بنحو الفي سنة

بعد هذا يقدّم احداثنا للامتحان ، في الامور النظرية والعمومية . ويجعل الامتحان على طريقة تمكن كل ذي موهبة من اظهار موهبتهِ ، وكل ذي ضعفٍ ضعفهُ على وضح النهار . فالذين يسقطون في هذا الامتحان الاول يعين لهم عمل الدولة الصناعي — الكتاب وعمال المصانع والفلاحون . والذين يجتازون هذا الامتحان الاول يقضون عشر سنوات اخرى في التعليم والتمرن . ثم يتقدمون لامتحان آخر اصعب من الاول اضعافاً مضاعفة .

فالذين يسقطون فيه يعينون لمناصب مساعدي الحكام (التنفيذ) وضباط الجيش

وهنا — هنا يتعرض العمل لاعظم المخاطر . اذ كيف نقنع هؤلاء بوجوب قبول مصيرهم والاخلاد الى السكينة . ماذا يمنعهم من ان يجتمعوا مع العمال فيؤلفون دولة مصدر سلطتها الاكبر كثرة العدد ؟ هنا نعمد الى الدين فنقنع هؤلاء الشبان ان تقسيم الدولة الى هذه الاقسام منزَل لا يتغير — ونقصُّ عليهم خرافة المعادن :

« كلكم اخوان في الوطنية . ولكنَّ الاله الذي جبلكم وضع في طينة بعضكم ذهباً يمكنهم من ان يكونوا حكاماً . فهؤلاء هم الاكثر احتراماً . ووضع في جبلة المساعدين فضة . وفي العتيدين ان يكونوا زراعاً وعمالاً وضع نحاساً وحديداً . ولما كنتم متسلسلين بعضكم من بعض فالاولاد يمثلون والديهم . على انهُ قد يلد الذهب فضة . والفضة ذهباً . . . . . . فاذا ولد الحاكم ولداً ممزوجاً معدنهُ بنحاس او حديد فلا يشفق والدهُ عليهِ بل يولونهُ المقام الذي يتفق مع جبلتهِ . فيقصونهُ الى ما هو دونهم من الطبقات . فيكون زارعاً او عاملاً . واذا ولد العمال اولاداً ، ثبت بعد الحك ان فيهم ذهباً او فضة ، وجب رفعهم الى منصة الحكم . . . . (٤١٥)

بقي لدينا عدد ضئيل من الناس اجتاز افراده الامتحان الاول والثاني . هؤلاء نعلمهم الفلسفة . والفلسفة تقوم على عمادين . الاول التفكير الصافي الصحيح — وهو علم ما وراء الطبيعة . والثاني الحكمة في الحكم — وهو السياسة . ولتحقيق الغرضين يجب ان يتعلموا مذهب افلاطون في الصور والحقائق وهذا المذهب الذي يفيض عليهِ افلاطون انواراً من شعره وحكمتهِ ، كالتيهِ لابن هذا العصر يدخل فيهِ ولا يعرف ان يخرج منهُ . ولا بدَّ انهُ كان كوراً يمتحن فيهِ الطامحون الى مناصب الاحكام

وبعد ما يقضون خمس سنوات يدرسون هذه الفلسفة ، يتعلمون كيف يميزون الحقائق وراء الصور وبعد ما يقضون خمس سنوات اخرى يتعلمون تطبيق هذا المذهب على شؤون الناس ، اي بعد ان يقضوا خمساً وثلاثين سنة يستعدون هذا الاستعداد العظيم نقول ولا شك انهم صاروا جديرين بأن يكونوا الملوك الفلاسفة الذين نطمع بهم

ولكن افلاطون لا يكتفي بذلك . ان تعليمهم في نظرهِ لم يكمل بعدُ . لان تعليمهم كانت تغلب عليهِ حتى الآن الصبغة النظرية . فلينزلوا من قمم الفلسفة الى ظلمات الكهف — الى عالم الناس والاشياء . فان النظريات والمذاهب العامة لا تجدي نفعاً اذا لم تمتحن في عالم « الواقع » فيجب ان يخوضوا معمعة الحياة يتنافسون مع التجار والصناع ، ويصطدمون برجال الحيلة والدهاء — وفي ميدان هذا النزاع يتعلمون من كتاب الحياة المفتوح امامهم . قد يؤذي

الكفاح اصابعهم، وقد تجرح حقائق الحياة بعض مذاهبهم الفلسفية . ولكن لا بدَّ ان يتعلموا ان يكسبوا خبزهم بعرق جبينهم . هنا يقضون خمس عشرة سنة ، هي المحكُّ الاخير فيفشل بعضهم ويفوز البعض الآخر . فالفائزون يكونون قد بلغوا الخمسين —وقد هذَّبهم السنّ والاختبار وخفض من كبريائهم النظرية خوضُ معمعة الحياة فيخرجون وقد تحلّوا بالحكمة الناشئة عن التقاليد والخبرة والتهذيب والتأمل والنزاع في ميدان الحياة — هؤلاء هم غايتنا المنشودة — حكام الدولة المثلى

﴿ الحل السياسي او نظام الجمهورية ﴾ ومن غير ان نعمد الى الخدعة السياسية التي يسمونها « انتخاب » يصبح هؤلاء الرجال حكام الدولة . فكل ابن من ابنائها انفسح امامهُ الميدان ليبلغ القمة العليا . فالذين خاضوا المعمعان وخرجوا منهُ سالمين يحقُّ لهم ان يتقلدوا زمام السلطان من غير ان يكون لاخوانهم في طبقات الشعب الاخرى رأي في ذلك

فهل هذه هي الارستقراطية ؟ ولماذا نخاف التلفظ بهذه اللفظة ، اذا كانت الحقيقة التي تنم عليها صالحة ومفيدة ؟ اننا نريد ان يحكمنا افضل الافاضل . وهذا هو معنى الارستقراطية . على انها في عرف العصر الحاضر وراثية وهذا ما نخافهُ فيها . فليعلم القارئ ان ارستقراطية افلاطون ليست كذلك . حتى ليصح ان ندعوها ارستقراطية دمقراطية . لان الشعب في جمهوريته لا يختار — كما يحدث في بعض البلدان الآن — اهون الشرَّين من رجلين مرشحين للرآسة مثلاً — بل يكون كل منهم مرشحاً والزمن هو الذي يختار . فالانتخاب هو انتخاب التهذيب . ومن يجري في نظام افلاطون التهذيبي الى غايته من غير ان يسقط في الطريق يصبح بحكم الطبع حاكماً وفيلسوفاً في آنٍ واحد . انك لست تجد في هذا النظام طبقة تمتاز على طبقة من هذا القبيل فلا المنصب ولا الثروة ولا الامتيازات تغني في هذا الميدان . وصاحب الموهبة لا يطمس موهبتَـهُ الفقرُ ولا ضعفُ النفوذ . فابن الحاكم يبدأ حيث يبدأ ابن الجندي وابن التاجر وابن الفلاح وابن الاسكاف . ومجال التقدم مفتوح امام الموهبة التي هي اسمى المواهب كائناً صاحبها من كان . هذه هي ديموقراطية المدارس. ديموقراطية التعليم والتهذيب . وهي الف ضعف افضل واحكم من دمقراطية صناديق الانتخاب

يصرف هؤلاء الحكام نظرهم عن كل عمل الاّ عمل الحكم ، ويقفون نفوسهم على محافظة حرية الدولة فتكون هذه صناعتهم ويصدون عن كل صناعة اخرى لا علاقة لها بها . فيكونون الشارعين والمنفذين والقضاة في آنٍ واحد . حتى القوانين المسنونة لا تربطهم بحكم من الاحكام اذا رأوا ان تغيُّر الاحوال يقضي بتغيير القوانين . وركن حكمهم هو « المعرفة المرنة » ، ورغم تقدمهم في السن يفوزون بهذه الصفة لانهم من محبي الفلسفة

وبالفلسفة يعني افلاطون الثقافة الفعالة — الحكمة تدعمها معرفة مقتضيات الحياة العملية — ولا يقصد بالفيلسوف من يقتصر على درس ماوراء الطبيعة في عزلة عن سمع الجمهور وبصره ، وما يتنازع حياة هذا الجمهور من بواعث ورغبات وانفعالات

[اشتراكية الملك] ولكن ألا يحمل هؤلاء الحكام تيار القوة والسلطان على السطو على املاك غيرهم حين تحدثهم النفس بتوفير الثروة وتوسيع الملك ؟ ان افلاطون احترز من الوقوع في هذا فجعل الحياة اشتراكية في طبقة الحكام . واليك ما يقول :

« ١ : ان لا يمتلك احدهم عقاراً خاصاً ما دام ذلك في الامكان »

« ٢ : ولا يكون لاحدهم مخزن . . . . . ويجب ان يتقاضوا من الاهلين دفعات قانونية اجرة خدمتهم ، بحيث لا يحتاجون في آخر العام ولا يستفضلون . ولتكن لهم موائد مشتركة كما في ثكنات الجنود . وان يخبروا ان الآلهة ذخرت في نفوسهم ذهباً وفضة سماويين فلا حاجة بهم الى الركاز الترابي . . . . ان نقود العامة فيها دخَل كثير وهي مجلبة لكثير من الشرور ولكن ذهب الحكام السموي عديم الفساد . فهم وحدهم من بين كل رجال المدينة مستثنون من مسّ الفضة والذهب . فلا يدخلونهما تحت سقفهم ولا يحملونهما ولا يشربون بكؤوس صيغت منهما . وبذلك يصونون انفسهم ودولتهم . ولكنهم اذا امتلكوا اراضي وبيوتاً ومالاً وملكاً خاصًّا صاروا مالكين وزرّاعاً عوضَ كونهم حكاماً . فيصبحون سادة مكروهين لا حلفاء محبوبين . . . يُكاد لهم ويكيدون . فيقضون الجانب الاكبر من حياتهم في هذا العراك . . . . »

[شيوعية النساء] ولكن ماذا تفعل نساؤهم ؟ هل يكتفين بالصدّ عن اسباب الرفاهية والترف ؟ فيجيبك افلاطون «لا يكون للحكام نساء» . فاشتراكيتهم — او شيوعيتهم — يجب ان تتناول النساء ايضاً . لانهُ يجب ان يتحرروا من حب الذات ومن حب الاسرة . ويجب ان لا تنحصر مطالبهم في تحصيل الرزق كما يفعل رب البيت ويجب ان يقفوا حياتهم على المجتمع لا على المرأة . «يجب ان تكون النساء بلا استثناء ازواجاً مشاعاً لاولئك الحكام . فلا يخصُّ احدهم نفسهُ باحداهنّ . وكذلك اولادهم يكونون مشاعاً فلا يعرف والد ولدهُ ولا ولد والده ...» وحال ولادة الاطفال يتسلمهم موظفون مختصون بهذا الغرض . فيحمل الموظفون اولاد الوالدين الممتازين « الى المراضع العامة .. » وتعنى نساء كل الحكام باولاد كل الحكام من غير فرق . وهكذا ينشأُ الاولاد اخوة بالحق . فيكون كل ولد اخاً لكل ولدٍ آخر . وهذه الشيوعية خاصة بطبقة الحكام فقط

[مساواة النساء بالرجال] ولكن من اين نأتي بهؤلاء النساء ؟ لاشك ان بعض

الحكام يخطبون ودّ بعض النساء من طبقات العمال ولكن غيرهنّ يصبحن من طبقة الحكام لانهنّ يجتزن الامتحانات التي تقدم ذكرها مع الرجال، اذاً لا يغرب عن بالنا ان ميدان التعليم في جمهورية افلاطون مفتوح للجميع — لابناءِ الجنسين ولابناء كل الطبقات على السواء — على مصراعيهِ وحين يعترض غلوكون قائلاً ان قبول النساء في المناصب العامة (بعد اجتيازهنّ الامتحانات) يناقض مبدأ توزيع الاعمال الذي سبق لافلاطون فبسطهُ، يجيبهُ هذا ان تقسيم الاعمال يجب ان يبنى «على الميل الطبيعي والمقدرة الخاصة لا على الجنس». فاذا ابدت المرأة مقدرة في الادارة السياسية فلتحكم واذا اثبت الرجل انهُ لا يستطيع ان يعمل عملاً افضل من غسل الصحون فليمنع عن كل عملٍ الاَّ غسل الصحون!

على ان افلاطون احكم من ان يرضى بان تكون المزاوجة عملاً لا رقابة عليهِ. لانهُ يعرف من درس الحيوانات ان التأصيل لهُ اكبر اثر في انتاج الصفات العالية التي يتوخاها اصحابها. لذلك يقول بتطبيق هذا المبدأ على الناس. وهذا هو مذهب اليوجينية لان التعليم في رأيهِ لا يكفي بل يجب ان يكون الفتى من اصل اصيل. وان يكون من ارومة متينة العقل والجسم. فالتعليم يجب ان يبدأ قبل الولادة — اي بانتخاب الزوجين ولذلك لا يسمح لرجل ولامرأة ان يُعقبا الا اذا كانا متمتعين بصحة جيدة. وكل امرأة يجب ان تبرز شهادة قبل زواجها. ما اقل الحكومات التي تحتم ذلك الان! والرجال لا يحق لهم ان يُعقبوا الا اذا كانت اعمارهم تتراوح بين الثلاثين والخامسة والخمسين والنساء متى كنّ بين العشرين والاربعين. والمزاوجة قبل هذين الحدين وبعدها في الرجال وفي النساء يجب ان تكون من غير عقب. واذا حملت المرأة فيجب ان تجهض او ان لا يرى وليدها النور (٤٦١) كذلك يمنع الزواج بين الاقارب ويجب ان «نكثر من تزويج افضل الرجال بافضل النساء وان نقلّ من تزويج ادنياء الرجال بمثيلاتهم من النساء (٤٦٠)

ويمهد في الذبّ عن حياض الدولة الى طبقة متوسطة بين العمال والحكام هي طبقة الجند. ولكن يجب ان نحترز من الاسباب التي تؤدي الى الحرب واهمها زيادة السكان (تحديد النسل). وثانيها التجارة الخارجية والمنازعات التي تثيرها (كأن افلاطون ابن القرن التاسع عشر او ابن القرن العشرين). وهكذا نرى ان بناء الدولة السياسي هرميّ الشكل أعلاهُ طبقة قليلة من الرجال والنساء، هي طبقة الحكام يحميها ويدافع عنها فريق الجند. والقاعدة هي طبقة العمال والصناع والتجار. وافرادها يحق لهم ان يمتلكوا املاكاً خاصًّا وان يكون لهم ازواجٌ وأسرٌ. ولكن الحكام يضبطون سير الصناعة والتجارة حتى يمنعوا التمادي في الثروة والتمادي في الفاقة وقد يمنعون الربا كما ابان افلاطون في غير مكانٍ من محاوراته

﴿ الحلّ الادبي ﴾ اما وقد اتينا على تحليل الاستطراد السياسي فلنرجع الى المسألة الادبية التي بني عليها الكتاب : ما هي العدالة ؟

يرى افلاطون ان العدالة في الدولة هي ان يلزم كل فرد العمل الذي يجيده وان يتناول منها قدر ما يعطيها . فالرجل العادل في الدولة هو الرجل الذي ينزل في منصبهِ المعدّ له ، وفيهِ يبذل وسعهُ ليعطي الدولة قدر ما يأخذ منها . ان دولة كهذه هي بالحق جماعة متسقة اتساقاً موسيقيًّا لان كل عنصر من عناصرها يجب أن يكون في مكانهِ يقوم بعملهِ كما يقوم الموسيقي بعملهِ في الجوق اما اذا خرج الناس كلٌّ من مكانهِ الخاص بهِ ، فاصبح الجندي حاكماً والعامل جنديًّا تصدَّعت اركان الدولة وتفككت عراها وفسد قوامها وانحلَّت وقضي عليها . فالعدالة هي التعاون الفعَّال

والعدالة في الفرد هي التعاون الفعال — على المنوال المتقدم — بين العناصر المختلفة التي تتألف منها طبيعة الانسان — فكل انسان عالم من الرغبات والشهوات والآراء والعواطف .فاذا اتسقت هذه الظاهرات النفسية وتعاونت ظهر صاحبها رجلاً حكيماً عادلاً . واذا اختلَّ التوازن بينها وسيطرت العاطفة على سائر القوى او نزل منها العقل مجرداً منزل الملك المستبدِّ تصدَّعت اركان الشخصية وسرى اليها الفساد . فالعدالة هي النظام والجمال في النفس . انها للنفس بمقام الصحة للجسد

وهكذا يردُّ افلاطون ردًّا ابديًّا على ثراسيماخس ونيتشه واتباعهما . العدالة ليست القوة مجردة . وانما هي القوة المتسقة . العدالة ليست حق الاقوى ولكنها تعاون كل الاجزاءِ تعاوناً فعالاً متسقاً على ما فيهِ خير الكل

***

الجمهورية — كما اثبت التاريخ — هي اولى المحاولات التي حاولها عقل بشري ليخلق دولة مثلى ، توضع في عالم الفكر والسياسة ، مع البارثنون في عالم الفن . فالكتاب كلهُ أبلغ مثل على معنى العدالة حسب مذهب افلاطون — انهُ قطعة من الفن متسقة الاجزاء كانها لحن موسيقي خرج من ايدي اربابهِ — فمن مقدمتها الى آخر سطر فيها يتبع الرأيُ الرأيَ ويأخذ الدليل السابق بعنق الدليل اللاحق ، وذلك في دقة واتقان ومنطق وجمال انك لا تستطيع ان تحذف جزءًا منها من غير ان تفقدها جانباً من كامل روعتها . لان افلاطون يكاد يكون الوحيد بين الفلاسفة الذي جمع بين الفلسفة والفن وهذا هو سرُّ عظمتهُ الخالدة المتجددة على كرّ الايام

فؤاد صرّوف

القاهرة ٧ اغسطس ١٩٢٩

السر ادون راي لانكستر

(١٨٤٧ — ١٩٢٩)

خليفة هكسلي — بطل المذهب الداروني — رسول : العلم قوة

توفي في الاسبوع الثالث من شهر اغسطس الماضي عالم انكليزي من اعظم علماء الحيوان في هذا العصر وندٌّ من انداد العلماء العظام الذي ظهروا في الثلث الاخير من القرن الماضي كالسر تشارلس ليل والسر داڤيد بروستر وهكسلي وتندل واون وفرنكلند وستوكس وغيرهم. عالم اتخذ مملكة الحيوان ميداناً لبحثه فلم يصوّب اشعة فكره الى موضوع من موضوعاتها الا غمره بالنور وكشف فيه عن حقائق لم تنجلِ لغيره من قبل. ان مكتشفاته في عالمي البكتيريا والبروتوزوى (ادنى انواع الاحياء من نبات وحيوان) جعلت اساساً بني عليه جانب من الصرح العلمي المجيد. ومباحثه في علم الاجنة وبراعته في وصف الحيوانات وتبيين مراتبها كانت مرحلة ارتقاء صحيح في تاريخ هذين العلمين. اضف الى ذلك انهُ قد انقضى عليه نصف قرن وهو اشد انصار المذهب الداروني شكيمة وارسخهم حجة كما انهُ كان رسولاً بليغ البيان يذيع بين الناس ان العلم قوة لا غنى عنهُ لامة في هذا العصر

وُلد المترجم في لندن في ١٥ مايو سنة ١٨٤٧ وكان ابوه الدكتور ادوين لانكستر كاتباً مجيداً اشتهر بكتاباته العلمية. فنشأ الفتى في بيت علم وفضل. وتلقى العلم في مدرسة سانت بول ثمَّ في كلية دوننغ بكمبردج فني كلية كرئِست باكسفرد. فأظهر ميلاً الى العلوم البيولوجية ونبوغاً فيها. وكانت باكورة مكتشفاته العثور على اول حيوان طفيلي عُثر عليه في الكريات الحمراء في دم الانسان. كان ذلك سنة ١٨٧١ وهو في الرابعة والعشرين من عمره. فبني على هذا الاكتشاف البديع كثير من المباحث الطبية النظرية والعملية. وأشهر الامثلة على ذلك الكشف عن الحييوينات التي تسبب الحمى الملارية. فهي طفيليات تتصل بكريات الدم الحمراء وتتكاثر فيها. فذاعت شهرته العلمية في الخافقين ودعتهُ الكليات والجامعات للتدريس فيها فشغل مناصب تعليمية مختلفة في لندن وادنبرج واكسفرد. وظل استاذاً للحيوان وتشريح المقابلة في كلية الجامعة بلندن من سنة ١٨٧٤ الى ١٨٩٠ ثم شغل منصب استاذ تشريح المقابلة في جامعة اكسفرد سنة ١٨٩١ — ١٨٩٨ وبعدها عيّن مديراً لمتحف التاريخ الطبيعي بسوث كنسنجتون بلندن وظل متقلداً ادارتهُ الى سنة



السر ادون راي لانكستر
١٨٤٧—١٩٢٩

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩
امام الصفحة ٣٦٩

١٩٠٧ فازدهر المتحف في عهدهِ واتسع نطاقهُ حتى صار يحسب من امجاد المعاهد العلمية في انكلترا . كذلك ظل سنتين استاذاً للفسيولوجيا وتشريح المقابلة في المعهد الملكي بلندن (١٨٩٨ — ١٩٠٠) . وانتخب سنة ١٩٠٦ رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني الذي اجتمع في يورك فخطب فيهِ خطبة الرآسة واختار موضوعاً لها « العلم في ربع قرن بسط في مطلعها ما يمكن ان نحسبهُ خلاصة فلسفتهِ العلمية . قال :

« اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدم العلوم في الخمس والعشرين السنة الماضية وجب علينا على ما اظن ان نميز بين نوعين من التقدم . وهذان النوعان كانا نصب عيون الذين انشأوا هذا المجمع . لقد الّف فرنسس باكون كتاباً سمَّاه تقدم العلم بحث فيهِ عن الاساليب التي تتقدّم بها المعارف وعن كيفية جعل المعارف مفيدة لنوع الانسان ولارتقاءِ العمران حتى يهتمّ بها جمهور الناس كما يهتم بها رجال العلم انفسهم . . . ولذلك اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدُّم العلوم في الخمس والعشرين السنة الماضية وجب ان لا نقتصر على ذكر الحقائق التي كشفت حديثاً والآراء والتصورات التي شاعت بل ان نسأل ايضاً عن التقدم الذي تقدّمهُ العلم في كونهِ صار من المواضيع التي يشتغل بها الناس بنوع عام . فهل عندنا ما يدلُّ على زيادة تأثير العلم في معيشة السكان وفي سياسة البلاد. وهل نحن مهتمون بما يلزم لترقية العلوم حسبما تستدعيهِ احوال الزمان وباستخدام الرجال الاكفاءِ الذين تمرَّنوا على المباحث العلمية لكي تنتفع بهم البلاد ؟ »

ولم تحُلْ اعمالهُ الرسمية ومباحثهُ العلمية الكثيرة بينهُ وبين القلم. فقد كان كاتباً علميًّا مجيداً يصف الحقائق العلمية وصفاً يقرّبها الى الاذهان من غير ان يتهاون في دقة التعبير او يحيد عن النهج العلمي الصحيح . انشأ سنة ١٨٦٩ اي لما كان في الثانية والعشرين من عمرهِ «مجلة العلم المكرسكوبي » وقام باعباءِ تحريرها . وظلّ يكتب الى اواخر ايامهِ فصلا علميًّا اسبوعيًّا في جريدة الديلي تلغراف موضوعهُ العام « العلم من كرسي مريح » وقد جمعت اكثر هذه الفصول في كتابين بهذا العنوان وفيهما يقع الطالب على رسائل طريفة في موضوعات علمية لا يحيط بها ولا يفيها حقها الاَّ المتفرغ للعلم المتعمق في نواحيهِ المختلفة . هذا الى صفاء في الفكر و بلاغة في التعبير . وقد عني عناية خاصة بالوقوف على مذكرات هكسلي وطبعها ونشرها وبتفصيل آراءِ صديقهِ متشنيكوف . ومن اشهر كتبهِ « العلم والتعليم » . «كبار الاشياءِ وصغارها » . « اسرار الارض والبحر ». « تسليات طبيعي » : وغيرها . وقد اشتهر خطيباً علميًّا بسلسلة من المحاضرات القاها على جمهور من الاحداث موضوعها « الحيوانات المنقرضة »



كيف تتصل لندن بأكبر
مدن العالم اتصالا تلفونياً

المشهد الاول

في مكتب تحرير التيمس بلندن في يوم الجمعة ٧ يناير ١٩٢٧

جلس محرر التيمس في مكتبه بلندن واذا جرس التلفون يقرع في نحو الساعة الاولى بعد الظهر والدقيقة الخمسين . فرفع السماعة فسمع صوتاً يقول : انا ادولف اوكس صاحب جريدة التيمس النيويوركية . وكان المستر اوكس جالساً في مكتبه بنيويورك على نحو ثلاثة آلاف من الاميال وامامهُ صورة محرر التيمس اللندنية لكي يرى الشخص الذي يخاطبهُ . وبعد ما تبادلا عبارات التحية والمجاملة المألوفة وصف صاحب التيمس النيويوركية ما في الولايات المتحدة الاميركية من ميل في الرأي العام الى اعادة النظر في مسألة ديون الحلفاء لاميركا . ثم وصف استنباطاً جديداً دعي بالصور المتحركة الناطقة فكانت هذه الرسالة وعدد كلماتها الانكليزية ٢٣٠ كلمة احدى الرسائل الصحافية الاولى التي ارسلت بالتلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك . وقد ردَّ عليها محرر التيمس اللندنية بكلمة تناسب المقام

وكانت ادارة التيمس اللندنية قد ابرقت الى مكاتبها النيويوركي لكي يعدَّ رسالة تحتوي على نحو ٦٠٠ كلمة يملها على احدى الكاتبات بالتلفون اللاسلكي لتنشر في الجريدة وفي الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين قرع جرس التلفون في ادارة التيمس اللندنية فاذا مراسلها في نيويورك يخاطبها فاملى على احدى كاتباتها رسالتين مجموع كلماتهما ٥٦٧ كلمة في ست دقائق وهو الوقت المحدَّد للمخاطبة . وبعد ما اتمَّ املاء الرسالتين سأل رؤساءهُ في لندن هل سمعوا كل كلمة فاه بها ودوَّنوها او يلزم ان يرسل الرسالتين بالتلغراف حتى تصححا فقالوا « سمعنا كل كلمة على ما يرام » وانتهت المخاطبة . وفي اليوم نفسهِ جرت محادثة تلفونية بين صاحب جريدة « الورلد » النيويوركية ومحرر « الديلي اكسبرس » الانكليزية . وبين مدير شركة التلغرافات والتلفونات الاميركية ومدير مصلحة البريد الانكليزية



لندن والعالم

ارتقاء المخاطبات اللاسلكية
بين عواصم الدنيا وغرائبها

المشهد الثاني

في مرسى ليكهرست بالولايات المتحدة في ١٥ اكتوبر ١٩٢٨

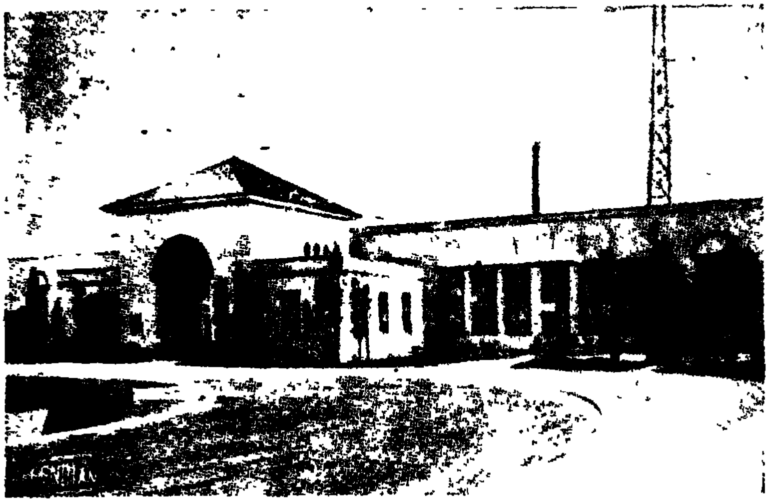
البلون غراف زبلين محوّم فوق مرسى ليكهرست بعد ما اجتاز المسافة بين المانيا والولايات المتحدة في احوال تسترعي الانظار والاسماع وبعد ما لقي في طريقهِ من العواصف والمخاطر ما القى في النفوس القلق والروع وبعد ما ابدى ربّانهُ وابن ربانهِ وملاحوهُ من البراعة والجرأة ما ينزل من تاريخ الطيران في صفحة المجد. وعلى الارض جمهور من المتفرجين يحصى بعشرات الالوف انقضى عليهم ساعات وهم ينتظرون قدوم ملك الفضاء وقد عيل صبرهم فجعلوا يتدافعون حتى تخطوا الحدود التي عينها البوليس الاميركي. ولما اقترب البلون من الارض اندفع الجمهور كالتيار الجارف حتى كاد رجال الحفظ يعجزون عن صدّهِ عن اذية البلون. واذ الجمهور كذلك انسلّ منهُ شابٌ وعدا الى دكان قريب من المطير. لان الثانية في نظرهِ كانت بمثابة دهر وهو مكاتب صحافي ديدنهُ السبق في نقل الانباء. ودخل الى غرفة من غرف التلفون العمومي يشرف من كوّتها على المطير. وطلب باللغة الانكليزية شاكراً لربهِ المامهُ بها ان يتصل في الحال بمكتب المخاطبات الطويلة المدى. فلما اتصل بهِ طلب ان يخاطب رقم S.N. ٦٨ برلين. وما انقضت عليهِ دقائق ست حتى سمع صوت زميل قديم لهُ يخاطبهُ من مكتب جرائد اولشتاين في برلين فهزهُ الدهش والاعجاب حتى كاد ينسى غرض المحادثة. ولما افاق من حيرتهِ ودهشهِ املى على زميلهِ وصفاً مسهباً لوصول الغراف زبلين الى ليكهرست ونزولهِ فيها سالماً والاستقبال العظيم الذي كان معدّاً لهُ. ومن مكتب شركة اولشتاين في برلين وزعت هذه الاخبار على اشهر مدن المانيا ولم تلبث ان ظهرت طبعات خاصة من صحفها تصف باسهاب حادثاً تمّ في اميركا قبل ربع ساعة وصفاً نُقلت كل كلمة من كلماتهِ شفاهاً وكان الحديث ينقل والبلون لا يزال آخذاً في النزول الى الارض

ومن يدري فقد يتاح لنا في يوم من ايام السنة القادمة او التي تليها ان نجلس في مكتبنا في دار المقتطف والمقطم ونمسك سماعة التلفون فنطلب لندن ومنها منشستر او ادنبرج او نيويورك ونحدث الى من نريد التحدث اليه فيها كاننا نخاطب القدس او الاسكندرية او الزيتون. ذلك لان الحكومة المصرية قد اتفقت مع شركة مركوني والشركات المتحدة بها ان تنشىء محطة لاسلكية في مصر تمكننا من مخاطبة لندن بالتلفون. لذلك رأينا ان نبسط للقراء مبادىء التلفون اللاسلكي المستعمل الآن بين اميركا واوربا بل قل بين كل بلدان العالم. لانهُ ما كاد يجف المداد الذي نكتب به هذه الكلمات حتى جاءتنا الانباء البرقية ان المحادثات التلفونية اللاسلكية قد فتحت بين لندن واستراليا فصار الرجل الجالس في دارهِ في اية بلدة من بلدان انكلترا يستطيع ان يخاطب ابنهُ او ابن عمهِ او صديقهُ او زميله في سدني او ملبورن على بعد عشرة آلاف ميل او اكثر. هذا هو سحر العلم والاستنباط!

بين اميركا واوربا

افتتح الخط التلفوني اللاسلكي بين لندن ونيويورك في ٧ يناير سنة ١٩٢٧ وكان الناس لا يزالون في ريبة من صدق ما يدعيه المستنبطون حاسبين أن المخاطبات التلفونية اللاسلكية سحر الآلهة لا يكشف عن سرّه لابناء الارض. أما القائمون بالامر من رؤساء شركة التلغراف والتلفون الاميركية ومديري مصلحة البريد الانكليزي فكانوا يثقون كل الثقة بالنتائج التي اسفرت عنها مباحث العلماء والمهندسين وحسبوا ان غرابة الامر لا بدَّ أن تبعث الناس على الدهش اولاً ثم على الاقبال على استعمال هذه الوسيلة الجديدة من وسائل المخاطبات

وقد صحَّ فألهم. فان ٢٩٠٠ شخص في اميركا استعملوا هذا التلفون في السنة الاولى من انشائه. ثم اخذ العدد يزداد ازدياداً مطرداً حمل القائمين بامره على تخفيض الاجور. فقد كان اجرة المخاطبة التي تستغرق ثلاث دقائق ١٥ جنيهاً مصريًّا في البدء فخفضت الى تسعة جنيهات. كذلك كان النجاح الذي صادفوهُ في هذا الضرب من التخاطب باعثاً لهم على توسيع نطاقهِ. فبعد ما كانت المخاطبات تجري بين نيويورك ولندن فقط اتسع نطاقها حتى صارت تشمل كل مدن الولايات المتحدة الاميركية وكندا والمكسيك وكوبا من جهة وكل مدن انكلترا الكبيرة وعواصم اوربا من جهة اخرى. وصار التخاطب بين شيكاغو وبرلين او كوبنهاغن او فينا أو باريس أمراً مألوفاً. وقراء المقتطف يذكرون أن الطيّار لندبرغ تخاطب مع امهِ بعيد وصوله الى باريس طائراً من نيويورك وكانت هي في دترويت مدينة تبعد عن نيويورك نحو الف ميل. وقد وصف مدير التلفون اللاسلكي في



محطة ارسال المحادثات التليفونية اللاسلكية قرب نيويورك

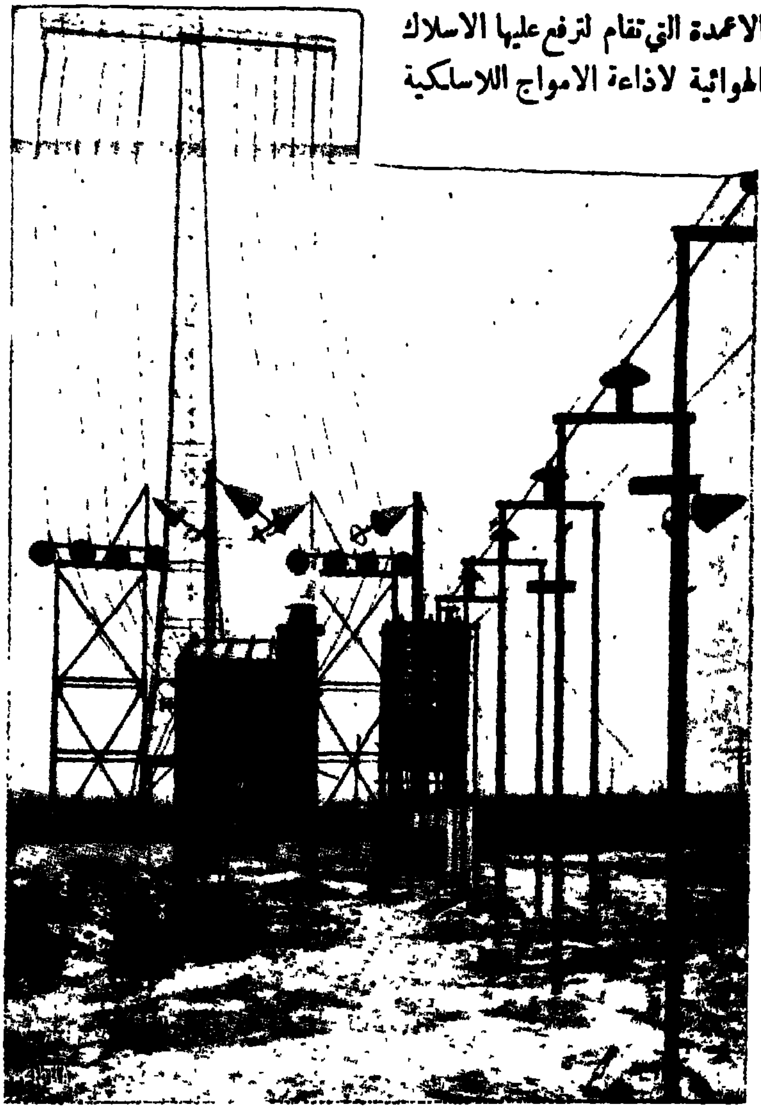


مركز (سنترال) التليفون اللاسلكي في مكتب المحادثات البعيدة بلندن

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٧٢

الاعمدة التي تقام لترفع عليها الاسلاك الهوائية لاذاعة الامواج اللاسلكية



المحطة اللاسلكية المرسلة في رُكي بوينت قرب نيويورك

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٢٧٠

شركة التلفون والتلغراف الاميركية هذا الاتساع فقال: ان في الولايات المتحدة الاميركية نحو تسعة عشر مليوناً من التلفونات وكلٌّ واحد منها صار يستطيع ان يتصل بأي تلفون من تلفونات العالم القديم وعددها نحو ثمانية وعشرين مليوناً!

وقد اتسع هذا النطاق حديثاً حتى شمل القسم العربي من شمال افريقية وقريباً يشمل مصر ومدن اميركا الجنوبية كما عمَّ منذ عهد قريب مدن استراليا

ايدرك القارىء ما يعني كلُّ هذا التقدم؟ انك تستطيع ان تتخاطب وانت جالس في مكتبك أو دارك أو ناديك مع من شئت سواء كان في لندن بانكلترا أو بونس ايرس في الارجنتين أو فينا بالنمسا او استوكهلم باسوج أو سدني باستراليا أو تونس بالجزائر. وكل هذه المخاطبات على جانب عظيم من الكتمان لان التلفون اللاسلكي والسلكي يشتركان في ارسالها واذاعتها واستقبالها. فاذا التقطت الامواج الاثيرية سارت على سلك خاص يوصل الكلام الى سماعتك الخاصة وللكتمان جهاز خاص لا يزال امرهُ سرًّا مكتوماً

كيف تجرى المخاطبات

هبك في شيكاغو وتريد ان تخاطب صديقاً أو عميلاً لك في فندق سافوي بلندن. فتتناول سماعة تلفونك العادي وتطلب من عاملة التلفون التي تجيبك ان تصلك بالمكتب الخاص بالمخاطبات البعيدة فتقول للعاملة في هذا المكتب أريد أن اخاطب فلاناً في فندق سافوي بلندن. فتفتح الطريق التلفوني أمامك الى نيويورك كما تفتح الطريق امامك عاملة التلفون بمصر حين تخاطب الاسكندرية أو بيت المقدس. وحالما تعلم عاملة التلفون في نيويورك أنك تودّ أن تخاطب لندن تحول صوتك الى القسم المختص بذلك في مكتب نيويورك ومنهُ ينتقل صوتك على اسلاك التلفون السلكي مسافة ٧٢ ميلاً الى المحطة اللاسلكية القائمة في مكان يدعى «رُكي بوينت» على مقربة من مدينة نيويورك. في هذه المحطة يقوّى الصوت ويتحوَّل الى أمواج لاسلكية قوية بواسطة أنابيب مفرغة معدَّة لذلك. ثم يبعث في الاسلاك الهوائية التي يبلغ طولها ميلان ومنها يذاع في الجوّ امواجاً لاسلكية تجتاز الفضاء بسرعة النور. أي بسرعة ١٨٦ الف ميل في الساعة. على ان هذه الامواج تضعف كثيراً في اجتيازها الفضاء بين اميركا وانكلترا ولكن ما يبقى منها تلتقطهُ الاسلاك الهوائية في محطة الاستقبال الانكليزية القائمة في بلدة كوبار بشمال اسكتلندا وهناك تقوّى وتحوّل الامواج اللاسلكية الى تيار تلفوني سلكي عادي وترسل على الاسلاك العادية الى لندن. ومثل كل محادثة تلفونية عادية ينتقل الصوت الى صديقك في فندق سافوي

ولكن حين يردّ عليك صديقك لا يتبع صوته الطريق التي جاء عليها صوتك. ذلك انهُ متى ردّ عليك ينتقل صوتهُ الى السنترال اللندني ومنهُ لا يرجع الى كوبار حيث التقط صوتك بل يذهب على سلك تلفوني عادي الى محطة قريبة من لندن تدعى محطة رجبي ومنها يذاع امواجاً لاسلكية كما اذيع صوت صديقك من محطة « ركي بوينت » وحين يصل صوتك الى اميركا لا تلتقطهُ محطة « ركي بوينت » بل تلتقطهُ محطة أُخرى في بلدة هولتن بولاية ماين وهناك تقوّى امواجهُ وتبعث الى نيويورك على سلك تلفوني طولهُ نحو ٦٠٠ ميل ومن نيويورك تنقل الى شيكاغو مثل كل محادثة تلفونية بعيدة المدى

فلدينا اذاً أربع محطات لا سلكية الاولى محطة ركي بوينت ومنها يرسل كلام الاميركي ومحطة كوبار باسكتلندا التي تلتقط هذا الكلام . ثم هناك محطة رجبي قرب لندن التي ترسل كلام المحدّث من فندق ساڤوي الى اميركا فتلتقطهُ المحطة الاميركية التي في هولتن بماين

والغريب العجيب في أمر هذه المحطات كلها انها بلغت من الدقة والانتظام والسرعة في اذاعة الكلام واستقباله حتى لتشعر وأنت تحدث شخصاً يبعد عنك الوف الاميال وتفصلهُ عنك بحار وقارات كأنهُ على مقربة منك يحدثك من غرفة مجاورة

غرائب المحادثات

كان عدد الذين استعملوا التلفون اللاسلكي بين لندن ونيويورك يوم افتتاحهِ الاول ٣٥ شخصاً . ولكن هذا العدد قد تضاعف الآن منذ اتسع نطاق المخاطبات حتى صار يشمل اشهر مدن اوربا واميركا ومنذ خفضت اجورها واستنبطت طريقة لكتمانها. فتوسط عدد الذين يستعملون هذه الطريقة من طرق المخاطبات كل يوم سبعون شخصاً ستون في المائة منهم يستعملونها لاغراض تجارية ومالية واربعون في المائة لاغراض اجتماعية . واول صفقة تجارية عقدت بالتلفون اللاسلكي كانت بين شركة انكليزية وشركة اميركية فاشترت الاولى من الثانية مقداراً كبيراً من الخشب

ولما ثبت ان هذه الوسيلة الجديدة من الوسائل التي يصح الاعتماد عليها اقبل الناس عليها اقبالاً عظيماً . فعقد مجلس الادارة في احدى الشركات البريطانية جلسة اصغى فيها الى خطبة خطبها رئيسهُ وهو جالس بمكتب في نيويورك . وعقدت احدى شركات البترول قرضاً قدرهُ خمسة ملايين لاحد فروعها وكانت الرسائل قد عجزت عن ازالة سوء التفاهم الذي نشأ فازالهُ حديث استغرق بضع دقائق وعرف رجل بنيويورك ان صديقة لهُ عملت لها عملية في لندن فتكلم مع أحد بائعي الازهار وطلب اليهِ ان يرسل اليها طاقة من الورد .

واشترك المستر روزنباخ الاميركي المشهور بجمع الكتب النادرة بواسطة احد عملائه في مزاد للكتب اقيم في لندن فكان هو يكلم عميله من سريره بنيويورك وعميلهُ يزيد على المعروض ثمناً لكتاب قديم واخيراً دفع ثلاثة آلاف جنيه وفاز بهِ. وتكلم احد ناظمي الاغاني الذائعة مع مغنٍّ فاملى عليهِ اغنية جديدة نظمها ولحّنها فدفع أجرة المحادثة مائة وخمسين من الجنيهات. ولما شاع ان المس هلن ولز لاعبة التنس المشهورة قد عقدت خطبتها حادثها احد مكاتبي الجرائد الانكليزية من لندن وكانت هي في سان فرنسسكو فأيدت الخبر

واطول محادثة تلفونية جرت بين لندن و نيويورك استغرقت خمساً وتسعين دقيقة بلغت أجرتها ٢٨٥ جنيهاً ويقال ان المستر دورانت أحد كبار المثرين الاميركيين ومن اكبر المساهمين في شركة جنرال موترز دفع في اسبوع واحد وهو مصطاف بانكلترا خمسة آلاف من الجنيهات اجرة لمحادثاته التلفونية مع نيويورك · وقد كان الغرض من هذه المحادثات الوقوف على حال السوق المالية في وول ستريت . وفي احد الايام ابتاع وهو جالس بسريره في فندق بلندن ما قيمته مليون ومائتي الف جنيه من الاسهم

***

وتدبير هذه المحادثات عمل شاق . هب ان رجلاً في نيويورك يريد أن يحدث سيدة في لندن في الساعة السادسة مساء بحسب وقت لندن . فعاملة التلفون في نيويورك تحادث عاملة مكتب لندن اولاً وتطلب اليها ان تتثبت أن هذه السيدة مستعدة لمخاطبة هذا الرجل في الساعة المعينة فتكلم العاملة السيدة بالتلفون وتخبرها بذلك . فاذا قبلت فبه . واذا تعذر عليها ذلك طلبت اليها ان تعين ميعاداً آخر وتخبر بهِ عاملة نيويورك لترى هل هذا الميعاد يوافق المتكلم من نيويورك وهكذا . اذ لا يخفى ان نجاح هذه المحادثات لا يتم الا اذا خاطب الانسان من يريد مخاطبتهُ . فيقع على مكتبيْ التلفون عناء الجمع بين المتخاطبين على بعد الدار واختلاف الساعة بسبب اختلاف خطوط الطول

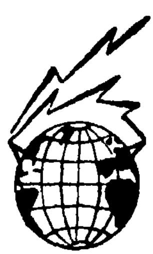
وكثيراً ما تضطر عاملات التلفون ان تتعقب الشخص المطلوب تعقب رجال البوليس السري وفي ذلك تحتاج الى اوفر نصيب من طول الاناة وسرعة الخاطر

فقد حدث مرة ان طلبت سيدة اميركية في لندن للتحدث مع سيدة اخرى من نيويورك فبحثت عاملة التلفون في الفندق الذي تقيم فيهِ هذه السيدة فقيل لها انها ذهبت تبتاع ما يلزم لها من شارع ريجنت . فاتصلت بكل مخزن من مخازن ريجنت ستريت المشهورة تسأل عنها حتى عثرت عليها وكانت تهم بدفع النقود ثمناً لما ابتاعتهُ فانتزعتها من مكانها وجعلتها تكلم نيويورك من غرفة تلفون في المحل عينهِ

وتعقبت عاملة اخرى رجلاً من باريس الى انفرس الى مونت كارلو الى برلين . ولما عثرت على الفندق الذي قيل لها انهُ يقيم فيهِ في برلين طلبت ان تحدثهُ فقيل لها انهُ ذهب الى مطعم كذا لتناول العشاء فعثرت عليهِ هناك ودعتهُ الى التحدث مع رجلٍ طلبهُ من فيلادلفيا . وطُلب مرة اخرى رجل ظهر لدى البحث عنهُ في دارهِ انهُ ذهب الى دار الاوبرا بكوفنت جاردن بلندن فبحثت عاملة التلفون عن رقم كرسيهِ ودعتهُ الى غرفة التلفون في دار الاوبرا نفسها فتكلم مع شيكاغو . وطُلب مرة رجل آخر فبحث عنهُ في داره فلم يعثر عليهِ وبعد البحث عنهُ تعقبتهُ عاملة التلفون الى فوكستون وهو على وشك الابحار منها الى فرنسا فتكلم مع نيويورك وما كاد ينتهي حتى كانت السفينة قد اخذت تقلع من المرفإِ فعدا حتى بلغها

***

منذ نحو سبعين سنة نقل سلك التلغراف الذي مدَّ في الاقيانوس الاتلنتيكي اول رسالة تلغرافيــة ارسلت من اوربا الى اميركا . وكانت من الملكة فكتوريا الى الرئيس بوكنان الاميركي وكانت كلماتها تسعين كلمة استغرق ارسالها نحو ساعة ونصف ساعة فصرَّح بريط احد زعماء الاحرار البريطانيين في ذلك العهد «ان السلك التلغرافي قد قرَّب العالم الجديد الى العالم القديم» . وانقضى على تلك الرسالة ١٨ سنة فاقيم معرض فلادلفيا سنة ١٨٧٨ فعرض فيهِ الكسندر غراهام بل تلفونهُ الاول وتكلم بهِ مع السر وليم طمسن (لورد كلفن بعدئذٍ) على مسافة قصيرة فدهش السر وليم لهـذا الاستنباط العجيب بعد ما مرَّ بهِ اولاً مرَّ الكرام. ولكن السلك التلغرافي والتلفون العادي اجسام ترى وتلمس فما اعظم الدهشة التي تتولى الناس الآن وهم يخاطبون على مسافة آلاف من الاميال من غير اسلاك في البحر او على اعمدة في الهواء . بل وفي الامكان الآن ان يتحدث الرجل المسافر على باخرة في عرض البحر او الممتطي منطاداً محلقاً في الفضاء الى رجل آخر جالس في مكتبه في احدى المدن. وأدهى من ذلك ان الكومندر برد الرائد القطبي تمكن من ان يحلق بطيارتهِ فوق الاصقاع القطبية وفيما هو محلق بها تمكن من مخاطبة نيويورك مخاطبة تليفونية وهي على نحو ١٠ آلاف ميل منهُ. كل ذلك والاصوات تسمع واضحة ونبراتها جلية كلَّ الجلاء . لقد اصبح انتقال الصوت سريعاً كانتقال النور وتفوَّقت الحقيقة على بنات الخيال . كنا بالامس نستعمل الاشارات للتفاهم وها نحن اليوم نخاطب وغداً ننظر بعضنا بعضاً وجهاً لوجه . فماذا يفصل بين الناس بعدئذٍ وعجائب المواصلات والمخاطبات قد جعلتهم امة واحدة !



آلة العيش صحة وشباب

العمليّات الغريبة لاعادة الشباب

دكور الجرذان تصير اناثاً — والاناث ذكوراً — والشيوخ شباناً — والصفات الجنسية تتحول بنقل الغدد وزرعها

٢

اشهر العلماء في عملية نقل الغدد من جسم الى جسم للانتفاع بمفرزاتها في الجسم الذي تنقل اليه وتزرع فيه هو الدكتور اوجن شتيناخ النمسوي استاذ الفسيولوجيا في جامعة فينا . فقد بدأ مباحثهُ في صفات الحيوانات الجنسية سنة ١٨٩٤ ولا يزال الى الآن في الطليعة . وبدأ تجاربهُ في مفرزات الخصيتين والمبيضين سنة ١٩٠٦ ونشر كثيراً من آرائهِ والنتائج التي اسفرت عنها تجاربهُ في رسائل مختلفة ، فأثارت دهشة وعناية في مختلف البلدان وهبَّت طائفة من الباحثين لاقتفاء خطواتهِ في هذا الميدان

على ان مباحثهُ في البدء لقيت مقاومة شديدة مبنية على الاغراض الادبية اكثر من ابتنائها على البحث العلمي . ولقد يعجب القارىء ان يرى المعتقدات الادبية تقحم في المباحث العلمية ولكن الذين اشتغلوا بالبحث في مسائل « الجنس » و « النسل » يؤيدون القول بأنها لم تنل تعضيداً — ان لم نقل انها لقيت مقاومة — من جانب الذين لا يرضون ان يروا الحقائق العلمية تزعزع مذاهبهم الادبية ومعتقداتهم الدينية

ولكن لما اجتمع المؤتمر الدولي الاول للباحثين في مسائل النسل سنة ١٩٢٦ في برلين وقف الاستاذ بندا — وقد كان من قبل اشد مقاومي شتيناخ شكيمة وابلغهم حجة — فصرَّح امام اعضاء المؤتمر قائلاً ان مباحثهُ المستقلة قد اقنعتهُ بوجوب تغيير آرائهِ وموقفهِ وانهُ متفق كل الاتفاق مع الدكتور شتيناخ فيما يتعلق بالمبادىء الاساسية التي يذهب اليها

وتتلخص مباحث شتيناخ في ان المراهقة في مظهريها الجسدي والنفسي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعناصر المفرزات الداخلية التي تفرزها الغدد الجنسية . وقد اثبتت المباحث ان من هذه العناصر ما يوجد في مفرزات غدد اخرى . على ان مفرزات الغدد الجنسية هي في المقام الاول من هذا القبيل والى القارىء وصف بعض التجارب التي تؤيد قول شتيناخ

اخذ شتيناخ ذكور جرذان صغيرة السن وخصاها ثم زرع فيها غدد الاناث الجنسية فلم تظهر في الذكور الصفات الجنسية الثانوية الخاصة بالذكور وظهرت بدلاً منها الصفات الجنسية الثانوية الخاصة بالاناث . فبدا شكل هذه الذكور قريباً من شكل الاناث. وتغير تصرفها الجنسي فصارت تميل الى الذكور بدلاً من ان تميل الى الاناث. وفقدت جذبها للاناث فصارت الاناث تصدف عنها وتميل الى غيرها من الذكور التي لم تعالج هذه المعالجة ومن اغرب ما حدث لها انها ارضعت صغار اناث اخرى

وجرَّب شتيناخ تجارب في الاناث على هذا النمط فازال غددها الجنسية وزرع مكانها خصى الذكور فتحوَّلت صفاتها الجنسية الثانوية وصارت شبيهة بصفات الذكور . فاصبحت تجذب الاناث بدلاً من ان تجذب الذكور وتميل الى الاناث بدلاً من ان تميل الى الذكور

ثم خطا خطوة اخرى فاخذ جرذاناً ذكوراً واناثاً وازال غددها الجنسية فلم تظهر فيها الصفات الجنسية الثانوية . ثم اخذ الغدد الجنسية من جرذان صحيحة الجسم قوية البنية وزرعها في الجرذان المخصاة —الخصى في الذكور والمبائض في الاناث— فظهرت مظاهر النشاط الجنسي فيها كلها و بدت الصفات الجنسية الثانوية

بعد ذلك عدَّل طريقة بحثهِ فقال في نفسهِ اذا كان الهرم والضعف الناشىء عن الشيخوخة يحدثان جنباً الى جنب مع ضعف القوة الجنسية افلا يمكننا ان نزرع خصية منقولة من جرذ فتي قوي في جرذ هرم ضعيف فنعيد الى هذا نشاطهُ الجسدي والعقلي والجنسي ؟ وجرَّب تجارب كثيرة في الجرذان لكي يصل الى حكم فاصل في هذا الموضوع. وقد وقع اختيارهُ على الجرذان لانهُ عرف طبائعها ولان مدى حياتها قصير لا يزيد عادة على ثلاثين شهراً فيمكنهُ ذلك من درس نتائج التجارب والعمليات التي يجربها في اجيال متوالية منها وفضلاً عن ذلك ان نفقات حفظها قليلة

فكانت النتائج التي اسفرت عنها هذه التجارب مما يبعث على الدهش والعجب. اخذ انثى جرذ في الشهر السادس والعشرين من عمرها اي انها كانت قد اشرفت على الحد الطبيعي لحياة الجرذان . وكان قد انقضى عليها عشرة اشهر وهي تولد جرذاناً ففقدت كل ما تمتاز بهِ الاناث من جذب الذكور اليهنَّ وبدت عليها كل مظاهر الهرم الطبيعية. اخذها شتيناخ وزرع فيها مبيضين من انثى فتية قوية وانتظر احد عشر يوماً فاذا الذكور يقبلون عليها اقبالاً غير مألوف ويخصونها بعنايتهم وبعد شهرين حملت . وفي اثناء ذلك كان مظهرها الطبيعي قد اصابهُ تغيُّر كبير فزالت مظاهر الشيخوخة وحلَّت محلها دلائل القوة والنشاط. وبعد ما انقضت ثلاثة اشهر على هذه العملية اي وهي في السن الذي تموت فيه الجرذان

عادةً ولدت بضعة جرذان وهذه الولادة ظاهرة تبعث على الدهش . وزد على ذلك انها ارضعتها ونمت كلها نمواً طبيعياً . وعاشت الام التي جدّد شبابها حتى بلغت الشهر السادس والثلاثين من العمر مع ان اختها في الولادة والرضاع التي لم يجدّد شبابها ماتت في الشهر الثامن والعشرين . وأعيدت التجربة في طائفة من اناث الجرذان وذكورها فأسفرت عن مثل هذه النتائج الغريبة . وبعض الذكور الذين عولجوا كذلك عاش حتى بلغ الشهر السابع والثلاثين من العمر اي ان عمره زاد ٢٥ في المائة عن متوسط عمر الجرذان من نوعه

***

بعد ذلك استنبط شتيناخ طريقة اخرى تمكّنهُ من استحداث هذا التجديد في قوى الذكور من الجرذان من غير ان يزرع في الهرِم منها خصيتيْ ذكر فتيّ قويّ . ذلك انهُ وجد انهُ اذا ربط قناة الخيوط المنوية التي تفرزها الخصيتان ضعف القسم الخاص بتوليد هذه الخيوط في الخصيتين وضمُر ونشط القسم الآخر الذي يفرز المفرزات الداخلية ونما. وقد رؤي هذا بالمكرسكوب . وصحب الضعفَ في الاول والنشاط في الثاني ظهورُ بوادر النشاط في القوى الجسدية والعقلية والجنسية . وبعد انقضاء بضعة اشهر ثبت بالبحث المكرسكوبي ان الخصية عادت الى حالتها الطبيعية من غير ان تخبو آثار النشاط التي اسفرت عنها العملية . وهو يرى انهُ متى خبت هذه الآثار امكن اعادة العملية من جديد مثنى وثلاث . واذا صارت عملية ربط القناة لا تفيد من هذا القبيل لجأ الى عملية زرع الخصى المنتزعة من جرذان قوية. وهذه العملية يمكن اعادتها — من الوجهة النظرية — مرة بعد اخرى الى ما شاء . ولكن الجرذ لا بد ان يموت في اثناء ذلك من مرض او مصاب يحلُّ بهِ ان لم يمت موتاً طبيعياً ناشئاً عن الضعف والهرم

وقد جربت هذه التجارب في كثير من الجرذان وغيرها من الحيوانات العليا كالكلاب والماشية والخيل فأسفرت كلها عن نتائج مماثلة في اساسها لنتائج التجارب المذكورة آنفاً

***

ونشبت الحرب الكبرى فاغتنم الجراحون هذه الفرصة السانحة لتجربة تجارب شتيناخ في الناس . ففي سنة ١٩١٥ عالج لختنشترن — وهو اشهر جراحي فينا في جراحة الاعضاء التناسلية — جندياً بالغاً من العمر تسعاً وعشرين سنة كان قد فقد كلتا خصيتيهِ بشظية قنبلة اصابتهُ . فضعفت قواه الجسدية والعقلية على اثر ذلك ضعفاً بادياً فكان بليد العقل خاملهُ وأصبح عنّيناً (اي فقد قوتهُ التناسلية) وبدت آثار ذلك في شعر عارضيه وشاربيه فقلّ ولان. وسمن جسمه وتهدل . فأخذه لختنشترن وزرع فيه خصية بشرية من شاب فلم تنقض

عليهِ ستة اسابيع حتى عاد اليهِ نشاطهُ العقلي والجسدي وصارت تخالجهُ عواطف الرجال في التقرب من النساء وفاز بعقدرتهم الجنسية ولكنهُ ظل غير قادرٍ على اخلاف عقب لانهُ فقد خصيتيهِ — والخصية المزروعة تفرز كثيراً من المفرزات الداخلية ولكنها لا تفرز خيوطاً منوية وهي الاصل في التلقيح . واتبع لخنشترن عمليتهُ هذه وهي الاولى من نوعها بست وعشرين عملية مماثلة لها فنجح في ٢٢ عملية منها كل النجاح . وقد دامت آثار العمليات الى الآن مع ان اقدمها تم منذ ١٤ سنة

وقد فاز بمعالجة رجل يميل الى اللواط فشفاهُ بأخذه خصية رجل لا يميل اليهِ وزرعها فيهِ . ومع ان هذه الطريقة في معالجة اللواط لم تسفر في كل العمليات التي عملها عن النجاح ولكنها لا بد ان تسترعي انظار الباحثين من العلماء والاطباء ، بما اصابته من النجاح لانها تفوق على الاقل الطريقة المستعملة في اكثر بلدان اوربا وهي سجن المصابين بهذا الداء . فالسجن لا يشفي المصاب وكثيراً ما يفضي الى افساد المسجونين والحراس

ولخنشترن يؤثر زرع الخصية في عضلات البطن لا في مكانها الطبيعي . على ان الجراحين مختلفون في اختيار مكان زرعها ومع ذلك فالنتائج التي اسفرت عنها عمليات الزرع هذه متماثلة في اساسها

***

قد يستطيع الجرّاح الحصول على خصية بشرية فتية قوية ليزرعها في رجل فقد خصيتيهِ من اخ او ابن عمّ يجود بها ليخاص اخاه او ابن عمهِ . ولكن هذا نادر . على ان الكاتب الذي لخصنا عنهُ ما تقدم — وهو من الثقات في هذا الموضوع — لا يرى صعوبة ما في الحصول على كمية من الخصى البشرية التي تصلح لعمليات عود الشباب من المصادر الآتية (١) هناك رجال يصابون بمرض يدعى « الخصية المرتفعة » ويستلزم ازالة الخصية فبدلاً من ان تطرح الخصية التي تزال يمكن استعمالها في العمليات المذكورة (٢) ثم هنالك مجرمون يعاقبون كلّ يوم قتلاً او شنقاً فلتزل خصاهم لتستعمل فيما يفيد الناس (٣) ولتزل كذلك خصى الشبان الذين يصابون باصابات تقضي عليهم في سيارة او معمل (٤) وحبّ الناس لاستتباب السلم لا يمنعهم عن التفكير باستعمال خصى الجنود الاقوياء الذين يسقطون في ساحة الوغى لتجديد شباب الشيوخ

***

وفي كل ذلك يجب ان يفحص واهب الخصية كواهب الدم في عملية نقل الدم، فحصاً دقيقاً ليثبت

انهُ غير مصاب بالسل او الزهري او غيرهما من الامراض الفتاكة التي قد تنتقل الى من يزرع فيه فيضرُّ من حيث اراد النفع

ولا ريب في ان الناس في اجتماع كاجتماعنا البشري قائم على العاطفة يتقززون من عمل كهذا. فقد كاد الكاتب يرجَم مرة في مؤتمر عقد لرفع احتجاج على نقل الغدد الجنسية وزرعها اذ رفع صوتهُ بالاحتجاج على الاحتجاج

والاحتكام الى العاطفة من هذا القبيل خطأ فاضح ما زلنا لا نجد اعتراضاً من الوجهة البيولوجية. ذلك انهُ اذا اصيبت يد السرالفرلدج بحرق خطير ووجبت معالجتهُ بزرع قطعة من جلد رجل قوي نشيط وتقدم لذلك المستر ادغار ولس فاننا لا نخاف ان يفعل ذلك بالسر الفرلدج ويصرفهُ عن مباحثه العلمية والفلسفية النفيسة الى كتابة القصص البوليسية التي برع فيها وُلِس. واذا تقدم كشَّاف الى مستشفى وجاد برطل من دمه لاعادة الحياة والنشاط الى سيدة اصيبت بالانيميا على اثر نزيف حاد فلا ننتظر ان تصبح المرأة العجوزة ميالة الى الكشافة ميل الفتى . واذا شربنا اللبن او اكلنا الزبدة او لحم الضأن او البقر فلا نخاف ان نصبح شبيهين بالضأن او البقر . وعلاوة على ذلك فالعمل الذي يقوم به ادغار ولس والكشَّاف عمل ممتدح من الهيئة الاجتماعيـة . فلماذا لايكون نقل الغدد او الانسجة الاخرى كذلك والقول بان زرع الغدد الجنسية ينقل الى الرجل الذي زرعت فيه صفات الرجل الذي جاد بها كلام لايقوم على سند علمي

***

ولما كان الحصول على خصى الناس الذين في ريعان القوة والشباب متعذراً او هو صعب عمد الدكتور فورونوف المعروف في هذا القطر الى استئصال الغدد الجنسية من القردة واستعمالها لهذا الغرض . فجرَّب تجاربهُ في الغنم والماعز فأسفرت عن نتائج شبيهة بالنتائج التي اسفرت عنها تجارب شتيناخ في الجرذان مع ان الاول يعللها بغير تعليل الثاني

ثم اخذ فورنوف يستأصل خصى القردة العليا ويزرعها في الناس الذين يتقدمون للعملية ويدعي ان النتيجة شبيهة بالنتيجة التي حصل عليها لختنشترن في فينا بزرع خصى الشبان في غيرهم . ولكن الادلة المؤيَّـدة تشير الى ان آثار هذا الزرع لا تستمرُّ طويلا متى كان الكائن الذي تستأصل منهُ الغدة والكائن الذي تزرع فيه من نوعين مختلفين . وكلما بعد المدى بينهما ضعف اثر العملية . اما المستحضرات الطبية التي تباع في السوق ويقال انها تحتوي على المفرزات الداخلية التي تفرزها الغدد الجنسية فلم تبلغ بعدُ — في الغالب — درجة تجعلها صالحة للاستعمال في نوع الانسان مع انها نجحت بعض النجاح في الحيوانات

المعادن والحرب والعمران

ملخص خطبة الرآسة في مجمع تقدم العلوم البريطاني

الملتئم في جوهانسبرغ بجنوب افريقية

للسر توماس هُلَنْد

جرت العادة ان يلخص رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في خطبته الارتقاء الذي تم في العام الذي يحتفل به . واذا كان من اصحاب النظر الشامل والفكر المحيط بأبواب العلوم لخص تقدم العلوم في ربع قرن او نصف قرن كما فعل السر ميخائيل فوستر سنة ١٨٩٩ والسر ادورد راي لنكستر سنة ١٩٠٦ على ان تشعب العلوم الحديثة وغموض فروعها يجعل الخطبة الشاملة الآن متعذرة الى حد ما كما يجعل الخطبة في موضوع خاص غامض التفاصيل مما لا يهم جمهور الاعضاء ويخرج بها عن غرض المجمع الاصلي وهو بسط الحقائق العلمية وبيان علاقتها بالعمران والحياة . لذلك خرج السر توماس هلند في خطبته هذه السنة عن العرفين المتبعين . فلم يعد خطبة يستعرض فيها التقدم الذي اصاب فروع العلم بعد الحرب الكبرى مثلاً ولا القى محاضرة في موضوع بحثه الخاص الذي يدور على علم المعادن المكرسكوبي (ميكروبترولوجيا) لكنه نظر الى المعادن وعلاقتها بالسلم والحرب وهو نظر جديد على ما نعلم يجدر برجال السياسة ان يتأملوه اذا كان ما يقترحه العالم يؤيد ما يعقده السياسي من العهود والمواثيق

ابان الخطيب اولاً ان البشر استعملوا المعادن لصنع ادواتهم وأسلحتهم من اقدم الازمنة . ولكنهم لم يكثروا من استعمالها الاَّ بعد الثورة الصناعية التي حدثت في انكلترا وما عقبها من التوسع في استعمال الآلات في معامل الغزل والنسج وبناء السفن والقاطرات ومناجم الفحم والحديد . ولا ريب في ان نجاح هذه الثورة الصناعية في انكلترا انما يعود في المقام الاول الى وجود المعادن الضرورية فيها كالحديد والفحم جنباً الى جنب . ولما استنبط بسمر طريقة جديدة لصنع الصلب بعث في الصناعة الانكليزية حياة ما كان يستطيع ان يبعثها لولا وجود المعادن غير الفصفورية في مناجمها . كذلك لما استنبط توماس وجلكرست طريقة لصنع الحديد الزهر من المعادن الفصفورية وقع استنباطهما في انكلترا بزوراً حية في ارض مجدبة . على ان هذا الاسلوب الصناعي الجديد ازهر وأثمر في بلاد اخرى في اميركا من جهة والمانيا من جهة اخرى . فان رجال الصناعة الالمان رأوا في هذا الاسلوب الصناعي الجديد وسيلة تمكنهم من تثمير مناجم الالزاس واللورين الغنية بالمعادن الفصفورية . وهكذا توافر لرجال السياسة والحرب من الالمان الحديد الذي شجعهم على خوض غمار حرب

يبغون من ورائها السيطرة على العالم . وقد ظلت انكلترا قادرة مدة نصف قرن بعد الثورة الصناعية ، ان تستخرج من مناجمها المقادير الصغيرة التي كانت تحتاج اليها معاملها من حديد ونحاس وزنك ورصاص وقصدير. على ان اتساع صناعة الحديد بعد استنباط طريقة بسمر حتّم على رجال الصناعة في انكلترا ان يبحثوا عمّا يكفيهم من هذه المعادن وغيرها في بلدان اخرى

ثم ارتقت صناعة المعادن واتسع نطاقها بعد ما استنبط السر روبرت هدفيلد حديد المنغنيس سنة ١٨٨٨ فنشأ عن ذلك استنباط انواع مختلفة من الاخلاط الحديدية كل منها لهُ صفات خاصة تختلف باختلاف المعدن الذي يختلط بالحديد . وهكذا صار رجال الصناعة يحتاجون الى الڤناديوم والتنفستن والمولبدنوم والالومنيوم والكروم والكوبلت والنيكل بعد ما كان استعمال هذه المعادن محصوراً في المختبرات العلمية . فاعتماد الصناعات المختلفة على الاخلاط الحديدية المنوَّعة كان فاتحة عهد معدني جديد في تاريخ البشر لانهُ كان باعثاً للدول الصناعية على البحث عن معادن كانت تحسب حتى ذلك الوقت نادرة لا قيمة لها

وهكذا ترى ان البلاد التي نشأت فيها الثورة الصناعية وترعرعت بوجود المعادن الاساسية في ترابها جنباً الى جنب اصبحت وهي لا تستطيع ان تكتفي بذلك ولن تستطيع بعد الآن. حتى في زمن السلم تستهلك بريطانيا كل الرصاص ومضاعف مقدار النحاس الذي تخرجهُ الامبراطورية كلها . وكانت الصناعة قد اخذت تخطو خطوات واسعة في الولايات المتحدة والمانيا فلم يذرَّ قرن القرن العشرين حتى كانت الصفة الغالبة على صناعات العالم الكبرى هي الحاجة الى المعادن المختلفة النادرة وغيرها لصنع ما يحتاج اليهِ الناس في ابان السلم

وعليه لم يعد في طاقة امة من الامم ان تستقلَّ عن غيرها استقلالاً معدنيًّا . اي انك لن تجد امة واحدة حتى ولا الامبراطورية البريطانية تستطيع ان تستخرج من ارضها كل ما تحتاج اليه من المعادن. على ان هذا التغيُّر لم يتضح لرجال الدول الا سنة ١٩١٤ حين ادركوا ان ارتقاء الصناعة في ابان السلم قد غير ما تحتاج اليه الامم في زمن الحرب . حتى قواد الجيش الالماني المشهورين بدقتهم وضبطهم في اعمالهم لم يدركوا الحالة قبل وقوعها

خذ مثلاً على ذلك مناجم الولفرام (تبر التنفستن) في جنوب برما. فقد كانت تديرها شركات انكليزية ولكن المانيا كانت تشتري الجانب الاكبر مما يستخرج منها لتستعمله في صنع التنفستن وهو عنصر معدني لا مندوحة عنهُ لصنع صلب التنفستن — امتن انواع الصلب المعروفة . ومع ان شفيلد كانت لا تزال الى ذلك الحين متفوقة في صنع هذا النوع من الصلب كانت معاملها تستورد التنفستن من المانيا والالمان كانوا يستوردون تبره من

شركات انكليزية ببرما . فلما نشبت الحرب الكبرى عجزت معامل الانكليز عن صنع صلب التنغستن قبل سنة ١٩١٥ حين تمكن علماؤهم من استنباط طريقة لصنعهِ من تبرهِ المستورد من برما . اما الالمان فحاروا في امرهم فاستعملوا كل ما لديهم من التنغستن وتبرهِ مما استوردوهُ قبيل الحرب وخزنوهُ ولما عجزوا عن الفوز في الحرب في شهورها الاولى عمدوا الى المولبدنوم النروجي يستعملونهُ بدلاً من التنغستن فقطع الانكليز عليهم هذا المورد وابتاعوا كل ما يستخرج في نروج من المولبدنوم

ثم رأت المانيا انها تحتاج في صنع ادوات الحرب الى مقدار من النيكل يفوق ما يستخرَج في المانيا والنمسا عشرة اضعاف فاخذت تستوردهُ من البلدان السكندناوية وهذه كانت تستوردهُ من غيرها واكثرهُ كان من مناجم كندا وهي اغنى مناجم العالم نكلاً . وهكذا ادرك الانكليز في نهاية الامر ان اهمالهم الصناعات المعدنية حملتهم على مواجهة اسلحة وقنابل فتاكة مصنوعة من معادن تستخرج من مناجمهم

كانت حدود البلدان في العصور الغابرة تعيَّن وفق مقتضيات الزراعة ولكنها لم ترتبط ارتباطاً ما بتوزيع الثروة المعدنية فيها . وهذه الثروة المعدنية اصبحت في هذا العصر لا مندوحة عنها لنجاح الصناعات في اثناءِ السلم ولتجهيز الامم بادوات الحرب في اثناءِ الحرب. ولهذه المسألة العلمية الصناعية علاقة وثيقة بالعهود الدولية التي قطعت حديثاً في اوربا واميركا لحفظ السلم . ان هذه العهود لن تنجح في تحقيق الغاية المنشودة الاَّ اذا نظر رجال السياسة الى توزيع المعادن كاداة من الادوات الفعَّالة في ضبط المعاملات الدولية في المستقبل . لانهُ اذا كانت المعادن ضرورية لحضارتنا الصناعية الجديدة فهي جديرة بان تخوض الشعوب الحربَ لاجل الاستئثار بها . واذا كانت باعثاً من بواعث الحرب فالسيطرة عليها يجب ان تجعَل اداة من ادوات السلم. وربط توزيع المعادن بشؤون السياسة العامة لا يحملنا على اقحام مسائل جدلية في الموضوع . فكانا نتفق على امرين الاول رغبتنا في توطيد السلام العام . وثانياً وضع بيان علمي عام للمعادن المطمورة في مختلف البلدان ثم ينقح هذا البيان من حين الى آخر كلما تغيَّر نوع المعادن المسيطرة على الصناعة

ثم استطرد الخطيب الى الكلام على توزيع المعادن مدللاً على انهُ اذا اجتمعت الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية امكنهما ان تستخرجا كلَّ ما تحتاجان اليهِ من المعادن وثلثي ما يستهلك كل سنة في كل انحاء العالم وبعض ما تحتاج اليهِ الامم الاخرى ولا تجدهُ في غيرها . ولذلك اقترح ان تتفق الامتان على منع المعادن عن كل امة تخلُّ بميثاق كلوج الذي تعهدت فيهِ الدول الموقعة عليهِ بتحريم الحرب

نظرة في مصرع كليوباتره

بحث انتقادي في الرواية الشعرية التي اخرجها حديثاً احمد شوقي بك

للاستاذ انيس المقدسي
استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

لما تلقينا نسخة من مصرع كليوباتره بعثنا بها الى صديقنا الاستاذ المقدسي وعهدنا اليه في كتابة فصل انتقادي في تحليلها فلبى طلب المقتطف بهذا المقال النفيس. ولا يفوتنا ان نذكر في هذا المقام ما للمرحوم نجيب الحداد وخليل بك مطران والدكتور احمد زكي ابو شادي من الفضل والأثر في الرواية الشعرية العربية . ولعلنا نعود الى هذا البحث في حين آخر

ميزات الشعر العربي

مهما بلغ العرب في ميدان القريض ومهما بلغ بنا الحب لما خلفوه من آثارهم الشعرية الخالدة فانهُ لا مندوحة عن الاعتراف ان السلف الصالح لم يتفنَّنوا في الشعر تفننهم في سائر العلوم . تلك قضية لا اتطرَّف الى القول انها حقيقة لا تقبل النزاع والجدل ولكن النظر في تاريخ الشعر نظراً مجرداً عن الهوى يميل بنا الى اثباتها . فقد كانت نزعات العرب الشعرية ولا تزال مندفعة في مجرى واحد لم تتحول كثيراً الى سواه. هو الشعر الوجداني (subjective) او الغنائي (lyric) الذي يدور حول نفس الشاعر كما تدور الارض على محورها وينحصر في تأثراته الخاصة كأنما الطبيعة انما خلقت لافراحهِ او اتراحهِ وكأنَّ الحياة كلها ما يختص بذاتهِ او ذويهِ . فاذا رأى مشهداً فتاناً من مشاهد الطبيعة هاجت عواطفه فشكى او بكى او وصف ما يراه وصف المذكر المتذكّر . واذا ما خاض غمار الحياة اثار ذلك فيهِ غضباً على عدوٍّ يناوئه او فخراً بقبيل ينتسب اليهِ او مدحاً لعظيم ينيله

***

لا جرم يحق للعرب ان يفاخروا بشعرهم الوجداني فقد بلغ عندهم في كل فنونه اسمى الدرجات وما تاريخ الشعر العربي لدى التحقيق الاَّ وصف لهذا النوع من القريض في اختلاف احواله وبيئاته . نعم لا يخلو تاريخ ادبنا من بعض الشعر الموضوعي او الكوني (Objective) وهو الشعر الذي يمثل احوال الحياة والعمران كما هي ولكنهُ قليل جداً.

وأكثره اذا حللناه يعود الى النوع الاول الذي تبرز فيه شخصية الشاعر وتغشى كل شيء سوى مشاعره ونزعاته . وقد عني الغربيون قديماً وحديثاً بالشعر الموضوعي وافتنّوا في ضروبه المختلفة من ملاحم فروسية ووقائع قصصية وروايات تمثيلية وقلما اكترث له الساميون. ولا ادري لذلك سبباً الا ان يقال ان تلك طبيعة الامم فقد امتاز الساميون عموماً بالاناشيد الشجية الناشئة عن انفعالات النفس لدى حادث مؤثر لجاءت حكمتهم كما قال الشهرستاني عن العرب «فلتات الطبع وخطرات الفكر» . هم يلمحون الاشياء واحداً واحداً ويتأثرون بما يشاهدونهُ تأثراً شديداً فيعبرون عن تأثرهم بشعر بليغ ولكنهم لا يهتمون بان يقارنوا الامور بسواها او ينظروا الى الحياة والكون نظراً شاملاً . وعلى عكس ذلك الآريون فانهم لا يلمحون الا جزءًا فقط ولكنهم يرون العلائق والروابط التي تجعل الحياة اوالطبيعة «كلاً» متناسباً . نجد ذلك في موسيقانا التي تضرب على وتر واحد لا تتعداه وفي موسيقاهم التي تميل الى تآلف الالحان وتناسق النغمات . ونجده في دواوين شعرائهم الحافلة بالروايات والملاحم يصفون بها عواطف البشر ومنازع الحياة الاجتماعية

قد نجاري الغربيين او نفوقهم في شرح تأثرنا من حادثة او مشهد ولكننا دونهم في محاولتنا ان نفكر ونتروى فيما حولنا من روائع الكائنات وسنن الحياة والاجتماع . ذلك التأمل الهادىء الذي يمكن الانسان من فهم عواطف الآخرين والنطق بلسانهم وتفهم عبر التاريخ والطبيعة والعمران ليس له اثر كبير في تاريخ الشعر العربي . وليس في انتقادات المعرّي وحكم المتنبي وتأملات الفارض ما يناقض قولنا هذا

على انهُ من الخطل ان يقال ان هذا النقص في الشعر العربي قضاء سرمدي لا مهرب منه وان العرب انما وجدوا ليبقوا على ما وجدوا عليه . ذلك مخالف لسنة الارتقاء . فقد تنبه شعراؤهم المتأخرون الى هذا الامر وقاموا في الاونة الاخيرة بحركة جديدة ترمي الى تجديد الشعر ودفعه في بحارٍ جديدة . فهم يحاولون ان يفكروا ويتأملوا ويخرجوا عن منطقة الذات المحدودة الى رحاب الحياة الواسعة

***

وقد كنت منذ صباي من الذي أعجبوا بشاعرية شوقي ورأوا فيها اناقة ممتازة . على اني كنت ولا ازال من الذين يرمون الى توسيع نطاق الشعر العربي وقد بسطت ما اختبرته من ذلك في رسالة مسهبة نشرها المقتطف لما أُحتفل بيوبيل شوقي وموضوعها «الشعر ومراميه العالية» . ولشد ما كان اغتباطي عند ما تناولت مؤخراً «مصرع كليوباترة» ووجدت ان شاعرية شوقي الممتازة قد تحولت عن مجرى الشعر الوجداني المألوف الى رواية تمثيلية هي تحفة

فنية في معانيها ومبانيها. ولا ابالغ اذا قلت انها تكاد تقابل بأجمل ما قرأت للغربيين في هذا النوع ففيها النكات المستملحة والاوصاف الشائقة والحكم البليغة مع خلو من السفسفة والركاكة

مدار الرواية

تدور هذه الرواية على مصرع الملكة الفتانة كليوباترة وعلى مصرع محبها القائد الروماني الكبير مرقس انطونيوس . والناظر في الرواية يراها تضرب على وتر واحد لكنه خلاب هو تمجيد كليوباتره وبالتالي تمجيد عرش مصر . ولعله اذا انعم النظر وقرأ ماوراء السطور رأى في حوادث الرواية وأشخاصها ما يكاد يكون مماثلاً لحالة مصر اليوم ومن يدري ما في اعماق نفس الشاعر من نزعات سياسية او وطنية — استميحه العذر على هذا الظن — بل قد يكون في جو مصر اليوم ما اوحى الى الشاعر دون ان يدري فكرة كليوباترة اليونانية المتمصرة « والسلطة » الرومانية الطاغية والكاهن المصري المتعصب لوطنه وحزبه و« حابي » الوطني الناقم وغيرهم من اشخاص الرواية . وهل نفس الشاعر القومي الا لوحة حسَّاسة ترتسم عليها العواطف والاميال القومية . وهنا تتجلى روح شوقي — انظر الى شعره منذ قرض الشعر الى الآن واترك بعض ما لا يروقك من مدحه وتزلفه أفلا ترى فيه تلك النزعة القومية التي تتقد من آن الى آخر في بعض قصائده الطنانة اتقاداً تهتز له جوارح الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً وتصبح على الالسن كما قال المتنبي في نفسه « اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا »

وفي هذا اليوم وقلوب المصريين متجهة الى توطيد استقلال بلادهم والى تعظيم قوميتهم ورفع شأنها نرى شوقي يقوم فيذكرهم بما كان لهم ايام ملكتهم الشهيرة من عظمة ومجد ويريهم كيف ضاعت بعدئذ آمال العرش والامة . وقد سلك الشاعر في ذلك مسلكاً لم يُتح للمؤرخ . فان التاريخ ينسب كليوباتره الى اليونان ويرجع مجدها (ان كان لها من مجد) الى البطالسة خلفاء الاسكندر . اما شاعرنا فقد تخطى ذلك بحذق وسكينة الى منطقة العلوم النفسية ليرينا كيف تتطبع النفوس وتصطبغ المشاعر. حوَّل جنسية الملكة تحويل الفنان الماهر وقلب طباعها فجعل لها عصبية مصرية تغار عليها وتتفانى في سبيلها. وكأني بشوقي هنا يلمح العرش المصري الحالي ويقابله مقابلة خفية بعرش كليوباتره. كلاهما من اصل غير مصري وكلاهما اصبحا مصريين صميمين. هوذا العصبية القديمة تموت في الوطن الجديد ! فكر شعري جميل لا ادري اذا كان شاعرنا قصد اليه . ولكن هل اولى من شوقي ان يجسمه بساحر الالفاظ والعبارات . اوَ ليس الشاعر الحقيقي هو الذي يوحي الينا شعره مختلف الآمال والاماني ؟

اما موقفه لدى شخصية الملكة فجريءٌ جدًّا . يجابه الحقيقة المعروفة لاجل غرضه . فيحاول ان يبرّئها من كل تهمة وصمها التاريخ بها . الا ترى كيف يصفها وصفاً يحملك على الاعتقاد ان المؤرخين تحاملوا على تلك الحسناء التاعسة الحظ ؟ تلك مقدرة الشاعر . بسحر الفاظهِ يغيّر اعتقادك ويكسب رضاك . فكأن شوقي هنا ابو نواس في خمرياتهِ يحبّب اليك الخمر وانت تكرهها وتمجها او عمر بن ابي ربيعة في بعض مباذله يثير شعورك وشفقتك وانت تكره عمله وتنفر منهُ

استغفر الله ليس شوقي هذا ولا ذاك . بل هو ابعد نظراً واسدّ رأياً . هو يبني نظريتهُ في الملكة على اجتهاد عقلي قد لا يكون بعيداً عن الحقيقة . ولكنّ في النظرية وهناً وشيئاً من التناقض . فهي عنده وفيّة للغرام اذا لم تعترضها المطامع السياسية . وهي طاهرة نقية النفس ولكنها تبذل جمالها لاجل المجد . وهي بعيدة النظر في الامور ولكنها في احرج المواقف تقول اليوم خمر وغداً امر . وهي حازمة ولكنها تتصرّف امام قادة الرومان تصرُّفاً يدلّ على طيش وغرور . ان شوقي « الشاعر » يتطوع لنصرة كليوباترا مستقلاًّ كما يقول عن كل « نفوذ اجنبي » او تأثير تاريخي . فهو يرى « ان البحث العلمي يكشف بين الحين والحين في هذا التاريخ المتّهم عن حلقات ضائعة او اوهام انزلت فيهِ منزلة الحقائق فلا بدّ من انصاف هذه المصرية المضطهدة والا تحرم على الاقلّ من سمو الغاية ونبالة القصد »

ولا يعنينا نحن هنا ان نحقق او نجرّح ما ذكرهُ التاريخ عن كليوباترا فذلك ليس لنا ولكن لنا ان نقول ان الشاعر سلك في التاريخ مسلكاً دقيقاً وخطراً فهو يتّهم التاريخ ويتمسك بالاجتهاد العقلي اتكالاً على ان البحث الحديث يكشف عن حقائق ضائعة وان الذين كتبوا تاريخ تلك الملكة هم اعداؤها . ونحن اذا اعتبرنا الغرض من الرواية رأينا ان الشاعر وفّق كلّ التوفيق في الدفاع عن مليكتهِ . والى القارى بعض اوصافهِ فيها—

سعة الصدر : قالت تعاتب حابي احد « الموظفين » في مكتبتها وكان من الناقين عليها

وترسل في العرش هجر الكلام   وتحفي الحفيظة لي والقلى
ولكن لتنسَ الذي قد مضى   فمثلك تاب ومثلي عفا
دع الذود عن مصر لي انني   انا السيف والآخرون العصا

الاباء والانفة : قالت تخاطب انوبيس الكاهن وقد خشيت ان يأسرها الرومان

ابي لا العزلَ خفتُ ولا المنايا   ولكن انْ يسيروا بي سبيًّا
ايوطأ بالمناسم عرش مصرٍ   وتمت شعرة في مفرقيًّا

الطموح : من كلام الكاهن وقد وقف لدى جثتها

ان تصبحي جسداً فنفسك حرة وعلاك سالمةٌ وعرضك ناجي
سيقول بعدك كل جيل منصفٍ ذهبت ولكن في سبيل التاجِ

ولعلَّ ابلغ دفاع عنها ما وضعهُ الشاعر على لسانها قبيل انتحارها صفحة ٩٤

اما سائر اشخاص الرواية فليسوا مما ينازع فيهم وقد كفانا ذيل الرواية النثري عناء نقدهم . بقي علينا كلمة في شعر الرواية وسبكها مع امثلة من اطايب الكلام فيها

شعر الرواية وشاعريتها

الحق اني لم ار في شعر شوقي ما هو ادلُّ على قوة شاعريته من هذه الرواية. قد تخالفني في ذلك وتشير الى بعض قصائده الرائعة المشهورة التي اصبحت ملء الافواه والآذان . فاقول ان تلك القصائد على بلاغتها هبّات نفسية تثيرها حادثة وقتية شديدة التأثير فلاغرابة اذا بلغت اوج البلاغة الشعرية . اما اناشيد هذه الرواية فشعرٌ هادىءٌ مفكر مقرون ببلاغة وجمال . هي معرض لتحف شعرية نادرة . فيها المدح والفخر والعتاب والهجاء والحكم والسياسة والحب والخمر والظرف . وهذه التحف في غاية ما يكونِ من حسن التناسق والتآلف فليست هي خاطراً ناشئاً عن مؤثر خاص كحج الخديوي مثلا او كنوز توت عنخ امون او سقوط عبد الحميد او موت بطرس غالي او زيارة الشام . في مثل هذه الخواطر قد يجد الشاعر الكبير من يجاريهِ من اقرانهِ او يتأثر تأثرهُ ولكن الشاعر يمتاز اذا استطاعِ ان يبدع وهو في جو هادىء يتأمل وينظر . يمتاز اذا استطاع ان يخرج عن نفسهِ قليلاً الى الكون فيريك جماله ومعانيه والى الحياة فيوقفك على منازعها واحوالها . وذلك ما فعلهُ شوقي في هذه الرواية . ينطق الملك والكاهن والخادم والعاشق والقائد والماجن وسواهم نطقاً ترتاح اليهِ النفس ويحدثك عن علاقات الناس وخوالج نفوسهم حديثاً صحيحاً يهزّ الجوارح . وقد كنت اجد احياناً في بعض منظومات شوقي ما يحدوني الى الشك في تفوقهِ او في سمو خياله وكنت اجدني على غير انتباه بين من ينمي عليهِ القوة على التجدد والتطور حتى قرأت روايتهُ هذه فقلت شوقي شاعر يحق لنا ان نفتخر به . واليك بعض الامثلة من شعره في « مصرع كليوباترا »

١ — انطونيو قبيل انتحاره يخاطب روما وقد هزمتهُ جيوش اوكتافيوس وجاءه الخبر ان كليوباترا قد انتحرت . وهو موقف دقيق يحاول فيهِ الشاعر ان يجمع في هذا القائد الروماني العظيم الوفاء للوطن والوفاء للحب فيغلب غرامهُ حبَّهُ لوطنهِ ويتنفر عن

ذلك اعتذاراً رقيقاً يثير في نفس القارىء الشفقة عليه . قال من قصيدة صفحة ٥٦

روما حنانك واغفري لفتاكِ اوَّاهُ منكِ وآهِ ما اقساكِ
روما سلامٌ من طريدٍ شاردٍ في الارض وطَّن نفسه لهلاكِ
اليوم يلقى الموت لم يهتف بهِ ناعٍ ولا ضجت عليهِ بواكي
ان الذي اعطاكِ سلطان الثرى لم تنعمي لرفاتهِ بثراكِ
يا رب تاج في جبينك زاهرٍ عطّلتُ منهُ مفارق الاملاك
الامهات قلوبهنَّ رقيقةٌ ما بال قلبك لم يلن لفتاك
ان كان موتي كل ما تبغينهُ فهناكِ . هأنذا اموت هناكِ
يا امُّ عذرك في اتهام بنوّتي بادٍ وعذري في العقوق كذاكِ
لولا الجمالُ وفتنةٌ من سحرهِ ما حل في قلبي هوًى لسواكِ
صفحاً كلوباترا فربَّت زلةٍ قد كنت تغتفرين حين اراكِ
لمّا لقيتكِ في الجمال وعزّه قهرتْ قواي الظافرات قُواكِ
فنسيتُ في ماديك ذكر وقائعي وسلوت ايامي بيوم لقاكِ الخ

ومن المواقف الرائعة في الرواية حديث الملكة وانوبيس الكاهن وهو يصف لها سمّ الافاعي ويحاول ان يستهويها لتقدم على الانتحار حفظاً لشرف العرش المصري . ولا احاول ان انقل هنا ما دار من الحديث الرقيق بينهما ولكني احيل القارىء الى صفحة ٦٩ الى ٧٠ من الكتاب فقراءتهُ هناك اولى واحفظ لجماله . ويشجيني جدًّا خطاب الملكة للزنبقة صفحة ٨٩ . وكانت الملكة بحسب الرواية اسيرة في قصرها وقد اقام اوكتافيوس عليها الحرّاس والرقباء فالتفتت الى زنبقة عندها في اصيص وقالت تقابل حالها بحالها

زنبقة في الآنيهْ ضحية الامانيهْ
جنتْ عليكِ غربةَ الاسر الأكفُّ الجانيهْ
وبدّلتْ من سعةِ الرّبوة ضيق الباطيهْ
يسقونها من جرّةٍ بعد العيون الجاريهْ
يا جارتا شأنك لا يشبهُ الا شانيهْ
لم يبق من ملكي العريض غير دارٍ خاويهْ
وكلنا ذابلةٌ عمّا قليلٍ ذاويهْ
زال النعيمُ وفرغنا من حياةٍ فانيهْ

ولعلّ ابدع مواقف الرواية الشعرية خطاب الملكة الى ازيس صفحة ٩٩ وقد

صمّمت على الانتحار فركعت امام تمثال الالاهة واخذت تحدثها بحديث حياتها وتقابل نفسها بالدنيا ثم تعطف على الموت وتطلب منهُ ان ينقلها برفق الى حيث حبيبها انطونيو

اليوم أقصر باطلي وضلالي … وخلتْ كاحلام الكرى آمالي
وصحوتُ من لعب الحياة ولهوها … فوجدتُ للدنيا خمارَ زوالِ
وتلفّتت عيني فلا بمواكبي … بَصُرتْ ولا بكتائبي ورجالي
ايزيسُ ينبوع الحنان تعطّفي … وتلفّتي لضراعتي وسؤالي
انّي وقفتُ على رحابك فارحمي … ذلّ الملوك لمجدك المتعالي
هل تأذنين بأن اعجّل مقلتي … واحثَّ عن دار الشقاء رحالي
وعُلاكِ ما ادع الحياة جبانة … او ضيق ذرع او قطيعة قالِ
انّي انتفعت بعبقريّ جمالها … وتمتّعتْ من عبقريّ جمالي
وجمعت بين شعورها وعواطفي … وقرنت رحب خيالها بخيالي
ووجدتها قد خلّدت ابطالها … فبسطتُ سلطاني على الابطال
بنتُ الحياة انا وتشهد سيرتي … ما كنت من امّي سوى تمثالِ
منها تناولتُ الرياء وراثةً … واخذتُ كلَّ خديعةٍ ومحالِ
وقسوتُ قسوتها ولنت كلينها … واقتستُ في صدي لها ووصالي
ولربما رشدتْ فسرتُ برشدها … وغوتْ فاغوتني وضلَّ ضلالي
ووجدتها حبًّا يفيض ولذّةً … فجعلتُ لذّات الهوى اشغالي
يومي بايام لكثرة ما مشت … فيه الحياة وليلتي بليالي
يا موتُ هل حرَجٌ على مستنجدٍ … بك ان يسابق واقع الآجالِ
يومي اعجّلهُ ولو لم انتحرْ … للقيتُ يوماً ما لهُ من تالِ
يا موت انت احبُّ اسراً فاسبني … لا تعط روما والشيوخ عقالي
يا موت لا تطفىء بشاشة هيكلي … واحفظ جواهر لحيتي وجلالي
يا موت طف بالروح واسرقها كما … سرق الكرى عين الخليّ السالي
حتى اموت كما حييتُ كانني … بيتِ الخيال ودمية المثالِ
وكأن اغماض الجفون تناعس … وكأنَّ رقدتي اضطجاع دلالِ
سرْ بي الى انطونيو في نضرتي … ورواء جلبابي وزينة حالي

ثم تقوم الى احدى السلال فتكشف عن افعى وتحدثها ذاكرة حالها وما صارت اليه من هوان الاسر وفي هذا الحديث ما فيهِ من جمال وسحر . انقل هنا للقارىء بعض ابياته — قالت :

هلمَّ الآن منقذتي هلمَّ واهلاً بالخلاص وقد سعى لي
على نابيك من زرق المنايا شفاء النفس من سودِ الليالي
وبعض السمّ ترياق لبعضٍ وقد يشفي العضال من العضالِ
هلمّ عانقي افعى قصورٍ بها شوق الى افعى التلالِ
سطتْ روما على ملكي ولصّت جواهرَ اسرتي وحليَّ آلي
فرمت الموت لم اجبن ولكنْ لعلّ جلالهُ يحمي جلالي
أأدخل في ثياب الذلِ روما وأعرضُ كالسبيِّ على الرجالِ
ورائي في الحبائل مترفوها وقد كان القياصر في حبالي
اذن غير الملوك ابي وجدّي وغير طرازهم عمي وخالي
أموتُ كما حييتُ لعرش مصرٍ وابذلُ دونهُ عرش الجمالِ
حياةُ الذلِ تدفع بالمنايا تعالي حية الوادي تعالي

هذه امثلة قليلة من اطايب هذه الرواية ولو اردت الاسهاب لارجعت القارىء الى حديث انوبيس الى الافاعي صفحة ٦١ والى الوصف ص ١٥ والى خطاب انطونيو لأوروس ص٥٨ والى حديث انوبيس وحابي ص ٢٣ والى الحكم التي رصّع بها الشاعر اناشيد الرواية : كقوله

الرأي ليس نافعاً اذا اوانهُ مضى

يقيد القلب وراء مرصدهْ فيحرس الدارَ على مقيدهْ

الا يا رب خدّاعٍ من الناس تلاقيهِ
يعيب السمَّ في الافعى وكلُّ السم في فيهِ

هداك الله من شعب بريء يصرفهُ المضلّل كيف شاءَ

ارى راكب الشك ملء المجال طويل العنان بعيد المدى
ولو شكّكت في السرج الفراش لكان سلاماً عليها السّنا

وتحسب في الكتب علم الحياة وما منهُ في الكتب الاَّ شذا

لسان ابن آدم او نابكن كلا السائلين لعابُ القدرهْ

وان التماوت فعل الثعا لب ليس التماوت فعل السباع
وما جنة الليث الاَّ لقىً اذا الناب طاحت او الظفر ضاعْ

انيس الخوري المقدسي

هل طعام اليابانيين سبب قصرهم ؟

هل نحتاج الى طعام دولي

لتعميم الصفات الجسدية والعقلية المرغوب فيها ؟

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

تقدم العلماء تقدماً كبيراً في مباحث الغذاء واثره في الصحة والنمو . وقام حديثاً فريق منهم يربط هذه المباحث بنشوء الانسان وتاريخ ارتقائهِ وتفرقهِ شعوباً واجناساً فقال اذا كان لنوع الطعام هذا الاثر العظيم في نمو الجسم وصحتهِ أفلا يجوز ان يكون الصينيون واليابانيون والكوريون وغيرهم من شعوب الشرق الاقصى قصار القامة لان اكثر طعامهم من الارز ؟ اولا يجوز ان يكون بعض سكان افريقيا واوربا طوال القامة ضخام الجثث ازاء الصينيين لانهم وقعوا على طعام من شأنهِ ان يزيد نموَّ الجسم وقوتهُ ؟ اولا يجوز ان يكون الانسان نفسهُ قد بلغ ما بلغهُ الآن من حيث شكلهُ وقامتهُ لانهُ اصاب في فجر نشوئهِ طعاماً معيَّناً ؟ وانهُ لو اصاب طعاماً مختلفاً وزاول تناولهُ لكان نشأ وشكل جسمهِ من حيث الطول والقصر والضخامة والنحافة غير ما هو الآن ؟ هذه مسائل خطيرة لها اثرها في حلّ المشكلات الاجتماعية والدولية علاوة على ما فيها من الفكاهة ولذة البحث العلمي . وقد بسطها الدكتور شهبندر في المقال التالي بسطاً وافياً

قال (هنري بكل) وهو من علماء القرن الماضي البارزين في الاستقراء والتتبع «ان تاريخ اعلى الامم كعباً في الحضارة يمكن تعليله بالعناصر الكيماوية التي يتألف منها طعامها» وسبق المشارقة هذا الباحث الغربي بما عرفوه من تأثير الاطعمة الخفيفة في صفاء النفس وما تحدثه التخمة من البلادة والاضطراب . وعرفنا عدداً من المتصوفة يقضون فصلاً من فصول السنة على التمر واللبن «للرياضة» «والحب والاستزادة من الحيرة» وفهم «التجليات» وادراك « وحدة الوجود »

وقال (المجمل في علم الاجتماع) « ان كثيراً من الناس اصيبوا بالفاقة بسبب الاطعمة

الناقصة التي تغذوا بها وان كثيرين غيرهم ينسبون فشلهم في مضمار الحياة الى ما يعانون من سوء الهضم او غير ذلك من الامراض الناشئة عن فقد الغذاء الصحيح»

ويتجنب الصائم في رمضان من وقت العصر الى وقت الغروب الموضوعات المرتبكة والمصالح المعقدة خشية ما يحدثهُ الجوع في نفسهِ من الحدة . وتتبع استاذنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري التطورات الاجتماعية في دمشق فوجدها اشد ما يكون في شهر الصيام . وقد يكون للمجالس التي تعقد فيها ليلاً وللسهرات الطويلة التي تدوم حتى السحور شأن ايضاً في احداث هذه التطورات علاوة على ما لنوع الطعام في رمضان واختلاف اوقاته من التأثير الواضح . وهكذا فالامثلة على تأثير الاكل في العقل لا تكاد تحصى وقد لاحظها المتقدمون كما عرفها المتأخرون ولكن هناك باباً جديداً في علم الحياة—البيولوجيا— لم يفتح لاحد سوى لاهل الاخصاء من ارباب الطريقة العلمية التجريبية في العصر الحاضر. وهذا الباب هو التأثير الخاص لبعض الاغذية في تكوين بعض الانسجة الجسدية وظهور بعض العاهات لفقد بعض العناصر

***

زرت مدينة (بوسطن) في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٤ فأتيح لي ان اجتمع فيها بأستاذ من الاساتذة المعروفين لدى طائفة كبيرة من خريجي جامعة بيروت الاميركية وهو الاستاذ الفرد باتش الكيماوي فدعاني الى زيارة مخبره ومما رأيت فيهِ واستوقف نظري كثيراً بعض تجارب حيوية كان يجربها في الجرذان لاثبات بعض الخصائص التي في زيت كبد الحوت (زيت السمك)

والجرذان تفضَّل على غيرها في مثل هذه التجارب لاسباب متعددة منها رخصها وسهولة الحصول عليها وقلة نفقاتها وأهم من ذلك كله ان الجرذان تعيش على الطعام المشترك مثل الانسان يعني انها تأكل الخضراوات واللحم وهي وان كان معدل اعمارها ثلاث سنوات الا أن طريقة تحويل الاطعمة في اجسادها الى انسجة او حرارة تشابهُ في كثير من الوجوه هذه الطريقة في الانسان

قسم الاستاذ باتش جرذانه الى اقسام وضعها في اقفاص خاصّة وعين لها جراية يومية متماثلة في تركيبها خالية من مادة جوهرية تعرف بآثارها اسمها « فيتامين د » كان تكون هذه الجراية مؤلفة من لبن مغلى الى درجة التعقيم مع الخبز الابيض الناصع وزيت الكتان فكانت علائم الكساح تظهر عليها جميعاً بعد فترة من الزمن فاذا استمرَّ على هذه الجراية الناقصة كانت هذه الجرذان تموت اما اذا اضاف الى بعضها زيت السمك فان اعراض

الكساح كانت تزول رويداً رويداً من آكليها بحسب مقدار الزيت ومدة استعماله. وقد رأينا الفروق عظيمة بين الجرذان التي بقيت على الجراية الاصلية وبين الجرذان التي اضيف الى جرايتها زيت السمك فكان جمود العين وأحديداب الظهر وتتوء الصدر وتقوس الأطراف في الاولى من العلامات القاطعة على فعل زيت السمك في ازالتها من الثانية.
وقد دعا الاطباء المادة الفعّالة الموجودة في زيت السمك «ڤيتامين د» وعرفوها من بعض خصائصها الطبيعية وعرفوا ايضاً ان نور الشمس اوالاشعة التي وراء البنفسجي تفعل فعل هذا الفيتامين بل ان البقرة التي تعيش في الظلمة ولا تتعرض لنور الشمس لا يقوى لبنها مهما درّ على مقاومة الكساح

لم تعد قضية الفيتامين من المسائل النظرية في علم الحياة بل ان الطب اثبت انواعاً اخرى منها تحدث امراضاً خاصّة واستعان بها لشفاء هذه الامراض. مثال ذلك ماحدث في غضون الثورة السورية في جبل الدروز فقد رأيت عدداً من الاهلين المحليين اصيبوا في الشتاء بمرض الاسكربوط بفقد الفواكه والخضر فلما ظهر الربيع بحلته السندسية على السهول زال هذا المرض من نفسه لدى ظهور النبات الغض الحافل بهذا الفيتامين الحيوي مما كان يتناوله الناس في طعامهم

***

وفي الشرق الاقصى مرض يودي بحياة نحو مائة الف نسمة سنوياً اسمه «البري بري» وهو ينشأ عن فيتامين آخر يوجد في غلاف الارز فاذا بيّض التجار ارزهم وأخلوه من هذا الغلاف ليكون لونه ناصعاً اصاب الذين يقتصرون على اكله من اهل تلك البلاد هذا المرض العضال. فسواد هذا الارز في ظاهره خير من البياض في باطنه

وشاهدت في غضون الحرب العظمى في مصر امراً خطيراً يسترعى الاسماع فان الوف من الالمانيين والعثمانيين كان مقرهم في ضاحية «المعادي» الى الغرب من القاهرة وكان طعام الاسرى الاوربيين مختلفاً عن طعام الاسرى الاسيويين بحجة ان الغربي غير الشرقي فكان طعام ذاك حاوياً العناصر الغذائية الكافية من خضروات ولحم ولبن وبيض وأما طعام هذا فكان ناقصاً ولا سيا في المواد الزلالية الحيوانية وقد زاد في الطين بلة ان الاسرى العرب اضربوا عن تناول اللحم الذي كان يوزع عليهم لما بلغهم عنهُ انهُ لحم الحمير فكانت خشونتهُ وجفافهِ مصداقاً لهذه الاشاعة. ثم ما عتمنا ان لحظنا مرضاً جديداً تفشى بينهم اسمهُ مرض (البلاغرا) اصاب نحو خمسين في المائة منهم. وهو مرض عضال لا يرجى برؤه متى تجاوز حلولهُ بالجسم فترة من الزمن معينة. ولم اجد لهذا المرض اثراً في

الجرمانيين لما كانوا يحصلون عليهِ من الغذاء الكافي. وهكذا سجل هؤلاء الاسرى العثمانيون في سجل العلم مرة اخرى ان الفروق الوهمية التي وضعتها السياسة بين الشرق والغرب لا يعترف بها علم الحياة بل يذهب العلم معنا الى ابعد من ذلك فيقول ان الشرقي الذي مرض جسمه في الماضي لنقص (الفيتامين) الذي حفظ صحة الجرماني يذبل مجتمعهُ اليوم لفقدهِ السيادة القومية التي هي جوهر النشاط في بلاد الغرب . ومهما يكن نوع هذه المادّة التي سبب فقدها مرض البلاغرا في الاسرى العثمانيين فارجح كل الترجيح انها موجودة في المواد الزلالية وفي مقدمتها اللحوم الطرية ، وكان الرأي السائد ان الذرة هي سبب هذا البلاء

***

هذا بشأن « الفيتامين » وما لهُ من الاثر الفعال في حفظ ميزانية الجسم ومنع بعض الامراض الفتاكة . ولكن هناك تجارب اخرى احدث عهداً دلت على ما للطعام من المكانة في تكوين البنية وتوليد الخصائص النوعية. ولا يدري احد ما سيكون من امرها في اجراء التعديلات في الاقوام . وقد قام الاستاذ (مكّولم) من مدرسة(جونس هوبكنس) الجامعة الطبية في الولايات المتحدة بتجارب في هذا الباب تعد من الطراز الاول فجمع ثمانية من الجرذان قسمها الى قسمين وضعهما في قفصين فاجرى على القسم الاول منهما جراية مؤلفة من الماء المقطر والخبز الاسمر وعلى الثاني هذه الجراية نفسها مع اضافة بضع اوراق من اللفت — الشلجم — او البنجر ، فكان حجم الجرذ في القسم الاول لا يتجاوز حجم الفار واما في الثاني فكان يبلغ ضعفيهِ وفيما عدا ذلك كان الجميع متشابهين وفي حالة طبيعية

ومن المعلوم ان اليابانيين قصيرو القامة وكان يعلل قصرهم بانهُ صفة قومية ملازمة ولكن علماء طوكيو ارتأوا ان يطبقوا التجارب التي جربت في المخابر على ابنائهم في المدارس ليروا هل في الامكان تعديل قاماتهم . فاضافوا بضعة اطعمة الى غذاء بعض التلاميذ المعتاد فكان من نتيجة هذه التجارب العديدة ان التلاميذ الذين عاشوا على الطعام الممزوج بطعام الاقوام الطويلي القامة كانوا اطول من رفقائهم واثقل منهم

ومما لفت انظار الزعيم (مكريسون) في دائرة الصحة العسكرية في الهند ان متوسط طول السيخ والباتانيين اكثر من متوسط طول المدراسيين وغيرهم من سكان الهند وان كانوا جميعاً سواسية من حيث الفاقة والشقاء. وقد دلّ الاستقراء على ان طعام السيخ والباتانيين معادل في قلة مقدارهِ لغيرهِ من طعام الهنود الاّ انهُ يختلف كثيراً من حيث العناصر التي يتألف منها فهو يحتوي على اللبن وما يخرج منهُ من قشدة وجبن وعلى الخضراوات مع شيء قليل من اللحم وهذا كلهُ مفقود في طعام الهنود تقريباً . ولكي يثبت (مكريسون) علاقة هذا

الطعام بطول القامة اجرى تجربةً على جماعة من الجرذان ايضاً فاطعم قسماً منها طعام السيخ والباتانيين واطعم القسم الآخر طعام المدراسيين فنما القسم الاول نمواً بليغاً وبقي القسم الثاني قزماً ثم توسع في تجربته فادخل فيها اطعمة اخرى تمثل انواع الامم فاطعم جماعة من الجرذان طعام العمال الانكليز الفقراء وجماعة اخرى طعام اليابانيين والفليبينيين والجاويين فكانت الجرذان التي عاشت على طعام السيخ والباتانيين عظيمة الحجم ناعمة الفراء لطيفة السلوك والتي عاشت على طعام العمال الانكليز الفقراء غليظة الحجم خشنة الملمس ميالة الى العراك. واما اليابانية والفليبينية والجاوية فكانت قصيرة القامة تبدو عليها خصائص هذه الاقوام اجمالاً

***

وغني عن البيان ان كلمة (قوم) هي عبارة عن صفات مادية تظهر في الجسم في البنية والتقاطيع والملامح واللون والشعر والاطراف والطول والعرض والجماجم، ومعنوية تظهر في العقل في التصور والخيال والادراك والذاكرة والاخلاق والعاطفة الدينية وفي غير ذلك مما يجوز ان يفسر بقاعدة حيوية عامة خلاصتها « الوراثة المتسلسلة في البيئة المتغيرة » ومعنى ذلك ان القوم هو النتيجة الحاصلة من تصادم الوراثة بالمحيط . فاذا كان للاطعمة من الشأن ما اثبتته هذه التجارب في المخابر والمدارس وصحّ ان طول السيخ والباتانيين ودماثة اخلاقهم وخشونة الفقراء من العمال الانكليز واستعدادهم للعراك وقصر اليابانيين والفليبينيين والجاويين كل ذلك ينتقل بواسطة الطعام الخاص من حي الى حي آخر فلا يدل ذلك على ان الوراثة اضمحل شأنها وان القومية زالت من الوجود بل سيبقى ابن السمين اكثر استعداداً للسمن ولو امتنع عن اكل الادهان والزيوت وابن الاسرائيلي اسرائيليّاً ولو جلس مع الاميركيين في الولايات المتحدة على مائدة واحدة واكل اللحم مطبوخاً بالزبدة

وغاية ما هنالك ان الاتفاق على طعام دولي او أممي فيه العناصر التي تولد بعض المميزات القومية الخاصة يعدل الفوارق بين الناس. وان (فيكتور هيزر) كان على حقٍّ لما قال ان مثل هذه التجارب « تجيز للباحث ان يستنتج ان للغذاء دخلاً في تكوين الاقوام والمحافظة على صحتها وان المعرفة المتعلقة بتأثير الطعام في الانسان كلما ازدادت رجح ان الاقوام التي تنتهز فرصة الاستفادة من قيمة الاغذية الجديدة قبل غيرها تقلل من عقبات امراضها وتطيل معدل اعمارها وهكذا تكون الزعيمة في مستقبل الايام »

الطيران من الاسكندرية الى جنوى

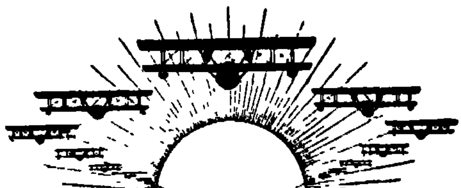
صحافي يصف رحلته الجوية

للمستر سدني مرتن

مكاتب التيمس اللندنية في القاهرة

جنوى في ٦ يوليو — لما عزمت على السفر الى انكلترا وقطع جانب من الطريق على متن طيارة طلب اليَّ رئيس تحرير المقطم ان اوافيهُ بوصف رحلتي هذه ووصف الطيارة التي اطير بها، وهي من طيارات «شركة الطرق الجوية الامبراطورية» التي تنقل البريد بين انكلترا والهند. وقد شرع في تسييرها في اواخر مارس الماضي. فقبلت بسرور تأدية هذه المهمة وخصوصاً لان هذه الرحلة كانت رحلتي الجوية الاولى فقد يعلق بذهني فيها امور يستخفُّ بها الذين الفوا الطيران وجربوه فلا يدونونها

وأول ما لاحظته ان الطيران من الاسكندرية الى جنوى عن طريق طبروق في برقة غاية في الراحة. فان الطيارة تقضي الليلة الاولى في برقة ثم تستأنف الطيران الى خليج سودا في جزيرة كريت فتقف قليلا فيه ليتناول الركاب طعام الغداء ثم تصل الى



اثينا حيث تبيت الليلة الثانية. وفي اليوم الثالث يتناول المسافرون الغداء في جزيرة كورفو ويقضون الليلة في نابولي ويصلون الى جنوى بعد ظهر اليوم الرابع. فينتقل الركاب المسافرون الى لندن وتنقل أكياس البريد، الى القطار الليلي الذاهب الى بال ومنها تستأنف الرحلة بطيارة الى لندن عن طريق لوبورجه وكرويدن. وهكذا يصل المسافر الى لندن بعد اربعة ايام من سفره من الاسكندرية وبعد اسبوع من سفره من الهند

ويجدر بي اولا ان اصف كيف يسافر البريد الهندي الجوي. فهو يرسل على طيارة برية الى ابوقير ثم ينقل بسيارة الى مرفأ الاسكندرية فيوضع في المكان المعد له في الطيارة المائية المسافرة الى جنوى. ومتى تم انشاء المطير في الدخيلة (غرب المكس) يستغنى عن نقل البريد بالسيارة لان المطير

يكون بريًّا مائيًّا اي يجمع بين ميدان تنزل فيه الطيارات البرية ومرفأ تحط عليه الطيارات البحرية فتنقل اكياس البريد من الطيارات البرية الى الطيارات البحرية مباشرة من غيران يصيبها التأخير الذي يقع الآن في النقل بين ابو قير والترسانة

ومقدار ما يرسل من البريد الجوي الآن من الهند وسيلان والعراق والسودان ومصر واليها آخذ في الازدياد ازدياداً مطرداً . ولما كانت الاماكن التي ترسل اليها رسائل البريد الجوية متعددة فيلزم ان تراقب هذه الرسائل مراقبة دقيقة في الاماكن التي تنقل فيها من طيارة الى اخرى كالاسكندرية وجنوى وبال حتى لا يضيع شيء منها

واقبال الناس على استعمال هذا البريد الجوي لا بدَّ ان يحمل شركة الطرق الجوية الامبراطورية في القريب العاجل على جعله مرتين في الاسبوع بدلاً من مرة واحدة كما هو الآن

***

كان ميعاد قيامنا من الاسكندرية في الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين من يوم الاربعاء ٣ يوليو . فلما وصلت الى رصيف الترسانة مع امتعتي في الساعة الاولى بعد الظهر ، وجدت ان قيام الطيارة في ميعادها متعذر بسبب تأخر بريد الهند والعراق لهبوب رياح المواسم. ولكي تكون الطيارة على اهبة القيام حال وصول البريد المذكور قمت بكل ما يجب القيام به من المعاملات الرسمية فاشر مأمور الجوازات على جوازي وتأكد غيره ان لدي تأشيراً يأذن لي بالدخول الى خليج سودا بكريت واثينا وكرفو لان الحكومة اليونانية — على الضد من حكومة فرنسا وايطاليا والبجيكا والمانيا — تصر على تقاضي مبلغ من المال من المسافرين الذين يمرون في بلادها مرَّ السحاب

وبعد ذلك وُزنت وامتعتي . فكل تذكرة تخول صاحبها مائة كيلوغرام من حمل الطيارة ويدخل في ذلك وزنهُ هو وكل ما يحمل معهُ . وكل ما يزيد على مائة كيلو غرام يدفع عنهُ اجرة خاصة . ولا بدَّ من ابين هنا ان هذه السفينة الطائرة مسموح لها ان تحمل عدا البنزين والسائق ومساعديهِ والادوات واجزاء الطيارة التي قد تلزم في اثناء الرحلة حملاً لا يزيد عن طنين . وهذا الحمل يشمل اكياس البريد والركاب وامتعتهم . ولذلك يجب ان يوزن كل ما يدخل في هذا الحمل وزناً دقيقاً حتى لا يزيد حمل الطيارة عن المقدار المعين

وملاحو هذه السفينة الطائرة ثلاثة : السائق والمهندس وعامل الآلة اللاسلكية — وكلا المهندس والعامل اللاسلكي مارسا سوق الطيارة لمساعدة السائق في الاحوال الاستثنائية اما العامل اللاسلكي فهو ربان السفينة والمشرف على كل شؤون البريد والمسافرين وامتعتهم وفي كل سفينة طائرة تجد قائمة تحتوي على أسماء المسافرين والاماكن التي يقصدون

اليها وغير ذلك من الاوراق الرسمية التي لا بدَّ منها في كل سفينة تمخر البحر وخصوصاً فيما يتعلق بحمل الطيارة وصحة ركابها والاوراق التي تخولها دخول المرفأ الذي يقصد اليهِ والمرسى الذي تستقر فيهِ. وبعد ما قمت بهذه المعاملات الرسمية قصدت الى النادي البحري الذي على مقربة من مرسى الطيارة لانتظر قدوم البريد الهندي العراقي . ومن شرفة هذا النادي كنت استطيع ان ارى الطيارة فاعلم متى تكون على اهبة الرحيل. ولما كانت الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين وصل البريد الهندي ومعهُ يابانيان من كوبي فقصدنا الى الطيارة وهي من ذوات السطحين . (واما الطيارات الايطالية التي تقطع المسافة بين الاسكندرية وجنوى فمن ذوات السطح الواحد) وجسمها يشبه قارباً فوقهُ سطحان احدهما فوق الآخر وهي مجهزة بثلاثة محركات قائمة بين السطحين ويستطيع السائق ان يديرها كما يدير اجزاء الذيل الذي يستعمَل كدفة ، من مقره في مقدمة الطيارة الاعلى . وانت اذا نظرت اليها مرفرفة فوق المرفأ الذي تنوي النزول فيهِ ظننت انها نوع من انواع السمك الطيار فيعجبك جمال شكلها وتناسق خطوطها . وعلى كل من جانبي الجسم طوف في شكل سمكة يمكنان الطيارة من الاحتفاظ باتزانها حين تنزل على سطح الماء او حين تحاول النهوض والطيران

وهي في الداخل رحبة تتسع لعشرة ركاب ومقاعدهم مرتبة في صفين الاول من اربعة مقاعد مفردة الواحد امام الآخر والثاني مؤلف من ثلاثة مقاعد مزدوجة وبينهما ممر يصل بين مقرّ السائق ومكان البريد والامتعة والمرحاض والبار الذي يحتوي على ماء يكفي المسافرين ثلاثة ايام وغيره من المشروبات الروحية وما اليها . ولما كانت الطيارة تعنى اولاً بنقل البريد فان الفراغ في داخلها معد لاكياسه الآن ومقاعد الركاب فيها قليلة

***

صعدنا الى الطيارة فجلست في المقعد الامامي المفرد حيث تسنى لي ان أمد ساقيَّ الطويلتين وكنت على مقربة من مقر السائق فكان يشير اليَّ من حين الى آخر بيديهِ ليفهمني اشياء عن الاماكن التي نمرُّ فوقها . ولم يكن الكلام مستطاعاً لان هدير المحركات يصم الآذان . وهو يخاطب عادة مع مساعديهِ اما بالاشارات او بصفارة او بما يخطهُ على سابورة او ورق . وأكثر التخاطب مع الركاب يكون كتابة

وبعد ما استقر الجميع في اماكنهم استوى السائق في مقعده وحلَّت الحبال التي تربط الطيارة الى اعمدة مرساها وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر تماماً فسارت الطيارة على سطح الماء نحو ثلاثة دقائق ثم أخذت ترتفع رويداً رويداً فاخذتني نشوة كنشوة الراح ولم تلبث أن بلغت ارتفاع الف قدم فنظرنا الى الاسكندرية فرأيناها مدينة صغيرة تحتنا وضؤلت في

نظرنا المراكب الضخمة التي في المينا وسراي رأس التين وفندق سان استفانو ومحطة سكة الحديد الجديدة حتى لم نعد نتبينها

وسارت الطيارة بسرعة مائة ميل وعشرة اميال في الساعة ، لا ترتج ولا تهتز ، فاختفت الاسكندرية عند الافق الشرقي وراءنا وبدت امامنا والى يسارنا الصحراء الغربية لاننا كنا نطير فوق البحر على مسافة ميل من الشاطيء . اذ لا يخفى ان الطيارة مائية فاذا اصيبت بعطل ما تمكنت من ان تنزل على سطح الماء سالمة واما اذا اضطرت ان تنزل على اليابسة فانها تحطم . وكان البحر تحتنا رهواً كأنهُ بركة من الياقوت الازرق السائل. وفيما انا اتمتع بهذا المنظر البديع اخذ الكرى بمعاقد الاجفان فغفوت نحواً من ثلث ساعة ولما استيقظت وجدت رفاقي نائمين كذلك

***

وقفنا اولاً في مرسى مطروح لنبيت ليلتنا بها لان تأخرنا في القيام من الاسكندرية بسبب البريد الهندي منعنا عن مواصلة السير الى طبروق والوصول اليها قبل انسدال ستار الليل . والظاهر ان الاتفاق الذي عقد بين الحكومة الايطالية وشركة الطرق الجوية خوّلا لطيّاراتها الحق في استعمال المرافيء الايطالية كجنوى واوستيا ونابولي واترنتو وبرندزي وغيرها ينص على وجوب جعل طبروق محطاً رسميًّا من المحاط التي تقف بها الطيارات السائرة بين الاسكندرية وجنوى . وهذا النص يطيل مدة السفر نصف يوم لان الوصول الى طبروق يحيد بالطيارات عن التزام خط مستقيم من الاسكندرية الى خليج سودا بجزيرة كريت . ولكن اذا تأخر البريد الهندي كثيراً ولم تستطع الطيارات ان تقوم من الاسكندرية بعد ظهر الاربعاء كما هو مقرَّر وقامت منها صباح الخميس فحينئذ فقط يؤذن لها في ان تطير رأساً من الاسكندرية الى كريت

وصلنا الى مرسى مطروح في الساعة السابعة مساء أي بعد مسيرة ساعتين من الاسكندرية قطعنا في اثنائهما ٢٤٠ كيلومتراً . فحمنا فوقها مرتين ونزلنا في مرفئها الداخلي وهو في موقع ممتاز يجعله مرفأ طبيعيًّا جيلاً . وبعد ما سرنا قليلاً على سطح الماء وصلنا الى مرسى الطيارة فاقبل علينا قارب يقلُّ ضابطاً من ضباط البوليس برتبة قائمقام ليسألنا هل نحن في حاجة الى معونته فلما نزلنا الى البر استقبلنا الطبيب وأشَّر على اوراقنا الصحية . فبتنا ليلتنا في بيت يديرهُ رجل يدعى المستر هيلير كان قبلاً وكيل مفتش بوزارة الزراعة المصرية

واستأنفنا سفرنا الجوي في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي فوصلنا الى طبروق في الساعة التاسعة والنصف صباحاً . وقد طرنا في جانب من هذه المرحلة فوق الغيوم فكنا

والغيوم تحتنا كانتا الملائكة في صور القديسين صاعدين الى السماء

استولى الايطاليون على طبروق قبيل الحرب الكبرى وهي ليست بلدة كبيرة ولكن بناء المباني الحديثة جار فيها على قدم وساق. وامامها خليج كبير عميق يحيط به رأس مستطيل من اليابسة جاءت رؤيتهُ مصداقاً لما قيل عن التجاء الاسطول الفرنسي اليهِ حين فرَّ من الاسطول البريطاني سنة ١٧٩٨ . وبعد ما قضينا ساعة ونصف ساعة في طبروق استأنفنا طيراننا في الساعة الحادية عشرة صباحاً لنجتاز البحر الابيض من طبروق بشمال افريقيا الى خليج سودا بجزيرة كريت وكان اكثر طيراننا (اوكله) على علو الف قدم وسرعة الطيارة تتفاوت بين ٩٠ ميلاً في الساعة ومائة ميل

ومضت علينا ساعة ونصف ساعة لم نر فيها شيئاً سوى الازرقين السماء والماء — وكان البحر تحتنا رهواً والهواء عليلاً والسفر في هذه المرحلة كان على اتم ما يرام من الراحة والمتعة. وقبلما اقتربنا من جزيرة كافدو رأينا تحتنا باخرة فرنسوية كانت قد اقلعت من الاسكندرية قبيل خروجنا منها ورغماً عن تأخرنا في مرسى مطروح وطبروق ادركناها قبل تخطيها كريت وقد بانت لنا كقشرة صغيرة مع ان محمولها نحو ١٥ الف طن

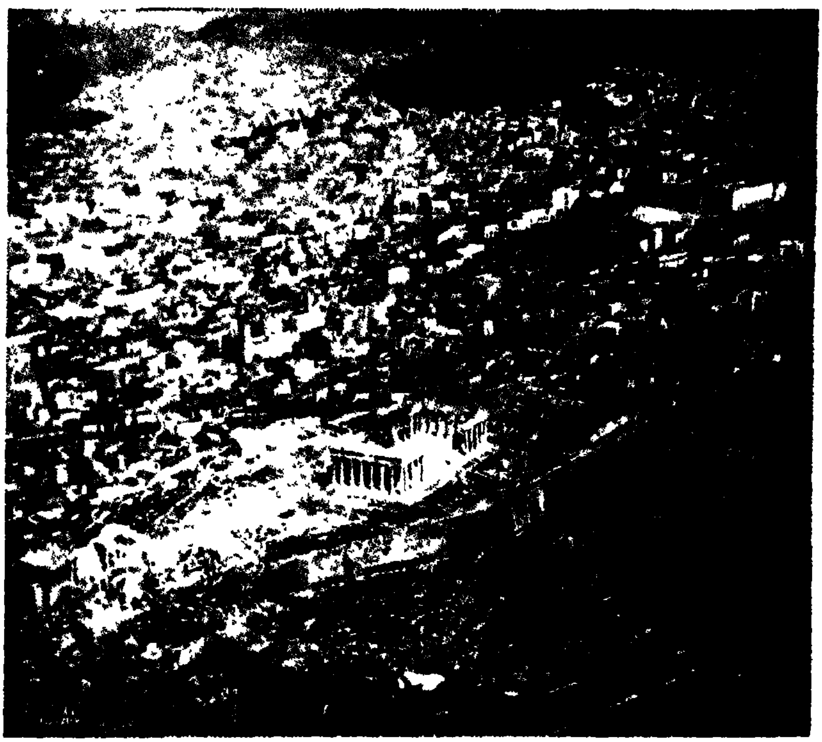
وفي الساعة الاولى والدقيقة الثلاثين بعد الظهر اجتزنا جزيرة كافدو فرأينا جزيرة كريت تبدو وراءها. واخذت الطيارة تستعدُّ لاجتياز كريت فامتحن السائق المحركات اولاً ثم اخذ يزيد ارتفاع الطيارة حتى بلغ اربعة آلاف قدم فوق سطح البحر ثم اطلق للمحركات العنان ليجتاز الجزيرة من جنوبها الى شمالها . وفيما نحن سائرون على ما يرام اذ الطيارة اهتزت هزة فجائية وهبطت ، كجلمود صخر ، نحو ٤٠٠ قدم فادارها السائق الرابط الجأش حتى أعاد لها اتزانها وسار بها محاذياً لطول الجزيرة بدلاً من ان يحاول اجتيازها فوق سلسلة جبالها. وسبب ذلك ان المحرك الاوسط توقف عن الدوران فجأة لثقب في انبوب البنزين فلم يبق في استطاعة الطيارة ان تسير فوق الجبال — وهي طيارة مائية — بقوة محركين فقط . فراعنا ما وقع وظلَّ الذعر مستولياً علينا حتى نزلنا في خليج سودا لان الطيارة ظلت تميد بنا في الفترة التي انقضت بين الحادثين وهي ساعة ونصف ساعة

فاستقبلنا في خليج سودا يخت بخاري تابع لشركة الطيران وكان قد تلقى رسالة لاسلكية من ربان الطيارة تطلع ربانهُ على ما وقع لنا ليكون على أهبة السفر لنجدتنا اذا اصبنا بمكروه . فتناولنا طعام الغداء فيهِ حيث لقينا السر ارثر افانس العالمي الاثري المشهور بما كشف عنهُ في كنوسس من آثار الحضارة المينوية

لما وصلنا الى خليج سودا لم نكن متيقنين من اننا نستطيع استئناف الطيران الى اثينا



بيريه مرفأ أثينا كما يرى من الجو



أثينا وهياكل الاكروبليس كما ترى من الجو

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٠٣

ذلك المساء حتى نصلها في الوقت المعين ولكن المهندسين اكبّوا في الحال على اصلاح المحرك المعطل ونحن اشتغلنا بتناول طعام الغداء لانه كان قد انقضى علينا نحو تسع ساعات منذ تناولنا طعام الفطور . وفي الساعة الخامسة والربع قمنا بطيارتنا متجهين الى اثينا فوصلناها في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين ومررنا في اثناء طيراننا فوق طائفة من الجزائر اليونانية التي ترصع البحر. وكانت الشمس قد قاربت المغيب فافاضت على كورنثوس واثينا وما يجاورهما من الآكام عسجداً ونضاراً لم ار ما يماثلهما الا على آكام طيبة بالاقصر

وفي الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح اليوم الثاني طرنا من اثينا فررنا اولاً فوق ترعة كورنثوس الواسعة ثم فوق خليج كورنثوس ثم فوق المدينة نفسها ثم فوق لبنتو حيث انتصر حنا ملك النمسا على الاتراك ودمر اسطولهم ثم فوق ميسالونجي حيث ترقد رفات بيرون الشاعر ثم فوق بتراس ومنها الى البحر الادرياتيكي فوق الجزائر الايونية التي ترصّع شواطئ اليونان الغربية الى جزيرة كورفو . ولما مررنا فوق جزائر التنين رأينا الاسطول البريطاني في البحر الابيض راسياً هناك ومن وحداته الطراد «ايغل» الذي ابلى رجاله بلاء حسناً في انقاذ الطيارة الاسبانية نومنشا . فلما رآنا الاميرال ارسل طيارتين صغيرتين من طراز « موث » لترافقانا الى كورفو

***

أما كورفو فلم نلبث فيها سوى ساعة تناولنا في اثنائها الغداء ولم يتسنَّ لنا ان نزور مكاناً من اماكنها التاريخية الجميلة . وفي الساعة الثانية بعد الظهر استأنفنا الطيران من كورفو فوصلنا بعد مسير ساعة وربع ساعة الى شاطىء ايطاليا الشرقي وفي اقل من نصف ساعة اجتزنا ايطاليا من شرقها الى غربها . ولما اقتربنا من نابولي رأينا مشهد بركان يزوف من الجو وهو يقذف حممهُ فكان مشهداً لن ننساه . ووصلنا نابولي في الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين بعد الظهر

ولما كان نهر الطيبر على اقصى جزره الآن طرنا في صباح اليوم التالي من نابولي الى جنوى رأساً من غير ان نقف في اوستيا على مقربة من روما لتناول طعام الغداء ولكننا اخذنا معنا اكلاً تناولناه في الطيارة وهي محلقة فوق ليفورنو. ولما وصلنا الى جنوى كنا متقدمين ثلاثة ارباع الساعة عن الميعاد المعين لوصولنا رغم ما اصابنا من التأخير مرتين . فكاننا قطعنا المسافة بين الاسكندرية وجنوى في ثلاثة ايام وساعتين منها ٢٣ ساعة من الطيران الفعلي

وقد تركت هـذه الرحلة في نفسي احسن أثر ولا اتردد مطلقاً في المستقبل في ان اسافر الى اوربا طائراً

بحث في التبغ وضرائبه[1]

للامير مصطفى الشهابي
مدير املاك الدولة بدمشق

﴿ تاريخه ﴾ التبغ لفظة عربت بها كلمة Tabac الأعجمية . ويقول بعض المؤلفين ان هذه الكلمة التي عم استعمالها في اللغات الاجنبية للدلالة على النبات المذكور هي مشتقة من لفظة تاباكو (Tabacco او Tabago) وهو اسم يطلق على جزيرة صغيرة من جزائر الأنتيل في اميركة يظهر ان الروَّاد عثروا على التبغ فيها اولاً . ويقول آخرون انها مشتقة من كلمة تاباسكو (Tabasco) وهي جزيرة أخرى واقعة في خليج المكسيك . ويزعم غيرهم انها لفظة كان يستعملها سكان اميركة الأصليون لورقة ناشفة يحاط بها نبات التبغ فاقتبسها عنهم الرواد الاولون . ولقد كان للتبغ اسماء كثيرة زال استعمالها فالبرتغاليون كانوا يسمونهُ العشبة المقدسة والفرنسيون العشبة العجيبة وام الاوجاع وعشبة الملكة وغيرها

وليس لهذا النبات لفظة عربية لانهُ ما كان معروفاً في بلاد العرب قبل كشف اميركة وهو لم ينقل الى بلادنا (بلاد الشام) الاَّ في اوائل القرن السابع عشر من الميلاد . واشهر لفظة يسميه العرب بها هي الدخان والتتن وكلاهما لا يدلان على ان النبات كان معروفاً قديماً وكذا لفظة التنباك للنوع الآخر المعروف . وذكر العلامة النباتي بوست التبغ Nicotiana tabacum والتنباك N. rustica في كتابهِ الشهير « نباتات سورية وفلسطين ومصر وبواديها » فقال انهما يزرعان ولم يقل انهما ينبتان طبيعيًّا في تلك البلاد . والذي عليهِ معظم العلماء لاسيما العالم النباتي دوكاندول صاحب كتاب « اصل النباتات الزراعية » هو ان مهد التبغ الاصلي في اميركة وانهُ انتقل منها فصار يزرع او صارت تنبتهُ الطبيعة في كثير من الاقطار كالصين وفارس واوستراليا وغيرها . وعند ما كشفت اميركة كانت عادة تدخين التبغ ومضغهِ والعطس بهِ متفشية في معظم اقاليمها . ولم يكن الاميركيون الاصليون حديثي العهد بتلك العادة بل ان الآثار القديمة التي وجدت تدلُّ على انهم كانوا يزاولونها منذ عصور عديدة . ومع ذلك فان نبات التبغ الذي كان هنود اميركة يستعملونهُ إبان دخول خريستوفوروس كولومبوس تلك الديار كان نباتاً بريًّا تنبتهُ الطبيعة في اماكن عدة

(١) وهو موضوع محاضرة القيت في ردهة المجمع العلمي بدمشق وخص المقتطف بنشرها

دون ان يكون له حظ من تعهد السكان اياه بعناية من العنايات . وكان الهنود المذكورون يحبونهُ حبًّا جمًّا ويحترمونهُ كل الاحترام ويجعلونهُ مصدراً لكثير من الفضائل ويذهبون الى ان روحاً قدسية تحلُّ بهم اذا ما استنشقوا دخانهُ اللذيذ ولهذا كانوا يحرقونهُ كالبخور في صلاتهم وتعبدهم حتى اذا سكر كهانهم ذلك السكر الخفيف الذي يتولّد منهُ صحَّ اعتقادهم بأن الروح التي تحمي حماهم وتدرأ عنهم عوادي الايام والليالي قد حلّت فيهم وآتتهم برحمة من الآلهة . وكانوا يعتقدون ايضاً ان التبغ يشفي كثيراً من العلل وانهُ قتال للاعداء ولذا كانوا يستخرجون منهُ سمًّا يسقون بهِ نصال رماحهم وسهامهم . وكان دخان التبغ ينتشر في جو البيوت كلما اجتمع رؤساؤهم لامر هام كالمداولة في صلح او قتال بين القبائل واغرب من هذا انهم كان يلفون ورق التبغ لفافات صغيرة يشدونها الى اعناقهم او الى اوساطهم فتكون عوذاً يتقون بها صروف الدهر كالحجب في ايامنا هذه

واختلف الرواة فيمن نقل نبات التبغ وبزوره الى اوربة قبل غيره فقال بعض المؤرخين ان هرمندز الطليطلي [1] هو الذي نقله من المكسيك الى اسبانية في اوائل القرن السادس عشر من الميلاد وقال آخرون ان الفضل في ذلك يرجع الى امير الماء الانكليزي المسمى درايك Drake ومهما يكن فان استعمال التبغ في اوربة ظل مقتصراً على قليل من الناس الى اواسط القرن السادس عشر ولم يعمَّ استعماله الاّ بعد ذلك التاريخ

ويقص المؤرخون عن نقل هذا النبات الى فرنسا قصة غريبة وهو انهُ كان للملكة كاترينا دومديسي [2] سفير في لشبونة يدعي حنا نيكو [3] ففي يوم من سنة ١٥٦٠ اتاه احد التجار بقليل من بزور التبغ فزرعها في حديقتهِ وصار يعالجها خبيراً . ولما كانوا يعتقدون في تلك الايام ان هذا النبات ينقي الدم ويزيل الصفراء من الدماغ وكانت الملكة المشار اليها مبتلاة مع ابنها بالسويداء والاخلاط الدماغية فقد ورد الى خاطر السفير ان يبعث الى ملكته بشيء من مسحوق التبغ لعله يشفيها . فاهتمت الملكة لهذه الهدية وأذاعت امرها على الشعب ففشى استعمال الطاوس في انحاء فرنسة وساد معه الاعتقاد بأنهُ شفاء لجميع العلل وقد كادوا يؤلهونهُ شأن هنود اميركا الاقدمين . ونقل التبغ من فرنسة الى سائر انحاء اوربا والجميع يبجلون هذه المنحة الالهية ولكنهم ما عتموا ان ادركوا انهم في خطإٍ مبين وان التبغ لا يشفي شيئاً من العلل بل يولد كثيراً منها فأخذ بعض ملوك اوربا يضطهدون المدخنين ويُرهقونهم بالغرامات والسجن ويتوعدونهم بالقتل واحتذى البابوات وبطارقة الروم حذوهم وكذا بعض ملوك الشرق كالسلطان مراد الرابع العثماني

(1) Hermandez de Tolède (2) Cathérine de Médicis (3) Jean Nicot

فانهُ اصدر ارادة سنية بأن التبغ مسكر يحرمه الدين ولهذا حق على كل مدخن ان يشرم شفتاه وعلى كل من يستعمل العاطوس ان يجدع انفه واذا لم يرتدع كل منهما فجزاؤه القتل . ويروى ان السلطان محمد الرابع كان يتجسَّس بنفسهِ امور المدخنين ويتسقط اخبارهم فاذا عثر على احدهم قلّده في عنقهِ طوقاً من ورق التبغ وأدخل في انفهِ (شبقاً) وصلبهُ وهو في هذه الحال . ويظهر ان الشاه عباس في فارس ما كان اقل قسوة من سلاطين آل عثمان. اما في الروسيا فان احد دوقاتها كان يجلد المدخن فاذا لم يرتدع جدع انفه حتى اذا لم يكن هذا العقاب كافياً وأخذ مجدوع الانف وهو يدخن فجزاؤه القتل. ولكن الاضطهاد لم يجد نفعاً وظلت عادة التدخين تنتشر حتى رأت الحكومات في اواسط القرن السابع عشر وأواخره ان لا قبل لها باستئصال هذه العادة وان اهون الشرين ترك المدخنين وشأنهم على ان تستوفي عن زراعة التبغ وتجارته ضريبة فادحة تكون مورداً مهماً لبيت المال وهكذا احتكرت الحكومات زراعة هذا النبات وتجارته إما مباشرة او بواسطة شركات حصر الدخان

﴿ تحليتهُ وخواصه ﴾ هو من الفصيلة الباذنجانية التي تشتمل على نباتات مهمة كالبنادورى (الطماطم) والباذنجان والبطاطس والفليفله وغيرها ومن بعض نباتات هذه الفصيلة تستخرج في الطب سموم قتالة كالستركنين والاتروبين والنيكوتين والتبغ الذي يزرع في الشام لهُ ساق عشبية لزجة منتصبة تبلغ متراً واوراق بسيطة مستطيلة كاملة وبِبرة تحت العصب الاوسط وازهار عنقودية مرتكزة على رأس الساق وفروعها . وللزهرة كأس جرسية وتويج قمعي الشكل وردي اللون وبزور التبغ دقاق عظيمة العدد وذكر العالم النباتي « لينيوس » انهُ عدَّ ٤٠٠٠٠ بزرة في ثمرة واحدة

والمادة الاساسية او العنصر الفعال في التبغ هو النيكوتين . وهو يستعمل لوجود هذه المادة فيهِ لانها هي التي تحدث شبه سكر او تخدير طفيف يسلي المدخن المكدود ويذهب بشيء من قلقهِ . وهي قِلْيٌ عضوي زيتي مائع يذوب في الماء لا لون لهُ ذو طعم حريف محرق ورائحة هي رائحة التبغ بنفسها . وهي سم ناقع الاَّ انها لا تكون في اوراق التبغ مطلقة بل تكون ممزوجة بحوامض عضوية ولهذا اذا شممنا ورقة تبغ طرية فاننا لا نستروِحُ النيكوتين فيها لكننا اذا يبسنا الاوراق وجعلناها تختمر فادة النيكوتين تنفصل عن الحوامض المذكورة فتسطع رائحتها وهي رائحة التبغ الخاصة . وكلما طال زمن تيبيس الاوراق واختمارها نقص مقدار النيكوتين فيها وعد التبغ خفيفاً . ويختلف مقدار النيكوتين في الاوراق اليابسة من ١،٥٠ الى ٧ في المائة من وزنها وقلما يزيد على ٢ في المائة في التبغ الذي تدخنهُ

﴿ مضاره ومنافعه ﴾ : للتبغ اعداء واصدقاء فاعداؤه يزعمون انهُ يسبب أدواء شتى

اما اصدقاؤه فيرون ان فوائده تفوق مضاره ولذا لا يجوز منع استعماله . ومن اقوال بعض الاطباء اعداء التبغ ان استعماله عاطوساً يؤدي الى فقد حاسة الشم . وفقد هذه الحاسة يفسد هيئة الوجه فيصبح عبوساً مكمداً . ثم ان الذي يفرط في استعمال العاطوس يضطر الى استنشاق الهواء من فمه فتتباعد شفتاه وينتفخ فكاه وتتدلى ذقنهُ حتى يصير منظره شبيهاً بمنظر رجل مسكين او احمق . اما صوتهُ فانهُ يختنق ويبح ويسد انفهُ فيكون له في الليل شخير مزعج . وربما حصلت قروح في انفهِ فيصير نفسهُ كريهاً كنفس اشد الناس بخراً فيتحاشاه جلساؤه وتسوء حاله في عزلة عن الخلق . ويمتد الضرر الى العين فتحمر ويلتهب غشاؤها الداخلي فتسيل الدموع على الخد كما يسيل مخاط اسود من الانف يوسخ الالبسة

والافراط بالتدخين لا يقل ضرراً برأي هؤلاء الاطباء عن الافراط باستعمال العاطوس فهو يهيج غشاء الفم واللثة ويضر بالاسنان ويفسد رائحة الفم ويسيء الهضم ويقلل شهوة الطعام ويصيب الطحال ويهيج الحنجرة ويولد في الرئة امراضاً شتى وفي القلب خفقاناً وفي الكلى البوميناً وسكراً وهو ايضاً يضعف الذاكرة والذكاء وقوة العمل كما يزيد الجنون تدريجيًّا . وللتدخين في نظرهم ضرر اعظم من كل ما ذكر وهو انهُ يفسد الاخلاق . ذلك ان مدمني التدخين تضطرب اعصابهم ويذوي شبابهم ويسوء خلقهم فينقلب الحب في نفوسهم بغضاً والرأفة حقداً والخير شرًّا واضاف تولستوي الحكيم الروسي الشهير على ذلك ان المدخنين لا يلجئون الى التدخين الاَّ بقصد الابتعاد عن ضمائرهم وتخفيف وطئة تبكيتها عند ما يقدمون على اعمال سيئة او شريرة وضرب على ذلك امثالاً في شخصهِ فقال انهُ عند ما كان يشعر بحاجة ماسة الى العمل ويرى ان العمل متعب كانت تثور في نفسهِ معركة بين واجب الكدح وبين حب الراحة والدعة حتى اذا اخذ سيكارة واشعلها رجحت لديهِ كفة المطالة . واذا تشاجر مع احد رفاقهِ فاغلظ له الكلام وهو عالم بانهُ لا يستحق ذلك فالسيكارة كانت السلاح الذي تجعله يتمادى في ايذاء صديقهِ عن غير رغبة منهُ

وعند ما كان يقامر ويسخر فبالسيكارة كان يداوي نفسهُ اي يجعلها اقوى على احتمال الخسارة واشجع في المخاطرة على المبالغ الكبيرة . وكلما كان يخطيء او يأتي امراً إدًّا دون ان يود الاعتراف بخطئهِ فالسيكارة كانت خير معوان لهُ على التمادي في غيّـهِ والاصرار على انكار خطر ما اقترفهُ واسناد العمل الى آخرين . وهكذا يضرب تولستوي امثالاً كثيرة على اضرار التدخين لكنهُ لا يذكر بعد ان ابطل هذه العادة هل اصبح اقل كسلاً في عمله واوسع صدراً مع رفاقهِ وهل زال تعلقهُ بالمقامرة وصار اقل ايذاء واكثر صدقاً ? هذا ما يشك فيهِ . والحقيقة ان اعداء التبغ جدُّ مبالغين في اقوالهم لان كثيراً من الاضرار التي

ذكرناها لم يقم عليها دليل حسي . ويجب ان نفرق بين الاعتدال في التدخين والافراط فيهِ . فالاول لا يرى جمهرة الاطباء فيهِ بأساً يذكر اما الثاني فيرون فيهِ بعض اضرار ثابتة كسوء الهضم والتهاب في الصدر وضعف الذاكرة والبصر واضطراب النبض . فالتبغ اذن ليس ذلك السم القتال الذي يجب اجتنابهُ دائماً بل ربما تساوت حسناتهُ وسيئاتهُ اذا دخّن باعتدال وهذه الحسنات هي كونهُ يسلي المرء عن هموم الحياة ومصائبها بالسكر الخفيف الذي يحدثهُ ويخفف سآمة البطالة في العاطلين ويزيد حب الخير ويزيل شيئاً من وطأة الحياة عن عاتق الذين انهكتهم الاعمال . ولكم كان سلوى الشيخ الهرم الذي لا يزال عالقاً بالحياة وبشرى المريض اذ يرى في لذة دخانهِ عودة الصحة اليهِ . وهو يشحذ الذهن ويسهل الاعمال العقلية ولذا ترى معظم الكتاب العلماء يدخنون حتى ان بعضهم كان يفرط في استعماله . فمن المشهورين الذين كانوا يدخنون باكون وكانت ونيوتن وملتون وموسه وبيرون وغوتيه وكثيرون غيرهم . اما فيكتور هوغو وكوته واسكندر دوماس فما كانوا يدخنون. وكان تولستوي يدخن في شبابهِ ثم ترك التبغ وصار عدوًّا لهُ . ولقد اجمع معظم اطباء الاسنان على ان دخان التبغ يفيد اسنان المدخنين لانهُ يقتل بعض جراثيم تعيش في افواههم . وهم لا يبتلون بسوس الاضراس الا بعد غيرهم وذكر بعض الاطباء ان القليل منهُ يزيد الشهوة الى الطعام كما يسكن بعض ما يصيب جهاز الهضم من التهيج

ومما لا مرية فيهِ ان ترك التدخين بتاتاً هو انفع الحالات لاسيما اذا كان المدخن ضعيف الارادة لا يكتفي بتدخين عدد معتدل من السيكارات في اليوم . لكنهُ اذا كان لا بدَّ للانسان من شيء يخدر بهِ اعصابهُ فالتبغ اقل الاشياء المخدرة ضرراً فشتان بينهُ وبين المشروبات الكحولية المختلفة — الحشيش والافيون والمورفين والكوكائين واضرابها من السموم القتالة . ومن القواعد الصحية التي يجب اتباعها اجتناب التدخين على الريق او في غرفة مغلقة ابوابها ونوافذها لاسيما عند ما يكون عدد المدخنين فيها كبيراً. ويجب اجتناب بلع الدخان فلا يبلغ الرئة ولا يتجاوز الحنجرة . ويفيد استعمال « فم السيكارة » واجودها اطولها لانها تحمل مقداراً من النيكوتين اكبر . وعلى الذين يدخنون السيكارة ان يرموا بها قبل ان يبلغ الاحتراق منتهاها لان النيكوتين يجتمع رويداً رويداً في عقبها اثناء تدخينها فيكون الدخان هنالك اغنى بتلك المادة منهُ في رأسها ويختلف عدد السيكارات التي يجوز تدخينها في اليوم باختلاف امزجة المدخنين ويرى كثير من الاطباء ان ١٢—١٥ سيكارة هي منتهى حد الاعتدال في الاحوال العادية . ومهما يكن فان على الاولاد والشبان والنساء ان يجتنبوا التبغ وكذا المبتلون بامراض في عيونهم او افواههم او حناجرهم (لها بقية)



الشاريفاري

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩
امام الصفحة ٣٠٩

شعر التصوير

الشاريفاري

CHARIVARI

(من نقش لورا نايت — Laura Knight ، وقد عرضت حديثاً في الاكاديمية الملكية بلندن)

في صَفْحةٍ تَجِدُ الغرائبَ جُمِّعَتْ — للاّعبين المُبْدِعينَ فُنُونا
نُقِشَتْ بريشةِ مَنْ تناهتْ دِقَّةً — واستوعبَتْ ما حيَّرَ المفتونا
عشرَاتُ أمثلة لِدُنْيَا صُوِّرَتْ — رَأْساً على عقِبٍ ، فكنَّ جُنُونا!
مِنْ راقصات في الهواء بخِفّةٍ — فوقَ الحِبالِ وما اتّقينَ مَنُونا
ومُصَعِّدَات دُونَ خَشْيَةِ سَقْطَةٍ — وجهِلْنَ مِن بين الحِبالِ خؤونا
ومن الخيولِ الجامحاتِ وما اعتدتْ — الواثباتِ القاحماتِ حُصُونا
ومن افتنانِ الواقفين على شفَا — مَوْتٍ ، وكانَ بحذقِهِمْ مأمونا
السّا كنين على الكُرَاتِ تَدَحْرَجَتْ — والجاعلين مِنَ المسيرِ سُكُونا
ومِنَ القُرودِ مع الكلابِ يَزِيْنُها — فِيلٌ تفرَّدَ بالغُرورِ مُجُونا
وبَدَتْ عُجولُ البحرِ في لَعِبٍ لها — تحت الصوالجِ كالرجالِ فُتونا
وغدا أُلوفُ الناظرين كأنّهمْ — أُخذوا بما جعلَ الرؤوسَ بُطونا
تتَوزَّعُ الأضواءُ حَوْلَهُمو كما — يتوزّعون تَطَلُّعًا وكُمُونا
ويُتابعون بغير نُجْحٍ ما سَبَا — هِمَمًا ، وآذانًا لهم ، وعيُونا
وكأَنَّ هذا النقشَ جاء مُسجِّلاً — في رُوحِ إعجازٍ رُؤًى وظُنونا

ابو شادى

عودة الالمان الى ميدان التنافس

البحري : التجاري والحربي

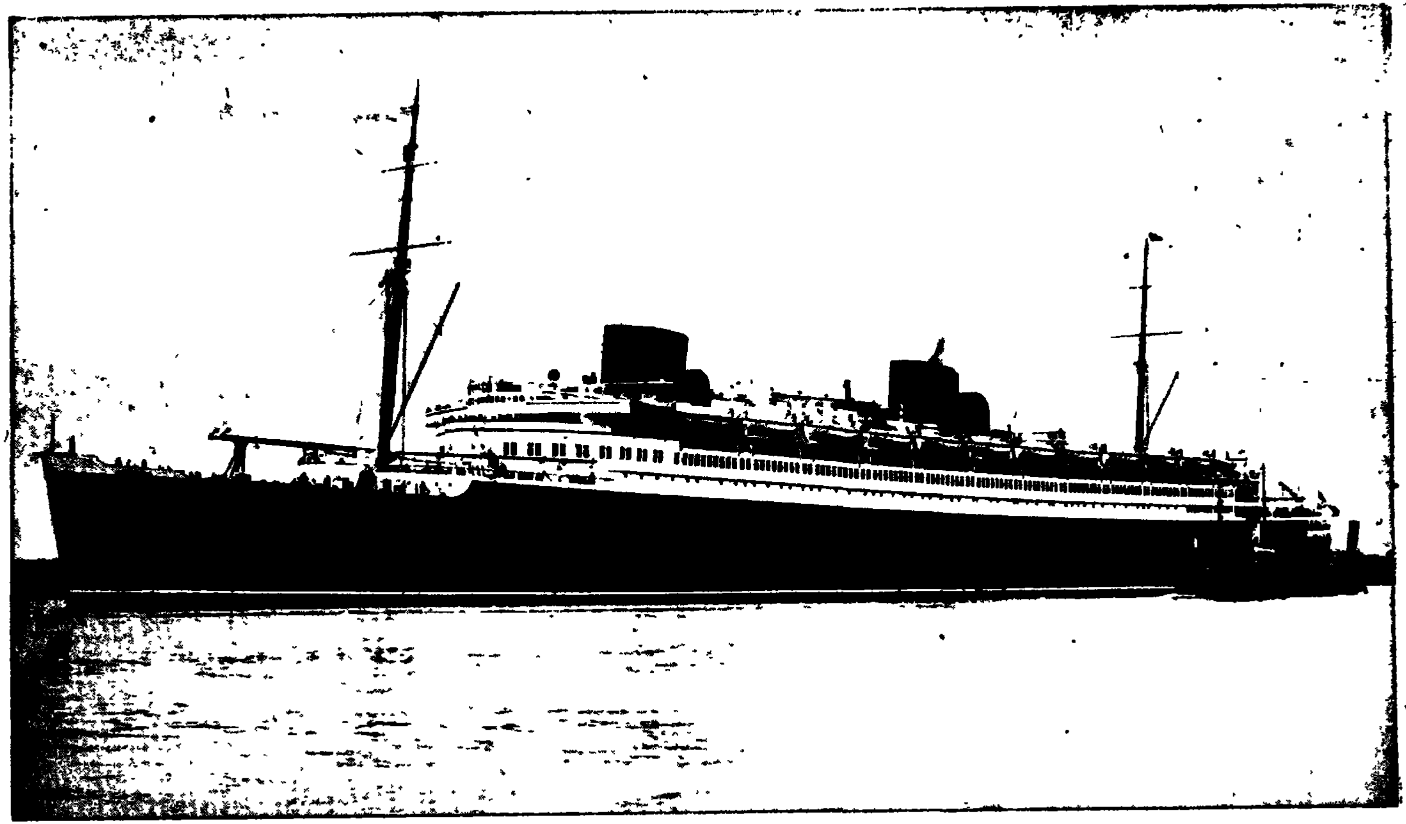
الباخرة « برمن » والطراد « ارساتس برسن »

السباق البحري



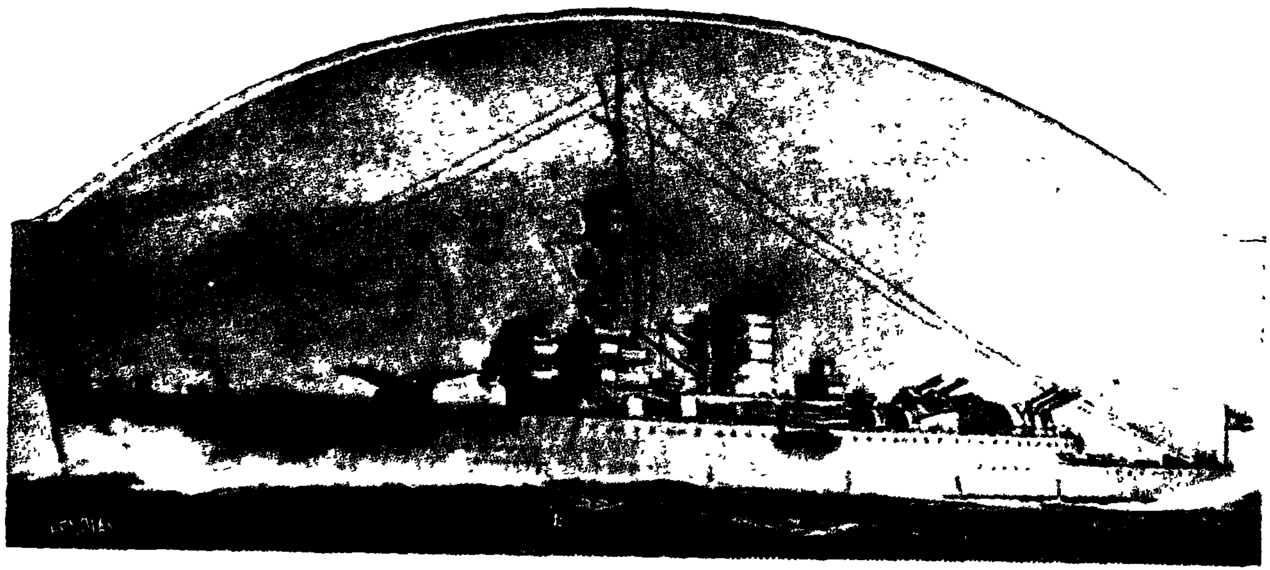
نشرت احدى الصحف الانكليزية سنة ١٨٢٩ مقالة قالت فيها ان باخرة انكليزية فازت بعبور المحيط الاتلنتيكي من لفربول الى نيويورك في ١٦ يوماً والمسافة بينهما نحو ٣٢٠٠ ميل . فهللت لهذا الفتح العظيم في ميدان المواصلات البحرية وكبّرت لان متوسط سرعة الباخرة في اليوم الواحد بلغ مائتي ميل وميلاً واحداً اي ان متوسط سرعتها في الساعة كان نحو ثمانية اميال بحرية ونصف ميل . وفي سنة ١٨٣١ اقلعت سفينة بخارية من مرفإ بورتسموث محمولها ١٨٠٠ طن وطولها ٢٩٥ قدماً فوصلت نيويورك بعد مسيرة خمسة عشر يوماً وبلغ اقصى سرعتها ثمانية اميال بحرية في الساعة . مع ذلك اطلق عليها ابناء ذلك العصر لقب « جبَّارة البحار » وأعربوا عن اعجابهم العظيم بسرعتها الفائقة

اما الآن وقد انقضى نحو قرن على هاتين الحادثتين فانك ترى في اسطول بريطانيا التجاري باخرة طولها ٩٥٦ قدماً وعرضها مائة قدم وتفريغها ٥٦ الف طن وقوة آلاتها ٦٧ الف حصان ومتوسط سرعتها ٢٣ ميلاً بحريًّا في الساعة . هذه هي المتجستك التي تمخر المحيط بين سوثمتن ونيويورك في نحو خمسة ايام . ويزاحم المتجستك على المقام الاول بين بواخر العالم الباخرة الاميركية المدعوة «لوياثان» . وفي الاسطول الانكليزي عدا المتجستك باخرة اخرى محمولها ٥٢ الف طن هي «البرنجاريا» وباخرتان اخريان محمول كل منهما يربي على ٤٦ الف طن هما «الاولمبك» و«الاكويتانيا» والاخيرة من افخم البواخر التي تشق عباب اليم . والغريب ان البواخر الثلاثة الكبرى — متجستك ولوياثان وبرنجاريا — هي بواخر المانية استولى عليها الحلفاء بعد الحرب الكبرى وعوضوا بها شركات الملاحة الكبرى لقاء ما فقدتهُ في حرب الغواصات من سفنها



الباخرة الالمانية « برمن » اسرع البواخر التي تمخر عباب اليم

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩
امام الصفحة ٣١٠



الطراد « ارساتس برويسن » الالماني

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٣١١

على ان شركة كونارد الانكليزية تملك باخرة انكليزية قلباً وقالباً تدعى الموريتانيا هي اصغر قليلاً من السفن المذكورة آنفاً فلا يزيد محمولها على ٣٢ الف طن ولكن شهرتها قائمة على سرعتها. فلقد انقضى عليها عشرون سنة وهي مالكة لقصب السبق في السرعة بين السفن التي تجتاز المحيط الاتلنتيكي . فازت به اولاً سنة ١٩٠٩ اذ بلغ متوسط سرعتها في يوم كامل ٢٧ ميلاً بحريًّا في الساعة . ويقال انها دعيت مرة باللاسلكي لاغاثة احدى البواخر المسرعة الى نجدتهـا فبلغت سرعتها ٢٩ ميلاً بحريًّا في السـاعة . ولكن العبرة بمتوسط السرعة في الساعة في اثناء الرحلة كلها لا في ساعة او ساعتين منها . وقد ظلت الموريتانيا سيدة البواخر المسرعة الى ان انتزعت « البرمن » الالمانية هذا الفخر منها في شهر يوليو الماضي اذ بلغ متوسط سرعتها من مرفإ نيويورك الى مرفإ شوبورغ ٨٣، ٢٧ الميل البحري في الساعة ، وبلغ متوسط سرعتها في اثناء يوم واحد من رحلتها الاولى ٢٩ ميلاً بحريًّا في الساعة وينتظر ان يزيد متى زالت آثار الجدة من آلاتها واستقرت على حالها الطبيعي فيبلغ ٢٩ ميلاً بحريًّا للرحلة كلها

الباخرة الالمانية « برمن »

يبلغ طول الباخرة « برمن » ٩٣٨ قدماً واذا حسب طولها بين اقصى نقطتين في مقدمها ومؤخرها بلغ ٩٦٠ قدماً فتكون بذلك اطول البواخر وتفوق المتجستك بأربع اقدام . ومحمولها نحو ٥٠ الف طن وقوة آلتها ١٣٠ الف حصان . يقابل ذلك ٧٦ الف حصان في البرنجاريا و٧٥ الف حصان في الموريتانيا و ٦٦ الف حصان في المتجستك ولا يفوقها في قوة آلاتها بين السفن التجارية والحربية الا الطرَّاد هود الانكليزي اذ تبلغ قوة آلاته ١٤٤ الف حصان وحاملتا الطيارات الاميركيتان سراتوغا ولكسنغتون اذ تبلغ قوة الآلات في كلٍّ منهما ١٨٠ الف حصان . وفيها متسع لألفي مسافر و٩٥٠ من البحارة. اما ما تحمله من المؤونة والطعام لركابها وبحارتها فيكاد يكفي مدينة متوسطة . فقد اخذت في رحلتها الاولى مائة الف رطل من اللحم وثلاثين الف رطل من السمك وخمسة وثلاثين الف رطل من لحم الطير وعشرة آلاف رطل من الخبز وخمسة وأربعين الف رطل من الدقيق وأربعة آلاف وثلاثمائة رطل من البن وثلاثمائة رطل من الشاي وستمائة رطل من الشوكولاته وسبعة عشر الف ونحو خمسمائة لتر من اللبن ونحو الفي لتر من « الكريمة » و ١٥ الف رطل من الزبدة والفي رطل من الشحم

ومما تمتاز به سطحٌ بني على دكتها العليا تستطيع الطيارات ان تحط عليه وتطير منه.

فاذا قاربت الباخرة مدينة نيويورك مثلاً اي متى صارت على نحو ٦٠٠ ميل منها وضعت في الطيارة اكياس البريد المستعجل فتطير الى نيويورك في نحو خمس ساعات بدلاً من يوم كامل او اكثر تقضيه الباخرة في اجتياز هذه المسافة

وقد جهزت بأشهر اساليب الرياضة الحديثة ومعداتها . منها بركة من الماء مبنية بالاجر المطلي فيها ماء يطهر تطهيراً كيماوياً وتحفظ حرارتهُ على درجة معينة . وفيها ايضاً حمامات للعلاج الطبي مما لا يوجد عادة الا في مدن المياه المعدنية . وفيها ردهة كبيرة للجمناستك وميدان للجولف وصالة تدار مرقصاً ليليًّا (كاباره) وغير ذلك من اسباب السلوى والرياضة البدنية

هذا غير ما تجده فيها من دكاكين الحلاقين والخياطين والادوية ومستشفى صغير مجهز بأحدث ادوات الجراحة والعلاج . وعدا ما في غرفها من اسباب الراحة والرفاه . فمائة وثمانون من غرفها مجهزة بغرف خاصة للحمام

عودة المانيا الى الميدان

وفوز «البرمن» ليس امراً خطيراً بذاتهِ مع ان كل شركة كبيرة من شركات الملاحة تتزاحم عليهِ لانهُ بمثابة اعلان عالمي عن بواخرها . ولكنهُ خطير بما يدلُّ عليهِ . ذلك ان اسطول المانيا التجاري كان في المقام الثاني بين اساطيل الامم التجارية لما شبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ وكان مجموع حمولة سفنهِ خمسة ملايين من الاطنان . ومنها اشهر البواخر في العالم واضخمها .وكانت شركة همبورغ اميركا تملك من السفن ما حموله مليون طن واربعمائة الف من الاطنان. وشركة نور دويتشر لويد تملك ما حمولهُ مليون طن . وكانت هذه السفن تشقُّ البحار رافعة العلم الالماني الى مرافىء اقصى البلدان وادناها تحمل اليها البضائع الالمانية

ولكن الحرب الكبرى وفوز الحلفاء فيها قضى على كل ذلك . فجرّدت المانيا من هذا الاسطول العظيم الاّ السفن التي حمول السفينة منها الف طن او اقل ونصف السفن التي حمول السفينة منها ١٨٠٠ طن.وكان كل ما ترك لا يزيد حمولهُ على نصف مليون من الاطنان . فاقفرت بعد ذلك مرافىء برمن وهمبرغ وكانت تنبض بالحياة وخيّم السكون على ارصفتها البحرية ودور صنعتها . وانزلت الراية الالمانية من اعلى افخم البواخر وافخرها فصارت الباخرتان «بسمارك» و«امبراطور» انكليزيتين تدعى الاولى «الماجستك» والثانية «برنجاريا» واستولى الاميركيون على الباخرة «فاترلند» وسموها «لوياثان» واقتسم الحلفاء سائر السفن بينهم . وصار الانكليز اذا مرّوا في لندن امام مكاتب «همبورغ اميركا»

او «نور دويتشرلويد» يشيرون اليها بقولهم : هذه مكاتب الشركات التي كانت تدعى كذا وكذا

وهكذا ترى ان الالمان اجالوا النظر سنة ١٩٢٠ في اسطولهم التجاري فوجدوه عُشر ماكان عليهِ قبل الحرب وتفقدوا سفنهم فرأوا ان اكبر سفينة عندهم لا يزيد محمولها على الفِ من الاطنان. فهبطت بذلك المانيا من المقام الثاني بين الدول التجارية البحرية الى دون المقام السادس . وبعد ماكانوا لا يعترفون الاَّ بتفوق انكلترا عليهم في هذا الميدان صار لابدَّ لهم من الاعتراف بتفوق انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا واليابان

عندئذٍ ، والقنوط مستحكم من النفوس، شمَّر الالمان عن سواعدهم لاعادة ما كان. والناظر اليهم حينئذٍ ، وحال السياسة في بلادهم مضطرب كل الاضطراب ، واسعار النقد تتدهور يوماً يوماً الى حضيض الافلاس ، ماكان يستطيع ان يرى بارقة امل في فوزهم بما يطمحون اليهِ وعودتهم الى المكان الذي كانوا ينزلون فيهِ قبيل الحرب

ولكن لفظ « مستحيل » لا يوجد الاَّ في قاموس الجبان . فلم تنقض الآن الاَّ سبع سنوات منذ شرع الالمان يحاولون بناء اسطولهم التجاري ومع ذلك تراهم وقد بنوا ما محموله اربعة ملايين من الاطنان اي اصبحوا يملكون الآن اسطولاً هو اربعة اخماس اسطولهم قبل الحرب . فسبقوا بذلك اليابان وفرنسا وايطاليا وصار مقامهم بين الدول البحرية التجارية بعد بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية . ولماكانت الولايات المتحدة غير معتنية بتجديد اسطولها التجاري واستبدال البواخر القديمة ببواخر جديدة للاحتفاظ بمكانتها فالمرجح ان تسبقها المانيا قريباً في هذا الميدان. والى القارىء محمول السفن التي بناها الالمان بعد الحرب

	محمول الاسطول التجاري					محمول الاسطول التجاري		
١٩١٤	٢٠٠٠٠٠	٥	طن		١٩٢٥	٨٣٠٠٠٠	٢	طن
١٩٢٠	٥٠٠٠٠٠	—	»		١٩٢٦	٩٠٠٠٠٠	٢	»
١٩٢١	٦٥٥٠٠٠	—	»		١٩٢٧	١٢٥٠٠٠	٣	»
١٩٢٢	٧٨٥٠٠٠	١	»		١٩٢٨	٥٠٠٠٠٠	٣	»
١٩٢٣	٥١٠٠٠٠	٢	»		١٩٢٩(تقدير)	٢٠٠٠٠٠	٤	»
١٩٢٤	٦٧٠٠ ٠	٢	»					

وزهرة هذا الاسطول الجديد الذي اودعهُ المهندسون الالمان زبدة علمهم واختبارهم هي « البرمن». لذلك قلنا ان فوزها خطير لما يدلُّ عليهِ.وهو يدلُّ على ان الالمان قد عادوا الى ميدان التنافس التجاري البحري وهم الامة المغلوبة ، فتخطوا اكثر الحلفاء المنتصرين

الطراد « ارسانس برويسن »

غلبت المانيا على امرها في الحرب الكبرى فجرّدت من اسطولها الحربي كما جرّدت من اسطولها التجاري وقضت معاهدة فرساي بان لا يسمح لها ببناء بارجة يزيد تفريغها على عشرة آلاف طن ولا يعدو قطر مدافعها احدى عشرة بوصة. قضوا بذلك وهم يعلمون ان استعمال مدافع هذا قطرها في بارجة من هذا التفريغ متعذر لقوة المدافع وصغر البارجة

ثم عقدت معاهدة وشنطن البحرية فاتفقت فيها الدول البحرية — بريطانيا والولايات المتحدة واليابان وفرنسا وايطاليا — على الكفّ عن بناء طرادات تفريغ الطراد منها اكثر من عشرة آلاف طن وقطر مدافعه اكثر من ثماني بوصات . على ان المانيا لم تدع للاشتراك في هذا المؤتمر ولا هي وقّعت على المعاهدة فهي والحالة هذه في حل من قيودها

ولذلك اكبَّ مهندسوها على بناء بارجة تكون اقوى ما يمكن بناؤهُ ضمن الحدود المعينة في معاهدة فرساي . فكانت البارجة « ارسانس برويسن ». ويقال ان بناءها لا بدَّ ان يغير وجهة المسألة البحرية ويقلبها رأساً على عقب اذا لم تسرع الدول البحرية الى دعوة المانيا للاتفاق معها على خطةٍ واحدة

ذلك ان هذا الطرّاد اذا قيس بالطرادات التي بناها الحلفاء بحسب مقتضيات معاهدة وشنطن كان متفوقاً عليها لان دروعهُ امتن من دروعها واصلب ومدافعهُ اضخم من مدافعها وابعد مدى فاذا اشتبك معها في معركة حربية تمكن من ان يصيبها بمدافعهِ قبلما تقترب اليهِ . واذا تمكنت هذه الطرادات من اللحاق بهِ لانها اسرع منهُ فدرعهُ السميك المتين يقيهِ من فعل قنابلها حتى لقد قدَّر الكابتن بروكتر احد مهندسي البحرية الاميركية ان هذا الطراد يستطيع ان يشتبك في القتال مع ثلاثة من الطرادات التي بنيت بحسب شروط معاهدة وشنطن ويخرج من المعركة ظافراً

فهو مجهز بستة مدافع قطر كل منها ١١ بوصة وهي قائمة في ثلاث طوابيرٍ ومدى كل منها ١٧ ميلاً والطوابي عالية تمكن المدفعيين من استعمال هذه المدافع ولو كان البحر ثائراً والموج يتلاطم ويتدافع جبالاً . وقد ثبت في اثناء الحرب الكبرى ان المدفعيين الالمان اتقنوا الرماية حتى تفوقوا فيها على الانكليز . فاذا اعتبرت ذلك واذا اعتبرت ان قنبلتين او ثلاث قنابل من مدفع قطرهُ ١١ بوصة تستطيع ان تدمر طراداً من طرادات معاهدة وشنطن اذا اصابتهُ في المقتل ، ادركت قوة هذا الطراد الالماني الجديد

على ان قوتهُ الحربية لا تهمنا في هذا المقام قدر ما يهمنا ما ادخل فيهِ من المبادىء الجديدة في الهندسة البحرية وهي ثلاثة :

اولاً . اتقن الالمان صنع آلة ديزل وهي آلة الاحتراق الداخلي التي تحرق البترول وقوداً . ولكن ما استعمل منها في البواخر ثقيل اذا قيس بما يولده من القوة . فطراد كالارساتس برويسن يحتاج الى قوة ٥٠ الف حصان لكي تسيره بسرعة ٢٦ ميلاً بحرياً في الساعة . ولكن اشهر البواخر المبنية على هذا النمط لم تستعمل آلات تزيد قوتها على ٢٠ الف حصان ومع ذلك فان متوسط وزن الآلات لكل حصان تولده يتراوح بين ٦٥ رطلاً و٢٠٠ رطل للحصان الواحد . فاذا اعتبرنا متوسط ذلك وجب ان يبلغ وزن آلات ديزل في طراد كهذا ٣٣٠٠ طن اي ثلث تفريغ الطراد كله . وهذا مستحيل . لذلك عني المهندسون الالمان باتقان آلة ديزل حتى يقلّ وزنها بزيادة قوتها فتمكنوا من ان يصنعوا لهذا الطراد آلات لا يزيد متوسط وزنها عن ١٧ رطل ونصف رطل لكل حصان تولده . وهذا تقدُّم عجيب دهش له المهندسون في مختلف البلدان

ثانياً ان صغر حجم الآلات وخفة وزنها مكَّن المهندسين من توسيع الاحواض التي يحمل فيها الوقود اللازم للآلات . وزيادة هذا الوقود يمكن الطراد من ان يسير مسافة طويلة جدًّا من غير ان يلجأ الى المرافئ لملء احواضه . فالطرَّاد ارساتس برويسن يستطيع ان يسير مسافة ١٠ آلاف ميل بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة . وهذا ما لا تستطيعه باخرة او بارجة اخرى . فيتمكن بذلك من العبث بالبواخر التجارية في اثناء الحرب من غير ان يضطر الى كثرة الالتجاء الى الموانىء طلباً للوقود . ومن يعرف قصص الطراد امدن الالماني وما اغرقه من البواخر يستطيع تقدير الضرر العظيم الذي يلحقه طراد من هذا الطراز بتجارة البلدان المتحاربة

ثالثاً ان دروعه كلها من الصلب المتين وخصوصاً ما يحيط منها بالآلات التي تسيّره فتقيها من قنابل الطيارات التي قد تقع على دكته . اما جسم الطراد المغمور بالماء فتقسَّم الى غرف صغيرة لا ينفذها الماء . فاذا رمي بطوربيد لم يتعرض للغرق لان الماء لا ينفذ الا الى الغرف التي خرقها الطوربيد

***

بعد النظر في كل هذه الامور كتب المستر هاي بايووتر الخبير البحري المشهور ما مؤداه : اني لا اتردد في القول بان هذه الطرادات الالمانية هي اعجب السفن الحربية التي بنيت في العشرين السنة الاخيرة . والامر الذي لا ريبة فيه اني لا اعرف اسطولاً مبنيًّا وفقاً لشروط معاهدة وشنطن يستطيع ان يكافح طرادات من طراز الارساتس برويسن اذا انطلقت تعبث بالسفن التجارية في عرض البحار

صور جديدة من الأدب العربي

مناظرة الكسائي وسيبويه

مسألة العقرب والزنبور

« وليس بخلو امرؤ من حاسد أضم * لولا التنافس في الدنيا لما أضما
والغبن في العلم اشجى محنة علمت * وأبرح الناس شجواً عالم هضما »
« حازم القرطاجني »

كان من اثر المناظرة التي قامت بين الهمذاني والخوارزمي [1] ان الخوارزمي مات بعد قليل من الزمن ولم تحتمل شيخوخته تلك الصدمة العنيفة. وكان من اثر المناظرة التي قامت بين الكسائي وسيبويه ان سيبويه مات كمداً وهو في ريعان شبابه وجن نشاطه — كما يقولون — ولم يحتمل شبابه تلك الهزيمة القاتلة. وليست الطرق التي لجأ اليها الكسائي لينتصر بها على منافسه سيبويه — أو على الاصح ليهدم بها شهرته — بأقل شناعة وقسوة من تلك الطرق التي سلكها الهمذاني للتغلب على الخوارزمي والانتصار عليه

ولقد قلنا في المناظرة السابقة إن الهمذاني قد أعدَّ عدته وهيأ لنفسه كل اسباب الانتصار والفوز على خصمه وزجَّ به في مجلس كله خصومة ولدد، ونقول في هذه المناظرة إن الكسائي لم يقصر في اعداد كل الوسائل لهدم سيبويه ولم يتعفف عن شيء في سبيل الانتصار عليه. [2] واذا كان الهمذاني قد لجأ الى تملق شهود المناظرة لينصروه على الخوارزمي واشترى ذممهم بهذه الحيلة فان الكسائي قد لجأ ايضاً الى نفوذه وجاهه وماله واتخذ من صداقته للبرامكة وكونه مؤدب اولاد امير المؤمنين وسيلة للتغلب على سيبويه

ولئن شكونا في المناظرة السابقة قلة المصادر التي نرجع اليها في تحقيقها ولم نجد غير رواية الهمذاني نفسه — وهي رواية خصم عن خصمه — فان ما نشكوه في هذه المناظرة هو تعدد المصادر وكثرتها وتباين رواياتها وأثر التعصب فيها وتعمد التشويه

على ان هذه الروايات — رغم اضطراب بعضها واختلافه في التفاصيل — متفقة في

---

(١) راجع مقتطف يوليو سنة ١٩٢٩ ص ٥٥ (٢) قالوا: « وقد ارشى الكسائي العرب — وكانوا جماعة من المسترزقة الذين كان يموّلهم — على ترجيح جانبه »

الاساس والجوهر — فهي من اية ناحية رأيت وبأية رواية اخذت — تدل على ان سيبويه قد ظُلم وان الحق كان في جانبه ، فقد اجمع علماء النحو واللغة — في زمن سيبويه وبعد زمنه — على ان الصواب ما قال وأن الكسائي كان في الجانب الخاطىء . ولم يشذّ عن هذا الاجماع الا شيعة الكسائي والطامعون في مالهِ او جاههِ والمحسوبون عليهِ وذوو الحاجات وطلاب المآرب الذاتية

وليست هذه المناظرة على الحقيقة — إن صح أن نسميها مناظرة — إلا نضالاً بين مذهبين وحرباً بين مدرستين ، مدرسة الكوفيين ومدرسة البصريين اساتيذهم ، ممثلتين في شخصي الكسائي زعيم علماء النحو في الكوفه وشيخ مدينة السلام ، وسيبويه زعيم علماء النحو في البصرة وتلميذ الخليل بن احمد سيد اهل الادب — كما كانوا يلقبونهُ — وقد لعبت الاهواء من سياسية وغيرها في تغليب رأي الكسائي على رأي سيبويه[1]

على ان فضل سيبويه ذائع — رغم انتصار الكسائي عليهِ — وكتابه الذي الفه في النحو لم تبل جدته الى اليوم ولا يزال كتابَ نحو وأدب معاً وأسلوبه في اعلى طبقات البلاغة ، وقد كان المبرد يقول لمن يريد ان يقرأ عليه كتاب سيبويه : «هل ركبت البحر ؟ » تعظيماً لشأنهِ ، وكان الزجاج[2] يقول : «اذا تأملت الامثلة من كتاب سيبويه تبينت انهُ اعلم الناس باللغة»

وقال الجرمي[3] : « انا منذ ثلاثين سنة افتي الناس في الفقه من كتب سيبويه »[4]

وقال المازني : « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ »

وقد كتب سيبويه هذا الكتاب الخالد في الوقت الذي كان فيه الكسائي منصرفاً الى المناصب والاتصال بالخليفة والدعاية لنفسه بأنهُ العالم الفذ الذي استنفد خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب وأن هذا زيادة على ما حفظه ، الى آخر هذه الدعاوى الفارغة التي لا يعنى بها المنصرفون الى العلم حقاً والتي هي اشبه بالاعلانات التجارية ، وهذا اسلوب فذ في الدعاية لجأ اليه الكسائي — في جملة ما لجأ — للوصول الى الشهرة

واذا رأينا علماء اللغة وأئمة النحو يحترمون سيبويه ويقرون مذهبه ، رأيناهم — على العكس من ذلك — ينفرون من مذهب الكسائي ويرون فيه افساداً للغة واضاعة للنحو

قال ابن درستويه : «كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله اصلاً يقيس عليه حتى افسد بذلك النحو »

(١) كان العباسيون يقربون منهم الكوفيين لانهم نصروهم في دعوتهم وكان لهذا الاعتبار اكبر الاثر في اتصالهم بالخلفاء (٢) ابو اسحق الزجاج (٣) ابو عمر الجرمى (٤) يريد بذلك انه تعلم منه النظر وطريقة البحث الدقيق

وقال الإصمعي :«اخذ الكسائي اللغة عن اعراب من الحطمة ينزلون بقطربل ، فلما ناظر سيبويه استشهد بلغتهم عليه » . وقال محمد اليزيدي :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الاول
فجاء اقوام يقيسونهُ على لغى اشياخ قطربل
فكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتلي
إن الكسائي وأصحابه يرقون في النحو الى اسفل

وقال الزجاج : « أي انصاف في الرجوع الى اعراب وفدوا لحاجتهم ، وسيبويه رجل غريب وأخصامه اهل البلد والدولة ، وانما الحكم العارف بالفصيح وغيره ، وقد لا يعرف الاعرابي إلا لغته الشاذة» الى آخر هذه الآراء

وقد اشار المعري الى تحامل الكسائي على سيبويه — في رسالة الغفران — وألمع الى بعض المناظرات التي قامت في ذلك العصر الحافل بالمناقشات والمناظرات بين علمائه، فقال في معرض الكلام على تناسي الحسائك والاحقاد في الجنة بين ألد الخصوم : —

« فصدر احمد بن يحي [١] هنالك قد غسل من الحقد على محمد بن يزيد [٢] فصارا يتصافيان ويتوافيان

« وأبو بشر عمرو بن عثمان « سيبويه » قد رحضت سويداء قلبه من الضغن على « علي ابن حمزة الكسائي » وأصحابه لما فعلوا به في مجلس البرامكة وأبوعبيدة صافي الطوية لعبد الملك ابن قريب [٣]، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار»

كيف كانت المناظرة

لم يكد يرد سيبويه الى العراق حتى شعر الكسائي أن مكانتهُ العلمية في خطر وأن منافساً جديداً يحاول ان يغتصب منهُ مقام الزعامة . قالوا : وشق امرهُ على الكسائي فأتى يحي وجعفر بن برمك وقال : « أنا وليكما وصاحبكما ، وهذا الرجل انما قدم الى العراق ليذهب محلي » . قالا : « فاحتل لنفسك فإنا سنجمع بينكما »

وهكذا دبرت المؤامرة في بيت البرامكة لهدم سيبويه ، فلما حان الموعد حضر سيبويه وحده وجاء الكسائي ومعهُ الفراء والاحمر وغيرهما من اصحابه،فسألهُ الفراء عن مسألة فلم يكد يجيبهُ عنها حتى قال لهُ : « اخطأت » وسألهُ عن ثانية فاجابهُ فقال لهُ « اخطأت » ثم سألهُ عن ثالثة وقال لهُ — : « اخطأت »

فقال لهُ سيبويه — : « هذا سوء ادب منك »

(١) ثعلب (٢) المبرد (٣) الاصمعي

فقال الفراء لصاحبه —: « يظهر ان في هذا الرجل عجلة ، وحدة »

وسأله الاحمر عن عدة مسائل فكان يخطئه في كل جواب يفوه به . قالوا — : فلم ير سيبويه إلاّ ان يكفّ عن مناقشتها .وهنا يقول له الكسائي — ولعلك تلمح في جملته معنى التحقير والاستصغار — « يا بصري كيف تقول :—

« كنت اظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي ، او فاذا هو إياها ؟ »

قال — : « أقول فإذا هو هي» . فأقبل عليه الجمع فقالوا اخطأت ولحنت

وفي هذا مثال من التهويش والتحامل على سيبويه

وهنا يقول يحيى بن خالد بن برمك : «هذا موضع مشكل فمن يحكم بينكم» . فقال الكسائي: « هؤلاء الاعراب على الباب »

فادخل ابو الجراح ومن وجد معهُ ممن كان يأخذ منهُ . فقال لهم الكسائي : كيف تقولون : «قد كنت احسب ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور اياها بعينها »

فقالت طائفة — : «فاذا الزنبور هي »

وقالت اخرى — : « فاذا الزنبور اياها بعينها »

فقال الكسائي : — « هذا خلاف ما تقول يابصري »

وهنا يقبل يحيى رب الدار على سيبويه — وهو الغريب المستوحش — فيقول له ما يشعره بأن صاحب الدار من رأي الكسائي وشيعته : « قد تسمع أيها الرجل »

فلا يكاد يسمع سيبويه هذه الجملة حتى يستكين . ويسرع الكسائي الى يحيى فيقول له حتى يطمئن على أن المناظرة قد انتهت وأن الغلبة قد تمت له : « أصلح الله الوزير لقد وفد عليك من بلده مؤملاً فان رأيت ألا ترده خائباً ؟» فيأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم

وكأنما الف الكسائي أن يصطنع الناس بالمال ليضمن لنفسه اقرارهم بزعامته العلمية التي يسعى الى الانفراد بها عند الخليفة ، ولعلهُ حسب أن هذه المنحة تنسى سيبويه تلك الصدمة العنيفة التي سببها له، على ان الكسائي طالما اشترى بالمال ألسناً وذمماً

ألا ترى الى الاخفش يذهب الى الكسائي غاضباً — بعد ان أخبره سيبويه بما حدث له معهُ — فيسأل الكسائي وهو بين تلاميذه ويخطئهُ في كل جواب يقوله . فيهمُّ تلاميذ الكسائي بضربه فيمنعهم من ذلك — خوفاً من ذيوع امره — ويقبل عليه يعانقهُ متحبباً اليه ويعهد اليه بتعليم اولاده ويرشوه بالمال فينسيه بذلك ثأر صديقه سيبويه

وقد كان من بين تلاميذ الكسائي من هو أعلم منهُ واجدر بالزعامة كالفراء مثلاً ، وما كان مثل الفراء ليقبل أن يكون تلميذاً للكسائي لولا طمعهُ في جاهه وماله واملهِ في أن

يتصل بالخليفة بفضل صحبتهِ لهُ ، وقد تمَّ له ما أراد بعد ذلك

وربما استشهد لنا احد الادباء الناقدين بقول الفراء نفسهِ للتدليل على فضل الكسائي :—

قال لي رجل : « ما اختلافك الى الكسائي وأنت مثله في النحو ؟ » فأعجبتني نفسي فأتيتهُ فناظرتهُ مناظرة الاكفاء ، فكأنني كنت طائراً يغرف بمنقاره من البحر »

فان امثال هذه المدائح يجب ان تفهم على وجهها الصحيح ، فهي نوع من تماق ذوي النفوذ طمعاً في جاههم وتقرباً اليهم

الا ترى الى ابن الرومي نفسهِ —وهو الشاعر الفحل— يلجئهُ العوز والفاقة ونكد الدنيا الى امتداح بيت سخيف لابن المعتز ، حين سألوه :— « لم لا تشبه مثل تشبيه ابن المعتز في قوله:

وبدا الهلال كزورق من فضة قد اثقلتهُ حمولة من عنبر

فتظاهر لهم باكبار معنى هذا البيت التافه واعجابهُ بما فيهِ من تشبيه متكلف وعجزه عن محاكاتهِ تملقاً لقائله لرفعتهِ وسمو منزلتهِ. ولقد سئل الفراء نفسهُ عن الكسائي بعد موتهِ فقال: « مات الكسائي وهو لا يحسن حد نعم وبئس وأن المفتوحة[1] »

ولا نظننا متحاملين على الكسائي حين نثبت هنا ما يرويهِ بعض المؤرخين عنهُ من انهُ كان متهتكاً فاجراً . ونحن نروي ذلك بشيء من التحفظ فلا نصححهُ ولا ننفيهِ فلعله من دسائس البصريين، على اننا لا نستبعده ، فليس اتصاله بالخليفة وتعهده ابناءه بالتربية مما يعصمهُ عن اقتراف الدنايا والآثام ولو سراً

وقد تعلم الكسائي وهو كبير وانصرف سيبويه الى العلم منذ حداثة نشأتهِ واعجب الخليل ابن احمد بذكائهِ وكان يرحب بهِ[2] وقد شهد له اكبر علماء النحو بالتفوق والفضل ، ولقد استعان بكتابه خصومه أنفسهم فقرأ الكسائي على الاخفش كتاب سيبويه واعطاه سبعين ديناراً اجراً على ذلك ، وقد وجد بعضهُ تحت وسادة الفراء التي كان يجلس عليها. كما قال النحاس

رأى النحاة فى هذه المسألة

قالوا : « وأما سؤال الكسائي فجوابهُ ما قال سيبويه وهو « فاذا هو هي » هذا هو وجه الكلام مثل : « فاذا هي بيضاء » ، « فاذا هي حية » وأما « فاذا هو اياها » — ان ثبت — فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء ، ولا يعتدُّ بهِ ، كالجزم بلن والنصب بلم والجر بلعل ، وسيبويه واصحابهُ لا يلتفتون لمثل ذلك وان تكلم بهِ بعض العرب

(١) ومن العجيب أن احدهم قال في الفراء نفسه بعد موته — : « مات الفراء وفي نفسه شيء من حتى » وان كان الفرق بين العبارتين واضحاً (٢) كان الخليل يقول له : « اهلا بزائر لا يمل مجالسه » ولم يكن لغيره يقولها

وقد حدث لابي عثمان المازني ما حدث لسيبويه . قال : « دخلت بغداد فأُلقيت عليَّ مسائل فكنت اجيب فيها على مذهبي ويخطئونني على مذاهبهم. قالوا : « وهكذا اتفق لسيبويه »

وجماع القول أن سيبويه هزم رغم فضله وعلمِهِ وكونهِ في جانب الحق ، ولم يكن له بد من السكوت والهزيمة في هذا المجلس الحاشد

ومثل لنفسك ايها القارىء مجلساً حافلاً باعيان الدولة وقادة الرأي فيها يجمع مثلاً على ان « لم » تنصب ولا تجزم وانت وحدك تقول « انها تجزم ولا تنصب وان العرب لا تعرف غير ذلك » وهم لا يسمعون لك قولاً . فأية حجة تستطيع ان تدلي بها في مثل هذا المجلس المتحامل الذي ينكر عليك ما لا سبيل الى انكاره ؟

كذلك كان موقف سيبويه ، يقرر قاعدة اجمع علماء النحو على صحتها وعلى ان خلافها شاذ لا يؤخذ بهِ ، فلا يقبل منهُ قول

ولقد كان في لسان سيبويه حبسة — كما يقولون — ولكنها لم تكن السر في هزيمتهِ[1] فهو لم يقصر في الكلام ، ولم يكن ذلك المجلس المتحامل عليه في حاجة الى خطيب لسن ، بل كان في حاجة الى آذان واعية وقلوب لم يفسدها الهوى والغرض

وهكذا تمت الهزيمة ، فذهب سيبويه الى فارس ، ولم تطل مدته بعد ذلك . قالوا : ولما اعتلَّ سيبويه وضع رأسهُ في حجر أخيهِ فبكى اخوهُ لمَّا رآهُ ، لما بهِ ، فقطرت من دمعهِ قطرة على وجههِ ، فرفع سيبويه رأسهُ اليهِ فرآهُ يبكي فقال — :

« أُخيّين كنا ، فرق الدهر بيننا   الى الامد الاقصى ، ومن يأمن الدهرا ؟

ولقد قضى سيبويه جل حياته في الدرس على خير اساتيذ عصرهِ لاسيما الخليل ويونس ومات بعد ان ألَّف كتابهُ الخالد وان كان لم يدرّسهُ . وختمت حياة هذا العالم الجليل دون أن يجنى ثمر جهاده . رحمة الله عليهِ وعلى شيخيهِ الجليلين الخليل ويونس

« تولى سيبويه ، وجاش سيب   من الايام فاختـل الخليل[2]
ويونس أوحشت منهُ المغاني   وغير مصابهِ النبأ الجليل
أتت علل المنون ، فما بكاهم   من اللفظ الصحيح ولا العليل
ولو ان الكلام يحس شيئاً   لكان لهُ وراءهم أليل »

القاهرة   كامل كيلاني

(١) فقد ناظر سيبويه بعض العلماء ولم تمنعه حبسة لسانه عن الانتصار عليه قال عمرو بن مرزوق : رأيت سيبويه والاصمعي يتناظران ويقول يونس بن حبيب — : « الحق مع سيبويه وقد غلب ذا — يعني الاصمعي — بلسانه » (٢) الشعر لابي العلاء

الصناعة الآلية والعمران

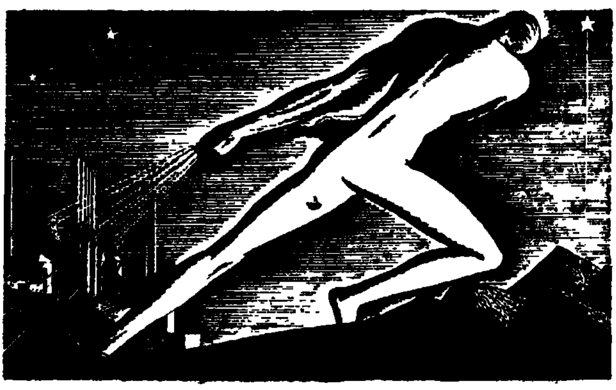
هل نحن اسعد حالاً في هذا العصر الميكانيكي

حسنات الحضارة الصناعية ومساويها

(ملخصة عن التاريخ الجاري لستيورات تشايس)

لقد غمرنا عصر الآلات بسيل من البضائع والادوات المستحدثة . فهل نحن اسعد حالا بها ؟ ان في الولايات المتحدة الاميركية من الآلات ما قوتهُ الف الف حصان . فهل وسّعت امام الاميركيين نطاق الراحة وأفق الثقافة وميدان الرخاء ؟

لقد قامت حضارات كثيرة غابرة على اركان من الزراعة او التجارة او العبودية او القوة او قضبان الذهب او قوة الادارة او النهب او الفتح او الاستعمار . وقد بلغ بعض هذه الحضارات شأواً بعيداً من الرقي قبلما طاف عليه طائف النسيان اما حضارتنا فقائمة على متون الف الف من الاحصنة البخارية والكهربائية . ولكن الناس يختلفون في هل نتج عن ذلك ما هو نبيل اوخالد ؟ فاذا وقف هنري فورد ينادي انا على عتبة العصر الذي كان يجول في احلام الفلاسفة والشعراء انبرى لهُ المؤرخ سبنغلر الالماني قائلاً ان الحضارة الغربية آخذة في الانحطاط وانها دين على التاريخ لا ينتظر ايفاؤهُ واذا كتب الاستاذ بيرد حاسباً ان الحضارة الحالية انما هي فجر وردي لامع يتقدم وضح النهار تصدّى لهُ أُستن فريمن قائلاً انهُ لايرى الا ليلاً مدلهمًّا



العلم والصناعة يقبضان على أزمة القوة

والحق ان هنالك ما يقال لتأييد الرأيين المتناقضين. فأنت اذا اجلت طرفك ورأيت

محراثاً يوفر عمل خمسين من الزراع ، او آلة بخارية للحفر تغني العمال عن رفوشهم وما يحل بهم من الم في ظهورهم، او طيارة فضية جميلة محلقة في جو ازرق كالياقوت ، او آلة للتنفس تعيد الحياة الى رئتي رجل كاد يفقدها — اذا رأيت كل ذلك هللت وكبرت للفوائد العملية والعقلية التي يجنيها الانسان من الآلات. ولكنك حين تتحقق ان اسطولاً مؤلفاً من خمسمائة طيارة من هذه الاجنحة الفضية الجميلة المجهزة بالقنابل تستطيع ان تدمر حضارة لحضارة الامة الانكليزية في ساعتين من الزمان ،وحين تشاهد ما في المناطق الصناعية كمنطقة بتسبرغ بأميركا ولنكشير بانكلترا من القبح والقتام، وحين تقرأ عن فتيات اصابهنّ الآلات فسلخت رؤوسهن وهنّ يشتغلان ليلا في مصانع القطن الصينية — حين ترى كل ذلك يغصُّ حلقك بصلاة الشكران التي شرعت ترددها

وتقدير حسنات هذه الحضارة الصناعية ومساويها وموازنة فوائدها بخسائرها عمل كبير يجب الاَّ يقدم عليهِ إلاَّ مجلس مؤلف من اكبر المفكرين في هذا العصر تدعمهم مجلدات ضخمة من الاحصاءات والمباحث والتقارير محتوية على حقائق لا نزاع فيها تبين عدد العاطلين في كل امة بياناً مفصلاً واتجاه الامراض العقلية في الامم الصناعية ومقدرة الجسم البشري على تحمل العمل المتكرر وما الى ذلك. ومما يؤسف لهُ ان هذه الاحصاءات والبيانات لم تجمع حتى يرجع اليها . ولكني اقدم على هذا العمل وحدي رغماً عن افتقاري الى ما تقدم لما لقيت من الذم المطلق والمدح المطلق يوجهان الى هذه الحضارة التي نعيش في اكنافها

الحسنات

١ — ان متوسط الحياة في اكثر الشعوب الحديثة قد زاد . فالطفل الذي يولد الآن ينتظر ان يعيش حياة تزيد ثلاثين في المائة عن حياة الطفل في العصور الغابرة وذلك ناجم عن التقدم في سيطرة الطب والآلات على الحياة . ولعلَّ النوع البشري الآن اصحّ جسماً واجود صحةً مماكان عليهِ في اي زمن سالف

٢ — ارتفاع مستوى المعيشة اذا قيس هذا الارتفاع بزيادة الضروريات واتساع انتشارها بين الناس بدلاً من انحصارها في طائفة قليلة العدد

٣ — سهولة المواصلات والمخاطبات باستنباط سكك الحديد والبواخر والسيّارات والطيارات والتلفونات والتلغرافات ووسائل المخاطبات اللاسلكية على اختلافها ومن شأن هذه السهولة ترسيخ الاعتقاد في نفوس الناس ان الارض وحدة اقتصادية واجتماعية لا تتجزأ وهذا هو السبيل الى تحكيم العقل في الشؤون العامة وتوطيد اركان السلام

٤ — تقليل ساعات العمل

٥ — ضعف سلطان الخرافات على عقول الناس . فالرجل المتوسط الحال يسأل الآن ما هو سبب هذا وما هي علة ذاك بدلاً من ان يخني خوفاً امام الاسرار المحجبة عنهُ

٦— لقد كان من شأن بعض الآلات بوجهٍ عام والسيارات بوجه خاص ان مكّنت في نفوس الافراد والطبقات الشعور بالقوة والاعتماد على النفس

٧ — ان ادارة الصناعات الميكانيكية قد حملت علماء الفسيولوجيا والسيكولوجيا على استنباط نظام من الفحص والامتحان يمكنهم من معرفة المدى الذي يستطيع العامل ان يزاول عملهُ في اثنائهِ قبل ان تقعدهُ سموم التعب عن الانتاج المفيد . ولم يذكر في التاريخ ان حضارة سابقة لهذه الحضارة حاولت مثل هذا من قبل

٨ — لقد ازالت الآلات الفوارق بين الطبقات التي كانت ناشئة عن ملكية الاراضي وامتيازات الاشراف

٩ — لا ريب في ان العلم النظري ابو العلم العملي . ولكن مما لا يشك فيهِ على الاطلاق ان مطالب الصناعة كانت من البواعث القوية على توسيع نطاق البحث وترقية العلوم النظرية وخصوصاً في الطبيعيات والكيمياء ، فاتسعت بذلك كنوز المعرفة الانسانية

١٠ — زوال القساوة كمظهر من مظاهر الاجتماع وحلول الرأفة واللطف محلها. من كان يبكي لحدوث مجاعة في الصين ! . على ان التلغراف والآلة المصورة والراديو تحرك فينا عوامل الشفقة لحادث من هـذا القبيل فتغرورق العين بالدمع من جهة وتمدُّ اليد من جهة اخرى للبذل والاحسان

هذه الحسنات ليست وليدة الآلات وحدها ولكنها ظهرت وعظم شأنها في الزمن الذي اتسع فيهِ نطاق القوة الآلية وعظم شأنها والاثنان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً

المساوئ

١ — ازدياد الخطر من الحروب الآلية وهذا شر يزداد يوماً فيوماً

٢ — ازدياد التوتر في العلاقة بين العناصر التي تتألف من النظام الصناعي . فاذا اضرب فريق من العمال سرى الاضطراب الى النظام الصناعي سريان الحمى في الجسم . ان الارتقاء الصناعي وجهل الناس بنتائجهِ الاجتماعية يميلان الى التباعد كلما تقدما فاذا اتسعت الهوة بينهما حتى يتعذر عبوزها اصيب العمران بتصدع في كيانهِ

٣ — استخراج كنوز الارض المعدنية بسرعة تبعث على القلق من غير ان يراعى فيهِ الاقتصاد والتوفير

٤ — ما يحلّ بالعمال من السآمة والضجر وهم يرددون عملاً بسيطاً يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى من غير ان يحتاجوا في القيام بهِ الى استعمال الذكاء والفكر

٥ — التخصص في الاعمال يمزّق الثالوث المقدّس — ثالوث العمل والرياضة والفن — الذي قد لا توجد مندوحة عنهُ من وجهة بيولوجية

٦ — ان آلات الراديو والفونغراف والصور المتحركة قد مالت بالناس الى طلب السرور والطرب في ادوات مقلدة بدلاً من ان يطلبوها في مصدرها . فالصور المتحركة تقلد التمثيل وآلات الراديو والفونغراف تقلد الحفلات الموسيقية ولكنها لا تغني عنها والناس يكتفون بتلك عن هذه من غير ان يمارسوا الفنون الجميلة التي تبعث على الغبطة حقيقة

٧ — لقد زاد التخصص قيمة المال فغدا الناس يخلطون بين الثروة الحقيقية والثروة الفانية

٨ :— ان استنباط الآلات الجديدة واستعمالها سريع جدًّا يسدُّ باب العمل في وجهِ عدد كبير من العمال قبلما يتسع النظام الاجتماعي لهم في اعمال اخرى . فيكثر كذلك عدد العمال العاطلين وما يتصل بذلك من الشرور

٩ — ان طرق الصناعة الحديثة تستنفد من العمال مقداراً من الحيوية والنشاط اكثر مما كانت تستنفدهُ طرق الصناعة القديمة . ولذلك يبلغ العامل في هذا العصر دور العجز عن العمل باكراً . فينشأ عن ذلك مشاكل اقتصادية واجتماعية تدور حول العناية بمعيشة هؤلاء العمال العاجزين

١٠ — ان كثرة الآلات وصنعها مقداراً من البضائع يفيض على حاجات الناس يؤدي الى ابتكار وسائل غريبة للتأثير في عقول العامة لبيع هذه البضائع فيختلط الامر على الجمهور . فشركات التبغ مثلاً تعلن بكل وسيلة ممكنة وجوب الاقلاع عن اكل الحلويات كالشكولاته وما اليها وشركات الحلويات تحذره من التبغ واضرارهِ وهكذا

١١ — ان ازدياد الآلات والتوسع في استعمالها زاد متوسط الاصابات التي تنشأ عنها

١٢ — انتشار الاعتقاد بين الناس ان قيمة الصناعة تفوق قيمة الزراعة

١٣ — ازدحام المدن وكثرة الضجة والغبار والدخان فيها واثر ذلك الضار في الصحة

الحسنات الممزوجة بالمساوى

ثم هناك نتائج ترى فيها الحسنات الى جنب المساوي ولا استطيع ان ارجح احدى الكفتين

١ — ازدياد السكان واتساع نطاق مهاجرتهم . فعدد سكان الارض قد تضاعف والهجرة الى المدن على اعظم جانب من الوضوح

٢ — ان عصر الآلات قضى على البلدة التي يمكن ان تكفي ذاتها بذاتها . فانك لست تجد في اميركا الآن بلدة تستطيع ان تعول سكانها وتكسوهم وتسقيهم وتأويهم . بما يصنعهُ ابناؤها فقط . وهذا يجعل نظام الانتاج الحديث نعمة اذا كان سائراً سيراً قويماً ويجعله شرّاً كبيراً اذا اختلّ بعض الاختلال

٣ — لقد قضت الآلات على وجوه البراعة في الاعمال القديمة واحلت محلها براعة من نوع جديد — كبراعة السائقين : سائق الطيارة او السيارة او سكة الحديد — فهل هذه البراعة اجدى على العمران ؟

٤ — لقد جرَّدت الآلات ربة البيت من مهارتها في العناية بالبيت واحلّت محلها براعتها في لعبة البردج واشتراء الاثواب والبرانيط والاختلاف الى الاندية — وهذه خسارة كبيرة. الاّ انها وضعت الاساس لاستقلال المرأة الاقتصادي ومساواة النساء بالرجال — وهذا في رأيي ربح كبير

٥ — ان عصر القوة قد حطَّم الى حدٍّ بعيد القواعد الخلقية التي بنى عليها نظام العائلة ككل ما يتعلق بالزواج وعلاقات الجنسين والدين . والمفكرون مختلفون في فائدة ذلك وضرره

٦ — قد قضت الآلات على عصر الفن القديم . ولكنها اخذت تنشئ عصراً فنيًّا جديداً ظهرت فيهِ حتى الآن آيات ممتازة

٧ — لقد حطت الآلات من قيمة بعض المصنوعات كما انها اتقنت صنع غيرها . وقد اصبحت طائفة كبيرة من المصنوعات مما يتعذر صنعهُ الاّ بالآلات كالادوات اللازمة في باخرة من البواخر الحديثة مثلاً

٨ — الميل في هذا العصر الى الاعتماد على ما هو مكتوب كاساس للعلم بدلاً من الاعتماد على الاختبار شأن الصانع في العصور الوسطى . وهذا يبعدنا عن الحقيقة ولكنهُ يوسع امامنا ميدان العمل

٩ — حين يترك العامل كوخهُ لينتظم في سلك مصنع يفقد استقلالهُ . انهُ يتخلى عن ادواتهِ ليعمل بادوات رجل آخر. فاذا كان صاحب المصنع لا يعنى بشأن عمالهِ فالعامل في عملهِ الجديد اسوأُ حالاً منهُ لما كان مستقلاً . اما اذا كان صاحب المعمل يعنى عناية خاصة بعمالهِ فحالة العامل تتحسن والصناعة ترتقي

الطبيب والمعمل[1]

نظر نقدي

بقلم الدكتور انيس انسي بك
رئيس القسم الباثولوجي بمعامل الصحة الفنية بالقاهرة
وأستاذ علم الباثولوجيا بكلية الطب المصرية سابقاً

تاريخ اتصال المعمل بالطبيب أو الجراح حديث العهد جداً وخصوصاً في هذا البلد ، وقد اخذ أطباؤنا الاهتمام بالابحاث المعملية والتحاليل عن الامم الغربية ، كما هو الحال في كل شيء جديد . وعلى ما أذكر — الى عهد قريب جداً — اقتصر هذا الاهتمام على تحليل البول مدة من الزمن ، ثم تبع ذلك الاهتمام بفحص البراز وخصوصاً للديدان (وفي مقدمتها الانكلستوما) ، ولاسيما بعد التجارب العديدة التي قام بها الاستاذ لوس (Prof. Looss) لمعرفة طريقة العدوى بهذا الوباء الخطر — وليسمح لي بان أسميه وباء وأن أضم اليه مرض البلهارزيا ، فان من راجع التاريخ يجد ان سكان هذا القطر السعيد كانوا عرضة بل طعمة للطاعون والكوليرا ، إذ كان يموت مئات الالوف من السكان في بضعة شهور من آن الى آخر الى ان اتخذت الاحتياطات الصحية وغيرها فزاد التعداد ، ولكن للاسف الشديد ما الفائدة من زيادة العدد لاناس مصابين بمرضين وبيلين (الانكلستوما والبلهارزيا) يقعدان بالمصابين عن العمل حتى ان أغلبهم لا يمكنهُ أن يقوم باشغاله اليومية الضرورية الا بكل مشقة . ونتائج هذا في بلد زراعي يحتاج الى اليد العاملة ماثلة امامنا ، خصوصاً إذا قارناها بحالة الاقطار الزراعية الاخرى التي لم ينكب اهلها بهذه الامراض . وتبع الاهتمام بفحص البراز العناية بفحص الدم ، وهذا على ما اذكر ابتدأ في مصر حوالي سنة ١٩١٠م واتذكر ان اولى حالات الفازرمان عملت حوالي تلك السنة . ثم ازدادت أهمية ذلك سنة فسنة حتى نرى الآن أن هذا الامتحان (امتحان تثبيت المكمل) ليس قاصراً على تشخيص السفلس بل صار يطبق في امراض أخرى ، كما انهُ لم يقتصر على مصل الدم بل تناول السائل المخي الشوكي وغيره من سوائل الجسم أيضاً

(١ عنوان كتاب طبي كلينيكي ظهر حديثاً للدكتور احمد زكي ابو شادي في نحو الف صفحة ويشتمل على ثلثمائة وستين صورة وهو يطلب من مطبعة المصور وثمنه ١٥ غرشاً

وبعد فأزاءكل هذا لن يفوت مثلي الانتباه الى كل ما له صلة بالابحاث المعملية في مجال الدراسة والارشاد لتقدير هـذه الابحاث والانتفاع الواجب منها . وامامي الآن فصول كتاب (الطبيب والمعمل) لزميلي الفاضل الدكتور ابو شادي شاملة خطبتين جامعتين القاهما أمام (الجمعية الطبية) بالاسكندرية وتناول فيهما بطريقة الاستعراض العملي أهم المباحث البكتريولوجية والبيولوجية والمكرسكوبية الخاصة بتسهيل التشخيص الطبي ، وقد اردفهما بفوائد شتى متنوعة جليلة القيمة سواءكانت تأليفاً أو اقتباساً او تلخيصاً او تفصيلاً وأبت روحهُ التعاونية المحمودة الاّ أن يشرك في عمله القيم من شاء التعاون من زملائهِ القديرين ، كل في دائرة اختصاصهِ وذلك زيادة في نفع تأليفهِ ، دون ان يفرط في ربط هذه المباحث العديدة بعضها ببعض ربطاً محكماً مع عرض صنوف المختار من المفردات والاساليب العلمية الطبية ، وهكذا كان موفقاً كل التوفيق فيما شاءه من خدمة العلم الصرف والادب العلمي معاً . لذلك يسرني الترحيب بظهور هذا الكتاب العملي الهام في اوانهِ ، خصوصاً وأن مؤلفهُ ذو مطامح علمية واسعة ، ويودُّ أن يتبعهُ بما هو اهم من رسائل وكتب في اختصاصهِ الطبي

وأظن أن خير تعليق على مواد هذا الكتاب يكون بتتبع مباحثهِ الاصلية مع الالتفات الخاص الى ما تعلق بخبرتهِ الخاصة، وما اشار اليهِ من أثر ذلك في نتائج بحثهِ وفي تشخيص الحالات المبهمة . ويحول المجال الذي أمامي دون الاسهاب او تناول العديد من الفوائد التي ذيلت بها خطبتا الكتاب ، سواء كانت من قلم المؤلف أو من أقلام زملائهِ الافاضل ولا يفوتني هنا ان احمد للمؤلف نشره قائمة المراجع التي ختم بها الكتاب تبرئة لذمتهِ وارشاداً لمن يريد زيادة الاطلاع والتوسُّع . وأرجو أن يعدَّ مقالي هذا بمثابة استعراض نقدي على سبيل المثال ، اذ بديهي انهُ ليس في الامكان التعليق الضافي على كل شيء في هذا التأليف الحاشد دون أن يتضخم حجمهُ ودون الاستهداف للتكرار وان كنت لا انكر للاستعراض النقدي قيمتهُ العلمية والادبية معاً ولكن مالا يدرك جله لا يترك كله

***

بدأ الخطيب المؤلف محاضرتهُ الاولى بالحث على الاهتمام العام بأبحاث المعمل حتى يكون الطبيب الكلينيكي عارفاً لاحدث طرق التشخيص قادراً على الانتفاع الاتم ونعى على المتنطعين تقدم لكل من لا يقتصر على علم خاص ولا يكتفي بضيق معلوماتهِ ، وكان رأي المؤلف أننا رغم الحاجة الى التخصص اصبحنا في زمن يحتاج اليهِ الطبيب — كيفما كان تخصصهُ — الى الالمام العام حتى يستطيع ان يطبق تخصصهُ أحسن تطبيق بالاشتراك مع زملائهِ الاطباء

الآخرين حين تقتضي الاحوال. وكما أن العرفان العام امر واجب على كل رجل مثقف في هذا العصر وعلى كل امرأة مثقفة أيضاً ، فكذلك الالمام الطبي العام من أمس" الواجبات على كل طبيب عصري يعرف واجباتهِ الفنية : هذا الشعور هو ما شجع المؤلف على القاء محاضرتيهِ اللتين نحن بصددهما . أما ملاحظتي الخاصة على ذلك فهي أني أرى الى جانب أهمية الالمام العام والاعتماد على المعمل في التشخيص خطر الاتكال الكلي على المعمل بحيث يصبح الطبيب الكلينيكي مهملاً في واجبات التشخيص المتعلقة بهِ ذاتيًّا ، والاسراف في كلتا الناحيتين ضرر يجدر بنا التنبيه اليهِ لتلافيهِ

وقد استهل المؤلف محاضرتهِ الاولى بالكلام على الامراض الطفيلية بادئاً بمرض البلهارزيا ، ومن النقط الاصلية في محاضرتهِ التي وجه اليها انظار الاطباء : —

(١) اعطاء حقنة طرطير منبهة في الحالات المبكرة المشتبه فيها (حينما لا توجد بويضات البلهارزيا في البول أو البراز) أسوة بحقنة الـ ٦٠٦ أو الـ ٩١٤ المستثيرة في مرض السفلس

(٢) تفضيله استعمال زجاجة الساعة بدل الشريحة مما يمكنهُ من فحص كل رواسب البول دفعة واحدة . وما ربما لم يجد سوى بويضة أو اثنتين برغم كل هذه الحيطة في العينة وهذا مما يؤيد أن النتيجة السلبية لا يعول عليها ما لم يكرر الفحص وخصوصاً بعد إعطاء حقنة منبهة

(٣) إشارتهُ باستعمال حامض الخليك الثلجي مضافاً الى الراسب لاذابة كريات الدم الحمراء في العينات الشديدة التشحط بالدم حتى يسهل بعد ذلك فحصها

(٤) إشارتهُ إلى تعريق البراز بالصفراء في كثير من احوال البلهارزيا المانسونية (بلهارزيا الامعاء) ، وذكرهُ أن أكثر أسباب الاسهال الاخضر عند البالغين في مصر يرجع إلى البلهارزيا

(٥) إشارتهُ إلى أن صورة الخلايا غير الطبيعية (الخلايا الصديدية والخلايا البشرية من غشاء الامعاء المخاطي) مما كان ينسب سابقاً إلى الديسنطاريا الميكروبية ليس في الواقع قاصراً عليها خصوصاً في المناطق الحارة . بل انهُ مما يشاهد كثيراً في مصر في حالات البلهارزيا المعوية وفي بعض حالات العدوى الطفيلية

وبودي أن أضيف إلى هذه الملاحظات ما يأتي : —

(١) في حالات البول الدموي (لا سيما في الاحوال الخاصة إذ لا توجد عجلة في إعطاء النتيجة ، على ضد" احوال المستشفى) يشار على المريض — إذا ماكانت النتيجة سلبية ، كما هو الغالب في هذه الحالات — إن ينتظر حتى تزول نوبة البول الدموي لانهُ

في اثناء النوبة تكون عضلات المثانة مرتخية ويقل طرد البويضات من الانسجة المثانية ومنها البويضات التي تخرج من الاوعية الشعرية في الحالات المبكرة جدًّا قليلة للغاية. ويلاحظ أن النزف البولي هو عادة ناشيء عن انفجار الاورام الحلمية (البابلومات : papillomata) المسببة عن التغيرات المزمنة الناشئة تحت الغشاء المخاطي من تهييج بويضات البلهارزيا لهذه الانسجة العميقة

(٢) في بعض الحالات المشتبه في عدواها بالبلهارزيا يلاحظ في فحص الراسب البولي فحصاً ميكرسكوبيًّا وجود كثير من الخلايا البشرية للمثانة اغلبها متجمع في طوائف تحتوي كل منها ما لا يقلُّ عن العشرين خلية فما اكثر ، ويكون البول عادة حمضيًّا الاَّ في حالات التقيح والاحتباس . وهذه الحالة تنم غالباً على وجود سرطان بالمثانة سواء كان السبب الاصلي بلهارزيا (وهو الغالب في مصر) او ثانويًّا عن سرطان في البروستاتة، وهذا الاخير يكون مصحوباً عادة بصديد كثير ويكون البول عادة قلويًّا

وليست عندي ملاحظات إضافية على ما ذكرهُ المؤلف عن تشخيص الانكلستوما حيث قد وفى الموضوع حقهُ من كل نواحيهِ العملية . ويجب أن لا ننسى أن عدد الكريات الحمراء الطبيعي عند المصريين البالغين هو سبعة ملايين كرية فأكثر، يقابلها خمسة ملايين كرية عند الاوربيين ، وبناء على ذلك لا يستغرب انخفاض العدد عن ٣ ملايين كرية (بدل مليون عند الاوربيين) في حالات الانكلستوما بين المصريين

وأما عن الاتميبا : فقد ارتحت الى التدقيق الكلي وإلى التحذير الذي وجههُ المؤلف إلى أطباء المعامل وإلى الاطباء الكلينيكيين على السواء وليس يُنكَر أن بعض الجهات تستوطنها الاتميبا ، ولكن الغالب ان هناك مجازفات كثيرة في تشخيصها الايجابي .واذكر في خلال الحرب العالمية أن كثيراً من حالات الاسهال المرضية كانت تشخص ايجابية للاتميبا ، ولكني عند فحص ماكان يعرض عليَّ منها (وكان ذلك كثيراً في تلك الايام) ماكنت استطيع العثور لا على الانتميبا ولا على اكياسها . وقد شكوت ذلك مرة الى احد اعلام رجال البحث المختصين فأمن على شكواي وقال لي : ثق يا عزيزي بأن عدد القادرين على تشخيص الاتميبا تشخيصاً لا يعتوره الشك محدود جدًّا . وأنا اوافقك كل الموافقة على ان كل هذه التشخيصات الخاطئة مبنية على تخيلات نظرية

وأما عن الطفيليات الاخرى : فقد همني العثور على اللامبليا في حالات كثيرة من الاسهال الشبيه بالديسنطاريا في الاسكندرية ، ولا يبعد مع التدقيق العثور عليها في جهات اخرى من القطر ،وقد عثرت شخصيًّا عليها في احوال اسهال شديد في القاهرة في بعض

الاحيان ، وعلى ذلك اوافق المؤلف على اعتبار اللامبليا سبباً من اسباب الاسهال المرضي في مصر على الاقل .

وأما عن الديسنطاريا الميكروبية : فقد كانت العادة قديماً اعتبارها قليلة الحدوث بالنسبة الى الديسنطاريا الاميبية اللهم إلاَّ في السجون والبيمارستانات ، وبين الجموع المحتشدة كالجيوش والحجاج ، ولكن تقدم الابحاث العلمية الحديثة اثبت نقيض ذلك اي انها موجودة بكثرة وبحالات انفرادية . بيد انهُ يخشى ان تحدث مغالاة في تقدير وقوع هذا النوع من الديسنطاريا ، خصوصاً اذا اعتمد في التشخيص على الفحص الميكرسكوبي فقط : اي على تمييز انواع الخلايا الموجودة في البراز . وهذا ما حذرنا منهُ المؤلف، لان الصورة الميكرسكوبية ليست قاصرة على الديسنطاريا الميكروبية في مصر على الاقل حيث تكثر الطفيليات وتشتد وطأتها

وأما عن الحمى المعوية : فالى جانب اشارة المؤلف الى خطورة التبكير بالفحص عن طريق زرع الدم يهمنا ان نذكر الحقيقة التاريخية الآتية : وهي ان الحمى التيفودية كانت منتشرة في القطر المصري في الماضي اي قبل تقدم الصحة العامة بحيث انها كانت من امراض الاطفال المعدودة ، وكانت تحصد ارواحاً كثيرة كل عام لم يقدرها اي احصاء. وفي ذلك الوقت لم يكن تفاعل فيدال ولا غيره معروفاً ، وكان التشخيص قاصراً على العلامات الكلينيكية . وهذه — كما نرى الآن — لا يمكن التعويل عليها لتشخيص المرض. من اجل ذلك صار تفاعل فيدال ايجابيًّا بكثرة في الوطنيين (المصريين) وصارت وطأة المرض خفيفة عليهم اذا قيست بوطأتهِ في الاجانب. وهذا سبب المناعة النوعية في المصريين. ولذلك صار من المحتم علينا ان لا نعتمد على تفاعل فيدال وحده في تشخيص الحمى التيفودية والباراتيفودية ، ولا بد اذن من الاهتمام بزرع الدم والبراز والبول

ولا ملاحظة عندي على ما ذكره المؤلف عن التيفوس والدفتيريا والسيلان ، فان ما ذكره فيهِ الغنية الكافية . وأما عن السفلس فقد اصاب المؤلف حقاً بما ذكره عن تفسير تفاعل فازرمان . وكل طبيب بكتريولوجي لا بد ان يكون قد وجد في هذه المآزق التي يسببها جهل المرضى او تقصير الاطباء الذين لا يعرفون تقلبات هذا التفاعل في احوال مختلفة حسب سير المرض والعلاج وطبيعة الدم

واني شخصيًّا اؤثر تفاعل فازرمان (حسب الطرق الحديثة المهذبة) على ما سواه من انواع التفاعل البيولوجي لتشخيص هذا الداء . ويجب ان لا ننسى ان بعض الشعوب (كالشعب السوداني) يثبت دمه مكمل المصل بدرجة عالية ، وفي هذه الحالة ينبغي عمل

ضابط مصل (serum control) بالنسبة للمكل في كل حالة . فربما امتص مصل الرجل السوداني من المكل عشرة اضعاف القدر المعتاد طبيعيًّا ، فلو اهمل التدقيق في هذا الضابط المصلي لظهرت الحالة ايجابية بدل ان تكون سلبية . ويصح اعتبار الشعوب الافريقية مجالاً بكراً للسفلس كما حدث في وباء سنة ١٩٠٥ ، في يوغاندة وما جاورها من اختلاط حاملي العدوى البيض بالاهالي السود ، اذ كان يفتك السفلس بهم فتك الطاعون في اسابيع قليلة منتهياً غالباً بالموت. وعلى الضد من ذلك حالة اي شعب ذي مدنية قديمة كالمصريين حين يصابون بالسفلس كرض عادي جدًّا من ابتدائي وثانوي وثلاثي . وخبرتي هنا ما لاحظته من ندرة الاصابات الموازية للسفلس (parasyphilitic lesions) في مصر، اذ ما وازناها بنظيرتها في اوربا وفي الشعوب الاخرى الحديثة المدنية . ويزيد هذا الاعتقاد اذا ما لاحظنا ان اغلب مرضانا لا يعالجون الاَّ علاجاً اوليًّا . ويجب ان نذكر هنا اتماماً للفائدة ان تثبيت المكل بدرجة قوية لا يدل على قوة المناعة الطبيعية لانهُ صفة ذاتية للدم 'personal character of the blood) ولا يعرف سببه الحقيقي ، كما قد يلاحظ ازدياد عدد الكريات الحمراء في اغلب الشعوب الملونة دون أن يدل ذلك على الصحة ، فقد يكون العدد مثلاً ٣ ملايين كرية بدل مليون كرية في حالات الانكلستوما

وأما عن الدرن : فمن المستحسن في حالات النزف الصدري الانتظار حتى يزول النزف قبل امتحان البصاق ميكرسكوبيًّا اذ الغالب ان تكون النتيجة سلبية حينئذٍ وهذه بطبيعة الحال لا قيمة لها . ولا بد من اعادة الفحص بعد زوال النزف ، ويجب ان لا ننسى ان درن الاطفال كثيراً ما يكون محتبساً بحيث يستحيل ظهور الباسلس في البصاق، ولا مفرَّ حينئذ من الاعتماد على تفاعل فون بيركت او على تفاعل كليت . هذا والمعروف ان السائل البلوراوي في حالات الدرن يكون سلبيًّا عادة للباسلس ، اللهم الا في حالات الالتهاب الرئوي البلوراوي الدرني (T. B. Pleuro-pneumonia) فقد وجدته شخصيًّا بكثرة في السائل البلوراوي . ومن اجل ذلك اشير بضرورة امتحان السائل البلوراوي امتحاناً بكتريولوجيًّا في جميع الاحوال . وأذكر حالة من سنوات عديدة لاحد اغنياء المصريين شخصت تيفوداً اعتماداً على سير الحرارة وعلى تفاعل فيدال (وقد ذكرت سابقاً عدم اهمية هذا التفاعل في الوطنيين) ثم ظهرت علامات تجمع السائل البلوراوي ، فاعتبر هذا بطبيعة الحال من مضاعفات التيفود ، وأرسلت اليَّ عينة لفحصها بكتريولوجيًّا خوفاً من وجود ميكروبات صديدية مسببة دبيلة (امبيما : empyema) فلاحظت ان الخلايا الغالبة هي اللمفاوية ، ولذلك خطر لي ان اصبغ العينة لباسلس كوخ (باسلس

الدرن) ، ولعجبي كان الباسلس موجوداً فعلاً بكثرة ، كأنما العينة محضرة من البصاق! ومنذ ذاك الحين واصلت اهتمامي بفحص كل عينة سائل بلوراوي لاجل الدرن ، وكانت النتيجة العامة في السنين العديدة التي اشتغلت فيها مما لا يستهان بها

وأما عن الملاريا والراجعة : فأرى ان التشخيص يستحق عناية وخبرة ، فقد تؤدي عدوى الملاريا الى اصابات خطيرة : فبعضها لا يظهر فيه بتاتاً مرض الملاريا من الوجهة الكلينيكية مثل الشلل الناشىء عن اصابة المخ بالملاريا وخصوصاً الخبيثة منها

واما عن الفيلاريا : فتاريخها الكلينيكي وامتحان البول مما يدلنا على وجودها دلالة قوية ، وإن أدى امتحان الدم الى نتيجة سلبية بسبب انحباس الاجنة

واما عن الالتهاب السحائي : فما يجدر بنا تذكره أن هناك حالات شديدة ووثابة فيها المننجوكوك بدون تفاعل : اي بدون وجود خلايا صديدية ، وإن تكن هذه الحالات نادرة جداً

واما عن القرحة الرخوة : فيجب أن لا يكون التشخيص كلينيكياً فقط لان السفلس غير مأمون في مظاهره الاولى ، وقد يتخذ شكل القرحة الرخوة . وكم من خدش بسيط انتهى بظهور العلامات الثانية للسفلس : مثال ذلك وجود خدش بسيط في حالات السيلان ، فيعالج المريض من عدوى السيلان بدون اهتمام بذلك الخدش الذي قد يزول ايضاً حينما هو في الواقع عدوى سفلسية متخفية

***

هذه ملاحظات وتعليقات عنت على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء عند اطلاعي على هذا الكتاب المفيد الحاشد الذي قرأته باستمتاع واف ، فقد يطول بي الحديث عن كثير من المسائل والمباحث العملية التي أشار اليها المؤلف ، وخصوصاً امراض الدم وتشخيص الحمى التيفودية ، وما ذيل به الكتاب من الفوائد العملية والعلمية المتنوعة

***

ولي كلمة اخيرة عن صلاحية اللغة العربية لاستيعاب العلوم العصرية الطبية : فاقول ان هذا الكتاب برهان آخر على اهلية لغتنا المدنانية للقيام بهذه المهمة حيثما وجدت العناية بها والرغبة الصحيحة في استعمالها . وأرجو أن تستقبل العربية ومعاهدنا الدراسية العالية في هذا العهد — كما نالت في الماضي ايام نهضتنا التعليمية الاولى — الكثير من المؤلفات القيمة في شتى العلوم والفنون م

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

العناية بالاطفال

حجرة الطفل

بعد بضعة عشر يوماً قصد كريم الى عيادة صديقهِ الدكتور فوجد غرفة الانتظار غاصة بسيدات واطفال وسمع الدكتور يتحدث الى سيدة في غرفة الكشف وعلى صدرها طفل عمرهُ سنة او دون السنة بقليل هزيل الجسم شاحب اللون منتفخ البطن بارز الوجنتين مجعَّد الوجه غائر العينين وهو يقول لها :

ان ما يشكو منهُ ولدك هو داء الكساح وهذا الداء كثير الشيوع في الاطفال ومن اهم اسبابهِ سوء التغذية . فلو كانت الوالدة تدرك نتيجة اهمالها تغذية طفلها وانهُ يؤدي بهِ الى هذا المرض لكانت ولا شك تجتنبهُ وحرصت اشد الحرص على تغذيتهِ وتنمية عوده على خير نظام وضعهُ العلماء المتوفرون

ثم التفت الى كريم وقال لهُ الا ترى انهُ قد حان للحكومات وللجماعات الراقية في كل امة ان تنهض لمعالجة هذا الضعف في جزء كبير من جسم الامة بل في اهم جزء منهُ والنظرِ الى هؤلاءِ الاطفال والى ما بهم من مرض. وانت تعلم ان اسباب ما يشكون منهُ الجهل اولاً والاهمال ثانياً فلو قدر لهم ان ينشأوا على قواعد صحية لكان حظهم من الحياة اوفر وشقاؤهم فيها اقل

كريم — اني قدمت اليك لاقف على رأيك في الحجرة التي نخصصها لممدوح والشروط التي يجب ان تتوافر في تأثيثها ولم يكن يدور في خلدي ان الاقي مثل هذا الجمع الكبير من الاطفال اسيء اليهم في تربيتهم وانماء عودهم من غير ذنب اقترفوه سوى انهم ابناء الطبقة الفقيرة في الامة

الدكتور — ان اهم الشروط الصحية في غرفة الطفل ان تكون واسعة حتى يسهل تجديد هوائها ودخول اشعة الشمس المطهرة اليها لان الطفل يقضي معظم السنة الاولى ضمن جدرانها وان يكون اثاثها قليلاً وبسيطاً مريحاً وان تكون خالية من الستائر وما الى الستائر والسجوف من الكماليات التي لا حاجة ماسة اليها ويجب ان يبقى هواؤها طلقاً وان لا تطهى المآكل فيها وان تضاء في الليل بشمعة كهربائية صغيرة الحجم كي لا تؤثر الاضواء الكبيرة في حرارة جوها . كذلك لا يستحسن ان يترك في القرب من سرير الطفل ثياب او روافد مبلولة

كريم — ماذا يجب ان تكون درجة الحرارة فيها في النهار وفي الليل

الدكتور — في النهار بين ٦٤ و٦٨ بميزان فارنهيت والاَّ تزيد عن ٧٠ الاَّ في احوال خاصة مثل ضعف في بنية الطفل او مرض . وفي الليل ٦٥ في مدة الثلاثة الاشهر الاولى من حياة الطفل واما بعد هذه المدة فتنزل الى ٥٥ في العام الاول وثم الى ٥٠ او ٤٥ بعده. وللاستدلال على درجة الحرارة يستعمل الميزان المعروف ويعلق على ارتفاع ثلاثة اقدام من الارض

كريم — هل يستحسن فتح النوافذ في الليل ؟

الدكتور — متى بلغ الطفل ثلاثة اشهر من العمر لا يخشى عليهِ من فتح النوافذ وتجديد هواء الغرفة وابقاء نافذة صغيرة مفتوحة في الليل

كريم — كم مرة يجب تجديد هواء الغرفة

الدكتور — مرتين على الاقل في اليوم فبعد ان يستحمَّ الطفل في الصباح وقبل ان ينام عند المساء ويجب ان يتجدد هواؤها تجديداً تامًّا والاَّ يبقى الطفل فيها في اثناء تهويتها

كريم — ما هي الاعراض التي تظهر على الطفل اذا كان يعيش في غرفة دافئة اي اذا كانت درجة الحرارة فوق المعتاد

الدكتور — يظهر عليهِ الهزال وعدم الاكتراث للغذاء فيفقد كثيراً من وزن جسمهِ ويشحب لونهُ ويسوء هضمهُ ويتقيأ كثيراً ويتصبب جسمهُ بالعرق ويصاب بالزكام ولا يشفى من زكام الا ليصاب بزكام آخر وسبب ذلك ان حرارة الغرفة في الداخل اعلى من حرارة الجو في الخارج وقد يشتبه انهُ مصاب بمرض معوي او رئوي

تعرض الطفل للهواء الداخلي

كريم — متى يبدأ بتعريض ممدوح للهواء وكم من الوقت تستغرق مدتهُ ؟

الدكتور — يبدأ بتعريض الطفل للهواء عند ما يتم الشهر الاول ولا يمنع ذلك اذا

كان الطقس بارداً الاّ اذا كان الطفل مريضاً او ضعيف البنية . ومدة التعرض يجب الا تتجاوز في البدء خمس عشرة دقيقة على ان تزاد كلَّ يوم قليلاً الى ان يصبح الوقت الذي يعرض فيهِ الطفل للهواء كل يوم ٤ ساعات ويجب المحافظة على هـذا النظام من غير خوف ولا اعتبار لمختلف احوال الجو

كريم — الا يخشى على الطفل ان يصاب بالزكام اذا تعرض للهواء كما ذكرت

الدكتور — كلا لا ضرر ولا خوف عليهِ اذا كانت مدة التعرض قصيرة في البداية ثم تزاد بالتدرج الى ان يتعودها جسم الطفل ويألف ما فيها من تغيير سواء كان هـذا التغيير في الاحوال الجوية او في الزمن الذي يستغرقهُ التعرض . وهذا التعرُّض التدريجي يكسب جسمهُ المناعة ويقيه من مرض الزكام ومضاعفاتهِ التي تنشأ عنهُ وهي كثيرة ومعظمها خطير

كريم — كيف نعرض ممدوح للهواء ارجو ان تصف لي ذلك تماماً

الدكتور — يغطى رأس الطفل ويلبس ثياباً خفيفة ثم يوضع في سريره على مسافة غير قصيرة من الباب ثم تفتح نوافذ الغرفة . ويجب ان نحترس من ان نضع الطفل في مجرى الهواء

تعرض الطفل للهواء الخارجي

كريم — في اي سن يمكن ان يخرج بالطفل الى الفضاء

الدكتور — يعرض الطفل للهواء الخارجي في زمن الصيف وهو في الاسبوع الاول اما في الربيع والخريف فالافضل ان يبقى في البيت الى ان يبلغ من العمر ثلاثة اسابيع على الاقل

وأما في فصل الشتاء فخروجه يتوقف على جو الاقليم الذي يعيش فيهِ . ففي المدن الكبرى يخرج بهِ في الايام غير الممطرة وهو في الثلاثة الاشهر الاولى من العمر ويستحسن ايضاً بقاؤه في البيت وقاية له من الغبار وما يحمله من الجراثيم وتعريضه للهواء الداخلي على الطريقة المار ذكرها الى ان يصير عمره ستة اشهر

كريم — ما هي افضل الاوقات التي يخرج بها الطفل الى الفضاء

الدكتور — في الايام الحارّة يفضل خروجه في الصباح والمساء على وقت الظهر وأما في ايام البرد فلتكن نزهته بين العاشرة صباحاً والثالثة بعد الظهر ويتوقف تعيين هذا الوقت على اقليم البلد الذي يكون الطفل مقيما فيه

كريم — ما هي الاوقات التي يجب ان لا يخرج الطفل فيها للنزهة

الدكتور — يوم تشتدُّ الرياح وتزداد برودة الهواء وتغطى الارض بالثلج ولا يخرج بالطفل في اي الاحوال الجوية الرديئة قبل ان يصير عمره ثلاثة اشهر ولا تنطبق هذه القواعد على الاطفال الضعفاء فهؤلاء يحتاجون الى الهواء الطلق كثيراً بقدر ما هم في حاجة الى وقايتهم من البرد او الزكام

ثم التفت الى السيدة الجالسة في القرب منه وقال لها : كم عمر طفلك ؟

قالت — تولد في العيد الصغير اللي فات

قال — ومتى مرض ؟

قالت — انه مريض من زمان قوي

قال — من شهرين او ثلاثة اشهر

قالت — زي كده

قال — اتتذكرين كيف ابتدأ مرضه

قالت—تولد حلو وسمين وبعد شويّ ابتدأ يخس وصار يسهل ويقح ويتقيَّأ وماعدش ينام في الليل زي عادتو وكان بيوقف و بيقعد وحدو

قال — كيف كنت تغذينه ؟

قالت — كنت اعطيه البزّ (اي الثدي) كلما سمعتو بيبكي وعند النوم ازك البز في بقو (فمه) وكان ياكل شيء ولما صار معو اسهال قالوا اعطيه لبن دكر ولبن بقر فصرت اعطيه لبن بقر ووكاوكل شيء مناكاو .وكان الطفل نائماً في حجر والدته وقدماه عاريتان وثيابه رثة وقذرة

فقال الدكتور — الا تغيرين ثيابه

قالت — بقالي حبه كبيرة ماغيرتش ثيابو ولا غسلت عينيه ولا وشُّو وبتقول نينتي حتى بلوش ابداً

فقال الدكتور موجهاً كلامه الى كريم — هذا الطفل له امثال يعدون بالمئات بل بالآلاف والامراض تنتابهم وتحصدهم من غير شفقة ولا حنان

الدكتور شخاشيري

باب الزراعة والاقتصاد

الاقتصاد الريفي

نشوء هذا العلم الجديد — غرضه ووسائله

وجوب العناية بهِ في مصر

اخذ علم الاقتصاد الريفي يتكون وينفصل رويداً رويداً عن علم الاقتصاد العمراني . وليس المقصود من العلم الجديد ما نعرفهُ باسم الاقتصاد الزراعي . فمدار بحث العلم الجديد هو الانسان ممثلاً في (العمل). وبمعنى آخر يحاول الدعاة الى هذا العلم ان يفسروا موارد الثروة الثلاثة رأس المال والارض والعمل بغير التفسير المعروف . ففي نظرهم ان العمل ايجابي في الانتاج في حين ان الموردين الآخرين سلبيين وان الانتاج يحصل من اجل العمل او (العامل)

ان قصة نشوء هذا العلم مدعاة للعجب فقد لاحظ المشتغلون بالامور الاقتصادية كما لاحظ السياسيون ايضاً اندفاع سبيل المهاجرة من الريف الى المدن فحاولوا صده بكل ما توصلت اليهِ افهامهم من الوسائل ولكنهم اخفقوا. واخيراً في فجر القرن الحالي سأل احد مفكري الاميركيين السؤال الآتي : « لم يَغمط الفلاح حقهُ في متابعة الروح العصرية باهمال وسط الحياة الريفية حيث يبدو العمل على اقبح صورة فيزهد ذوو المطامع واهل المواهب في الاقامة بين الحقول بينا يتمتع اخوهم العامل المدني بقسط وافر من الثقافة واللهو ؟ » وحقيقة شاهد الناس ان اوساط المدن مستكملة وسائل التقدم المادي والمعنوي ففيها المدارس والمستشفيات وكل ما يسبب الغبطة في حين ان الريف محروم من كل ذلك

اذن كان اول ما خطر ببال الاقتصاديين ان هذا هو الدافع الى هجرة الفلاح الى المدن تاركاً وراءهُ الايراد المضمون متوجهاً الى حيث هو مجبر على الكفاح ومزاحمة جيش العاطلين. وكان اول ما خطر ببال الاجتماعيين ان صرح العائلة اخذ يتقوض في المدن فاذا ما انهد انهار على أثره نظامنا الاجتماعي ووجدوا ان الريف هو حصن العائلة المنيع ففيهِ يجب تثبيت

هذا النظام لان الريف هو المورد الذي تستمدُّ منهُ الامم الافراد الذين يشيّدون عظمتها بقوة عقولهم واذرعهم والريف انسب بيئة لنمو المدن

فقامت فئة من الاميركيين لتعمل على رتق الخرق قبل اتساعهِ فانضم اليها الرئيس روزفلت بعد عام من انشائها اي سنة ١٩٠٨ واخذت تدعو الى العمل على رفع المستوى الحيوي والفكري للريفيين وبالفعل قدمت الاقتراحات تلو الاقتراحات لدار الندوة فلم تعرها اذناً صاغية فلم يفلَّ هذا الاهمال من ساعد الجماعة بل جمعوا شملهم وهبوا لنشر الفكرة في كل صقع عن طريق الجرائد والمجلات والاجتماعات والنشرات واخيراً نجحوا في اكتساب احدى الجامعات الى صفهم عام ١٩١١ فانشأت من تلاميذها فرقة لمساعدة الحركة الجديدة ولم تأت سنة ١٩٢٢ حتى آزر الحركة اربعون جامعة من ثمانية واربعين جامعة عامة في الولايات المتحدة وانشأت لها فرقاً ليس للمساعدة فقط بل لدرس الحياة الريفية الامر الذي اضطرت معهُ بعض الجامعات الى انشاء كراسي (للاقتصاد الريفي) تعمل على درس العامل بصفته انساناً لهُ غايات وآمال ورغبات وامثلة عليا. وقد اصبح رواد هذا العلم في الوقت الحاضر اساتذة الجامعات يحيط بهم تلاميذهم المستعدون للقيام بكل ما يطلب منهم عملهُ . ففي اوقات الدراسة يتلو الاستاذ على طلبتهِ ما توصل اليهِ من المعلومات ويلقي عليهم الارشادات اللازمة حتى اذا حلّت العطلة المدرسية انتشر الشبان والشابات في القرى لتنفيذ امرين اولهما جمع البيانات اللازمة وارسالها الى اساتذتهم لتمحيصها وتبويبها وثانيهما نشر حياة الجامعات الاجتماعية في انحاء الريف

يقولون ان جامعات اميركا ليست مدارس قدر ما هي مصانع همها تحويل كل من يلجها من ابناء البلاد او من المهاجرين الى بضاعة اميركية صرفة فهناك يتشرب الطلبة روح النظام الذي يعدهُ الاخصائيون المثل الاعلى للحياة التي يجب ان تكون عليها الولايات المتحدة . فالطلبة الذين يتلقون عن اساتذتهم اسمى الآراء الاجتماعية هم الذين يجعلون من انفسهم امثلة حية في الاوساط التي ينزلون فيها في اجازتهم الصيفية

اما البيانات التي يجمعونها فتدور على حالة المنطقة التي ينزلون فيها مثل عدد المنازل وعدد السكان وكم منهم ارباب عائلات وماهو عدد المتزوجين والارامل والذين لم يتزوجوا وعدد المعتمدين على كل رب العائلة ومقدار دخل العائلة وماهو عدد المتوطنين والمستوطنين وكم تنفق كل عائلة وعلى اي الانواع تنفق اكثر دخلها وكم يتوفر لها منهُ ومن اين تستورد ما تحتاج اليهِ المنطقة والى اين تصدر ما يزيد لديها من المصنوعات والمحاصيل وما الذي يقرأونهُ وماهو عدد المتعلمين ودرجات تعليمهم ومن يكلف رب العائلة اكثر من غيره الزوجة

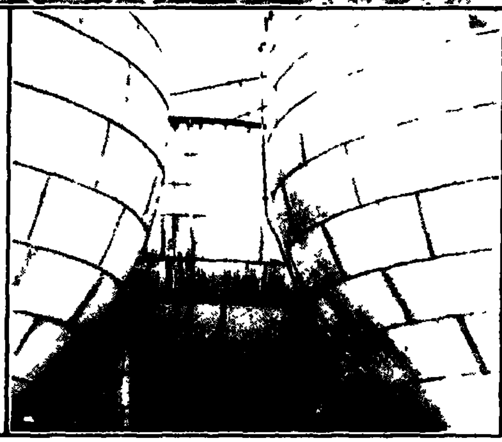
او الام او البنت او الابن الخ، وكم من اهالي المنطقة ينزحون عنها كل سنة والى اين ولماذا ومن يأتيها وماذا يفعل فيها وكم عدد المالكين والمستأجرين والعمال وما هي الامراض المنتشرة وما هي روابط المصاهرة وكم كنيسة في الناحية ومتوسط عدد المترددين عليها ، وكم حانوت، وكم بنك وبمَ يشتغل المتعلمون في المنطقة وحالة البيع والرهن الخ مما يطول شرحهُ من الدقائق مثل ذكر متوسط عدد النوافذ والابواب والاسرّة والحمامات ودور المياه في كل منزل ووسائل اللهو في الناحية . كل هذا يطلب من التلامذة ذكرهُ مع ابداء ملاحظاتهم الشخصية عنهُ فمثلاً يقول التلميذ ان في الناحية كذا عائلة منها — عائلة مشتركة في اكثر من جريدة يومية وكذا عائلة مشتركة في جريدة واحدة وكذا مشتركة في جرائد اسبوعية وكذا عائلة مشتركة في المجلات العامة الخ والمقصود من هذا البيان بسط وجهة عن الحالة الفكرية في الناحية التي هي موضوع البحث . هذا هو الدرس النظري للموضوع

اما العملي فميدانه اوسع اذ ينتهز الطلبة فرصة العطلة المدرسية فيكوّنون بعضهم مع بعض مدارس لتعليم الاميين وينشئون اندية الزراعة والخطابة والغناء والموسيقى والتمثيل ويقيمون المعارض وينظمون فرق الكشافة والاسعاف واطفاء الحريق وفي هذه المنشئات كلها يبثون روح الجامعة في الوقت الذي يسلون فيه الاهلين ويرفعون مستوى قدرتهم على الانتاج

ولموظفي الحكومة المحليين كما لاصحاب الاعمال الحرة في المنطقة شأن مهم في هذه الاعمال فهم ايضاً من خريجي الجامعات ولذلك نجدهم يقومون بنصيب وافٍ من الواجبات فالطبيب يلقي المحاضرات ويمرن الامهات والبنات على طرق الاسعاف الاولي. ومهندس الزراعة يخطب عن الآفات وطرق انتخاب الاصلح من انواع المزروعات ويراقب حقول التجارب . والبيطري يمرن الاولاد على انشاء اندية لتربية الخنازير مثلاً ويدربهم على الاعتناء بها . ومهندس الجهة يشير الى احسن الطرق لبناء منازل صحية وهلمَّ جرًّا وهم يقومون بهذه الخدمات لمصلحة الجماعة ولمصلحتهم هم ايضاً لان الجماعة تكون اكثر حاجة اليهم عند ما ترتقي افهامها فتحاول ان تعيش عيشة راقية بعيدة عن الاهمال والاستسلام

هذا موجز لما تقوم بهِ الجامعات ولم تعد وحدها المهتمة بالموضوع فان المدارس الثانوية اخذت تهتم ايضاً بخدمة هذه الحركة وبعد ان كان الاساتذة بعيدين عنها اخذوا ينضمون اليها فيقضون اجازاتهم متنقلين مع زوجاتهم واولادهم في سيارات تشبه المساكن الصغيرة لالقاء المحاضرات على المزارعين كل في فنه ويساعدون التلامذة عما يحتاجون اليهم فيه. وهنالك جمعيات خيرية دخلت ميدان العمل ايضاً فأرسلت اعضاءها لتعليم الاهلين كيف يعملون هذا الشيء او ذاك والنساء منهم يلقين المحاضرات في الطبخ والتطريز وتدبير







(فوق) جلالة الملك مع رجال حاشيته ومدراء المعمل على سلم البناء الخاص بشؤون المعمل الاجتماعية
(وسط) الخلاقين الضخمة التي يخزن فيها السماد
(تحت) جلالة الملك يتجول في ارض المعمل

المنزل وحتى المصانع فانها ترسل موظفيها لتعليم الريفيين كيفية تشغيل الآلات التي يصنعونها لكي يروج سوقها . هذه لمحة تبين الاتجاه الذي يسير نحوه علم الاقتصاد الريفي ومما تسهل ملاحظته ان الجانب العملي منه اهم بكثير من الجانب النظري الذي يقتصر في الوقت الحاضر على نشرات تحوي ما امكن العثور عليه من البيانات بعد تبويبها وتنسيقها وهذه خطوة اولى يليها وضع المبادىء والقوانين

ان المقصود من نشر هذا المقال هو توجيه نظر اولي الشأن في مصر الى وجوب التفكير جديًّا في رفع مستوى الفلاح الحيوي لانهُ لسوء الحظ منحط انحطاطاً مؤلماً ومن العبث نشر فكرة التعاون في وسط خالي الذهن تماماً من معنى الحياة الراقية التي تستحق النضال من اجل الوصول اليها . ان تلامذة المدارس يقضون شهوراً طويلة بلا عمل فلمَ لا نستعين بهم على الاقل لنشر التعليم الاولي في الارياف وفي الوقت نفسهِ ندربهم على الاصلاح الاجتماعي وهم في المدرسة فنكوّن منهم نواة صالحة لامة ارقى

بدأت الجامعة الاميركية في القاهرة بشيء من هذا الجهد بواسطة تلاميذها وغيرهم ممن ينضم الى فرعها الاجتماعي ولكن جهادها يكاد لا يذكر لانهُ في مبدئه اولاً وثانياً لانها لا تجد مشجعاً لها من اصحاب الرأي والحكومة

عمر عنايت

جلالة الملك في معامل لونا

اهتمام جلالتهِ بالصناعة والزراعة

يمتاز جلالة الملك فؤاد الاول بصفات احلّتهُ اعلى مقام في نظر العالم المتمدن . فالغربيون يحترمونهُ ويجلونهُ لا بصفتهِ ملكاً ملك فحسب ولا لانهُ من نسل محمد علي فحسب بل لانهُ وعى في صدره من علم غزير وحكمة فائقة دهش لها كلُّ من اتصل بهِ او نال حظ المثول بين يديهِ

يدلك على هذا ميلهُ الشديد الى الاطلاع والتنقيب عن كلّ ما لهُ علاقة ببلاده ، زراعيًّا كان او صناعيًّا او اجتماعيًّا . وقد كان في تجولهِ في مدن اوربا لا يرضى بالاكتفاء بالزيارات الرسمية الى عواصمها ومقابلة اهل الادارة والسياسة وحضور الحفلات والمآدب بل كان يتعدى كل هذا الى غاية اخرى هي زيارة مصانعها وحقول تجاربها الزراعية مدققاً في فهم كل ما يراه منقباً عن كل مستحدث طريف مفيد . وقد تجلت لنا هذه النية الملكية السامية لما تفضّل جلالتهُ وزار حقلاً من حقول التجارب الزراعية فشاهد نوعاً جديداً من العلف فسأل عن اصله وكيفية انتخابه ولما لم يرَ الجواب سديداً التفت الى الحاضرين وقال

« لم تكن غايتي رؤية المروج فعندنا منها شيء كثير انما كانت للاطلاع على كل جديد ينفع بلادي »
وكانت عبارتهُ هذه تعرب عما يكنهُ في صدره من الحب لمصر والعناية بترقيتها

وقد كان هذا شأن جلالتهِ في زيارتهِ الى معمل لونا الذي يصنع نترات الجير الالماني. فقد شرّف جلالتهُ هذا المصنع بزيارتهِ في يوم ٢١ يونيو الماضي فقضى فيه من الساعة العاشرة صباحاً الى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر متنقلاً بالسيارة آناً ومشياً على الاقدام آناً آخر بين مختلف دوائره الصناعية والاجتماعية وكان يظهر من الاهتمام بكل ما يراه ما ادهش الرجال الذين ساروا في ركاب جلالتهِ من وطنيين واوربيين

اما الارض التي اقيم فيها مصنع لونا الآنف الذكر فطولها نحو خمسة كيلو مترات وعرضها كيلومتر والمعمل مسطحهُ نحو من ستة كيلو مترات وربع وقد اقيم فيهِ معمل للغاز يحتاج يوميًّا الى ثلاثة آلاف طن من فحم كوك

يشاهد القادم عليهِ من بعيد مداخنهُ الثلاث التي يتراوح علوّها بين ١١٠ امتار و١١٣ متراً. وفيهِ يستعمل ما يبلغ ثمانية عشرة الف لتراً بالساعة . وهذا المقدار يكفي ما تحتاج اليهِ برلين وضواحيها مع ان سكانها يربون على خمسة ملايين من الناس. ثم فيهِ مستودعات الاسمدة الهائلة وهي خلاقين ضخمة من الحديد تشغل مكاناً طولهُ ٣٤٥ متراً وعرضهُ ٥٥ متراً وتسع ربع مليون طن من الاسمدة . اما عدد عمال مصنع لونا فينيف على تسعة عشر الفاً يرأسهم مائتا كيماوي ومهندس وثلاثة آلاف من الموظفين الفنيين والتجاريين . واما انتاج هذا المصنع في العام فقد بلغ خمسمائة وخمسين الف طن من الازوت النقي الذي يعادل ثلاثة ملايين وخمسمائة الف طنٍ من نترات الجير المستعمل في مصر

فهذا المصنع الذي هو عالم في حدّ نفسهِ يرجع كل الفضل في ارتقائهِ واتساعهِ الى البحث المتواصل الذي قام بهِ عدد عديد من العلماء المختصين فلا يستغرب ان يتلو الاكتشاف فيهِ الاكتشاف ويعقب ذلك تطبيقها عمليًّا على تحسين مصنوعاتهِ وتعميم فوائدها

ان زيارة جلالة الملك الى العواصم والمصانع والمزارع في اوربا كانت بحقٍّ اعظم ما يقوم بهِ ملك من حسن الصنيع نحو امتهِ. وقد كانت الرحلة موفقة من نواحيها التي لا يتعرض المقتطف لتفصيلها لانها خارجة عن موضوع بحثهِ ولكن هذا لا يمنعهُ من التلميح اليها

فعسى ان تكون زيارة جلالتهِ الى اوربا واهتمامهِ بوسائل الرقي الصحيحة . وتمييزه للباب المدنية عن قشورها فيما عُني بهِ من الامور ، قدوة حسنة لابناءِ شعبهِ تحملهم على اقتفاءِ خطواتهِ في الطموح الى العلم والعمل على اخراج هذا الطموح من حيّز الفكر الى حيز العمل

ثابت ثابت

مكتبة المقتطف

كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (١)

نقله الى الانكليزية الدكتور فيليب حتي — وكيل الدائرة الشرقية بجامعة برنستن —
طبع بمطبعة جامعة كولومبيا بنيويورك

أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني كاتب ومؤلف مشهور ترجمهُ ابن خلكان فقال انهُ من اكابر بني منقذ اصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم لهُ تصانيف عديدة في فنون الادب ذكرهُ ابو البركات المستوفي في تاريخ اربل وأثنى عليهِ. وذكرهُ العماد الكاتب في الخريدة فقال بعد الثناء عليهِ انهُ سكن دمشق ثم نبت بهِ كما تنبو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي فيها مؤمراً مشاراً اليهِ بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزيك ثم عاد وسكن دمشق ثم رماهُ الدهر الى حصن كيف فأقام بهِ حتى ملك السلطان صلاح الدين دمشق فاستدعاه اليهِ وهو شيخ قد جاوز الثمانين . وقال العماد «وكنت أتمنى ابداً لقياهُ . . . حتى لقيتهُ في صفر سنة احدى وسبعين وخمسمائة وسألتهُ عن مولده فقال في السابع والعشرين من جمادى الآخر سنة ٤٨٨ بقلعة شيزر . وتوفي في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٨٤ بدمشق ودفن شرقي جبل قاسيون

ولأسامة كتب كثيرة احصى منها درنبورغ اثني عشر كتاباً ولهُ «ايادٍ بيضاء في النثر والشعر» على ما ذكر تلميذهُ ابن عساكر . وقد كشف الدكتور صروف منشىء هذه المجلة كتاباً آخر عنوانهُ « لباب الآداب » ووصفهُ في المقتطف في آخر سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩٠٨ والنسخة التي كشفها هي النسخة الاصلية التي كتبت المؤلف سنة ٥٧٩ للهجرة اي قبيل وفاة أسامة وقد وهبها لابنهِ وكتب ابنهُ عليها بيده يقول ان اباه وهبهُ اياها. فهي من اقدم الكتب المخطوطة المعروفة المحفوظة الى الآن . وهذه النسخة محفوظة في خزانة الدكتور صروف بمنزله بقصر الدوباره

(1) An Arab Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades. Memoirs of Usamah ibn Munqidh translated by Philip K. Hitti of Princeton University. Published by Columbia University Press.

وفي مكتبة الاسكوريال نسخة مفردة لكتاب آخر لهُ اسمهُ «كتاب الاعتبار» ترجمهُ المستشرق درنبورغ . فلما اطلع الدكتور فيليب حتّي على صفحات من هذه الترجمة عني بمراجعة نسخة فتوغرافية من الاصل العربي لما رآه في الترجمة من المئات . والنسخة الفتوغرافية التي حصل عليها ترجمها بحذافيرها على ما هو مشهور بهِ من الدقة والاطلاع ومعرفتهِ بأسرار اللغة العربية ومنامزها فجاءت ترجمتهُ كتاباً في ٢٥٣ صفحة انكليزية كبيرة وقدم لهُ مقدمة مسهبة ترجم فيها أسامة وحلل حياتهُ تحليلاً تاريخيًّا وعقليًّا بليغاً. وقد نعود الى المقدمة فننقلها الى قراء المقتطف

وهذه المذكرات كما يقول الدكتور حتي في مقدمتهِ « قطعة نادرة من الادب العربي لانها تفتح امام عيوننا باباً نطلُّ منهُ على العصور الوسطى وتوسع نطاق معرفتنا بالثقافة العربية . وعلاوة على ذلك انها قطعة من الادب غريبة في معناها ومبناها »

فنشكر للدكتور حتي خدمتهُ هذه الجليلة للآداب العربية ونتمنى لوكان في امكانهِ ان يتفق مع احدى المطابع العربية لاخراج هذا السفر النفيس مطبوعاً بلغتهِ الاصلية فتتم الخدمة وتعمّ

تاريخ التجارة السورية

في المهاجر الاميركية

بقلم سلوم مكرزل — طبع بالمطبعة التجارية السورية بنيويورك
صفحاته ١٦٦ قطع اللطائف المصورة — مزدان بصور كثيرة

من غرائب الاتفاق اننا امسكنا هذا الكتاب لنكتب عنهُ كلمة في المقتطف فطالعنا مقدمة مؤلفهِ في نشأة التجارة السورية في اميركا الشمالية ومقدمة الدكتور حتي في المهاجرة بوجهٍ عام ومهاجرة السوريين بوجه خاص . ثم عرض لنا ما اوقفنا عن المطالعة . وجئنا المكتب فلم نلبث فيهِ ساعة حتى مثل امامنا رجل اسمر اللون متوسط العمر تلوح عليهِ امارُ الذكاء والهمة وقال « انا سلوم مكرزل » فدهشنا لهذا الاتفاق لاننا لم نكن ندري انهُ في هذه الاقطار . وقضينا معهُ اياماً في القاهرة نستزيدهُ من اخبار السوريين في اميركا في مختلف ميادين العمل . فاذا محتويات كتابهِ تنضب والحقائق التي يسردها لك عن كل ما يتعلق بشؤون الجالية السورية في نيويورك وغيرها من مدن اميركا لا تنضب

والحق يقال ان سلوم افندي مكرزل قد اسدى الى المهاجرين السوريين يداً لا تنسى فقد كان اول من انشأ مجلة تجارية مالية في اللغة العربية . وكانت مجلتهُ هذه في رتبة ارقى المجلات التي من نوعها تقع فيها على المقالات الاقتصادية والبيانات المالية التي يوثق بها واخبار

التجارة السورية في انحاء المعمور . وظلت تصدر سنين حتى رأى ان يحجبها لكي يصدر مكانها مجلة انكليزية دعاها « العالم السوري » وغرضهُ منها ان تكون صلة بين النشء السوري الاميركي الجديد الذي يجهل اللغة العربية والوطن الذي نشأ فيهِ آباؤه واجداده . وقد انضمَّ اليهِ في هذا العمل المجيد اعيان الادباءِ السوريين في المهجر كالدكتور حتي وجبران خليل جبران وامين الريحاني ومخائيل نعيمة والدكتور كاتبه وغيرهم

زد على ذلك انهُ قضى ٢٩ سنة في المهجر يعالج فيها شؤون الطباعة والصحافة فكان له في ذلك فرصة سانحة للاطلاع على احوال التجار السوريين ونشوء متاجرهم وتنوعها . فعني بجمع المواد لهذا الكتاب

فصَّل في صدرهِ الادوار التي مرَّت فيها التجارة السورية من استيراد البضائع من البلاد المقدسة وبيعها ورجوع اصحابها الى الوطن بما كسبوه الى المحلات الفخمة القائمة الآن في الافنيو الخامس وقد امتدت فروعها الى ايطاليا ومدريا والصين والفيليبين واصبح اصحابها اميركيين متجنسين واولادهم اميركيّي المولد والنشأة والتهذيب . وبعد ما فصَّل هذه الادوار اختار اشهر المؤسسات التجارية في فروع التجارة المختلفة التي اشتهر بها السوريون وذكر طرفاً من سير اصحابها واتساع اعمالهم وما لهم من المكانة في بيئتهم الخاصة . وحديث هذا القسم من الكتاب هو حديث « العصامية » من كل نواحيها . فما من تاجر من هؤلاءِ التجار الذي تراه يسكن قصراً فخماً ويعمل في مكتب على أحدث طراز هاجر الى اميركا ومعهُ رأس مال يبدأ بهِ العمل الاّ عزيمتهُ وطموحهُ الى العلى . فصح فيهِ قول حافظ :

اسطولهم امل في البحر مرتحل وجيشهم عمل في البرّ مغترب

فنشكر للمؤلف هذا الكتاب النفيس ونتمنى ان يتحفنا قريباً بالجزءِ الثاني منهُ

مؤلفات الاستاذ جبر ضومط

اجتمع لدينا في شهري الصيف ثلاثة كتب نفيسة للاستاذ ضومط اثنان جديدان والآخر طبعة جديدة لكتاب مدرسي قديم مشهور فرأينا ان نشير الى كلٍّ منهما على حدة

١ — فلسفة اللغة العربية وتطورها

للعلامة الاستاذ جبر ضومط — استاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة بيروت الاميركية سابقاً — نظرات خاصة في التاريخ والعمران واللغة . وقد بسط هذه النظرات في خطب تلاها في مجامع علمية او رسائل نشرها في المجلات المشهورة . وقد اختار الآن معظم ما نشر

من هذه الخطب والرسائل في مجلتي المقتطف والهلال وطبعها في كتاب على حدة فجاء الكتاب تحفة من تحف الادب النادرة

ففيهِ تقع آناً على نظرات عمرانية حكيمة في «الدستور العثماني» او مكانة «المال» الذي دعاه «خاتم المارد وبساط الريح» او انتقاد رواية فتاة مصر. وآناً آخر تقع على مباحث طريفة في التاريخ الشرقي لم يسبَق اليها جمع فيها الى البحث العلمي والجغرافي الدقيق النظر في الكتب المنزلة واستنباط الحقائق من آياتها كما ترى في مقالتهِ التي عنوانها « ممالك قيدار وحاصور » و« الحثيون » و«اصل البط في البتراءِ و «مهد الجنس السامي »

ثم هناك طائفة ثالثة من المقالات بسط فيها الاستاذ رأيهُ في اللغة العربية : ما اخذت وما اعطت : كيف نشأت وتطورت: وما هو السبيل الذي يجب ان يسلكهُ ابناؤها ليبلغوا بها الرتبة العليا بين اللغات الحية . في هذه الرسائل صبَّ الاستاذ ضومط روحهُ وخبرتهُ التي كسبها في اثناءِ خمسين سنة قضاها في التعليم والتدريس والبحث والتنقيب . ويضيق بنا المقام لو اردنا الاستشهاد ببعض آياتها ولكننا نحيل القارىء على الفصول التالية : « اللغة العربية ما اخذت وما أعطت » « ارتقاء اللغة العربية » « اللغة العربية واللغات الاوربية »

وللكتاب مقدمة من قلم المرحوم الدكتور صروف كان قد اعدها قبيل وفاتهِ لتتلى في يوبيل الاستاذ ضومط الذي اقيم في ابريل سنة ١٩٢٨ . ومما قاله فيها « ان ما اثبتهُ صديقي الاستاذ ضومط في كتاب « الخواطر في اللغة » شبيه بما كشفهُ مندل في الوراثة . فان مباحث هذا الراهب النمسوي التي نشرها سنة ١٨٦٦ طرحت في زوايا المنسيات مع انهُ كشف بها اهم الحقائق البيولوجية الى ان كشفت ثانية سنة ١٩٠٠ . فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث . . . » الخ

والكتاب مطبوع في مطبعة المقتطف في ٢١٥ صفحة كبيرة وثمنهُ ١٥ غرشاً صاغاً

٢ — الخواطر العراب

هذا كتاب مدرسي وضعهُ الاستاذ ضومط لتدريس قواعد النحو والاعراب وقد نحا فيهِ نحواً جديداً يتفق ونزعات الفلسفة التعليمية الحديثة . لانهُ ادرك بالمرانة ان « علم النحو اذا اقتصر فيهِ على مجرَّد الحفظ من غير اشراف على فهم او تمييز كان مصيبة وايَّما مصيبة على المعلم والمتعلم معاً . اما اذا صحبهُ الفهم وبعبارة اخرى اذا اقترن بالاعراب فهو من اجلّ العلوم التي تعلم في المدارس لغاية ترويض العقل وتنبيه قوتي القياس والاستنتاج لا يفضلهُ في ذلك علم من العلوم بل هو من هذا القبيل يكاد يفضّل على الرياضيات والمنطق

والفلسفة العقلية معاً » . على ان الحفظ لا بد منهُ في النحو . وهذا امر يقره الاستاذ ضومط ويعطيهِ نصيبهُ من العناية لانهُ يدري ان التلميذ لا يستطيع ان يقرأ قراءة عربية مضبوطة الاّ اذا عرف المرفوعات وبما ترفع والمنصوبات وبما تنصب الخ

لذلك تراهُ في كل فصل من فصول الكتاب وقد اكثر من ايراد الامثلة والشواهد لكي تتجسم المبادىء النحوية في عقل التلميذ قبلما يقبل على القواعد المجرّدة يستظهرها وبذلك يرسخ في عقلهِ « ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرّف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لا مستعصية عليهِ مستبدة بهِ » . وحبذا الحال لو كان في هذا الباب متسع لنقل الكلمة التي وجهها المؤلف الى الاستاذ باسطاً فيها الغاية من وضع هذا الكتاب والاسلوب الذي جرى عليهِ في تأليفهِ لاهامن ابلغ ما صُدّرت به كتب التدريس

ومن ادلّ الدلائل على وفاءِ الكتاب بالغرض الذي وضع لهُ ان النسخة التي امامنا هي من نسخ الطبعة الثالثة . وهو مقدم الى المرحوم الدكتور جورج بوست ومطبوع بالمطبعة الادبية ببيروت ويقع في ٣٤٨ صفحة من قطع المقتطف

٣ — سفر التكوين

وهو بحث نظري فلسفي تشريحي لبيان من هو كاتب هذا السفر والغاية من كتابتهِ. جاء في مقدمة الكتاب : كان العلماء قبلاً ولا يزال كثيرون منهم الى الآن يظنون ان كاتبهُ هو موسى النبي كليم الله . على ان بعض العلماء الاعلام من المتأخرين نسبوهُ الى ثلاثة (حبذا الامر لو ذكر الاستاذ ضومط هؤلاءِ الاعلام لبيان مكانتهم وقيمة آرائهم) على ان العلامة « رستد » يظن ان الكاتب عاش في ايام آخاب ملك اسرائيل او فيما بعدهُ بقليل. ولكن الآراء المستجدة ... حملتني على درس اسفار العهد القديم ... درساً استغرق ما ينيف عن عشرين سنة قبل ان وجدت نفسي مقتنعاً بما وصلت اليهِ مما اظنهُ يستحق ان يعرض على انظار اهل العلم والفضل . وعند الاستاذ ان كاتب هذا السفر هو يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابرهيم . وغايتهُ من كتابتهِ ان يعلم مناظروهُ ومنافسوهُ في المنزلة التي حازها عند فرعون انهُ ابن بيت ليس هو دون بيت من بيوتهم ووارث رياسة كهنوت ليست في منزلتها دون رياسة لكهنوت فوطي فارع كاهن اون حميهِ » . فنأمل ان ينظر المستشرقون والمشتغلون بالمباحث التاريخية الفلسفية في هذا الكتاب نظر عناية وتقدير لان موضوعه الفلسفي ومكانة مؤلفه يقتضيان ذلك

النقد التحليلي

لكتاب « في الادب الجاهلي »

تأليف محمد احمد الغمراوي — وله مقدمة مسهبة بقلم العلامة الامير شكيب ارسلان
طبع بالمطبعة السلفية صفحاته ٣٢٥ قطع المقتطف

في الكتاب الاول الذي نشره الدكتور طه حسين في موضوع الادب الجاهلي عقد فصلاً بعنوان منهج البحث يلخص بقولهِ : يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربي وتاريخهِ ان ننسى قوميتنا وكلَّ مشخصاتها وان ننسى ديننا وكلَّ ما يتصل بهِ وان ننسى ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين . يجب ان لا نتقيد بشيءٍ الاّ مناهج البحث العلمي الصحيح . ذلك انَّا اذا لم ننسَ قوميتنا وديننا وما يتصل بهما نضطرُّ الى المحاباة وارضاء العواطف ونغلُّ عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين

وكان من شأن الكتاب الاول ان احدث في البلاد المصرية حركةَ نقد عنيفة اتصلت بمنبر البرلمان واسفرت عن جمع نسخ الكتاب من المكاتب التي يباع فيها

ومن الذين تصدّوا لنقدهِ حينئذٍ الاستاذ محمد احمد الغمراوي فنشر سلسلة من المقالات في جريدة البلاغ عرض فيها لطريقة الكتاب العلمية واسانيدهِ متوخيًّا تبيين نجاح المؤلف في التزام الجادة التي بسطها في فصل « نهج البحث » الذي اشرنا اليهِ سابقاً

ثم اعاد الدكتور طه حسين النظر في كتابهِ الاول فحذف فصولاً او بعض فصولٍ وتوسع في فصولهِ الاخرى واضاف اليهِ فصولاً جديدة . فعمد الاستاذ الغمراوي الى رسائل النقد التي كتبها في البلاغ مستبقياً منها ما يتفق وفصول الكتاب الجديد متوسعاً في بعضها حتى يشمل الفصول الجديدة . ثم جمعها كلها فكان هذا الكتاب الادبي الممتع الذي يشتمل على خواطر ومباحث في الادب تدلُّ على سعة الاطلاع واختمار الرأي وصفاء الذوق الادبي . ومما يسرنا ان المؤلف تربى تربية علمية فهو مدرس للكيمياء التحليلية ورئيس الجمعية الكيماوية المصرية . والعقل المثقف باساليب البحث العلمي يصعب عليهِ الاخلاد الى ما لا يقنعهُ بالبيّنة الثابتة او الدليل المرجح. يدلك على ذلك وصفهُ « للنظرية في العلم » صفحة ١٣٥ . وفي الكتاب استطرادات ادبية وتاريخية جليلة الفائدة كبحثهِ فيما يتعلق بالذوق والنقد الادبي ومقاييس التاريخ الادبي من صفحة (٦٠—٩٧) واسباب انتحال الشعر ص(٢١٤—٢٧٦) . و«هل شكه علمي» ١٠٠ — ١٣٢

ومما يزيد في فائدة الكتاب ومكانته المقدمة البليغة التي قدمها لهُ الامير شكيب ارسلان ففيها من فنون الادب العالي واساليب البلاغة العربية ما يجعلها اطاراً جيلاً لصورة جميلة

مختار القصص

بقلم كامل كيلاني — صفحاته ١٩٨ صفحة قطع المقتطف — طبع بمطبعة العصور
وفيه صور كثيرة : ثمنه ٥ غروش ويطلب من مكتبة الوفد

لم يكتفِ كامل كيلاني افندي بتضلعهِ من آداب العرب وتاريخها تضلعاً يحسده ويغبطهُ عليهِ كثيرون من المتأدبين . بل عمد الى الادب الحديث من غربي وشرقي يستخرج من الاول دررهُ وينسج في الثاني على منوال الاول . فاختار اشهر القصص القصيرة التي وضعها بوكاتشو وهي تصور حالة المدن الايطالية المشهورة كالبندقية وفلورنسا وغيرهما في العصور الوسطى تصويراً قصصيًا يأخذ بمجامع القلوب ويستهوي عقول القراء بما فيهِ من النكات المستملحة والحِكَم المطوية في تضاعيف الحوادث والسطور والمفاجئات الغريبة — اختار بعض هذه القصص ونسجها في برد عربي قشيب .اذ لا يخفى على قرّاء المقتطف ان اسلوب الاستاذ الكيلاني من الاساليب العربية المتينة التي يراعى فيها سهولة البيان ودقة التعبير بحيث لا يضفو الكلام على المعنى المقصود

واضاف الى هذه القصص حكايات اخرى اختارها من روايات الصور المتحركة وغيرها او وضعها حتى تلائم البيئة المصرية ونشرها في مختلف المجلات العربية جمعها في هذا الكتاب

ولقد اجاد الدكتور ابو شادي في وصفهِ في قصيدة نشرت في اول الكتاب قال :

يختار من قصص الورى مختارها   كالنحل تعشق زهرها السلسالا
فاذا اقلَّ فما تراك محيَّراً   واذا اطال فما تقول اطالا

صندوق الدنيا

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني — صفحاته ٣٢٠ قطع صغير
طبع بمطبعة الرقي بمصر

« حصاد الهشيم » « قبض الريح » « صندوق الدنيا » ثلاثة عناوين لثلاثة كتب وضعها الاستاذ عبد القادر المازني اذا استعرضتها اشجتك عناوينها بما يبدو في الفاظها ومعانيها من دعة وتواضع واحتقار للدنيا ونقمة عليها وسخرية منها

وكذلك هي في كثير من فصولها رغم مايطالعك في سطورها من حكم ، يصح ان تضرب امثالاً ، لبراعتها في جمع المعاني الكبيرة في الفاظٍ قليلة .والسرُّ في ذلك ان الاستاذ المازني يستمد مادة كتابتهِ من مادة الحياة نفسها ويطيل فيها التأمل فاذا اختمر الرأي في عقله خرج كانهُ بلورة صافية متلألئة

ومقالة « خواطر في مرقص » مثَل من اسلوبهِ في هذا النوع الذي يجدر بنا ان نحسبهُ جديداً في الادب العربي . يرى الكاتب الشيء العاديّ الذي مرَّ بهِ غيرهُ مرَّ الكرام فيلفت لنظرهُ ويستثير فكرهُ فيخرج من وصف الى تعليل الى فلسفة عقلية الى فكاهة بارعة الى شعر يروى او ينظم من غير ان يغيب عنك المشهد الذي كان سبباً في كل هذا

ومشاهد الحياة تتغير كما تتغير مشاهد صندوق الدنيا وكلما تغيرت المشاهد جاءك المازني بشيء جديد يطربك او يغيظك وفي كلا الحالين يحملك على التفكير

وقد اجاد في مقدمتهِ موازنة كتابتهِ بمشاهد صندوق الدنيا قال:

« كنت اجلس الى الصندوق وأنظر الى ما فيهِ ، فصرت أحملهُ على ظهري وأجوب بهِ الدنيا ، أجمع مناظرها وصور العيش فيها عسى ان يستوقفني نفر من اطفال الحياة الكبار فأحط الدكة وأضع الصندوق على قوائمهِ وأدعوهم أن ينظروا ويعجبوا ويتسلوا ساعة بملاليم قليلة يجودون بها على هـذا الاشعث الاغبر الذي يشبر فيافي الزمان وما له منقلب سوى آماله وهي لوافح ، أو نجم سوى ذكرى نورها خافت

« لهذا سميتهُ ﴿ صندوق الدنيا ﴾ . . .

«ولا أزال أجمع له واحشد . وما فتئ السؤال الابدى عندي مذ حملت صندوقي على ظهري : « ماذا أصوّر ؟ » هذه هي المسألة كما يقول هملت في روايتهِ الخالدة»

مطبوعات اخرى

نذكر فيما يلي المطبوعات الجديدة التي اهديت الينا شاكرين لاصحابها تفضلهم باهدائها معتذرين عن تعذّر ذكرها كلها بالتفصيل آملين ان نعود الى بعضها لنذكرهُ بما يستحقهُ في نظرنا

﴿ عقد الايجار ﴾ مجلد قانوني ضخم في ٧٠٠ صفحة من قطع المقتطف لواضعهِ الدكتور عبد الرزاق احمد السنهوري مدرس القانون المدني بكلية الحقوق وقد عنيت بنشره لجنة التأليف والترجمة والنشر وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية

﴿ الطبيب والمعمل ﴾ كتاب طبي اكلينيكي صحي وضعهُ الدكتور ابو شادي وطبعتهُ مطبعة العصور يبحث في علاقة الطبيب بالمعمل من جميع وجوهها واشترك معه في وضعه نخبة من اطباء مصر . ويحتوي على فصول لم يسبق الى نشرها عن امراض المناطق الحارة . صفحاتهُ نحو ٩٢٠ صفحة من القطع الصغير ويحتوي على نحو ٣٦٠ رسماً . راجع مقالة « الطيب والمعمل » في باب المقالات من هذا الجزء في تحليله وتقديره

﴿ مار يعقوب الرهاوي ﴾ رسالة فلسفية تاريخية بليغة في ترجمة هذا الفيلسوف السرياني الشهير الذي عاش في القرن السابع المسيحي . وضعها الاستاذ مراد فؤاد حتي رئيس تحرير مجلة الحكمة ومدير مدرسة السريان الارثوذكس الثانوية بالقدس . صفحاتها ١٨ صفحة قطع المقتطف وقد طبعت بمطبعة دير ماري مرقس للسريان بالقدس الشريف

﴿ جزيرة رودس ﴾ لقد اصبحت جزيرة رودس من المصايف التي يقصد اليها المصريون بفضل العناية التي تبذلها ايطاليا في اعداد كل ما يلزم فيها لراحة المصطافين ورفاهيتهم . لذلك نرحب بكتاب الاستاذ غزاله بك وكيل مصلحة الصحة سابقاً وعضو الجمعية الجغرافية المصرية الملكية . فقد بسط فيه جغرافية هذه الجزيرة وتاريخها وآثارها واتبعها بخلاصة تاريخية طلية عن اشهر جزائر بحر ايجه وامتع فصول الكتاب الفصل الذي بسط فيه تاريخ رودس القديم

﴿ في مسؤلية الدولة ﴾ عن اعمال السلطات العامة من الناحيتين الفقهية والقضائية . تأليف الدكتور عبد السلام ذهني بك وكيل محكمة طنطا الابتدائية الاهلية . صفحاتهُ ٤٨٤ قطع المقتطف وقد طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

﴿ النجوم الزاهرة ﴾ في ملوك مصر والقاهرة . الكتاب مشهورٌ وهو تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي وقد عني باعادة طبعهِ القسم الادبي في دار الكتب المصرية. وأهدى الينا الجزء الاول منهُ في ٤٣٢ صفحة كبيرة متقنة الطبع ككل ما تخرجهُ مطبعة دار الكتب المصرية . وثمنهُ عشرة غروش للجمهور و ٨ غروش لباعة الكتب ولمن يشتري عشر نسخ فاكثر منهُ

﴿ شخصية محمد النبي ﴾ موضوع خطبة انكليزية تقع في ٢٣ صفحة متوسطة القاها الاستاذ يوسف علي في لندن في حفلة عيد الاضحى في مايو سنة ١٩٢٩ ونشرتها دار لوزاك وشركاهم بلندن وهذا عنوانهم

Luzac & Co.
46, Great Russell Square,
London

﴿ الرسائل النادرة ﴾ عنوان تنشر تحتهُ مكتبة الخانجي بعض الرسائل الأدبية المشهورة في الأدب العربي . والرسالة التي بين ايدينا عنوانها « ادب الوزير الماوردي المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك » والماوردي من اشهر ادباء العرب وكتابهم ويكفيهِ ان يكون صاحب « ادب الدنيا والدين » حتى يقبل القراء على كتاباتهِ الاخرى . وهذه الرسالة تقع في ٥٨ صفحة متوسطة وقد طبعت بمطبعة الصور

﴿ السمير المهذّب ﴾ وهو مجموعة قصص تهذيبية وحكايات خلقية وأمثال ادبية غربية وشرقية اختارها ونظم عقدها الاستاذ علي افندي فكري الامين الاول بدار الكتب المصرية. والكتاب الذي في يدنا وهو الجزء الاول ويليه ثلاثة اجزاء اخرى

﴿ قصص روسية ﴾ لكتاب الروس القصصيين اعلى مكانة في آداب الامم الغربية. وأشهرهم من غير جدال بوشكين وتولستوي ودوستيوفسكي ومكسيم غوركي وغيرهم . فقد احسن الاستاذ سليم قبعين صاحب مجلة الاخاء صنعاً بترجمة قصتين من القصص الروسية الاولى لبوشكين والثانية لمكسيم غوركي . واتبعهما بثالثة لكاتب يدعى بيتروشفسكي . وتقع في ٩١ صفحة من القطع الصغير وقد جعلت ملحق لمجلة الاخاء

﴿ ثورة عواطف ﴾ رواية حب يعلم الادب وضعها الروائي المشهور والكاتب الاجتماعي المتفوق الاستاذ نقولا افندي حداد محرر مجلة « السيدات والرجال » صفحاتها ١٤٥ صفحة قطع المقتطف

﴿ آثار جرش ﴾ رسالة اثرية تاريخية وضعها الدكتور الاثري ح . و . كرافون رئيس مدرسة الآثار البريطانية في القدس وترجمها سيف الدين افندي البرغوثي خريج الكلية الانكليزية القدسية . وحبذا لو بذلت العناية في طبع رسالة نفيسة كهذه لتخرج متقنة متناً وصوراً لانها تستحق ذلك

﴿ في سبيل الاتحاد ﴾ عنوان لمحاضرات القاها حضرة الاب الياس اندراوس البولسي في اسبوع الاتحاد المقام في كاتدرائية الروم الكاثوليك في مصر القاهرة في سنة ١٩٢٧ فوضوع المحاضرتين الاولى والثانية : «ضرورة الاتحاد» وموضوع الثالثة والرابعة والخامسة : « هل الاتحاد ممكن» وموضوع السادسة والسابعة : « وسائل الاتحاد » وختمت المحاضرات بخطاب نفيس لسيادة المطران انطونيوس فرج عنوانهُ « تحريض على الاتحاد » وليس في هذه المحاضرات مباحث او مجادلات لاهوتية في العقائد التي اختلف المسيحيون عليها لان وقتها لم يحن بعد وانما اقتصر في تمهيد السبيل للوحدة الدينية ببث روح المحبة والالفة بين المسيحيين وهو هدية من مجلة المسرة الى مشتركيها

﴿ نداء سوريا ﴾ مجموعة نفيسة من القصائد والازجال الوطنية بقلم الشاعر والزجال المشهور ابو الوفا محمود رمزي نظيم . وقد عني بنشرها الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة. صفحاتها ٣٢ قطع المقتطف

« الاجتماعيات » مجموعة مقالات وابحاث وحكم بقلم الاستاذ كامل افندي صموئيل مسيحة وكانت قد نشرت تباعاً في جريدة قارون بالفيوم فرأى حضرة المؤلف ان يجمعها الآن في كتاب يقع في ٥٦ صفحة في حجم المقتطف

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) صنع المرايا

بتسبرج بنسلفانيا . ما هو تركيب المزيج المستعمل لتحويل الزجاج الى مرايا

ج . كانت المرايا تصنع ببسط ملغم (خليط) من الزئبق والقصدير على لوح الزجاج. وسنة ١٨٤٠ اشار بعضهم بترسيب الفضة من املاحها بدل ملغم القصدير وكانت ترسب اولاً بواسطة الحامض الطرطريك. ومن الطرق المستعملة لذلك ان يذاب ١٢ قمحة من طرطرات الصودا والبوتاسا (ملح روشل) في ١٢ اوقية من الماء ويغلى المذوّب ويضاف اليهِ وهو يغلى ١٦ قمحة من نترات الفضة مذابة في اوقية من الماء النقي . ويستمر الاغلاء عشر دقائق ثم يضاف الى المزيج ماء حتى يصير ١٢ اوقية

ويصنع مذوّب آخر باذابة اوقية من نترات الفضة في عشر اواقٍ من الماء ويضاف اليهِ من ماء الامونيا حتى يذوب اكثر الراسب الاسمر . ثم يضاف الى ذلك اوقية من الالكحول وما يكفي من الماء لجعل المزيج ١٢ اوقية

وحينما يراد عمل المرايا تؤخذ مقادير متساوية من المذوّب الاول والثاني ويمزجان معاً جيداً ويبسط لوح الزجاج على مائدة افقية وينظف جيداً بالصودا ويغسل بالماء النقي ويصب المزيج عليهِ وهو لا يزال رطباً فترسب الفضة منهُ على لوح الزجاج ويسرع رسوبها اذا كان الهواء حارًّا او كان تحت اللوح رمل حار . ويغسل لوح الزجاج بعد ذلك ويصب عليهِ فرنيش يقي الفضة من الاحتكاك

ولا بدّ من استعمال الماء المقطر في كل ما تقدم . كذلك لا غنى عن مزاولة هذه الصناعة في معمل من معامل المرايا قبل اتقانها اتقاناً عمليًّا

(٢) ارخميدس والتاج

الموصل . جاء في الكتب التاريخية والطبيعية ان هيرو السيراقوسي كلف ارخميدس العالم الصقلي فحص تاج لمعرفة تركيبه : هل هو مصوغ من الذهب الخالص او مخلوط بالفضة وان ارخميدس دخل الحمام ذات يوم ولما غطس في المغطس رأى الماء قد خرج منهُ فأرشدهُ ذلك الى حل المسألة. والمشهور ان هذه الحادثة هدت ارخميدس الى الكشف عن قانونهِ المشهور الذي يفيد ان كل جسم غمر في الماء يفقد من وزنه مقدار وزن الماء الذي حل محله . فكيف ارشدت هذه الحادثة ارخميدس الى حل مسألة التاج

ج . لا بدَّ ان الصائغ جعل وزن التاج كوزن الذهب الذي اعطاهُ اياهُ الملك وقد كان ارخميدس يعلم كما يعلم كل احد ان الذهب اثقل من الفضة . اي ان العقدة المكعبة من الذهب اثقل من العقدة المكعبة من الفضة وأثقل ايضاً من العقدة المكعبة من مزيج من الذهب والفضة

ولو كان التاج جسماً منتظماً يسهل قياس مساحته المكعبة لامكن الاستدلال من ثقلهِ ومساحتهِ على ما فيهِ من الذهب والفضة . لانهُ اذا كانت مساحتهُ مثلاً خمس عقد مكعبة فيجب ان يوازي خمس عقد مكعبة من الذهب واذا كان اخف منها فيجب ان يكون الذهب قد مزج بمعدن اخف منهُ . ولكن التاج غير منتظم فلا تعلم مساحتهُ بالتحقيق . فلما غطس ارخميدس في المغطس وارتفع الماء منهُ انتبه الى ان الماء الذي دفق من المغطس يعادل حجم الجسم الذي غطس فيهِ . فسهلت عليهِ معرفة حجم التاج وبالتالي وزنهُ ذهباً صرفاً او فضة صرفاً . فصارت المسألة هكذا . ان وزن التاج الف غرام مثلاً فلو كان من الذهب الخالص لرفع الماء في الاناء ٥٢ سنتمتراً مكعباً اذا غطّس فيهِ . ولو كان من الفضة الخالصة لرفع الماء ٧٧ سنتمتراً مكعباً . ولكنهُ رفعهُ مقداراً متوسطاً ولنفرض انهُ ٦٥ سنتمتراً فليس هو ذهباً خالصاً ولا فضة خالصة. بل هو مزيج منهما . وبالحساب يعرف اي وزن من الذهب واي وزن من الفضة اذا مزجا يكون ثقلها الف غرام وحجمها ٦٥ سنتمتراً مكعباً

(٣) اسنان الغنم الذهبية

كليفلند اوهايو . بلغني ان اسنان الغنم تكون احياناً مكسوّة بطلاء ذهبي وقد فتّش كثيرون عن العشبة التي تحوّل سطح الاسنان الى مادة ذهبية او يرسب منها مادة ذهبية فلم يجدوها . فهل ذلك صحيح وما هو النبات الذي يتولد منهُ الذهب على الاسنان

ج: ان ذلك صحيح وقد شاهدنا الاسنان الذهبية في الغنم ولكن الطلاء الذهبي الذي عليها ليس ذهباً ولا نحاساً بل هو فصفات الكلس ممزوج بمادة آلية . اي انهُ مادة

ترابية تلمع كالذهب والظاهر انهُ يتكوَّن في البلدان التي مياهها قلوية فتكثر المادة الرمادية في نباتها . وطالما خدعت هذه الاسنان الناس فظنوا انها تدل على نبات يتولد الذهب منهُ

(٤) شفاء الحول

ومنهُ . هل يمكن ارجاع العين الحولاء الى اصلها بعملية جراحية

ج : طبيب العيون الماهر الذي مارس جراحة العين وبرع بها يستطيع ان يزيل الحوَل بعملية جراحية . ولكن ليس كل انواع الحول تصلح بعملية جراحية او تقتضيها

(٥) السيارات السبعة

البصرة . قال القدماء ان السيارات سبعة وقد جمعها بعضهم بقولهِ

تلك الدراري زحل فالمشتري وبعدها مريخها في الاثر
شمس فزهرة عطارد قمرْ وكلها سائرة على اثر

فهل يوافق علماء الهيئة الحديثون على ذلك

ج : كلاً فان القدماء الذين قال الشاعر قولهم حسبوا ان الارض ثابتة والشمس والقمر وعطارد والزهرة والمشتري وزحل غيوم سيارة تدور حولها . أما المتأخرون فقد وجدوا ان الشمس ثابتة بالنسبة الى سياراتها وان الارض من جملة السيارات التي تدور حولها والقمر تابع للارض يدور حولها . واكتشفوا سيارين كبيرين وراء زحل وهما اورانوس ونبتون فصارت هذه السيارات تسعة عدا النجيمات الكثيرة التي تدور في فلك متوسط بين الارض والمريخ

هذا وقد تغير علم الهيئة تغيراً عظيماً في المائة السنة الاخيرة بفعل التلسكوبات العظيمة التي صنعت واكتشاف الحلل الطيفي واستعمال التصوير الفوتوغرافي وغير ذلك من الوسائل العلمية

(٦) الشعر في وجه المرأة والرجل

بغداد . لماذا ينبت الشعر في وجه الرجل ولا ينبت في وجه المرأة ولماذا لا ينبت في وجوه الخصيان . وما علاقتهُ بسن البلوغ

ج . اذا صحَّ رأي دارون وهو ان النساء نتفن الشعر من ابدانهن للزينة اي تحبباً للرجال لم يبعد ان تنشأ من ذلك علاقة بين الشعر والبلوغ وقد تصبح الصفة المكتسبة — ازالة الشعر — وراثية على مرّ الاجيال لانها مفيدة للنوع — اي للنساء — ولا تزال كل المسائل المتعلقة بالشعر على جانب كبير من الغموض

باب الاخبار العلمية

التليفون اللاسلكي في القطار والبواخر

من احدث الكماليات في السفر ان يستطيع المرء في كندا التحادث بالتليفون اللاسلكي من القطارات السريعة الى المدن القصية . وقد تحقق ذاك العمل من زمن قريب على خطوط سكة حديد كندا الوطنية والواقع ان هـذا الاختراع في حد ذاته تحسين ممتاز لجهاز الحادثة من جهة واحدة الذي اخترع في المانيا اولاً ثم استخدم في بلادها زمناً ما .فاذا ثبتت فيما بعد صلاحية هذا الجهاز في الخدمة العامة ، اتيح لركاب القطارات في اي مكان محادثة اصدقائهم من مركبات القطار الذي يقلهم وتلقي الردود بسهولة كما هي الحال في المحادثات التليفونية من نقطة الى اخرى في الاماكن الثابتة

وقد اعرب المهندسون ان الاتقان المنتظر في هذا الاختراع سيفضي الى المحادثة من قطار سائر الى قطار مثله وتفصيل التجربة التي حدثت في كندا كما يأتي :—

ان الصوت الصادر من آلة التليفون المركبة في القطار السائر يجتاز عموداً منصوباً على ظهر مركبة القطار ثم « يثب » من ذلك العمود اما الى اسلاك التلغراف واما الى اسلاك التليفون العادية الممتدة بجانب الخط الحديدي السائر عليه القطار نفسهُ ومن ثم يصل الصوت الى احدى محطات الاستقبال حيث توجد المواصلات المباشرة التي توصل الصوت الوارد الى آلة التليفون بمكتب الشخص المقصود بواسطة اسلاك التليفون العادية .والواقع ان الاسلاك الممتدة بموازاة السكة الحديدية قد تكون مشغولة وقتئذٍ بنقل رسائل تلغرافية ولكن هذا لا يؤثر مطلقاً في مقدرتها على نقل الرسائل التليفونية في الوقت ذاتهِ كما انهُ لا يحدث اي تعطيل في نقل الاشارات التلغرافية وهناك ميزة اخرى وهي ان الاسلاك الثلاثة التي تنقل التيارات الكهربائية القوية الى محطة الاستقبال تقاطع بعضها بعضاً هناك ولكنها لا تتصادم تصادماً شديداً

وكذلك ركاب البواخر التي تشق عباب المحيطات سيتسنى لهم في القريب العاجل وهم في عرض اليم محادثة عائلاتهم في بيوتهم وزملائهم بمحال اعمالهم على البر . وقد تم تركيب جهاز للتليفون اللاسلكي في الباخرة (ليفياثان) احدى بواخر خط الملاحة الاميركية وجرب في نقل الحديث من

الباخرة الى البر فتجيء . ونجم عن ذلك ان وعد موظفو شركة التليفون والتلغراف الاميركية بانشاء دائرة تليفون بحري رسمية وسيكون جهاز التراسل الجديد فيها مؤلفاً من الراديو والتليفون مندمجين ، فتقوم آلة تليفون لاسلكي بنقل الاخبار عن ظهر الباخرة وهي في عرض البحر الى اقرب محطة على البر حيث تتولى تلك المحطة ارسالها الى الاماكن المرغوبة بواسطة الاسلاك التليفونية

زد على ذلك ان قد جربت في السفينة الفرنسية (إيل دفرانس) طريقة جديدة لارسال تحيات ركابها الى عائلاتهم واصدقائهم كما تصدر من شفاههم بالضبط وذلك بواسطة اسطوانات الفونوغراف التي يملؤها المسافرون انفسهم وهي اساطين قطر الواحدة منها سبع بوصات ومدة دورانها دقيقتان وتلتقط نحو ٣٠٠ كلمة . ويتسنى نقلها الى البر وتركيبها على اي فونوغراف في وطن المسافر ولا تستهدف للتلف لانها تنقل في البريد مغلفة باسطوانات معدنية صنعت لاجلها خاصة

البحر الميت وكنوزه

لا يحتاج المستحم من الاحداث في البحر الميت الى اية اداة من ادوات الوقاية من الغرق لان ماء ذلك البحر العجيب (الذي تحيط بهِ الارض من كل جهة ويصب فيهِ نهر الاردن) يحتوي على كثير من الاملاح الذائبة . حتى ان من يسبح فيهِ يرى نفسهُ طافياً على الماء كانهُ كيس منفوخ بالهواء . والواقع انهُ من الصعب على الاطلاق الغطس في الماء غطساً كافياً لان ماءهُ يشتمل على نحو ٢٤ في المائة من الاملاح المختلفة . ويسمى هذا البحر علميًّا « بحيرة الاسفلت » وهو واقع في وادٍ عميق بفلسطين وطولهُ ٤٦ ميلا وعرضهُ يتراوح بين ٨ اميال و١٠ اميال ولما كان ذلك البحر تحدق بهِ الجبال ، فانهُ يمتاز ميزة غريبة وهي كون الجداول تصب فيهِ من الشرق والغرب والجنوب ، ونهر الاردن المشهور جدًّا في الكتاب المقدس يصبُّ فيهِ ايضاً من الشمال . وليس للبحر الميت منفذ . ومن المحال أن يتفرع منهُ أي نهر . وهذا امر بديهي ، لانهُ منخفض عن سطح البحر الابيض المتوسط نحو ١٣٠٠ قدم ويبعد عنهُ نحو ٥٠ ميلا واقصى عمقهُ ١٣٠٠ قدم

وسبب تسميتهِ بالبحر الميت ، انهُ محوط من كل جهة باراض جدباء ولا تعيش فيهِ الاَّ قلائل من المخلوقات المائية لشدة ملوحة مائه. ومن الاقوال المأثورة بشأنهِ انهُ واقع فوق اطلال مدينتي سدوم وعمورة المذكورتين بسفر التكوين من التوراة .وهما تانك المدينتان اللتان دمرهما

الله تعالى لتفاقم شرور سكانهما — ولكن العلماء يستبعدون ذلك القول

وفي البحر الميت ثروة معدنية وكياوية لا تقدر بمال . وقد كشفت عنها جماعة من الكياويين البريطانيين الذين نالوا حديثاً امتياز استغلال تلك الدقائق الثمينة من حكومة فلسطين . وقد قدرت محتوياتهُ (البحر) من البوتاسا النقية واملاح البروم والجبس وكلورور المغنيزيوم وغيرها من الفلزات المفيدة للزراعة والصناعة ، بما يعادل ثلاثة امثال دين الحكومة البريطانية للولايات المتحدة في الحرب الكبرى

ومما يروى في هذا الصدد ان الدكتور جورج كلود العلامة الفرنسي المشهور ابلغ حكومتهُ بان البحر الميت ، علاوة على ثروته الكياوية ، يحتوي على ذهب يقوَّم بخمسين بليوناً من الريالات . وان ثلث هذا الذهب الابريز ، كما يعتقد الدكتور كلود ، سيستنبط بالوسائل العلمية الجديدة في خلال ١٥ سنة تقريباً

هراوة للشرطة تنير الطرق

اخترعت في الولايات المتحدة باميركا هراوى للشرطة تستعمل ليلاً فتقوم مقام العصي والمصابيح الكهربائية في آن واحد. فتراها هراوة ، في احد طرفيها ، ومصباحاً كهربائيًّا ، في الطرف الآخر، ينير لضابط البوليس طريقه في الازقة المظلمة . وهي مصنوعة من انبوب فولاذي ينتهي بخيوط معدنية في طرف المقبض يركب فيها مصباح كهربائي صغير بلولب« قلاووز ».ويقول المخترع انهذا الجهاز يتيح لضابط الشرطة حين يؤدي مهمته ليلاً ان يلقي شعاعاً من النور توًّا بغير انتظار جذب المصباح الكهربائي من جيبهِ . وفي الوقت نفسه يجعلهُ يحتفظ بالهراوة في يدهِ معدة للاستعمال. وهذه الهراوة المضيئة تدسُّ تحت ذراع مستعملها بحيث لا تتقيد بها اليدان فيتسنى لحاملها . القبض بيديهِ على كراستهِ الصغيرة التي يدون فيها ملاحظاتهِ،وتوجيه نور مصباح الهراوة نحو الكراسة حين الكتابة . والبطارية التي ينبعث منها نور الهراوة تودع في مقبضها . واذا اريد اطفاؤها نزعت زجاجتها البصلية الشكل

الزئبق مصدر رخيص للقوة

يتوقع العلماء عاجلاً جعل الزئبق مصدراً من مصادر القوة فيسيرون بهِ القاطرات والبواخر كما هم يملئون بهِ مقاييس الحرارة . وقد اتيح فعلاً للمهندسين في احدى الشركات الخاصة بتوليد القوة الكهربائية بولاية من الولايات الواقعة في شرق جمهورية الولايات المتحدة الاميركية استخدام ذاك السائل المعدني في مراجل الآلات البخارية حيث جعلوه يولد قوة ١٣٠٠٠ حصان من الكهرباء

ومرجل الزئبق يولد ضغطاً كهربائياً شديداً يفوق قوة الآلة البخارية اذا قيس بها ، ولذا يرجح العلماء ان الزئبق سيحدث انقلاباً في الوسائل الحالية المولدة للقوة

هذا ما يراه المستر (الفريد دوفلين) مدير الدائرة الهندسية في مدينة نيويورك بأميركا في تقرير قدّمهُ الى ولاة الامر من وقت قريب يدور على الوجهة التجارية العملية الخاصة بتوليد الكهرباء بالتربين الزئبقي كما ظهر لشركة النور الكهربائي بمدينة هارتفرد في ولاية كونكتيكوت باميركا . فقد حذت تلك الشركة في الانتفاع بالزئبق حذو الذين يستعملون التربين البخاري المألوف فجعلت تستخدم بخار الزئبق بدلاً من بخار الماء لتدوير مقاذيف التربين الدوارة فاسفرت التجربة عن توفير كبير في الوقود واقتصاد في النفقات

وكل من رأى ذلك التربين (البخاري المجرد من البخار) في عمارة شركة هارتفورد بجهة (سوث مدو) حيث تولد القوة الكهربائية ، خالهُ مرجلاً من المراجل العادية التي تولد البخار للتربين ولكن يختلف عنهُ كل الاختلاف بحيث تجد داخل الغلاف المغلف له اسطوانة تربين تدور ، دورة كل ثانية ومع ذلك قلما تحدث صوتاً او رجة . واذا ما دنا منها امرؤ لا يكاد يفطن لدورانها . وبواسطة المقاذيف الدوارة التي في التربين يسري بخار الزئبق (وهو كضباب سام يسخن لدرجة ٨٨٤ فرنهيت من المراجل التي تستعمل بالفحم الحجري المسحوق الذي يوضع تحتها على الارض) حيث يدير التربين

ويوجد خلف التربين والمولد الكهربائي المتصل فنطاس كبير اسطواني الشكل وهو كناية عن مكثف « جهاز لتكثيف الابخرة والغازات » يسترد الزئبق بعد ان يدوّر التربين . وفي هذه تكون وظيفة ذلك المعدن النفيس لم تنته بعد لانهُ يستنفد الباقي من حرارتهِ في تحويل الماء الى بخار ثم ما يبقى فيهِ بعد ذلك من القوة الكامنة فيهِ يكفي لتدوير تربين بخاري عادي وبتلك الاعمال كلها تتجلى مزايا التربين الزئبقي . لان بخار الزئبق اشد سخونة من بخار الماء العادي فيمكن استخدام قوته مراراً متعاقبة قبل ان يبرد برودة تامة تبطل عمله

وفي معهد (سوث مدو) المتقدم ذكره يقدر المهندسون الوفر الذي سيحدث في الوقود بهذه الوسيلة بمبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه في السنة . والفضل في اختراع الآلة البخارية الزئبقية يرجع الى المستر (ويليام لى روي إيمت) مهندس المباحث في شركة الكهرباء العامة في الولايات المتحدة ، ذاك الذي اقترح في سنة ١٩١٤ ان الزئبق يتسق استخدامهُ في تدوير طارة التربين ثم ما لبث ان انشأ آلة للتجربة في معهد الشركة بجهة شينكتادي وفي سنة ١٩٢٣ انشىء

اولد معهد لتوليد قوة بخار الزئبق في العالم وذلك في نقطة (دتش پيونت) التابعة لشركة هارتفورد للنور الكهربائي

وكان ذلك الجهاز جهازاً اختياريًّا تقل قوتهُ عن ٥٠٠٠ حصان ويولد نصف قوتهِ تقريباً من تربين زئبقي ذي طارة واحدة والباقي من المحصول البخاري الاضافي المستعمل في التربين البخاري

ثم قامت طائفة من المهندسين بالتجارب الخاصة بالوفر الذي ينتج من ذلك الجهاز الغريب المولد للقوة وكان في اثناء ذلك المستر إِمِتْ يقوم بتجاربهِ الخاصة في شركة الكهرباءِ العامة ، مستخدماً في ذلك طرزاً محسَّناً من التربين الذي اخترعهُ . وكان القليلون من العلماءِ مهتمين باختراعهِ فقالوا حينئذٍ « انهُ اذا نجح جهازهُ هذا فقد لا يجد في العالم من الزئبق ما يكفي لتدوير تربيناته »

وكان خير جواب عن ذلك ان شركة هارتفورد طلبت صنع تربين كبير من تربينات الزئبق من قوة ١٣٠٠٠ حصان للخدمة التجارية لا غير في محطها بمدينة (سوث مدو) فتم صنعهُ في شهر نوفمبر من العام الماضي ونصب في تلك الجهة فقام بالعمل قياماً متواصلاً حتى عطل من عهد قريب قصد احداث بعض تحسينات هندسية فيهِ

ويحتاج الجهاز المشار اليهِ الى زهاء ٧٠ طنًّا من الزئبق لتدويره اي اكثر من الف جالون . ولما كان السعر الحالي للزئبق في امريكا نحو ٤٠ جنيهاً للجالون الواحد كان ما تحتويه أنابيب المرجل وحدها ثروة طائلة من المعدن السائل فاذا ثُـقب انبوب واحد منها ضاع هدراً من الزئبق ما يقوَّم بمبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه. ولهذا السبب يقوم ارباب المصانع (محافظة على ذلك السائل النفيس) بلحم انابيبهِ بالكهرباءِ لكيلا تنفك بعضها من بعض بالاستعمال (بدلا من وصلها بالطرق المألوفة) وحتى لا تفلت منها أبخرة الزئبق السامة

وللآن لم يجرب تربين الزئبق الَّا في محطات توليد القوة الكهربائية . بيد أن المخترع لا يرى مانعاً من استخدامهِ أيضاً في الآلات البخارية والبواخر

رقيب كيماوي لتطهير مياه الشرب

اخترع احد علماء سويسرا جهازاً كيماويًّا يعمل من تلقاء نفسهِ عملاً متواصلاً في تنظيم تنقية مياه الشرب بغاز الكلور . ولما كان ذلك الجهاز مصنوعاً على نمط الآلات التي شاع استعمالها في ايامنا هذه إذ تقوم مقام العمال البشريين فيما كانوا يؤدونهُ من الاعمال المختلفة ، اطلق عليهِ اسم الكيماوي الاوتوماتيكي كما سميت الآلات المشار اليها الخدم الصناعيين . ويقوم الجهاز بوظيفتهِ آناء الليل واطراف النهار حيث يرقب عن كثب نقاء الماء في كل هنيهة ويدوّن ذلك في

سجل خاص من تلقاء نفسهِ . وقد تتجلى فوائده بالاخص في المدن الصغيرة حيث يعنى ذوو الشأن بتحليل مياه الشرب في فترات متباعدة بعضها عن بعض وحيث يحتمل تفشي أحد الامراض المعدية في ساعة واحدة من ينبوع ماء ملوث بالجراثيم دون ان يفطن له احد

ويجدر بنا ان نزيد القارىء بياناً بشأن الكلور فنقول : — الكلور عدو ازرق ذميم للانسان كما هو صديق له حميم . وهو في حال نقائهِ غاز ذو لون ضارب الى الخضرة وهو بطبيعتهِ شديد التأثير ، سام ، ولذلك استخدمتهُ الدول المتحاربة في معارك الحرب الكونية لفتك الجيوش بعضها ببعض، تلك الجيوش الجرارة التي سيقت ايامئذ الى ميادين الوغى المختلفة . ولما كان هذا الغاز يتحد بمعدن الصوديوم «النطرون» فانهُ يكوّن مادة من اكثر المواد ضرورة في الغذاء ونعني بها ملح الطعام اي كلوريد الصوديوم . وفضلا عما يحدثهُ هذا الغاز من الضرر بالمتقاتلين فانهُ يساعد الحياة مساعدة جوهرية كما قلناه وله فوائد كثيرة تجعله في مصاف افيد المواد الكيماوية ومنها ان الصنف النقي منهُ ذاك الذي يصير سائلا بالضغط فيتسنى نقله بالبواخر مودعاً في القناطيس وقد تمزج منهُ مقادير ضئيلة بالماء الغير الذي يشربهُ سكان المدن ليقتل ما قد يوجد فيهِ من جراثيم كما اوضحنا قبلاً .

وكثيراً ما يستعمل كمادة لتبييض القماش على شكل كلوريد الجير وفي غير ذلك من وجوه الاستعمال . وقد استعمل لتطهير مياه مدينة نيويورك في المستودع المسمى بخزان كروتون الذي يسع ٣٠ بليوناً من الجالونات . وذلك الخزان قائم على بعد ٣٠ ميلا من مدينة نيويورك ويخزن فيهِ ماء يكفي لسكان تلك المدينة التي هي اكبر مدن العالم بأسره مدة تزيد على شهر — ولكن كل يوم قبل ان يتم توزيع ذلك الماء على الملايين من شاربيه تمزج بهِ مقادير كبيرة من ذلك الغاز لاجل قتل الحييوينات والمكروبات الدقيقة التي تسبب الامراض . وطريقة تطهير الماء بذلك الغاز ان ينتقل الى الخزان بجهاز من الانابيب فيتدفق في الماء فيبيد ما يحتويه من الجراثيم . ومن المفروض على العمال المشرفين على العمل وقاية انفسهم من ذلك الغاز الخبيث بكمامات يلبسونها حينما يجولون حول تلك الانابيب والا اصابهم ما كان يصيب الالوف من الجنود في خلال الحرب العالمية الاخيرة واذا أجنت المياه المدخرة في تلك الخزانات او خبثت رائحتها من نباتات معينة تنمو فيها وتحدث ذلك التغير في طعمها ، فهذه لا تعالج بغاز الكلور بل بكبريتات النحاس ولذلك تصب هذه المادة على المياه عند اندفاعها في الانابيب لان كبريتات النحاس تبيد تلك النباتات الدقيقة فينتقى الماء الذي يشربهُ الاهالي من حنفيات دورهم بتلك

الوسيلة نقاء تامًا . وان القارئ ليدرك نتيجة ترك الماء الراكد في زجاجة مسدودة عدة ايام فهذه تشبه ما يحدث في الماء المخزون ولذلك ترى ذوي الشأن يقذفون بالماء من الفسقيات الكبيرة الى الهواء ويمالجونهُ بالاكسجين كي يجدده وفي خزان كرتون ١٨٠٠ جهاز للتهوئة من ذلك النوع تساعد على جعل الماء قراتاً كانهُ نابع من عين معيونة

بارجتان غريبتا الشكل

لنقل الطيارات الحربية

افادت الانباء الاخيرة الواردة من اليابان أنهُ قد الحق بالبحرية اليابانية مدرعتان جديدتان غريبتا الشكل لكل منهما مداخن ضخمة ملتوية الى الاسفل نحو الماء كانها خراطيم الافيال. وهما احدث البوارج المخصصة لنقل الطيارات . واسم احداهما (كاجي) والاخرى (أكاجي) وقد حلت باختراعهما معضلة استعصى حلها على الخبراء احقاباً طويلة . ونعني بها منع الدخان والابخرة التي تتصاعد من القاطرات من السقوط على الافريز الخاص بنزول الطيارات على ظهر المدرعة العلوي .وذلك باستعمال الخراطيم المعقوفة بدلاً من المداخن المستقيمة

وتمتد تلك المداخن الغريبة الشكل على كل من جانبي البارجة (كاجي) الى ما يقرب من نصف طولها ثم تنعطف نحو الخارج بقرب مؤخر المدرعة كي تقذف بعيداً سحباً سوداء من الدخان الذي يزيد كثافة حجب الدخان الفصفوري التي تطلق حولها لاخفائها في زمن الحرب . ويمتاز المدرعة أكاجي بكون مدخنتيها ممتدتين عن يمينها وان احداهما منحنية نحو الخارج ثم الى الاسفل اما الاخرى فمعتدلة

وعند ما يندفع الدخان من المدخنة المستقيمة يحتم على البارجة التي تقل الطيارات القيام بالحركات الحربية « المناورات » لتتمكن من جعل الريح تحمل سحب الدخان بعيداً عن ظهرها والاَّ تعذر على قواد الطيارات الحربية مشاهدة الظهر الذي ينزلون عليهِ

وبناءً على ذلك كانت المداخن المتقدم وصفها معواناً لاحدث نوع من البوارج المقلة للطيارات حتى تسرع في سيرها الى الامام غير مكترثة لاتجاه الريح

وقوة المدرعة كاجي ٩١٠٠٠ حصان وفي وسعها نقل ٦٠ طيارة حربية بسرعة تزيد على ٢٥ ميلاً في الساعة . اما البارجة اكاجي فاطول منها قليلاً واضيق وتستعمل مدخنتها المستقيمة في حال سيرها العادي ومدخنتها الخرطومية الشكل في حالة طيران الطيارات التي تطلقها

ادوات الجراحة منذ الفي سنة

استخدم الجراحون منذ الفي عام آلات تشبه في اشكالها الآلات الحديثة . وقد استدل على هذه الحقيقة بالمسابر والكلابات التي اميط عنها اللثام في مدينتي بومبي الدفينة في ايطاليا ، وهي الادوات التي عرضت حديثاً في لندن . واذا قابلنا العدد الكبير من المسابر في تلك المجموعة بسائر الآلات اتضح لنا ان الشق كان ركناً ركيناً في فن الجراحة قبل سنة ٧٩ للميلاد حينما خسف بركان فيزوف تلك المدينة الايطالية القديمة

ومع ان اشكال الآلات القديمة في بعض الاحوال تكاد تشبه اشكال الآلات الجراحية الحديثة الاَّ انها مصنوعة من فولاذ اقل مرونة كما أن خلو المجموعة الآنفة الذكر من المناشير دليل على أن عمليات البتر لم يكن يقدم عليها جراحو ذلك العهد الاَّ في النادر . ويعزى معظم سبب ذلك الى جهلهم وقتئذٍ بالدورة الدموية

والمعروف أن الجراحة مورست من قبل ذلك التاريخ بدليل ان الاسكندر الاكبر لما غزا الاقاليم الواقعة في شرق بحر الروم في سنة ٣٠٠ قبل الميلاد ، شاهد أهاليها يباشرونها ببراعة رائعة كما هو ثابت ايضاً ان قدماء المصريين حذقوا الجراحة قبل ميلاد السيد المسيح بزمن يتراوح بين ٥٠٠٠ عام و٦٠٠٠ عام

رصد عطارد

كان السيار عطارد كوكب مساء في مايو الماضي وكان على ابعد بعد من الشمس في اواسط الشهر والمسافة بينهما ٢٢ درجة من القوس وظلَّ يغيب نحو ساعتين بعد غروب الشمس بضعة ايام هذه مسألة خطيرة في نظر علماء الفلك لان قرب عطارد من الشمس وملازمته لها يجعل رصده متعذراً

كثرة الرجم والنيازك

يذهب الدكتور هنري نورس رسل احد اساتيذ علم الفلك في جامعة برنستن الى ان الف مليون نيزك تصيب الارض كلَّ يوم ولكن اكثرها صغير جدًّا لا يزيد وزن النيزك منها على جزء من ٤٥٠ الف جزء من الرطل الانكليزي. ويذهب كذلك الى ان رجماً وزنها ستون طنًّا تقع على الشمس كلَّ ثانية من الزمان . فكأنَّنا ندور في فضاء يعجُّ بهذه الاجرام

زورق كبير للنجاة لا يغرق

عرض في انكلترا مؤخراً زورق لنجاة ركاب البواخر من الغرق عند انكسارها مؤلف من ثماني حجر لا يستطيع الماء تخللها ويسع ١٥٠ شخصاً . وقد جرب عند سواحل انكلترا فاسفرت التجربة عن النجاح

الجزء الثالث من المجلد الخامس والسبعين

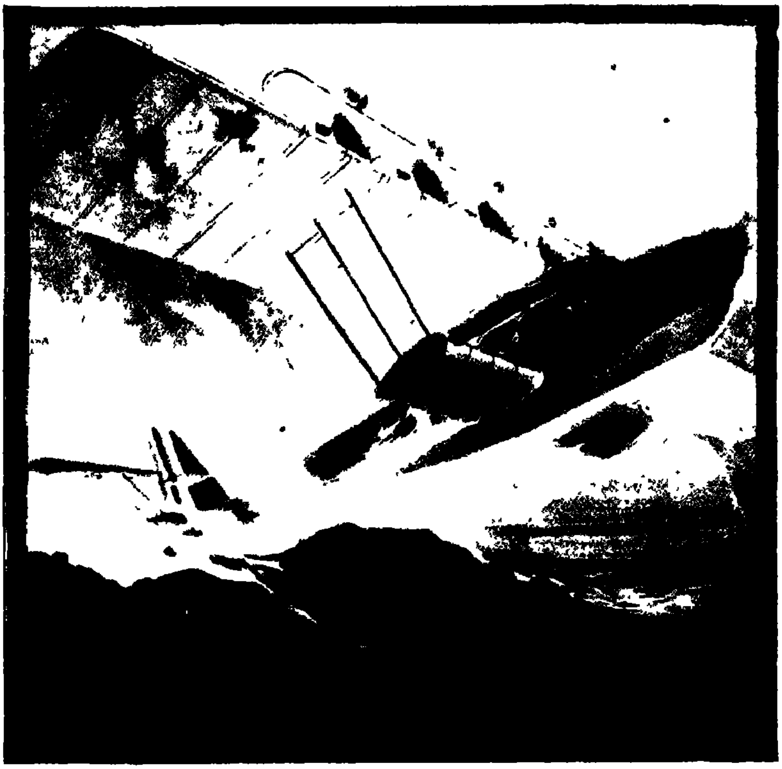
صفحة


KEATING
مسحوق كيتنج يقتل جميع الهوام والحشرات
والناموس. رش كل يوم قليلا من كيتنج حول
رجلي السرير وفي غرفتك تنجو من البق والناموس
والصراصير والخنفس وجميع الحشرات المضرة
Ils sont tous f..chus!

...بر ١٩٢٩

المقتطف

أنشىء سنة ١٨٧٦



الطيارة الالمانية الجديدة التي تسع ١٢٠ راكباً

Al-Muktataf

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميركية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت لهُ خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

Subscription Price : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars
Foreign 120 P.T. or 6 Dollars



صور لاديصن في مواقف مختلفة

نقلا عن مجلة العلم العام الاميركية

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩

امام الصفحة ٣٦٥

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد الخامس والسبعين

١ نوفمبر سنة ١٩٢٩ — ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٨

خاصة للمقتطف — للسر آرثر كيث

مقوّمات الامم في نظر العلم

اصول الوطنية ونشوءها

كيف يعلّل العلماء الشعور القوميّ

نظر الاستاذ هكسلي الى مسألة الاقوام البشرية نظرة عالمٍ بالحيوان . فطبّق على النساء والرجال الاساليب التي جرى عليها في درس الكلاب والطيور . وكان يذهب الى ان الرجال والنساء الذين يدَّعون أنهم جنس خاص من البشر قائم بنفسهِ منفصل عن غيرهِ يجب ان يتصفوا بصفات جسدية تمكن العالم بالاجناس من معرفتهم اذا اختلطوا بجمهور من الناس مختلفي الاجناس . « فالقومية » في نظره ليس لها مكان ما في نظام حيواني . والامة في رأيهِ ليست الاَّ مجموعة من الناس تربطهم بعضهم ببعض الارض التي يقطنونها واللغة التي يتكلمونها والسياسة والتقاليد التي يجرون عليها . ولا نستطيع أن ننظر اليها كجنس مستقل نظراً علميًّا

أما الرأي الذي اريد ان اعرضهُ على القارىءِ فاكثر مرونة من رأي هكسلي المتقدم الذي وضعهُ سنة ١٨٧١ واكثر منهُ مماشاة لمذهب النشوءِ. ولما كان هذا المذهب الجديد ينطبق على سكان القارات العالمية فعلينا ان نطوّق الارض بنظرنا لنرى تفرق الشعوب والاجناس فيها التي انقسم اليها الجنس البشري

ولا نستطيع ان نفعل شيئاً افضل من الجري على آثار هكسلي لان التقسيم الجنسي الذي وضعهُ في العقد السابع من القرن الماضي لم يفقهُ تقسيم آخر في نظري دقة ووضوحاً. فلنتتبع الحوادث التي افضت بهكسلي الى هذا التقسيم

في سنة ١٨٦٢ كان هكسلي يعدُّ كتابهُ المشهور الذي عنوانهُ «مكان الانسان في الطبيعة». فكان حتماً عليه ان يحقق نسبة الجمجمتين القديمتين اللتين كانتا قد وجدتا قبيل ذلك وهما جمجمة زنجا التي وجدت سنة ١٨٣٣ في بلاد البلجيك وجمجمة نينتدرتال التي عثر عليها في المانيا سنة ١٨٥٧ فكان عليهِ ان يتناول اجناس البشر الحيَّة بالدرس والبحث ليرى هل يجد فيها اخداناً لصاحبي هاتين الجمجمتين. وهكذا نرى هكسلي سنة ١٨٦٢ وهو في السابعة والثلاثين من عمرهِ مكبًّا على درس منتظم لاجناس البشر. فأصبح بذلك من علماء الاثنولوجيا (تفرق الاجناس البشرية) وبسرعة الرجل الذكي قبض على ناصية الموضوع وادرك ادراكاً شاملاً اهم الحقائق التي ينطوي عليها تفرق الاجناس البشرية كما ترى من العبارة التالية المقتبسة منهُ قال:

ارسم خطاً على الكرة الارضية من الشاطىء الذهبي في غرب افريقيه الى مراعي التتار في تركستان تجد ان في الطرف الغربي من هذا الخط تعيش شعوب هي اكثر الشعوب استطالة في الرأس وبروزاً في الفك وجعودة في الشعر وسمرة في البشرة هؤلاء هم الزنوج الحقيقيون وفي الطرف الآخر تعيش شعوب هي اكثر الشعوب استدارة في الرأس وارتداداً في الفك وسبطاً في الشعر وصفرة في الجلد هؤلاء هم التتار والكالمك. فطرفا هذا الخط الوهمي هما قطب الاثنولوجية المتقابلان

وبعد ما رسم هكسلي هذا الخط الوهمي وقطبيه في مقدمة صورتهِ الاثنولوجية رسم خطاً آخر يخترق الكرة الارضية من بريطانيا الى استراليا قاطعاً الخط السابق في الشرق الادنى ومارًّا بالهند. ففي طرف هذا الخط من جهة بريطانيا تقطن الشعوب الشقراء وفي طرفهِ الاسترالي سكان استراليا الاصليون

اجناس البشر

وجرياً على هذه الخطة التي اتمها هكسلي سنة ١٨٦٥ قسم سكان الارض الى احد عشر جنساً او الى احد عشر «تنوعاً دائماً من الجنس البشري» اذا جرينا على تعبيره الذي كان يؤثرهُ. فكل جنس من هذه الاجناس كان خاصاً ببقعة من الارض يقطنها او ظلَّ محصوراً فيها من اقدم الازمنة الى زمن التاريخ الحديث. فلنمرَّ سراعاً بالاقسام الاساسية التي وضعها هكسلي وهي: (الاول) الاسترالي (الثاني) التسماني (الثالث) النجريتو او شعوب الباسفيكي الشبيهة بالزنوج (الرابع) الامفنيزي ويطلق على الشعوب البحرية التي تقط

جزائر الباسفيك وارخبيل ملقا وجانباً من مدغسكر (الخامس) سكان اميركا الاصليون المنتشرون فيها من رأس القرن بجنوب اميركا الجنوبية الى سواحل لبرادور (السادس) الاسكيمو (السابع) الشعوب المغولية — المنتشرة من تيبت الى اليابان ومن تونكين بالهند الصينية الى لبلاندا في شمال اسوج ونروج (الثامن) الزنوج (التاسع) البوشمن. واخيراً الشعوب التي تقطن غرب آسيا وكل اوربا وهؤلاء قسمهم الى قسمين اولهما وهو (العاشر) من اقسامه العامة، الشقر في المنطقة الشمالية وثانيهما او (الحادي عشر) السمر في المنطقة الجنوبية او منطقة البحر الابيض المتوسط. وكانت الشعوب التي تقطن جنوب الهند مصدر حيرة كبير للاستاذ هكسلي ولكنهُ بعد لأي وضعهم مع سكان استراليا في صفٍ واحد

ولنعد النظر الآن في المقياس الذي جري عليهِ هكسلي حين تقسيم الشعوب الى الاجناس الآنف ذكرها — وهو مقياس يجري عليه العلماء في علم الحيوان. ذلك ان كل فرد في كل طائفة يجب ان يتصف بالصفات التي تمتاز بها طائفته عن غيرها من الطوائف. فاذا كانت الاقسام التي وضعها هكسلي حاسباً ان كل واحدٍ منها ممتاز عن الآخر واُخذ مائة شخص من كل طائفة منها وعرّوا جميعاً من ثيابهم واختلط حابلهم بنابلهم وجب ان يكون من السهل على العالِم الاثنولوجي ان يعرف كل فردٍ منهم وان يضعهُ في الطائفة التي ينتمي اليها اصلاً. فكل جنسٍ من اجناس البشر تستطيع ان تعرف افراده حال رؤيتهم هو جنس تقيّ قلباً وقالباً (مائة في المائة) في سلم الاختلاف الجنسي. ولكن اذا صحّ مذهب النشوءِ وجب ان نجد شعوباً خليطة متدرجة في الصفات الجنسية التى تفرّق بين جنس وآخر

على ان هكسلي عدّل نظرهُ الى تفرق الاجناس الجغرافي لاسباب جمّة. فقد بدأ مباحثهُ وهو ينتظر ان يثبت لهُ ان شكل الجمجمة هو المقياس الاساسي الذي يبنى عليهِ تفريق الناس الى اجناس. فخاب نظره في ذلك اذ وجد ان صفات الجمجمة انما هي صفات لها مقام ثانوي من هذا القبيل. ووجد ان من الشقر من يكون مستطيل الجمجمة او مستديرها. ومن المغول من هم كذلك. وتحقق ان الصفات التي عليها يبنى التفريق بين الشعوب انما هي الصفات السطحية كلون البشرة وشكل الشعر. وأنا اضيف الى هاتين الصفتين سمات الوجه التي يصعب قياسها ولكنها لا تخفى على احد

الفرد والاجناس

وقد اخذ العلماء في هذا العصر يلقون النور بمباحثهم على الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في خلق الاجناس البشرية. فلدينا الآن ادلة مقنعة تشير الى ان نموّ الجسم وظهور الصفات الجنسية

المختلفة فيه يتوقفان الى حد بعيد على التركيب الفسيولوجي الذي مركزه في الغدد — الغدد الصماء او غدد الافراز الداخلي . فهذه الغدد تفرز مفرزات تدعى « هرمونات » لها اثر كبير في السيطرة على نمو الاعضاء . والعجب كل العجب اننا لم نكشف عن وجود نظام مسيطر على النمو كهذا النظام من قبل لانهُ كان معروفاً من اقدم الازمنة الى الآن ان خصي الفتيان (اي ازالة الخصيتين وهما من غدد الافراز الداخلي والخارجي معاً) لهُ اكبر اثر في تغيير اتجاه النمو. فهذه العملية تنشىء رجلاً له صفات كأنها صفات جنس مستقل هو الخصي . فلدينا الآن ادلة ثابتة على ان الخصيتين فضلاً عن توليد الخيوط المنوية تفرز مفرزات داخلية تدور مع الدم في كل الجسم ولها اثر كبير في ضخامة الجسم وطول الاطراف وتكوين العظم وقوة العضلات وثخن العنق وحجم الفكين وشكل الانف والجبين ونمو الشعر ونعومة البشرة

وهذه الصفات هي هي الصفات التي يمتاز بها جنس من البشر عن جنس آخر . ففي جسم الخصيّ أبلغ مثل على فعل هذا التركيب الحيوي الذي يغيّر صفات الجسم التي يمتاز بها . فاذا شئنا ان ندرك شيئاً من الاساليب التي تجري عليها الطبيعة في خلق الاجناس الجديدة فلنولِّ وجوهنا شطر هذا التركيب الحيوي الذي يسيطر على النمو ولنحاول فهمهُ

التجمع والانعزال

من المسلّم بهِ ان اكثر الاجناس البشرية المعروفة الآن نشأت في احوال مماثلة للاحوال التي يعيش فيها سكان استراليا الاصليون الى يومنا هذا . فهذا الجنس من البشر مقسَّمٌ الى قبائل كل قبيلة تعيش في منطقة معيّنة من ارض الصيد والقنص واضحة المعالم والحدود لاتعدوها الى غيرها . فاذا عدت القبيلة الحدود الى منطقة جيرانها حسب هذا تعدياً وعليها حينئذٍ اما ان تلجأ الى القتال او ان يولي رجالها الادبار ويتراجعوا الى منطقتهم .فالغيرة والمقاومة التي تفصل بين قبيلة واخرى تعزلان كل قبيلة عن جارتها . ولكن قوى اشد فعلاً من هذه العواطف تربط كل قبيلة بارضها . فابناء كل قبيلة يتكلمون لغة واحدة ويجرون على طائفة واحدة من العادات والمعتقدات والتقاليد ولهم مصالح مشتركة وهم فوق كل ذلك ذوو قربى . فكل فرد من افراد القبيلة متصل بارضهِ اتصالاً عاطفياً قوياً . فاذا بعد عنها تاق الى العودة اليها . واذا حفّ بارضهِ خطر ما اثار فيهِ انفعالاً عقلياً قوياً اساسهُ ثورة العاطفة وهذا الانفعال يعرف بالوطنية . هذا الانعزال هو العامل الاقوى في تكوين صفات جديدة يمتاز بها فريق من البشر دون فريق آخر . وعليه فهو سبيل الطبيعة الممهّد لتوليد الاجناس البشرية

فنظام القبائل هو سبيل الشعوب الى التجمع والانعزال وهذا الانعزال لا مندوحة عنهُ للانفعال الفزيولوجية حتى تخلق صفات جديدة يتألف من مجموعها مميزات الاجناس الجديدة

والآثار التي تدل على وجود نظام القبائل في القدم تعثر عليها في كل انحاء العالم وكانت لاتزال باقية الى عصرنا في «انخاذ» اسكتاندا. وقد كان هذا النظام عامًّا يشمل جميع بلدان الارض عصوراً متطاولة . فدماغ الانسان نشأ في الزمان الذي كان فيهِ نظام القبائل سائداً . ان كل قوى العقل والشعور فيهِ وكل انفعالاتهِ نشأت نشوءًا يمكنها من قضاء مطالب النظام الاجتماعي السائد حينئذ ومن طريق الصدفة اسدت هذه القوى يداً الى الارتقاء البيولوجي العام

ومن العوامل الطبيعية التي ساعدت الشعوب على التجمع في بقع معينة والانعزال عن غيرها الحوائلُ الطبيعية التي لم يقوَ عليها الانسان في مهد العمران كسلاسل الجبال كجبال الهملايا مثلاً — والصحارى الشاسعة المقفرة كالصحراء الكبيرة — والبحار الواسعة كالاوقيانوس الاتلنتيكي

واقسام الارض مناطق يقطن كلَّ منطقة منها قبيلةٌ خاصة نظام لا ينفرد بهِ الانسان بل تجري عليه الحيوانات اللبونة العليا كذلك. ولكن في احوال خاصة تتحول الغرائز التي تربط الحيوان بارضهِ الى ضدّها فتحملهُ على هجرتها في طلب ارض اخرى. فطائفة الغرائز الاولى ترعرع النوع في ارضهِ وتولّد فيهِ الصفات التي يمتاز بها عن غيرهِ والطائفة الثانية تحملهُ على التوزع والانتشار . والمدوّنات التاريخية لا تتركنا في ريب ما من اتصاف الانسان بهاتين الطائفتين من الغرائز . على ان الهجرة كانت عاملاً ثانويًّا من عوامل النشوءِ ليس لها مقام كبير في نشوءِ الانسان ولولا الانعزال لما تسنى لجماعة من الناس ان ينشئوا جنساً جديداً

وهنالك عامل آخر من عوامل الانعزال هو ذلك الانفعال الفطري الذي نطلق عليهِ اسم الشعور الجنسي . فكل الحيوانات تعرف بفطرتها الحيوانات التي من نوعها . وهي كذلك تعرف الحيوانات التي ليست من نوعها . وهذه المعرفة الاخيرة يصحبها في الغالب الشعور بنفور شديد . فالشعور الجنسي يبقى كامناً في صدور الرجال والنساءِ ما زالوا يروحون ويجيئون بين ابناءِ جنسهم . ولكنهم متى عدوا حدود المنطقة الخاصة بهم الى منطقة قبيلة اخرى او جنس آخر تتيقظ في نفوسهم عواطف فطرية قوية هي اصول الشعور الجنسي. وفي بعض الاحوال قد تؤجج هذه العواطف في صدورهم نار التحمس والانفعال وتخرج باصحابها من ميدان الحكمة الى ميدان التهوّر . واني انظر الى هذا الشعور الجنسي كاسلوب

من اساليب النشوء للاحتفاظ بنقاءِ الجنس ومنعهِ عن الاختلاط بالاجناس الاخرى حتى لا يفقد مقومات شخصيتهِ . فما يثور في صدور البشر من عناصر الغضب لهُ في الغالب اصل بيولوجي وفائدة بيولوجية

التزاوج والاجناس الخليطة

كان هكسلي يميل الى ان يحسب الاجناس الخليطة المتوسطة بين الاجناس الصافية ناشئة عن التزاوج . ولكن اذا كانت افعال النشوء سارية في الخلق منذ فجر البشرية واذا كانت لا تزال تفعل في جسم الانسان وعقله وجب ان نجد اجناساً متوسطة بين الاجناس الصافية نتيجة لازمة للتغيُّر الطبيعي من غير ان نلجأ الى مذهب التزاوج لتعليل وجودها . ان مذهب النشوء اذا صحَّ تطبيقه على الموضوع الذي ننظر فيهِ ، يقضي بوجود اجناس في كل درجات التفاوت والاختلاط بين الاجناس الصافية . وهذا ما نجدهُ . لذلك اختلف علماء الانثربولوجيا في عدد الاجناس البشرية الاساسية . فذهب هكسلي اولاً الى وجود احد عشر جنساً ثم هبط بالعدد الى اربعة. وبدأ الاستاذ هيكل باثني عشر جنساً في سنة ١٨٧٣ وجعلها اربعة وثلاثين جنساً سنة ١٨٧٩ واخيراً رأى وجوب الاعتراف بوجود ١٧ جنساً اصليًّا و٢٩ جنساً فرعيًّا

ان عدد الاجناس يتوقف على درجة الاختلاف بين الاجناس التي نتخذها مقياساً

انا لا اقول ان التزاوج لم يحدث قط في الماضي ولا هو حادث الآن على الحدود الفاصلة بين بلدان الاجناس المختلفة . ففي بعض الاماكن بلغ التزاوج حدًّا بعيداً . ولكن بعد كل ذلك نجد ان التزاوج ليس الاَّ عاملاً ثانويًّا في نشوءِ الاجناس . اننا لا نستطيع ان نعلّل بهِ حالة الاجناس البشرية ولكننا بمذهب النشوءِ نستطيع ذلك

فقد بلغنا الآن درجة من العلم يجب معها ان يفهم كلُّ المشتغلين بالمباحث الاثنولوجية ان كل سعي لتقسيم البشر الى اجناس يجب ان يقوم على اساس نشوئيّ . ففي انحاءِ الارض نجد شعوباً يمتاز كلٌّ الامتياز عن غيرها وفيها يستطيع العالم ان يعرف كلَّ فرد من افرادها ويعيّنهُ للجنس الخاص بهِ اذا رآهُ في قوم خليط . ثم هنالك اجناس هي على درجة تسعين في المائة من الصفاءِ اي انك اذا عرضت على عالم مائة فرد منها في خليط من الناس لم يستطع ان يعرف اكثر من تسعين فرداً منهم اتكالاً على ظهور الصفات الخاصة التي يمتاز بها جنسهم عن غيره من الاجناس . وهكذا نجد اجناساً على درجة ثمانين او سبعين او ستين من الصفاءِ فهذه الطوائف من الناس كلها اجناس بالمعنى البيولوجي الحقيقي . كلها درجات في سلّم النشوءِ

الزراعة

وحين نعمد الى البحث عن القوى التي قضت على نظام القبائل الذي كان سائداً في اوربا في العصور القديمة يجب ان نرجع الى الشرق الادنى في العصور السابقة للتاريخ المدوّن. ففي بقعة من الشرق الادني كشف عن الفن الذي تقوم عليها الحضارة الحالية اعني الزراعة. فالقبيلة او طائفة القبائل التي وفقت الى هذا الاكتشاف سبقت جاراتها وتفوقت عليها فزاد عدد ابنائها لما زاد مقدار الطعام الذي تنتجهُ الارض. ولم يلبث ان ضاقت المنطقة الخاصة بهم عن ان تسعهم فاخذوا في الانتشار. فالمذهب القائل بان الشرق القوقاسي هو مهد الحضارة متفق وكلّ الحقائق العلمية المثبتة لدينا. ومن هذا الشرق اخذ الناس يتدفقون موجةً اثر موجة الى اوربا. فزالت الحدود الفاصلة بين مناطق القبائل الخاصة ونظام القبائل القديمة الذي جرت عليه الطبيعة لخلق الاجناس الجديدة اصابهُ اختلال وتشويش. ولكن هذا النظام لم يزل كلّ الزوال. فان العلماء الى الساعة يعلمون ان اوربا لا تزال مقسمة الى مناطق ففي الجنوب تقطن شعوب مستطيلة الرؤوس سمراء البشرة وفي الشمال شعوب مستطيلة الرؤوس شقراء البشرة وفي المناطق المتوسطة بين الشمال والجنوب تقطن شعوب متفاوتة الدرجة من حيث استدارة رؤوسها ولون بشرتها. فالحضارة قد شوشت نظام الطبيعة النشوئي في كل المنطقة القوقاسية

الحرب

واجال هكسلي نظرهُ في سكان بريطانيا فادرك، وهو العالم بعلم الحيوان، انهم كسكان اوربا خليط من الاجناس المختلفة وان القومية البريطانية مزيج من الاجناس القاطنة اوربا سمراء وشقراء لذلك حمل حملة شعواء على كل من يدعي انفصال القومية البريطانية عن سائر القوميات الاروبية قائلاً ان الذين تتألف منهم هذه القومية جنس خاص منفصل عن بقية الاجناس الاوربية. ومذ اعرب الاستاذ هكسلي عن رأيهِ هذا ثارت الحرب الكبرى الدامية فكشفت عن الميول الفطرية الاصيلة في الطبيعة البشرية واطلقت لها العنان. وبعد ماوضعت الحرب اوزارها هبّت القوميات الصغيرة تطالب بكيانها المستقل جرياً على مبدإ تقرير المصير فاقبل رجال السياسة على عملهم وهم يحسبون ان بين ايديهم مسائل سياسية لا مشاكل بيولوجية. واذا صحّ المذهب الذي بسطتهُ في نشوء الاجناس وجب ان تعالج مسألة القوميات معالجة بيولوجية نشوئية. ان حركة المطالبة باستقلال القوميات الصغيرة سببهُ ثورة الذكرى في طبيعة الانسان لنظام القبائل القديم. ففي جوّ الحرب انطلقت الميول الفطرية التي كانت كامنة في صدور البشر بعد ما أزال عنها القتال طلاء الحضارة الحديث

يوبيل النور الكهربائي

بروميتيوس واديصن

اخذا النار والنور من الآلهة فاضاءا بها طريق العمران

قلّب صفحات التاريخ باحثاً عن شخصية حقيقية او خرافية تضعها وشخصيةَ اديصن في كفتي ميزان فلا يستقرُّ بك النوى الا وقد طويت الوف السنين راجعاً الى جاهلية اليونان فتقف في خرافاتهم وسيَر ابطالهم على قصة البطل بروميتيوس الذي سرق النار من الآلهة ليمنحها للناس لانها كانت في رأيهِ اعظم النعم . فهو في نظر بعض الكتاب الاقدمين « مغدق المعرفة على البشر » بل هو « مكوّنهم ومعلمهم »

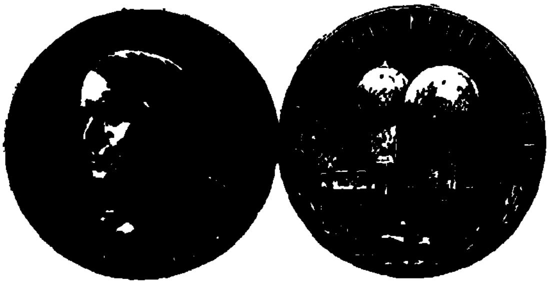
قيل : ونظر اروس آله الحب الى الارض وقد اكتست حلة سندسية تمرح في ربوعها انواع الاحياء على اختلافها فرأى ان يغدق عليها من الغرائز ما يمكنها من التمتع باطايب الحياة فدعا اليهِ اصغر ابناء ايابيتس -- وهما بروميتيوس وابيميثيوس — وعهد اليهما في توزيع العطايا الالهية على الكائنات الحية واوصاها بان يخلقا كائناً سامياً ويغدقا عليهِ الهبات حتى يسود الكائنات الاخرى (الانسان) فطلب ابيميثيوس الى اخيهِ ان يتولى هو المنحَ ففعل فلما انتهى من الاغداق على الكائنات السفلى نفد كل مالديهِ منِ الهبات العلوية ولم يبق لديهِ ما يهبهُ للانسان . فأخذا كتلة من الطين وصنعا منها هيكلاً وقد اشار هوراس الى ذلك بقولهِ : « وحوّل بروميتيوس الجواهر الفردة الى دلغان بشري » ثم طلبا الى اروس ان ينفخ فيهِ روح الحياة والى مينرفا الاهة الحكمة ان تهبهُ نفساً . فلما رأى بروميتيوس صنع يديه موضعاً للفخر اراد ان ينعم عليهِ بهبة لا يشاطرهُ اياها كائن على الارض فتعلو بهِ فوق كل الكائنات وتقربه من مقام الآلهة

ولكي يفعل ذلك لم يجد قوة اعظم من قوة « النار » . ولكن « النار » كانت من المزايا التي تملكها الآلهة دون غيرها ، وكان برميتيوس يدري ان الآلهة لن تقبل ان تنعم بها على الانسان واذا فاز بها احد خلسة عوقب معاقبة السارق . فتأمل المسألة طويلاً واخيراً عزم ان يفوز « بالنار » او يموت في طلابها . وفي احدى الليالي الظلماء قصد الى جبل اولمبوس مقرّ الآلهة ودخل مخدعها من غير ان يشعر بهِ احدٌ وقبض على مشعالٍ مضيء واخفاهُ في

صدره ورحل طرباً جذلاً بما قسم له من النجاح . فلما وصل الى الارض انعم بالكنز على الانسان فاخذه وجعل يستعمله في مئات من الاغراض. اما ماحدث بعد ذلك وكيف اكتشف الآلهة سرقة بروميثيوس وكيف عاقبوه وكيف خلصه هرقل لحوادث في تاريخ اليونان الخرافي لامتسع للتبسط فيها هنا

نحن لا نقول ان اديصن علم البشر كيف يستضيئون . ان المصابيح التي كانت تضيء باحتراق زيت من الزيوت او دهن من الادهان يرجع تاريخها الى العصر الحجري. فقدكان رجال ذلك العصر يحرقون الادهان الحيوانية في قطع مجوفة من الخشب للاستنارة بها . وكان الرومان يحرقون زيت السمك او غيره من الزيوت الحيوانية في مصابيح من الطين المشوي. وقد كان القصد من اصطياد الحيتان في العصور الماضية الحصول على زيتها للاستضاءة به وكان الصينيون يصنعون مصابيحهم الجميلة ويشعلون فيها زيوتاً نباتية

كذلك لا ندعي ان اديصن هو اول رجل صنع نوراً كهربائيًّا باطلاق المعنى . فقد جاء في مدونات المعهد الملكي البريطاني ان السر همفري دايفي اثبت في مطلع القرن التاسع عشر ان التيار الكهربائي الحاصل من عمود فلطائي مؤلف من الفي خلية يحدث قوساً من النور اذا اجري في عمودين من الكربون مفصول احدها عن الآخر قليلاً . هذا هو نور القوس الكهربائي الاول . ولكن استنباط السر همفري دايفي ظل مطويًّا حتى استنبط المولد الكهربائي واشتغل فراداي بالموضوع فما وافت سنة ١٨٧٠ حتى كان الدكتور شارل برش والمستر ادورد وستن قد جعلا الانارة بنور القوس الكهربائي صناعة رائجة في اوربا وامريكا هنا دخل اديصن الميدان وبسرعة الرجل العبقري الذي يخترق ستر الغيب ببصره النافذ رأى ان نور القوس الكهربائي لا يجدي نفعاً في توسيع نطاق الانارة الكهربائية حتى تعم البيوت والمدارس والمعامل. وصناعة النور الكهربائي لا تتسع ولا تتقن الا اذا راجت ولا تروج الا اذا عمت الاماكن التي تقدم ذكرها . لذلك صرف اديصن نظره عن نور القوس الكهربائي واخذ يبحث عن طريقة تمكنه من الانارة بالكهربائية بطريقة اللمعان اي بامرار تيار كهربائي في سلك من مادة معينة



المدالية التي ضربت للاحتفاء بيوبيل النور الكهربائي

فيحمى السلك لمقاومتهِ للتيار فيحمرُّ ثمَّ يبيضُّ بالحرارة ومتى ابيضَّ يسطع منهُ نور باهر يخطف الابصار. وقد كان مسألة النور الكهربائي اعقد المسائل التي اشتغل اديصن بحلها . فانهُ لما شرع يبحث في هذا الموضوع لم يكن يعرف شيء تقريباً عن النور الكربائي مما تلزم معرفتهُ. لذلك لما فاز اولاً بصنع المصباح الكهربائي الاول على مثال المصابيح المستعملة الآن عرضت لهُ مصاعب كثيرة وجب تذليلها قبل الفوز بجعل الانارة الكهربائية عملاً تجاريًّا رابحاً .واديصن من الذين يرون ان تصوّر الاختراع سهل على نوع ما واخراجهُ من التصور الى الفعل اخراجاً علميًّا قد يكون سهلاً ايضاً . ولكن الصعوبة كل الصعوبة في اخراجهِ من التصوُّر الى الفعل اخراجاً تجاريًّا حتى يشيع استعماله ويربح منهُ صانعهُ فعرى بموالاة اتقانهِ

ان قصة مباحث اديصن واعوانهِ التي افضت الى اكتشاف النور الكهربائي اللامع (نستعمل لفظة لامع هنا بمعنى *Incandescent*) وصنع المصباح الكهربائي الاول تكاد تحسبها من بنات الخيال او حديث خرافة لو سمعتها. كانوا لا يعبأُون بمرور الزمن ولا باوقات الطعام حتى ولا بالنوم لان اكبابهم على خلق شيء جديد كان قد اوقظ كل قوة من قواهم العقليه والعصبية. فانفقوا نحو ثمانيه آلاف جنيه قبلما تمكنوا من صنع مصباح ينير متى اتصل بالدورة الكهربائية . ولما اناروهُ ظلَّ منيراً اربعين ساعة متواليه . ولكن السلك السريع الانكسار الذي استعملوه اولاً لم يفِ بمطالب التجارة اذاً ما الفائدة من مصباح ينير اذا كانت اقل هزة تصيبهُ تفتت سلكهُ وتذروهُ .لذلك اخذ اديصن يكربن كل شيء يقع عينهُ عليهِ. وفي مدوناتهِ الخاصة تقع على اسماءِ بعض الاشياء التي كربنها محاولا ان يصنع منها سلكا للمصباح الكهربائي لا يكون سريع التكسر والتفتّت ، فاذا راحتها وحدت بينها كل انواع الورق على اختلاف درجاتها من القوة والثخانة وكلَّ انواع الخيوط حتى الاسلاك التي يستعملها الصيادون في اصطياد السمك . وانواع الخيوط النباتية كخيوط جوز الهند وتيلة الكتان والسلولويد وغيرها كثيراً من انواع الاخشاب والنباتات. ولما خطر لهُ ان يجرب خيوط الخيزران بثَّ العيون والارصاد في اليابان وجنوب اميركا وغيرها من البلدان الذي يزرع فيها الخيزران فبعثوا اليهِ بكل اصنافه وكانت نحو ستة آلاف صنف جرّب تجاربهُ فيها حتى وصل الى افضلها ويقال انهُ انفق في هذا السبيل عشرين الف جنيه او اكثر

وبعد ما صنع المصباح الكهربائي اللامع وجب عليهِ ان يبدع نظاماً كهربائيًّا جديداً يمكنهُ من توليد الكهربائية وتوزيعها وتمسيم التيار حتى ينير بهِ حيث يشاء المصابيحَ الصغيرةَ والكبيرة على السواء فاقدم على هذا العمل غير هيَّاب مع انِ علماء من مقام الاستاذ تندل كانوا يهزؤن بهِ.. وبعد ذلك اخذ النور الكهربائي يرتقي ويتقن وخصوصاً في صنع السلك

الذي فيه فصنع سنة ١٩٠٤ من معدن الاسميوم ثم من معدن التنتالوم ثم من معدن التنغستن في تاريخ العلم والعمران مستنبطات اعظم من النور الكهربائي اثراً في احوال الشعوب الاقتصادية كالسكك الحديدية والبواخر والتلغراف والتليفون وغيرها . ولكن استنباط النور الكهربائي اللامع الرخيص الثمن احدث ثورة في عادات الناس واسلوب معيشتهم . فقد اشترك هذا النور مع المطبعة في اطلاق العقل البشري من القيود التي كبّل بها والفضاء على الخرافات والمخاوف التي كانت تظلم امامهُ طريق الفكر فاعدهُ لعملهِ الاعظم وهو تأييد سيطرة الانسان على الارض . وعلاوة على ذلك بدَّد غياهب الظلام من المدن فقضى بذلك على مراتع الجناة ومدّ اجل العمل امام العمال الفقراء . وقد مكنت الانوار الكهربائية الساطعة طائفة العلماء من درس طبائع المكروبات على لوحة المكرسكوب وابداع الطرق لمكافحتها واتقائها

***

نكتب هذه الكلمات ونشوة الفرح تهزّنا لان العالم المتمدن باسرهِ شعوبهُ وحكوماته ومعاهده وصحافتهُ تشترك اليوم في الاحتفال بعيد النور الكهربائي الخمسيني . ان الغبطة التي يشعر بها اديصن اليوم لا تفوقها غبطة اخرى على الارض . فقد ابدع من دماغه المنير شيئاً يظلُّ يذكر مقروناً باسمهِ مازال العمران الحاليّ قائماً . شيئاً افاد العمران فائدة مازالت تنمو حتى صارت الاموال المثمرّة في صناعات الانوار الكهربائية والصناعات المتصلة بها تفوق الحصر — فقد بلغت الاموال التي ثمرّت في هذه الصناعات في هذه السنة وحدها ١٤٠ مليوناً من الجنيهات . واذا اضفت الى ذلك ابواب العمل العديدة التي فتحت للعمّال في اعمالٍ شريفة مفيدة اتضح لك فضل هذا الرجل الشيخ الذي ما زال حتى الساعة يشتغل كل يوم ما لا يقلُّ عن خمس عشرة ساعة مع انهُ قد اوفى على الثانية والثمانين . وهو على مقامهِ وشيخوخته لا يأنف من ان يتلقى درساً عن اصغر الناس . همة تخجل الشبان ودعة فيها ابلغ عظةٍ للمتكبرين ! لقد اصبح اسمهُ مقروناً باسماء الابطال الخرافيين لما نسج حوله من القصص والحكايات ولكنهُ يفوقهم براعة وابداعاً . ومع ذلك فهو حيٌّ يرزق ولشبان العصر في اكبابهِ على العمل ودعتهِ واحتقاره للابهة الفارغة واجلال العالم لهُ لافرق بين قوم وقوم ودين ودين اعلى مثل للرجولة الحقة التي تقوم على اثنين من الخلق الكريم والفائدة العامة

فالمقتطف الذي وُجد قبلما وجد نور اديصن الكهربائي وما زال منذ اربع وخمسين سنة يذيع مستنبطات اديصن ومناقبهُ يضمُّ صوتهُ الى جوق الاصوات المرتفعة اليهِ في هذا اليوم بالتكبير والشكر والدعاء ٢١ اكتوبر ١٩٢٩ **فؤاد صروف**

إلمامة تاريخية ساذجة

بعصر أبي بكر الصديق

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعي

— ١ —

قصة ظريفة لا اتذكر تماماً أين قرأتها ، ثم لا اذكر الفاظها وكلماتها ، كما لا أذكر كاتبها ومؤلفها ولكني اذكر شيئاً واحداً واذكره جيداً . . . . . ذلك انني تأثرت بها وكان تأثري بها عظيماً وبليغاً وعميقاً . . لأنها كانت ساذجة والعقول الساذجة تحب ما هو ساذج وتتأثر بما هو ساذج . ثم هي تنطبق على الواقع بقدر ما تنطبق على تصور الحق واختلاف الناس في تصور الحق . . والحق نسبي كما تعلم ولا يستطيع العلم مهما كان قويًّا وناضجاً ، ومهما كان دقيقاً اوكاملاً ، ان يزعم انهُ وصل الى الحق الكامل غير المنقوص ولا المبتور

قصتي التي رأيت ان استفتح بها حديثي معك ، والتي زعمت لك انها ظريفة ، وزعمت لك انها ساذجة ، ثم زعمت لك انها تنطبق على الواقع بقدر ما تنطبق على تصور الحق واختلاف الناس في تصور الحق — هي عن عميان سبعة اجتمعوا بفيل ، فرأى كلٌّ ان يصف الفيل للآخر ، واعتقد كل انهُ مصيب لباب الحق وسدرة الصواب فيما هو واصف وفيما هو متكلم . ولماذا لا يعتقد انهُ مصيب الحق والصواب وهو لا يتكلم الا بما يحسُّ انهُ الحق والصواب . . . لقد وصف الاول الفيل بانهُ كجذع النخلة لأنهُ أمسك بيده ساق الفيل وساق الفيل بجذع النخلة شبيهة ومثيلة . . . ووصف الثاني الفيل بانهُ كالأفعى لأن امسك بيده خرطوم الفيل . . . . ووصفهُ الثالث بانهُ كالحائط لأن يده وقعت على جثمانهِ . . . . وابى الرابع الا وصفه بالمروحة لأنهُ عثر على اذنهِ . . . وابى الخامس غير السادس والسادس غير السابع . . . وكلٌّ استمسك برأيهِ ودافع عن وصفهِ . وكلٌّ آمن بحقه وكذَّب بحق غيره . . .

تلك قصة لا تعدو ما نقع فيهِ كل يوم . . . . ومن زعم انهُ بصير بكل صحيح ، ثاقب النظر في كل امر ، وانهُ ليس بمرضة لأن يصيبهُ الباطن ولو « رشاشاً » ولا اقول عن يمينهِ او يساره فأخشى ان يكون حاله كحال احد السبعة الكرام

ولكنا نرجوء وهذا كل ما نملكه في ميدان العلم ، وفي ميدان كتابة التاريخ وقد اصبح

فرعاً من العلم ، وفي كتابة التاريخ الاسلامي وهو اشقّ فرع في تاريخ هذا العلم ، لانه لم يخضع بعدُ الخضوع العلمي الصحيح . . . لم يخضع بعد للمشرحة ولم يذعن بعد للتحليل — نرجو — ونحن نؤمن بقصتنا — ان نستوعب وصف السادة السبعة ، ونجمع من وصفهم شيئاً يقربنا في مجموعه مما هو حق ومما هو صواب

اجل نرجو ان يكون لنا من اقوال الشيعي وغير الشيعي ، والاموي والعباسي ، والخارجي وغير الخارجي ، ما ينكب بنا عن ضلالة الامعان مع هذا او ذاك . كما نرجو ان يكون ايماننا بضرورة البحث عن الحق في شتى نواحيه ، مدعاة للقرب منهُ وامداداً لتذليل صعابه وازالة عقابه . . ولو نسبيًّا . . . ولو خطوة واحدة الى الامام . . . في سبيل تفهم هذا التاريخ المجيد العظيم

—٢—

وليس من جديد عليك يا صاح ، أن تعلم غير معلّم ، ان التاريخ النافع المجدي هو ما كان نافعاً مجدياً للانسانية . وللانسانية عامة . ذلك لانك تعلم ما كان من أمر تلك المحاضرات التي ألقيت في مؤتمر « التربية والتمدن » الذي عقد في تورنتو عام ١٩٢٣ ثم تعلم ما كان من أثرها في تطور التاريخ . . وفي تطوره الى وجهته « الانسانية » العامة لا « الأممية » الخاصة فيما بعد

كذلك ليس من جديد عليك ، ان تعلم اثر ولز في « تبسيط » التاريخ واثر « لدوج » في تجديد التاريخ . . اما تبسيط التاريخ فبأن يكون سهلاً معقولاً ، واما تجديده فبأن يكون رائعاً أخاذاً

كذلك ليس من جديد عليك ، ان تعلم ان صاحبة « الجلالة » المطبعة التي هي الوالدة الشرعية لصاحبات « الجلالة » ان شئتَ ، أو « السمو » إن أحببت — الصحافة ، والمكتبة ، والحرية ، والمدنية — هذه الوالدة الجليلة الشأن . . . . تلد فيما تلد — او بعبارة اصح واقرب الى الدقة — تخلق فيما تخلق — نواحي من الاقناع قوية . وتترك بالفعل نواحي من العظمة قوية . ثم تعمل من وراء ما تقدم على نشر الايمان بالعظمة ، وإذاعة التخلق باخلاق العظمة ، والايمان بصفات العظمة ، لانها خير منظار مكبر للقليل من صفات العظمة فما بالك بكثيرها . . . . .

واخيراً ليس من جديد عليك ان تعلم ان الرأي العام بعد الحروب يندفع في تيارات من المبالغات . ثم يتراجع سريعاً في المناقصات . . فهو بين مدّ وجزر في المعتقدات والآثار . . . . والحياة معتقدات وآثار . . . .

تلك هي اعتبارات اربعة هي « في ذهنك » بلا ريب وانت تدرس معي تاريخ عصر ابي بكر بروح « الانسانية » العامة لا « الاممية » الخاصة ، وبجدة البساطة الحديثة التي لا تحفل بتعقيدات الوقائع والحروب . وانت تدرسهُ غير عازب عن فكرك ان عظمة الماضي كانت عظمة ساذجة لم تسبغ عليها صاحبة الجلالة المطبعة بشيء من نياشينها واوسمتها ، ولم تلِ من

زينة الدعاية وطلاوة الاذاعة وبريق النشر قوة البطولة المكتسحة ما امامها . وتدرسهُ معي وانت متحصن بما تقدم من الاعتبارات، غير ناس بالطبع الاعتصام من تيارات المبالغات والمناقصات

— ٣ —

«جيوفاني بابيني» عقلية ايطالية ماردة . ذهبت في الشهوات مذهباً حادًّا ينطبق كثيراً عليها قول الحريري « ايها السادر في غلوائه ، السادل ثوب خيلائه ، الجامح في جهالاته ، الجانح الى خزعبلاته . . . . » ولكن هذه الشخصية الماردة في شهواتها وكفرياتها وفلسفياتها ونظرياتها وزندقتها وتألهها إنقلبت بعد بوتقات المحن ومصاهر التجاريب الى شخصية ورعة ممعنة في الورع. شخصية مثقفة تقية متبتلة ينطبق عليها في مرحلتها الاخيرة وصف عَدِيّ بن حاتم في احد معاصري ابي بكر . . . . « يقول عدلاً ويحكم فصلاً ، تتفجر الحكمة من جوانبهِ، والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يحاسب نفسه اذا خلا ، ويقلب كفيه على ما مضى ، وكان .... وكان .... وأقسم لقد رأيته ليلةً ، وقد مثل في محرابه وأرخى الليل سرباله . . . . يبكي بكاء الحزين، فكأني الآن اسمعه وهو يقول: يادنيا إليَّ تعرضتِ أم اليَّ اقبلتِ ، غُرّي غيري لاحانَ حينك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها » . . . .

وإذا كان « جيوفاني بابيني » أصبح خير من كتب عن المسيح بعد حياة كفر وزندقة ، واصبح الورع المؤمنَ بعد حياة شهوة واستهتار . . فالامم كالافراد كفر فايمان ، وإذا كان نابليون بونابارت كان واعظاً في اوليات ايامه لاخيه يوسف . وكان زاهداً في كل شيء قبل جوزفين وبولين فانهُ انقلب فجأة الى ما انقلب اليه من نقيض الى نقيض..... كذلك الحال في الكثير من العرب بعد ايمانهم وبعد متربتهم وعوزهم ، وبعد بيابهم الى تحضيرهم ،وبعد خيامهم الى آطامهم ... فلترجع معي . . الى نظرية المبالغات والمناقصات ،والمناقصات الى المبالغات . .

ولكنك ستقول إن الفكرة او العقيدة هي التي تفعل هذا كله . وهي الى ان « تتركز » تمر بتلك التيارات . وانت محق بلا شك . وحروب الردة تجزم بانك محق بلاشك . وحروب الردة كانت بوتقة لتجديد الاسلام ، وكان مصهراً لخلق العرب خلقاً جديداً

— ٤ —

يقول كارليل في كتابه القيم « الابطال وعبادة البطولة » في معرض كلامه عن البطل في صورة نبي : « هل رأيتم قط ـ معشر الاخوان أن رجلاً كاذباً يستطيع ان يوجد ديناً عجباً . . . ! والله إن الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب . . . ! فهو إن لم يكن عليماً بخصائص الجير، والجبس والتراب ، وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه ببيت ، وإنما هو

تلٌّ من الانقاض ، وكثب من اخلاط المواد . . . . الى ان يقول « . . . . ! ما الرسالة التي أداها إلا حقٌّ صراح ، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول . . . . ! كلا ، ما محمد بالكاذب ، ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة ، قد تفطر عنها قلب الطبيعة . . . . فاذا هي شهاب قد اضاء العالم اجمع »

ولست أدري يا صاحبي هل كان كاتب الانسانية « كارليل » قد اطلع على كل جزئيات حياة بطله « محمد » ؟ هل كان قد اطلع على كل ما ناله من اذى وتشريد ؟ هل كان قد اطلع على فقره يافعاً وصغيراً ، وزهده شيخاً وكبيراً ، وحكمته وسداده مبشراً ونذيراً ؟ هل كان قد اطلع على ما كان بينه وبين عتبة بن ربيعة حينما قال له : « إنك قد اتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جمعهم ، وسفهت به احلامهم ، وعبثت به بآلهتهم ودينهم ، وكفـرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني اموراً لعلك تقبل منها بعضها . . . فقال له رسول الله . . . قل يا أبا الوليد . . . قال « إن اردت بالذي فعلت مالاً جمعناه لك ، او شرفاً سودناك علينا ، فلا نقطع امراً دونك ، وإن كان يأتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه . . . قال . . . « افرغت يا أبا الوليد . . قال نعم فاسمَعهُ آيات من سورة السجدة وسجد . . . فقام عتبة الى اصحابه بغير الوجه الذي ذهب به ، فقالوا ما وراءك يا أبا الوليد . . . قال ورائي اني سمعت قولاً ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة . . . . اطيعوني يا معشر قريش ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ . قالوا . . « سحرك يا أبا الوليد . . ؟ » قال لنجمع اشراف كل قبيلة عند ظهر الكعبة ، ونبعث اليه ، ففعلوا فجاءهم حتى جلس اليهم ، فقالوا انا والله ما نعلم رجلاً من العرب ادخل على قومه الذي ادخلت ، الى آخر ما قاله عتبة .. فقال مابي ما تقولون . . « ما جئت بما جئت ، لأطلب اموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن بعثني الله اليكم رسولا ، وانزل عليّ كتاباً وامرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ماجئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ اصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم »

أجل . لست ادري شيئاً من هذا ، ولكنني اجزم بأن « كارليل » على حق ان الرجل الكاذب لا يقدر ان يبني بيتاً من الطوب . . . وان الرسالة التي اداها محمد حق صراح ، وانه قطعة من الحياة تفطر عنها قلب الطبيعة . . . ! ثم اجزم لك ان القاضي عياض وشراح القاضي عياض « وميور » و« أميل درمنن » . . . . وعشرات الرواة والمؤلفين كانوا على حق في تغنيهم بصفات رسول الاسلام وباعث دولة الاسلام . كما اجزم لك ان

من يقول « السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه . . ويقول . . اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك . . ويقول . . طوبى لمن شغله عيبه عن الناس ، وطوبى لمن انفق من مال اكتسبه في غير معصية . . ويقول . . ضع المعروف الى من هو اهله ، ولمن ليس اهله . . . . » اجزم ان من يقول ذلك ثم من كان من صفاته التي هي على غرار واحد وطراز واحد ومن معدن واحد انه كان « سهل الخلق ، لين الجانب ، دائم الفكرة ، متواصل الاحزان ، طويل السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة . . . . يخزن لسانه إلا في ما يعنيه ، كلامه فصل لا نذر ولا هذر . لا يذم أحد ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجي ثوابه ، مجلسه مجلس حلم وحياء وأمانة وصبر . . نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء ، تنام عيناه ولا ينام قلبه . . . يتفقد اصحاباً ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة ، وأعظم الناس عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة ، يرفد صاحب الحاجة ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه .... يزور ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم . . . يمر بالصبيان فيسلم عليهم . . . . واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس . . . » اجزم ان من تكون هذه بعض صفاته — لا فضلى حسناته — لا بد وان يكون عظيما في اثره ، صادقاً في رسالته ، مثقفاً لامته . ولا بد وان يكون عصره وعصر خلفائه عصر نور وعرفان ، وهدى وايمان

وكيف لا يكون عصره وعصر خلفائه عصر نور وعرفان ، وهدى وايمان ، وقد تأدب القوم فيه بأدب القرآن ، وليس من قصدنا ان نتحدث اليك عن اعجاز القرآن وقد قرأت ما كتبه الاوائل والاواخر من الزمخشري والرازي والجرجاني والرماني والواسطي والعسكري وابن رشد والباقلاني والرافعي وغيرهم

اجل تأدب القوم بأدب القرآن ، وتمشت في عروقهم روح الايمان . حتى رأينا النساء كالرجال في التضحية في سبيل الوطن ورفعة شأنه ، ولعلك قد قرأت في السير ما كان من صفية بنت عبد المطلب ، وقد شهدت بعينيها تمثيل المشركين في واقعة أحد بسيدنا حمزة عم النبي ، وكانت هند وصاحباتها قد جدعنه ، وبقرن عن كبده ، ولاكتها ولم تسغها فلما رأى النبي ذلك في حمزة ، وأقبلت اخته صفية أشار عليه السلام على ابنها الزبير ليردها حتى لا ترى ما حلَّ بأخيها ، فلقيها واعلمها . . . فقالت . . . وهي الكسيرة القلب ، الدامية الفؤاد ، ولكنها المترعة الايمان ، القوية العقيدة ، الخالصة الاخلاص . . . قالت : « بلغني انهُ مُثّل بأخي ، وذلك في الله قليل ، فما ارضانا بما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن ! »

تأدب القوم بأدب القرآن ، وأدب نبي القرآن ، ولعلك تذكر ما كان من قوم عطشى من جند المسلمين في تلك الايام ، يجودون بارواحهم في سبيل الله وسبيل الوطن قد طلب احدهم ماء فأتى بالماء . . . وإذ بالثاني قد طلب الماء وإذ بالثالث قد طلب الماء . . .وإذ بغيرهم قد طلب الماء، فآثر كلٌّ اخاه على نفسه واستقبل الموت في سبيل انسانيته وبرهِ وايثاره !

تأدب القوم بأدب القرآن ، وأدب نبي القرآن ، فلماذا لا يفوز جند قليل على جند كثير ، ولماذا لا ننتظر من كل قائد من قواد العرب في تلك الايام إن يصيح في جنده قائلا مقالة عبد الله بن رواحة . « انتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة إلا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به . . . . . . ! »

يقول توماس كارليل : « ان عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلاداً كريمة ، وكأنما خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق ، فكان ثمت شبه قريب بين وعورة جبالها ووعورة أخلاقهم ، وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم ، وكأنهُ يبسط من قسوة قلوبهم مزاج من اللين والدماثة ، كما كان يبسط من عبوس وجوه البلاد رياض خضراء ، وقيعان ذات أمواه ، وأكلاء » وإن كارليل لو وقف على اعجاز القرآن بقدر ما تفهم أسرار عبقرية محمد لكان يسمعنا الكثير المطرب من شجي كلامه وعذب منثوره عن مبلغ تطور الخلق العربي تطوراً الى خير الانسانية في عصرنا الذي نتكلم عنه . . ذلك العصر الذي كان من أولى مميزاته الايمان العميق والاخلاص العميق ولا غرو فان محمداً وصحابه محمد كانوا على ايمان واخلاص والاخلاص كما يقول كارليل عن البطل في صورة نبي: « هو أول خواص الرجل العظيم كيفما كان . . . . . ! »

إذنْ فليس بغريب ان نشاهد من أبي بكر وصحابة أبي بكر قيامهم جميعاً قومة رجل واحد ، بدافع الايمان والاخلاص ، لحرب الردة ، وابسط سلطان الاسلام ، لا للقتال والسجال ، ولا للفتح أو طلب المال ، وإنما في سبيل الايمان ، وفي سبيل تحرير بني الانسان

-- ٦ --

ولكنك تطالبني الآن بالتحدث اليك في الردة من حيث كونها بوتقة صهر بها الاسلام وخرج منها قويًّا مذاعاً ، ونال من بعدها نجاحاً مؤزراً . وأنت تعلم ان الردة في جملتها امتناع فريق من العرب كبير عن اداء فريضة الزكاة باعتبارها نوعاً من الاتاوة ، وفاتهم انها نوع من المعونة والرحمة والعطف من غنيهم لفقيرهم ومن قويهم لضعيفهم . وتعلم ان تيار الردة كان قويًّا وجباراً في قوته حتى كاد يكتسح الاسلام اكتساحاً ، لولا انهُ دين الله ولولا ان نهد للمرتدين مثل ابي بكر فرماهم بشجعان العرب وفرسان الهزاهز وابطال المواقع أمثال خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ، وشرحبيل بن حسنة ، والمهاجر بن ابي أمية ،

وحذيفة بن محصن، وعرفجة بن هرثمة، وسويد بن مُقرّن ، والعلاء بن الحضرمي ،وطريفة ابن حاجز ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن سعيد والمثات من امثالهم وفي بسالتهم

تعلم هذا وتعلم من الطبري وغير الطبري النصوص التي كتبها ابو بكر لأمير كل بعث وجماعة المرتدين في كل قطر، وقد هالك طبعاً ان نيران الفتنة قد التهبت في كل صقع من بلاد العرب ، وهالك طبعاً انه الى جانب هذا الارتداد الجزئي ارتداد اوسع نطاقاً وابلغ خطراً هو ادعاء النبوة عند الكثيرين ممن يصح ان اتحدث في أمرهم معك تفكهة ودعابة. بَيْدَ اني الآن أريد ان أتحدث اليك في شيء جزئي هو الآخر ولكن له معناه ولهُ فلسفته وله درسه وله تهذيبه . . ذلك الشيء هو انفاذ أبي بكر الصديق لجيش أسامة بن زيد ، وأعتقد انك ستوافقني بعد وقوفنا على ذلك الشيء الجزئي فنؤمن معاً بضرورة نجاح اصحاب هذه الدعوة الاسلامية ، لما لهم من مميزات خلقية من عزمة حذاء ،وهمة شماء ، وإرادة ومضاء

اجل سأحدثك عن اسامة وبطولة اسامة وهو لم يزل بعد في طراوة إهابه وعنفوان شبابه ، وهو جدير باعجابك وتقديرك لانك معجب بنا بليون وبطولة نابليون وهو لم يزل بعد كأسامة في طرادة إهابه وعنفوان شبابه . . . ولكنني اعلم حبك للنصوص التاريخية لأن رسميات ذلك العصر ومما هو شبيه بالرسميات مما يقع من قلبك الكبير موقع التقدير والاجلال . . .ولست في حاجة أن أذكرك ان نية رسول الله كانت منصرفة الى ان يبعث بأسامة وجيش أسامة لتأديب بعض العصاة والخارجين ، ولست في حاجة لأن أقول لك ان المنية قد عاجلت الرسول دون انفاذ هذه البعثة، وان ارتداد المسلمين والذهول الذي استولى على المؤمنين بوفاة نبيّهم لم يحولا بعد مما ستحدثك به النصوص والرسميات ، والمصادر الشبيهة بالرسميات

يحدثنا الطبري عن مشيخته عن عاصم بن عدي: انه قد نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُتمّ بعث أسامة إلا يبقين بالمدينة أحد من من جند أسامة إلا اخرج . . . ويحدثنا بأن ابا بكر قد خطب هذا الجند بماستجده في أخبار السنة الحادية عشر . . . . . ثم يحدثنا الطبري بأن الحسن بن أبي الحسن البصري قد قال مانصه : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وأمرّ عليهم أسامة بن زيد ، فلم يجاوز بهم آخر الخندق حتى قبض رسول الله صلعم ، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر : أرجع الى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي ان أرجع بالناس ، فان معي وجوه الناس وحدهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله ، وثقل رسول الله ، واثقال المسلمين أن يخطفهم المشركون . . . . . ! فخرج عمر بأمر أسامة ، وأتى أبا بكر فأخبره بماقال أسامة. فقال ابو بكر : لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به

رسول الله صلعم ، قال : فان الانصار امروني ان ابلغك وانهم يطلبون اليك ان تولى امرهم رجلا اقدم سناً من اسامة ، فوثب ابو بكر وكان جالساً ، فأخذ بلحية عمر فقال له ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلعم وتأمرني ان انزعه . . . . . الخرج عمر الى الناس فقالوا ما صنعت فقال : امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله . . . . ! ثم خرج ابو بكر حتى اتاهم واشخصهم وشيعهم وهو ماش ، واسامة راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابي بكر ، فقال له اسامة ياخليفة رسول الله والله لتركبن او لأنزلن ، فقال والله لا تنزل ووالله لا اركب ، وما عليَّ ان اغبر قدميَّ في سبيل الله ساعة . . انَّ للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب لهُ ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة . . . . . حتى اذا انتهى قال ان رايت ان تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ثم قال : يا ايها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عني ، لا تخونوا ولا تغلوا ، وتغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيرا ولا شيخاً كبيراً ولا ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها الوان الطعام فاذا اكلتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون اقواماً قد فحصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله . . . . اهـ

وانك بلاريب ستلفت نظري ياصاح الى قوة ارادة ابي بكر الممثلة في قوله « لو خطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى بهِ رسول الله » ، وستشير اليَّ بما في تصميم ابي بكر على امرة اسامة من احترام ارادة الرسول، وستذكرني بأدبهِ في مشيتهِ ، وايمانهِ في خطوتهِ وادبهِ مع قادتهِ . . . . ستلفت نظري الى ذلك كله مما يجب عليَّ ن اذكره واتدبره واما انا فارى في عنقي بعد ان فهمت ما ترمي اليهِ من تبيان رسوخ ابي بكر واستصغاره للخطب وتقديره للكفايات واحترامه لحقوق الامير وهو الخليفة دونهِ استئذانهُ في النزول له عن احد رجاله عمر بن الخطاب — اما انا فأرى من قبلي ان الفت نظرك، سيما في ايامنا هذه وجيلنا الراهن وحروبنا الحاضرة الى ما تضمنتهُ وصيتهُ لجنده من ضروب الانسانية وآداب المقاتلة . . . . اليس كذلك ؟

احمد فريد رفاعي

[تتمة هذا البحث التاريخي الطريف في مقتطف ديسمبر القادم]

شترزمان

رجل الواجب

كان الدكتور شترزمان يعرف خطورة المرض الذي يهدد حياته وكان يعلم من اطبائه انفسهم انه لن يعمر اكثر من ثلاث سنوات ابدأت في الشتاء الماضي وكان منذراً بانه لن يأتي على آخر هذه السنوات الثلاث الا اذا اعتزل مهام منصبه وانصرف الى الاهتمام بمعالجة صحته. ولكنه لم يحفل بانذار اطبائه ولم يكترث لتفاقم مرضه لا استخفافاً برأي اجمع الاطباء عليه أو استهتاراً بآلام مرض اشتدت وطأته ، بل رغبة منه في المضي في أعماله وعدم مغادرة ميدان الجهاد قبل الوصول الى آخره لا حباً بمنصب أعمى بصيرته أو شغفاً بشهوة وهنت امامها حكمته ولكن تأدية لواجب كان لا ينفأ يشعر بوجوب تأديته ارضاء لنداء ضميره واراحة لصوت وحدانه — فانني لما جلست بمقابلته في مكتبه بوزارة الخارجية في برلين في آخر شهر يونيو الماضي اخذ يحدثني عن امنية قديمة كان يظن ان المنية تمهله من الوقت ما يكفي لتحقيقها وهي امنيه زيارة مصر لمشاهدة اعلامها وآثارها وتمتيع النفس باعتدال اقاليمها . فقد قص علي رحمه الله يومئذ انه عزم على المجيء الى مصر اربع مرات لا مرة واحدة وحدث في مرة منها انه اشترى تذاكر السفر وتأهب للرحيل فعلا ولكن اعمالا مستعجلة طرأت عليه في تلك المرة كالاعمال التي كانت تطرأ عليه في كل مرة فمنعته عن السفر . وهنا سكت لحظة ثم حدق الي وقال « واظن انكم ترون معي ان الواجب يجب ان يقدم على كل اعتبار آخر في هذه الدنيا » . وقد ظل هو يقدم الواجب على كل اعتبار آخر الى ان ادركته المنية وهو مكب على معالجة شؤون بلاده الداخلية والخارجية فقضى شهيد الواجب وكان حقاً على المانيا ان تبكيه كما بكته وعلى صحافة العالم ان ترثيه كما رثته وحسبه فخراً بعد مماته ان تقول عنه صحيفة « الديلي هرالد » الانجليزية « من كان يقول لما وضعت الحرب العظمى اوزارها ان سنبكي سياسياً المانياً بعد عشر سنوات كما نبكي الدكتور شترزمان الآن »

السياسي والزعيم

وقد كان الدكتور شترزمان من اصحاب الرأي القائل بانه ينبغي على السياسي ان يختلف اختلافاً عظيماً عن الزعيم بخططه والوسائل التي يتعين عليه ان يتوسل بها لتحقيق اغراضه كي ينهض بالمهام الملقاة على عاتقه بما يعود بالمنفعة على بلاده وبالرفاهية على ابناء وطنه . فبينا



برتراند رسل
الفيلسوف الانكليزي المشهور

مقتطف نوفبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٢٨٩



شترزمان وتوقيعه

تحت الصورة التي أهداها الى الاستاذ كاتب هذا المقال



رأس تمثال لشترزمان

[اتيح للاستاذ كريم ثابت ان يسافر في هذا الصيف الى اوربا لموافاة « المقطم » بانباء الرحلة الملكية فانتهز هذه الفرصة وقابل اقطاب السياسة في البلدان التي زارها امثال المسيو موسوليني والمسيو ماساريك والدكتور شترزمان والدكتور بينش وغيرهم وقد وافانا بهذا المقال عن وزير المانيا الكبير على ذكر وفاته في الشهر الماضي]

الزعيم مضطر في احوال شتى الى مراعاة رغائب انصاره وتكييف تصرفاته بما يطابق شعور شعبه لئلا يحرم من عضده أو يفقد شيئاً من ولائه يتعين على السياسي ان يكون نافذ البصر بعيد النظر فيتنبأ بمصير الحوادث وعواقبها ويعمل في كل ظرف من ظروفها بما يكفل تحقيق النتيجة النهائية على ما تقتضيهِ مصلحة بلاده وسعادة شعبه ولو أدى هذا المسلك في بادىء الأمر الى نقد خططه والنفور من سياسته

وفي الواقع انهُ لم يكن في الدكتور شترزمان شيء من تلك القوة المغنطيسية التي تجذب الجماهير اليها فكان يفتقر والحالة هذه الى اول صفة من الصفات الجوهرية اللازمة للزعامة الحقيقية. فقد كان ربعة القامة ممتلىء الجسم اصلع الرأس كبير الوجه منتفخ الخدين أشقر الحاجبين والشاربين اخنّ الصوت قليلاً. وقد تبين لي من كلامه معي انهُ ليس المانياً بشكلهِ فقط ولكنهُ الماني بطبعهِ وبحديثهِ ايضاً فانهُ كان في حفاوتهِ غير متصنع وفي جلستهِ وحركاتهِ غير متكلف وكان حديثه بسيطاً صريحاً لا تجد فيهِ اثراً للتزويق والتنميق وكان لا يعرف من المجاملة الاّ ما تقضي بهِ آداب المجاملة — فرجل كهذا وان كان لا يستطيع ان يصير زعيماً الاّ ان من شأنهِ ان يكتسب حالاً ثقتك باقواله لانك تطمئن فوراً الى صراحته وترتاح الى بساطتهِ. فلا غرو اذا كان قد عرف كيف يفوز بثقة ساسة الحلفاء حتى حملهم على الموافقة على دخول المانيا في جمعية الامم واشتراكها في معاهدات السلم واهمها معاهدة لوكارنو. وكان يعدُّ مسألة قبول المانيا في سلك جمعية الامم اكبر مرحلة خطتها المانيا بعد الحرب العظمى في سبيل استرداد المقام الذي كانت تتبوأه قبلاً في عالم السياسة الدولية ولذلك كان يعلق فوق مكتبه نص التلغراف الذي ارسلهُ اليهِ السكرتير العام لجمعية الامم ليبلغهُ فيهِ نبأ قبول المانيا في سلكها. غير انهُ اذا كانت الثقة التي كان الدكتور شترزمان يولدها في نفوس عارفيهِ وسامعيهِ قد خدمتهُ أجل خدمة في الاتفاق مع الحلفاء على تسوية مشاكل المانيا الخارجية فان تعلقهِ برأيهِ القائل « بلن ينبغي على السياسي ان يختلف عن الزعيم بخططهِ وتدابيره » اضرّه حيناً من الزمن وكاد يفضي الى اغتياله في وقت من الاوقات أي قبل ان يدرك الالمان حقيقة مرمى سياستهِ ويقدرون نتائجها حق قدرها. ويقول كبار الكتاب الاوربيين ان هذه الصفحة في حياة شترزمان هي اعظم صفحات سيرتهِ وأغربها

لوكارنو

فانهُ لما تقلد الدكتور شترزمان منصب وزارة الخارجية في حكومة بلاده من نحو سبع سنوات رأى ان المانيا لا تستطيع ان تجاهد في سبيل استرداد المقام الذي كان لها قبل الحرب العظمى في اسواق العالم التجارية ما لم يسدْ جوَّها الهدوء والسكينة وذهب الى ان هذا الوطر لا يدرك الاَّ اذا سويت العلاقات بين المانيا والحلفاء تسوية نهائية على اسس العدل والانصاف سواء كان ذلك من الوجهة السياسية أو من الوجهة المالية والاقتصادية. فاذا تم لالمانيا اجراء هذه التسوية كما تتمنى غدت في حالة تستطيع فيها ان توجه كل جهودها الى استرداد ذلك المقام المنشود . ولما ايقن ان هذه السياسة هي الخطة الرشيدة التي يجب عليهِ انتهاجها لمصلحة بلاده قرر المضي فيها مهما كلفهُ ذلك من جهد ومشقة وتضحية

وأخذ من ذلك الحين يتحين الفرصة الملائمة للشروع في تحقيق خطتهِ الى ان كانت اوائل سنة ١٩٢٥ فأرسل الى دول الحلفاء مذكرة سياسية قال فيها انهُ يقترح ابدال الضمانات العسكرية التي اتخذها الحلفاء في بلاد الرين وعلى حدود المانيا باتفاقات دولية تعقد بين الفريقين ثم ختم مذكرتهُ بقولهِ انهُ في الاستطاعة ايضاً البحث في عقد ميثاق لتأييد السلم تشترك في امضائهِ الدول التي ترغب في احلال الوفاق محل الشقاق . فكان لهذه المذكرة وقع عظيم في بلدان الحلفاء ولاسيما لندن ووشنطن وفي باريس نفسها فاغتبط شترزمان بوصوله الى النتيجة التي كان يسعى اليها وهي ان ينبت لشعوب تلك البلدان حسن نية المانيا واستعدادها للتعاون معها على تعزيز السلم في اوربا . وكان من نتيجة المساعي التي بذلها بعد ذلك ان قرر وزراء الخارجية البريطانية والفرنسية والايطالية والالمانية الاجتماع في لوكارنو للبحث في مشروع الميثاق الجديد الذي اقترح الدكتور شترزمان عقده

ولكن الجانب الاكبر من الشعب الالماني لم يدرك في بادىء الامر الغاية الحقيقية التي يصبو اليها الدكتور شترزمان ويسعى بكل قواه اليها فأنكر سياسة « المسالمة » انكاراً شديداً حتى ان بعض شعب الكتلة الوطنية ذهبت الى اتهامه بالتساهل في حقوق البلاد فهاج عليه الرأي العام ورماه بالخيانة العظمى وحملت عليه الصحف المناوئة لسياسته حملة شعواء زادت في اثارة الخواطر حتى ان ولاة الامور خشوا على سلامتهِ فاحاطوه برجال الحفظ والبوليس السري في غدواته وروحاته وكتموا مواعيد اسفاره وتنقلاته — كل ذلك والدكتور شترزمان مصرٌّ على المضيّ في السياسة التي اعتقد ان فيها مصلحة المانيا مهما كلفه الامر مع ان الجرائد كانت قد بالغت يومئذٍ في التهجم عليه وطلبت محاكمته امام محكمة الدولة العليا فلم يبال بهذا الاتهام الشنيع اكثر من مبالاته بصحته

ولما ذاع في المانيا نبأ انعقاد مؤتمر في لوكارنو لامضاء الميثاق الجديد الذي عرف بميثاق لوكارنو اشتد هياج الوطنيين الألمان فخاف ولاة الأمور عاقبته فأمسكوا عن اعلان موعد سفر الدكتور شترزمان الى لوكارنو وأحاطوا محطة سكة الحديد بالحرس ومنعوا الناس من دخولها وبثوا رجال البوليس السري في القطرات يفتشون مركباتها ويراقبون ركابها وقبل ان يغادر الوزير مدينة برلين بوقت قصير اكتشف ولاة الأمور مؤامرة سياسية لاغتياله فأبى ان يرجىء سفره غير انه لما وصل به القطار الى الحدود السويسرية رضي ان نزل منه وان يستانف سفره مع سائر المندوبين الالمان الى لوكارنو بالسيارات

جمعية الامم

وأفضى امضاء ميثاق لوكارنو الى دخول المانيا جمعية الامم مع موافقة الدول على التحفظات التي ابدتها فاطمأن الجمهور الالماني الى سياسة وزير خارجيته بعض الاطمئنان فلما اعلن بعد ذلك ان المانيا تنتهز فرصة انتظامها في سلك الجمعية لتجاهر بانها ليست مسؤولة عن تبعة الحرب زالت المخاوف التي كانت تساور الجمهور وبدأ يرتاح الى سياسة وزيره فلما خطا خطوته الثالثة طالباً اعادة النظر في مسألة التعويضات وعقبها بخطوته الرابعة طالباً وضع حد لاحتلال الحلفاء للبلاد الالمانية المحتلة انقلب سخط الجمهور عليه الى الرضاء عن سياسته والثناء عليها اذ ادرك الالمان في تلك الساعة ان وزيرهم المحنك لم يكن يقلُّ عن اكثرهم تحمساً ووطنية واخلاصاً وانما اراد ان يأخذ سياسة الحلفاء باللين والحسنى ليحقق اغراضه في جو يسوده الوفاق والوئام . فأجلوه واحبوه وبدأوا يقابلون بعض صفاته بالصفات التي امتاز بها بسمارك الكبير . وصفوة القول ان الدكتور شترزمان اصبح من ذلك اليوم يعتبر منقذ المانيا من المشكلات الخطيرة التي واجهتها بعد الحرب العظمى واكتسب في قلوب الالمان منزلة لم يعهد مثلها من قبل الا بسمارك الكبير

ولما كان الدكتور شترزمان قد اهتم بمسألة دخول المانيا لجمعية الامم ذلك الاهتمام الكبير عنَّ لي ان اسأله هل يعتقد ان الجمعية ستوفق الى تحقيق غايتها فأجابني بقوله :

« ان مهمة جمعية الامم محفوفة بالصعاب ولكن كل محب للانسانية يتمنى نجاحها ولا شك في ان الجمعية قد تقدمت تقدماً محسوساً يبعث على الارتياح وعندي ان جمعية الامم تسدي الى الدول خدمة جليلة تضاف الى الغاية الكبرى التي تسعى لها وذلك انها تتيح لساسة الدول المشتركة فيها فرصة الاجتماع بعضهم ببعض حول طاولة واحدة فيتجاذبون اطراف الحديث في مقام متساوٍ وفي جو يسوده السلام والصفاء فتساعد تلك الاحاديث في كثير من الاحيان

على حل مشكلات وازالة التباسات قد يتفاقم امرها اذا ظل كل فريق قابعاً في عقر داره ولا يسعى الى الوقوف على وجهة نظر غيره وآرائه ولا يعنى هو من جهته ببسط وجهة نظره والادلاء بافكاره. وصفوة القول انني اعلق شأناً خطيراً على مثل هذه الاجتماعات والمحادثات لاعتقادي انها كبيرة الفائدة بعيدة الاثر وأرى ان السياسة ليست علماً موضوعاً له اصول ثابتة وقواعد معينة بل هي مرهونة بحكم الاحوال وعندي ان الوقت يعالج احياناً مسائل خطيرة تعجز جبابرة العقول عن معالجتها قبل حلول الاوان الطبيعي لحلها. فالسياسي الماهر هو الذي يعرف كيف يعطي الزمان حقه حتى اذا فعل الوقت فعله عرف كيف ينتهز الفرصة ويستفيد من الانتظار في الاوان المناسب »

علمه وأدبه

وأرى ان هذا البحث الوجيز في سيرة الدكتور شترزمان لا يكتمل الا اذا تناول بعضاً من نواحيه الشخصية ومن ذلك ان عارفيه يقولون ان ميله الفطري الى العزلة عن الناس والايجاز في الكلام بدأ يتجلى فيه منذ نعومة اظفاره فانه كان وهو حدث لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره يفرُّ من المجتمعات والمنتديات ليخلو بنفسه في زاوية من زوايا بيته فيمضي الساعة تلو الساعة في المطالعة او التأمل والتفكير حتى ان اهله ما عدا والدته كانوا يعنفونه على هذا السلوك الشاذ. اما والدته فكانت الشخص الوحيد الذي ادرك حقيقة خلقه وشمله بعطفه ورعاه بحنانه

وجاء ذكر الرياضة البدنية في حديث الدكتور شترزمان معي فقال انه لا يمارس ضرباً من ضروب الرياضة ثم ذكر فجأة انه يمقت الملاكمة مقتاً عظيماً فسألته مبتسماً عن سبب مقته لها فأجاب بقوله « لا اعلم. وكل ما اعلمه هو اني اكرهها. واني افضل الآداب عليها » وقد كان رحمه الله من المولعين « بجويتي » الشاعر الالماني الكبير وكان يختلس دائماً اوقات فراغه ليعكف على المطالعة في كتاباته ومنظوماته وقد وجد من نحو سنتين الوقت الكافي رغم مهامه الكثيرة ليعد محاضرة شائقة عنه القاها في النادي الذي ينتسب اليه على مسامع جمهور من الادباء الالمان. وكان من المعجبين ايضاً بشكسبير وقد ظلَّ حتى السنوات الاخيرة يحضر بانتظام كل محاضرة تلقى عنه في برلين وكان لكتابات « ماكولي » منزلة رفيعة في نفسه لا يقل عنها اعجابه بمؤلف « فولتير » المسمى « محمد »

كريم ثابت

درة من درر الفلسفة الحديثة

كيف تكونت عقيدتي الفلسفية

لبرتراند رسل

الفيلسوف الانكليزي المشهور

وتمت الرسالة التي وضعها محرر هذه المجلة في تحليل جمهورية افلاطون وقعاً حسناً لدى جمهور القراء فطلبوا الاستزادة من هذه المباحث الفلسفية. وفيما نحن نعد العدة لبحث من هذا القبيل طلعت علينا احدى المجلات الاميركية بمقالة للفيلسوف الانكليزي المعاصر برتراند رسل بسط فيها عقيدته الفلسفية واصولها . فرأينا ان ننقلها الى القراء لانَّ ما تحتوي عليه من الآراء يعالج المشكلات التي يعانيها العمران في العصر الحاضر . وقد قال في مطلعها « ان نظري الى الكون والحياة كنظر سائر الناس وليد الحوادث والايام قدر ما هو وليد الطبع الموروث » وقال احد الكتاب المشهورين في برتراند رسل ما يأتي : انه فليسوف متصوف . والفلاسفة كالصوفيين يرون رؤى اعلى ان اصحاب الرؤى ليسوا اضعف القوى التي تسير هذا العالم ولا هم اخمل الناس فيما يبذلونه من السعي لرفع مستوى الحياة». قال :

الدين

اما فيما يتعلق بالمعتقد الديني فيظهر ان الذين تعهدوا تربيتي الدينية لم يسلكوا اقوم السبل ليغرسوا في نفسي التسليم باصول المعتقد المستقيم الرأي من غير تساؤلٍ عن صحتها اوتردّد في الاخذ بها . فقد كان ابي وامي من احرار المفكرين ولكنَّ امي توفيت لما كنت في السنة الثانية من عمري وتبعها ابي في السنة التالية فلم اعرف آراءهما الدينية الاَّ بعد ما بلغت دور الشباب . وبعد وفاة والدي اخذتني جدتي وعنيت بتنشئتي وتهذيبي وقد كانت من اتباع المذهب البرسبيتاري الاسكتلندي ولكنها انقلبت وهي في السبعين من عمرها واعتنقت مذهب « الموحّدين » (اليونيتاريان) وكانت تسير بي كلَّ يوم احدٍ الى الكنيسة فكنا نذهب في الاحد الاول الى كنيسة المقاطعة وهي « ايسكوبالية » وفي الاحد التالي الى كنيسة اخرى تابعة للمذهب « البرسبيتاري » وكانت هي في البيت تعلمني اصول المذهب «الموحّد». على اني لم انشأ على حسبان كلَّ ما تحتويه التوراة صحيحاً بحرفه ولا ان اعتقد

صحة السجائب والعذاب الأخير. ولا ازال اذكر معلماً سويسريًّا قال لي ذات يوم، وكنت في الحادية عشرة من عمري « اذا كنت داروينيًّا فاني اشفق عليك اذ يتعذر ان يكون الانسان داروينيًّا ومسيحيًّا في آنٍ واحد » . لم اكن في ذلك العمر اعتقد انهُ يتعذر الجمع بين الاثنين في حيّز نفسٍ واحدة على انهُ كان قد اتّضح لي حينئذٍ اني لو خيّرت بين الاثنين لاخترت ان اكون داروينيًّا . ولكني ظللت اؤمن باصول المعتقد الموحد حتى بلغت الرابعة عشرة اذ تملكتني عاطفة التديّن حتى اخذت عليَّ مذاهبي وصرت شديد التوق الى معرفة امرٍ واحد هو : هل هنالك سبب كافٍ لاقناعي بان الدين صحيح ؟ وقضيت السنوات الاربع التالية من عمري في التفكير والتأمل في هذا الموضوع . ولم اكن استطيع ان افاتح احداً من ذويّ بما يجول في ذهني لئلاَّ اؤلمهُ . وكانت تتنازعني نزوات من الالم المبرح لما كنت اشاهدهُ في نفسي من تداعي اركان الايمان وضرورة السكوت عليهِ . واول المعتقدات التي نبذتها عقيدة « الارادة الحرة » ذلك اني كنت احسب حينئذٍ ان كلَّ حركات المادة حتى المادة التي يتركب منها جسم الانسان خاضعة لنواميس الحركة الدينامية وانها لذلك لا يمكن للارادة الانسانية ان تؤثر فيها . والمعتقد الثاني الذي نبذتهُ معتقد « الخلود » ولكني لا استطيع ان اذكر الآن ما كانت الاسباب التي حملتني على نبذهِ . وظللت اؤمن بوجود الله لان التدليل على وجودهِ بدليل « السبب الاول » كان في نظري لا يدحض . ولكني قرأت سيرة الفيلسوف جون ستيورت مِلْ لما بلغت الثامنة عشرة من العمر فظهر لي ما في هذا الدليل من الضعف وعليهِ تخليت عن كل المعتقدات التحكمية المسيحية . ولشدَّ ما كانت دهشتي حين وجدتني اسعد حالاً واهنأ معيشةً مني حين كنت اغالب نفسي للاحتفاظ بمعتقدٍ ديني

ولما بلغت هذه الرتبة من مراتب التفكير انتظمتُ في سلك جامعة كمبردج حيث وجدت للمرة الاولى اناساً استطيع ان احدثهم في شؤونٍ تهمني . في كمبردج درست الفلسفة واصبحت من اتباع الفيلسوف هيجل وبقيت كذلك ثلاث سنوات . وبعد خروجي منها قضيت بضع سنوات في درس علوم متفرقة فقضيت شتائين متوالين في برلين ادرس علم الاقتصاد السياسي . وفي سنة ١٨٩٦ حاضرت الطلبة في جامعتي جونز هبكنز وبرن مور الاميركيتين في موضوع « الهندسة غير الاقليدسية » ثم قضيت زمناً بين هواة الفن في فلورنسا وقرأت « بايتر » و« فلوبر » من امراء الادب في العقد الاخير من القرن التاسع عشر . واخيراً اعتزلت في بيت بالريف عازماً على الاشتغال بوضع كتاب كبير في « مبادئ الرياضيات » كانت مطامحي منذ صرت في الحادية عشرة من عمري تتجه اليه

الرياضيات

كنت في الحادية عشرة حين حدث لي حادث كان لهُ اكبر اثر في حياتي . ذلك ان اخي —وهو في الثامنة عشرة حينئذٍ— اخذ على عاتقهِ تعليمي هندسة اقليدس فكان فرحي بذلك لا يوصف لانه كان قد انتهى اليَّ ان اقليدس يبرهن ما يقول فأمَّلت ان احصل من وراء درسه على معرفة راسخة . ولن انسى ما خامرني من خيبة الامل حين وجدت ان اقليدس يبدأ بالاوليات وهي امور مسلَّم بها . فلما قرأ اخي الاولية الاولى لم ارَ سبباً يحملني على التسليم بصحتها فقال اخي « اذن فلا فائدة تجنى من التمادي في هذا الدرس » ولما كنت توَّاقاً الى درس الهندسة سلَّمت بصحتها جدلاً ولكن اعتقادي ان في مكان من الكون يستطاع الحصول على معرفة ثابتة صُدِم صدمة عنيفة .ان ميلي هذا الى الكشف عن معرفة راسخة كان محور كل عملي ومصدر وحيه الاعلى الى ان بلغت الثامنة والثلاثين من عمري . وكان من الواضح حينئذٍ ان الرياضيات هي اقرب العلوم الى قدس المعرفة الراسخة . لذلك عنيت باصول الرياضيات وتعمقتُ فيها . وفي السنة الثامنة والثلاثين من عمري شعرت اني قد بذلت كلَّ ما استطيع بذلهُ في هذا الميدان مع اني كنت لا ازال بعيداً عن محجتي «الحقيقة المطلقة » لا بل ان النتائج التي اسفرت عنها مباحثي حملتني على الارتياب في علم الحساب وهو ريب لم يتطرق اليَّ قبلاً . وقد كنت معتقداً ولا ازال ان الطريقة التي جريت عليها هي اقرب الى المعرفة الحقيقية من كل الطرق المعروفة ولكن المعرفة التي أفضت اليها ليست الاَّ معرفة تقريبية وليست معرفة مدققة كما يبدو لاول وهلة. وشعرت حينئذٍ اني لا اميل الى وقف نفسي على المجرَّدات بعد ما بذلت في سبيلها كلَّ ما في وسعي من غير تحقيق غرضي . وبعد ما اتممت مع الاستاذ هويتهد وضع كتاب « مبادىء الرياضة » بقيت ثلاث سنوات متوالية متردداً فيما اتجه اليه من المباحث والاعمال . وكنت حينئذ ادرّس في كمبردج ولكني أيقنت اني لا اريد ان استمر في عملي هذا الى ما شاء الله . وكنت بحكم الاستمرار لا ازال مشغولاً ببحث المنطق الرياضي ولكنَّ ميلاً خفيًّا تولاني الى تغيير الموضوع برمتهِ

الحرب

ونشبت الحرب الكبرى فعلت من غير ظلّ من الريبة او التردد ماذا عليَّ ان افعل. لم اشعر في حياتي قط كما شعرت حينئذٍ ان كلَّ كياني مصوَّب الى عمل كما كان مصوَّباً الى عمل الدعاية السلمية التي قمت بها في اثناء الحرب . ولا اذكر اني ترددت في اي عمل آخر اقلّ من ترددي في هذا العمل . ولاول مرة في حياتي وجدت شيئاً يشغل طبيعتي باسرها . ذلك ان اشتغالي بالمجردات من قبل كان قد ترك غرائزي الاجتماعية دون ما يكفيها مع اني كنت قد افسحت

لما أتنال من حين الى آخر في كتابة المقالات والقاء الخطب السياسية وخصوصاً فيما يتعلق بحرية التجارة واصوات النساء. وكانت التقاليد الارستقراطية التي درجت عليها في صغري تحملني على ان اشعر شعوراً فطريًّا بوجوب القيام بالتبعة الملقاة على عاتقي فيما يتعلق بالشؤون العامة. والفطرة الوالدية التي لم تكن محققة فيَّ تحقيقاً شخصيًّا حينئذٍ حملتني على ان اغضب وانفر لمنظر شبان اوربا يخدعون ويساقون الى المجزرة لأكفاء الشهوات الشديدة التي تكتسح صدور كبارهم. واستقامتي الفكرية منعتني عن تصديق الخرافات التي اتخذتها الدول المتحاربة سبباً تسوّغ بهِ اثارة الفتن. والواقع ان المفكرين الذين صدقوا هذه الخرافات كانوا قد تخلوا عن علمهم الصحيح لينعموا بالشعور انهم واحد من القطيع. وهذا في نظري كان عملاً غير شريف. لانهُ اذا كان للمفكر عمل في المجتمع فعمله الاحتفاظ بحكم هادئ مجرَّد حين ثورة العواطف والشهوات ولكني وجدت ان اكثر المفكرين لا يثقون بفائدة العقل الاَّ في ايام السلم

وأثار فيَّ شعور العامة في شهور الحرب الاولى عناية علمية وان تكن مؤلمة. فجعلت اراقب الجمهور فاتضح لي ان اكثر المتخلفين في الوطن كانوا يطربون لانباء الحرب مما يدل على تأصل البغض وضعف المحبة في الطبيعة الانسانية المهذبة باساليب العصر. وشاهدت كذلك الفضائل السامية كالاقتصاد والاجتهاد والروح العامة تستغلُّ لتعظيم الخطب بحمل اصحابها على بذل اقصى ما عندهم من النشاط والقوة في سبيل التقتيل والتدمير. فتولاني جزع من فناء الحضارة الاوربية. ولو استمرت الحرب سنة اخرى لكانت تقوضت اركانها وعفت معالمها. والشعور بالامن والضمان الذي امتاز بهِ القرن التاسع عشر زال ولكني ظللت معتقداً بفائدة المثل العليا التي كنت ارعرعها وأغذيها في نفسي. وافضى اليأس في طائفة كبيرة من شبان العصر الى معتقدٍ قوامهُ التشاؤم والاحتقار ولكن اليأس لم يتولَّني ولذلك بقيت اعتقد وما زلت ان السبيل المؤدي الى اصلاح الاحوال لا يزال مفتوحاً

كل تفكيري في الموضوعات السياسية والاجتماعية والادبية في اثناءِ الخمس عشرة السنة الاخيرة نشأ عن الشعور الذي تملكني في ايام الحرب الاولى. فبعد بحثٍ قليل اقتنعت ان درس المصادر السياسية، على فائدتهِ، لا يصل بي الى قرار المسألة. لان الشهوات العامة ايَّدت الحكومات كلَّ التأييد في كل الخطوات التي خطتها على طريق الحرب. كذلك اقتنعت باني لا استطيع التسليم بان اسباب الحرب هي اسباب اقتصادية دائماً لانهُ وضح لي ولغيري ان الذين كانوا اشدَّ الناس حماسة في تأييد الحرب كانوا اكثر الناس عرضة لخسارة اموالهم فيها وبمجرد اغفالهم ذلك دليل على ان شهواتهم الثائرة شوَّشت عليهم تفكيرهم المالي الصافي من الخطأ. ان هذه الشهوات هي المصدر الحقيقي للرغبة في الحرب. وليس القول باسباب

الحرب الاقتصادية — في ماعدا بعض الاحوال الخاصة كالشركات الصناعية الكبيرة — الاّ تعليلاً يُلجأ اليهِ لتسويغ الحرب . ان الناس يريدون الحرب فيقنعون نفوسهم بانها في مصلحتهم. فالمسألة المهمة اذاً هي المسألة السيكولوجية. لماذا يريد الناس ان يحاربوا؟ هذه المسألة تفضي بنا الى طائفة من المسائل تتعلق بشهوات القسوة والظلم والاستبداد وغيرها بوجهٍ عام

الفلسفة النفسية والاجتماعية

ودرس هذه المسائل يشتمل على درس الاصول التي نشأت عنها الشهوات الضارة وعليهِ فهو يشمل درس التحليل النفسي ومذاهب التعليم والتهذيب ووسائلها . وقد حملني درس هذه المذاهب على تكوين فلسفة للحياة رائدها الرغبة في الكشف عن طريقة تمكن الناس من ان يعيشوا معاً، بما في طبائعهم من الصفات الموروثة والشهوات المدمرة، من غير ان يجعلوا غرضهم قضاء بعضهم على هناءة البعض الآخر . ومفتاح فلسفتي من الوجهة العلمية هو وجوب العناية بعلم النفس والجري على خطة قوامها الحكم على المنشآت الاجتماعية من حيث اثرها في الاخلاق البشرية . ففي اثناء الحرب انقلبت كلُّ الفضائل التي يتصف بها كرام الناس واستعملت للشر. فامتنع الناس عن شرب المسكرات ليصنعوا قنابل ومقذوفات متفجرة . وقبلوا ان يطيلوا ساعات العمل لكي يقوّضوا اركان المجتمع الذي يجعل للعمل قيمة . وزاد تقززهم من الامراض الزهرية لانها تحول دون مقدرة اصحابها على الفتك بالاعداء

كلُّ هذا حملني على الاعتقاد ان قواعد التصرف لاتكفي لانتاج النتائج الحسنة الا اذا كان الغرض الذي يرمى اليه غرضاً شريفاً. فازدياد الاجتهاد والاقتصاد والاعتدال والامتناع عن المسكرات كان من البواعث على توسيع نطاق الفتك والتدمير . ولكن المال الذي انفق حينئذ على المسكرات كان من عوامل السلم لانهُ لولم ينفق في شرب المسكرات لكان انفق في صنع القنابل . ولما كنتُ من دعاة السلم ومحبيهِ اعترضت مطالبي مطالبَ الامة باسرها وتعذر عليّ ان اقف من القواعد الادبية الاّ موقف الناقد اللاذع النقد. على ان موقفي لم يكن موقف مقاومة للقواعد الادبية على اطلاقها بل كان شبيهاً بموقف الرسول بولس في فصلهِ المشهور عن المحبة .اني لا اتفق مع هذا الرسول الكريم في كثير من آرائهِ ولكني ارى رأيهُ في ان الخضوع للقواعد الادبية لايقوم مقام المحبة وانهُ حيث تكون المحبة خالصة من الشوائب تستطيعُ اذا قُرنت بالعقل والذكاء ان تبدع القواعد الادبية الضرورية . على ان لفظة « المحبة » فقدت جانباً كبيراً من مدلولها بالاستعمال وعادت لا تؤدي طيف المعنى المطلوب . فلنحللها تحليلاً فلسفيًّا بيولوجيًّا

المحبة والبغض

في صفوف الحيوانات الدنيا تستطاع قسمة الحيوانات الى قسمين عامين : الاول يشمل الحيوانات التي تقبل على النور. والآخر يشمل الحيوانات التي تبعد عنهُ وتنفر منهُ . ونستطيع ان نجري هذا التقسيم على مملكة الحيوان باسرها . فاذا اثّر في الكائن الحيّ مؤثر جديد ، اثار فيهِ شعوراً بالاقتراب من المؤثر ومصدرهِ او بالنفور منهُ والابتعاد عنهُ . واذا ألبسنا هذا الفكر البيولوجي حلة بسيكولوجيّة قلنا ان كلّ مؤثر جديد يثير في الكائن المتأثر اما شعور الانجذاب او شعور الخوف وكلا الشعورين ضروري للبقاء في عصر العمران الحالي ولكن شعور النفور والخوف اقلُّ ضرورة الآن منهُ في ما سبق من العصور . ذلك ان الوحوش الضارية جعلت حياة الانسان محفوفة بالمخاطر قبلما استنبط ادوات تمكنهُ من الدفاع عن نفسهِ فكان لذلك جباناً كالارنب . وكان الخوف يتملكهُ لانهُ كان مهدَّداً دائماً بخطر الموت من الجوع . وهذا الخطر قد قلّ بفضل العلم والاستنباط في ميادين الزراعة والنقل . اما الآن فاشرس الحيوانات التي على الناس ان يمارسوها هو الانسان نفسهُ مع ان الاخطار الطبيعية التي يتعرضون لها قد قلت جدًّا . فالشعور بالخوف الآن انما هو خوف من الناس . والخوف هو احد الاسباب الاساسية التي تجعل الانسان خصماً لاخيهِ . فن الحكم المشهورة ان الهجوم افضل وسائل الدفاع . ولذلك ترى الناس يهاجمون بعضهم بعضاً لانهم ينتظرون ان يهاجَموا. وعواطفنا الغريزية موروثة من اسلافٍ كانوا يعيشون في عالم محفوف بالمخاطر ففيها من الخوف اكثر مما يتفق مع معيشة هذا العصر . ولما كان هذا الخوف لا يجد مجالاً للظهور في ميدان العوامل الطبيعية كالهجوم على الضواري وخوف الجوع الخ — يتجه الى المحيط الاجتماعي فيولد البغض وضعف الثقة والحسد والافتراء. فاذا شئنا ان نستفيد من سيطرة الانسان على الطبيعة وجب ان نبني نفسية علوية . فنصبح نشعر برزانة السيّد وسكينتهِ في ساعة الخطر بدلاً من ان نشعر بخوف العبد واضطرابهِ. وعليهِ يجب ان نقوي في النشء شعور الاقتراب والانجذاب ونضعف شعور الخوف والنفور. وهذه المسألة ككل المسائل اخرى نسبية . فانا لا ادعو الناس الى الاقتراب من نمر هائج او افعى تفحّ فحيحاً يخالجهم شعور المحبة والعطف انما اقول ان المواقف في علاقات الناس بعضهم ببعض التي تبعث على النفور هي اقلّ كثيراً مما تحملنا التقاليد على تصورهِ ، لان هذه التقاليد نشأت وتكونت في عصر كانت المعيشة فيهِ محفوفة بالمخاطر تبعث على الخوف والنفور كما تقدم

فقبض الانسان على ازمة الطبيعة مهَّد السبيل للتعاون بين طوائف الناس والعاقلون يستطيعون الآن اذا تعاونوا واستفادوا من علمهم اقصى الفائدة ان يبسطوا ظلّ الرخاء

الاقتصادي على جميع الناس . وهو عمل لم يكن في مستطاعهم في العصور البائدة
ان النزاع — نزاع الموت والحياة — على امتلاك البلدان الزراعية الخصبة كان امراً معقولاً في الماضي ولكنه جنون بحت في هذا العصر . فانشاء حكومة دولية وتنظيم الاعمال المالية والتجارية والجري على خطة « تحديد النسل » عوامل اجتماعية تمكن ذوي السلطان من جعل المعيشة الرخية في متناوَل كل انسان . انا لا ادّعي ان كل انسان يستطيع ان يصبح غنيًّا كقارون ولكن كل انسان يستطيع ان يملك من حطام الدنيا ما يكفيهِ لتوفير وسائل السعادة اذا كان عاقلاً قنوعاً . ومتى حلّت مشاكل الفقر والمسكنة تمكن الناس من ان ينفقوا وقتهم في اعمال العمران وترقية العلم ومكافحة المرض وابعاد شبح الموت واطلاق الوان الشعور التي تبعث على الغبطة والفرح

لماذا يظهر لنا ان هذه الافكار خيالية لن تتحقق ؟ السبب كل السبب في نفس الانسان — في ذلك الجانب منها المبني على التقليد والتهذيب والبيئة لا في جانبها الموروث الذي قلما يناله تغيير ما

الحكومة الدولية والسلم العام

خذ الحكومة الدولية . فضرورة انشائها امر مسلَّم بهِ عند كل انسان يستطيع ان يفكر تفكيراً سياسيًّا سليماً . ولكن الشهوات القومية تحول دونها . فكل امة تفاخر باستقلالها وكل امة مستعدة لان تخوض غمار الحرب حتى آخر نسمة في آخر رجل منها للمحافظة على حريتها . هذه فوضى شعبية كفوضى الاشراف في عصور الاقطاع (الفدَنية) الذين ارغموا في نهاية الامر على الخضوع للملك . ان الموقف الذي تقفهُ كل امة الآن من سائر الامم هو موقف حذر ونفور وابتعاد . اننا لا نعترض على اجنبي ما زال في بلاده يصرّف امورها ولكننا تكمش ذعراً اذا رأينا اجنبيًّا وقد منح الحق ان يكون لهُ قول في تصريف امورنا . فكل امة اذاً تصرُّ على التمتع بحق لا تتنازل عنهُ هو حق اقامة « الحرب الخاصة » . ان معاهدات التحكيم ومواثيق السلام التي على منوال ميثاق كلوج اشارات طيبة في سبيل السلم العام ولكن كل انسان يعلم انها لن تتحمل اي توتر شديد في العلاقات الدولية

وما زالت كل امة محتفظة بجيشها واسطوليها الجوي والبحري فحكومتها لابدَّ ان تستعملها اذا ثار ثارها كائنة المعاهدات التي وقّعت عليها ما كانت . والسلام بين الناس لا تتوطد اركانهُ الا اذا جرت الدول على المبدإ الذي طبق بين الافراد من قبل . وهو : لا يستعمل الفرد قوةً ما في حسم النزاع الذي يثور بينهُ وبين جارهِ ويعهد باستعمال القوة الى فريق ثالث محايد

جرياً على قوانين وقواعد معروفة (القضاء) . فمتى سيطرت سلطةٌ عالمية على قوات الامم الحربية نكون قد بلغنا في علاقاتنا الدولية درجة وصل اليها الافراد في علاقاتهم بعضهم مع بعض منذ قرون كثيرة . ولا شيء اقل من هذا يكفي لتوطيد اركان السلام

ان اساس الفوضى الدولية هو ميل الناس الى الخوف والبغض وهذا هو اساس النزاعات الاقتصادية لان حبّ الاستئثار بالقوة والسلطة وهو اساس كل نزاع اقتصادي ليس الاّ صورة جديدة لفطرة الخوف . فالناس يريدون ان يسيطروا لانهم يخافون ان تستعمل سيطرة الغير في هدم مصلحتهم. وفي ميدان التعلم نرى ان الشعور الايجابي الذي يجب ان يجعل محور التثقيف والتهذيب هو « حب الاستطلاع » ومع ذلك نرى هذا الشعور مضغوطاً عليهِ ضغطاً شديداً سواء في عالم الاستطلاع السياسي او الديني او غيرهما. وبدلاً من ان نهذب الاولاد ونثقفهم باساليب البحث الحرّ نعلمهم المعتقدات السايمة الرأي (في نظرنا) التي درجنا عليها بعد آبائنا واجدادنا فينجم عن ذلك ان هذه الافكار الغريبة تثير فيهم شعور الخوف والنفور بدلاً من شعور الرغبة والاقبال . وكل هذه النتائج تنجم عن طلب ضمان للحياة ناشيء عن مخاوف غير معقولة . وقد اصبحت هذه المخاوف غير معقولة في عصرنا فقط لانهُ اذا جمعنا في نظامنا الاجتماعي بين الجرأة والعلم ضمنا لنا البقاء المنشود

طريق الفردوس العالمي

فالطريق الى الفردوس الارضي ممهد معروف . جانب منهُ يقع في ميدان السياسة والآخر في ميدان التغيرات في طبيعة الانسان اي في ميدان التعلم. اما في ميدان السياسة فاهم ما هنالك انشاء حكومة دولية. اما في ميدان الطبيعة الفردية فاهم عمل نقوم بهِ هو تنشئة الفرد حتى يكون اقلّ انفعالاً بعوامل الخوف والبغض وهذا امر فسيولوجي وبسيكولوجي في آن واحد . فاكثر ما في العالم من البغض والحقد سببهُ سوء الهضم وعدم قيام الغدد بعملها قياماً منتظماً وهذان الامران اساسهما الضغط على الشبان وكبت طبائعهم . ففي عالم يعنى فيهِ بالصغار عناية كافية ويفسح امام طبائعهم الحيوية اوسع مجال لاتساع نطاقها ونموها نموًّا لا يضرّ بهم ولا برفاقهم ينشأ الناس رجالاً ونساء اشجع قلباً واطيب نفساً مما هم الآن. فاذا وجد اناس هذه طبائعهم وانشئت حكومة دولية تمهّدت امام الناس طريق العمران غير المتزعزع الاركان . اما اذا مضينا وهذه حالتنا النفسية ، وهذا نظامنا السياسي ، فكل تقدم في العلم يقرب اندثار الحضارة . آه

الذكرى : للشاعر لامرتين

[الاحزان العميقة مَبْعَثها الفؤاد ، ومكمنها الحشا ، فهي لا تستدرُّ الدموع ، بل تَستقطر دماء القلوب ، وهي صامتة غير صَخَّابة ، فاذا ما أنَّت نفس المرء العادي وتأوَّهت ، خرجت على فمه زفرة ، تَقطّع لها نياط الفؤاد ، وشغاف القلب ، وتلاشت على شفتيه دون ان يشعر بها احد . اما الشاعر ، فانَّةُ نفسهِ ، لهيب عواطفهِ المحترقة ، يصعد على مَتن الشعر ، فيعبر بازيزه عن المهِ وجواه ، بكلمات تهز العواطف ، وتستثير الشجون ، حتى تستعبر منها كل عين ، ويدمي لها كل فؤاد

وكان لامرتين اذا غنى على قيثارة ألمهِ نشيد روحه المحتضرة ، هيَّج مكامن الشجون في النفس ، ورفع هذه من مستقرها الارضي ، الذي الصقها بهِ شطرها المادي ، الى مستواها العلوي ، تاركاً الجسد متخبطاً في دياميس تألمهِ ودياجير إيجاعه

وهذه القصيدة ، نَفثة من نفثات صدره الكليم ، لفظتها نَفسه بعد فقد حبيبتهِ التي شغف بها في مدينة اكس . فقد لبث سبعة شهور هائماً على وجههِ ، لا يستقر بهِ النوى ، ولا يحيط قلبه ، الاَّ بصورة تلك الراحلة العزيزة ، حتى اذا ألف حزنه ، والتى الزمن ستر الكآبة على ألم نفسه ، مُلطِّفاً من شدتهِ ، مخفّفاً من حدّتهِ ، طفق يرسل شعور روحه واحساسها ، الى خيال عشيقتهِ ، المائل دائماً لتصوراته ، نجوى وحنيناً ، هما زفير النفس وتأوُّهها]

عَبَثاً تعاقب الايام ، وتَهوي على مَزْلَقة الزمن ، دون ان تترك أثَراً ، فلا شيءَ يمحو من قلبي ، آخر حلم من حبي وغرامي

ارى سِنيَّ حياتي الرَّكوض تتجمع ورائي مُتَراصَّة ، كما تتراكم اوراق البَلُّوطة الذابلة حول جِذعها

لقد بَيَّضَ الزمن مفرِقي ، واثلج دمي الذي يَدِبُّ ببطء في عروقي ، فأشبهتْ مياه الغَدير السارية ، التي تَعقِلها رياح الجَنوب الباردة

ولكن صورتكِ الفتيَّة الساحرة ، التي تُزهيها الحَسْرَة واللَّهفُ ، مَصُونة في اعماق فؤادي ، لن يمسَّها كِبرٌ ، ولن تتطرَّق اليها شيخوخة ، فهي كالرُوح لا يحدُّ لها عمر

كلا انكِ لم تَنأي عن عيني ، ولما تَطلَّبَكِ طرْفي الحائر ، ولم يجدكِ على الارض ، تطلعتُ فجأةً الى السماء فالفيتكِ فيها

هنالكِ بدوتِ لي ، كما كنتِ في آخر ايامكِ ، بدوتِ لي زاهرةً زاهيةً ، عند ما

الذكرى

كنتِ تحفزين الى الطيران ، على متن الفجر الى مقرك الازلي

لقد تبعك جمالك التي المسبي في رحلتك الاخيرة . فكنتِ ساحرة على الارض ، فتانة في السماء . وعيناك اللتان انطفأ فيهما نور الحياة ، كانتا تشعان باضواء الخلود . اني لا ذكرك وقد اطارت انفاس النسيم المحببة ، خصل شعرك الطويلة ، فتلاعبت بها ما شاءت، ثم حطتها على صدرك العاجي ، ضفائر متموّجة سوداء، وجدائل أبنوسية لمّاعة

وظلال ذلك الستر المبهم ، تحلي صورتك في فؤادي ، كما يحلو الفجر المنبثق ، عندما يطلق من أسدال الصبح الاخيرة

ان اشعة الشمس السماوية ، تقبل مع النهار ، وتدبر اذا ولّى ، ولكن حبي ليس له ليل ، ولا يعتريه أفول . انتِ دائماً تنيرين نفسي ، وتضيئين روحي

فانتِ التي اراكِ واسمعكِ . سواء أكان في الفلاة او السحاب ، فمياه الجداول الصافية ، تعكس لي صورتكِ ، وانين النسيم يحمل اليّ صوتكِ

اذا غفت الارض ، وطرق مسمعي تأوهات الريح ، تبادر الى ذهني ، اني اسمعكِ تسرين في أذني ، كلماتك العذبة المقدسة

كلما تأملت في تلك الشهب المنتثرة الموشية ليلاً وجه السماء ، ظننت اني اراكِ في كل نجم يحشن في عيني

واذا ما اسكرني هبوب الهواء ، الحامل أريجَ الازهار ، يسيل اليّ ، اني استنشق انفاسك المعطرة ، في اطيب عبير يصل اليّ

ان يدكِ هي التي تكفكف دموعي . اذا ما استعبرت عيناي ، والتجأت فريداً حزيناً، الى الهيا كل المعزّية لارفع صلواتي .

واذا ما غفا طرفي في سهرتِ في الخفاء ، وظللتني بجناحيكِ ، مسندة بهما اليّ ، لتدفعي عني عاديات الاذى ، حتى اذا سرت الى رأسي احلام ، تطرّقت اليّ منكِ ، فتكون لذيذة جميلة ، كنظرات الاشباح ، او تطلعات الظلال

اذا ما ران الكرى على جفني ، وحللت بيدكِ لحمة ايامي، اطير اليكِ لأصحو بين احضانكِ ، فانضمّ الى شطر روحي السماوي ، دون فرقة ولا بعاد

فاذا ما اتحد روحانا ، كأنهما ضوآن من ضياء الفجر، او نهدان قد تمازجا ، حظيتُ بلقياكِ في دار الخلد ، حيث الراحة الابدية ، والهناء السرمدي ، ولكن أنّى لي ان افوز بأمنيتي العاجلة ، وعيني لم تزل تطرف ، وفي يتنسّم الحياة

القاهرة ترجمة : نصيف جورجي نيقولاوس

التجارة عند الامم القديمة الى عهد العرب

بقلم عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار) ومؤلف تاريخ الاسر الشرقية العام

تسمية التجارة وتعريفها

التجارة لفظة سامية قال اللغويون فيها : انهُ ليس في كلام العرب تاء اصلية بعدها جيم غير لفظ تجر ومشتقاتها وهي بمعنى البيع والشراء معاً. والفعل منها أتّجر وتاجر واتّجر فهو تاجر وهي تاجرة والصناعة التجارة . ومن معاني التاجر عندهم بائع الخمر والحاذق . والمتّجر الاتّجار وبضاعة التاجر ايضاً . وارض مَتْجَرَة يُتّجر فيها واليها

ومن اسماء التاجر الاعجمية (القسطار) تعريب *Quoestor* (كوستور) الرومية وهو الخازن للاموال التي توزع على الجنود والموظفين وتأتي بمعنى (الصيرفي) ايضاً. و(السقنطار) يونانيتها *Scutarius* بمعنى موظف بزنطي وهو في معانيهِ ايضاً عرّبها العرب

اما اسم التجارة الافرنجي فهو عند الفرنسيين والانكليز *Commerce* من اللاتينية *Commercium* وهي مركبة من كلمتين *Cum* بمعنى ضم وجمع و *Merx* بمعنى بضاعة . اي (جمع البضائع) ومنها اسماؤها باللغات الاوربية

اما (حد التجارة) فافضله قول ابن خلدون فيلسوف العرب الاجتماعي وهو : «التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياً ما كانت السلعة» وهو اشبه بحدها عند الافرنج اليوم . ولهُ في فلسفة التجارة مالا يجارى فيه وهو قولهُ :

« ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باكثر من ثمن الشراء اما بانتظار حوالة الاسواق او نقلها الى بلد هي فيهِ انفق واغلى . او بيعها بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى رأس المال يسير الا ان المال اذا كان كثيراً عظم الربح لان القليل في الكثير كثير . ثم لا بُدّ في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بايدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي اثمانها

«واهل النصَفَة قليل فلا بُد من الغش والتطفيف المجحف بالبضائع ومن المطل في الاثمان المجحف بالربح . ومن الجحود والانكار والمسحت لرأس المال فيعاني التاجر من ذلك احوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه في الربح الا بعظم العناء والمشقة اولا يحصل ويتلاشى رأس مالهِ . فان كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالحسبان شديد المماحكة مقداماً

على الحكام كان ذلك اقرب لهُ الى النصفة بجرأته ومماحكته . والا فلا بدَّ لهُ من جاهٍ يدرع بهِ يوقع لهُ الهيبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافهِ من معامليهِ فيحصل لهُ في ذلك النصفة في ماله طوعاً في الاول وكرهاً في الثاني

«واما من كان فاقداً للجرأة والاقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكام فينبغي لهُ ان يجتنب الاحتراف بالتجارة لانهُ يعرض مالهُ للضياع والذهاب ويصيره مأكلةً للباعة لان الناس وخصوصاً الرعاع والباعة شرهون الى ما في ايدي سواهم متوثبون عليهم» انتهى

الاقوال في التجارة

لقد كثرت اقوال الناس منذ القديم في التجارة والاقتصاد والاثراء وهي نتيجة تجاربهم فمن ذلك قول سقراط الفيلسوف اليوناني : « لا تكون عنايتك بأن تكسب شيئاً كعنايتك بحسن استعمال ما تكسبهُ » . وقال افلاطون . «من كان غنيًّا فليقتصد ومن كان فقيراً فليُدمن العمل » . ورأى فتىً ورث مالاً كثيراً وضياعاً فاتلفها . فقال « رأيت الارض تبلع الناس وهذا الانسان بلع الارض »

ويقول المثل الاسباني : « من يقصد ان يثري بسنة واحدة يعلَّق في المشنقة بعد ستة اشهرٍ » . والمثل الروسي : « عند ما يتكلم المال يصمت الحق » . والمثل الياباني « من يبتاع مالا يحتاج اليهِ يبيع ما يحتاج اليهِ » وعند عامتنا مثل بهذا المعنى نفسهِ . ويقول اليونانيون ايضاً في أمثالهم : « فكر بالحاجة عند الغنى . وفي الحاجة لا تعلل نفسك بالغنى » . و « حيثما تكون الارباح فهناك الخسائر » و « تحصيل المال كالحفر بالابرة . اما انفاقهُ فكمثل تسرّب الماء في الرمل » . ويقول المثل التركي « من اشترى رخيصاً فقد اشترى غالياً . ومن اشترى غالياً لم يغشّ » .ومن امثال عامتنا بهذا المعنى قولهم :«يا مسترخص اللحم عند المرق تندم » وقولهم : « الرخيص غالي »

وقال شكسبير الانكليزي : « لاتستدين ولا ادين فان الدّين طريق للخراب » . وقال المركيز منتروز : « من لا يعرّض نفسهُ للربح والخسارة فهو جبان او صعلوك » . وقال السر لتون : « ان المال يولّد المال » وهو الذي وضع خمس قواعد لطلاّب الاثراء (اولها) الوقت (٢) الاقتصاد (٣) الترتيب في الانفاق (٤) الثبات على العمل (٥) الصدق في المعاملة. وقال فؤاد باشا العثماني : «كنتُ افضل ان اكون تاجراً لو قدرت ان لا اكون سياسياً » ولعامّتنا اقوال كثيرة منها قولهم : « تاجر بقرش تتسمى بالبلد تاجر وبالف قرش عند الناس لاتاجر ». و « التجارة، ربح ياخسارة » و «من اشترى ما لا يحتاج اليهِ باع ما يحتاج اليهِ » و « اذا تاجرنا بالكفان (الاكفان) يبطّلو الناس يموتوا »

اركان التجارة

ان موقع بلادنا (سورية) الطبيعي واتصاله من جهة الغرب بالبحر المتوسط ومن الشرق ببادية سورية ومن الشمال بارض الاشوريين والكلدانيين ومن الجنوب بالبلاد العربية وما اليها جعلها مباءة للتجارة البرية والبحرية وسمي البحر الابيض المتوسط لتوسطه بين القارات الثلاث الكبرى آسية وافريقية واوربة . وفي بلادنا تتلاقى هذه الطرق وتتعارض

ونرى معظم اقسام بلادنا زراعية وكثيراً من مدنها صناعية فلا عجب اذا كانت التجارة قد اشتهرت فيها منذ القديم وعرف ابناؤها في العالم باجتهادهم واسفارهم الشاقة الطويلة الى اقاصي القارات المعروفة في القديم والى قارة اميركا الجديدة في الحديث

ومن انعم النظر في كتابات نهر الكلب المحفورة في صخوره الضخمة قرب جونيه في لبنان وغيرها من الكتابات الداخلية والساحلية عرف كيف تصافحت الامم القديمة في ساحات بلادنا وكيف كان حسن موقعها داعياً لطموح الملوك اليها . فضلاً عما في جميع نواحيها من الكتابات والآثار والشواهد الدالة على عمرانها واتساع حضارتها وعظمة مجدها وكفى بما اكتشف اخيراً في جبيل والمشرفة (قرب حمص) وغيرها برهاناً على صدق قولنا

ولا يخفى ان حسن موقع البلدان وثروتها ورواج اسواق التجارة فيها هي كلها من اهم عوامل التحاسد حتى الآن . بل هي من مسببات الحروب الدامية والوقائع المهلكة وشاهدنا قريب في الحرب الكبرى الاخيرة التي كان سببها التجارة ومضرم وطيسها التنافس في اكتساب الثروة وتوسيع نطاق الاثراء والكسب

ومن المعلوم ان الطبيعة كلما ساعدت الانسان بخصبها وجودة موقعها تكاسل وكلما قاومته وعادته نشط واجتهد فالناس الذين لم تكن موارد ارتزاقهم من الزراعة والصناعة موفورة نراهم مخروا البحار وذرعوا القفار وسهّلوا الصعاب سعياً لكسب المال وتوفير الاثراء والذين كثرت مواردهم في القديم اكتفوا بها وان كان بعضهم اراد تنميتها فاتجروا وربحوا

فالفينيقيون سكان سواحلنا البحرية كانوا اول من نشر التجارة البرية والبحرية واقتفت آثارهم الامم كما سترى . على ان الامم المصرية وسكان العراق ومن اشبههم كانوا يكتفون بموارد زراعتهم الغنية لخصب اراضيهم. والمشهور اليوم بين الاقتصاديين : ان الامم التجارية هي التي تسنى لها ثلاثة اسباب (اولها) حسن موقعها الجغرافي براً وبحراً و (ثانيها) كثرة مناجمها الفحمية والمعدنية و(ثالثها) معاهداتها التجارية والاقتصادية مع الامم الاخرى . فعلى هذه الدعائم الثلاث يرتكز معقل التجارة الحصين مع سهولة المواصلات

كان السفر من لندن الى اوستراليا يستغرق سبعة اشهر ونصفاً فلما سارت القطارات

والسفن التجارية بينهما جعلت المسافة ٣٥ يوماً .وكانت المسافة بين الشرق الاقصى واوربة بضعة اشهر فصارت الآن ١٩ يوماً . وهذا كان قبل ان تجارت الطيارات في الهواء تقطع الآن ما بين سورية وبغداد بيوم كامل بعد ان كانت المسافة بينهما نحو شهر

وكانت السفن تسير في البحار بحركة الهواء فتتجه بحركة مهبّهِ الى الجهة التي تقصدها فاذا خالفتها الريح بقيت اياماً وشهوراً في عرض البحر تتوقع الفرج ولذلك قال شاعرنا العربي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

ولابن جبير الرحالة العربي في وصف مرفأ عكا التجاري والرياح التي تهب عليه كلام علميٌّ بليغ. وقد صارت بواخر هذا العصر تقطع المسافات البحرية بدون عائق مهما اشتدت الريح وتعاظمت العواصف فلهذا تيسرت ذرائع التجارة في البحر والبر بتقريب المسافات وكثرة الطيارات وسرعة نقل الاخبار

التجارة قديمة عند الامم تولدت في الزراعة والصناعة كما مر وجاءت الآثار المكتشفة تثبت شؤونها وما تقلب عليها وتصف طرقها . فكانت للامم على اختلافها رموز واشارات وعلامات تدل على التجارة منها النسر الذي يحمل برجليهِ المفاتيح كما نراه في عتبة هيكل الشمس العليا في بعلبك وغيرها . ولا يخفى ان الامم القديمة ألهت الزراعة والصناعة فاتخذت لها محامين من الآلهة ومحطات من الهياكل متبرّكة بها متفائلة بنجاحها بواسطتها وكثيراً ما نذر لها التجار من ارباحهم ماينفق على تزيينها وتشييد هياكلها مما لا تزال آثار بعلبك وتدمر وغيرها من البلدان التجارية شاهدة به

كان اصل المبايعة قديماً بالمقايضة اي مبادلة متاع بآخر مما يحتاج اليه كل من البائع والشاري فيستبدل الواحد بالآخر . ثم تطوّرت التجارة بتطور الامم فكانت ترتقي بارتقائها وتنحط بانحطاطها . وكانت طريق التجارة عند القدماء تسير في خطين (الاولى) في البحر الاحمر (القلزم) الى مصر والاسكندرية . و (الثاني) من خليج العجم فبادية الشام . فكانت محطتها البرية بترا ثم تدمر وقوافلها وعجلاتها تسير على طرق مرصوفة ذات محطات للاستراحة وقلاع للحصار والخفراء وكانت في تدمر ضريبة كبيرة على القوافل يتقاضاها وكلاء خاصون بها تشهد لها آثارها العظيمة وابنيتها الفخمة وهي لطبقات الخاصة من الاغنياء والتجار . واليكم الآن تاريخ التجارة عن اشهر الامم القديمة

تجارة الفينيقيين

كانت بلاد فلسطين التي ملكها الفينيقيون مدةً ذات خصب في بعض انحائها فألهتهم عن التجارة الى ان تغلب عليها الاسرائيليون واختاروا منها ما كان كثير الريع وافر الحاصلات فاضطر الفينيقيون اذ ذاك الى الاتجار لان مدنهم الساحلية لم تكن كلها خصبة ولا متسعة

فقام سكان مدينة صور وما يتبعها من الولايات وسيروا سفنهم وقوافلهم للتجارة في ما وراء البحار في المدن والبلدان السحيقة . وهكذا قل عن سكان صيدا وما اليها وبقية المدن البحرية التي امتلكوها . وكانت مصانعهم ومعاملهم شهيرة فيهما

فكانت صناعاتهم النفيسة تحملها السفن والقوافل الى البلدان فتعود بحاصلات تلك الاقطار اما مبادلة واما بوزنات الذهب والفضة حتى ملأت السفن البحار والقوافل البرور. واخترعوا الكتابة وتسيير السفن بالابرة المغناطيسية فعززوا بهما التجارة وربطوا العالم بعضه ببعض

وذكرت مجلة المقتطف (٣٢ : ٧٧٠) ان رئيس فرع الجغرافية من مجمع تقدم العلوم البريطاني قال في كلامه عن (الجغرافية والتجارة) مطرئاً الفينيقيين : ان موقع مدنهم الجغرافي بين البحر المتوسط غرباً والعراق وخليج فارس او طريق الهند شرقاً جعل زمام التجارة في يدهم وصبَّ عليهم ميازيب الثروة فان الذي يسهل عليهم ان يتاجروا بمصنوعاتهم يتيسر لهم صنع المصنوعات واتقانها . فجعل الفينيقيون ينسجون المنسوجات الرقيقة من الصوف والكتان ويصبغونها بالالوان الجميلة ويصنعون الآنية الزجاجية والمعدنية ويبعثون بها الى البلدان القاصية حيث مواد الطعام كثيرة وجلبها بحراً سهل قليل النفقة

«ولم تنحصر فائدة التجارة في الفينيقيين بل شملت الامم التي اتجروا معها او تعلموا التجارة منهم كاليونان . الى ان قام الاسكندر المكدوني وحاول نزع تجارة الشرق من يد الفينيقيين فهدم مدينتهم صور وبنى الاسكندرية بدلاً منها لكي تتحول تجارة الشرق اليها فكان له ما تمنى» انتهى — وذلك قبل الميلاد بثلاثة قرون فكان الفينيقيون محتكرين للتجارتين البرية والبحرية ومفاتيحهما بايديهم الى عهد اليونان والرومان فكانت طرقهم في سورية الشمالية والوسطى وبادية الشام وتدمر الى الاقطار البعيدة براً وفي البحر المتوسط وغيره بحراً الى المرافئ السحيقة. وكان للتجارة الفينيقية في آسية ثلاث طرق . فالجنوبية منها كانت قوافلها تذرع الفلوات الى اليمن وحضرموت وعمان ناقلة اليها مصنوعاتها وحاصلات بلادها وحاملة منها الحجارة الكريمة والذهب والبخور واللبان والمر واللؤلؤ والعاج والابنوس . وتحمل الى مرافئ عدن بضائع الهند وصناعاتها . ومن اطراف اليمن بضائع الحبشة

والطريق الشرقية كانت قوافلها تنهب السهول الى جهات نينوى مارة بحماه وحلب ونصيبين فتتجر بآثار بلادها الزراعية والصناعية مع الاشوريين وتنقل الى بلادها حاصلاتهم وصناعاتهم مثل انسجة الكتان والقطن وحرير الصين والحجارة الكريمة . ولها طريق اخرى تمر فيها بتدمر وتبسك على الفرات الى بابل فتتجر مع الكلدانيين

والطريق الشمالية كانت الى ارمينية حتى بلاد الكرج والقوقاز والبحر الاسود وبحر

قزوين فتجلب منها الرقيق وآنية النحاس والخيل

اما الطريق الغربية فكانت بالبحر او بمضايق البر احياناً فتسير سفنهم الشراعية العظيمة في البحر الاحمر الى خليج العجم والمحيط الهندي . وكانت الشركات التجارية بين حيرام ملك صور وسليمان ملك اسرائيل لجلب الذهب من اوفير كما ذكر سفر اخبار الايام الثاني من التوراة وكانت تجارتهم مع بلاد مصر مهمة حتى ذكر هيرودوتوس المؤرخ بان الفينيقيين وحدهم كانوا الناقلين لبضائع مصر وحاصلاتها الى جميع الاقطار

وكان لتجارتهم في اوربة طريقان « الاول » من جهة جزائر البحر المتوسط حيث كانت مواقف سفنهم التي مخروا بها البحار الى بلاد اليونان وصقلية وسردينية وكورسكه الى فرنسة وايطالية وكانت لهم محطة تجارية عظيمة في بحر ايجه واحتكروا الذهب من بعض مدنهِ و « الثاني » من جهة افريقية ومضيق جبل طارق او بحر الزقاق حيث عبروا من قرطاجنه التي استعمروها الى ترشيش (اسبانية) والبرتغال وبعض جزائر المحيط الاتلنتيكي وكان لتجارهم قوافل في تلك البلدان تطوي الارض الى داخلية جرمانية وفرنسة . قال حزقيال في الفصل الرابع والعشرين يصف تجارة صور : « جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك لترويج موسمك . ترشيش متجرة معك في كثرة كل غنى . وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقكِ »

فكان التجار الفينيقيون يرافقون قوافلهم ويدرسون شؤون البلدان ويتخذون مخازن لهم في المدن الكثيرة التي تنقل اليها سفنهم وقوافلهم بضائعهم وصناعاتهم فيستقبلونها ويقايضون بها ويرسلون بضائع ومصنوعات تلك البلدان الى بلادهم واهم مصنوعات الفينيقيين الارجوان او البرفير الذي كانت تتخذ منهُ اردية الملوك وكانوا قد تفردوا بعمله في معامل صور وصيدا ورودس وقبرص وبلاد الموره في الارخبيل. والزجاج في مصانع صرفند وصيدا . والاواني الخزفية والمعدنية ولاسيما الصفر والشبه . والحاصلات كالزيت والتمر والموز والحنطة . ومما كانوا يستجلبونهُ من اسبانية وانكلترة الذهب والفضة والحديد والقصدير والزفت حتى ان ارسطو الفيلسوف اليوناني قال يصف ثروتهم التجارية: (ان الفينيقيين استبدلوا بزيتهم فضة ترشيش ولما ضاقت سفنهم عن شحنها صاغوا منها ادواتهم وآنيتهم حتى مراسي سفنهم (الاناجر) » وقال لينرمان الفرنسي : كانت مصر واشور مبعث التمدن المادي وكانت فينيقية سفيرته التي نشرتهُ في العالم»

وقد كتم الفينيقيون طرق البحر عن غيرهم فاحتكروا التجارة احقاباً طويلة وا كتشفوا صنائع الامم واقاموا الاسواق للبيع والشراء ونمت شهرتهم التجارية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد

شعر التصوير

وداعاً يا رفيقي القديم

Good-bye, Old Man

الرسم للنقاش ف . ماتانيا (*F. Matania*) في خلال الحرب العالمية

هَوَى جائداً بالرُّوحِ في ساحةِ الوَغَى ... جَوَادٌ لَهُ مِنْ خِلِّهِ حُبُّهُ الأَسْمَى
هَوَى مِنْ شَظَايَا حينما جَرَّ خَلْفَهُ ... الى الحَصْدِ ذاكَ المِدفَعَ الرَّائعَ الضَّخْما
فحرَّرَه مِنْ جِلِّهِ (١) ولجامِهِ ... لِميتَتِهِ مَنْ كان يَحرسُه دَوْمَا !
جَثَا جَنْبَهُ مِنْ صدمةِ الحُزْنِ باكياً ... يُقبّلُ رأساً وهو يُشبِعُهُ ضَمَّا
تَدَفَّقَ منهُ ذلك الدَّمُ مثلما ... تَدَفَّقَ مِنْ باكيهِ حُبٌّ له أَعْمَى
بَكَى وَرَثَى والصَّحْبُ ماضون هُلَّعٌ ... وضابطهُ يدعو فيوسِعُهُ صَرْمَا (٢) !
وفي قُرْبهِ وَقْعُ القنابلِ ناشرٌ ... خراباً فما بَالَى وإنْ هَدَمَتْ هَدْمَا
أحسَّ بِيتْمٍ في مَنيَّةِ خِلِّهِ ... كأنْ لم يَذُقْ مِنْ قَبْلِ مِيتَتِهِ اليُتْمَا !
وقد شَعَرَ الطَّرْفُ (٣) الذي كان كلُّهُ ... وَفَاءً إلى مَنْ لم يكنْ وافياً رَغْمَا
ويارُبَّ للأرواحِ حِسٍّ مُوحَّدٍ ... مِنَ الفَهْمِ مهما يَخْتَلِفْ حالُها جِسْمَا !
وقد يقبلُ المَيْتُ العزيزُ عَزاءَهُ ... قَرِيراً، ويُبْقي صَوْتُهُ رُوحَهُ فَهْمَا !
ومَنْ كان هذا حُبُّهُ وشُعُورُهُ ... فهل ذاق للسُّلوانِ عن خِلِّهِ طَعْمَا ؟

***

عجِبْتُ لانسانٍ عظيمٍ بِحُبِّهِ ... وفي جَنْبِهِ قَلْبٌ الى شَرَفٍ يَظْمَا
فلم يَنْسَ حتّى في المخاطرِ هكذا ... جَوَاداً ، وعَدَّ البُعْدَ عن موتِهِ وَصْما
ولكنّهُ هيهات يَعْرِفُ رَحْمَةً ... إذا سألَ الانسانُ مِنْ عَطْفِهِ السِّلْما
يُوزِّعُ أسمى الحُبِّ في كلِّ مَنْهَجٍ ... ويعطي أخاهُ الحَرْبَ والنَّكبةَ العُظْمَى!

ابو شادي

(١) الجل ما يلبسه الفرس ليصان به (٢) صرما : قطيعة (٣) شعر البصر بمعنى شخص عند الموت ، اشارة الى نظرة الجواد وهو يجود بروحه

شاعر اسباني كبير

يتفاخر بنسبهِ العربي

وهل تعجب ؟ حق لك العجب . عنوان غريب . في عصر غريب . عربيُّـه يتبرأ من عروبتهِ ويستنكف من نسبهِ ، فكيف بالغريب عنا بلغتهِ ومحيطهِ ، وعاداتهِ وميولهِ

شاعر اسباني نابغة ، يتغنى بمجد العرب ، ويبكيهم في شعره وخطبهِ وأحاديثهِ ، متفاخراً بالتحدر من صلبهم ، والانتماء الى صميمهم . هو الشاعر فيلا سباسا اكبر شعراء اسبانيا ، ورئيس ندوة الشعر فيها ، وصاحب ما ينيف على المائة والخمسين مؤلفاً ما بين شعر ونثر

تعرفت اليهِ في الايام الاخيرة لوجوده في الحاضرة سان باولو ، فاذا بي أمام روح وثابة هي روح الشاعر ، وذهن متوقد مبتدع هو ذهن النابغة ، وقلبٍ أنوف كبير هو قلب العربي . واليك عنهُ كلمة موجزة كنابغة وشاعر ، وبحثاً مستفيضاً كعربي. وما تخيَّـرتُ التبسط في عروبتهِ إلاّ لأ بيّـن صلتهُ بها ، واسباب حماستهِ لها ، وقد استقيت منهُ ما تراه في هـذا الصدد من افادات تاريخية ، هي على ما أعلم حلقة ناقصة في تاريخنا العربي بعد سقوط غرناطة وتضعضع أمر العرب في الاندلس

النابغة

لا يقاس النبوغ في الادب بوفرة الانتاج فحسب ، وانما يضاف اليها الاجادة في المبنى، والتحليق في المعنى ، وفيلا سباسا جمع بين الصفتين ، امتيازه بكثرة مؤلفاتهِ ، وتفوقه بجودة كتاباتهِ ، فهو مكثر ومجيد معاً

مؤلفاته المطبوعة مائة وثلاثة عشر كتاباً ، منها خمسة وسبعون ديواناً شعرياً ، واربع وعشرون رواية تمثيلية شعرية، واربعة عشر مؤلفاً نثريًّا . وله الآن خمسة واربعون مؤلفاً، منها خمسة وعشرون ديواناً شعرياً ، وسبع عشرة رواية تمثيلية شعرية ، وقصتان نثريتان ، ومؤلف يستغرق عشرين مجلداً في وصف سياحتهِ الى اميركا ، وهذه كلها ماثلة للطبع

اول كتاب طبعهُ هو ديوان شعر بعنوان « خصوصيات » والشاعر لا يتجاوز اذ ذاك الثامنة عشرة من سنيهِ ، وبين مؤلفاتهِ جانب كبير موضوعهُ عربي ، فمن رواياتهِ التمثيلية الشعرية « قصر اللؤلؤ » وهي رواية جرت حوادثها في غرناطة على عهد ابن

الاحمر ، ورواية « ابن امية » تناول فيها ما حدث لبقايا العرب بعد سبعين عاماً من سقوط غرناطة ، ورواية « في البادية » وهي رواية حدثت وقائعها في الصحراء وصف بها إباء العرب وما للضيافة عندهم من حقوق وله رواية اخرى ماثلة للطبع هي « زفرة المغربي » عنى بها زفرة ابي عبد الله آخر سلاطين العرب في الاندلس ، وبكاءه يوم ودّع غرناطة من اعالي جبل بادول المشرف على حاضرة ملكه وقد قالت له امهُ عائشة :

«إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليهِ مثل الرجال »

وهذه الحادثة هي موضوع روايتي التمثيلية ابن حامد او سقوط غرناطة التي وضعها منذ نيف وعشر سنوات ولم تطبع بعد

ومن دواوينه الشعرية ذات الموضوعات العربية ديوان « فتون الحمراء » و« ليالي جنة العريف » و« الاندلس » و« دفوف أشبيلية » و« قفير النحل الذهبي » و« باحة الاريج »[1] و« عاشق ليندا راخا » . ومن رواياته القصصية النثرية « انتقام عائشة » و « عبد الرحمن الاخير » و« نخيل الواحات » و« مخالب الفهد » و « برج الاسيرة »

وأروع ما انتجت قريحته روايتا « قصر اللؤلؤ » و« ابن امية » وكلتاهما عن العرب

فاذا عددت مؤلفاته بلغت مائة وثمانية وخمسين مؤلفاً بين منشور ومطويّ ، ومنظوم ومنثور ، وهي لعمري مكتبة كبيرة خلقها دماغ واحد في حياة لا تتجاوز الخامسة والخمسين عاماً . فيا لك من حياة قيّمة ، لو حسبت ساعاتها ، لكادت تكون كل ساعة فيها صفحة من النثر او قصيدة من الشعر

الشاعر

قرأت لفيلا سباسا ديواناً شعريًّا في موضوعات شتى ، ورواية تمثيلية شعرية هي « قصر اللؤلؤ » . ما انا من المتضلعين من اللغة الاسبانية ، ولكنني تعمقت جد التعمق في تفهم ما قرأتهُ لأسبر روح هذا الشاعر الكبير. أما الحكم على مبانيه فأدع القول الفصل فيهِ للنقاد وهم يضعون مؤلفاته في مقام سامٍ لبلاغة جملها وجودة تعابيرها وسمو لغتها

اما المعاني فاذا كانت بلاغتها في ايجازها وهي لكذلك فالشاعر محلّق في فضاء فسيح من الخيال ضمن دائرة ضيقة بليغة من الجمل

يتلاعب بعواطفك على هواه ، فتشعر بروحهِ سرَت في روحك ، تحبهُ هازجاً ونادباً ، باسماً وباكياً ، راضياً وغاضباً ، يحدثك عن عاطفة فتكاد تلمسها بيدك ، ويصوّر لك منظراً فتكاد تراهُ بعينك ، ويصف لك خريراً فتكاد تسمعهُ بأذنك

(١) لعلها تشير الى الباحة في قصر الحمراء التي كانت تعرف « بباحة الريحان »

بينا تماشيه على ضفة جدول هادئ ، اذا بك معهُ على شاطئ بحر ثائر ، وبينما انت بقربه على اديم الارض ، اذا بهِ يثب بك الى قلب الفضاء

« قصر اللؤلؤ » مأساة من التاريخ العربي في غرناطة ، ترى فيها كل ما في مزايا العرب من إباءٍ وشجاعة وكرم ، كما تلمس بها الحب العربي مختلجاً فناقاً فنتقماً ، كل ذلك في قالب من الشعر البليغ الخلاب تبدأ بقراءتها فتحسب انها كباقي ما وضع الغربيون عن العرب من الروايات ، اسماء عربية لاغير، خالية من أثر للروح العربية فيها، ولكنك تشعر بخطأك عند اول صفحة تقلبها فيخيل اليك ان المؤلف عربيّ والشاعر مترجم

في حياة ابطال الرواية واحاديثهم روح عربية صميمة تتدفق بين السطور ، فكأنك ترشف عصير الخيال العربي في كاس صافية برّاقة من اللغة الاسبانية

تسمع ابن الاحمر سلطان غرناطة يقول للشاعر العربي الذي انشد قصيدته بين يديه: « أشرف تاج على رأس الملك هو الشعر ، ولو كان لقصيدتك ثمن وكنتُ ملك العالم لأعطيتك بكل بيت منها مدينة كغرناطة ، ولكن خزينتي لا تكفي ثمناً لها ، » فتعلم ان الشاعر عنيَ بدرس نفسية العرب واحاط بمناحي طباعهم ، ومثل ذلك في روايتهِ كثير

والشاعر سامي الخيال بعيد غور التصور تلاحظ ذلك في شعره وتلاحظهُ ايضاً في وصفهِ ، يشغل احياناً صفحة كاملة من روايتهِ ليصف لك كيفية ترتيب المناظر على المسرح فيصوّر لك السقوف والمقاعد والجدران ، وما عليها من نقوش وسجوف وسلاح ، فتجد مؤلفه كاملاً بكل دقائقه مما يدل على تعمقه في درس التاريخ العربي وآثار العرب ، واطلاعه على عاداتهم وحياتهم في الاندلس

وهو سريع الخاطر طويل النفس ، لا توقف مجرى افكاره ضوضاء ، ينظم وصغاره يهزجون من حوله واثنين لاعبين . وهو يكثر التدخين ، ولا يهتم كثيراً بالطعام ، وقد ينقضي الليل وهو مكبٌّ على النظم دون ان يفكر بعشائهِ

وانه لمعجب شديد الاعجاب بالشعر العربي ، وقد طلب مني شيئاً من شعري فقدمت له نسخة من قصيدتي « شاعر في طيارة[1] » المترجمة الى البور تغالية

وكان طريح الفراش فذهبت لعيادتهِ في اليوم الثاني فقال لي : اجلس واسمع

واذا به يتلو عليَّ بالشعر الاسباني اربعة اناشيد من تلك القصيدة مترجمة في اكثر من مائة وخمسين بيتاً . فمن هذا تعرف مبلغ تدفقهِ ، وقوة عارضتهِ وشدة هيامهِ بالشعر

(١) — « المقتطف » سننشرها في عدد تالٍ ليطلع عليها القراء

عروبة الشاعر

غرناطة ، اواه غرناطـة ! لم يبق شيء لك من صولتك !
هل نهرك الجاري سوى ادمع تجري على ما دال من دولتك ؟
والنسمة الغادية الرائحه
هل هي الا زفرة نائحه ؟
ما عدت في النهر كسلطانة جبهتها في مائه ساطعه
للقبة الحمراء في تاجها وهج ، وللمأذنة اللامعه
آه على امجادك الضائعـه
شيعتها بالنظرة الدامعه !
مرّت مرور النهر من جسره واورثتك النوح في عزلتك
غرناطة ! ، اواه غرناطة ! لم يبق شيء لك من صولتك !

***

لله حمراؤك ، تحسو الاسى وحيدة في الروضة الخاليه !
لم يبق لا زهوة ندمانها ولا صدى اعيادها الماضيه
ولم يعد للحب فيها أنين
ينقله العود عن العاشقين
بينا يحيل البدر الحاظـه باهتة في المرمر اللامع
بين أريج الزهر المنتشي وبين شدو البلبل الساجع
وقصرها الخاوي بارجائه
كم غمر الليـل بضوضائه !
اذ الجواري خاطرات على سجاده جارية جاريه
اروع ما في الشرق من رقصه تنسجه اقدامها العاريه

***

غرناطة ، اواه غرناطة ! ما انت الا خرب قابعه !
تحمل اسراب السنونو الى افريقيـا أنباءك الفاجعه
هناك ابناؤك من بأسهم
باكون ، لا باكون من يأسهم

عرّوا من الاغماد بيض الظبي ووشحوا الخيل ببيض السروج
وعموا البحر فلما بدت منك على الافق جبال الثلوج
خرُّوا على أوجههم راكعين
وزفروا من قهرهم صارخين :
« غرناطة ، اواه غرناطة ! ضعتِ فيا للعظم الضائعه » !
فيزفر الموج ويبكي لهم حين يرى أعينهم دامعه !

***

هذه مقطوعات من قصيدة فيلا سباسا في البكاء على غرناطة ترجمتها عنه لابناء العرب، وهي لعمري قطعٌ من قلبهِ وقطراتٌ من روحهِ . أُلقاها يوماً على مسمعي في غرفتهِ، فاذا بالدموع تترقرق في عينيهِ وهو يلقيها، وما انتهى منها حتى خيَّم علينا صمتٌ عميقٌ حافلٌ بمرارة الذكرى ، وثورة الأسى . هي من أروع قصائده وهو مغرمٌ بها يتلوها بصوتهِ الجهوري والقائهِ الممتاز في اكثر الحفلات التي تقام لاكرامهِ ، فتنتقل روحهُ بك مع معانيه من الاسى الى التفاخر، ومن الحماسة الى البكاء

أفلا تشعر وانت تقرأها او تسمعها انك امام عربي صميم ، يغلي دم العرب في عروقهِ فيثور متأوهاً على عز اجداده ؟ اوَلا تتخيل آخر بني سراج بطل رواية شاتو بريان ، ساجداً بين جدران الحمراء يقبل احجارها ويبللها بدموعهِ

ما جلست اليهِ مرة الاَّ شعرت اني مع رجل تربطني بهِ فضلاً عن صلة الادب صلة اخرى هي صلة الميول والمشارب

يحدثك بلهجته الهادئة الشعرية في شتى المواضيع، ولكنهُ عندما يذكر العرب وامجادهم يتغير فجأة فتحسُّ بالحماسة تملأ جوارحه وتملك مشاعره ، وإن إنس لا أنس مجلساً كان فيه معنا خليط من الادباء الوطنيين والاجانب فجئنا على ذكر غرناطة وحمرائها، فاذا ببريق يتألق في عيني الشاعر تحول في فمِهِ الى كلمات اخذ يصف بها جمال الحمراء وجلالها بأسلوب شعريّ خلاب تناول مشهدها عند مطلع الفجر والشمس تدرج من خدرها فتلقي على قببها وباحاتها فتوناً ساحراً . ثم انتقل الى عظمة الفن في بنائها فرسم لنا منها صورة تعجز عن رسمها ريشة اعظم المصورين ، واذا بهِ يتحول الى ما على الجدران من المقطعات الشعرية العربية التي نظمها ابن زمرك الاندلسي تلميذ وخليفة لسان الدين الخطيب وهو يروي ترجمتها باعجاب وتفاخر

وكنا سكوتاً من حولهِ نرتشف وصفه ارتشافاً ، ونلتهم كلماتهِ التهاماً ، نصغي اليهِ فنسمع نبضة قلب عربي تحت ذلك الثوب الغربي

ولا يتبادرنَّ الى الاذهان ان الشاعر يتكلم عن العرب بهذه الحماسة امام ابناء الضاد فحسب ، كلاَّ فهو في مجالسهِ ومحاضراتهِ وقصائده يشيد بذكرهم ويتغنى بحضارتهم غير موجس من لومة لائم ، أو تهجم مكابر ، ومن رافق حياته في هذه الحاضرة وغيرها من البلاد التي زارها تحقق بنفسهِ ما تحققتهُ . وعندما قدمت له رسمي وهممت بكتابة كلمة التقدمة باللغة البورتغالية التي يفهمها ، أبي عليَّ إلا كتابتها باللغة العربية التي يحبها

وقد روى لي احد مرافقيهِ انَّ حبهُ للعرب بلغ بهِ مرة في مدريد الى التنقل في شوارعها الكبرى وهو مرتدٍ بالملابس العربية . وقد اخبرني انهُ لدى وصوله الى اسبانيا سيسعى بكل جهده لتحقيق فكرة جميلة أوحى بها الصديق النابغة الاستاذ حبيب اسطفان وهي انشاء جامعة عربية كبرى في غرناطة لتدريس كل ما هو عربي من لغة وأدب وتاريخ

اسرة الشاعر وصلتها بالعرب

ما تقلص ظل العرب عن الاندلس ، وسقطت غرناطة وهي آخر معقل بقي لهم ، حتى تفرَّق شمل المسلمين ، وتضعضع امرهم ، فنزح فريق منهم الى افريقيا وفي مقدمتهِ الملك ابو عبد الله آخر ملوكهم ، وبقي فريق في اسبانيا محافظاً على اسلامهِ ، متعرضاً لاضطهاد الغالبين ، وتنصر فريق آخر هرباً من الاضطهاد ، او تقرباً من اولي الامر

ومن الفريق المتنصر نبيل عربي متحدر من السلالة الاموية يدعى محمداً بن امية وقد دعي بعد تنصره الدُنْ انطونيو مولاي دي قرطبة وڤالور

وكان اباً لثلاثة اولاد ، فرندو ومارتين ولويس ، وكان الدُن فرندو وهو وارث لقب الاسرة فتى حر الخلال محبوباً وقد انتخب في مجلس نبلاء غرناطة الاربعة والعشرين

ففي عام ١٥٦٥ أي بعد سبعين عاماً من سقوط غرناطة ، دخل فرندو — وهو في الثانية والعشرين من سنيهِ — الى مجلس النبلاء وخنجرهُ في منطقتهِ ، وكانت العادة ان يترك النبلاء سلاحهم عند مدخل المجلس ، وقد ترك الدُن فرنندو حسامه هناك ولكنه أبقى خنجره ، فلم يرق ذلك في عين الدُنْ بدرو داسا رئيس المجلس فوبخهُ بلهجة قاسية غلى لها الدم العربي في عروقهِ فأجابهُ :

— اني لادخلنَّ الى المجلس كما اشاء ، فانا سليل ملوك أمية ، وقد كان لاجدادي في هذه الديار سلطة الامر والنهي ، وعزة العرش والتاج

فما كان من رئيس المجلس إلا ان اغلظ له القول ونسبهُ الى امة البرابرة فكبر ذلك على الدُن فرتندو وهجم كالنمر الهائج فصفعهُ ، حتى اذا ثار ثائر النبلاء وقاموا عليهِ ، جرد خنجره في وجوههم ، واخذ يتقهقر وهم لا يجسرون على التقدم منهُ حتى بلغ الباب فتناول حسامهُ وسار توًّا الى حي البيَّازين الآهل اذ ذاك بالعيال العربية

وما هي ليلة وضحاها حتى انضمَّ الى الدُن فرتندو فريق كبير من رجال ذلك الحي الناقين على الاسبانيين ، فجرد منهم حملة سار بها الى جبال البشرات الواقعة بين غرناطة ومرسية. وفوق هذه الجبال الآهلة ببقايا العرب وجلّهم ممن هربوا من الاضطهاد واعتصموا بالكهوف فوق قنن الصخور ، اعلن الدُن فرتندو الثورة على الدولة الاسبانية الغاشمة ، ونادى بنفسهِ ملكاً ، فمشى تحت لوائهِ جيش عربي لا يستهان بهِ تتأجج في صدور افراده نار الحقد على نازعي ملكهم ومقوضي مجدهم والذين بالغوا في النكاية بهم بكل نوع من انواع العسف والارهاق

واول بوادر تلك الثورة مذبحة قام بها المسلمون ، فلم يبقوا على احد من المسيحيين الاسبانيين القاطنين بينهم وفي جوارهم ، وكان ذلك ليلة عيد الميلاد

فجردت السلطة اول حملة عليهم بقيادة المركيز دي لوس فيلبس فدحروها ، وتلتها حملة ثانية بقيادة المركيز دي موندبخار فلم تقوَ عليهم ، ولما رأى الملك فيليب الثاني استفحال الامر استدعى الجيش الاسباني المقيم في نابولي وسلم قيادتهُ الى اخيهِ الدون خوان دي اوستريا ، فزحف هذا عليهم بجيش جرار كان الفشل نصيبهِ ايضاً ، وكان من قواد هذه الحملة الضابط فيلا سباسا (جد الشاعر لابيهِ) ولكن الاقدار شاءت ان تشدَّ ازر الاسبانيين فاوقعت الفتنة بين صفوف العرب ، واضعفت شوكتهم

فقد كان للدُن فرتندو العربي العامّ بشؤون المسلمين ابن عم يدعى « ابن اميه » ما زال طامحاً الى ان يكون هو القابض على صولجان العرب والمجدد للخلافة المروانية حتى حدثت بينهُ وبين الدُن فرتندو منافرة سببها المرأة ، فاغرى احدى جواري ابن عمهِ على قتله وهو نائم وذلك بوضعها كمامة على فمهِ وعنقهِ وتسهيلها دخول ابن عمهِ ورفيق له يدعى ابن « الوزير » ففتكا بهِ في قصره في « الاوجار » بعد ان ملك نحو ثلاث سنوات . فانتهى الملك بعد موت الدُن فرتندو الى « ابن اميه »

فاستأنف القتال ولكن الاسبانيين اغروا بعض رجاله بالمال فغدروا بهِ في مغارة برشولس وقتلوه طعناً بالخناجر . فتفرقت كلمة الثوار وتضعضعت قوتهم فتمكن الاسبانيون منهم بعد حرب سجال دامت اربع سنوات

وقد اعتقلوا والد الدُن فرنندو في مدريد عند انتقاض ابنهِ ، ولكن الملك عفا عنهُ وعن اولاده بعد موت الدُن فرنندو وذلك بوساطة الدوق دي سيسا حفيد القائد الاكبر فندشالف جونزلف دي قرطبة وصديق الاسرة القديم فرجع لقب الاسرة الى الاخ الثاني الدُن مارتين ولكن هذا باع لاخيهِ الثالث الدون لويس كل عقاراتهِ فصار لقبهُ الدون لويس دي اينيسيا وغواروس ولا تزال من سلالتهِ الى الآن في اسبانيا اسرة المركيز دي اينيسيا وهي من الأسر الاسبانية العريقة ، أما لقب الدون مارتين الاخ الثاني فأصبح مارتين دي ڤالور فقط وهو اسم عائلة والدة الشاعر الاسباني الذي نحن بصدد الكلام عليهِ

أما والد الشاعر فهو متحدر من سلالة الضابط فيلا سباسا الذي قدم مع الحملة الاسبانية من ايطاليا وحارب الدون فرنندو كما سبقت الاشارة

ومن غرائب الصدف أن يقترن بعد اربعة قرون سليلا عدوين لدودين فينتج من ذلك ظهور شاعر كبير تفاخر بهِ بلاده ويفاخر هو بنسبهِ العربي ويبكي على امجاد العرب الضائعة

اما ولادة الشاعر فكانت في الاوجار في نفس المنزل الذي قتل فيهِ الدون فرنندو جدّهُ الاكبر العربي الاسلامي

***

وكانت والدتهُ لا تزال محافظة على الغطاء الذي قتل عليهِ الدون وهو من الدمقس أخضر اللون منسوج بالفضة ولكن الشاعر ارتداهُ مرة في اعياد المرافع وكان في الرابعة عشرة من عمره فرآه رجل بلجيكي لحظ قيمتهُ فعرض عليهِ بيعهُ منهُ فأبى ولكن الحاح الرجل دفع الشاعر الى اعطائهِ ذلك الاثر النفيس بلا مقابل ففقدتهُ العائلة ولم يبق منهُ سوى قطعة صغيرة لا تزال محفوظة الى الآن

وقد أوحت حادثة الدون فرنندو الى الشاعر مأساتهُ التمثيلية الخالدة « ابن امية » وهي تحفة من تحف الادب الاسباني وصف بها تلك الوقائع باسلوبهِ الشعري العالي وبكى بها العرب مآثرهم ما شاء له البكاء ، وقد مرّ بك منها في هـذا المقال قطع من قصيدتهِ التي يندب بهـا غرناطـة ، وهي من شعره الكثير الذي تتداوله ألسن الرواة في كل بقعة ينطق اهلها بلغة الاسبان

« مجلة الشرق » البرازيل فوزي معلوف

اعداء العلم

خلاصة الخطبة النفيسة التي القاها الاستاذ الدكتور هل **A. V. Hill** لذكرى الاستاذ ستيفن بايجت من زعماء البحث العلمي الطبي بانكلترا

للتهجم والافتراء والتعصب والهدم حدٌّ يجب ان لا تتعداهُ . انا لست موكلاً من قبل الاطباء للدفاع عنهم . لاني اعرف ان للاطباء كما لسائر الناس نقائصهم . وادري ان الامتيازات التي يتمتعون بها تحملهم احياناً على التمسُّك بآرائهم الى حدّ التعصب وتقديم مصالحهم على المقاصد العليا . واصارحهم بذلك فلا يزيدونني الاّ ولاء واحتراماً . وهذا فضل كبير لهم ولعلَّ سببه عدم اكتراثهم لاقوالي ! على ان شعور الامتنان لهم ليس الباعث على وقوفي ينكم خطيباً حاملاً لواءهم مدافعاً عنهم . بل هي الضرورة القصوى تحملني على ذلك

اذا حمل كاهن مسؤول عن اقوالهِ وافعالهِ حملة شعواء على العمل الانساني المفيد الذي يقوم بهِ مجلس البحث الطبي — واذا ادعى رجل من رجال الطب المحترمين ان استعمال الراديوم في معالجة السرطان خدعة كبيرة لانهُ تحقق ذلك بنفسهِ منذ اربعين سنة اي قبل الكشف عن الراديوم بتسع سنوات ! — واذا قام دعاة يضرعون الى الجمهور ويحاولون اقناعهُ بشتى الاساليب بالكف عن بذل المال للمستشفيات لان هذا المال انما يستعمل في تعذيب الارانب والقطط وخنازير الهند — واذا قامت طائفة من الناس ترمي بسوء المظنة البحث عن الحقيقة لاستخدامها في تخفيف الآلام وبرئها وهو اعظم المباحث البشرية على الاطلاق — اذا حدث كل ذلك فقد آن الاوان لردّ هذا الهجوم بهجوم مثلهِ

ولو ان ستيفن بايجت الذي اجتمعنا باسمهِ الآن اطلع على موضوع هذه الخطبة لكان وافق عليهِ . ان روحهُ التي تميل الى الكفاح وقلبهُ الكبير الذي يتسع لاشرف العواطف وانبلها كانا يحملانهِ على مناجزة الذين يحاولون ان يقفوا سدًّا حائلاً دون تقدم العرفان لينعموا هم بما يشعرون بهِ من تفوّق حكمتهم وصلاحهم على غيرهم من الناس . ولست اقصد اليوم الى تناول موقف المقاومين لتشريح الحيوانات الحيّة في معامل البحث الطبي وحدهم لان موقفهم الفكري هذا ليس الاّ ظاهرة عامة ، او هو مظهر من مظاهر الخلل العقلي ، رأيناها تبدو في كل عصور التاريخ في اشكال قبيحة متعددة — قسوةً واضطهاداً ، حقداً وبغضاً وافتراء وخيانة للجنس البشري وهو يحاول ان ينهض ويسدّد خطواتهِ ببطءٍ في توقله سلم العمران

النشوء البطيء

قلَّ من الناس من يدرك حقائق النشوءِ الانساني البطيء كلَّ البطء . واكثرهم يميل الى تصوُّر آدم هابطاً على الارض منذ بضعة آلاف من السنين كائناً كامل الرجولة كامل التعليم حائزاً للعب في علم الحيوان من جنة عدن آخذاً على عاتقهِ تسمية الكائنات الحية التي خلقها الله وتبويبها. وقلَّ من يدرك — وفي بعض الدوائر الفكرية يحسبون هذا الادراك الحاداً — ان الانسان ارتقى ارتقاء ا بطيئاً استغرق خمسمائة الف من السنين جارياً على خطة التجربة والامتحان نابذاً ما كان يراه خطأً او ضارًّا بعد تجربتهِ مستبقياً ما كان يرى فيهِ نفعاً محققاً. وكان من اثر فعل الحياة في الكائنات الحيَّة الذي انقضى عليهِ الوف الوف السنين ان نشأت حيوانات ونباتات مختلفة الاشكال متعددة الصور والصفات لتفي بمطالب الحياة التي لا تحول وهي النمو والتجديد والتناسل . اخيراً ظهر نوع جديد من الحيوان هو سلف الانسان المتغلغل في القدم وفي تركيبهِ كل الاصول التي تمكنهُ من النشوءِ والارتقاءِ والتحضر

وصع الاستاذ روبنصن المؤرخ المشهور رسالة عنوانها « الحضارة » لتنشر في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف البريطانية الجديدة شبَّه فيها ارتقاء الانسان تشبيهاً جديداً يسترعي الانظار. قال اذا حصرنا نصف الالف الالف من السنين التي قضاها الانسان متوقلاً سلَّم الارتقاءِ في مدى حياة انسان واحد قل هي خمسون سنة ، وجدنا على هذا القياس ان الانسان قد قضى تسعاً واربعين سنة قبلما خرج من حياة التنقل والصيد والقنص وعاداتها وتقاليدها الى حياة الزراعة المستقرة وقطن القرى وما يسير في اثرها من اساليب المعيشة. وعلى هذا القياس يكون قد قضى ستة اشهر من السنة الخمسين قبل اكتشافهِ للكتابة. وشهرين آخرين قبلما قام اليونان الاقدمون وخلفوا آثارهم ومدوناتهم . وفي منتصف الشهر التاسع نشأت المسيحية . اما الطباعة فلم تستنبط على هذا القياس الا منذ خمسة عشر يوماً واما البخار فلم يكشف عن قوتهِ وسرها الا منذ اسبوع . واما السيارات فلم تصنع الا من يوم واحد واللاسلكي الا منذ بضع ساعات . فما هو مصير الانسان وهو سالك هذه الطريق طريق الارتقاء ؟ ما هي اساليب التقدم وهل هي ثابتة لا تتغير ؟ وهل لنا بدٌّ في تحويلها والتأثير فيها كما نشاء ؟ وهل تلقى علينا تبعة ما في ذلك ؟

المعرفة اساس العمران

بين ظهرانينا اناس يريدون التسامي على اقرانهم فيتظاهرون باحتقار درجة الحضارة التي بلغناها ومدى النظام الاجتماعي الذي انتهينا اليهِ. ويطلبون الينا ان نهمل العناية بالبحث العلمي والارتقاء الهندسي والصناعي لانها غير جديرة بمطالب الانسان الروحية . هؤلاء المتكهنون

المتظاهرون بالسمو والعظمة يسدون الى العمران يداً جليلة، لا تأتي عن طريق ما يدعونهُ من الآراء اويستنبطونهُ من الآلات ولكنها تأتي عن طريق النقد اللاذع الذي يوجهونهُ الى اساليب العمران لان كل عمل جليل لا بدَّ ان يجني فائدة من تصديهِ لنقد الناقدين

انا لا اريد ان اقيم من « الارتقاء » آلهاً كاذباً ادعو الى عبادتهِ . ولكني اعرف طائفة كبيرة من المفكرين العقلاء الذين لا يؤمنون بالسحر ولا بتحتم الارتقاء ومع ذلك يرون في مآتي الانسان العمرانية التي لم يفز بها الاَّ بعدَ جهاد طويل يتخلّله البحث المملّ والعمل الشاق، آناً يفشل واناً يفوز، اناً يساورهُ الحزن حتى يتطرق القنوط الى نفسه وآناً يلازمهُ الفرح فيدفعهُ الى الاقدام — انهم يرون في كل اولئك شيئاً خليقاً بالاجلال . شيئاً مقدساً كالحياة نفسها . فتقدم العرفان جدير بان يبذل لهُ ويحارَب في سبيلهِ . وهذا هو سبب اجتماعنا الليلة . لاريب في اننا لانزال على جانب كبير من الجهل وقصر النظر وبعضنا يفوق البعض الآخر في ذلك ! ولا ريب كذلك في اننا لانزال بعيدين عن المثل الاعلى في علمنا وسياستنا وتوفير اسباب الراحة والرفاه . ولكن لايختلف اثنان في ان تقدّم العرفان قد رفع مستوى المعيشة الانسانية ورقّى الخلق البشري ووسّع نطاق النظر الى الحياة في نصف المليون من السنين التي انقضت على الانسان وانهُ لابدَّ ان يفعل ذلك في المستقبل

فالعرفان هو ركن العمران

هو الفارق بين الانسان والحيوان . ان مقدرة الانسان على فهم نفسهِ ومحيطهِ صفة يمتاز بها على سائر الكائنات الحية . فاذا انكرنا عليهِ حقهُ في استعمال هذه الهبة كنا قد اجترحنا سيئة لا تغتفر . والواقع ان هذا الانكار لن يتمَّ في عصر كعصرنا . فالحكومات تشيد بفضل التعليم والجمعيات والصحف تدعو اليهِ — ولكن الخطر كل الخطر حين نكشف عن حقائق تناقض مصالحنا او تقاليدنا القومية او ما في نفوسنا من ميل للمحافظة على القديم . حينئذٍ تثور الحفائظ وتحمل اصحابها على الوقوف سدّاً منيعاً في سبيل الارتقاء . فالكفاح الذي يجب ان يُرفَع علمهُ دائماً انما هو كفاح مع هذه الميول الى الجمود والتقهقر . اننا لا نستطيع ان نثبت في مكاننا اذا جمدنا فيهِ . لان الحضارة لا تستقرُّ على حال فاما ان تتقدم او ان تتأخر . فاذا تقدمت في بعض نواحيها وتأخرت في البعض الآخر افضى ذلك الى الخلل والاضطراب . ان ستيفن بايجت قد انشأ هذه الجمعية « لترقية صحة الامة وقوتها ولافهام الناس قيمة المباحث الطبية والجراحية ولافساد الاقوال الكاذبة التي تذاع ضدَّ هذه المباحث » ولتحقيق غرضهِ علينا ان نكافح مظهراً خاصًّا من مظاهر الرجعية اريد به « مقاومة استعمال الحيوانات للتجارب الطبية والفسيولوجية » . ولما كانت هذه المقاومة مظهراً خاصًّا من الرغبة

الشديدة التي بدت في عصور التاريخ المختلفة لمقاومة ارتقاء المعرفة وجب على جيبية كجمعيتنا ان تنظر الى المسألة من ناحيتها الواسعة وان تؤيد حق الباحثين في حرية البحث انى كانت مظاهره. ثم ذكر انهُ في بحثهِ عثر على مجلة انشئت سنة ١٨٣٥ لمقاومة السكك الحديدية وهي في اقوالها وادلتها كثيرة الشبه بالجمعيات القائمة في لندن لمقاومة البحث العلمي الطبي. فباب الرجاء اذاً مفتوح على مصراعيهِ. ترى ماذا يقول صاحب تلك المجلة لو كان عائشاً الآن يرى اثر السكك الحديدية في العمران؟ ترى ماذا يقولهُ مديرو الجمعيات المنشأة لمقاومة البحث الطبي بعد خمس وتسعين سنة متى شاهدوا آثار هذا البحث في صحة الامم وعمرانها!

ما اغرب عقل الانسان! انك لا تسمع بدعوة مهما سخفت الأَّ وتجد لها اتباعاً. ما اكثر المذاهب القائمة على الخرافات والخدع التي ترفع رؤوسها بيننا! فلا هم الذين لا يؤمنون بنوع من انواع السحر. بل انك لا تجد نبيًّا كاذباً ولا خدَّاعاً سافلاً يخدع الناس بمستحضراتهِ الساحرة او بآلاتهِ التي تعيد الشباب الاَّ ولهُ قوم ملتفون حولهُ ويؤمنون بهِ

كيف نستطيع ان نميز بين هذه المذاهب الفاسدة وارتقاء العلم الصحيح. اكثر الناس المتعلمين العقلاء يستطيعون ان يميزوا بينها ولكن ليس كل الناس عاقلين او متعلمين. ان المعرفة الحقيقية هي المعرفة التي تؤيد عناصرها بعضها بعضاً وتتفق مع الطبيعة البشرية. لذلك كونوا واثقين ان لا بدَّ للانبياء الكاذبين من ان يقوموا ليأخذ بعضهم بخناق بعض فلا نلبث ان نرى الجوَّ قد تطهَّر من آثارهم. يجب ان لا نحفل كثيراً بهم بل ان وجودهم مدعاة للسرور وشحذ الهمم. ان قيام جمعيات بيننا لتقنعنا بان الارض مسطحة او اننا نستطيع تصوير الارواح او ان الاسود ابيض والابيض اسود نعمة من نعم الحياة وانا لا انقم عليها بل اميل الى العطف عليها ومعاملتها بالحسنى وافساح مجال القول امامها

ولكن الحال تتبدل بغير الحال اذا انطلق مجنون يقف في سبيل الناس ويهدد حياتهم بالخطر. ان حرية الانسان الفردية من اعظم النعم التي فاز بها في تاريخ ارتقائهِ الطويل. فاذا حاول احد سلب هذه النعمة تحتم على المجموع ان يقيّد حريتهُ. كذلك حالنا مع هذه الجمعيات. ان حرية التفكير والبحث هي اساس الارتقاء الانساني فاذا قامت هذه الجمعيات تسدُّ سبيل البحث الحر والتفكير الحرّ وجب ان تكبَّل اعمالها بالاغلال

انا لا اريد ان اغالب الذين يشبهون تلك السيدة التي كتبت اليَّ مرة تقول « ان الربَّ عزَّ وجلَّ لم يقصد ان يفوز حيوان على حساب حيوان آخر » مع اني ارى في الحيتان التي تلتهم ملايين الاسماك الصغيرة والنمورة التي ترفض اكل الخضراوات لتنعم بافتراس الحيوانات مما يفسد قولها. فاذا شاءت أن تعتقد صحة ما تقول فلتعتقده. ولكن اذا

حاولت هذه السيدة او غيرها من الناس الذين يعتقدون معتقدات غريبة ان يكبلوا حريتي وحرية صديقي في البحث والاستقصاء ، اذا كانت هذه السيدة باذاعتها الاكاذيب لحضّ الحكومة والناس على منع الاطباء والعلماء من استعمال الضفادع وخنازير الهند في معامل البحث العلمي ، تقف سدًّا امام تيار المعرفة فحينئذٍ يغلي الدم في عروقي ولا اعود ارى مجالاً للتسامح

ثم اشار الى بعض مظاهر التعصب التي تتستر بستار ديني مؤيداً اقواله بحوادث معيّنة من التاريخ ثم قال : لا تتصوروا اني احمل على الدين . فبين العلماء والاطباء ، بين الفلاسفة والمفكرين نرى طائفة كبيرة تنظر الى العالم نظراً دينيًّا صحيحاً . واذا حسبنا الدين من شؤون الروح وليس الاعتراف بسلطة كنائسية معينة فالعلماء والفلاسفة من اكثر الناس تديّناً . انهم على كل حال يعترفون بقوة طبيعية تسمو على مقدرتهم وادراكهم . انهم لا يتظاهرون بدينهم ولا يضرعون الى الله ليؤيدهم في افعالهم ويخفي مساوئهم . انهم اقل ايماناً من غيرهم بصحة ايمانهم لانهم يدركون تعقيد المسائل الروحية وصعوبتها . فليس ثمّت نزاع ما بين العلم الصحيح والدين الصحيح . ان النزاع قائم بين قوى العلم والعقل من جهة وقوى المذهب الديني الذي يتخذهُ بعضهم ستاراً ليخفوا تحتهُ تعصبهم الذميم من جهة اخرى

اخوة العلم

في كل بلد من بلدان الارض نجد علماء مكبين على البحث عن الحقيقة . ان المشاكل التي يواجهونها متشابهة والاساليب التي يجرون عليها مماثلة فمرضهم والحكم الذين يحتكمون اليه لا يمكن ان يكونا مختلفين . فنحن اخوَّة عظيمة لا تفرقها الحدود الجغرافية والسياسية . ولكن هذا لم يكن كذلك بعيد الحرب الكبرى . فاني لا ازال اذكر زميلاً ذا مقام رفيع قال لي ذات يوم وفي كلامهِ اثر الانفعال انهُ يؤثر تأخير العلم على الاشتراك مع استاذ الماني في البحث والتعليم

ايها السادة اذا كان في العالم شيء واحد يجب ان يكون دوليًّا فهو « العرفان » والبحث عن الحقيقة . ان موقف الزميل المذكور يجعل الدم يغلي في عروقي كما يغلي حين اطلع على الاكاذيب التي تذيعها جمعيات المقاومة لتشريح الحيوانات . ان هذا النوع من التعصب حافل بالخطر لانهُ يعيق التقدم ويثير النعرات الجنسية التي نحاول القضاء عليها لانهُ ينفي مبدأ الاشتراك العام في ترقية العمران الذي لا مندوحة عنهُ

وهناك نوع آخر من التعصب اريد ان الفت الانظار اليهِ وهو تعصب العلماء لمذاهبهم العلمية وفرض صحتها وخطاء سواها . ففي كثير من الاحيان تبنى نظرية من النظريات على طائفة من الحقائق تكفي لتعليل جانب من الحقيقة فقط . فنظرية الانتخاب الطبيعي مثلاً وضعت

لتعليل بعض الحقائق المعروفة حينئذٍ فاصبحت عند نفرٍ من المفكرين كأنها من نواميس الادهار التي لا تحول. ففي ميدان العلم كما في ميدان الدين مذاهب هي اقرب الى التحكم منها الى التعقل. وهذا الموقف التحكمي سواء في العلم او الدين محفوف بالخطر. فاذا اخطأنا وحسبنا النظريات حقائق. واذا تعصبنا ضد الذين لا يعتقدون نظرية نعتقدها نحن مع انهم يقرون بصحة الحقائق التي بنيت عليها النظريتان نحول دون التقدم كما يحول المتعصبون امثال اعضاء الجمعيات المقاومة لتشريح الحيوانات

ولي كلمة اخيرة. يستطيع الانسان ان يكون شديد التمسك بآرائه وان يكون متسامحاً في آنٍ واحد. لا بدَّ من النظريات في العلم اذا رمنا الارتقاء لان النظريات في البحث العلمي كمفاتيح الجناية في البحث الجنائي تفتح امام العالم والباحث سبلاً جديدة للكشف والاستقصاء. ولان جمع الحقائق من غير ترتيب ونظام قد يبلغ يوماً ما حدًّا يرتد عنهُ طرف العقل البشري وهو كليل. ولكن يجب ان نفكر دائماً ان ما نذهب اليهِ اليوم ونحسبهُ صحيحاً ونشتد في التمسك بصحتهِ قد يصبح خطأً في الغد متى كشف عن حقائق جديدة. فما زلنا لا نجور على الغير وما يذهب اليهِ من المذاهب. وما زلنا لا نقف حائلاً دون حرية الغير في متابعة بحثهِ وعلمهِ فالناس يغتفرون لنا مذاهبنا مهما تكن في رأيهم فاسدة او بعيدة عن محجة الصواب. هذا هو التسامح العلمي

اطلعت منذ ايام على كتاب جديد في « علم الفلك الطبيعي » فوجدت صاحبهُ قد الصق على صفحتهِ الاولى صورة سيدة تحادث صيّاداً. وهي تقول. « ما رأيك في الخطبة اللاسلكية التي اذيعت امس في موضوع بناء جوهر الفرد. اني لم اسمع كلاماً فارغاً كهذا في حياتي!

اني لا اعترض على موقف هذه السيدة. لتنعم بجهلها. لاني اعلم ان موقفها من مباحث الفلك الحديثة لا يحملها ولا يحمل الصياد الذي تكلمهُ على محاولة اغتيال جينز او ادنغتون او رذرفورد او ملكن او غيرهم من علماء الطبيعيات. ولكن اذا قامت سيدة تذيع اكاذيب عن البحث العلمي الطبي بغية ان يكفَّ الناس عن امداد رجاله بالمال او اذا حاولت ان تقنع الكبار والوزراء بوجوب سن تشريع يمنع العلماء عن القيام باعمالهم — اذا فعلت ذلك ارى في عملها خطراً داهماً يعيق الانسان عن التقدم والارتقاء وادعو الى ايقافها عند حدّها والى تكبيل حريتها كما تكبل حرية مجنون لانها عدوة للعلم عدوة للعمران

صفحة مجيدة من حال

الادب والعلم في الجزائر

الدكتور محمد ابو شنب

استاذ الآداب العربية في الجامعة الفرنسيه بالجزائر وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

أأقول الدكتور ابوشنب، ام اقول الشيخ ابو شنب؟ والله ما ادري ما اقول. أما هو المرحوم فقدكان «شيخاً» وكان «دكتوراً». فاز في سنة ١٩٢٤ بشهادة الدكتوراه برسالتين اثنتين وضعهما باللغة الفرنسية، اما احداهما فاسمها «ابو دلامة» واما الاخرى فاسمها: «الالقاب الفارسية والتركية الباقية في لغة العامة بالجزائر». ولكن الناس في الجزائر خاصتهم وعامتهم لا يعنون بلقب «دكتور»، وانما يعنون بلقب «الشيخ» والفرنسيون انفسهم يعنون بالشيخ لا بالدكتور، وحتى زملاؤه اساتذة الجامعة اذا دعوه بأحب الاسماء اليه قالوا: «الشيخ ابو شنب» وهو نفسه كانت كلمة «الشيخ» احب اليه، واعذب في سمعه من كلمة «الدكتور»

ولعل سبب ذلك ان كلمة «دكتور» في لغة العامة بالجزائر لاتعظيم فيها ولا احترام. فأهل الجزائر اذا ذكروا عالماً اواديباً ولوكان افرنسيًا وارادوا ان يذكروه بما يدل على الاجلال والاحترام قالوا «الشيخ فلان»، وهم يقولون «الشيخ فيكتورهيكو» و«الشيخ لامرتين» و«الشيخ باسطور» و«الشيخ جان جاك روسو» وغير ذلك. وتبعهم في ذلك الامر الفرنسيون الذين يتكلمون اللغة العربية في الجزائر. فكم مرة سمعت رجلاً فرنسيًا من رجال العلم او الادب يقول: «الشيخ فلان» وهو يعني زميلاً له من العلماء او الادباء الفرنسيين

وكان صحفي جزائري زار مصر، فقالت جريدة «الشورى» الغراء انهُ دخل ادارة جريدة «السياسة» وقال: «اين الشيخ هيكل»؟. وهو يعني الدكتور هيكل. وقرأها الناس في الجزائر فلم يفهموا منها ماتريد، لانهم يحسبون الرجل قد استعمل كلمة «الشيخ» في موضعها، ما تجاوزه بها ولا عداه. وكانت جريدة عربية مشهورة في تونس اثنت على شيخ من شيوخ جامع الزيتونة فوصفتـه بانهُ دكتور من دكاترة الزيتونة! ظنـاً منها ان كلمة «دكتور» وكلمة «شيخ» معناها واحد. على ان كلمة «دكتور» بدأت تسترجع مكانتها اليوم في اذهان الناس بالجزائر ولاسيما في ناحية الطب. فقد عادوا يقولون عن الطبيب

« الدكتور فلان » اذا هم ارادوا ان يجلوه ويحترموه ، بعد ماكانوا يقولون عنهُ « الشيخ فلان » متى ارادوا تعظيمه واحترامه وعاد الادباء في الجزائر وتونس يستعملون كلمة « دكتور » في موضعها ، لا يخلطون بينها وبين كلمة « شيخ »

هذه واحدة . واخرى فان هذا الاستاذ المرحوم كان « شيخاً » قبل ان يكون « دكتوراً » فقد اشتغل استاذاً بالجامعة دهراً طويلاً قبل ان ينال شهادة الدكتوراه ، وكان في ذلك الامد قد نال احترام الناس ، فاعطوه لقب « شيخ ». وفي الحق ان لقب « شيخ » اولى بهذا المرحوم من لقب « دكتور » فقد كان — رحمهُ الله — متسماً بسمات « الشيوخ » اكثر مما هو متسم بسمات « الدكاترة » ، فهو مسلم جزائري ، وجزائري مسلم في كل شيء : في عقلهِ وادبهِ ، وفي اخلاقهِ وعاداتهِ . في لباسهِ وهندامهِ . تراه فترى على رأسهِ عمامة جزائرية (طوربانطي) وتراهُ فترى على كتفيهِ « برنوساً » جزائريًّا ، وعلى صدرهِ غلائل جزائرية ، ومعطفهُ معطف جزائري وسراويلهُ سراويل جزائرية عريضة ، وحذاؤهُ حذاء جزائري . وبالجملة فهو بقية سلف صالح مضى في عاصمة الجزائر ، ولم يبق منهُ اليوم الا أناس معدودون من خيارهم هذا الشيخ المرحوم

﴿تواضعهُ﴾— عرفت فيمن عرفت من الناس رجلين في الجزائر هما من اشد الناس تواضعاً وزهداً فيما يرغب فيهِ الناس ويتهالكون عليهِ من الشهرة والجاه وهما من اولى الناس بهما فقد تهيأ لهما من اسباب ذلك ما لم يتهيأ لكثير سواهما من المشهورين في الجزائر. اما احدهما فهو الدكتور محمد بن العربي (الطبيب) او الشيخ ابن العربي محمد كما يصفهُ الناس في الجزائر لانهُ موضع ثقتهم واحترامهم . وقد بلغ من احترام العلماء لمواهب الشيخ وفضله ان كان شاعر فرنسا وعالمها « فيكتور هيكو » وهو في ايام شيخوختهِ يماشي الشاب بن العربي ويجالسهُ وهو لايزال يومئذٍ طالباً في كلية الطب بباريس . وكان اذا رجع الى الجزائر يكاتبهُ بغير انقطاع. واجتمعنا بالدكتور بن العربي هذا مراراً، ومازلنا نرجو ان نجتمع به . فكان يحدثنا عن ايام شبابهِ ، وعن ايام طلبهِ للعلم ، وعن اتصالهِ بفيكتور هيكو، فيحدثنا ذلك كله حديثاً ساذجاً بسيطاً ، ولكنهُ حديث شيق جذاب ، يشوقك ويستهويك . يشوقك ويستهويك ، لانهُ كلّهُ صدق ، وكله صراحة واخلاص . ويشوّقك ويستهويك لانهُ حديث كلهُ تواضع لا انانية فيهِ . وكان اذا حدثنا عن فيكور هيكو قال : « كان الشيخ فكتور هيكو . . . . » و « قال الشيخ هيكو . . . » ، فنعجب منهُ نحن بهذا الحديث المحنك البسيط ونستحليه ،

واما الآخر فهو الدكتور اوالشيخ ابو شنب، وهو الذي اريد ان احدث عنه في هذا المقال. والدكتور بن العربي كصاحبه الدكتور بن ابي شنب جزائري مسلم في كل شيء ، ويزيد عليهِ

انهُ اكثر تقشفاً ، فهو لا يلبس الجوارب (التقاشير) في اغلب الاحيان . ثم هما متفقان فيما سوى ذلك ، فكلاهما محافظ على القديم ، وكلاهما مؤمن قويُّ الايمان وكلاهما لا يقبل في دينهِ مناقشةً ولا جدالاً . وكلاهما متواضع الى حد الخمول

اشتغل الدكتور بن العربي بالمسألة السياسية الجزائرية زمناً طويلاً ، ومع انهُ قد ابلى فيها بلاءً حسناً ، فقد كان في عمله وجهاده ، متواضعاً لا يخاصم احداً ، ولا يبتغي رآسة ولا وساماً ، ولو خاصم في السياسة وشاتم لأصبح في الجزائر من اقطابها المشهورين

وانقطع الدكتور ابو شنب للعلم ، نخدمهُ خدمات جُلَّى ، وعمل لهُ عملاً صالحاً ، وكان في عمله متواضعاً نزيهاً كما يجب ان تكون كرامة العلم

لقيت الشيخ المرحوم في شارع من شوارع الجزائر (العاصمة) ذات يوم ، فمضينا معاً في حاجة وانا لنمشي اذ نادانا من بعيد رجل عرفتهُ انهُ يرغب الى الادباء ان ينظموا له منظومات يرفعها الى الاغنياء والاعيان . وأنا استثمل هذا الرجل ، ولا اطيق ان اراه ، وابيتُ ان ألبي نداءهُ ، ولكن الشيخ المرحوم قد استجاب ، واقنعني بسداد ما رأى ، فصحبتهُ وسكتُّ . وناولهُ الرجل كرَّاساً قد كُتِبتْ فيهِ منظومات وقصائد ، وطلب اليهِ ان يصلحها ، ويقيم اوزانها . وسمعتُ الرجل يترنم بشيء من ذلك ، فوالله لكأني اسمع انكر صوت خلق الله ، ووالله لزفير جهنم اعذب في اذني واشهى الى قلبي من ترنم هذا الرجل وغنائهِ في مثل هذه المنظومات . ولسؤال الغير، ولرؤية منكر ونكير اهون عليَّ من البقاء في في مجلسي هذا. ولكن الشيخ اكبَّ على تلك المنظومات يصلحها ، ويقيم اوزانها . ولبث في ذلك ساعة كاملة ، ما سئم في اثنائها ولا تحرج بل كان فيها يعلّم الرجل ويجهد نفسه في تفهيمه وكان فيها يخالق الرجل بخلق حسن، ويتواضع له ، ولا يتظاهر عليهِ بعلم ولا بفهم، بل جلسها اليهِ ساعة كما يجالسها الى فريق لهُ في المنزلة والعلم . ولولا اني كنتُ ساعتئذ اشغل نفسي بالشيخ اعجب بتواضعهِ وخلقهِ الكريم لكانت ساعةً اطولَ عليَّ من الدهر . واشدَّ من يوم الحساب

وهكذا كان — رحمهُ الله — يستوقفهُ الصغير او الوضيع فيقف لهُ ، ولا ينصرف حتى ينصرف السائل . واذا انت حادثتهُ في مسألة من مسائل العلم ، حدَّثك فيها بما يعلم حديثاً متواضعاً لا « يتعالم » فيهِ ولا يتعالى . وهو متواضع حتى في لباسهِ ، فاذا رأيتهُ نبا عنهُ طرفك ، ولم تجد في ملابسهِ شيئاً مما يتباهى بلبسهِ « الفقهاء » في الجزائر

﴿ علمهُ وادبهُ ﴾ — وهو وان كان استاذاً للآداب العربية في الجامعة الفرنسية بالجزائر، ونال شهادة الدكتوراه في الآداب فانهُ في الواقع عالم اكثر مما هو اديب وابحاثهُ وان كانت في موضوعات ادبية فهي ابحاث علمية على طريقة علماء المشرقيات ، لا تكاد ترى عليها مسحة

ادبية فهي كلها ابحاث في اللغة العربية ،وفي الادب العربي وتاريخه وتاريخ رجاله ولكنك اذا انت قرأت بحثاً من هذه الابحاث فانهُ لا يشوقك ولا يغريك بادمان المطالعة ولا بالمضيّ فيها ، ذلك بان اسلوبها اسلوب علمي بحت لا لذاذة فيهِ . ولعل هذا هو السبب الذي جعل الشيخ المرحوم غير مشهور بين الادباء —واغلبهم من الناشئة— كما هو مشهور بين العلماء

قرأتُ لهُ ذات مرة فصلاً في تاريخ عاصمة الجزائر فقال انها كانت تسمى « مزغانّة » او « مزغنّان » ثم « جزائر مزغنان » ثم « الجزائر » . . . واستمرَّ يبحث هذا الموضوع ويستقصيه ، حتى قتلهُ بحثاً وتدقيقاً ، وحتى جاء فيهِ بما لم يسبقهُ اليهِ احد من المؤرخين . واعجبت انا بهذا الفصل ، وقابلت الشيخ المرحوم ، واظهرت لهُ اعجابي هذا ، ثم قلت لهُ « . . . ولا اكتمك يا سيدي انك كتبتهُ باسلوب غير طليّ ولا لذيذ . » فقال في شيء من التواضع والبساطة كثير:«خُذ العلم ، وماذا يعنيك اكان باسلوب طليّ . ام كان باسلوب غير طلي ولا لذيذ . وحسبك انك فهمت عني ما اريد ان اقول . وهل اللغة واساليبها الا اداة للفهم والتفهيم ؟ غير انكم معشر الشبان تغركم زخارف الالفاظ وترويقاتها . حتى ان كثيراً من ادباء العربية قدوقفوا عند اللفظ وزخرفته وتحسينه لا يكادون يعدونهُ الى المعنى واللباب.»فقلت: «ولكني لو لم يكن يهمني هذا الموضوع بوجهٍ خاص ، لما كنت قرأت فصلك هذا ليَبْسِهِ وجفافهِ . واللغة واساليبها اداة للتفهيم لاتعدو ذلك كما تقول ياسيدي، ولكن الناس يختلفون ولا يستوون في استعمال هذه الاداة فنهم من يريد ان يعربَ بها فيعجم،ويبينَ فيبهم، لا يعرف كيف يستعمل هذه الاداة فلا تفهم انت منهُ ما يريد ان يقول. ومنهم من يستعمل هذه الاداة للتفهيم استعمالا بارعاً ، وتسمعهُ انت فاذا كل عضو منك يسمع له ويصغي اليهِ ، واذا كل شيء فيك يفهم منهُ ويعقل . واذا هو يملك عليك قلبك ، ويملك سمعك وبصرك طوعاً او كرهاً . وهل خلدت هذه الكتب الادبية الخالدة الاّ بجمال اسلوبها ، وسحر بيانها ؟ وهل هؤلاء العبقريون في الادب الاّ بشرٌ قد امتازوا عن الناس بما رزقهم الله من الفصاحة والبيان ؟ وكثير من الناس من تكون له افكار سديدة، ونظرات صائبة في هذه الحياة ، ولكنها تموت بمماته ، ولا تخلد ، لانها لم تكن في اسلوب جميل فصيح تستحق به البقاء والخلود . ومن ذا الذي ينكر ان القرآن الكريم فصيحٌ مبينٌ وممعنٌ في الفصاحة وسحر البيان الى حد الاعجاز ؟ . » فقال الشيخ : «صدقت، ولكنك ما تزال شابًّا تفتنك مظاهر الاشياء وزينتها،وتشغلك عن ان تنفذ الى لبابها وصميمها،وستعدل الايام رأيك هذا بعض التعديل ، وستصبح تنظر الى المعاني اكثر مما تنظر الى الالفاظ . . .» فقلتُ : « اني اريد لك ياسيدي ان تخلد بعدك آثارك في الادب ، وليس الى ذلك من

سبيل الا ان تكتبها باسلوب ادبي لذيذ ، لاييس فيه ولاجفاف» . فقال في شيء من الدعة كثير : « . . أبعد شيبي يبغي مني الادباء ؟ » فاستحييت والله ان أُلحّ عليه في البحث

ولعلّ السبب في ضعف اسلوب الشيخ ان معارفهُ فرنسية اكثر منها عربية . فهو استاذ الآداب العربية في جامعة الجزائر، ولكنهُ يلقي دروسهُ ومحاضراتهِ كلها باللغة الفرنسية. ويقول الذين قرؤوه في الفرنسية ان اسلوبهُ فيها اسلوب حسن متين . وهو مع ذلك عالم باللغة العربية غزير العلم ومطلع عليها واسع الاطلاع . وحافظ ثقة من حفظها لا يكاد يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا احصاها

كتب اليَّ الاستاذ الشيخ عمر راسم الجزائري كتاباً وصف فيه الشيخ المرحوم وهو من اعرف الناس بهِ ، فقال : « . . لقد كان، رحمه الله، معجماً لغويًّا يمشي على وجه الارض. . » وهو وصف صادق لامبالغة فيه ولااغراق ، فقد كان يحفظ اللغة المدوَّنة في المعاجم. ويحفظ شيئاً كثيراً من اللغة التي لم تدوَّن بعد. وكان معنيًّا بجمع هذه الكلمات الكثيرة والتراكيب التي تجري على ألسنة الادباء في القديم والحديث ، ولم تدوَّن في المعاجم ، يبحث عنها بحثاً مستوعباً ، ويردها الى اصول عربية ردًّا صحيحاً . وكان ينوي ان يجعلها في كتاب يعرضهُ على المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم ينشره في الناس كتكملة لمعاجمنا اللغوية

وابحاثه في اللغة والادب كلها ابحاثٌ مبتكرة طريفة ، آخرها محاضرته التي القاها في مؤتمر المستشرقين الاخير باكسفورد (بلاد الانكليز) عن ابن خاتمه احد شعراء الاندلس في القرن الثامن الهجري ونشر خلاصها في مجلة «الشهاب» التي تصدر في قصنطينة (الجزائر) وهي محاضرة قيمّة أحيي بها شاعراً عربيًّا ، وزاد بها في تاريخ آداب العرب صفحة ماجدة ذهبية وكان طبع كتباً كثيرة قديمة بعد ماصحّحها وعلق عليها

وكان مولعاً بجمع الكتب القديمة ، ونفائس الآثار فقد خلّف في خزانته مجموعة نفيسة غالية من الكتب اليدوية المخطوطة

يقول كثير من الناس ان الحكومة الجزائرية هي التي اخذت بيد الشيخ المرحوم واعانته على اظهار مواهبه ونبوغه ، ولو انها اخذت كذلك بايدي غيره من العلماء والادباء في الجزائر لكان فيهم من يدانيه ومن يفوقه . وهذا قول صحيح لا شك فيه ، فان كثيراً من ادباء الجزائر وعلمائها ماتوا كما يقول الزهاوي شاعر العراق :

« ولقد يموت نبوغه من لا تساعده الظروف »

ولولا الحكومة لخفيَ الشيخ المرحوم تواضعاً وخمولاً . ولكنهُ خدم العلم اكثر مما خدم نفسه ، وخدم الجامعة الفرنسية بالجزائر خدمات جُلّى ، وهو الذي جعل للكتب

العربية في مكتبة الجامعة قيمةً واعتباراً . وكانت الجامعة والحكومة تتدبانه الى كثير من مهمات العلم ، فقد مثلها في مؤتمرات علمية عالمية كثيرة عقدها المستشرقون وغير المستشرقين وكان لا يقع امتحان من الامتحانات العالية في شمال افريقيا الا وتجد الشيخ المرحوم برأس لجنة من لجانه تتألف من كبار العلماء والادباء الفرنسيس . وقد اشتهر بين هؤلاء العلماء بالثقة العلمية لايماري ولا يداري ولا يحجب ولا يحابي

زرتهُ في الجامعة ذات يوم من ايام الامتحان . فرأيت في فناء الجامعة فتاة رائعة على اشد ما تكون فتنةً وجمالاً قد رسبت في الامتحان على يده . وهي تبكي بكاءً شديداً . وقصَّت عليه قصتها فقال : « وددتُ لو انها نجحتْ ، ولكن اسقطتها امانة العلم . وما هي قيمة العالم اذا لم يكن ثقةً ولا اميناً ؟ . . » . وكان ملمًّا باللغتين الالمانية والانكليزية الماماً حسناً مفيداً

﴿ تمسكهُ بدينهِ ﴾ — وكانت اول معرفتي بالشيخ ان كنتُ بتونس في سنة ١٩٢٢ وانا يومئذٍ لاازال اطلب العلم في الكلية الزيتونية، وجاءتها في تلك السنة لجنة من العلماء الفرنسيس لامتحان طلبة البكالوريا في تونس . وكانت هذه اللجنة تحت اشراف المرحوم الدكتور ابي شنب ، فاستغرب الناس في تونس ان يكون عالم جزائري غير متجنس بالجنسية الفرنسية رئيساً مشرفاً على لجنة علمية فرنسية ، يرأس جلساتها بملابسهِ الجزائرية ، وبزيهِ الجزائري . وتمالم الناس هذا الخبر، وسمعتهُ انا ، وفرحت بهِ وداخلني يومئذ شيء من النخوة والكبرياء . وجمعتُ نفراً من اخواني الطلبة الجزائريين، وذهبنا نزوره وكان اليوم يوم احد لايعمل فيه . فلقينا لقاءً حسناً ، وقبلنا قبولاً كريماً . وبينما نحن جلوس عنده اذ حضرت صلاة العصر ، فقام فصلى النافلة اربع ركعات ثم اقام الصلاة (المكتوبة) ولما فرغنا من الصلاة سألتهُ « كيف تصنع اذا ادركتك الصلاة ، وانت في جلسة رسمية ؟ » فقال : « أُقف الجلسة للاستراحة ، فيستريح زملاؤه بخطوات يمشونها ، ودخائن [1] يشعلونها ، واستريح باداء المكتوبة . واجد من الراحة في صلاتي مالا يجدون هم في مشيهم وتدخينهم . . . » واراد ان يمضي في حديثه هذا فقاطعته انا وقلت «ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزَب المسلمين خطبٌ يلجأ الى الصلاة ، ويقول : « ارحنا بها (الصلاة) يابلال » ففرح الشيخ المرحوم بهذه المقاطعة ، وقال : « لقد اردتُ ان اقولها فسبقتني بها » ثم ودَّعناهُ وانصرفنا ونحن نتمنى لشباننا المتفرنجين ان يتعظوا بهذا الشيخ الجليل . فلقد كان لهم فيه اسوة حسنة ان كانوا يريدون الخير لانفسهم ولبلادهم

ولهُ رأيٌ في هذه الالقاب الدخيلة قد لايخلو من الغرابة والشذوذ فهو يرى ان نجتنب

---

(١) الدخينة : السجارة . وضع الاديب الامام السيد مصطفى صادق الرافعي

الدخيل وان نجتهد في اجتنابه ولو الى الاستعاضة عنهُ بغريب اللغة المهمل الذي بطل استعماله. واذا اضطررنا الى الدخيل يجب ان تنطق به كما ينطق به في لغته الاصلية ، وندعهُ على حاله لا نمسهُ بأدنى تغيير، حتى تبقى دائماً عليه سمة الدخيل، لا يشتبه علينا بالاصيل ، ولا يختلط علينا الحابل بالنابل. وكنتُ ناقشتهُ في هذا الرأي الذي تأباهُ ، طبيعة اللغة ، فكل لغة لا بد لنموها وحياتها من الدخيل ولا بد لهذا الدخيل ان يفقد صيغته الاصلية الاولى، ولا بد له ان يخضع لمنطق اللغة التي يدخلها، يصاغ في صيغها، وتجري عليه قواعدها . وهذه اللغة الفرنسية مثلاً ، دخلها كثير من الكلمات العربية ولكن أية كلمة عربية دخلت الفرنسية وبقيت عربية في صيغتها على منطقها العربي ؟ وكلمة « محمد » مثلاً ينطق بها الفرنسيس على صيغ كثيرة كلها نموٌّ فرنسية لا تجد بينها صيغة عربية . وهذا سبيل من سبل نموّ اللغات وحياتها ، ما للغة منهُ بدٌّ

﴿ آخر عهدي به ﴾ —منذ عشرة اشهر ركبتُ القطار السريع من تلمسان الى وهران ، فاذا الشيخ المرحوم يركب هذا القطار نفسه، فقطعنا الطريق في محادثة وحوار ، وكان بيدي جزء من اجزاء المقتطف فتناولهُ الشيخ من يدي وقال : « عهدي بك تحب الادب ، ولا تحب العلم فما بال «المقتطف» وهو مجلة علمية ؟ . » فقلت : «كلا ، يا سيدي ، اني لا احب من العلم ما كان صلبا يابساً ، ولا احب من الادب ما كان وهماً وخيالاً . وانما احب الحقيقة تكون في صورة رائعة من صور الادب والجمال. والمقتطف يصف لنا حقائق الحياة ، ويعلمنا العلم والحكمة، في اسلوب من الادب ساحر لذيذ . وللمقتطف عليَّ يدٌ لا انساها لهُ ابد الدهر . » قال وما هي ؟ فذكرتها لهُ[1] فقال صدقتَ ، لقد احببتَ خير المجلات

وتكلمنا في الكتب اليدوية المخطوطة. فقال : ان تلمسان كانت دار علم ، ولا بد ان تبقى فيها بقايا من آثار السلف الصالح، فاذا عثرتَ فيها على كتاب قديم او اثر من الآثار العلمية فاني ارجو ان تكتب اليَّ بهِ . وهنالك جمعيات من الالمان والاميركان قد ارسلت في مدائن هذه البلاد حاشرين يشترون لها الكتب العربية القديمة ، ويقتنون لها نفائس آثار اجدادنا . فقلت : بلغني ان « فلاناً » و « فلاناً » من اشياخ الطرق الصوفية في مراكش قد قاما بسياحة واسعة في شمال افريقيا ظاهرُها «الطواف» على اتباعهم بغية « التدور » ولكنهما كانا يقتنيان الكتب المخطوطة، ويبذلان المبالغ الطائلة الباهظة من المال في شرائها ونسخها . حتى ظفرا منها بشيء كثير . فهل لهذين « الشيخين » علاقة بهؤلاء الاميركان او الالمان ؟ . . فقال : هما بلا شك من اعوانهم الذين بعثوا بهم لجمع الكتب المتناثرة المبعثرة في ايدي عامة المسلمين الذين لا يفرّطون فيها الاَّ بمثل هذه الوسيلة . فقلت : وقد سمعتُ

(١) قصة خصوصية ربما ذكرتها لقراء المقتطف في مقال انشره بالمقتطف

ان حكومة مراكش قد اصدرت «ظهيراً» يمنع اصدار الكتب المخطوطة الى الخارج. فقال وانا الآخر سمعت بهذا ، ولكنه غير مفيد ، فلو ان الحكومة اشترت هذه الكتب، واقتنت هذه النفائس وحفظتها في « دار الكتب » لكان ذلك خيراً وانفع . لان هؤلاء الذين بذلوا اموالاً طائلة في سبيل الحصول على هذه الآثار والكتب والنفائس لا يعجزهم ان يجدوا حيلة لتهريبها والفوز بها . واردتُ ان اتكلم ، ولكن القطار وقف بنا على مفرق الطرق فودعني الشيخ وودعتهُ ، فأخذ طريقهُ الى الجزائر ، واخذت طريقي الى وهران وكان هذا فراق بيني وبينهُ ، وكان ذلك آخر لقاء ، فما التقينا بعدها ، ولن نلتقي ابد الدهر

﴿كيف ذكرته﴾ — مات ابو شنب، واقيمت في ٢٠ مارس الاخير له حفلة تأبين ، فلم اذكره بشيء من ذلك وانما ذكرتهُ بسبب قد يكون غريباً ، ولكن هو السبب الواقع : المقتطف هو الذي اذكرنيه، وهو الذي جعلني اكتب عنه هذه الذكرى ، واحسُّ لفقده بآلام جسام. وذلك اني قرأت في جزء اخير من المقتطف فصلاً عنوانه : «هل تندثر مدوَّناتُ العصر؟ » على صديقي الفاضل المبرور، السيد الحاج عبدالقادر قرهجة في تلمسان فذكر لي ان في خزانته كتاباً مخطوطاً لا يدري ما اسمه ، ولا ما موضوعه ، ولا من مؤلفه ، قد كتبتْ على الصفحة الاولى منه احرف قال كاتبها عنها انها اذا كتبت على اول كتاب فانه لا يندثـ ولا يَبْلَى ! . . . فرغبتُ اليه ان يريني هذا الكتاب فتفضل فاعارنيه ، فسهرت عليه ليلةً أطالعهُ فاذا الاحرف هي هذا : « كب كيكج كيكح » واذا كاتبها قد جلّد الكتابَ ، واحتفظ به احتفاظاً شديداً ، فما بَلي ولا اندثر . واذا الكتاب صفحة ماجدة من تاريخ الجزائر ، بل من تاريخ الاسلام والشرق. واذا موضوع الكتاب في سياسة الملوك وتدبير الممالك . واذا مؤلفه عالم غزير العلم ، مطلع واسع الاطلاع ، وسياسي مجرّب حكيم . وهو السلطان موسى ابو حمو اشهر بني زيان (بني عبد الواد) ملوك تلمسان في التاريخ. وهنا ذكرتُ الشيخ المرحوم، وذكرتُ ما كنتُ عاهدتهُ عليهِ يوم اجتمعنا في القطار من ان اكتب اليهِ بكل ما اعثر عليهِ في تلمسان في الكتب القديمة ، والآثار النفيسة وهممت ان اكتب اليه عن هذا الكتاب النفيس ، فاذا به قد توفي الى رحمة الله . فلولا « المقتطف » ما كنتُ لأعثر على هذا الكتاب ، ولولا هذا الكتاب ما كنتُ لأذكر الشيخ المرحوم هذه الذكرى الاليمة

سلام الله عليك يا ابن ابي شنب ، لقد طبتَ حيًّا وميتاً . وكنت بعلمك وشرقيتك حجة الشرق على هؤلاء الشرقيين الذين لا يبتغون العلم والحياة الاَّ من طريق التفرنج والاندماج. وقدمتَ على ربك مؤمناً عالماً ، « . . ومن يأتهِ (ربَّه) مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا. جناتُ عدْنٍ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها، وذلك جزاءُ من تزكّى»

تلمسان (الجزائر) محمد السعيد الزَّاهري

غاية الجيولوجيا ومباحثها واساليبها

على ذكر كتاب « الجيولوجيا » النفيس الذي اصدره حديثاً
الدكتور حسن بك صادق وكيل مصلحة المناجم والمحاجر

تتألف لفظة (جيولوجيا) من لفظتين يونانيتين الاولى (جه) ومعناها ارض والثانية (لوجوس) ومعناها خطاب او درس فيكون معناها (درس الارض) وتتناول باوسع معانيها كلَّ ما يتعلق بتركيب الارض . والغرض من هذا العلم البحث في كل المواد التي تتركب منها الارض ووصف اشكالها ومواقعها وترتيبها النسبي ويتناول طبيعة تكوينها والاسلوب الذي جرى عليهِ هذا التكون والتغيرات التي مرت بها في العصور الحالية والتي لا تزال تنتابهـا الى الآن وبكلمة عامة غايتهُ ان يكشف عن النواميس التي تجرى عليها هذه المواد في تكونها والعوامل التي تبين صفاتها وخواصها

والجيولوجيا قسم من التاريخ الطبيعي لذلك لا نتناول من مواد الكرة الارضية سوى المواد المعدنية والصخرية بوجه خاص وتترك البحث في شكل سطح الكرة وتوزيع اليابسة والبحار عليهِ للجغرافيا ودرس المملكة النباتية لعلم النبات والمملكة الحيوانية لعلم الحيوان وبناء الاجسام الاساسي لعلم الكيمياء . على ان الجيولوجيّ لا يستطيع ان يخترق سطح الارض الى اقصى من بضعة اميال ولذلك ترى مباحثه بوجهٍ عام منحصرة في قشرتها . ولذلك ترى علماء الجيولوجيا يذكرون في كتبهم قشرة الارض ويريدون بها ذلك القسم من بناء الكرة الصخرى الذي تصل اليه مباحثهم وتتناوله على وجه من الرسوخ والتثبت العلميين

***

اذا حفرنا بئراً في الارض مررنا في اثناء حفرها بطبقات متتابعة من الدلغان والرمل والحصى فنذكر فعل الماء لاننا لا نرى عاملاً طبيعيًّا آخر يفعل فعل الماء الآن في تنضيد طبقات الدلغان والرمل والحصى فيقودنا ذلك الى البحث في منشإِ الطبقات التي نمرُّ بها في اثناء حفرنا وهل هي رسبت اولاً في قيعان الانهار والبحيرات او مصاب الانهار الداخلة في البر او على شواطيء البحار . وقد نعثر في اثناء بحثنا على اصداف وعظام او قطع من نباتات مدفونة في الدلغان او الرمل . ففي هذه الاجسام نجد سبيلاً آخر الى الوقوف على تاريخ

هذه الطبقات الارضية لانهُ من المستطاع معرفة اصحاب هذه الاصداف والعظام وهل هي حيوانات كانت تعيش في البحيرات العذبة المياه او الانهار او ماء البحر الاجاج

كذلك نعثر على كثير من الطبقات الصخرية المختلفة في اثناء حفر نفق من انفاق سكة الحديد مثلاً او منجم او قطع جانب من اكمة لبناء خط حديدي فنرى طبقات مختلفة دلغانية ورملية وفحمية وحديدية وجيرية منضدة احداها فوق الاخرى اومرصوفة احداها الى جانب الاخرى . وكل من هذه الطبقات قد تحتوي على آثار بعض الحيوانات والنباتات وبقاياها ولا يمكن تعليل وجودها الاَّ اذا حسبنا ان كل طبقة منها كونت بفعل عوامل مختلفة وفي احوال مختلفة من البحر والبر والهواء والماء كما نرى في هذه الايام. فالبحار والانهار ومصابها كل واحد منها يختلف عن الآخر بمميزات خاصة في رواسبهِ

والجيولوجي في اثناء قيامهِ بالمباحث المتقدمة يستنير بالاحداث الطبيعية التي تقع فعلا في هذا العصر فيسند التشابه الى اسباب واحدة او متشابهة . فهو يرى في هذا العصر الانهار تنقل الرمل والطمي والحصى وترسبها طبقات طبقات اما في البحيرات او في مصاب الانهار او على شواطىء البحار . وهذا الفعل الطبيعي آل في سنوات معدودة الى امتلاء بعض المصاب وجفاف بعض البحيرات من رسوب هذه المواد فيها وتحويلها من ارض مغمورة بالمياه الى ارض يابسة بعد ارتفاعها وانحسار الماء عنها . ثم تجمدت طبقات الرمل والطمي والحصى رويداً رويداً فصارت طبقات صخرية

كذلك نرى الامواج بفعل المد والجزر والرياح تفتت الصخور في جهة معرضة لها للرياح وتجمع في الوقت نفسه مقادير عظيمة من الرمال في جهة اخرى غير معرضة للرياح والامواج . ونعلم انهُ في اثناء الزلازل وثوران البراكين ترتفع بلدان وتنخفض بلدان فقد ترتفع في وسط البحر جزيرة في منخفض لم يكن لها اثر فيهِ من قبل وقد تنخفض بلاد اخرى على شاطئهِ فتغمرها مياههُ وتصبح اليابسة قاعاً للبحر. والافعال البركانية تؤثر في سطح اليابسة فتكون سلاسل جديدة من الجبال والاكام بفعلها او ترسل حمماً تصير على مرّ الزمان صخراً مبلوراً كصخر البازلت وما اليهِ

فلما كانت هذه العوامل تؤثر في سطح الكرة الآن وتغير من حين الى آخر نسبة اليابسة الى البحار عليهِ طرداً وعكساً على ما هو مشاهَدٌ فالمرجح كل الترجيح ان هذا كان فعلها في العصور الغابرة ولا بدَّ انها كانت العوامل الاولى التي استعملتها الطبيعة في تكوين قشرة الارض التي تنحصر مباحث الجيولوجيا فيها

ولقد كانت الارض في كل العصور ميداناً للتدمير والبناء في كل تاريخها — هنا تدمَّر

وتحفر وتخرب وتعرى بفعل الامطار والانهار والامواج والثلج والجمد والمد والجزر . وهنالك تبنى برسوب المواد التي تحملها المياه من مكان الى آخر او بنماء النباتات والحيوانات على سطحها وتجمُّع المواد التي تقذفها البراكين من قلب الارض

***

اضرب في الأرض انى شئت وابعد عن الشواطىء ما تمكنت وابحث في طبقات الرمل والحصى والتراب والصخور وابحث في المواد التي تتركب منها تجد انها كونت كلها بفعل الماء كما ترسب طبقات الرمل والحصى والطين في عصرنا الحاضر. وكما ان ثوران البراكين الآن وفعل الزلازل يغيّر اشكال الجبال والاودية فيرفع قمةً هنا ويخفض وادياً هناك ويحدث شقاً ويجمّد سهلاً هنالك كذلك علينا ان نعود بمثل هذه الافعال في اقدم العصور الغابرة الى مثل هذه الاسباب

فدرس الجيولوجي للافعال الطبيعية الجارية الآن يضع في يده مفتاحاً للوقوف على تاريخ الكرة الارضية المتوغل في القدم ومما يسهل عليه عمله ويجعله قرين الدقة والصواب درس آثار النباتات والحيوانات التي يراها في الطبقات الصخرية المختلفة

ففي عصرنا هذا نرى كثيراً من الاصداف والاسماك وغيرها من الحيوانات البحرية تدفن في الطمي الذي تحمله الانهار الى البحيرات والمصابّ ويرسب فيها طبقات متراكمة . كذلك نرى مياه الانهار تحمل آثار الحيوانات البرية وجذوع الاشجار وغيرها من آثار النباتات ونشاهد الزلازل تخفض السهول بما عليها من كائنات نباتية وحيوانية فتغمرها المياه ثمَّ تغطى الطبقات الحية بطبقات من الطين والرمل والحصى التي ترسبها المياه . وعلى مرّ الزمان تتحجر اي تصير طبقات صخرية. فدرس الآثار التي نراها في مختلف الطبقات دليل الى الاحوال التي كوّنت فيها. هل كانت الحيوانات والنباتات برية او بحرية؟ استوائية اومن المنطقة المعتدلة اومن المناطق المتجمدة ؟ وكما تحفظ آثار النباتات والحيوانات في الطبقات الراسبة الآن كذلك حفظت آثار النباتات والحيوانات المتوغلة في القدم . ولما كانت النباتات تختلف فمنها ما تمتاز به بقعة جافة وغيرها ما يمتاز به مستنقع وغيرها ما تمتاز به ناحية جبلية فلذا نجد في معرفة صفات هذه الآثار في الصخور سبيلاً الى معرفة الاحوال التي كانت تعيش فيها. وما يصدق على النباتات يصدق على الحيوانات ايضاً. فاجناسها مختلفة والبيئات والعصور التي كانت تعيش فيها هذه الاجناس مختلفة ايضاً وكل جنس بل كل عائلة منها له مميزات خاصة في هيكله وبناء جسمه. فنها ما هو مُعدٌّ للجري او للطيران او للسباحة. ومنها ما يأكل النباتات او اللحوم وحين موازنة الآثار المتحجرة بما يعرف من اجناس الحيوانات العائشة الآن نستطيع ان

نكوّن فكراً دقيقاً عن احوال المعيشة في العصور السابقة

اذا سار الجيولوجي على هذا النمط من البحث والدرس والموازنة تبين له انه يستطيع ترتيب الطبقات التي تتألف منها قشرة الارض ترتيباً تتعاقب فيه الطبقة تلو الطبقة تعاقباً منتظماً. فيعرف انه اذا عثر على الطبقة الواحدة لزم انه يعثر تحتها على طبقة معينة اخرى ويستنتج على وجه من الدقة ان فوقها كانت طبقة اخرى معينة كذلك . ويستطيع ان يعرف من هذا النظام الذي يضعه ، آثار النباتات والحيوانات التي يجب ان يجدها في كل طبقة من هذه الطبقات مما تمتاز بهِ عن غيرها . فمتى عرف هذا التعاقب على وجه من الدقة تعين عليهِ ان يعرف مدى هذا التعاقب اي الزمان الذي انقضى قبل تكوّن كل طبقة من هذه الطبقات . واي الطبقات اقدم من غيرها وما مدى هذا القدم والادلة على ذلك . وما هي الآثار النباتية والحيوانية التي تميز كل طبقة عن اختها. واين توجد هذه الطبقات على سطح الارض. ومن معرفة هذه الطبقات او المكوَّنات الجيولوجية يستطيع الجيولوجي ان يستخرج تاريخاً للكرة الارضية . وقد يكون هذا التاريخ غير كامل او غير دقيق ولكن المبادىء الاساسية التي يبنى عليها كافية لان نبين اهم التطوّرات التي مرت على الارض منذ تكوينها — على قشرتها اولاً وعلى انواع نباتاتها وحيواناتها ثانياً

فغاية الجيولوجي القصوى هي ان يضع بياناً دقيقاً لكل التغيرات التي طرأت على سطح الكرة من اقدم الازمان التي وجدت فيها الطبقات الصخرية الى الآن في البر والبحر وان يرسم صورة صحيحة لانواع النباتات والحيوانات البائدة وان يبين صفاتها والاحوال التي عاشت فيها — فاذا تمَّ له تحقيق هذه الغاية كان ذلك من اكبر انتصارات العلم الحديث

ولعلم الجيولوجيا علاقة بالعلوم الطبيعية كلها اوجلها. فهو يتصل من جهة بعلم الفلك حيث يتناول اصل الارض ونشوءها وعلاقتها بالشمس وسائر السيارات التي يتألف منها النظام الشمسي . ويتصل بعلم الكيمياء حينما يبحث عن المواد التي تتألف منها الارض والعناصر التي دخلت في بناء الصخور . ويتصل بعلم الجغرافية الطبيعية حين يتناول توزيع اليابسة والبحار على سطح الكرة الارضية ومواقع الجبال والاودية. وبعلمي الانثربولوجيا والاتنولوجيا حين يلمُّ باحوال الاجناس البشرية من اقدم الازمان الى الآن وقدمها وتفرقها والعوامل التي افضت الى ذلك . وبعلمي النبات والحيوان حين يدرس آثار النباتات والحيوانات المتحجرة الباقية في طبقات الصخور وبعلم الاقتصاد في كلّ ما يرتبط بالزراعة والتعدين وهندسة البناء والينابيع المعدنية والحجارة الكريمة وغير ذلك. وفي كل ذلك لا بد من ان يتصل بمبادىء علم الطبيعيات بنواميس الحرارة والضغط والسوائل والغازات والاشعاع وهلمَّ جرًّا

في مجلس سيف الدولة

بين المتنبي وابي فراس

« وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر الا ابو فراس وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه » «ابن رشيق »

نشأ المتنبي من أصل وضيع، فقدكان أبوه سقاء بالكوفة ،ولم يمنعه أصله الوضيع من أن يتطلع الى اسمى ما يتطلع اليهِ عظيم من مراتب السؤدد والرفعة ، فجد في طلب العلم صغيراً وانقطع عامين الى الأخذ عن اعراب البادية ، ثم اكثر من الاطلاع على الكتب والاستفادة من العلماء ،حتى اذا أخذ بحظه من العلم والادب تطلعت نفسه الى الاخذ بنصيبها من المجد واغتصاب الشهرة اغتصاباً من بين براثن الأسود . وكان يتقرب — في اول عهده — الى اعيان عصره وذوي النفوذ فيمدحهم بقصائده ،ليتخذهم سلماً الى ما تطمح اليهِ نفسه من العظائم. وربما أثابه بعض ممدوحيه على احدى قصائده بدينار واحد (١)

فلما اتصل بأبي العشائر — والي انطاكية — قدمهُ الى سيف الدولة فكان ذلك بدء شهرته الضخمة التي لا نري أبلغ في وصفها من قول المتنبي نفسه — :

وتركك في الدنيا دويًّا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

فقد بلغ المتنبي حظًّا من الشهرة لم يكد يظفر بهِ شاعر عربي — قبله أو بعده — فملأ الدنيا وشغل الناس — كما يقول ابن رشيق — وعنى بشرح ديوانه اكثر من اربعين اديباً منهم المعري وابن جني وهما من تعرف علماً وأدباً وفضلاً .وكان المتنبي قبل اتصاله بسيف الدولة — كما يقول الثعالبي —«يمدح القريب والغريب ويصطاد ما بين الكركي والعندليب »

وقد صحب سيف الدولة نحو عشر سنوات(٢) غمره فيها سيف الدولة بعطائه الجزيل ، كما افتنَّ المتنبي في مدحه الذي خلدهُ بهِ بين ملوك عصره قاطبة ،وأنف المتنبي أن يمدح

---

(١) قالوا انه مدح علي بن منصور الحاجب فلم يعطه الا ديناراً واحداً على قصيدته التي اولها — :
«بأبي الشموس الجانحات غواربا» والتي منها قوله: أظمتني الدنيا ، فلما جئتها مستسقياً مطرت علي مصائبا

(٢) التحق به سنة ٣٣٧ هـ ثم فارقه ودخل مصر سنة ٣٤٦

— بعد ذلك — من هم دون الملوك مرتبة ومقاماً فترفع عن مدح المهلبي والصاحب[١] مع سمو منزلتيهما ، كما أنف أن يمدح غيرهما من الاعيان والامراء

وكان في المتنبي صلف وعجرفة واعتداد بالنفس الى اقصى حد ، فكثر اعداؤهُ وحاسدوهُ ، وكان كلما امعن في احتقارهم والزراية عليهم ، أمعنوا في الكيد له وتلمس العيوب والسقطات. وكان من أسباب تعاليه عن الناس واحتقاره اياهم أنهم طالما عيروه بضعة أصله[٢] وفاخروه بأحسابهم فتأصلت فيه طبيعة الاحتقار لهم والحقد عليهم[٣] ولعل ابلغ ما يمثل لنا هذه الطبيعة الحاقدة من شعره هو قوله — :

ومن عرف الايام معرفتي بها　　وبالناس روّى رمحه غير راحم

---

(١) وقد جلب على نفسه عداوة هذين الزعيمين باحجامه عن مدحهما وترفعه عنهما ، قالوا :

« ولما قدم ابو الطيب من مصر — الى بغداد وترفع عن مدح المهلبي الوزير ذهابا بنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبي فأغرى به شعراء بغداد حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه واسمعوه ما يكره وتماجنوا به وتنادروا عليه . فلم يجبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك فقال —:

اني فرغت من اجابتهم بقولي لمن هو أرفع منهم طبقة من الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذمي　　ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض　　يجد مراً به الماء الزلالا

وقولي :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر　　ضعيف يقاويني ، قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل　　وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه　　وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طبي فيهم ، غير انني　　بغيض الى الجاهل المتعاقل

وقولي :

واذا أتتك مذمتي من ناقص　　فهي الشهادة لي بأني كامل

قالوا : وقد ارسل اليه الصاحب — وقد طمع في زيارة المتنبي اياه باصبهان واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان — وهو اذ ذاك شاب ولم يكن قد استوزر بعد وكتب اليه يلاطفه في استدعائه وتضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي وزناً ولم يجبه على كتابه ولا الى مراده وقصد عضد الدولة

قالوا : فاتخذه الصاحب غرضا يتامس سيئاته وهو اعرف بحسناته.

(٢) وقد عيروه بذلك حتى بعد أن وصل الى ذروة الشهرة فمن ذلك قول بعض الشعراء :

اي فضل لشاعر يطلب الفضـ　　ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع بالكوفة الما　　ء ، وحيناً يبيع ماء المحيا

على ان المتنبي كان يعترف بأن أصله وضيع وان فخاره بنفسه لا بآبائه ، وقد اشار الى ذلك عدة مرات نجتزي منها بقوله في رثاء امه —:

ولو لم تكوني بنت اكرم والد　　كان أباك الضخم كونك لي أما

وقد قلد فيه قول ابن الرومي في ابي الصقر — :

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم　　كلا لعمري ، ولكن منه شيبان
كم من أب قد علا بابن ذرى شرف　　كما علت برسول الله عدنان

(٣) ملأ أبو العلاء المعري لزومياته بذم الناس ، ولكنه لم يحقد على أحد بل كان يتوخى الاصلاح وينشد المثل الأعلى ، ولا كذلك كان المتنبي ، فقد كان كثيراً ما يحقد عليهم دون ان يتوخى اصلاحهم .

فليس بمرحوم اذا ظفروا بهِ ولا في الردى الجاري عليهم بآثم[(١)]

ولقد كان المتنبي شديد الاثرة بعيد الانانية ، لايعنيه الا نفسهُ ، يرى كل من في الوجود مسخراً له وحده . فالملوك لم يخلقوا الا ليغمروه بجاههم ومالهم . والجماهير لم تخلق الا لتهتف له وتملأ الدنيا اعجاباً بشعره ، وعلماء عصره لم يوجدوا الا ليناقشوا اقواله ويفردوا له الشروح العديدة ، وشعراء العربية قاطبة لم ينظموا الا ليتخيّر من معانيهم الرائعة ما يحلو له أن ينظمه ويضعه في صيغتهِ النهائية فكأنهم يهيئون له « مشروعات قوانين » ليصدرها — بعد ذلك — للناس مراسيم

وهو في اكثر المعاني التي يسطو عليها — كما يقول الثعالبي —: « يأخذها عباءة ويردها ديباجاً ويرسلها مثلاً سائراً » . والحق أنك تقرأ شعر المتنبي فتحس كأن صوت القدر يملي على الناس قوانين الحياة املاء

***

أما أبو فراس فقد نشأ من طبقة الارستقراطية وبيت الملك — وهو على قرابته من سيف الدولة — شاعر فياض بالشاعرية واسلوبهُ — في اكثر شعره — في أعلى طبقات البلاغة وهو من أحبّ الشخصيات واظرفها ولشعره جمال رائع لعنايتهِ بتخير اللفظ وحسن الاداء وصدق العاطفة . وقد حكم النقاد بتفوقهِ على ابن المعتز في الشعر ، وصدقوا في حكمهم كل الصدق ، فقد أفاد الاسرُ شاعرية ابي فراس وانطقهُ الالم بأروع وابدع ما يقوله شاعر مجيد[(٢)]

قالوا : « وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبرز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ، لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له واجلالاً ، لا إغفالاً واخلالا »

فأما أن المتنبي كان يشهد له بالتقدم والتبرز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ، فيرجع الى قرابة ابي فراس من سيف الدولة وما تجره عداوته على المتنبي من النكبات . فقد كان سيف الدولة — كما يقولون — « يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه ، ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في اعماله » . والمتنبي أحصف من أن ينبري لمجاراة من هذا شأنه ، وأجدر أن يتحامى جانبه ويشهد له بالتقدم والتبرز

(١) ومن هذه القصيدة قوله — :

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
وأن تردَ الماء الذي شطره دم فتسق ، اذا لم يسق من لم يزاحم

(٢) وقع ابو فراس في قبضة الروم اسيراً مدة اربع سنوات ، وقال في اسره أحسن ما قرأناه له من الشعر صدق عاطفة واحكام اسلوب ودقة أداء . وليس يتسع هذا المقام للاستشهاد بشيء من ذلك

وأما أن المتنبي « لم يمدح أبا فراس تهيباً واجلالاً » فهو كلام يجمل بنا أن نفهمه على وجهه الصحيح ،فهو بلغة الساسة أشبه ، وماذا ينتظر معاصروه أن يعلل ترفعه عن مدح أبي فراس . وبمَ يجيبهم اذا سألوه : —.« لم لم تمدح ابا فراس وقد مدحت من دونه من آل حمدان ؟ » .أكان يقول لهم : « إنني لم أمدحه اغفالا واخلالا » أم يقول لهم : « إن شعره لم يعجبنى ». أم يصارحهم برأيه الذي اضطر الى الافضاء به — بعد ذلك — حين صرّح الشر وانكشف الغطاء فقال : —

« أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم »

ليس أمامه ما يزعمه إلا ان يقول إنه يتهيبه . ولو أن سائلا خبيثاً همس في أذنه : — « وكيف مدحت سيف الدولة اذن ؟ ألا تتهيبه أيضاً ؟»

لما أجابه المتنبي حينئذ بأكثر من ابتسامة الهازىء العابث أو اعراضة المتخلص الهارب. وكيف نرضى بهذا التعليل الذي يقنع به الثعالبي وغيره ، ونحن نرى المتنبي قد مدح من اسرة حمدان من هم دون أبي فراس مقاماً كما مدح سيف الدولة وهو رأس الاسرة الحمدانية وأجدر بالتهيب والاجلال ان كان المتنبي ممن يتطرق الى نفسه تهيب أو اجلال لكائن من كان

لقد كان ابو فراس شاعراً ، وشاعراً فحلا ممتازاً ،وحسبك بهذه الميزة سبباً ينفر المتنبي من مدحه . ولا تنس ان المتنبي كان يتطلع الى حمل لواء الزعامة الأدبية في عصره ويرى ان ذلك أيسر ما يجدر به أن يفعله ، لأن نفسه الوثابة كانت تتوق الى ما هو اسمى من زعامة الشعر واعظم خطرا (١)

فكيف يشيد بذكر شاعر كأبي فراس يزاحمه في زعامة الشعر ؟ (٢)

الحق أن المتنبي وابا فراس لم يكن من سبيل الى التأليف بينهما ، فقد كان أبو فراس يرى فى المتنبي رجلاً من السوقة رفعهُ الشعر درجات فوق ما يستحق ، كما كان المتنبي يرى في أبي فراس أميراً ذكيّاً رفعت الامارة من شعره درجات فوق ما يستحق وأكسبته شهرة في الادب لم يكن ليصل اليها لولا قرابته ومكانتهُ من سيف الدولة . فكان ينطبق عليهما قول

(١) كانت نفس المتنبي تطمح الى الملك أيضا ، وقد أشار الى ذلك مراراً نجتزىء منها بقوله مخاطبا كافور الاخشيدي — :

وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذي جاء غازيا لسائلك الفرد الذي جاء عافيا

(٢) ولقد كاد يحمله المتنبي فيمن اخمل من شعراء عصره المدزين وليس ادل على ذلك من تصدي جمهرة كبيرة من الشارحين والناقدين والهاجين والمادحين له حتى طبقت شهرته الآفاق وملأت الدنيا في حين لم يصل ابو فراس الى شيء يذكر من هذه الحفاوة العجيبة

ابي الاصبع العدواني : —« فخالني دونه ، بل خلته دوني »

فأبو فراس يرى فيه ابن سقاء مزهوًّا بشعره شامخاً بأنفه الى السماء متعالياً في غير جدارة بالعلاء بالغاً من سيف الدولة مكانة لم يبلغها سواه ، والمتنبي يرى فيه شاعراً ينافسه ويغار منه ويحسده على مكانته ويدني خصومه من مجلسه ، فبأي لسان يمدحه المتنبي؟ وكيف يهش له ابو فراس أو يصفيه الود خالصاً ؟

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد خلق المتنبي بسبب تعاليه وصلفه — كما أسلفنا — كثيراً من الحساد والخصوم وكان يزيد في حسدهم له ما يرونهُ من اقبال سيف الدولة عليهِ ، فلم ينوا عن الوقيعة والدس وتخذوا من إدلاله على سيف الدولة [1] مطعنا ينفذون منهُ اليهِ

فهذا أديب يكيد له عند سيف الدولة فيقول له — حين ينشده احدى قصائده وهو قاعد — :

لو انشدها قائماً لأسمع ، فان اكثر الناس لا يسمعون» لينبه سيف الدولة الى سوء ادب المتنبي ، فيجيبه المتنبي على هذا الدس الخبيث ببديهته الحاضرة الموفقة ، أما سمعت أولها : —

« لكل امرىء من دهره ما تعودا » فيخرس حاسده بذلك [2]

وهذا شيخ يحسد المتنبي على عطاء أجزله له سيف الدولة حين قرأ قصيدتهُ التي فيها قوله

يأيها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الاحسان لا قبلي

فلا يطيق مغالبة حسده بل يظهره أمام سيف الدولة ، فيمنحهُ من العطاء ما يخفف بهِ موجدته على المتنبي

وهذا ابن خالويه — مؤدب سيف الدولة وأحد شيوخ المدرسة القديمة في عصر المتنبي — لا يألو جهداً في تنقصه وثلبه ، فقد كانت عداوتهما مزدوجة ، فهي عداوة بين متنافسين وعداوة بين مدرستين كذلك . فقد كان ابن خالويه زعيم الجامدين في اللغة والاوضاع وكان المتنبي زعيما من زعماء التجديد فيهما جميعاً . كان ابن خالويه يرى نفسه خادم اللغة الامين، وكان المتنبي يرى نفسه سيدها والمتصرف فيها والمجدد في اساليبها وأوضاعها [3]. كان ابن خالويه يُعَنّي نفسه بالقياس وتتبع ما ورد عن العرب وما لم يرد ، حينما كان المتنبي مطلقاً نفسه من هذه القيود ، يختار منها ما يلائم ذوقه من الصيغ اللفظية والبيانية ، هازئاً بانصار الجمود من

(١) كان المتنبي كثيرا ما يمتدح نفسه في القصائد التي يمدح بها سيف الدولة وعاب بذلك حساده وخصومه عليه

(٢) قالوا: ان المتنبي أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها « لكل امرىء من دهره ما تعودا » فلما عاد سيف الدولة الى داره واستعاده اياها أنشدها قاعدا ، فقال بعض الحاضرين — يريد أن يكيد أبا الطيب — : لو أنشدها قائما لأسمع ، فان اكثر الناس لا يسمعون ! » فقال ابو الطيب — :

أما سمعت أولها : « لكل امرىء من دهره ما تعودا ؟ »

(٣) كان المتنبي يتخذ ابن الرومي نموذجا في التجديد والعبث بالالفاظ والمعاني

معاصريه واثقاً من سلامة ذوقه وصفاء طبعه، ينشدهم هذا البيت الذي يعبر عن نفسه أحسن تعبير:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وليست خصومة هؤلاء المقربين عند سيف الدولة للمتنبي بالخطب اليسير، فقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كانته حتى يهي ما اشتد من قوته — وقد شعر المتنبي بخطر حساده ومنافسيه وظهر ذلك في بعض قصائده، ومن ذلك قوله لسيف الدولة: —

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

وقد انتهت هذه الدسائس كلها بالنتيجة الطبيعية، فأحفظت سيف الدولة عليه، وجعلته يعرض عنه — بعد اقبال — وانتهت هذه المؤامرات المتوالية بتغريب المتنبي، ونفوره من سيف الدولة وسفره الى كافور، هرباً من هذا الجو الموبوء بالدسائس والمكائد الخبيثة

ويظهر لنا أن اعداء المتنبي افلحوا في تنفير ابي فراس منه قبل ان يفلحوا في تنفير سيف الدولة، وكان أبو فراس — كما اسلفنا — مستعداً لذلك. فلما امتلأت نفسه حقداً على المتنبي، تولى الكيد له عند سيف الدولة الذي يحبه ولا يرد له قولاً

قالوا: وكان أبو فراس يقول لسيف الدولة: « ان هذا المتسمي كثير الدلال عليك، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد، ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره[1] ». وثمة امتلأت نفس سيف الدولة بأمثال هذه الوشايات فأعرض عن المتنبي وظهر اعراضه واضحاً جلياً في ثلاث مناسبات: اولاها: حين عاد المتنبي اليه بعد ذلك — وكان عاتباً. والثانية: حين أنشده قصيدته الرائعة التي اولها « واحر قلباه ممن قلبه شبم ». والثالثة حين ناظره ابن خالويه في مجلسه

(١) — اعراضه الاول

قالوا إن المتنبي لم يكد يبلغه اعراضه ويتعرف سره حتى دخل عليه وانشده قصيدته التي يقول

وما لي اذا ما اشتقت ابصرت دونه تنائف لا أشتاقها وسباسبا
وقد كان يدني مجلسي من سمائه أحادث فيها بدرها والكواكبا
حنانيك مسئولاً، ولبيك داعياً وحسبي موهوباً وحسبك واهبا
أهذا جزاء الصدق، ان كنت صادقاً أهذا جزاء الكذب ان كنت كاذبا ؟
وان كان ذنبي كل ذنب، فإنه محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

قالوا: فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته، فخرج المتنبي من عنده متغيراً

[للكلام بقية] كامل كيلاني

---

(١) لعلك تلمح في هذه الجملة رأي ابي فراس في المتنبي، وهو يؤيد ما ذكرناه من قبل

خيل الكهربائية المتمردة

هل يستطيع العلماء ان يكبحوا جماحها ويتقوا اخطارها

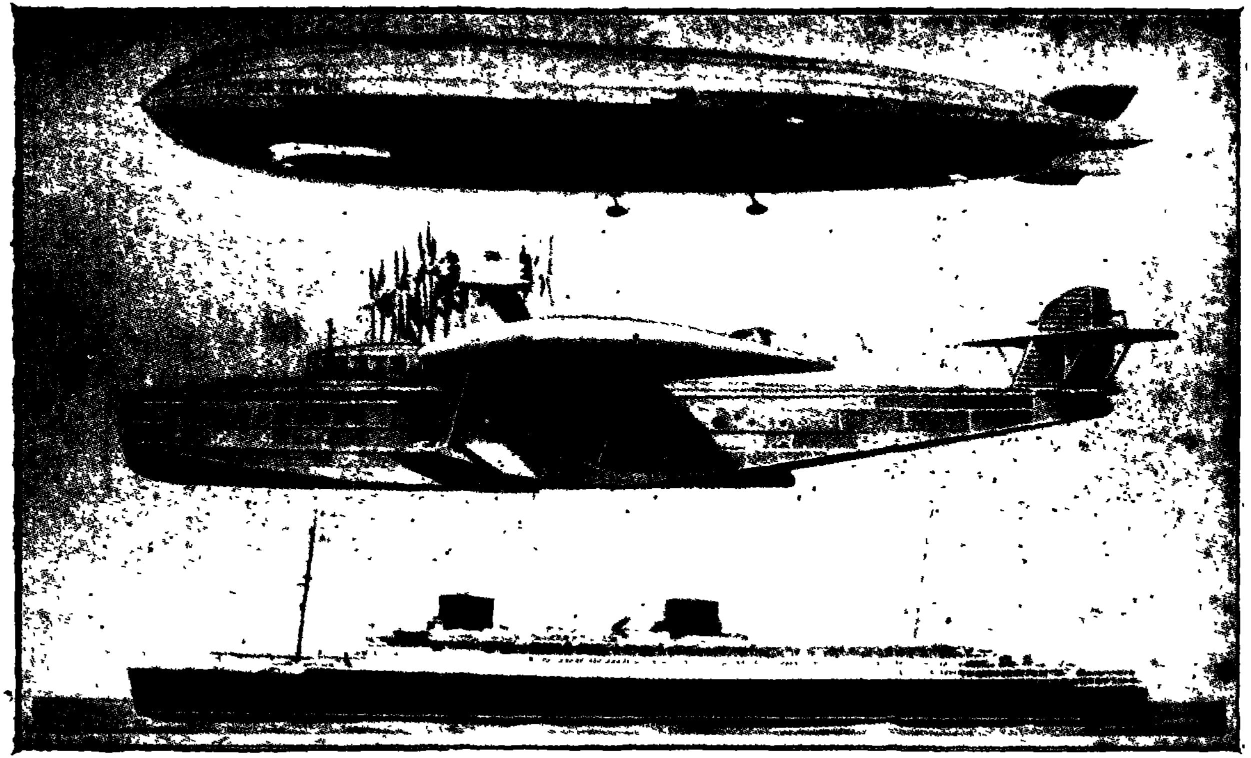
الصواعق والبروق في خدمة الانسان

لمع البرق وقصف الرعد وانقضت الصاعقة فاصابت منزلاً مبنيًّا بالطوب والخشب فشقت جدرانهُ واطارت خشبهُ شظايا وكسرت زجاج نوافذهِ والقت الرعب في قلوب السكان. وانقضت صاعقة اخرى فاصابت عمود تلغراف فطحنتهُ طحناً وغارت في الارض فعطلت صندوقاً من صناديق التلفون فقطعت المواصلات التلفونية. واخرى في ناحية مجاورة عطلت النور الكهربائي واخرى نزلت في مخزن من مخازن التبن فاحترق وارتفعت لهبهُ في الفضاء رغم المطر الشديد

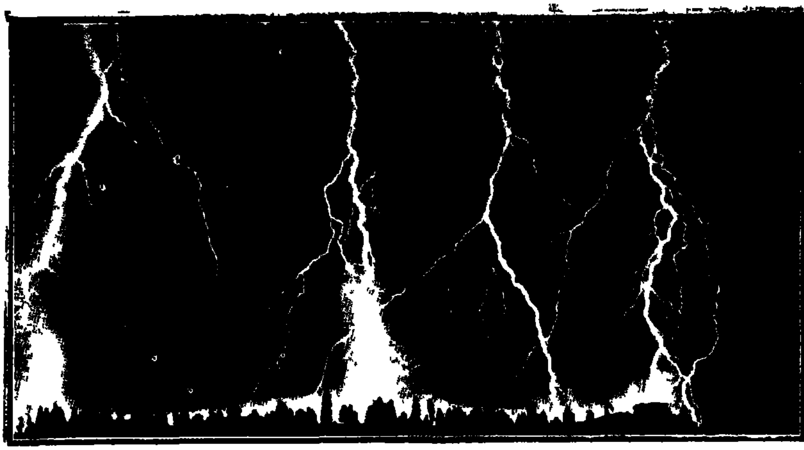
هذا بعض ما تفعلهُ البروق والصواعق في ناحية من انحاءِ ارضٍ كل ساعةٍ من الزمان. فقد ذهب علماء الظواهر الجوية الى ان ٤٤ الفاً من العواصف البرقية تثور كلَّ يوم على سطح الارض وان نحواً من مائة صاعقة تنقض في جوّ الارض كل ثانية من الزمان

ان معرفة الانسان بالبرق والرعد وانقضاض الصواعق قد اتسع نطاقهُ اتساعاً عظيماً منذ قام فرنكلن الاميركي واثبت بطيارتهِ ان الصاعقة انما هي في الواقع شرارة من « النار الكهربائية » . ومع ان العلماء والفلاسفة لم يوفقوا بعدُ الى معرفة حقيقة هذه النار الكهربائية فقد كشفوا كثيراً من الحقائق والنواميس التي ترتبط بتصرفها وبرعوا في توليدها والسيطرة عليها واستعمالها لمختلف الاغراض . انهم ينتقلون بها ويستنيرون بها ويطبخون بها ويطوقون الارض باخبارهم وصورهم بها

ولقد وقف مهندسوا اميركا الكهربائيون وقتهم وجهدهم في السنوات الخمس عشرة الاخيرة على درس الصواعق والبروق حتى كاد هذا الميدان من ميادين العلم يصبح خاصًّا بهم . والسبب في ذلك اتساع الصناعات الكهربائية في الولايات المتحدة اتساعاً لم يسبق لهُ مثيل من قبل . فالشركات الكبيرة تنفق في السنة ١٦٠ مليوناً من الجنيهات لتوسيع نطاقها واذا تمَّ لاميركا انشاء البرنامج الكهربائي العظيم — توليد الكهربائية في اماكن خاصة حيث توليدها سهل ثم نقلها على الاسلاك من هذه المراكز الى كل انحاء البلاد — وجب على علمائها ان يبتدعوا طرقاً للمحافظة على الاسلاك التي تنقل هذه القوة الكهربائية العظيمة من انقضاض الصواعق عليها وتدميرها . لذلك نرى طائفة من المهندسين المختصين بالبحث الكهربائي يحاولون النفوذ الى اسرار الصواعق والبروق ليكشفوا عن سبيل لكبح جماح خيلها المتمردة وقد وفقوا في بحثهم



منشآت المانيا الجاريات . (فوق) البلون غراف زبلين (وسط) الطيارة الجديدة التي تسع ١٢٠ راكباً (تحت) الباخرة برمن وهي أسرع البواخر



صورة فوتوغرافية لبروق متعددة لمعت في آن واحد



صورة فتغرافية لبرق طبيعي قوته تفوق كل ما تولده معامل القوة في اميركا عشرات الاضعاف



شرارة برق مصطنع في المعمل الكهربائي . وقد تمكن العلماء من توليد شرارة طولها ٢٠ قدماً

الى حدٍّ كبير. فقد قاسوا الضغط الكهربائي العظيم الذي تولده الصواعق وصوروا البروق بآلة فتوغرافية أسرع من البرق نفسه. ثم آبوا الى معاملهم واخذوا يولدون صواعق مصغرة فيها ليدرسوا صفاتها ومميزاتها وليحاولوا ابتداع الطرق للسيطرة عليها كما يفعل علماء الحياة بالمكروبات على اختلافها. فهم يعرفون الآن عن الصواعق حقائق كثيرة كانوا يجهلونها من عقدٍ واحدٍ. ولكن هل يستطيعون على سعة علمهم وشدة براعتهم وجرأتهم ان يكبحوا جماح صاعقة واحدة منها

قد يبدو هذا السؤال غريباً حين ننظر الى فتوحات العلم الحديث. ولكن الغرابة تقلُّ حين تعلم ما في صاعقة واحدة من القوة الكهربائية العظيمة. فاكبر المعامل الاميركية المولّدة للكهربائية هو المعمل القائم على ضفة شلالات نياغرا الذي يولد من الكهربائية ما قوتهُ مليون حصان واربعمائة الف حصان. واذا جمعت القوة الكهربائية التي تولد في معمل نياغرا وسائر المعامل المولّدة للكهربائية في اميركا لم تبلغ مائة مليون من الاحصنة. ولكنك تجد في صاعقة واحدة من القوة الكهربائية ما يقاس بالوف الملايين من الاحصنة

فالعلماء الذين لا يميلون الى الغلو والاغراق في تقديرهم يذهبون الى ان متوسط القوة في صاعقة واحدة لا يقل عن الف مليون من الاحصنة. وهذه القوة تفوق كل القوة التي تولّد في كل المعامل الكهربائية والالآت البخارية والآت الاحتراق الداخلي في المعمورة

افرض اننا نستطيع ان نكبح جماح هذه الاحصنة المتمردة ونتسلط عليها ونجريها على الاسلاك طوع امرنا فتنير بيوتنا ومعاملنا وتدير دولاب العمل في مصانعنا وتسيّر قطاراتنا وتغذي الادوات التي تنتظمها مخاطباتنا السلكية واللاسلكية افلا يكون هذا العمل العظيم جديراً بعصر الكهربائية ؟ فينقضي عهد الفحم والماء المنحدر ونصبح وفي استطاعتنا ان نستمد قوّتنا من البوارق. ولكن علينا قبل كل شيء ان نقبض على اعنة هذه الخيل المتمردة. واذا فرضنا اننا نستطيع ذلك فهل نجني منها فائدة توازي العناء الذي نتكبدهُ والنفقات التي تنفقها

الباحثون في هذا الموضوع مختلفون. وسبب اختلافهم ان الزمن لازم في تقدير القوة كالقوة نفسها. فالمعامل لا تستطيع ان تستعمل القوة الكهربائية الا اذا كان استعمالها مستمرّاً. ان المعمل القائم عند شلالات نياغرا لتوليد الكهربائية يولد ما قوتهُ مليوناً من الاحصنة واربعمائة الف حصان توليداً مستمرّاً ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم. اما القوة المحصورة في صاعقة فلا تستمرُّ اكثر من جزء ضئيل من الثانية. فما هو مدى استمرارها ؟ ليعين العلماء ذلك يستطيعوا ان يعينوا مقدار القوة التي تستمدُّ منها

وقد كان هذا العمل الى عهد قريب متعذراً. وكان العلماء مختلفين يتراوح تقديرهم لمدى البرق او الصاعقة بين بضعة اعشار من الثانية وبضعة اجزاء من ملايين اجزائها. ولكن شركتين من

الشركات الكهربائية الاميركية وفقتا الى قياس مدى الصاعقة في صيف السنة الماضية بعدما صنع رجالها مقياساً دقيقاً ابرتهُ التي تنحرف عند انقضاض الصاعقة تيار من الكهارب منطلق في فراغ وهو سريع التأثر لزوال الاحتكاك فيقاس بهِ ما مداه عشرة اجزاء من مليون جزء من الثانية .. ومع ان قوة البرق والصواعق التي قيست في مكانين مختلفين كانت مختلفة جاءت نتيجة القياس في المكانين واحدة اذ ثبت للفريقين ان مدى الصاعقة يتراوح بين اربعين جزءًا من الف الف جزء من الثانية وخمسين جزءًا

وقد ثبت من قياس الشركة الواحدة ان قوة البرق بلغت اقصاها في نهاية الخمسة الاجزاء الاولى من لمعانهِ ثم نقصت الى نصفها في نهاية العشرين جزءاً الاولى ثم زالت تماماً في نهاية اربعين جزءًا من مليون جزءٍ المذكورة. فحسب المستر بيك مدير البحث العلمي في الشركة الكهربائية العامة ان شرارة برق طولها الف قدم تولّد قوة ٤ كيلوواط تستمرّ ساعة واحدة اي تستطيع ان تولّد ما قوتهُ اربعة احصنة وثلث حصان مدة ساعة كاملة وهذا يكفي لاستعمال محمّرة الخبز الكهربائية يوماً كاملاً

ارأيت كيف تتقلص قوة ملايين الاحصنة حين يدخل عليها عنصر الزمان! واذا اخذنا بقول علماءِ الظواهر الجوية ان مائة صاعقة تنقض كلّ ثانية في كل انحاءِ العالم ظهر لنا في البدءِ ان انقضاض الصواعق عملٌ مستمرٌّ ولكن متى علمنا ان كل صاعقة لا تستغرق اكثر من اربعين جزءًا من مليون جزءٍ من الثانية ادركنا ان انقضاض الصواعق ليس فعلاً طبيعيًّا مستمراً . والمستر پيك يقدر ان كل القوة التي تولّدها البروق والصواعق توليداً مستمرًّا لا يزيد على القوة الكهربائية التي تتولد في معامل نياغرا

على ان مهندساً كهربائيًّا آخر من شركة وستنهوس استنتج بالحساب الرياضي من المعلومات التي جمعتها شركتهُ ان في كل صاعقة متوسطة قوة كهربائية تقدر بمائتي كيلو وط — ساعة اي بما قوتهُ ٢٦٨ حصاناً مدة ساعة كاملة وهذه القوة تكفي لانارة بيت مدى شهر كامل

اما الدكتور سمبسن الانكليزي من علماءِ مكتب الظواهر الجوية فيذهب الى ان قوة الصاعقة تفوق تقديري العالمين المذكورين وعندهُ ان القوة الكهربائية في صاعقة تساوي ٣٠٠٠ كيلووط —ساعة او قوة ٤٠٢٣ حصاناً مدى ساعة واحدة . فبرق واحد كلّ ساعة يولد قوة كهربائية تكفي ما تحتاج اليهِ مدينة سكانها مائة الف نسمة من القوة الكهربائية

ليختلف العلماءُ ما شاؤوا في تقدير القوة التي تضيع هباءً حين لمعان البروق وانقضاض الصواعق وامكان حصرها واستعمالها في ادارة المعامل وانارة المدن . ولكن لابدَّ ان يجدوا سبيلاً اخرى الى الافادة من هذه القوة الطبيعية العظيمة. انهم يحلمون منذ اعوام بحلّ الجوهر

الفرد واطلاق القوة التي تربط الكهارب بالبروتون. انهم يقولون ان كاساً من الماء تحتوي على قوة جوهرية تكفي لتسيير الباخرة لوياثان من نيويورك الى انجلترا واعادتها. وبعضهم يرى ان البروق والصواعق قد تكون سبيلهم الى الفوز على الجوهر الفرد وتحليله واطلاق القوة التي فيه

فمن المعلوم ان صاعقة منقضة تحدث اضطراباً عظيماً بين الدقائق التي تعترض سبيلها. فيتأيّن الهواءُ اي ان تيار الكهارب السريعة التي تنطلق من غيمة سلبية الى غيمة ايجابية تصطدم بدقائق الهواء فتمزقها وتطلق بعض كهاربها فينجم عن ذلك اتحاد بين عناصر الهواء على وجوه مختلفة ينتج عنهُ الاوزون والاكسيد النتروس والحامض النتريك. ويذهب بعض العلماء الى ان قوة الاصطدام بين الكهارب الصاعقية ودقائق الهواء يحوّل بعض اكسجين الهواء ونتروجينه الى هليوم وهدروجين. فاذا صحَّ ذلك فان قوة الصاعقة التي تقدَّر بملايين الملايين من الاحصنة تدخل معقل الجوهر الفرد عنوة وتطلق قوتهُ المذخورة فيه

ومباحث طائفة كبيرة من العلماء الكهربائيين متجهة الى هذا الموضوع فقد اعلن علماء معهد كارنجي بوشنطن أنهم صنعوا ادوات كهربائية تمكنهم من احداث شرارة كهربائية تماثل في ضغطها الكهربائي (*Voltage*) بروق السماء. وعنيت طائفة من علماء الالمان من جامعة برلين بالذهاب الى جبال الالب السويسرية لمحاولة التقاط القوة الكربائية من الفضاء حين لمعان البرق فأمّوا مقاطعة على مقربة من لوغانو مشهورة بكثرة عواصفها ثم علقوا بين قمتي جبلين سلكاً ضخماً في وسط شبكة من السلك مساحتها مئات من الامتار المربعة ووصلوا هذه الشبكة باسلاك الى بيت معدني اقاموا هم فيه لمراقبة المقاييس الكهربائية التي نصبوها فيه. وقد استأنف هؤلاء العلماء تجاربهم في هذا الصيف ولم نقف بعد على النتائج التي اسفرت عنها

اما فعل العواصف المدمّر فحدّث عنهُ ولا حرج. فهي تقتل ٦٠٠ شخص كل سنة في الولايات المتحدة. وهي في بعض الولايات السبب الرئيسي لاكثر الحرائق التي تقع فيها. والبروق تسبب ٣٠٠٠ حريق من حرائق الغابات وغيرها من الحرائق التي تحدث في آبار البترول. على ان اكبر جانب من الخسارة يقع على المعامل من جرّاء انقضاض الصواعق على الاسلاك الكهربائية فتمنع المعامل من مواصلة اعمالها وفي بعضها كصناعة اللستك لابدّ من هذا الاستمرار لنجاح العمل. وتدل الاحصاءات التي جمعت في ١٦٥ معملاً ان عمل هذه المصانع توقف ٤٤٥٠ مرة بسبب تعطيل النظام الكهربائي الناشيء عن انقضاض الصواعق. لذلك عني المهندسون الكهربائيون بدرس البروق والصواعق وغايتهم الاولى منع الضرر الناشيء عنها لاحصرها واستعمالها على الوجه الذي اشرنا اليه. ويقول العارفون انهُ لا تنقضي سنوات قليلة حتى يصير في امكان المهندسين ان يقوا كلَّ الاسلاك والاجهزة الكهربائية من الصواعق

كيف يحافظون على ثروتهم

الزراعية ويكافحون آفاتها

تحذير موجّهٌ الى الزرّاع ووزارة الزراعة

زيارة واحدة الى بلنسية قلب المنطقة الأوروبية التي تزرع الفاكهة وموطن البرتقال والتين والعنب تكفي لاقناعنا بشدة الضرر الذي تلحقهُ الحشرات الفتاكة بالنباتات وتهدد بهِ مصادر الثروة في تلك البلاد وغيرها

الشهر شهر مارس والأثمار التي لم يكمل نضجها بعد ملقاة على الأرض كوماً كوماً . وما بقي منها على الأشجار لونهُ أخضر شاحب يدلُّ على المرض الذي نزل بهِ، وعليهِ بقع وفيهِ ثقوب تشير الى أنهُ لاحق بما تقدمهُ. والجوّ مفعم بحفيف ملايين من الأجنحة وطنين الذبّان وغيرهِ من الحشرات الطائرة

هذا هو فعل ذبابة الفاكهة التي تعرف بذبابة البحر الأبيض المتوسط . وقد كان هذا فعلها من سبعين سنة الى الآن . فقد امتدَّ ضرر هذه الحشرات الفتاكة الى بلدان أوربا وأفريقية واتصل بالهند وأوستراليا ووصل حديثاً الى الولايات المتحدة رغم الذرائع الفعّالة التي توسلت بها حكومتها لمنعها فأخذت تنتشر في بساتينها وكان من أثرها ان جملة من البنوك الزراعية أفلست لأن عملاءها من أصحاب البساتين أصيبوا من هذه الحشرات في المقتل — في مصدر ثروتهم

على أن الحكومة الأميركية يقظة للخطر المحدق بزراعتها من هذا القبيل. وقد خاض رجالها مع هذه الحشرات حرباً قد لا تقلُّ شدّة عن الحرب العامة . فهي تحاربها الآن بالغازات السامة والنار الآكلة والخنادق والمصادرة وقد جردت لذلك نخبة علمائها ولا تزال النتيجة معلقة في الميزان والمستقبل ملبّداً بغيوم الفشل

من كان يدوي أن حشرة صغيرة كذبابة الفاكهة ليست أكبر حجماً من الذباب العادي ولا هي مجهزة بأسنان قاضمة او مخالب فتاكة كبعض الحيوانات والحشرات، تلقي الذعر في روع حكومة قوية غنية كالحكومة الأميركية وشعب نشيط متيقظ كالشعب الأميركي . على أن هذه الحشرة الصغيرة شرهة كلَّ الشره في امتصاص عصير الحياة من

الأعمار وسريعة التوالد حتى يتكون من نسل ذبابة واحدة منها كتلة تفوق الأرض حجماً اذا تركت تتكاثر بضع سنوات من غير ما يفتك بنسلها

شوهدت ذبابة الفاكهة المعروفة بذبابة البحر المتوسط اولاً في جزائر موريشوس على شاطىء افريقيا الشرقي سنة ١٨١٧ وسنة ١٨٢٧ كانت قد اتصلت بجزائر الازورس وجزائر كناري وسنة ١٨٤٢ وصلت الى اسبانيا وحلّت في بساتين البرتقال فيها . ولم ينقضِ القرن التاسع عشر حتى كان قد انتشرت في كل البلدان التي تحيط بالبحر الأبيض المتوسط من جبل طارق الى فلسطين ومن تونس والجزائر الى طولون وجنوب فرنسا وايطاليا . وانتقلت مع الفاكهة التي تنقلها البواخر التي تمخر البحار فوصلت الى غرب أوستراليا سنة ١٨٩٧ والى شرقها سنة ١٨٩٨ . واكتسحت البرازيل سنة ١٩٠٧ واتصلت بجزائر هواي في وسط الاوقيانوس الباسفيكي سنة ١٩١٠ وللحال هبّت الحكومة في كاليفورنيا الى وضع الحوائل دون وصولها الى بساتين الفاكهة فيها ففازت في تحقيق غرضها

وخوفاً من ان تتصل ببساتين فلوريدا عُهد الى وزارة الزراعة الاميركية في المراقبة الشديدة لمنعها واصبح هذا العمل واجباً وطنيًّا في نظر الاميركيين . الاَّ ان هذه الذبابة كانت قد وصلت الى جزائر برميودا وهي الى الشرق من شاطئ الولايات المتحدة الشرقي في اواسط القرن الماضي ولكن حكومة هذه الجزائر لم تسع سعياً مّا لمكافحتها والمرجح ان وصولها الى فلوريدا كان عن طريق بعض المهرَّبات من جزائر برميودا .

كيف كشف عنها في اميركا

انفق ان جماعة من الاصحاب وبينهم عالم من علماء الحشرات يدعى غودون كانوا مسافرين في ٧ ابريل الماضي بولاية فلوريدا فاشتروا سلاً من الليمون الهندي فلما فتح السل استغرب الدكتور غودون ما رآه في الليمون الذي امامهُ من جفافٍ في لبهِ ووجود اقنية دقيقة متعرجة داخل قشرهِ فخطر لهُ ان ذبابة الفاكهة هي سبب ما شاهده فبعث في الحال امثلة من الليمون الذي شاهده الى وزارة الزراعة بوشنطن لفحصهِ ولما علم رئيس قسم النباتات في ولاية فلوريدا بذلك اسرع الى جمع امثلة من الذباب الذي يكثر في بساتين الليمون وارسلها بالبريد الجوي الى وشنطن فتأكد علماء وزارة الزراعة ان الذبابة هي ذبابة الفاكهة الخطرة. وللحال دُقَّ في اطراف البلاد ناقوس الخطر واتخذت الاحتياطات اللازمة لحصر المنطقة التي ظهرت فيها بوادر الوباء . ولكن مقادير كبيرة من الفاكهة كانت قد ارسلت من هذه المنطقة الى جميع اطراف البلاد بالسكة الحديدة وبسيارات النقل والسيارات الخاصة . فلما تناول العلماء الفاكهة التي لا تزال على الاشجار وجدوها كلها مصابة ووجدوا كذلك الفاكهة المطروحة

على الارض مرتعاً اتخذه الذبان لالقاء بيضهِ فيهِ فمنت الحكومة في الحال اخراج الفاكهة من هذه المنطقة . ولم تنقض ساعات على تثبت الحكومة من وجود هذه الذبابة في فلوريدا وخروجها منها مع احمال الفاكهة الى غيرها من الولايات حتى ارسلت الرسائل البرقية الى وكلاء وزارة الزراعة في كل الولايات للبحث الدقيق عنها في البساتين وحصرها. فوردت انباء تشير الى ظهورها في ولايات اوهايو ولوزيانا ونيويورك ونورث كارولينا وتنيسي . ولما كان من المتعذر حصر البلدان التي ذهبت اليها احمال الفاكهة من فلوريدا فقد تنقضي سنة قبلما تتمكن الحكومة من معرفة كل الاماكن المصابة الآن بهذه الآفة الفتاكة . وقد اجمع العلماء على امتداح اليقظة التي ابدتها الحكومة الاميركية وسرعتها في اتخاذ التدابير لمكافحة الوباء

طرق مكافحتها

انحصرت المكافحة اولاً في المنطقة الموبوءة فحفرت الخنادق وطمرت فيها الاثمار والخضراوات المصابة التي القى فيها الذباب بيضهُ وغطيت بطبقة كثيفة من الجير والماء ثم بالزيت الحامي ووضع فوق كل ذلك غطاء من التراب عمقه ثلاث اقدام . ولكن الاثمار التي كانت تسقط على الارض مصابة بهذه الآفة كانت اكثر مما تتسع له الخنادق على سرعة حفرها . وكان الهواء حافلاً بملايين من الذباب الذي اخذ يبحث عن مرتع آخر له لالقاء بيضهِ فيهِ بعدما منع عن الاثمار التي كانت تطمر في الخنادق . كان الخطر محدقاً والزمن قصيراً والعلم ليس لديه وسيلة لمعالجة الحالة معالجة شاملة . فاشارت وزارة الزراعة باستعمال مادة حلوة فيها سم فتجذب الذباب اليها حلاوتها فيأكلها فيموت . وكانت هذه الطريقة قد استعملت في جنوب اميركا ونجحت الى حد بعيد . وكانت المادة المستعملة نوعاً من الدبس تمزج بهِ مادة زرنيخية وترش على الاشجار وعلى الاثمار الملقاة على الارض

واستعمل سيانيد البوتاسيوم المسحوق لتدخن بهِ الاشجار . ثم نشرت على الارض ملاءات تغطيها فكان الذباب اذا استنشق الدخان يقع على الملاءات مغمياً عليهِ فيجمع ويحرق. وهكذا ترى ان المنطقة الموبوءة بذبابة الفاكهة اصبحت شبيهة بميدان من ميادين الحرب الكبرى — غمامات الدخان السام ترتفع في جوها وتدفع بين اشجارها ومئات السود يؤلفون فرقاً فرقاً للقيام بحفر الخنادق وجمع الفاكهة وحرقها وطوائف من كشافة العلم متفرقة هنا وهناك للبحث عن المناطق المجاورة التي اتصل بها اثر هذه الآفة . ومن وراء هؤلاء كلهم جماعة العلماء بطبائع الحشرات وكأنهم القواد في الحرب لا ينون عن ابتداع الخطط للهجوم ولا تأخذ عيونهم سنة الكرى . ومع كل ذلك خسرت بساتين فلوريدا ما قيمتهُ ثلاثة ملايين جنيه في ثلاثة اشهر فقط اما ما خسرتهُ سائر البلدان مدى قرن او بعض قرن فيفوق الحصر والتقدير

ومن المعروف لدى العلماء ان من الوسائل الفعّالة لمكافحة الآفات الحشرية اختيار حشرة تلتهم الحشرة التي يراد مكافحتها واطلاقها في البساتين التي تعيث تلك فساداً فيها . على ان في هذه الوسيلة خطراً كبيراً او تعرضاً لخطرٍ كبير . ذلك ان الحشرة التي يؤتى بها للفتك بذباب الفاكهة مثلاً قد تنقلب عاداتها الغذائية فبدلاً من ان تلتهم الذباب تتحالف معهُ على التهام الفاكهة فيستفحل امرهما وتتعذر مكافحة النوعين معاً . ثم ان الحشرة الجديدة لن تستطيع ان تهلك آخر ذبابة لأنها تنقرض قبل ذلك لقلّة الغذاء الذي تغتذي بهِ . فتعود الذبابات القليلة التي لم تنقرض الى التوليد والتكاثر

وفعل الذبابة يكونُ على اشده قبلما تبلغ الذبابة اشدها اي حين تكون دودة شرهة تلتهم كلما تقع عليهِ في طريقها. فان انثى الذبابة تخترق قشور الثمار او الخضراوات الناضجة او التي قاربت النضوج وتدسُّ تحتها بيضها. والذبابة الواحدة تستطيع ان تبيض اكثر من ٦٠٠ بيضة الى ٨٠٠ بيضة في اثناء حياتها . والجو الحار يطيل حياتها فيكثر ما تبيضهُ ويشتد بذلك خطرها على الثمار. فقد عرف ذباب عاش حتى تجاوز عمرهُ سبعة شهور

ومتى نقف البيض داخل القشرة تأخذ الدودة في امتصاص عصير الثمرة فتنقر امامها طريقاً لها وهذا منشأ الاقنية المتعرجة التي تشاهد في داخل الثمرة المصابة. ويسهل القضاء على الدودة في هذا الدور بأخذ الثمار المصابة وحرقها. وبعدما تقضي الدودة داخل الثمرة اثني عشر يوماً تشق طريقها الى الخارج وحجمها لا يزيد على حجم حبة حنطه فتقع على الارض وتمكث في التراب على عمق ثلاث بوصات احياناً الى ان تصير ذبابة طائرة. ومن اكبر الحوائل دون مكافحة هذه الحشرات مكافحة ناجحة سرعة اختفائها في التراب . فلا يكتفى حينئذٍ بجمع الثمار المصابة المطروحة على الارض وحرقها بل يجب معالجة التربة نفسها بالغاز السام او بالجير الحارق حتى يتلف كل الدود الذي فيها قبل ان يصير ذباباً . ومتى انتقلت الدودة الى دور الفراشة وصارت ذبابة تبدأ الدورة من جديد فتخترق قشر الثمر وتدسُّ بيضها تحتهُ . والثمار التي تفضلها الذبابة على غيرها هي الليمون الهندي والخوخ (الدراقن) والبرتقال والمانجو والكمثرى والكرز والتفاح والطماطم وغيرها وهي تفضل الثمرة الناضجة او القريبة النضوج على الثمار الفجة . اما الثمار التي قشرتها قاسية كالبطيخ والاناناس فليست عرضة لفتكها . ولما كانت النزعة في مصر الآن متجهة الى الاكثار من بساتين الفاكهة فواجبٌ على وزارة الزراعة والجمعية الزراعية الملكية والنقابة الزراعية ان تتدبر هذا الموضوع حتى لا يكون غرس اشجار الفاكهة وسيلة لزيادة انتشار هذا النوع من الذباب بزيادة الغذاء الذي يغتذي بهِ وقد علمنا ان وزارة الزراعة تكافح هذه الحشرة مجاناً فجدير بالزرّاع التنبه الى هذا الامر الخطير

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزواج والفحص الطبي

ننشر هذا الفصل على ذكر التعليمات التي بعثت بها مصلحة الصحة الى المأذونين الشرعيين تطلب اليهم فيها تشديد العناية بالشهادات الطبية قبل منحهم الاذن بالزواج . فهذا عمل عمراني جليل ويجب التشدد كل التشدد في تطبيقه

هذه مقالة صريحة في موضوع عمراني حيوي ولا بدَّ من مواجهة الحقائق في مثل هذه المواضيع . فكثيرون من الوالدين يرفضون أن يزوجوا بناتهم من رجال ادمنوا المسكرات مثلاً ولكن التقاليد المرعية تمنعهم أن يسألوا هل طالب الزواج مصاب بمرض خبيث معدٍ . لذلك آثرنا نقل هذه المقالة المفيدة عن مجلة الدسكفوري العلمية

ان الأحوال التي يطلب فيها من الشاب أن يفحص جسمهُ فحصاً طبيًّا دقيقاً وليحصل على شهادة طبية رسمية قليلة جدًّا أشهرها حين التأمين على حياتهِ في شركة من شركات التأمين الكبرى فيفحصهُ حينئذٍ أحد اطباءِ الشركة . كذلك تطلب الحكومة مثل هذا الفحص ممن يطلب الانضمام الى مصلحة من مصالحها . وهذا هو عمل القومسيون الطبي هنا . وفي بعض البلدان التجارية تطلب الشركات التجارية ذلك ممن يطلب الانضمام الى مكتب من مكاتبها البعيدة . وفي كل هذه الأحوال لا يحسب طلب الشهادة الطبية أو الفحص الطبي اهانة أو امراً غريباً

وعلى الضدّ من ذلك نشاهد قلة الاهتمام بزواج فتيان هذا العصر وفتياتهِ من الوجه الصحي . فشركات التأمين لا ترضى ان تتعرض للتأمين على حياة رجل نخر في عظمهِ سوس

المرض والحكومات والشركات التجارية تطلب شهادة صحية لتؤمن على مصالحها إذ تعلم ان من يتولى السهر على تلك المصالح كفوءٌ من الوجه الصحي . ولكن ما أكثر الرجال الذين تراهم مستعدين للتضحية بسعادتهم مدى الحياة لأنهم لم يهتموا بفحص صحتهم فحصاً طبيًّا دقيقاً والتأكد من أنهم صالحون للزواج

فمن الواجب أن تتخذ خطة جديدة في أمر الزواج . وكل الذين على اهبتهِ سواءٌ كانوا رجالاً أو نساءً وكل الآباء يجب أن يطالبوا بحق لهم وهو الوقوف على حالة طالب الزواج الصحية وهل هو سليم من الامراض المعدية على اختلافها . فما من شاب يجرب أن يخفي عن حميهِ حالتهُ المالية مع ان الأسئلة التي توجهُ اليهِ في هذا الموضوع تحسب مخلة باللياقة ولكن الأمور الصحية أهم بما لا يقاس من الأمور المالية

كثيرون لا يعيرون علم « اصلاح النسل » Eugenics اقلَّ عنايةٍ لأنهم يرون ان قواعدهُ التي تقضي بأن يكون المتزوجون من مستوى واحد في العقل والجسم والطبقة الاجتماعية وان عاطفة الحب الجنسي يجب ألاَّ تكون الدليل الى الزواج وغير ذلك من الامور التي لا يقبل بها العمران الآن. لكن لماذا نختلف على الأسماء والمسألة المهمة بسيطة جدًّا وهي ان علم الطب ارتقى ارتقاءً كبيراً وأصبح الطبيب البارع قادراً ان يشخص الأمراض المعدية بدقة تامة. وكثيرون من المصابين بهذه الأمراض لا يدرون انهم مصابون بها . لذلك يجب ان ينشأ رأي عام يقضي بفحصهم واذا كانوا مصابين يجب ألاَّ يتزوجوا ما زالوا كذلك

فعلى والد كل فتاة أن يعرف هل زوجها العتيد مصاب بالسلّ مثلاً أو بمرض زهري. وتلك المعرفة في مصلحة ابنتهِ وهي مما يسهل الحصول عليهِ

مكروب السل معروف شكلهُ وكل بكتريولوجي يستطيع البتَّ في هل هو في بصاق أحد أو لا . فاذا كان موجوداً فصاحب ذلك البصاق يجب ألاَّ يتزوج لأنهُ اذا تزوج أعدى امرأتهُ وأولادهُ ايضاً . والحوادث التي تؤيد هذا القول كثيرة

كذلك امتحان الدم يظهر بصورة لا تقبل الشك هل صاحب الدم مصاب بمرض زهري . ولا شك ان القارىء يستطيع ان يعدّد الامثلة التي هدمت فيها سعادة عائلة اتصل مكروب احد هذه الأمراض الخبيثة الى افرادها لأن الوالد لم يهتم بفحص جسمهِ قبل اقدامهِ على الزواج

فالواجب يقضي إذاً على كل رجل شريف ان يكون على بينة من حالتهِ الصحية قبل ان يقدم على الزواج . ولكن كثيرين من الرجال يصابون بمرض خبيث معدٍ ولا

يدثرون . لذلك يقع الواجب على والد الفتاة بأن ينبه صهره العتيد الى ذلك الأمر وان لا يكتفي بعد ذلك الاَّ بشهادة طبية رسمية . وذلك لا يعني انهُ في حالة الاصابة يمنع عقد الزواج بين شاب وفتاة قد تحابّا بل يؤجل الزواج ما زال احدهما مصاباً وعلى المصاب ان يتعالج حتى ينال الشفاء التام وهذا ليس بالأمر المستحيل على الطب في هذا العصر

وهنالك مسألة الأمراض العقلية الموروثة وهي معقدة لا يسهل البتُّ فيها كالسلّ وغيره . فقد تعلم فتاة ان خطيبها من والدين ماتا في بيمارستان المجانين وترفض الانفصال عنهُ وقد تكون في ذلك على حق ولكن خير لها ان تعرف ذلك قبل ان تعلن عزمها النهائي فان كون والديهِ مجنونين لا يستلزم انتقال الجنون اليهِ وهذا تشارلس لام احد كبار الكتّاب عند الانكليز كان ابن معتوهين وأخاً لمعتوهٍ

كذلك قد يظهر الفحص الطبي ضعفاً في القلب وقد يصاب صاحب القلب الضعيف بما يقعدهُ عن العمل كل حياتهِ . فيقول قائل ان زواجاً أُبطل لهذا السبب يكون ابطالهُ مدعاة للخجل فنقول ان الاهتمام بمثل هذه المسألة يوازي الاهتمام بمسألة ثروة الخطيب على الأقل

لم نذكر حتى الآن فوائد فحص المرأة فحصاً طبيًّا قبل زواجها لأن الرجل في الأسرة عليهِ المعوَّل في اعالتها ولذلك يجب ان نعير صحتهُ التفاتاً كبيراً

لكنّ على المرأة ان تعرف بعض الحقائق عن حالتها الصحية لئلا يكون زواجها مجلبة للتعس والألم والشقاء . فبعض النساء تعسر عليهنَّ الولادة لسبب في تكوين اعضاء الولادة . وهناك بعض الأمراض الوراثية التي لا تنتقل الاَّ بالنساء اشهرها النزف الدموي ولكنهُ نادر جدًّا لا يهمنا بحثهُ هنا

فالحاجة اذاً جلية غاية الجلاء وقد يأتي يوم يصبح الزواج المنعقد بين اثنين احدهما مصاب بمرض معدٍ جريمةً يعاقب عليها . والوالد الذي يهمل البحث عن صحة صهرهِ العتيد باخلاص مسؤول لدى ابنتهِ التي يحق لها ان تعتمد عليهِ في ذلك

..

العناية بالاطفال

صحة الطفل اساس المدنية

كريم — سمعتك تقول مرةً ان اساس المدنية قائم او يجب ان يكون قائماً على صحة الطفل وان ما تبذله الحكومات والجماعات والعلماء من مجهود في سبيل تحسينها وازدياد نضارتها انما هو في الواقع تحسين في مظاهر المدنية وتثبيت لدعائمها واني اقرُّك على هذا الرأي واعتقد بصوابهِ ولكني أُنكر بشدة مذهب القضاء والقدر الذي لا يزال مع الاسف

عقيدةً اصيلة في نفوس معظم الامهات ممّا يبرهن على أن هذا المجهود من الحكومات والجماعات والاطباء العلماء ضئيل يحتاج الى التوسع فيه ومضاعفة الأيدي العاملة على إذاعة مراميه من غير هوادة أو تردد

الدكتور — اما عقيدة القضاء والقدر فالافضل ألاّ نذكرها في حديثنا لا بقليل ولا بكثير لقلقلة اصولها بنشر المعارف وتعليم الوالدات كيف يربّين اولادهنّ تربيةً صحيحة الاساس سليمة من شوائب العادات السخيفة والعقائد الواهية

كريم — حسناً واذا خرجنا بممدوح الى النزهة فما هي الاحتياطات التي يجب اتخاذها ؟

الدكتور — ان لا تعرّضهُ للهواء العاصف وان تكون قدماه مغطيتين وان لا يقع على عينيه نور الشمس في حالتَيْ اليقظة والنوم

كريم — ما هي الفوائد التي يجنيها ممدوح من النزهة ؟

الدكتور — انت تعلم ان الهواء النقي لا يوجد الاّ في الخلاء وهو ضروري لصحة الجسم وتنقية الدم وتنشيط دورتهِ وحاجة الجسم اليهِ مثل حاجتهِ الى الغذاء سواء بسواء

كريم — ما هي النتيجة التي تظهر على الاطفال اذا تعرضوا للهواء الطلق ؟

الدكتور — تتحسّن قابليتهم للاكل وينتظم عمل الهضم وتتورد خدودهم

كريم — هل ثمة فائدة ما في ان يُعرَّض الطفل للهواء كما تقدم ذكره محمولاً على ذراعَيْ المربّية وهو لا يزال دون الستة الاشهر من العمر ؟

الدكتور — كلاّ يفضّل كثيراً ان تتمّ له هذه النزهة وهو مسطح في عربية اليد متدثر غير معرَّضٍ للبرد وعصف الهواء

كريم — اهناك ما يمنع ان ينام الطفل وهو في النزهة ؟

الدكتور — كلاّ فان الطفل وهو نائم ليس باكثر تعرُّضٍ للبرد منه وهو مستيقظ وترى الاطفال الذين ينامون في أثناء هذه التنزه اسلم بنيةٍ واقل استعداداً للزكام وغير الزكام من الذين لا يخرجون الى النزهة ولا يتسنّى لهم النوم في الخلاء

كريم — ماذا يصنع للاطفال الذين يصابون بالزكام بسهولةٍ اوكيف نقيهم من هذا الداء ؟

الدكتور — يجب ان يتربّوا على نظام صحي وان لا يلبسوا الثياب الثقيلة وان يناموا في غرف حرارتها معتدلة كما تقدّم ذكره

وزن الطفل

ثم التفت الى السيدة وطلب منها ان تقف على الميزان وحدها ثم هي وطفلها وبعد ان قيّد ثقل جسم الطفل وكتب له الدواء وزوّد والدته بالتعليمات قال لكريم : لا شك ان

الازدياد الى ان يبلغ الطفل ستة اشهر من العمر وثمَّ يقل ازدياد وزنه الى ٦٠ـ١٢٠ غراماً كل اسبوع حتى آخر العام الاول

كريم — هل ازدياد وزن الطفل الذي يتغذَّى من اللبن الاصطناعي معادل لازدياد وزن الطفل الذي ينشأُ على رضاع الثدي ؟

الدكتور — قلما يكون ذلك في الشهر الاول واما بعده فقد يصبح ازدياد وزن الاول مطرداً واذا حصلت له العناية التامة ازداد نموه عند انتهاء العام الاول عن نموه الثاني الذي ينقص وزنه بسبب الفطام في ذلك الوقت

كريم — لماذا لا يزداد وزن الطفل في الاسبوع الاول بعد ولادته ؟

الدكتور — لان معدته بحاجة الى وقت ما قبل ان تألف لبن البقر وتسيغ هضمه ولا يلزمها في البدء الاَّ القليل منه فقط كي لا يسوء هضمها ويختل نظام سيرها

وفيما يلي جدول يبين معدل نمو الاطفال عند الولادة الى السنة الخامسة :—

عند الولادة يتراوح الوزن من ٧ الى ٩ ليبرا . والطول من ٢٠ الى ٢١ بوصة ودائرة الصدر من ١٣ الى ١٣½ بوصة ودائرة الرأس من ١٣½ الى ١٤ بوصة

وفي السنة الاولى يتراوح الوزن من ٢٠ الى ٢٣ ليبرا والطول من ٢٨½ الى ٣١ بوصة ودائرة الصدر من ١٨ الى ١٩½ بوصة ودائرة الرأس من ١٨¼ الى ١٩ بوصة

وفي السنة الثانية يتراوح الوزن من ٢٥ الى ٢٩¾ ليبرا والطول من ٣٢½ الى ٣٦ بوصة ودائرة الصدر من ١٩ الى ٢٠ بوصه ودائرة الرأس من ١٩ الى ١٩½

وفي السنة الثالثة يتراوح الوزن من ٣٠ الى ٣٥ ليبرا والطول من ٣٦ الى ٣٩½ بوصة ودائرة الصدر من ١٩½ الى ٢١½ بوصة ودائرة الرأس من ١٩½ الى ٢٠ بوصة

وفي السنة الرابعة يتراوح الوزن من ٣٤ الى ٣٩½ ليبرا والطول من ٣٩ الى ٤٢½ بوصة ودائرة الصدر من ٢٠ الى ٢٢ بوصة ودائرة الرأس ١٩¾ الى ٢٠¼ بوصة

وفي السنة الخامسة يتراوح الوزن من ٣٨ الى ٤٤ ليبرا والطول من ٤١½ الى ٤٥ بوصة ودائرة الصدر من ٢٠½ الى ٢٢½ بوصة ودائرة الرأس من ٢٠ الى ٢٠½ بوصة .

وقد ظهر ان معدل وزن الاناث يقل عن معدل وزن الذكور بنصف ليبرا واما طولهنَّ فيقل عن طولهم بمقدار يتراوح حسب الاعمار بين ¼ و ½ بوصة .

كريم — اذا كان وزن الطفل عند الولادة ٧½ ليبرا فماذا يجب ان يكون في خلال العام الاول ؟

الدكتور — يجب ان يكون من ١٢ — ١٣ ليبرا عند بلوغه الستة اشهر ومن ١٨ — ١٩ ليبرا عند بلوغه التسعة اشهر . وبوجه الاجمال يمكننا ان نقول ان وزن الطفل الصحيح

هذه خير الطرق للتثبت من صحة الطفل وحقيقة سيرها

كريم — وهل لوزن الطفل شأن يعدو عن معرفة كم رطل او كيلو يزن جسمه ؟

الدكتور — لا ريب ان وزن الطفل له شأن لا يقف عند هذا الحد بل يتعدّاه فيستدل منهُ على صحة الطفل ونموّه ويحسن بكل والدة ان تعنى بوزن طفلها في سنتهِ الاولى وان تحفظ سجلاً خاصًّا تدوّن بهِ وزنهُ ومن مراجعتها هذه السجل وما دون فيها من ارقام تقف على حالة ولدها الصحية وعلى مقدار تدرّجه مدارج النمو

كريم — كم مرة يجب ان يوزن الطفل ؟

الدكتور — مرّةً كل اسبوع في خلال الستة اشهر الاولى ومرة كل اسبوعين في الستة اشهر الثانية ومرة كل شهر بعد ان يتجاوز العام الاول

كريم — ما هو معدل ازدياد وزن الطفل في سنته الاولى ؟

الدكتور — ينقص وزنه غالباً في الاسبوع الاول ويتراوح هذا النقص بين ١٢٠ و٢٤٠ غراماً واما بعد ذلك فيزداد زيادةً تتراوح بين ١٢٠ و ٢٤٠ غراماً ايضاً ويدوم هذا الجسم السليم البنية يصبح في الخمسة أشهر الاولى ضعفَي ماكان عليه عند الولادة وثلاثة اضعافه عند انتهاء العام الاول .

كريم — هل يزداد وزن الاطفال الاصحاء ازدياداً منتظماً في السنة الاولى ؟

الدكتور — يكون ازدياد وزنهم منتظماً في الغالب إلاَّ في بضعة أسابيع بين الشهر السابع والعاشر حينما يبطل بالمرة ويكون ذلك عند بدء ظهور الاسنان او في الايام الشديدة القيظ .

كريم — هل يدل الازدياد السريع في الوزن على صحة جيدة ونموٍّ منتظم ؟

الدكتور — كلا فقد يزداد وزن الاطفال الذين يتغذَّون اللبن الصناعي مثلاً دون ان يزدادوا قوة وعافية وذلك لاسباب أذكرها فيما بعد

كريم — هل يدل وزن الطفل في السنة الثانية على حالته الصحية كما يدل عليها في السنة الاولى؟

الدكتور — لا يكون ازدياد وزنه منتظماً بعد السنة الاولى وعدم انتظامه راجع الى اسباب معلومة تتعلق بفصول السنة والى اسباب لا تزال مجهولة

كريم — متى يجب ان يكون اليافوخ متلاصقاً ؟

الدكتور : يحدث ذلك غالباً في الشهر الثامن عشر ونادراً قبل الشهر الثالث عشر او الرابع عشر واما في الاطفال الاصحاء فقبل بلوغهم العام الثاني

الدكتور شخاشيري

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . والمقالات الوافية مع الايجاز تستجار على المطولة

تحية دمشق

وصلتنا هذه القصيدة العامرة مع خطبة تاريخية نفيسة موضوعها « الرازي » بعد ما طبعت اكثر ملازم المقتطف فرأينا ان نثبت القصيدة هنا مرجئين نشر الخطبة الى الجزء الثاني

أأليك ام لله كان مآبي ... دار العلوم وكعبة الآداب
أأليك ام لله كان مآبي ... امَّ المشارق منزل الاحباب
بك زُجَّ بولس في السجون لعهد — ... حارثك الكبير وفرَّ بعد عذاب
واليكِ ساق ابو عبيدة فيالقاً ... للفتح فيه خلّص الاعرابِ
فلآل عيسى فيك ذكرى ذكرها ... حيٌّ مداه نهاية الاحقابِ
ولآل احمد انت غرة فتحهم ... من عهد نجمة قطبه الخطّاب
الامتان فداك ان نفذ القضا ... بمكاره كلحِ الوجوه صعابِ
اخلاص كلٍّ منهما لك كافل ... وجد الكنيسة فيك والمحراب

***

لله غوطتك الفريدة انها ... شتى الجمالِ وقصد كل طلابِ
وشيِ الزمرّد في اعالي نبتها ... يمتدُّ فوق اباطح وهضاب
وتثيرُ ياقوت الثمار اصوله ... تسقي بفيضِ لجينها الذوّابِ
بردى ومن يذكر عصابة جلق ... يذكر بني صيابة انجاب
بردى يصفق منذ حسّان ومن ... ينزل به ينزل على الترحاب

بردى امية انشأت في ارضه للعرب عرشاً مسبطرَّ جناب
والفخر والامجاد في شرفاته والدهر بعض عبيده بالباب
غنى ابن عائشة وانشدَ معبد فيه بذكر بثينة ورباب
دالوا. ليذكر كل ذي لبث بان المجدَ ليس بقينةٍ ورباب

***

ما غيبوا في الشرق حتى اطلعوا في الغربِ ما لا يبتلى بغياب
عصر المعارف والفنون ولامع — الآثار والتأليف والآدابِ
لله آثار هناك مجيدة بل اي انقاضٍ واي خرابِ
لتكاد تستمع ابن رشدٍ مفتياً فيها امام جماعة الطلابِ
وتكاد تستمع ابن زهرٍ شافياً يحدو اليه العيس كلُّ مصابِ
وترى ابا العباس في مسباره عين البصير واصبع المرتابِ
وتكاد تسمع في زواياها صدى انشاد واحد عصره زريابِ
زرياب فاتن ارضها وسمائها شيخ الصناعة سيّد الاطرابِ
وتكاد تستمع ابن بيطار دفـ ـين دمشقٍ يروي قصة الاعشابِ

***

ارنا امية معرض بكليهما يدعو الى الاكبار والاعجابِ
قد اثبتا صدق الوداد وجددا بين البنين وشائج الانسابِ
سمعاً امية اندلوس وشاهدوا في الشرق ما يقضي بكل عجابِ
عادت نضارة ملككم بمعارفٍ قد جددت للعلم اي شهابِ
بعثت نضارة ملككم بصناعةٍ قد جددت للعصر ايَّ اهابِ
في عرضِ معرضها نفائس جمّةٍ اخاذة بمجامع الالبابِ
يهتزُّ فوق حريرها متلمعاً موج وما هو فيه غير سرابِ
ان المعارف ركن كل تمدنٍ والسدُّ فيه دون كل تبابِ
ان الصناعة ركن كل تمدُّنٍ والسدُّ فيه دون كل يبابِ
ان تختلف احزابكم في مأزقٍ فعلى الصناعة كتلة الاحزابِ
او تفترق نوابكم في مشكلٍ فعلى المعارف وحدة النوابِ

***

أ أكابر الاعيان فتية جلّقٍ وافاضل الادباء والكتابِ

اوليتموني من جميل صنيعكم ما ليس يحصي حاسب بحسابِ
آثار جدّكم سناها ساطع ما بين باب بريدكم والجابي

***

لا زلت جلق نبت كل كريمةٍ للشام ركناً ثابت الاسباب
وكفاك فخراً اذ نزيلك يوسف وثراك فيه مدفن الفارابي

الدكتور

لوريا كلية الطب بباريس يوسف فرج حريز

من المصيب

للاستـاذ بندلي جوزي

لا يسعني الا ان أشكر للكاتب عبد اللطيف الطيباوي صاحب الردّ على بعض افكار ابديتها في مقالتي الاولى عن الخراج والجزية في الاسلام حسن ادبه ولطف عبارته ووقوفه في ردّه عند النقد العلمي وامساكه « عن القراءة في القلوب » وسوء الظن الى غير ذلك مما لا علاقة له بالنقد العلمي الصحيح. واني اوكد لحضرته باني لا اقصد من كل ما اكتبه الا الحقيقة على قدر ما تنكشف لي وتساعدني معارفي وحالة العلم على ادراكها . واني اكره الجدل الباطل ولا اتعامى عن الحقيقة ان بدت لي في ابحاث غيري وليس لدي من الوقت ما اصرفه في سبيلهِ وهذا سبب امساكي عن الرد على اكثر ما نشرته مجلاتنا من النقد او التقريظ السطحي لكتابي « من تاريخ الحركات الاشتراكية في الاسلام » وهذا ايضاً ما يدفعني الآن الى الرد على بعض اعتراضات الكاتب المذكور

ليسمح لي الكاتب الفاضل قبل ان انظر في اعتراضه الجوهري الوحيد ان ألفت نظره الى بعض نقط ثانوية خارجة عن الموضوع الخلافي بيننا وبعيدة عن الحقيقة . من ذلك انهُ ينسب الي التطرّف في التفسير للتاريخ الاقتصادي وهذا غير صحيح والاّ لحصرت كل اسباب سقوط الدولة العربية في سوء سياستها الاقتصادية. وانما قلت ان هذه السياسة كانت «من اعظم اسباب سقوطها » وفي ذلك تنبيه الى ان لهذا السقوط عوامل اخرى لم تكن بي حاجة الى ذكرها . وهنا يجدر بي ان اقول لحضرة المنتقد ان التفسير الاقتصادي للتاريخ هو اليوم التفسير الشائع في كل العالم المتمدن وبين العلماء على الاخص

ومنها قوله بعد ان اورد عبارتي عن فحوى القرآن « بان الشطر الاول ليس بالجديد

عند الواقفين على آراء المستشرقين » وهو ايضاً غير صحيح لان اكثر المستشرقين على خلاف ذلك أي انهم ينظرون الى القرآن نظرهم الى كتاب احكام وسنن مفصّلة ـ وانا اعدّه ـ الا بضع سور منه ـ كتاب مبادىء واصول عامة وفي ذلك من الدفاع عن روح القرآن ومقامه ما لو فكر فيه حضرة المنتقد لما قال ان في عبارتي « من الغلوّ والبعد عن البحث العلمي المدعوم بالبراهين ما يجعلها غير جديرة بالمناقشة »

***

ومنها سؤاله كيف جوّزت لنفسي ان اقول ان «النبي العربي لم يفكر قط في بناء مملكة ضخمة» الخ وان اجزم جزماً باتّاً في معضلة خطيرة مثل هذه دون بحث او مناقشة » وجوابي على ذلك اني لم اذكر هذا الموضوع الا عرضاً في مقدمة مقالتي لانه بعيد جدًّا عن مضمون المقالة كما لا يخفى على القارئ ولم يكن بي حاجة الى الخوض فيه وايراد آراء العلماء لان في ذلك خروجاً عن موضوع بحثي ولا لي الآن رغبة في ذلك لاني اخشى ان لا نتفاهم مع صاحب الردّ فانا احاول ان ابني الحوادث التاريخية على نواميس طبيعية يقبلها العقل وحضرته يميل الى الما وراء الطبيعي كما يؤخذ من بعض عباراته . وليسمح لي ان احيله اذا احب التوسّع في هذا الموضوع والوقوف على آراء اشهر المستشرقين فيه الى مؤلفات الامير كايتاني *Annali de Islam 725* والاساتذة *Grimm* « محمد »(جزء اول) و*Wellhausen* « الدولة العربية وسقوطها » و*Goldziher* « ابحاث اسلامية » (ج اول ص ٧٣ —) و*Lammens* « معاوية » (ص ٤٣٤ —) وغيرهم. وليعذرني ان اقصر كلامي على بعض ملاحظات تتعلق باسلوب البحث اكثر منها بموضوعه

قال صاحب الردّ « ولعله (الضمير يرجع اليّ) تابع في ذلك السير *W. Muir* والبرنس *Caetanre* — وهنا ذكر اراء الكاتبين المذكورين (لكنه لم يذكر اسما كتبهما ولا صفحاتها) وختم عبارته بقوله « فاذا كان الاستاذ قد جاراهما في هذا الزعم او انه توصل الى النتيجة ذاتها بنفسه فمن الواجب العلمي ان يذكر ازاء هذا الرأي عدة آراء تناقضه فنذكر على سبيل المثال منها آراء الدكتور غولدزير والسير ارنولد » فاقول لحضرته اني اعتدت اذا اقتبست رأياً او عبارة ان اذكر مصدرها بالتدقيق كما يرى القارئ في جميع كتبي ومقالاتي العلمية وانه ليسرني جدًّا ان فكري الذي يعترض عليه حضرة عبداللطيف الطيباوي جاء موافقاً لآراء الكتبة المذكورين آنفاً وبينهم غولدزير ايضاً الذي لا اعلم لماذا استثناه حضرة المنتقد من جملة علماء الفرقة الاولى الذين ينكرون على النبي العربي رغبته او تفكيره في بناء مملكة واسعة الاطراف تشمل العالم القديم المعروف فقد ذكر العالم الاخير في كتابه *Muhammed*

Studien (ج ١ ص ٧٣ ٧٤) وكتاب آخر « قراآت في الاسلام » ص ٣٤ من الترجمة الروسية الباب الثاني ان الفكر الذي يدافع السيد الطيباوي اختلقه الاعاجم او على الاقل بالغوا فيه وساعدوا على نشره بين الناس ليساووا بينهم وبين العرب وقد تناولته الشعوبية ايضاً واعتمد عليه في مقاومتها للعصبية العربية وسيادة العرب المطلقة. امّا T. W. Arnold فانني لم اقرأ له شيئاً ولا ارشدني صاحب الرد الى كتاب له معلوم لاطالعه ولا هو ذكر صفحات الكتاب . . .

***

وبعد هذا التمهيد وبعد ان حذّرني من سوء عاقبة التناسي ونبّه الى ان باب البحث « مفتوح على مصراعيهِ لمن يود ان يدرس بانصاف وتجرد عن كل غرض » اخذ يبني اعتراضه الجوهري الوحيد على فكري المذكور ويؤيده بالبراهين التاريخية وغيرها فقال : « وفي معتقدنا ان القرآن اصدق نص تاريخي يمكن الاعتماد عليهِ كل الاعتماد عند البحث في حياة الرسول » وهذا الاعتقاد هو اعتقادي ايضاً واعتقاد اكثر مشاهير المستشرقين في الوقت الحاضر . ولو وقف حضرة المنتقد عند القرآن وحده ولم يَعدُهُ الى الحديث الذي لم يعد احد اليوم يعتمد عليهِ — بعد ابحاث غولدزيهر ولامنس — عند البحث في حياة الرسول لكانت حجته اقوى لأن الحديث يناقض بعضه بعضاً وأكثرهُ كما هو معلوم موضوع لغايات جدلية او مذهبية ناهيك عن ان اكثر الأحاديث التي ذكرها حضرة صاحب الرّد هي من المرسل وأسانيدها ضعيفة او مشكوك فيها كأكثر الأحاديث التي تعزى الى الموالي وأبي هريرة وابن العباس

فاذا اهملنا هذا المصدر المشكوك فيهِ بقي لدينا القرآن والشواهد التاريخية والأول اهم في بيان افكار النبي والدلالة على ما كان يرمي اليهِ من الأغراض السياسية وغيرها. ومن يطالع الكتاب العزيز « بانصاف وتجرد عن كل غرض » ويمعن النظر في الآيات التي ذكرها صاحب الرد ويقابلها على غيرها ثم يراجع بعض التفاسير القديمة لا يسعهُ الاّ ان يؤمّن على ما قلته في مقدمة مقالتي عرضاً من ان النبي لم يفكر قط في بناء مملكة واسعة كمملكة اسكندر والرومان الخ وان ابعد ما كان يرمي اليهِ ان تنتشر دعوته بين الأمة العربية وان تتوحّد هذه الأمة سياسيًّا ودينيًّا واداريًّا ولا يقدح في ذلك ما جاء في بعض الآيات من العبارات المعمّمة في الظاهر للدعوة كقولهِ « وما ارسلناك الاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لا يعلمون » او قوله « وما ارسلناك الاّ رحمة للعالمين » لأن المراد هنا « بالعالمين » « وبالناس كافة » العرب فقط كما يظهر من

مقابلة هذه الآيات على غيرها من الآيات التي يبين فيها النبي نظره الأساسي الى دعوته وهو انهُ بُعث للعرب خاصةً وان كتابه عربي مبين وان الله بعث ويبعث الى كل امة رسلا وانبياء من بينها حتى لا تكون لها حجة يوم القيامة الى غير ذلك مما بسطناهُ في مقالة خصوصية في هذا الموضوع نشرناها سنة ١٩٠٧ باللغة الروسية

ولكن هب ان نظرية النبي هذه قد تطورت مع الزمن وتحت تأثير ما احرزه من النجاح وهو ما لا ينكرهُ اليوم احد وانهُ صار قبل وفاته يدعو « الناس كافة » الى الدخول في الاسلام افينتج يا ترى من هذا انهُ كان ينوي ايضاً ان يشيد مملكة ضخمة تضم بين اضلاعها العالم القديم كله و«ان نشر الدين . . كان يتلوه عادة ملك سياسي لا صلة مباشرة له بالدين » كما يحاول ان يقنعنا صاحب الرد؟ نعم قد يكون ذلك لو سلمنا ان الاسلام لم يكن لينتشر الاَّ بالجهاد وان دعوة النبي كانت قائمة عليهِ فقط وهو ما لا يقول بهِ اليوم احد من كتبة المسلمين حتى ولا صاحب الرد الذي أحس بغلطهِ فزاد على الجهاد « الموعظة الحسنة وغيرها من ضروب الدعوة » ثم فسر كلمة جهاد بمعناها الاصلي لا معناها الاصطلاحي الفقهي كما يستفاد من عبارتهِ « ان النبي كان يرى من الواجب عليهِ كرسول امين لله ان يجاهد في سبيله لنشر الدين بين جميع الناس »

***

ان هذه الاعتبارات وان كثيراً غيرها مما لا يتسع المقام لذكرها تجعل آيات القرآن المذكورة غير حاسمة في موضوع الخلاف وكأني بصاحب الرد قد انتبه لذلك فعمد الى التاريخ آملاً ان يجد فيهِ ما يؤيد نظريته الا انهُ لم يوفق — كما يظهر لي — الى ذلك لان ما استشهد بهِ من الحوادث والاخبار التاريخية لا يفي بالغرض كما يرى لما يلي .

قال حضرتهُ « واما التاريخ فيثبت ما جاء بالقرآن والحديث فالاصول العربية تجمع على ان النبي انفذ جيشاً تحت قيادة زيد بن حارثة الى مؤتة وهي تجمع كذلك على ان النبي قاد بنفسهِ جيشاً الى تبوك والظاهر ان الرسول كان يمهد السبيل لفتح عام لولا ان قبضهُ الله الى جواره » نعم ان هذه الاخبار صحيحة ونحن اول من آمن بها وصدَّق الاَّ اننا لا نستطيع ان نستنتج منها ما استنتجهُ صاحب الرد لاننا نعلم علم اليقين انهُ لم تكن بين الغزوات المذكورة وبين الفتوحات العظيمة التي قام بها خلفاء النبي بعد وفاتهِ صلة مباشرة لان الغرض منها كما يقول كايتاني كان امَّا النهب (غزوة مؤتة سنة ٨ هـ) واما الدفاع (غزوة تبوك سنة ٩ هـ واما الاثأر (غزوة اسامة سنة ١١ هـ) لا نشر الدين ولا «لتمهيد السبيل لفتح عام»

« كما يظهر » لصاحب الرد والا لو كان الغرض منها نشر الدين فقط او تمهيد السبيل لفتح عام لذكره المؤرخون واصحاب السير

***

واضعف من ذلك في الدلالة على صحة نظرية صاحب الرد برهانهُ التاريخي الثاني وهو قوله «ان النبي ارسل الى كسرى وقيصر والمقوقس والحارث امير غسَّان — ملوك العالم المعهود حينئذٍ وحكامهُ — يدعوهم فيها الى الاسلام » اذ المحقق اليوم عند مشاهير المستشرقين الذين طرقوا هذا الموضوع ان هذه الارساليات من وضع كتبة الدور الاول لخلافة بني العباس بدليل ما فيها من التناقض والاغلاط التاريخية والسياسية والعلمنفسية والمنطقية وغيرها مما يجده القارئ المستزيد في كتاب الامير كايتاني (ص ٧٢٥—٧٣٧ (والاستاذ *Grimm* المذكور سابقاً يؤيد ذلك ان ابن اسحاق صاحب اول واصدق سيرة للنبي لم يذكر هذه الارساليات كما يستفاد من كلام ابن هشام الذي غير وحذف ما شاءت اهواؤه من تأليف سلفهِ فانهُ لما ذكر الارساليات لم يستشهد بابن اسحاق كعادتهِ بل ساق الكلام عن نفسهِ وفوق ذلك فان الارساليات ـ ان سلّمنا جدلاً ان النبي ارسلها عام ٦ للهجرة وهو في الحديبية اي قبل ان يوحد الامة العربية وينشر دعوته ولو في القسم الشمالي من الجزيرة وبعد ما لقيه من ابي سفيان والملأ المكي من الكيد والمقاومة وما اصابه وقتئذٍ من الفشل الذي اضطر معهُ ان يعود الى المدينة ولم يقض واصحابه شعائر الحج ـ لا تدل الاّ على شيء واحد وهو ان النبي اخذ من ذلك الوقت يفكر في نشر دينه بين الامم المجاورة لبلاده بالاقناع والموعظة الحسنة لا في جمع هذه الامم تحت لوائه الابيض وتشييد امبراطورية ضخمة كما يريد صاحب الرد . على اني ارجح مع المستشرق *Grimm* ان فكرة انشاء دين جديد عالمي « للانس والجن » لا تظهر الا في العصر الاول للهجرة اي بعد الفتوحات الكبيرة التي فتحها بنو امية . فان صح هذا الرأي او بالاحرى هذا الافتراض كان ظهور الدعوة الدينية تابعاً لظهور الامبراطورية العربية لا سابقاً لها او بعبارة اخرى ان الفتوحات الواسعة التي قام بها العرب في العصر الاول للاسلام هي التي اوحت هذه الفكرة لا ان الحروب . . . التي هب الخلفاء الى اثارتها على الامبراطوريتين القديمتين كانت من مظاهر هذه الدعوة » كما يرى صاحب الرد على اننا لا نبت الآن في هذه المسألة تاركين البحث فيها الى فرصة اخرى اذا حملنا على ذلك

باكو الاستاذ پ . جوزى

باب الزراعة والاقتصاد

بحث في التبغ وضرائبه

للامير مصطفى الشهابي
مدير الاملاك بدمشق

﴿زراعته في الشام﴾ ليس موضوعات هذه المحاضرة البحث في الارض الصالحة للتبغ وكيفية بذر بزوره في المنبت ونقل النبتات (الشتل) الى مستقرها وتهيئة التربة بالحرث والتسميد والبعد الذي يجب ان يترك بين النبات وكيف تزاد في النكوتين اوتنقص اي يجعل التبغ ثقيلاً او خفيفاً وكيف يزداد الاحتراق في السيكارة او ينقص ثم كيف يجنى المحصول ومتى وكيف يجفف ويعالج حتى يختمر فأن هذه الأبحاث المهمة توجد في كتب الزراعة وقد ذكرتها بايجاز في « كتاب الزراعة العلمية الحديثة » والذي يهمنا الآن هو معرفة اقاليم الشام التي يزرع التبغ فيها وهل تجود في تلك الأقاليم الأصناف التي عرفت بلذة دخانها كالأصناف التركية واشباهها ام لا . فاقاليم الشام من حيث زراعة التبغ على قسمين قسم يمكن زرعه فيه بلا اسقاء وآخر لا ينمو التبغ فيه مالم يسق

فالقسم الأول يقتصر على سواحل الشام والأقاليم القريبة من الساحل كجبال النصيرية ولبنان وفلسطين وجبل عجلون ذلك أن الامطار فيها غزيرة قلما ينقص ارتفاعها في السنة على ٥٠٠ مليمتر وقد يزيد الى ٨٠٠ في بعض السنين عدا ان الهواء يكون رطباً لقرب البحر كما تكون الأنداء كثيرة ولهذا يكون بالامكان زرع التبغ في البعل من الأرض حيث يجد ذلك النبات الماء الكافي لنموه . اما القسم الثاني فهو عبارة عن سائر انحاء الشام ومنها السهول الداخلية وهي اهم اقاليم الشام واعظمها شأنا فهنالك لا يوجد التبغ بلا اسقاء لقلة الأمطار وجفاف الهواء . واجود التبغ في بلاد الشام هو الذي يحصل في جبال النصيرية كالكليمي والناصوري والمهلوبي ويليه الدوراني في البابر والبوجاق وكرد طاغ والساحلي في اللاذقية واطرافها واللبناني والعربي في لبنان وفلسطين والأسود وابو ريحه في اللاذقية وفي كفر سوسة من قرى دمشق .ويقدر معدل محصول اللاذقية وجبال النصيرية بمليون كيلوغرام من ورق التبغ الجاف وكذا معدل المحصول في لبنان . والذين اعتادوا تدخين التبغ التركي

كتبغ البلقان والبافرة والسمصوني وينيجه واشباهها لاسيما اذاكان صافياً لم يغش بأضافة اصناف رديئة اليهِ يدركون على الفور الفرق الكبير بينهُ وبين اصناف التبغ الشامية. ذلك ان التبغ التركي يكون خفيفاً وذا لون اصفر ورائحة خصوصية دقيقة لاترى في معظم التبغ الذي يزرع في انحاء العالم . ولطالما تساءلنا مع كثير ممن يهتمون بهذه الأمور الاقتصادية عن الاسباب التي تمنع حصول تبغ جيد في بلاد الشام يضاهي التبغ التركي بجودته ولماذا لاينتج في بلادنا من بزور الأصناف البلقانية تبغ يساوي تبغ تلك البلاد في مقدار النيكوتين واللون والاحتراق والرائحة الزكية خاصةً . ويجب ان نعترف بأن العلم لم يكشف بعدُ عن حقائق هذه الأسباب وكل مايمكننا ان نقوله هو ان لبلاد البلقان وشمالي الروم جملة مزايا من حيث حرارةُ الجو وهطولُ الأمطار والرياح والرطوبةُ ونوعُ التربة تجعل التبغ الذي ينتج فيها ممتازاً يفوق مثيله في باقي البلدان. ومن الغريب انا اذا اخذنا اصنافاً مختلفة من الحنطة مثلاً وزرعناها في شتى الأقاليم حيث تختلف الأحداث الجوية كل الأختلاف ثم عمدنا الى محصول كلٍّ من هذه الأصناف فصنعنا منهُ خبزاً فان طعم الخبز يكون واحداً تقريبا في الأصناف كلها ومن النادر جداً ان نجد شخصاً يتمكن من تفريق الأصناف بعضها عن بعض بسبب اختلاف طعم الخبز فقط. اما في التبغ فالأمر على عكس ذلك فأننا لو زرعنا بزوراً من صنف واحد ولكن في اقليمين مختلفين وتعهدنا نبتات كل صنف — بالعناية نفسها من حيث جعلُ بناء التربة واحداً وتهيئةُ الأرض والمسافةُ بين النبتات والتسميدُ والأسقاء والعزق والجني ومعالجة الاوراق الى آخر ما هنالك من الأعمال الزراعية والصناعية فان المحصول لا يكون واحداً في خصائصهِ بل يكون لكل اقليم تبغ يختلف عن تبغ الأقليم الثاني بالرائحة واللون والاحتراق . وكل من يدخن يستطيع ان يفرق بسهولة تبغ الأقليم الأول عن تبغ الأقليم الثاني . ولهذهِ الأسباب نجد ان التبغ البلقاني والتركي لا يجود في بلاد الشام اي ان هذه البلاد ليست صالحة لأنتاج تبغ يضاهي بجودتهِ تبغ البلقان والروم لان عامل الجو والتربة ليس كفيلاً بذلك ومع هذا فان التبغ الذي تُنميهُ تربتنا يمكن تجويده حتى يصير مقبولاً في الجملة ومتى اعتاد الأنسان تدخينه يستغنى بهِ عن التبغ التركي

﴿ طرائق جباية رسومه ﴾ قلت ان الحكومات في انحاء العالم لما ايقنت بعدم الفائدة من اضطهادها المدخنين رأت ان من الحكمة السماح باستعمال التبغ على ان يكون من وراء ذلك مورد مهم يغتذي بهِ بيت المال ولهذا نجد معظم حكومات العالم تجبي من التبغ على اشكال شتى ضرائب عظيمة جدًّا وهي تبرر عملها بكون التبغ لايعد من حاجات الانسان المبرمة وكل من لايريد دفع هذه الضرائب عليهِ بأن يقلع عن عادة التدخين . وفوق ذلك

لما كان الافراط باستعمال التبغ يضر بصحة مستعمليه فان ثقل الضريبة يدعو الى التقليل منهُ

والدول على قسمين قسم احتكر زراعة التبغ وصناعتهُ وتجارتهُ وآخر ترك للشعب حرية التصرف بهـذه الامور . فمن القسم الاول فرنسه وأوستريه واسبانيا والبرتقال ورومانية ويوغوسلافية والدولة العثمانية .ومن القسم الثاني انكلترة والمانيا وبلجيكة وهولاندة ومصر وغيرها.ففي فرنسةاحتكرت الحكومة زراعةالتبغ وتجارتهُ منذ ايام نابليون سنة١٨١١ ولا تزال على ذلك الى اليوم ولديها مصلحة واسعة من مصالح الحكومة تسمى « المديرية العامة لحصر الدخان » وهي تابعة لوزارة المالية . وهذه المديرية هي التي تأذن للفلاحين بزرع التبغ وتراقب النبات طيلة حياتهِ وتشتريه من الفلاحين بعد ان ينضج لقاء اثمان تقطعها وزارة المالية وهي التي تبتاع التبغ الاجنبي لخلطهِ بتبغ البلاد وتنظر في اعمال المعامل التي تصنع فيهـا السيكارات وسائر ما يصنع من ورق هذا النبات كما تنظر في فتح الدكاكين التي تباع تلك المصنوعات فيها . اما من الوجهة المالية فان ادارة الضرائب غير المباشرة هي التي تهتم بأمر البيع واستيفاء اثمان المبيعات

واحتكار اوسترية للتبغ يرجع الى اكثر من قرنين وقد كانت الحكومة باعت حقها من شركة تدعى شركة حصر الدخان كما كانت الحال عليهِ في الدولة العثمانية اوكما هي الحالة عليهِ في سورية في يومنا هذا . ثم في سنة ١٨٧٣ اخذت تلك الدولة على عاتقها امر النظر في شئون زراعة التبغ وتجارتهِ . وفي سنة ١٨٥٠ امتد الاحتكار الى حكومة المجر ولما رأت تلك الحكومة شدة مقاومة الزراع والتجار سمحت لكل زارع بمائتي متر مربع من الارض يزرعها تبغاً لحسابهِ . واحتكرت دولة ايطالية التبغ سنة ١٨٦٩ فباعت الامتياز بادئ بدء من شركة ثم انتزعتهُ منها سنة ١٨٨٣ واستثمرت التبغ مباشرة . اما اسبانية فقد سارت على عكس الدولتين المذكورتين فهي قد احتكرت التبغ مباشرة ثم رأت نفسها غير قادرة على ضبطهِ فمنحت احدى الشركات امتيازاً بحصره

وتجارة التبغ ومصنوعاتهِ حرة في انكلترة لكن زراعتهُ ممنوعة وكل من يزرعهُ يكون عرضة لضبط المحصول عدا انهُ يغرم غرامة فاحشة. ولكن لافراد الشعب حرية ادخال ورق التبغ والسيكارات من البلاد الاجنبية وحرية تأسيس معامل لصنع السيكارات وفتح دكاكين دون ان تراقبهم الحكومة البتة . وتكون فائدة الدولة في استيفاء ضريبة كمركية على ورق التبغ او على مصنوعاتهِ عند ما تدخل البلاد الانكليزية . وهذه الطريقة هي كما ترون سهلة لا تكلف الحكومة نفقات طائلة في سبيل مراقبة زرع التبغ وصنع السيكارات وبيعها كما هي الحال في الدول التي احتكرت هذه الأمور . ويفيد انكلترا ان تكون الطريقة المذكورة

متبعة لأنها جزائر يصعب على المصدرين ادخال التبغ اليها بدون ان يصطدموا بعمال المكس اما الدول التي يسهل اجتياز حدودها فانها تخسر خسارات عظيمة اذا لجأت الى هذه الطريقة

وزراعة التبغ حرة في المانية وكذا صناعة السيكارات وبيعها . والحكومة تستوفي ضريبة عن زروع التبغ إما بنسبة وزن المحصول او بنسبة المساحة المزروعة . وتستوفي ايضاً المكس عن ورق التبغ والمصنوعات التي تدخل البلاد الالمانية . وفي الروسية نرى ان زراعة هذا النبات وصناعة مصنوعاته والاتجار بها هي حرة ايضاً والحكومة تستوفي المكس عما يشترى من البلاد الاجنبية كما تستوفي ضريبة تسمى « باندرول » عما يصنع في البلاد الروسية وهذه الضريبة تستوفيها الحكومة على الشكل الآتي وهو انها تضطر اصحاب معامل التبغ والسيكارات على وضع مصنوعاتهم في غُلُف تبيعهم اياها ويكون ثمنها عبارة عن ضريبة نسبية تتبدل حسب اثمان تلك المصنوعات

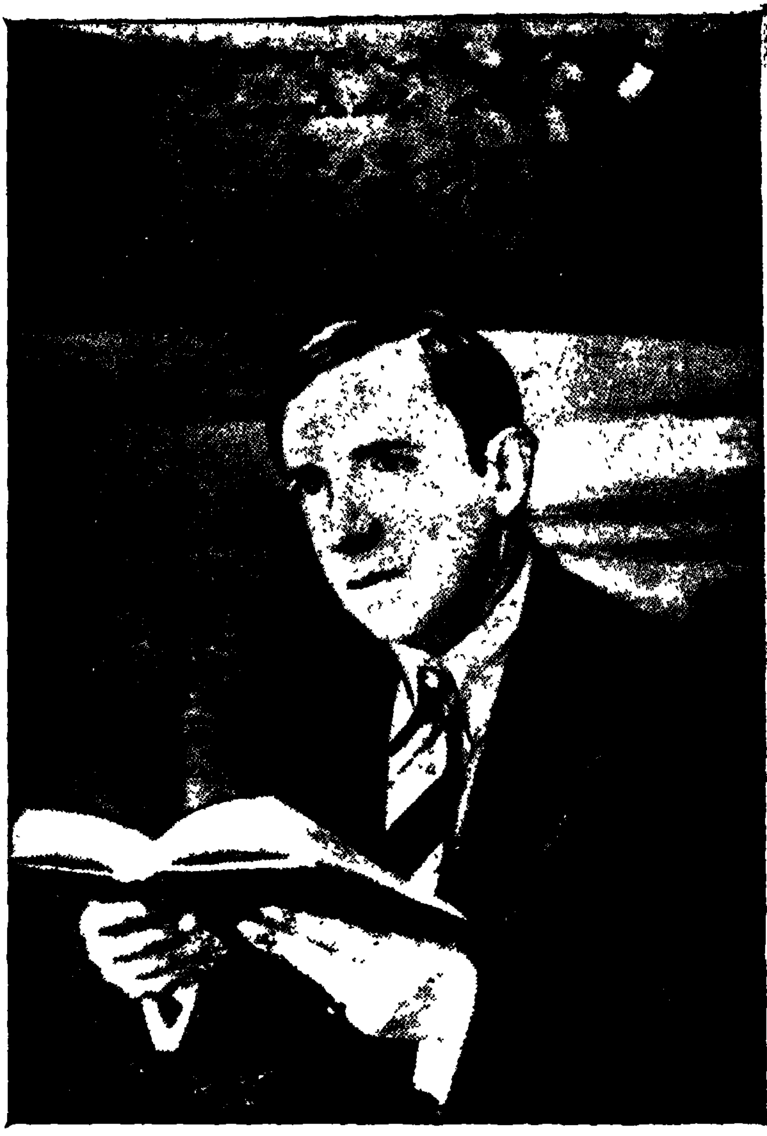
اما في الدولة العثمانية (وهي التي يهمنا البحث فيها اكثر من سائر الدول) فأن احتكار التبغ ومصنوعاته بدأ في سنة ١٨٨٤ ميلادية او سنة ١٣٠٠ رومية اذ منحت الدولة احدى الشركات الدولية امتيازاً بحصر الدخان لمدة ثلاثين سنة ثم مددتها حكومة الاتحاديين ١٥ سنة فصارت مدة الامتياز تنتهي في ١٤ نيسان (ابريل) من السنة الحاضرة. لكنه بعد ان ساحت البلدان العربية عن الدولة العثمانية على اثر الحرب الكبرى رفضت حكومات فلسطين والعراق وشرقي الاردن الاعتراف ببقاء امتياز الشركة المذكورة كما الغته تركيا نفسها في بلادها . وكل هذه الحكومات اطلقت الحرية في زراعة التبغ واخذت تستوفي المكس عن تبغ البلاد الاجنبية وضريبة على محصول التبغ الذي يزرع في ديارها . اما في سورية ولبنان فدظلت سلطة شركة حصر الدخان كما كانت ايام الدولة العثمانية وصدر اخيراً قرار من المفوضية العليا الفرنسية بتمديد مدة الامتياز ثلاثة اشهر اي الى ١٤ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٩ ريثما يُبَتُّ في السياسة التي يجب اتخاذُها تجاه زراعة التبغ وصناعة السيكارات والاتجار بها في سورية ولبنان

واهم شروط هذه الشركة تحتكر صناعة السيكارات وتجارتها في البلاد العثمانية لقاء مبلغ سنوي تدفعه الحكومة وتمنع زراعة التبغ الا في بعض الولايات والالوية التي تجود زراعته فيها . وقد كانت ولايات الشام وحلب وبيروت ولواء القدس من جملة الاماكن التي لا يجوز زرعه فيها ماعدا اللاذقية وجبلة وصهيون وصيدا وصور وبأمكان اصحاب التبغ الذي ينتج في البلاد العثمانية ان يبيعوه على عهدتهم في الديار الاجنبية لكنهم يمنعون عن الاتجار به في داخل البلاد وهم اذن مضطرون الى بيعه من شركة الريجي دون غيرها لقاء اثمان تحددها كما تشاء . وتدعي الشركة ان تلك الاثمان تكون عادلة في الجملة ولكن شتان بينها وبين



وداعاً يا رفيقي القديم
تصور متانيا

مقتطف نوفمبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٤٠٥



الشاعر الاسباني ڤيلاسباسا
الذي ينحدر من أصل عربي

مقتطف نوفبر ١٩٢٩
أمام الصفحة ٤٠٩

محصول التبغ الأهلي في الاسواق التجارية . وهذا الفرق بين المبلغ الذي تفرضه الشركة على ارباب زراعة التبغ ثمناً لمحصولهم وبين الثمن الذي يباع به ذلك المحصول في السوق التجاري هو السبب الأعظم لوجود أناس اتخذوا بيع الدخان خلسة مهنة لهم وصاروا يصطدمون من حين الى آخر مع محافظي الشركة وعمالها حتى سالت الدماء مراراً عديدة وحتى صار عدد القتلى في الدولة العثمانية السابقة منذ منحت الشركة امتيازها الى اليوم يعد بالالوف . ولا يستغربن احدٌ ان تسوء الحال الى هذا الحد وان يخاطر عدد عظيم من افراد الشعب بحياتهم واموالهم في سبيل بيع التبغ خفيةً ذلك ان الفرق بين الثمن الذي تشتري به الشركة التبغ والثمن الذي تبيعه به هو عظيم جداً قد يبلغ ٦٠٠ — ١٠٠٠ في المائة احياناً مثاله ان الشركة تدفع اليوم الى الفلاحين في اللاذقية وجبال النصيرية ٤٠ — ٥٠ قرشاً سورياً ثمناً متوسطاً للكيلو غرام الواحد من ورق التبغ الجاف على حين ان الورق نفسه يباع في الاسوق التجارية خفيةً بخمسة مجيديات اوستة اي بخمسة امثال الثمن الذي تدفعه الشركة الى الزراع تقريباً فمن البديهي اذن ان يكون عدد المتصدين للبيع الخفي كبيراً وان يشاركهم بعض بائعي تبغ الريجي في عملهم لأن تلك الشركة لا تمنحهم من ارباح ما يبيعونهُ من التبغ والسيكارات سوى ٩ في المائة من اثمانها ومن يمكنهُ ان يكتفي اليوم بهذا الربح الضئيل لا سيما اذا كان عليهِ نفقات كبيرة يضطر الى انفاقها واذا كان دكانه في مكان يقل بهِ المشترون . وتقول شركة حصر الدخان انهُ لا يمكنها شراء تبغ البلاد الشامية بأكثر من الاثمان التي تبتاعه بها اليوم لأن ثمن الكيلو غرام الواحد من التبغ التركي الجيد لا يساوي في الجملة اكثر من ليرة سورية وهو الثمن الذي تشتريه به وتبغ لبنان واللاذقية واطرافها هو برأيها غير مرغوب فيه في بلاد الشام وقد اعتاد الشاميون تدخين تبغ الشركة المركب في مجموعهِ من ٣٠ في المائة من تبغ اللاذقية وجبل النصيرية و ٧٠ في المائة من التبغ التركي فلا يجوز ان تدفع للفلاح الشامي ثمناً كبيراً لتبغه الرديء مع العلم بأن التبغ التركي يفوقهُ كثيراً بلذة دخانه . وتقول انها اذا اجعلت ثمن تبغ اللاذقية ولبنان كبيراً تزداد زراعته وتضطر الشركة الى شراء كل المحصول دون ان يكون بأمكانها تصريفه لأن الشام أعتاد تدخين التبغ التركي في المقادير التي تبيعه الشركة اياها اما البلاد الاجنبية فهي لا تلتذ بتبغ اللاذقية ولبنان

يتضح مما ذكرت ان محاكمة شركة الريجي للمسئلة على هذا المنوال تدعو الى تشجيع زراعة التبغ في بلاد الشام لا سيما في سواحلها حيث تجود زراعته دون اسقاء . ومما لا ريب فيه انه لو كان بيت المال واحداً في سورية ولبنان وجبال النصيرية لكانت اصلح طريقة لاستيفاء رسوم التبغ هو ان تجعل زراعته وتجارته وصناعة السيكارات منه حرة وان تستوفي

الحكومة ضريبة على محصول التبغ البلدي ومكساً على ماينقل الى البلاد من التبغ الاجنبي اما في الحالة الحاضرة فاللبنانيون وسكان اللاذقية وجبال النصيرية يرون ان من فائدة الشعب والحكومة معاً ان تطلق حرية زرع هذا النبات وحرية الاتجار به على الوجه المذكور. وفي سورية الداخلية ينقسم اصحاب الرأي قسمين قسماً يرى ان حرية زراعة التبغ وتجارته تدعو الى ربح الشعب ارباح مهمة هو في حاجة اليها لينتعش اقتصادياً، وقسماً يري ان شدة الحرية تسبب ضياع مبالغ طائلة على بيت المال لأنهُ من الصعب على الحكومة ان تتمكن من ضبط حدودها الواسعة لاستيفاء المكس عما يُنقل الى الداخل من تبغ لبنان واللاذقية والديار الاجنبية. واذا اتُّبع رأي الفريق الثاني يكون امام الحكومة احدى طريقتين وهما اما احتكار زراعة التبغ وتجارته مباشرة على ان تنشيء مصلحة لهذا الغرض كما في فرنسة وغيرها وأما منح امتياز بذلك لأحدى الشركات لقاء مبالغ معينة تدفع الى بيت المال على ان تكون الشروط غير مضرة بأرباب الزراعة بل داعية لتوسيع زراعة التبغ في هذا البلاد

فالطريقة الأولى تكلف الحكومة نفقات طائلة عدا ان الحكومات قلما تكون صالحة لأعمال الاحتكار من الوجهة لاقتصادية وهي قد تكون اشد وطأة على اصحاب التبغ من الشركات بما لديها من الوسائل كالشرطة والدرك. اما الطريقة الثانية وهي الحكرة بواسطة الشركات فانها طريقة انفع لبيت المال لكنها في الوقت نفسه انفع للاجانب اذا كان اصحاب اسهم الشركات من غير ابناء البلاد. ومهما تكن الطريقة التي تتبع فمن الضروري ان ترتكز قاعدة اقتصادية مهمة وهي توسيع زراعة التبغ في بلاد الشام حتى يقل مقدار التبغ التركي الذي ندخنه الى ادنى حد مستطاع فنحن ندخن اليوم في داخل الشام وحده نحو مليون ومائة الف كيلو غرام من التبغ التركي سنوياً وثمن هذا المقدار يذهب من جيوبنا ضياعاً! وندخن اربعمائة الف كيلو غرام من تبغ اللاذقية وجبال النصيرية بواسطة شركة الريجي ونحو مليون كيلو غرام من تبغ تلك المنطقة مع تبغ لبنان وهذا المقدار الاخير يباع خفية

ويكون توسيع زراعة التبغ على الصورة الآتية وهي اذا اطلقت حرية زراعة ذلك النبات وتجارته يجب ان تكون الضريبة على محصول الشام صغيرة بعكس المكس على مايدخل من البلاد الاجنبية. اما اذا اتبعت طريقة الاحتكار فمن الواجب تقدير اثمان رابحة لمحصول الشام الذي تبتاعهُ الحكومة او شركة الحصر من ارباب الزراعة وان تقدر هذه الاثمان بواسطة رجال لاينتمون الى الحكومة ولا الى الشركة. ثم يجب ان يقلل الشراء من التبغ الأجنبي حتى يعتاد ابناء الشام تدخين التبغ الذي تُنبته بلادهم. فنتمنى ان يوفق المعالجون لقضية الريجي الى ضمانة فائدة بيت المال من جهة وفائدة ارباب زراعة التبغ وتجارته من جهة ثانية والسلام

بنك التسويات الدولي

أهم النتائج التي اسفر عنها مؤتمر الخبراء الذي انعقد هذا العام انشاء هذا البنك . فكل المقترحات الاخرى ليست جديدة بل هي تعديلات لمشروع داوز في حين ان مشروع انشاء البنك هو المقترح الوحيد الذي يصح تسميته بالجديد. ولذلك لفت اليه الانظار وينتظر ان يكون عاملاً قويًّا في انشاء تعاون دولي مالي . ولم يتبق على الخبراء الا تقديم اقتراحاتهم فيما يتعلق بدقائق المسألة للجري عليها عند اجراء التسوية . وكانت أول خطوة نصح باتخاذها الغاء اللجنة الخاصة بالتعويضات لأنها اظهرت تحاملاً على المانيا والقت على عاتقها مسئولية وقوع الحرب وقررت ان من الواجب الزامها بالتعويض . وسيكون البنك الجديد بعيداً عن السياسة وينحصر عمله في المبالغ السنوية التي تسددها المانيا ثم توزيع ما يجمع على الدول المستحقة . كذلك سيكون من مهمة البنك تسليم البضائع التي وافقت المانيا على تقديمها لمدة عشر سنوات للحلفاء كجزء من التعويض

وقد يتساءل البعض عن السبب في انشاء بنك للقيام باعمال من السهل انهاؤها بين المانيا واعدائها السابقين مباشرة. والجواب ان تجارب الاعوام السالفة اوحت بوجوب انشاء هيئة مستقلة تخلي المانيا تدريجاً من التبعة وتوفر عليها عملية التوزيع . ومن السهل تفهم الفائدة التي تنتج من وجود وسيط لا صبغة سياسية له لانهاء هذا الامر الذي قد يؤدي الى سوء تفاهم بلا مسوّغ. فقد كانت الفكرة في البدء موجهة الى انشاء مجلس امناء لادارة موضوع دفع التعويضات ولكن اتضح بعد ذلك ان الحكمة تقضي بانشاء بنك ليكون رابطة دولية اقتصادية لعلّه يحقق الحلم الذي طالما تجلى لكثيرين من الساسة

كانت البنوك التابعة لمختلف الدول قبل الحرب غير مرتبطة بعضها ببعض وكان يقوم بعملية الاتصال بينها افراد من كبار الماليين ولما كانت الحركة المالية بعد الحرب تستدعي ايجاد بنك مركزي ليقوم بعمليات التصفية فقد اقترح بعضهم في مؤتمر جنوى عام ١٩٢٢ وجوب اجتماع رؤساء البنوك التي تصدر البنكنوت بين آن وآخر ولكن لم يوضع هذا الاقتراح موضع العمل طيلة هذه المدة في حين ان التعاون الاقتصادي بين الدول اصبح محسوساً رغم حدوثه بصفة غير رسمية وعلى يد بضعة افراد . فمن الطبيعي ان يحاول رجال المال تنظيم هذا التعاون بعد ان أحس العالم أجمع بوجوبه. ومن الفوائد المنتظرة من انشاء هذا البنك مدّه البنوك بقروض وقت الحاجة . وهناك عمليات دولية كثيرة يسهل اجراؤها عن طريقه لذلك فيكون من السهل تنظيم حركة الذهب واقلال الكمية المتداولة منهُ بواسطته ولهُ

فوائد ثانوية لا بدَّ ان تنتج عن ايجاد اداة مالية دولية. لذلك رحب المشتغلون بالامور المالية بالبنك الذي طرحهُ للبحث مشروع يونغ

وسيكون لمجلس ادارة هذا البنك الحق في اجراء تعديلات في لائحتهِ الداخلية حتى لا توضع هيأته الادارية تحت رحمة تشريع اية دولة من الدول أو تحت رحمة تشريع مفتعل توجده هيئة دولية تحاول تطبيق ما تراه في صالحها. واما الضمان فقائم على ان اعضاء المجلس سيكونون من غير الساسة المشتغلين بالشؤون الاقتصادية ولن تعين الحكومات المديرين حتى لا تتبع عند اختيارهم نعرة سياسية او وطنية. وكذلك لن يمثل هؤلاء المديرين هيئات ذات مصالح خاصة تحرضها على اجتناء الربح لأن المهم هو ان يكون رائد مجلس المديرين خدمة السلام العام والصالح العام قبل كل شيء. ولذلك اقترح ان يمثل هؤلاء المديرون بنوكَ الاصدار في مختلف الممالك فهذه البنوك هي اقلُّ تأثراً بالسياسة وأقل اهتماماً بالربح من غيرها من الهيئات. وأظهر المشروع وجوب وجود سبعة رؤساء للبنوك المركزية الخاصة بالدول السبع المتصلة بالمشروع وهي فرنسا وألمانيا وبريطانيا وبلجيكا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة ولما كان اجتماع هؤلاء الرؤساء بين آن وآخر متعذراً اقترح ان يعين كل رئيس منهم وكيلاً عنهُ ليقوم بهذه العملية

ومن ضمن المقترحات انهُ يصح لبنك فرنسا وبنك المانيا انتخاب عضو جديد عند حلول ميعاد تسليم سنويات التعويضات الألمانية وذلك للمساعدة على التوزيع وأيضاً للاشراف على التسلُّم والتسليم فيكون مجلس المديرين والحالة هذه مكوَّناً من اربعة عشر عضواً (يضاف اليهما عضوان عند الحاجة) ولكن يصح ان يزيد عدد اعضاء هذا المجلس اذا وافقت بنوك الاصدار الموجودة في الممالك الاخرى على الاشتراك في البنك ولن تكون الزيادة اكثر من تسعة مديرين جدد ينتخبهم الاربعة عشر عضواً من قائمة تحوي اسماء مرشحي بنوك الاصدار التي ستشترك في مشروع البنك. وبذلك لن يزيد مجلس المديرين عن ٢٣ (او ٢٥) مديراً يكون لهم سلطة مطلقة ولهم حق تعيين الموظفين واصدار القرارات وتعديل النظام

وستكون مدة التعيين خمس سنوات تنتهي بعدها مدة الخمس بالتتابع لكن يصح اعادة انتخاب من انتهت مدتهُ ثانية. اما الذي يضع نظام البنك مبدئيًّا فهي لجنة تنتخبها بنوك الاصدار للدول السبع ويمثل كل بنك عضوان واذا لم يتيسر لبنك انتخاب عضوين يصح لبقية الاعضاء انتخاب شخصين من المملكة التي يعجز بنكها عن الانتخاب

وسيكون رأس مال البنك عند التأسيس ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٠ دولار سيدفع منه ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥ دولار فقط ولكن ستكون الاسهم مسئولة عن القيمة التي لا تدفع وستكون قيمة السهم واحدة في مختلف الممالك السبع وستجري عملية الاكتتاب بواسطة بنوك الاصدار فيها. واذا ما

انضمت ممالك اخرى سيكون نصيب الممالك الاصلية ٥٥ ٪ من الاسهم ولن يكون للسهم حق في التصويت بل سينتقل حق التصويت الى بنوك الاصدار الممثلة للمملكة التابع لها حامل السهم (مع ملاحظة نسبة ٥٥ ٪) فوالحالة هذه لن يكون للمساهمين عمل الا الاستثمار

ولن تزيد الفوائد التي ستدفع على الاسهم عن ١٢ ٪ بأى حال وسيضاف ما يتبقى الى احتياطي البنك والى احتياطات بنوك الاصدار التابعة للدول الداخلة في الموضوع ما عدا المانيا وسيقتطع ٧٥ ٪ من الارباح لهذه العملية واما الباقي وهو ٢٥ ٪ فستضاف لحساب المانيا لتسديد المطلوب منها في السنوات التالية بشرط ان تودع المانيا في البنك المذكور مبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ مارك ذهب بفائدة لمدة طويلة

وللبنك الحق في قبول الودائع وفي الاقراض وفي الاستثمار وبالاختصار في عمل كل ما تعمله بنوك الاصدار عادة ولكن لا يسمح له بالطبع باصدار بنكنوت باسمه وسيطلب منهُ انشاء احتياطيات مشابهة لتلك التي يحتفظ بها بنك الاصدار ولان البنك سيعاون على اقلال كمية الذهب المتداول سيلزم على الاحتفاظ بجملة احتياطياته ذهباً وعليهِ ان يحتفظ بما قيمته ٤٠ ٪ من الودائع عن ١٥ يوماً او اقل اما عن الودائع لمدة تزيد عن ١٥ يوماً فعليهِ ان يحتفظ بما قيمته ٢٥ ٪ منها . سيقول البعض ان انشاء هذا البنك سيخلق مزاحماً لغيره من البنوك ولكن اساس الفكرة هو ان لا يزاحم لان هذه المزاحمة تضر الفكرة ذاتها وكذلك سيتحتم على البنك ان لا يتعامل في السوق المالي في اي بلد كان الا بعد موافقة بنك الاصدار التابع لهذا البلد اضف الى ماسبق ان مديرى بنك التسويات يمثلون البلدان المذكورة وسيكونون دائماً على اتصال بهِ وبالطبع سيعارضون كل محاولة ترمي الى الضغط على سوقهم المالية

اذن فللبنك المقترح انشاءه مرميان احدهما اساسي وهو توزيع التعويضات الالمانية وأهم فائدة تنتج من قيامه بهذه العملية هو نقل مسألة التعويضات من ايدي الساسة الى ايدي الماليين الاكثر ميولاً من الساسة للاصطباغ بالصبغة الدولية وبذلك تمحي روح العناد. كذلك في حالة اضطرار المانيا الى عدم تسديد كل المطلوب منها يبدي مجلس المديرين حكمه ويتلافى هذا التقصير باصدار سندات مضمونة من الحكومة الالمانية (قصيرة الأجل)

وأما المرمى الآخر فهو تنظيم اجتماعات لممثلي بنوك الاصدار لحل المسائل المالية الدولية العويصة في جو هادىء ليتيسر ايجاد دواء لأدوائها وكذلك سيعمل البنك على تقوية الرابطة المالية بين الدول ويمحي الغيرة التي كثيراً مامنعت الدول من مساعدة بعضها البعض في الملمات الأمر الذي نتجت عنهُ كوارث دولية عديدة

عمر عنايت

معرض الصناعة الوطنية بدمشق

لا ينمو الكائن الحيّ نموًّا صحيحاً تكتمل فيهِ اسباب القوة والجمال الاَّ اذا كان يملك في كيانهِ قوة حيوية تمكنهُ من تناول عناصر الحياة من جوهِ وأرضهِ ليحولها دماً وغضروفاً وعصباً او عصيراً وورقاً وثمراً . اما انهُ يعمد الى الدم يقدمهُ حيّ قويّ شفقة واحساناً اوالى جلد يؤخذ من غير الكائن نفسه فأمر لا يلجأ اليهِ الاَّ في حالة مريض قد اشفى

ولقد اثبت الفلاسفة من افلاطون الى سبنسر ان الأمة كائن حيّ فما يلزم للكائن الحيّ من اسباب النمو وعناصر الحياة يلزم لها . انها لا تكون قوية الاَّ اذا توافر لها في جوّها وأرضها ونفوس ابنائها وعزائمهم عناصر النموّ الحيوي الصحيح لكي تبقى حية على الدهر ترد عنها العوادي قوى العزم والتوليد والابداع الكامنة في كيانها . والنموّ لا يكون صحيحاً الاَّ اذا جاء من الداخل . فكرة الثلج التي تتضخم وهي تتدحرج من قمة جبل مكسوّ بالثلج تنمو ولكن نموّها خارجي ، وهو غير النموّ الحيوي الصحيح في الأحياء والامم .ولكن البزرة الصغيرة التي تطمر في التربة الصالحة فتستمد منها عناصر الغذاء تنمو ونموّها حيوي لأنها تحول كل عنصر من عناصر الهواءِ والتراب الى مادة حية هي مادتها

لذلك اخذتنا نشوة من السرور الذي يعجز القلم عن وصفهِ حين هبطنا عاصمة الأمويين وزرنا معرض صناعاتها الوطنية فدهشنا لما رأيناهُ فيهِ من آثار الدقة والاتقان في مختلف الصناعات — من صناعات المنسوجات الحريرية الى صناعة الجلود الى صناعات المفروشات الخشبية — وهي تضاهي أبدع ما شاهدتهُ في الغرب دقة في الصنع ورخصاً في الثمن وان نقصت منهُ استكمال عناصر الذوق الفني — الى صناعة الادوات النحاسية التي اشتهرت بها دمشق الى صناعات الخزف « السيرامايك ». ولا ننسى صناعة المنسوجات الصوفية فانها على حداثتها تبشر بمستقبل باهر . سررنا بآثار الاتقان هذه لانها تدل على ظواهر النمو الحيوي الصحيح الذي تجري صهباؤه في عروق الامة السورية الكريمة ، هذه الامة التي لم تقعدها محن النهضة السياسية عن القيام بنهضة صناعية لا بد منها لكل استقلال يستحق ان يدعى كذلك . فكل بلاد لا تستطيع ان تخرج لشعبها جانباً مما يحتاج اليهِ ليستغني عن بعض الوارد اليهِ من الخارج وليسد بهِ الدين الذي يتراكم عليهِ بسبب هذه الواردات لبلاد سائرة الى الافلاس، والاستعباد الاقتصادي في هذا العصر شر انواع الاستعباد واركنها الاقوى. لم نسرّ هنا بآثار الاتقان البادية في معرض الصناعات لاننا لم نشاهد ما يماثلها او ما يفوقها في معارض الغرب ولكن مشاهدتها اثارت شعور الرجل الذي يرى بين يديهِ كائناً يتعهده بعنايتهِ ويقطر عليهِ دم قلبه لانهُ موقن انهُ سائر في طريق النمو الى مرتبة الكمال

مكتبة المقتطف

الحياة العقلية

او دروس في علم النفس

تأليف البروفسور ودورث استاذ علم النفس في جامعة كولمبيا . ترجمة الاستاذ احمد ساطع الحالدي مدير الكلية العربية في القدس واستاذ التربية فيها — صفحاته ٧٠٥ من القطع الصغير بحروف بنط ٢٤ ورسوم توضيحه كثيرة

لعلَّ هذا الكتاب الممتع من افيد الكتب التي اخرجتها المطابع العربية هذه السنة . فالموضوع الذي يعالجه هو موضوع الساعة بين الفلاسفة والمفكرين . لان علم النفس منذ استقلَّ واستوى مع سائر العلوم على اساس تجريبي اتصل بشؤون الحياة العملية اتصالاً وثيقاً كالتعليم والتهذيب والصناعة والصحة والتجارة والآداب . ومؤلف الكتاب من اعلام الاميركيين في تهذيب هذا العلم الفتي وتوضيح معالمه ونشر اصوله وحقائقه على الطلاب. وناقلهُ الى العربية عالم مفكر عالج شؤون الحياة العقلية نظراً وتجريباً وكاتب مجيد امين في نقل المعاني بليغ في ادائها . وشركة مكملان التي تولت الانفاق على طبعه بالعربية لم تدخر وسعاً في اخراجه في حلة قشيبة وبحرف كبير واضح لا يتعب عيون الطلاَّب وعهدت في ذلك الى مطبعة المعارف فقامت بالعمل على اتم وجهٍ واوفاه . واضاف الاستاذ الناقل الى الكتاب معجماً للالفاظ والعبارات البسيكولوجية والفسيولوجية الواردة في متن الكتاب وما ترجمها بهِ فكان ذلك عملاً علميًّا جليلاً للمشتغلين بهذا العلم من كتّاب وقرّاء . ومن الالفاظ الجديدة التي اعتمدها في هذا الكتاب وبودنا لو تمَّ لفظة «رجْع» بدلا من «ردالفعل» في اللفظة الجديدة معنى ردّ الفعل وتفوقها في انها لفظة مفردة يسهل تثنيتها وجمعها والنسبة اليها . وهي علاوة على ذلك جديدة لا يلتبس معناها الجديد بمعنى لها قديم مشهور . وحبذا لو جارى المؤلف غيره ُ في ترجمة *Gray matter* بالمادة السنجابية بدلاً من المادة السمراء لان اللفظة الاولى اشتهرت بين دارسي علم الفسيولوجيا

اما مباحث الكتاب نفسهِ فيتعذر علينا التبسط فيها وكل فصل يصحُّ ان يقال فيهِ ماقالهُ الرئيس ولسن في فصل « العادة » في كتاب علم النفس الذي وضعهُ الفيلسوف وليم جيمس قال : « كل مثقف يجب ان يستظهر هذا الفصل » او ماهو بمعناه ُ. فنشكر لناقل هذا الكتاب اليد التي اسداها الى العلم في الشرق بنقل كتاب مفيد هذا النقل الامين البليغ

ادارة الصفوف

وللاستاذ الخالدي كتاب آخر مفيد كلّ الافادة لا بدَّ ان يجد فيهِ المدرسون في انحاء البلدان العربية مرشداً الى افضل طرق التعليم والتهذيب . وقد اعتمد مؤلفهُ الفاضل على كتابٍ وضعهُ الاستاذ بجلي في ادارة الصفوف ولكن بعد ما طبق المبادىء والاصول على ماتحتاج اليهِ المدارس الشرقية من الاسئلة والامتحانات. وفيهِ فصول تناولت احدث المباحث التعليمية وتطبيقها كمقاييس الذكاء واختبارات في سرعة القراءة والفهم ونظام العرفاء . وفي الكلمة التي افتتح بها الكتاب يبشرنا الاستاذ بان هذا الكتاب هو الاول من سلسلة ينشرها قسم التربية في الكلية العربية بالقدس . وما من رجل يغار على الشرق ويرجو لهُ التقدم والفلاح الاّ ويرحّب بمثل هذه الكتب المفيدة التي تقوّم فيهِ طرق التربية والتعليم

الجيولوجيا

تأليف الدكتور حسن بك صادق — وكيل مصلحة المناجم والمحاجر — صفحاته ٢٣٤ مزدانة بالصور — وفي آخره خريطة جيولوجية ملونة للقطر المصري

في مكان آخر من هذا الجزء بحثنا بحثاً موجزاً في غاية الجيولوجي واساليبهِ في الكشف عن الحقائق حملنا على كتابتهِ ونشره ظهور هذا الكتاب الجيولوجي المتقن الذي وضعهُ عالِم من نخبة علمائنا حائز لأعلى الدرجات العلمية بانكلترا متمرس بهذا العلم من وجهتهِ العملية في مصلحة المناجم والمحاجر وكاتب يعرف كيف يقرّب الحقائق من الاذهان بنثر صافي الديباجة خالٍ من التكلف والتعقيد . لذلك قررت وزارة المعارف العمومية استعمالهُ للتدريس في المدارس الثانوية وحسناً فعلت . ومما يزيد رونق الكتاب وفائدتهُ اشتمالهُ على مئات من الصور جانب كبير منها صور مصرية اخذها المؤلف بنفسهِ لتوضيح مبادىء الجيولوجيا العامة للطلبة المصريين بامثلة من بلادهم

حياة المسيح لبابيني

تأليف جيوفاني بابيني — ترجمة الارشمندريت انطونيوس بشير

بابيني مؤلف ايطالي في الطبقة الاولى بين الكتاب ولد سنة ١٨٨١ وشُغف بالادب من صغرهِ . فكتب في المجلات وحرّر مجلة اسمها « الصوت » بالاشتراك مع صديقٍ لهُ فالتفَّ حولها نفر من ابرع كتّاب ايطاليا . وكان في عقيدتهِ محيّراً مشككاً وطالما كتب ناقداً هازئاً هادماً فلما وافت سنة ١٩٢١ حتى ادهش أصدقاءهُ ومريديهِ بكتابٍ انقلب فيهِ

الساخر الهادم رجلاً مؤمناً يميل الى التأمل والتصوف — هذا هو الكتاب الذي بين أيدينا الآن

كثرت الكتب التي كتبت عن المسيح في العقد الاخير . پاپيني . لدوغ . جبران خليل جبران وغيرهم . ولكل كتاب غرض وطريقة . فجبران شاعر فيلسوف نظر الى المسيح بعيون سبع وسبعين شخصية حقيقية وخيالية عاصرت السيد وعاشت معهُ . فهو بلسان الشاعر يتكلم آناً وبلسان الخطيب آناً آخر . بلسان مريم المجدلية حيناً وبلسان صيادٍ او تلميذ او عشار حيناً آخر . وهكذا يجلو لنا شخصية السيد المسيح من نواحيها المتعددة . إما لدوغ فأكثر ميلاً الى التاريخ والتحليل البسيكولوجي . واما كتاب پاپيني فصوت خارج من قرارة النفس لان الرجل كان كافراً فاهتدى . وكان محيَّراً فاستقرَّ . وكان شاكّاً فآمن . وفي كل ذلك كانت شخصية السيد المسيح الباهرة هي التي احدثت فيهِ هذا الانقلاب . فصوتهُ انما هو صوت جيلهِ القلق المضطرب المحيَّر بين الشك واليقين والالحاد والايمان . لذلك نال هذا الكتاب رواجاً لم ينلهُ كتاب من نوعهِ وترجم الى لغات عدة . ورأى الاستاذ نعوم مكرزل صاحب الهدى النيويوركية ذلك فضنَّ بهِ ان يبقى مطويّاً عن ابناء العربية فاشار على الارشمندريت انطونيوس بشير صاحب مجلة الخالدات بترجمته ففعل وقد قامت بطبعهِ مطبعة مكتبة العرب بالفجالة لصاحبها يوسف توما البستاني

الدليل العام للقطر المصري والخارج

لسنة ١٩٣٠

لقد اصبح اصدار دليل جامع كهذا الدليل عملاً شاقاً بقدر ما هو عمل مفيد . فجمع الحقائق والأسماء والعناوين ونمر التليفونات من قطر كالقطر المصري سكانهُ اربعة عشر مليوناً ثم تبويبها وترتيبها ووضع فهارس لها واخراجها في مجلد يضم الفي صفحة كبيرة عمل دونهُ خرط القتاد . ولكنهُ عمل مفيد لأن موظفي الحكومة على اختلاف اعمالهم والتجار والاطباء والصحافيين يحتاجون اشد الحاجة اليهِ . ماذا تطلب ؟ عنوان فلان في مكتبهِ او بيتهِ ونمرة تلفونهِ في كليهما ؟ لك ما تريد افتح باب الصحف ان كان صحافيّاً او باب التجار ان كان تاجراً او باب الأطباءِ والصيادلة اذا كان طبيباً او صيدليّاً ترَ الاسم والعنوان ونمرة التلفون . فوزارات الحكومة كلها مبوبة تبويباً متقناً وفيها اسماء الموظفين جميعهم وأعمالهم وأماكن سكنهم . والمديريات كذلك . والمجلَّد يحتوي على طائفة كبيرة من الصور . . . ومما يدهش لهُ انهُ صدر يوم تأليف الوزارة العدلية محتوياً على بيان كامل لأعضائها . فنهنيء الشركة القائمة بهذا العمل ونتمنى لدليلها ذيوعاً هو جدير بهِ

مطبوعات أخرى

(لبنان وسوريا) قبل الانتداب وبعده بحث يتناول حوران وجبل الدروز وجغرافيتهما وتاريخهما الحديث والانتداب الفرنسوي في لبنان وسوريا حتى آخر عهد الجنرال غورو بقلم الشيخ بولس مسعد وقد نشر تباعاً في المجلة السورية

(جمعية الشبان المسلمين) هذه مجلة اسلامية علمية تهذيبية تصدرها جمعية الشبان المسلمين مرة في الشهر ويحررها نخبة من اعضائها برآسة الدكتور يحيى احمد الدرديري . وفي مقالات الجزء الاول سيرة اديسن . والحركة الفكرية في المغرب الاقصى . ومصر الاقتصادية في الصحف الغربية وغيرها من المباحث التاريخية والادبية والدينية

(اليزيدية) رسالة موجزة في ٤٤ صفحة من القطع الصغير وضعها السيد عبد الرزاق الحسني ونشرتها مجلة « المرشد » العراقية وحملتها هدية لمشتركيها

(الاغاني الشعبية) مجموعة من الشعر العامي الطريف الذي ينظمه سكان الارياف في العراق ويستطيع قارئها ان يدرس فيها حياة الاعراب الاجتماعية الادبية والسياسية . جمعها وشرحها السيد عبد الرزاق الحسني وطبعت بمطبعة النجاح ببغداد

(صديق العائلة) مجلة شهرية تبحث في الشئون الصحية . مركز ادارتها رقم ٣ بميدان سوارس وعنوانها صندوق بوستة رقم ٦٠٠

(الجمعيات التعاونية) ونظامها في مصر . هذا افضل كتاب وضع في التعاون في مصر . وقد اشرنا اليه قبلا في المقتطف عن ظهور طبعته الاولى ونقلنا فصلا منه . وضعه الدكتور توفيق حامد المرعشلي صفحاته مائة من قطع المقتطف وقد طبع بمطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

(التربية الوطنية) للدكتور المرعشلي وهو قسمان الاول يتناول المبادىء العامة التي ينطوي عليها الاجتماع البشري وارتقاؤه ونظمه السياسية والثاني خاص بالقطر المصري وتاريخه السياسي من اقدم العصور الى الآن لان « الوطنية واعراضها لا تتحقق الا بدراسة تاريخ البلاد الحافل بالعظمة والمجد » وهذا الكتاب ايضاً طبعة ثانية وصفحاته ٢٣٩ قطع المقتطف مزدانة بالصور

(الحولية الخلدونية) كتاب جامع لشتى النبذ والحقائق والسير تنشرها مجلة التربية والتعليم في بغداد وقد سمتها « الخلدونية » نسبة الى الفيلسوف الاجتماعي « ابن خلدون » والنبذ كلها مصورة حتى تتجسم الحقائق بالصور احياناً فتغني عن شرح طويل كما ترى في صفحتي « الاقدم والاحدث » وفصل الاكتشافات والاختراعات وعجائب الدنيا السبع

(الاسلام) دين الانسانية . رسالة انكليزية في ٢٢ صفحة صغيرة وضعها الاستاذ محمد علي احمد مترجم القرآن الشريف الى اللغة الانكليزية . وللرسالة مقدمة بقلم اللورد هدلي . وتطلب من مطبعة التجارة بلاهور الهند

(نبي الاسلام) وهذه رسالة انكليزية اخرى للمؤلف نفسه جاء فيها على سيرة الرسول الكريم وتحوى تعاليمه على ذكر انقضاء ١٤٠٠ سنة على « الحسن الكبير الى الانسانية »

(الصلاة في الاسلام) للمؤلف نفسه . صفحاتها ٢٠ من القطع الصغير

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) اكتب كتاب العصر واشهرهم

بغداد . من هم اكتب كتاب العصر الأحياء وهل هم اشهر الكتّاب

ج . اذا اطلقنا على لفظة الكتابة اوسع معانيها وجب ان نطوي تحت لفظة « كتّاب » الفلاسفة والعلماء والصحافيين والروائيين والشعراء. ولكن اذا اردنا بالكتابة حصر معناها بالاداة الفنية التي يستعملها بعض الناس لوصف الحياة ونقدها انحصرت دائرة نظرنا في كتّاب الروايات والقصص والدرامات. فاذا قصرنا نظرنا على هؤلاء عرضت لنا عقبة جديدة وهي ان من الكتّاب من يكون مشهوراً في بلده مجهولاً في غيرها . فتوماس هاردي كان الى حين وفاته اكتب كتّاب الانكليز ولكن موضوعات رواياته كانت انكليزية ريفية لا يعنى بحوادثها غير الانكليز وان كانت اغراضها الادبية والفلسفية والاجتماعية عامة كالحياة نفسها . لذلك سنقصر اختيارنا على الكتّاب الذين لهم شهرة عالمية او على الاقل شهرة في اعظم بلدان اوربا واميركا. ونبدأ بالانكليز فنختار برناردشو الذي دعاهُ اميل لدفج « اكتب كتاب العصر » وولز وغلزورثي. ومن الفرنسيين رومان رولان وبول بورجه واندره موروى . ومن الالمان توماس مان واميل لدوج . ومن الطليان بيراندلّو ودانتزيو والكاتبة جرازيا ديلده . ومن الاميركان سنكلر لويس واوجين اونيل . ومن النمسويين ارثر شنتزلر. والروس مكسيم غوركي والبلدان السكندناوية نوت همسن وسغرد اوندست وسلما لجرلوف . والبلجيك موريس مترلنك. ولعل برناردشو وولز ولدوغ ورومان رولان ودانتزيو وغوركي ومترلنك اشهرهم واكتبهم. وقد ذكرنا اميل لدوغ واندره موروى بين هؤلاء الكتّاب مع انهما ليسا روائيين بحصر المعنى. لأنهما عرضا لكتابة السير على طريقة جديدة فأبدعا فيها ايما ابداع. فكتب الأول سير بسمارك وغليوم والمسيح وبيتهوفن وكتب الثاني سِيَر شلي ودزرائيلي فجمعا فيما كتباهُ بين التاريخ المحقق والقصة

الأخاذة . ويصح ان نضيف اليهما لتن ستراشي الانكليزي وغمالائيل برادفورد الاميركي فانهما من اعلام هذا النوع من الكتابة وان كانا اقل شهرة عالمية من زميليهما . وسنعرض لهذا البحث في مقالة فنوفيه من حقه قدر ما يتسع لهُ المقام لأن ذكر اسماء الكتاب لا يفيد شيئاً اذا لم نذكر طرفاً من سيرهم وتقديراً لنتائج قرائحهم

ولكن هل اكتب الكتاب هم اشهر الكتاب؟ لا ريب في ان بين الكتاب المشهورين طائفة من اكتب كتاب العصر كبرناردشو وولز ولدوغ ومترلنك . كذلك بينهم كتّاب لا ينطوي سفر حياتهم حتى ينطوي سفر ذكرهم. ونحن لا نرتاب ان في زوايا الادب المهملة كتّاباً من الطبقة الاولى . على ان هؤلاء اصبحوا قلالاً في هذا العصر . فاصحاب دور النشر يبحثون في كل البلدان عن كل كاتب جديد مبدع لينشروا لهُ كتبه رغبة في الربح منها اذا ذاعت شهرتهُ ويستعملون لذلك كل اساليب الترغيب والدعاية والاعلان

(٢) اقدم الكتب العربية

نيويورك . ما هي اقدم الكتب العربية وما هي اسماء مؤلفيها وأين تباع وما هو ثمنها

ج . ان اردتم كتب الخط فأقدمها على ما نعلم هي الصفحات التي نشرتها السيدتان اغنس سمث لويس والدكتورة مرغريت دنلوب جبسن سنة ١٩٠٨ في رسالة لهما . والصفحات منقولة عن صورة شمسية لأقدم الكتابات العربية. راجع وصفها في مقتطف نوفمبر ١٩٠٧ صفحة ٨٧٦ وتتلوها نسخة من الانجيل موجودة الآن في طورسينا كتبت سنة ٤٣٨ للهجرة وخطها قريب من الخط الكوفي وقد نشر المقتطف سطوراً منها في م ١٨ ص ٣٦٨ حين الكلام على آثار طورسينا وهذه الكتب لا تقدّر بثمن . واذا اردتم كتب الطبع فأقدم كتاب عربي المزامير وقد طبع في مدينة جنوه سنة ١٥١٦ وذلك بعد استنباط الطباعة بالحروف بنحو ستين سنة او سبعين وكان استنباط الحروف العربية للطباعة في مدينة البندقية بين سنة ١٥١٠ وسنة ١٥١٤ وفي مكاتب اوربا العمومية قليل من الصلوات العربية التي طبعت حينئذٍ . ومن اقدم الكتب العربية المطبوعة قانون ابن سينا طبع برومية سنة ١٥٩٣ وكتاب اصول الهندسة لاقليدس طبع فيها سنة ١٥٩٤

(٣) زراعة قصب السكر

مصر . من اول من زرع قصب السكر في القطر المصري وفي اي زمن كان

ج . قصب السكر ينبت بريًّا ولا بدَّ من ان يكون الناس انتبهوا الى حلاوته من قديم الزمان. والظاهر ان اهالي الهند استخرجوا السكر من قبل زمن التاريخ . وفي تاريخ هيرودتوس اشارة صريحة اليهِ . وذكر سترابون المؤرخ ان في الهند قصباً يستخرج منهُ العسل . وكان سكر الهند يرسل الى اوربا في القرن الاول من

التاريخ المسيحي واسمهُ باليونانية سكاري من سوكرا باللغة السنسكريتية. وقد ذكر الصينيون انهم تعلموا استخراج السكر من الهنود في سنة ٧٨٠ق.م والظاهر ان العرب نقلوا زراعة قصب السكر الى مصر واوربا بعدما فتحوا بلاد الفرس ويقال ان الصينيين تعلموا تكرير السكر من المصريين . وكان لقصب السكر زراعة واسعة في مصر في زمن صلاح الدين الايوبي

(٤) بلادة الكبد

بحر الغزال . ماسبب بلادة الكبد

ج . قد يكون سببهُ احتقان في الكبد ناتج عن المأكولات الضارة او المشروبات الروحية او الملاريا او الاقامة في البلدان الحارّة . ومن اسبابهِ عدم وصول الغذاءِ الى الامعاءِ لزكام في الاثني عشري واقنية الصفراءِ . اما الادوية التي تزيد افراز الصفراءِ فهي كثيرة ويجب ان يصفها طبيب بالمقدار القانوني . ومنها بعض المياه المعدنية كماءِ هونيادي وماءِ كرلسباد . فهذه المواد تؤثر في الكبد نفسهِ وتزيد افراز الصفراءِ . وقد لا يكون لاخذها اقل فائدة بل قد ينتج عنهُ ضرر وخصوصاً متى كان السبب انسداد اقنية الصفراءِ فيفضّل حينئذٍ اخذ المسهلات ولا سيما الكالومل فانهُ لا يزيد افراز الصفراءِ ولكنهُ يفتح لها سبيلاً

(٥) اصل المسيحيين السوريين

دمشق . هل اصل دم المسيحي السوري او الروم الارثوذكس في سوريا من اليونان او الفينيقيين

ج . لقد كان في سوريا سكان من الارامين وغيرهم قبلما دخلها الفينيقيين فاختلطت انسابهم بانساب الفينيقيين ثم بانساب الامم التي تسلطت على سوريا من اليونان والرومان والاقباط والعرب والترك . ولم يكن هذا الاختلاط على درجة واحدة في كل سورية . ولكننا لا نظن ان الدم اليوناني كثير في سورية كالدم الفينيقي والاثنان اقل من الدم الارامي القديم وقد يكون اقل من الدم العربي الغساني في جهات دمشق وحوران . وهذا كلهُ رأي وتقدير لان تحقيق هذه المسائل من الامور الصعبة المعقدة . راجعوا مقالة هذا الجزء الاولى

(٦) الخراج في الثدي ومنعه

س ... كتبت الينا سيدة تقول انها اصيبت بخراج في ثديها لما ارضعت طفلها الأول وانها على وشك ان تضع طفلاً ثانياً. فماذا يجب ان تفعل لتتقي الخراج في ثديها قبل الولادة وحين الرضاع

ج . اسباب الخراج في الثدي ترجع الى مصدرين اولاً العدوى من مصدر داخلي كجذور الأسنان او اللثة او اللوزتين. والثاني العدوى من مصدر خارجي . فالأم تهمل غالباً العناية بحلمة ثديها في اثناء الرضاعة وبعدها فتمسها بيديها من غير غسلهما وتنظيف اظافرها او تضع قماشاً غير معقم او تطيل مدة الرضاع فتتشقق الحلمة وهكذا تتطرق المكروبات الى داخل الثدي فتحدث الخراج . فالواجب على السيدة المحترمة العناية بأسنانها ولوزتيها وغيرها من اماكن العدوى المركزية قبل الولادة وحفظ حلمتي الثديين من العدوى بعدها

باب الأخبار العلمية

خطوات الطيران في الصيف

الغراف زبلين

اصبح البلون الالماني المسيَّر غراف زبلين من اشهر السفن الهوائية التي امتطت اجنحة الهواء . ففي السنة الماضية طار من المانيا الى اميركا حاملاً للمرة الاولى في تاريخ البلونات المسيَّرة نفراً من الركاب ومقداراً كبيراً من البريد . وفي اوائل هذه السنة رحل رحلتهُ المشهورة الى بلدان الشرق الادنى ثم عقبها برحلة اخرى في ابريل الى البلدان التي حول الجانب الغربي من البحر المتوسط فزار فرنسا واسبانيا والمغرب الاقصى فاجتاز مسافة ٣٤٠٠ ميل في ٥٧ ساعة . وفي مايو زار ڤينا عاصمة النمسا . وفي ١٦ مايو حاول ان يطير الى اميركا ثانية حاملاً ماثقلهُ طنان من الرسائل والاكياس البريدية فاضطرَّ ان يرجع على اعقابهِ وهو لا يزال طائراً فوق شواطئ اسبانيا لان عطلاً اصاب محركاته الاربعة وكان قائدهُ يأمل ان يصل بهِ الى مقرهِ في فريدركسهاڤن ولكنه اضطرَّ ان ينزل الى الارض في بلدة كورس الفرنسية بعد ما وقف محركان من محركاتهِ عن الدوران في ١٧ مايو وكان قد قضى سابحاً في الجوّ ٣٨ ساعة ونصف ساعة بمحرك واحد . فلبث في كورس حتى جاءت المحركات الجديدة . وفي اول اغسطس رحل رحلة اخرى الى الولايات المتحدة فوصلها في ٩٣ ساعة فاختصر بذلك نحو عشرين ساعة من الوقت الذي استغرقتهُ رحلتهُ الاولى اليها . ثم عاد من اميركا الى فريدركسهاڤن عن طريق باريس فبلغها في ٥٥ ساعة . وكانت هذه السفرة بين اميركا وفريدركسهاڤن المرحلة الاولى من طيران الزبلين حول الارض وهو الطيران الذي يظلُّ مذكوراً بهِ ابد الدهر . فانهُ بدأ رحلتهُ هذه في ٨ اغسطس سنة ١٩٢٩ في لايكهرست باميركا وانتهى فيها في ٢٩ اغسطس اي ان رحلتهُ حول الارض استغرقت ٢١ يوماً ساعاتُ الطيران الفعلي منها ٤٨٨ ساعة وست دقائق او ١٢ يوماً وست دقائق . وكانت مراحل هذه الرحلة كما يأتي . من ليكهرست باميركا الى فريدركسهاڤن مسافة ٦٢٠٠ ميل اجتازها في

٥٥ ساعة و٢٤ دقيقة. من فردريكسهافن الى طوكيو باليابان مسافة ٦٨٠٠ ميل اجتازها في ١٠١ ساعة و٥٣ دقيقة. من طوكيو الى لوس انجلوس مسافة ٥٥٠٠ ميل اجتازها في ٧٨ ساعة و٥٨ دقيقة. من لوس انجلوس الى لايكهرست ٥٣٠٠ ميل اجتازها في ٥١ ساعة و٥١ دقيقة. وكان من ركابهِ في هذه الرحلة اللايدي درمندهاي الصحافية المعروفة في هذا القطر والسر هيوبرت ولكنز الرائد القطبي المشهور

عيد بلريو الفضي

في ٢٥ يوليو احتفل في انكلترا وفرنسا بانقضاء ٢٠ سنة على فوز بلريو الطائر الفرنسيّ بعبور المانش على متن طيارتهِ وذلك في ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٩. ففي ذلك اليوم التاريخي المشهور قام بلريو بطيارتهِ من كاله متجهاً الى دوفر وهي على ٢٢ ميلاً منها فنزل فيها بعد نصف ساعة. وفاز بجائزة مالية قدرها ٢٥ الف فرنك. اما في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٩ فقد امتطى بلريو — وقد اصبح الآن من صانعي الطيارات في فرنسا — طيارة من الطيارات الحديثة التي تصل بين باريس ولندن واعاد بطيرانهِ فوق المانش ذكرى ذلك اليوم الخالد في تاريخ الطيران حينما سخر منهُ الناس لما انبأ عن قرب انتظام المواصلات الجوية بين فرنسا وانكلترا. وقد احتفلت بهِ مدرسة السوربون تقديراً لعملهِ الجليل

٣٦٠ ميلاً في الساعة

في السابع من شهر سبتمبر الماضي تبارت انكلترا وايطاليا في سباق الطيارات البحرية لاحراز كاس شنيدر ففاز في المباراة الطائر الانكليزي اذ بلغ متوسط سرعتهِ نحو ٣٢٩ ميلاً في الساعة او نحو ٥٣٠ كيلو متراً. وتلاه بعد ايام الطائر الانكليزي اورلبار فبلغ متوسط سرعتهِ على مسافة ثلاثة كيلو مترات في خط مستقيم ٥٧٥ كيلومتراً او ٣٦٠ ميلاً في الساعة اي ستة اميال في الدقيقة وهي نصف سرعة الصوت تقريباً. وكانت اسرع سرعة بلغتها الطيارات التي دخلت المباراة الاولى من هذا النوع سنة ١٩١٣ لا تزيد على ٤٥ ميلاً وربع ميل في الساعة فبلغت الآن بعد ست عشرة سنة ثمانية اضعافها

التحليق في الجوّ

حلّق الملازم ابولوسوسك الاميركي في ١٠ مايو الماضي الى علو ٣٩١٤٠ متراً وتلاه الهرولي نونهوفن الالماني بعد اسبوعين فحلق الى علو ٤١٧٩٥ قدماً وقد طلب كلاهما ان يعتبر الارتفاع الذي بلغهُ قصب السبق في هذه الناحية من الطيران

جبابرة الجوّ الجديدة

على غلاف المقتطف هذا الشهر يرى القارىء صورة طيارة مائية المانية تمَّ بناؤها حديثاً وجربت على بحيرة كونستانس. وقد بلغت من الضخامة والقوة ما لم يسبق لهُ مثيل في تاريخ الطيارات. ففيها ١٢ محركاً تسيّرها قوتها ٦٣٠٠

حصان وفيها متسع لمائة راكب او اكثر جلوساً ونياماً عدا قائدها وملاحيها ومكان لمقادير كبيرة من الامتعة واكياس البريد

وقد وردت الانباء البرقية بأن الانكليز اتموا صنع البلونين الضخمين اللذين ينوون تسييرها الى الهند من جهة والى كندا من جهة اخرى وهما (ر ١٠٠) و (ر ١٠١) وجربوا احدها فنجحت التجربة . فسعة كلٍ منهما خمسة ملايين من الاقدام المكعبة من الغاز وفيهِ مكان لمائة مسافر مع امتعتهم ولمقدار كبير من الرسائل . وطول البلون الواحد ٧٢٠ قدماً وقطرهُ ١٣٢ ومقدار ما يرفعهُ في الجوّ ١٥٦ منها ٣٤ طناً يتقاضى عليها اجرة كركاب وبريد . وقوة محركاتهِ اربعة آلاف حصان وسرعتهُ ٧٠ ميلاً في الساعة ويستطيع ان يسير ٣٥٠٠ ميل بحملٍ كامل من غير ان ينزل الى الأرض . وفيهِ غرفة طعام تتسع لخمسين راكباً وفيهِ خمسون غرفة نوم في كل منها سريران وغرفة متسعة للجلوس والمطالعة والرقص

عبور الاتلنتيكي

كان طيارو فرنسا الشجعان في طليعة الطيارين الذين حاولوا ان يعبروا الاقيانوس الاتلنتيكي على متن طياراتهم . ولا يزال القراء يذكرون ما اثارهُ فقد تنجسر وكولي من الحزن والاسى لما نزلت بهم الطيارة في عرض الاوقيانوس الاتلنتيكي ولم يعرف مستقرها . وما زال الفرنسيون من سنة ١٩٢٧ يحاولون الفوز بهذه الامنية فلم يقدّر لهم الفوز الاَّ في صيف هذه السنة اذ قام اثنان من طياريهم جان اسولان ورنيه لفڤر على متن طيارتهما العصفور الاصفر — من بلدة اولد اورتشرد بولاية ماين الاميركية في ١٤ يونيو الماضي متجهين الى اوربا فاضطرا الى الانحراف عن خط لندبرغ المستقيم لاشتداد العواصف في وجههما فاتجها الى اسبانيا واضطرا الى النزول فيها على شاطئ كوميّاس بقرب سانتندر . ومما جعل رحلتهما شاقة اكتشاف فتى اميركي مختبىء في الطيارة بعد ما صارا فوق البحر فزاد ثقل الطيارة عن المقرر وتعرضت للخطر غير مرة

وتلا ذلك فوز طائرين اميركيين — روجر وليمز ولوس يانسي — باجتياز الاتلنتيكي على متن طيارتها « باث فيندر » ولكنهما اضطرا كزميليهما الفرنسويين ان ينزلا على مقربة من المكان الذي نزلا فيهِ لنفاد البترول مع ان غرضهما كان الوصول الى رومية من غير ان يقفا في الطريق . على انهما استأنفا الطيران الى رومية في اليوم التالي فوصلاها سالمين

وحاولت جماعات مختلفة من الطيارين البولونيين والفرنسيين الاسوجيين والاسبان اجتياز الاتلنتيكي من الشرق الى الغرب ففشلت كلها . وقد ظلت طيارة الاسبانيين — نومنشا — ستة ايام طافية على وجه الماء على مقربة من جزائر الازورس الى ان عثر عليها الطراد الانكليزي ايغل وجميع رجالها احياء

دوقة بدفورد

في الاسبوع الاول من شهر اغسطس الماضي فازت الدوقة بدفورد الانكليزية بالطيران من انكلترا الى الهند ذهاباً واياباً في ثمانية ايام . وكان لفوزها هذه رنة في محافل الطيران العالمية . والى القارىء بيان الرحلة ومراحلها: الجمعة ٢ اغسطس من لمبني بانكلترا الى صوفيا عاصمة بلغاريا ١٣٥٠ ميلاً . السبت ٣ اغسطس من صوفيا الى حلب ٨٥٠ ميلاً . الاحد ٤ اغسطس من حلب الى بوشير على خليج فارس ١٠٩٠ ميلاً . الاثنين في ٥ اغسطس من بوشير الى كراتشي بالهند ١٠٦٠ ميلا

ثم عادت بالطريق نفسها في اربعة ايام فوصلت كرويدون في ٩ اغسطس . وكانت تبدأ رحلتها كلَّ يوم عند بزوغ الفجر . واطول مدة ظلّت محلقة في الجوّ كانت ١٥ ساعة وقد ارسل اليهما ملك انكلترا برقية تهنئة

١٧ يوم في الجو

فاز في اوائل الصيف طياران اميركيان بالبقاء في الجو ٢٤٦ ساعة وكانا في اثناء ذلك يملآ ن احواض طيارتهما بانابيب تمدُّ اليها من طيارة اخرى تحلق فوقها . وتقدر المسافة التي قطعاها في اثناء ذلك بنحو ١٧ الف ميل اي نحو ثلاثة ارباع محيط الكرة الارضية . ولكن في ١٣ يوليو امتطى طياران اميركيان آخران طيارة من صنع كرتس وروبرتسن وحلقا بها فوق مدينة سانت لويس فظلاَّ محلقين ١٧ يوماً ملئا احواض طيارتهما ٤٧ مرة في اثنائها ولما نزلا الى الارض كان المحرّك لا يزال دائراً وانما نزلا تلبية لطلب المستر روبرتسن مدير المعامل التي صنعت طيارتهما وشملها برعايته

الأستاذ بافلوف

لم تقضِ الشيوعية في روسيا على البحث العلمي كما يُظَن . بل هي في كثير من نواحيهِ تقود العالم اليوم . فالاستاذ بافلوف الفيزيولوجي الروسي المشهور يحسب زعيم علماء الفسيولوجيا في جميع الأمم . منح سنة ١٩٠٤ جائزة نوبل الطبية لمباحثهِ في فسيولوجية الهضم . وعني حديثاً بدرس اثر المراكز العصبية العليا — المخ والمخيخ — في سيل اللعاب وابتدع لذلك طريقة بارعة رفعتهُ الى المقام الأول بين علماء الأرض . لذلك احتفلت امم الأرض ببلوغهِ سن الثمانين ودعي الى الولايات المتحدة لالقاءِ خطب فيها وترجمت مجموعة خطبهِ الحديثة الى اللغة الانكليزية ونشرت في الشهر الماضي

ولد في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٤٩ وتلقى العلوم العالية في جامعة بطرسبرج (لننغراد الآن) ثم اشتغل بالمباحث الطبية وأبدى براعة خاصة في المباحث التجريبية . فأرسل الى المانيا وبقي سنتين يدرس في معامل لدوغ وهيدنهان ثم عاد الى روسيا فعُيِّن

مناصب تعليمية عالية فيها والتف حوله جماعة من الطلاب يصح ان نسميهم مدرسة بافلوف الآن لجريهم على اساليبه العلمية في البحث. ودارت مباحثهُ الأولى (ابتداء من سنة ١٨٧٨) على فسيولوجية الدورة الدموية. ولما دعي سنة ١٩٠٦ الى لندن لالقاء خطبة هكسلي التذكارية رحّب بهِ الانكليز اعظم ترحيب. وسنة ١٩٠٧ انتخبوهُ عضواً اجنبيًّا في جمعيتهم الملكية وسنة ١٩١٥ منحوهُ وسام كوبلي لمباحثه في فسيولوجية الهضم

تجربة التلفزة

يعرف قرَّاء المقتطف ما هي التلفزة. هي الرؤية عن بُعدٍ فكأن بصر الانسان قد زاد بها قوة ونفوذاً فيرى ما هو حادث في اماكن تبعدعنهُ ولا يصل اليها ببصره — يرى الحوادث في ابان حدوثها منقولةً اليهِ على اجنحة الأثير. ومن اشهر المستنبطين في هذا الفرع من الفنون اللاسلكية المستر بايرد الانكليزي. وقد سبق لنا وصف اسلوبهِ وما بني عليهِ. وسنعود الى ذلك في فرصة اخرى

انما يهمنا الآن ان نبلغ القراء ان المستر بايرد جرَّب تلفازه بتجربة علنية عامة في ٣٠ سبتمبر الماضي. فأقام في محطة الاذاعة التلفاز المرسل واقام في فندق سافوي بلندن ومركز البريد العام والمعرض اللاسلكي باولمبيا وفي منزله الخاص تلافيز لاقطة ودعي الى هذه الاماكن المختلفة طائفة من رجال العلم والصحافة والصناعة فشوهد اولاً السر امبروز فلمنغ ثم شوهد الاستاذ اندريد ثم الماجور تشرش محرر مجلة الريالست. فكان الحضور يرون حركات هؤلاء الرجال وسكناتهم واضحة كل الوضوح. وقد القى السر امبروز فلمنغ خطبة موجزة بين فيها ارتقاء اللاسلكي والفوائد الجمة التي تجنى من التلفزة في المستقبل. وشركة بايرد تذيع كل يوم من تلفازها المرسل ما يستطيع صاحب كلّ تلفاز لا قطٍ ان يتمتع برؤيتهِ.

ومما يدعو الى الاعجاب ان شركة بايرد لم تصنع حتى الآن الاّ خمسة تلافيز لاقطة. ولكن ان نفراً من الهواة بنوا تلافيز لاقطة جرياً على التعليمات التي تنشرها مجلة « التلفزة » واستعملوها يوم التجربة العامة فنجحت

ولا نغفل في هذا المقام ذكر النبإِ الذي اطلعنا عليهِ في مجلة العلم العام الاميركية ان طريقه استنبطت لجعل التلفزة بالالوان الطبيعية

عيد الفلكي هول

في ١٥ اكتوبر الماضي احتفل علماءُ الفلك بانقضاء مائة سنة على ولادة الفلكي الأميركي اساف هول مكتشف قمري المريخ فوبو وديموس. ولد في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٢٩ في بلدة غوش بولاية كونكتيكت ويُتّم وهو في الثالثة عشرة من عمره فترك مدرسة القرية الابتدائية ليشتغل بالتجارة على انهُ كان ذكيًّا مجتهداً فلم يترك ساعة من ساعات فراغهِ الاّ دأب على العلم لحذق

الرياضيات ودخل جامعة مشيغن لتلقي العلوم العالية فيها . وسنة ١٧٥٧ عُيّن مساعداً في مرصد جامعة هارفرد وكان راتبهُ الاسبوعي ثلاثة ريالات اي نحو ٢٤٠ غرشاً في الشهر. وسنة ١٨٦٢ انتظم في سلك المرصد البحري بوشنطن وفي السنة التي تلتها عيّن استاذاً للرياضيات في البحرية الاميركية. وسنة ١٨٧٥ عهد اليهِ في ادارة تلسكوب كاسر قطره ٢٦ بوصة فكشف بهِ في ١١ اغسطس ١٨٧٧ عن قمري المريخ وكان كبلر قد تنبأ بوجودهما . فمنحتهُ الجمعية الفلكية الملكية وسامها الذهبي . وبعد ما استقال من منصبهِ في البحرية الاميركية عين استاذاً للفلك في جامعة هارفرد وذلك سنة ١٨٩٦ فظل يشغلهُ الى ١٩٠١ وتوفي سنة ١٩٠٧

اللاسلكي في الفنادق الاميركية

تقوم الآن الدعائم الفولاذية الضخمة التي تتكوّن منها اصلاب صروح اميركا الفولاذية التي تسمى « ناطحات السحاب » مقام جهاز لاسلكي متقن لنقل الأنغام الموسيقية والأغاني بالأمواج الكهربائية اللاسلكية الى غرف الفنادق لاطراب النازلين فيها . ومخترعا هذه الطريقة هما الدكتور ساتيرلي الخبير في اشعة رنتجن بأميركا والمهندس لويس كالوزسي النمساوي تُكيَّف الأجهزة اللاسلكية المركزية الرئيسية المعدة لتلقي الاغاني والانغام في الفندق حتى تطابق تموج الأمواج الأثيرية التي تذيعها محطات الاذاعة في منطقة نيويورك ويقوم أحد الأعمدة العادية المقامة عليها الاسلاك اللاقطة للأمواج اللاسلكية بالتقاط الانغام فتلتقطها أجهزة الاستقبال كالمعتاد . وهناك سلسلة من الرقاصات اللاسلكية متصلة بالاجهزة المستقبلة وبالدعائم الفولاذية للصروح أيضاً تطلق أمواجاً كهربائية جديدة تخترق الدعائم الفولاذية وتصل الى جميع أنحاء الصرح

وما على الضيف الذي يرغب في التمتع بالملاهي اللاسلكية الاّ أن يضع ذكر « كوبس » جهاز الاستقبال المودع في حجرته في بؤرة النور الكهربائي فيصل التيار الكهربائي بالجهاز فيدور ثم يوجه (النزيل) اسلاك الجهاز الى المحطة اللاسلكية التي يتوق الى سماع أنغامها . ولما كان موقع الفندق النيويوركي الذي تم فيه هذا الاختراع غير شائق بطبيعته فقد كان اقبال النزلاء عليه من قبل ضئيلاً بحيث لم يكن يشغل من غرفه بالضيوف أكثر من ١٠ في المائة من عددها ، ولكن بعد توزيع الأغاني اللاسلكية على حجره غصّ بالنازلين فيه من كل حدب وصوب . وقد اتضح أن نفقات توصيل الأنغام الى الغرف بالوسيلة المتقدمة تقل ٩٠ في المائة عنها اذا تم التوصيل بالاسلاك ولذلك يقول الدكتور ساتيرلي إن جهازه هذا سيركب في نحو ١٠٠ صرح في جميع أنحاء الولايات المتحدة

مؤتمر الدواجن الدولي

يعقد في يوليو ١٩٣٠ مؤتمر دولي للدواجن في القصر البلوري بلندن وقد اجابت ٣٤ امة من الامم التى وجهت اليهم الدعوة بقبولها الاشتراك فيه

ضوء الشمس في خميرة البيرة

اصبحت خميرة البيرة من المواد الغذائية التي تعالج بضوء الشمس الصناعي الذي يتولد من المصابيح الكهربائية القوية وغدا القرص الواحد من الخميرة السابقة الذكر يحتوي على فوائد صحية تعادل ما يكتسبه المرء من التعرض لأشعة الشمس مدة تتراوح بين ساعتين وثلاث ساعات . لأن المادة المفيدة التي تحتويها الخميرة بعد معالجتها بالمصباح الكهربائي المولد للأشعة التي فوق البنفسجي وهي الفيتامين الدالي (نسبة الى حرف الدال في الابجدية) تشبه الفيتامين الذي يكتسب من زيت كبد الحوت (البكلاه) . ومع ان الرأي العلمي القاضي بالحصول على ضياء الشمس بطريقة غير مباشرة حديث العهد ، فقد بادرت طائفة من الشركات التي تصنع المواد الغذائية الى تركيب المصابيح الكهربائية ذات النور المماثل لنور الشمس لمعالجة ما تصنعه من المواد الغذائية . وأساس هذا الرأي ان العنصر المكون المظلم (أي الفيتامين الدالي) إذا حرمه ... في غذائه العادي أتيح له تعويضه إياه إمّا بالتشمس في الشمس وإمّا بالتعرض لنور المصابيح الكهربائية التي ينبعث منها ضياء يكاد يضارع ضياء الشمس الطبيعي واما بأكل المأكولات المعالجة بضوء الشمس الصناعي

ذلك ان أشعة النور التي فوق البنفسجي الموجودة في نور الشمس وفي نور بعض المصابيح الكهربائية هي العامل الاصلي في الطرق الثلاث

وقد تستهدف الموادالتي تحت الجلد والتي في الاطعمة أيضاً لتغير كيماوي واضح بتأثير الاشعة فيتحول الارجوستيرول في الاطعمة الى فيتامين دالي وحينئذ تتجلى قوتها المنعشة

اما اثبات كون التغذي بالاغذية المشممة يؤثر في الجسم كتأثير التشمس الطبيعي او الصناعى فيرجع تاريخهُ الى عام ١٩٢٤ حينما غذى الدكتور هاري ستينبوك الاستاذ بمدرسة ويسكونسن الجامعة طائفة من فئران كان قد حبسها في مكان مظلم بحبوب مشمسة فشفاها من الكساح

واما اضافة خميرة البيرة الى قائمة الاغذية المشمسة تشميساً صناعياً فليس الاَّ خطوة جديدة الى الامام في سبيل « ادخار ضياء الشمس في القوارير » وبذلك يتاح للمرء الذي لا يستطيع الاقامة على ساحل البحر أو على الجبال الحصول بلا شك على فوائد الشمس الصحية وهو في بيته عن يد خبراء العلم الذين تمكنوا من ادخار ذلك الضياء في الغذاء الذي يتناوله

التليفون اللاسلكي في الطيارات

اخترع المسيو مارسيل منجيه المهندس الفرنسي جهازاً لاسلكياً جديداً يولد أمواجاً كهربائية قصيرة المدى يستطيع بها الطيار المحادثة اما تليفونياً واما تلغرافياً مع اصدقائه الذين على الأرض . ومتى وصلت الرسالة الى سطح الأرض والتقطتها الأجهزة المعدة للاستقبال أعادت تصديرها بقوة كهربائية جديدة تنبعث منها الى الجهات المرسلة اليها الرسالة وذلك على اسلاك التليفون . ويزعم المخترع انه يتيسر له بجهازه هذا المحادثة التليفونية الى بعدٍ يتراوح بين ١٢٠٠ ميل و١٥٠٠ ميل وارسال الاشارات التلغرافية الى بعد ٦٠٠٠ ميل

مرضع ميكانيكي

عرض حديثاً في شيكاغو حامل ميكانيكي لرضاعة الطفل يوفر على الأم مشقة القبض على (الرضاعة) ريثما ينتهي الطفل من رضاعه ويتكوَّن هذا الجهاز من ذراع مرنة مثبتة بقاعدة ثقيلة (مثل قاعدة المصباح الكهربائي الذي يوضع على المكاتب وذراعه) وفي طرف الذراع مشابك تقبض على القارورة فيمكن توجيهها الى أي اتجاه . حتى اذا ما فرغ الطفل من رضاعه رفعت القارورة وحينئذ يمكن ثني الذراع المرنة الى اسفل فيتيسر ايداعهُ في حيز صغير حتى يحتاج اليها مرة أخرى

نجاح مؤلف

وضع كاتب الماني يدعى ارخ ماريا رمارك رواية موضوعها « سكينة مخيمة على الميدان الغربي » وصف بها اهوال الحرب كما رآها وعاناها جندي بسيط فنالت رواجاً عظيماً في المانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة . فقد اطلعنا في مجلة الترري ديجست الأميركية ان مجموع النسخ التي بيعت من هذا الكتاب بلغ ١٥٧١٠٠٠ منها ٨٠٠ الف في المانيا و ٢٤٠ الفاً في اميركا و٢١٩ الفاً في فرنسا و ١٩٥ الفاً في انكلترا . وقد قدرنا المؤلف ربح من كتابهِ هذا بما لا يقل عن مائة الف جنيه ! فتأمل

عالم هندي

نقلت الينا مجلة ناتشر خلاصة خطبة علمية للعالم الهندي الاستاذ موكرجي في موضوع كيماوي عويص هو موضوع الصفات الكيماوية والطبيعية للذرات الكوليدية وهو فرع جديد من فروع الكيمياء . واشارت الى ان خطبة الاستاذ المذكور ومباحثهُ تدلُّ على الخطوات الواسعة التي خطاها البحث العلمي في الهند « وانهُ لو اتيح لنخبة علماء اوربا واميركا سماع خطبتهِ هذه لاصغوا لها بمتابعة ولذة » وهذا تناه نفاخر بهِ ونتمنى ان يكثر امثال الاستاذ موكرجي في بلدان الشرق

الجزء الرابع من المجلد الخامس والسبعين


KEATING
POUDRE ...CIDE KEATING
مسحوق كيتنج يقتل جميع الهوام والحشرات
والناموس. رش كل يوم قليلا من كيتنج حول
رجلي السرير وفي غرفتك فتنجو من البق والناموس
والصراصير والخنفس وجميع الحشرات
Ils sont tous f..chus!

المقتطف

أنشىء سنة ١٨٧٦



كهنة المايا يرصدون غروب الشمس . انظر صفحة ٤٨٨

Al-Muktataf

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك ... القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية ... والعراق ١٢٠ غرشاً ... وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميركية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من ناظر المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا ... بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن نجتهد أن تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت لهُ خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F Nimr

SUBSCRIPTION PRICE . Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars
Foreign 120 P.T. or 6 Dollars



اناء رخامي منقوش



اناء خزفي بديع

درتان من درر فن « المايا » وجدتا في اميركا الوسطى

انظر صفحة ٤٩٢

المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الخامس من المجلد الخامس والسبعين
١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ — ٣٠ جمادى الثانية سنة ١٣٤٨

المجمع المصري للثقافة العلمية

نخطُّ هذه الكلمات وهزة الطرب تبعث في اليراعة رعشة الحياة ، وبسمة التفاؤل تفتح امام البصيرة كوة الخيال فتطلُّ منها على مستقبل العلم في هذا القطر السعيد فتلفيهِ زاهياً زاهراً يعيد الى الذهن عهد الازدهار العلمي والفنّي في الاسكندرية حاضرة البطالسة، وعصر مدرسة الحكمة في بغداد عاصمة العباسيين، ومطلع النهضة العلمية الاوربية في القرن التاسع عشر. ذلك ان عزيمة طائفة من علماء هذا القطر والمشتغلين بنشر العلم فيهِ قد صحت على تأليف مجمع علمي يدعى « المجمع المصري للثقافة العلمية » تتلخص اغراضهُ فيما يأتي نقلاً عن دستورهِ :

اولاً : نشر الثقافة العلمية باللغة العربية — ثانياً : ترقية اللغة العربية بكتابة المباحث العلمية بها ونشرها — ثالثاً : انشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من ابناء اللغة العربية في كل الاقطار

والطريقة التي ينوي ان يجري عليها لتحقيق اغراضهِ تشتمل على ما يأتي :

اولا — عقد مؤتمر سنوي لالقاء الخطب العلمية وتلخيصها ونشرها ثم طبعها كاملة في مجموعة توزع وتباع . ثانياً — القاء خطب علمية دورية . ثالثا — عدم تعرضهِ للسياسة والدين

وغني عن البيان ان العربية لغة المجمع والقاهرة عاصمة المملكة المصرية مركزه

فغرض المجمع كما تقدم رفع مستوى الادراك العلمي في البلاد العربية اللسان وخدمة اللغة العربية عن طريق نشر العلم بها بالخطب الدورية تلقى وتذاع وبالحضّ على اتخاذ طريقة البحث العلمي اساساً للتفكير وبيان الفوائد الجمة التي تنشأ عنها في ميادين الكشف العلمي والارتقاء الاجتماعي . فاللغة العربية غاية ووسيلة في آن واحد . ولكن المجمع يريد

حية مطواعة تؤاتي كتابها وقارئيها . لذلك لن يحجم اعضاؤه عن احياء كلام العرب المهجور اذا كان هذا الاحياء وافياً بالغرض . ولا عن التعريب اذا كان التعريب لا مندوحة عنهُ ابقاء على الصلة بتيارات الفكر العلمي في الغرب . ولكنهم سيحتفظون كلَّ الاحتفاظ بحلتها العربية وبروحها التي تميّز بها عن سائر اللغات. وكون المجمع هيئة علمية لا لغوية لا يحول دون اتصال اعضائهِ بالهيئات اللغوية المختلفة للاخذ بما تسنهُ من قواعد وتقترحهُ من الفاظ

وقد ابعد منشئوهُ الموضوعات الأدبية وما اليها عن دائرة مباحثهِ ولم يختاروا للانضمام الى هيئة مجالسهِ الاّ العلماء والمشتغلين بالمباحث العلمية ونشرها لأن انطواء غرض المجمع على اغراض متنوعة يجعل تحقيقها كلها بعيد المنال . ولأن المذاهب الأدبية وما اليها تقوم على الذوق الخاص والنزعة الخاصة وهذا قد يفضي الى عدم اجتماع الكلمة في دور التكوّن. اما الآراء العلمية فتقوم في الغالب على حقائق تقاس وتحصى وتوزن ويستطاع اعادة قياسها واحصائها ووزنها حتى يتفق المختلفون عليها . ولا ريب في ان اجتماع الكلمة بين اعضاء مجمع وليد يرمي الى تحقيق غرض بعيد المنال لامندوحة عنهُ للنجاح

وفيما يلي اسماء الاعلام الذين تفضلوا فآزروه بانضمامهم الى مجالسهِ حتى كتابة هذه السطور

الدكتور علي بك ابراهيم — عميد كلية الطب المصرية ووكيل الجامعة المصرية — رئيس المجمع لسنة ١٩٣٠

الدكتور محمد شاهين باشا : وكيل الداخلية لشؤون الصحة

الدكتور فارس نمر

الدكتور خليل عبد الخالق — استاذ الطفيليات بكلية الطب المصرية

الدكتور علي مصطفى مشرفة — استاذ الرياضة التطبيقية بالجامعة المصرية

حسن بك صادق — دكتور في الفلسفة ووكيل مصلحة المناجم والمحاجر

الدكتور محمد شرف : الجراح بمستشفى الملك بالقاهرة

الدكتور عبد العزيز احمد : مدير مدرسة الهندسة سابقا ووكيل عام مصلحة الميكانيكا والكهرباء بوزارة الاشغال

الدكتور كامل منصور — مدرس الحيوان بالجامعة المصرية

الدكتور محمد رضا مدور — الفلكي المقيم بمرصد حلوان

الدكتور جورجي صبحي — استاذ اللغة القبطية بالجامعة المصرية

الاستاذ اسماعيل مظهر — صاحب مجلة العصور

الدكتور علي حسن — الاستاذ المساعد لعلم وظائف الاعضاء بكلية الطب

الاستاذ سلامه موسى — صاحب المجلة الجديدة ومحررها

الدكتور شخاشيري

الدكتور احمد زكي ابو شادي — بكتيريولوجي بمعامل الصحة الفنية

الاستاذ فؤاد صروف — محرر مجلة المقتطف — سكرتير عام دائم

الاستاذ كامل كيلاني — سكرتير مساعد

ومما يفاخر بهِ المقتطف ان كانت دارهُ ندوة عقد فيها الذين فكروا في انشاء هذا المجمع اجتماعاتهم فكان تأسيسهُ فيها اعظم جزاء لهُ على اربع وخمسين سنة قضاها في ميدان الثقافة العلمية يجاهد في سبيل نشرها وتمكين اصولها في العقول . وانهُ لمن اكبر بواعث غبطتنا ان لا نختم هذه السنة الا ونحن نزفّ الى العالم العربي هذا النبأ السارّ

« المحرر »

السرطان والاشعة الكونية

مذهب علمي جريء

في تعليل اصل السرطان وزيادة انتشاره

السرطان

﴿ زيادة انتشاره ﴾ لا يزال العلم يخبط خبط عشواء في امر السرطان فانهُ يجهل سببهُ البعيد ولا يعرف دواء يشفي منهُ . ولكن الامر الذي لا شبهة فيهِ ان انتشار السرطان بين الناس آخذ في الازدياد وان الوفيات بهِ تتكاثر تكاثراً مطرداً . فقد بلغ عدد الوفيات بانكلترا ويلس سنة ١٩٢٢ نحو ٤٩٠ الفاً منهم نحو ٤٧ الفاً ماتوا بالسرطان . ويقدَّر عدد قتلاهُ باميركا سنويًّا بنحو مائة الف نسمة . ويؤخذ من الاحصاءات الرسمية في انكلترا ان عدد الوفيات بهِ سنة ١٨٩١ كان ٦٩٢ في المليون فصار ٨٤٤ سنة ١٩٠٢ و ١٢٢٩ سنة ١٩٢٢ فكانهُ زاد ضعفين في ٣٠ سنة وبعض هذه الزيادة نتج عن زيادة التدقيق في معرفة المرض الذي سبَّب الوفاة ومن ان متوسط عمر الانسان قد زاد فزاد عدد الذين يتعرضون لهُ لانهُ من امراض الكهولة والشيخوخه . ولكن لا شبهة في ان زيادة الوفيات بهِ ناتجة عن زيادة انتشارهِ . وقد قال لورد موينيهام الجراح الانكليزي الذائع الصيت ورئيس كلية الجراحين بلندن ان المصابين بهِ الذين يطلبون المعالجة اكثرهم تتسع لهُ الوسائل المعدة لذلك

﴿ تكوُّن نواميهِ ﴾ من الامور المعروفة عن السرطان كيفية تولدهِ . فكل عضوٍ من اعضاء الجسم مؤلف من دقائق صغيرة خاصة بهِ تسمى خلايا . وبها يعمل كل عضوٍ عملهُ الخاص بهِ فالغدد اللعابية مؤلفة من دقائق او خلايا تفرز اللعاب . والقلب مؤلف من خلايا عضلية تنقبض وتتمدد فتدفع الدم في الشرايين . والدقائق المؤلف منها جسم الانسان متصل بعضها ببعض بالياف دقيقة هي خلايا مثلها ولكنها خلايا مستطيلة . ودقائق العضو الواحد تنمو معاً مواظبة على عملها كانها افراد شعب جمهوري دقيق الانتظام يعمل كل فرد منهم لخير المجموع . حتى اذا اصابت عضواً آفةٌ من الآفات وقتلت بعض دقائقهِ — كجرح — اهتمت الدقائق التي حولها ببناء او توليد دقائق اخرى بدلاً منها حول الجرح حتى يلتئم. ولكن نموّ الدقائق مقيد في كل الاحوال فلا يتجاوز حدًّا محدوداً فينمو الانسان من طفولتهِ الى ان يبلغ اشدَّهُ وهذا النموّ مقيَّد في مدتهِ ومقدارهِ ومداه. ولا نعلم ماهية هذا القيد الذي يقيِّد الخلايا ولكنهُ امر واقع لا شبهة فيهِ

ولكن بعض هذه الخلايا او الدقائق ينشز فيكسر القيود التي تقيده ويتخطاها ويجعل ينمو نموًّا طليقاً فاذا وقع ذلك في الجلد نمت دقيقة من دقائقهِ حيث لا داعي لنموها وانقسمت الى اثنتين وكل واحدة منها تنمو وتنقسم الى اثنتين وارثة هذا الميل من امها فتصير الدقائق اربعاً . وكل واحدة تنمو وتنقسم وهلمَّ جرًّا. ومتى حدث هذا النمو والانقسام احدى عشرة مرة صارت الدقيقة الواحدة اكثر من الفي دقيقة ومتى كثرت احدثت ورماً هو السرطان او طليعتهُ . على ان هذا الورم اذا ظلَّ محصوراً في مكانهِ فلا خطر منهُ ولا خوف اذ يسهل استئصالهُ بمبضع الجرّاح فاذا لم يستأصل فقد تنفصل منهُ بعض خلاياهُ وتجري في الدم الى اعضاء الجسم المختلفة حتى تصل الى عضوٍ يعوق سيرها فتقف وتجعل تنمو فيهِ وتتكاثر فيتكوَّن فيهِ نموٌّ سرطاني . وينمو السرطان رويداً رويداً الى ان يصيب عضواً من الاعضاء الحيوية فيمنعهُ عن القيام بأعماله فيموت المصاب بهِ

﴿ الأقوال في سببها ﴾ ما السبب الذي يحمل بعض الخلايا على كسر القيود التي تقيد بها في نموّها فتتكاثر في انسجة جسم قد ادركهُ الهرم والشيخوخة الى ان تصبح نموًّا سرطانيًّا ؟ هذا سرٌّ لم يكشف العلم عنهُ حتى الساعة وقد تضاربت فيهِ الأقوال والآراء . فمن العلماءِ فريق يذهب الى ان بعض العادات الغذائية تسببهُ وفريق آخر يقول بأنهُ التهييج المتوالي في نسيج من الأنسجة ويلقي اللوم على الامساك في احداثهِ سرطان المعدة بتهييج انسجة المعدة تهيجاً متوالياً . وآخرون يقولون ان الصراصير منشأه لأن دوداً يعيش فيها ينتقل منها الى بعض الأطعمة فيؤكل معها فيتصل ببعض الأنسجة ويحدث فيها تهيجاً مستمراً ينشأ عنهُ السرطان . وانقسم الباحثون الى فريقين ففريق يقول ان المرض مكروبيٌّ وأن هناك مكروبات خاصة تحدثهُ مع انها على صغرها لا ترى بالمكرسكوب وتمر في ادق المرشحات مسامَّ على انها لا تحدثهُ الاَّ اذا وجد معها عامل آخر. اما ما هو هذا العامل فلا يعرف الآن . والفريق الآخر يقول بأن السرطان مرض غير مكروبي وان خلايا الجسم في دور تكونها تتأثر بانسحاب هرمون من الدم لهُ عليها القوة والسيطرة فتنفك من قيودها وتنمو كما تقدم . ويقولون انهُ لو كان مكروبيًّا لأصاب جميع الناس على اختلاف اعمارهم صغاراً او كباراً ولتابع دستور كوخ الخاص بالعدوى المكروبية ولكنهُ في الواقع لا يصيب عادةً الاَّ المتقدمين في السن

﴿ طرق علاجهِ ﴾ اما الوسائل المتبعة في معالجتهِ فاثنتان (الأولى) مبضع الجرّاح وهو يفيد اذا كشف عن الورم السرطاني في بداءتهِ. فقد اثبت احد الجرّاحين انهُ شفي نصف الحوادث التي عالج السرطان فيها بنزعهِ . ولكن النمو السرطاني في بداءتهِ لا يؤلم فيتعذر الانتباه

لهُ قبل استفحال امره وخصوصاً اذا كان في احد الأعضاء الداخلية. ومتى بلغ هذه الدرجة يكون قد انفصل عنهُ خلايا يرجّح انها تحدث نوامي سرطانية في اعضاء وانسجة اخرى في الجسم . فاذا استؤصل النموّ الأصلي فكيف نكشف عن النوامي الأخرى التي في دور التكوّن ؟

والطريقة ﴿ الثانية ﴾ هي استعمال اشعاع الراديوم وأشعة اكس في اتلاف الخلايا السرطانية من غير اتلاف الخلايا الحيّة الطبيعية في النسيج الذي يحيط بالنموّ السرطاني . والقارىء لا شكَّ يعرف ان الاشعاع مظهر من مظاهر الانحلال في جواهر المادة اذ يتحول عنصر الى آخر في صفاتهِ الطبيعية والكيماوية فيتحول الراديوم الى رصاصٍ مثلاً . وفي اثناء هذا الانحلال والتحول يطلق العنصر اشعة . وهذه الأشعة قد تكون ذرّات مادية دقيقة تنطلق من الجسم المشعّ كأشعة ألفا وبيتا المنطلقة من عنصر الراديوم . وقد تكون حركة موجية في الأثير كأشعة غمّا التي تنطلق من الراديوم كذلك. اما اشعة الفا فلا فائدة منها للجرّاح . وأما اشعة بيتا فقد تفيد في بعض الأحوال . اما اشعة « غمّا » فهي معتمد الأطباء في العلاج فيستعملها الجرّاح بادخال ابرة معدنية في النمو السرطاني وداخل الابرة يضع احد مركبات الراديوم . وتكون جوانبها كثيفة تمنع خروج اشعة الفا وبيتا منها ولكنها لا تمنع خروج اشعة غمّا فتتصل بخلايا النمو السرطاني حولها . اما كيف تفعل هذه الأشعة بالخلايا السرطانية فالرأي الراجح انها تطلق الكهارب من بعض الجواهر في الخلايا السرطانية فتنحلُّ وتتلف ولكنها لا تفعل ذلك بالخلايا الطبيعية لأنها في رأي بعض العلماء اثبت بناء من الخلايا السرطانية غير الطبيعية

الاشعة الكونية

يعلم قراء المقتطف ما هي الاشعة الكونية فقد بسطناها لهم في مقالات سابقة واتينا على طريقة الكشف عنها وما يقولهُ فيها اهم الكاشفين عنها روبرت مِلِكَنْ الاميركي . والى القارىء خلاصة موجزة مما يرتبط منها بهذا البحث [(١)]

مهما يكون النور ساطعاً وسواء كان نور الشمس او نور مصباح فان ورقة رقيقة تحجبهُ ومنذ عهد غير بعيد (١٨٩٥) كشف عن النور المسمّى باشعة اكس او اشعة رنتجن وثبت انهُ اقوى نفوذاً من نور الشمس وانهُ ينفذ مواد كثيرة لا ينفذها نور الشمس فنستطيع ان نرى بهِ عظام الانسان لانهُ ينفذ اللحم ولا ينفذ العظام . والرصاص من اشهر المواد التي لا تنفذها هذه الاشعة بسهولة فان لوحاً منهُ ثخنهُ سنتمتر ونصف سنتمتر يحجبها . وعليهِ ترى المشتغلين بالراديوم واشعة اكس يلبسون في ايديهم كفوفاً من الرصاص ويضعون على

(١) راجع مقتطف فبراير ١٩٢٦ ص ١٦٣ ومقتطف مارس ١٩٢٧ ص ٣١١ ومقتطف مارس ١٩٢٨ صفحة ٣١٦ ومقتطف يوليو ١٩٢٨ صفحة ٢

اجسادهم اغطية من الرصاص ويضعون الراديوم في انابيب كثيفة مبطنة بالرصاص لان لاشعة اكس ولبعض الاشعة التي تنطلق من الراديوم فعلاً قويًّا يميت الخلايا اذا اشتدَّ فعلهُ وقد مات اكثر من عالمٍ واحدٍ متأثراً بفعل الراديوم واشعته

وقد ثبت حديثاً لجمهور من الباحثين انهُ تصل الى الارض من الفضاء اشعة اشدّ نفوذاً من اشعة اكس لانها تنفذ في لوح من الرصاص سمكهُ نحو ١٧ قدماً اي انها تفوق اشعة اكس نحو ٤٠٠ ضعف في قوة نفوذها . واشترك في الكشف عن هذه الاشعة الاستاذ غوكل وهس السويسريان والاستاذ كولهرستر الالماني والاستاذ ملكن الاميركي ومساعدوهُ . الاّ انها نسبت الى الاخير وتعرف باسمهِ كما تعرف اشعة اكس باسم رنتجن لانهُ اثبت وجودها وقاس قوة نفوذها قياساً علميًّا وابان ان مصدرها من الفضاء خارج جوّ الارض بل خارج المجرة وانها رسل تنبئ بان عمل التكوين جار الآن في السدم التي تصدر منها وهذا التكوين انما هو تكوين العناصر من موادها الاساسية. فعل ذلك بسلسلة من التجارب العلمية البديعة تحسب مثالاً ينسج على منوالهِ في البحث العلمي

السرطان والاشعة الكونية

يذهب الاستاذ ملكن الى ان قوة الاشعة الكونية التي تصل الى الارض تبلغ عشر القوة التي تصلها من النجوم نوراً وحرارة . وهذه القوة الضئيلة لا ينتظر ان يكون لها اثر ما في الكائنات الحية على سطح الارض . ولكن لنفرض ان هذه القوة زادت اضعافاً وصار لها اثر فعال في تكاثر الخلايا الحية ونموّها . فالمرجح ان حادثاً من هذا القبيل يزيل كل النوامي السرطانية من الاحياء التي تصاب بها . لاننا لا نعلم سبباً يمنع هذه الاشعة الشديدة الاختراق للاجسام المنتشرة في كل انحاء الفضاء من ان تفعل فعل اشعة غمّا او اشعة اكس التي يستعملها الجراح في العلاج الموضعي . لا بل يرجح العلماء ان اشعةً اضعف من اشعة غما او اكس تفعل فعل هذه في اتلاف الخلايا السرطانية الناشزة اذا استمرَّ فعلها . فيصبح السرطان حينئذ اثراً بعد عين ولا نقع على ذكره الاّ في مدوَّنات الامس الغابر

ولنفرض كذلك ان الاشعة الكونية التي تصل الارض كانت في العصور الغابرة اقوى جدًّا منها اليوم فينتج عن ذلك ان فعلها يجعل خلايا الجسم تنمو نموًّا طبيعيًّا وتتكاثر تكاثراً طبيعيًّا فلا تنشز واحدة منها ولا تكسر قيود نموها كما يحدث في النوامي الخبيثة . فالمرجح اذاً ان السرطان لم يكن معروفاً حينئذ

ولكن لما كنا قد فرضنا ان قوة الاشعة الكونية الواصلة الى الارض في العصور الغابرة اعظم منها الآن ، وجب علينا ان نفرض كذلك حادثاً كونيًّا قد حدث فاضعفها. فماذا نتج عن ذلك في نشوء الاحياء ! وهل كان هذا التغير يؤثر في انقسام الخلايا ونموها ؟

من المبادئ العلمية المقرّرة ان الكائن الحيّ يتجه دائماً الى التحول تحولا تقتضيه بيئته. فاذا تغيّرت احوال البيئة — كما يحدث في الطبيعة — وجب على الكائن الحيّ ان يتحول طبقاً لتحولها او ينقرض. ومذهب النشوء العضوي انما هو قائم على هذا المبدإ الخطير. لذلك اذا كانت الاشعة التي كان لها هذا الاثر الكبير في نموّ الخلايا وتكاثرها قد اخذت في الضعف فلا مندوحة عن ان يظهر اثر ذلك في مظاهر النمو « الخلوي ». ولقد ثبت ان لاشعة اكس وهي شبيهة بعض الشبه باشعة غمّا اثراً في احداث تغيير في الكائن الحيّ بما لها من الفعل في مادة الوراثة فيه كما ثبت للاستاذ مولر في معالجة سلالات متعاقبة من ذباب « الدروسوفيلا » باشعة اكس فاحدث فيها تغييراً في صفاتها الوراثية من قبيل التحول الفجائي

فلا يبعد عن العقل الذهاب الى ان ضعف هذه الاشعة الكونية الواصلة الينا اذ قيست بما كانت عليه قبلاً كان السبب في ظهور السرطان وازدياد انتشاره لان الزمن لم يتسع بعد للاجسام الحية حتى تتحول طبقاً لمقتضيات الاحوال الجديدة

فاذا صح هذا المذهب في تعليل اصل السرطان وسببه تمكنا من ان نعلّل به زيادة انتشاره المروّع في العصر الحديث ونجاح العلاج باشعة غمّا لان الجراحين يحاولون ان يعيدوا بها الى الجسم حالته الطبيعية بتعريض النمو السرطاني للاشعة القويه التي كان الجسم كلّه معرضاً لها في العصور الغابرة

ندلي بهذا الرأي ونحن نعلم انهُ على امكان رجحانه ليس لهُ سند علمي يستند اليه. اننا لا نستطيع ان نتثبت الآن من حدوث هذا التغيّر في ضعف الاشعة الكونية الواصلة الينا. ولكن في نظامنا الشمسي وسيره في الفضاءِ ما قد يعلّل حدوث تغيير من هذا القبيل

فلقد اثبت ملكن ومساعدوه ان الأشعة الكونية لا تأتينا من كل انحاءِ الفضاءِ على السواءِ. بل هي في نواحي السدم العظيمة اقوى منها في نواحي الفضاءِ الأخرى. لأن في هذه السدم تنفصل كهارب الجواهر عن بروتوناتها بفعل الحرارة العظيمة ثم تعود الى التكون في بعض الطبقات فينشأ عن انحلالها وتحولها تولّد هذه الأشعة القوية التي تخترق الاجسام

وفي الوقت نفسه يحدثنا علماءُ الفلك ان نظامنا الشمسيّ سائر سيراً سريعاً الى ناحية معينة في الفضاءِ في جوار الكوكب المعروف بالشاياق. افلا يجوز ان يكون نظامنا الشمسي في سيره قد اخترق منطقة من المناطق التي تكثر فيها الأشعة الكونية واننا آخذون الآن في الخروج منها وهذا يعلل ضعف هذه الأشعة وبضعفها يعلل نشوء السرطان وازديادهُ. اذا كان ذلك فأمامنا امد مديد يكثر فيه السرطان رغم وسائلنا الطبية العاجزة ازاء الاشعة الكونية. وقد يكون من حظنا ان نخترق منطقة اخرى واسعة النطاق فيها الأشعة الكونية قوية تجوهر الأجسام وتمنع عنها النوامى السرطانية. اي هذين الطريقين امامنا ؟ من يدري!

الحضارة القديمة في العالم الجديد

« مصر » القارة الاميركية

كتابتها — علمها — مبانيها — نقوشها — تاريخها

لقد اطلق الكتاب على بلاد المايا في غواتيمالا باميركا المتوسطة وما يجاورها من البلدان كيوكاتان وجنوب المكسيك وسلفادور وشمال هندوراس لقب « مصر » القارة الاميركية لما عثر عليه العلماء من وجوه الشبه بين عمارة المايا وكتابتهم وعمارة المصريين وكتابتهم. وازداد هذا اللقب تمكناً وتأيداً لما ثبت للباحثين ان حضارة المايا هي اقدم الحضارات الاميركية الراقية ومصدر الثقافة التي امتدت عناصرها الى البلدان المجاورة ولان انصابها اعلام تماس بها مراحل الحضارات الاميركية القديمة وتؤرخ كمسلات المصريين القدماء ومدافنهم

واذا نظرنا الى الاحوال التي نشأت فيها امة « المايا » وجدنا ان منشآتها العمرانية تضاهي ارقى المنشآت العمرانية في ارقى الامم القديمة . فاقليم البلاد التي نشأت فيها حارٌّ يضعف القوى ويخمد النشاط وهو في الوقت نفسهِ يؤاتي الزرع مما جعل الزراعة هناك نزاعاً دائماً بين الانسان والطبيعة في غاباتها وحراجها الغضة التي كانت لخصب الارض وجودة الاقليم تسطو على المناطق التي يزرعها الانسان وتكسوها . ومع ذلك نشأ في تلك البلاد وفي ذلك الاقليم حضارة راقية من ارقى الحضارات القديمة مع انها لم تتصل — على ما نعلم — بالعالم القديم

وشعب المايا هو الشعب الوحيد الذي استنبط في اميركا طريقة للكتابة واستعملها في تدوين مدوناتهِ وهذه الطريقة الكتابية الهيروغليفية تحسب اعظم ما آتي اميركا العقلية في العصور الغابرة. اما العلماء فلم يفوزوا حتى الآن بحلّ كلّ هذه الرموز الهيروغليفية ولكنهم عثروا فيما حلوه منها على اركان التاريخ « المايا » واصول تقويمهم وعلومهم الفلكية والرياضية . وقد تكون الباقي منها منطوياً على وصف الحوادث العظيمة التي حدثت لهم اما الرموز نفسها فرسوم للاشياء او للافكار فيها ظلٌّ من الأثر الصوتي ولكن ليس لها ابجدية

اما تاريخ هذه الكتابة ومنشئها فتغلغل في القدم تحيط بهِ سحب الريبة والخرافة . ولم

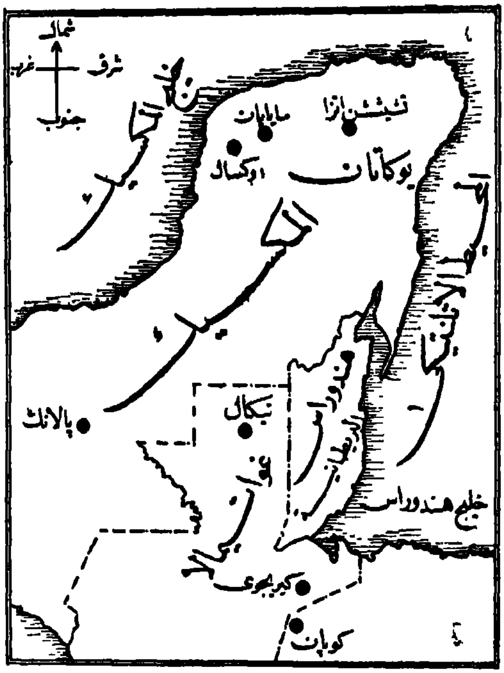


السلّم الهيروغليفي في كوبان
رسم خياليّ لهذا السلم الذي عثر الباحثون على انقاضهِ

يعثر حتى الآن على اثر يحتوي على اسم المستنبط او تاريخ الاستنباط او غير ذلك من دقائق الموضوع . ومع ان اقدم المدوّنات المؤرخة يرجع تاريخها الى سنة ٩٦ قبل المسيح نجد في آثار الاتقان البادية في الاشارات الهيروغليفية دليلاً مقنعاً على انها ليست بنت ساعتها وان قروناً انقضت عليها قبلما بلغت هذه الدرجة في الاتقان . ومافي هذه الاشارات من الخطوط المنحنية يدل على انها كانت ترسم على سطح مستوٍ ملس قبل استنباط فن النحت في الحجر الذي مكّن اصحابها بعدئذٍ من نقشها في الحجر الصلب لحفظها مقاوية لانياب الدهر

وعلاوة على هذه الكتابات المنقوشة في الصخور كان لشعب «المايا» كتب مكتوبة بالطريقة الهيروغليفية . وقد تلف منها معظم الكتب التي كانت تحتوي على كل علوم المايا وحكمتهم اتلفها الاسبان حين افتتحوا البلاد وحكموها . فقد كتب مطران لَندا يقول : ولقد جمعت اربعة آلاف من هذه الكتب والتصاوير الشريرة وحرقتها كلها في الميدان العام ببلدة تيكال رغم حزن الوطنيين وبكائهم.

على ان الوطنيين في حزنهم وبكائهم على فقد هذه الكنوز العقلية الثمينة لا يبلغون شأْو العلماء في هذا العصر الذي لا يرون بين ايديهم الاّ ثلاثة من هذه الكتب يحاولون ان يستخرجوا منها اصول حضارة المايا ومآثرها والكتب الثلاثة التي لم تعبث بها ايدي الاسبان محفوظة الآن في خزائن اوربا وهي في الغالب تدور على جداول فلكية ورياضية وبعض التهاويل السحرية . والظاهر ان انحصار هذه المعارف في طبقة كهنة « المايا »كان الباعث على اتلاف الكتب التي دونت فيها لان الكهنة الاسبان كانوا ينظرون الى كهنة المايا نظرهم الى الشياطين فحملوا القواد على الفتك بهم واتلاف كتبهم



خريطة البلاد التي نشأت فيها حضارة « المايا » وازدهرت

معارفهم الفلكية والرياضية

وقبلما نلمّ بتاريخ « المايا » لننظر نظرة عجلى في معارفهم الفلكية والرياضية لان الباحثين مجمعون على ان عملهم في هذه الناحية من نواحي الثقافة لا يفوقهُ عمل اية امةٍ اخرى في اقليم كاقليمهم وبيئة كبيئتهم . فهو كاستنباطهم للكتابة الهيروغليفية اعظم المآتي العقلية في اميركا القديمة

﴿ التقويم ﴾ كل تقويم يجب ان يبنى على قياس دقيق لطول السنة. وهذا القياس عمل صعب ان لم يكن متعذراً في امة لا تملك ادوات فلكية دقيقة . فالسنة على ما نعلم يتعذر تقسيمها الى عدد كامل من الايام والشهور لانها مؤلفة من ٣٦٥ر٢٤٢٢ يوماً او ١٢ شهراً قمرياً و٣٧ في المائة من الشهر كلٌّ منها مؤلف من ٢٩ يوماً و٥٣ في المائة من اليوم . وهذه الكسور في الايام والشهور كانت ولا تزال العقبة الكأداء في سبيل واضعي التقاويم على اختلافها. فالسنة حسب التقويم اليولياني الذي كان مستعملاً في جنوب اوربا الى سنة ١٥٣٢ وفي شمال اوربا الى سنة ١٧٠٠ وفي روسيا الى بعيد الحرب كانت اطول من السنة الحقيقية ١٢ دقيقة فكانت النتيجة انهُ لما عزمت روسيا ان تجري على التقويم الجرجوري كان الخطأ في اليولياني قد بلغ نحو اسبوعين. على ان امة « المايا » تمكنت من غير ادوات الرصد ان تضع تقويماً من نحو الفي سنة لا يبلغ الخطأ فيهِ اكثر من يوم في ٢١٤٨ سنةً . اما التقويم الذي نجري عليهِ اليوم فلا يفوق تقويم المايا كثيراً . فالخطأ فيهِ يبلغ يوماً واحداً في ٣٣٢٣ سنة . كذلك تمكن علماء المايا ان يضعوا تقويماً قمريًّا لا يزيد فيهِ الخطأ عن يومٍ واحد في ٣٠٠ سنة

﴿ علم الهيئة ﴾ وعلاوة على ذلك تمكن رصَّد «المايا» من ان يعرفوا مدى دوران الزهرة والمرجح انهم قرروا مدى دوران المريخ ويحتمل انهم عرفوا مدى دورة المشتري وزحل وعطارد . وبنوا على دورة الزهرة تقويماً كانوا يستعملونهُ في ضبط التقويم الشمسي والتقويم القمري . فقد كانوا يعرفون مثلاً ان ثماني سنوات شمسية تعادل تقريباً خمس سنوات من سني الزهرة وان ٦٥ سنة من سني الزهرة تعادل مائة سنة واربع سنوات من سني الشمس . وكانوا يستعملون التقاويم الثلاثة لتقدير ازمنة طويلة وقد وُجد ما يدل على انهم تنبأوا بحدوث حوادث فلكية تمتد الى اكثر من ٣٤ الف سنة . وكانوا يتنبأون بالكسوف

﴿ الصفر ﴾ اما الجداول الرياضية التي وضعوها فكان يلزم لها قبل وضعها استنباط فكرة « الصفر » وهذا الاستنباط من مفاخر حضارة «المايا» . فالصفر امر تعودناهُ في الجداول الحسابية الآن حتى اصبحنا نراهُ غير ذي خطر فنقول عنهُ انهُ رمز للعدم. ولكن لولا هذا الرمز لتعذر القيام بالعمليات الحسابية قياماً سريعاً ولما تمهدت الطريقة للحساب العشري ولظلت العلوم الرياضية تجر ذيولها على الارض .فالصفر هو الذي يمكننا من ترتيب الارقام حتى يكون لكل رقم منها قيمة خاصة بحسب الرتبة التي يكون فيها . ومع ذلك لم يستنبط الصفر الاَّ في القرن السادس او السابع بعد المسيح استنبطهُ الهنود ونقلهُ العرب الى اوربا فانتشر في بلدانها. على ان امة المايا استنبطتهُ على حدة قبلما استنبطهُ الهنود بالف سنة

ادوار تاريخهم

اما وقد المنا بشيءٍ من مآتي المايا العقلية فانتجه الآن الى تاريخهم . واول ما يجب ذكرهُ في هذا الصدد ان الاثريين الاميركيين لايعترفون بوجود علاقة ما بين شعب المايا وشعوب العالم القديم. فالفروق الكبيرة في الجنس واللغة واركان الثقافة تفوق وجوه الشبه السطحيّ في قيمتها. فالمايا كانوا لغة ودماً من هنود اميركا وحضارتهم اميركية خالصة

﴿ جاهليتهم ﴾ اما اصل المايا فموضوع لا نطيل الوقوف عليهِ لانهُ لا يهمنا الآن سواء هجروا الى اميركا الوسطى من الشمال او من الجنوب او من الغرب او نشأوا ونموا في البلاد التي ازدهرت فيها حضارتهم. والمرجح ان سيرهم على طريق العمران بدأ الوفاً من السنين قبل المسيح حين تمكنوا هم او على ما يرجح حين تمكن سكان مرتفعات المكسيك المجاورة لهم من تدجين نوع من العشب المكسيكي البري فاستنبطوا منهُ الذرة . فلما تعلم الناس اصول الزراعة استقرّت حياتهم ورفهت معيشتهم واتسعت امامهم ساعات الراحة والفراغ وزاد عدد السكان فتمكنوا من العناية باعمال الحضارة واتقانها . وبعدما استنبطوا الذرة تمكنوا من ان يضيفوا الى حاصلاتهم الزراعية الفاصوليا والكوسى والفلفل والقطن والتبغ والكاكاو والاناناس ثم دجنوا النحل وبعد ذلك استنبطوا صناعة الخزف

ومعرفة العلماء بتاريخ المايا من نشأتهِ الى فاتحة العصر المسيحي مبنية على الظن اكثر من بنائها على التحقيق العلمي الراسخ . ولكن الحضارة العالية التي ازدهرت في القرون التي تلت ولادة المسيح تقتضي نشوءًا بطيئاً سابقاً لها مستغرقاً قروناً كثيرة ففي هذه المدة السابقة لازدهار الحضارة استنبطت الرموز الهيروغليفية ووضعت اصول الفنون المختلفة ورصدت الاجرام السموية ارصاداً بنيت عليها فيما بعد التقاويم المختلفة

﴿ الامبراطورية القديمة ﴾ ويصحُّ ان يقال ان تاريخ المايا يبدأ سنة ١٧٦ بعد المسيح وهو التاريخ المدوَّن لأول كلام خرافيّ . اما عهد الامبراطورية القديمة فاستمرَّ الى سنة ٦٠٠ بعد المسيح وتاريخهُ مبني في الأكثر على التواريخ المنقوشة في الانصاب الحجرية . وهو مقسم الى ثلاثة اقسام الأول يمتدُّ الى سنة ٣٥٧ ب . م . والمتوسط الى سنة ٤٥٥ ب.م والثالث وهو عصر الازدهار او العصر الذهبي الى سنة ٦٠٠ ب.م. وفي هذه الحقبة بنى ابناء هذا الشعب النشيط عشرات من المدن العظيمة ومئات من القرى الصغيرة

وأقدم المدن العظيمة التي شادوها مدينة تيكال في غواتيمالا حيث شاد « المايا » اعلى بناء شيد في اميركا الوسطى في العصور الغابرة فبلغ علوهُ مع هرمهِ ١٧٥ قدماً . اما مدينة

كوبان في شمال هندوراس فكانت على ما يرجح اعظم المدن في عهد الأمبراطورية القديمة . فالسلم الهيروغليفي العظيم (انظر الصورة) كان قبلما دمّره زلزال شديد انتاب تلك البلاد من اعظم اعمال البناء التي قام بها سكان اميركا الاصليون . فقد كان مؤلفاً من تسعين درجة عرض كل منها ١٢٥ قدماً وعمقها ٢٥ قدماً وكانت وجوه هذه الدرجات كلها وما اقيم على جانبيها من الانصاب مغطاة بالنقوش الهيروغليفية يتألف منها كتابة فيها ٢٥٠٠ رمز والمرجح ان هذا السلّم بني سنة ٥٠٠ ق . م. والعمارة في سائر مدن المايا على نمط العمارة في كوبان . فكانت اكثر المباني مجتمعة حول مركز المدينة ومرتفعة على تلال من التراب كأنَّ كلاًّ منها الأكروبليس في اثينا . على ان المباني بوجهٍ عام ضخمة ساذجة وخالية من اي اثر عظيم للفن. والمرجح ان دوافع التعبير الفني في نفوس المايا ظهرت آثارها فيما نقشوهُ من الانصاب والمذابح والتماثيل لتزيين مبانيهم بها

اما المدينة التي تمثل حضارة العصر المتوسط من الامبراطورية القديمة فهي مدينة پالانك وهي اطلال مشهورة الآن في جنوب المكسيك . في هذه المنطقة لم يجد حذقة الصنّاع حجراً موافقاً للنقش والحفر فاستعملوا نوعاً من المصيص الجيري الكثير في تلك المنطقة. وفي القوالب التي اخرجوها بلغوا غايات بعيدة من الدقة والجمال. فالنقوش البارزة في پالانك التي افرغت على هذه الطريقة هي من اروع الآثار الفنية التي خلفوها

وبلغ المايا ذروة حضارتهم حوالي سنة ٥٢٠ ق . م . وفاقوا بذلك اعلى ما بلغتهُ حضارة التوتونيين في اوربا في ذلك العصر . وقد عثر الاثريون حتى الآن على اطلال سبع عشرة مدينة في الاكام المنتشرة في شمال غواتيمالا والبلاد التي تجاورها . ومما لاريب فيه ان العلوم والفنون كانت مزدهرة ومستوى معيشة السكان عالياً . واعظم مدينة نشأت حينئذٍ كانت مدينة كيريجوى بغواتيمالا . ففي اطلالها عثر على اكبر آثار المايا الفنية وابدعها . والانصاب التي وجدت فيها ممتازة بحجمها وبراعة جمالها ويستدل منها ان نصباً منها كان يقام كل خمس سنوات والقصد منهُ ان يكون جزءًا من تقويم عام خالد على الدهور

﴿ الامبراطورية الجديدة ﴾ ولسبب ما لم يكشف عنهُ الباحثون اخذت مدن غواتيمالا تقفر من اهلها حوالى سنة ٦٠٠ ب .م. ويسند بعض العلماءِ ذلك الى تفشي الحمى الصفراءِ ويقول آخرون ان حرباً اهلية طاحنة نشبت بين طوائف السكان فبادوا فيها ويقول غيرهم ان تغيراً فجائيًّا في الاقليم والتربة جعل البلاد جدباء لا تكفي لاخراج القوت الكافي

وعلى كلٍّ لم يعثر الباحثون على آثار مدينة من مدنهم ظلت مأهولة بعد مطلع القرن السابع المسيحيّ. وتاريخ القرون الثلاثة التالية محجَّب بحُجُب الجهل والراجح ان شعب المايا



رأس حجري منقوش في جوار هيكل
بيوكاتان يكاد يكون ناطقاً على قدمه



تمثال من الجص قائم على مذبح
في مدينة بالانك بيوكاتان



الدور العلوي لقصرٍ في سايل بيوكاتان
وعمارتهُ مثل حسن على عمارة شعب المايا في دور الامبراطورية

كان في فترة تحول وانتقال . ولكن لما انتصف القرن العاشر المسيحي كانت آثار حضارتهم قد انتقلت شمالاً الى يوكاتان فجددوها هناك وظلت زاهية زاهرة الى اواسط القرن الخامس عشر . فنشأت في يوكاتان مدن جديدة اروع جمالاً وابدع فناً وبناء من مدن غواتيمالا وهندوراس . ومما امتازت به حضارة « الامبراطورية الجديدة » فن العمارة مع ان ميزة « الامبراطورية القديمة » كان فن النقش

وأشهر المدن الفخمة التي نشأت مايابان وأوكسمال وتشيتشن اتزا . نشأت المدينتان الأوليان في القرن العاشر ب.م ولكن الثالثة اقدم منهما والمرجح ان الناس نزلوا فيها اولاً في القرن السادس فهي اقدم مدن اميركا الآن . وكانت هذه المدن الثلاث في مطلع القرن الحادي عشر مراكز ثلاث قبائل كبيرة كلٌّ منها يحكم عليها طبقة من الأشراف فاتفق هؤلاء على التحالف فيما بينهم وتأليف حكومة عامة تدير شؤون المدن الثلاث فظلت هذه الحكومة المشتركة قرنين متواليين فبسط الأمن رواقهُ في عهدها وعمَّ الرخاء وازدهرت الفنون وبنيت الهياكل والاهرامات وغيرها من المباني العظيمة . هذا العصر في تاريخ المايا (١٠٠٠ — ١٢٠٠ ب.م.) معروف بالعصر الذهبي الجديد . اما الآن فانك لا تقع حيث كانت مدينة مايابان الا على آكام مهجورة وأطلال خربة . وأما اطلال تشتشن اتزا وأوكسمال فترتفع بما ذنها الحجرية فوق اشجار الأدغال التي سطت عليها . واليهما اتجه العلماء والسيّاح اولاً . فهي احرى الآثار الأميركية بالزيارة والدرس

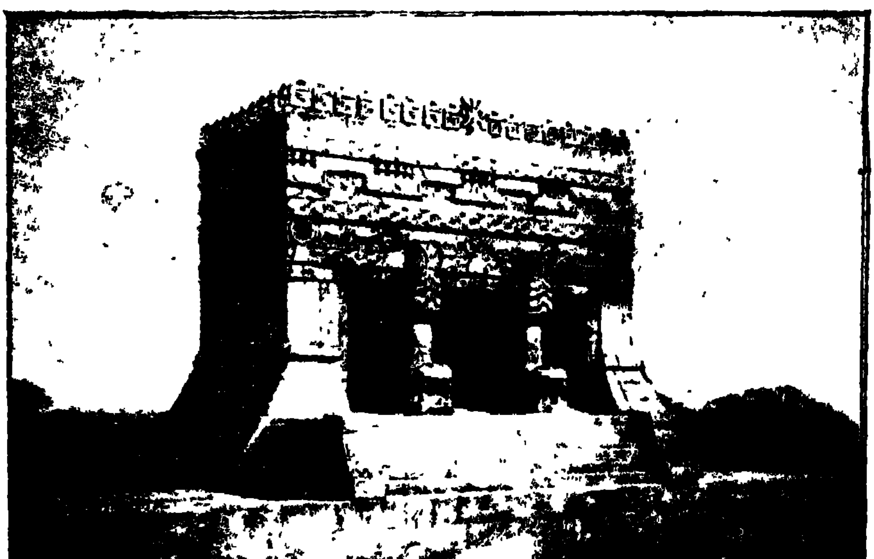
﴿ الحرب الاهلية ﴾ وسبب هذا الخراب ان عقارب الغيرة دبّت في صدور الاشراف الحاكمين في هذه المدن الثلاث حوالي سنة ١١٩٠ بعد ما قضوا نحو قرنين يؤيدون الحكومة العامة التي مهدت السبيل للعصر الذهبي الجديد فشبت بينهم حرب اهلية طاحنة. والظاهر ان الحرب شبت اولاً بين مدينتي مايابان وتشتشن اتزا فعمد اشراف مايابان الى عمل غيّر وجه حضارة المايا . ذلك انهم استنجدوا بقبائل التولتك في وادي المكسيك الى الشمال الغربي منهم . وهذه القبائل كانت على جانب عظيم من الحضارة والراجح ان انبساط نفوذ التولتك في شمال يوكاتان هو الذي اثار غيرة المايا في الجنوب فكانت السبب الحقيقي في نشوب الحرب الاهلية. ولكن مهما يكن الأمر فان ممثل تشيتشن اتزا في الحكومة العامة دسَّ ضدّ زميلهِ ممثل مايابان فنشبت الحرب الأهلية واستعان اشراف مايابان بجنود التولتك على اشراف تشيتشن اتزا وفتحوها عنوة . وكانت هذه الحرب فاتحة لسيطرة دولة التولتك في يوكاتان التي دامت الى اواسط القرن الخامس عشر

على ان مدينة اكسمال بقيت ملتزمة جانب الحياد مترفعة عن خوض معامع النزاع بين

المدينتين ولم تأخذ بفنون التولتك واسلوب عمارتهم كما فعلت مايابان الاّ في بناء ساحة للرقص. واما مدينة تشيتشن اتزا فشيدت فيها المباني الفخمة على الاسلوب التولتكي او الاسلوب المتأثر به

ولم يلبث القائمون بدولة التولتك ان اصبحوا متعجرفين مستبدين بالرعية فاندفع الوطنيون في اواسط القرن الخامس عشر الى رفع علم الثورة عليهم بزعامة مدينة اكسمال فذبحوا كلّ ابناء الاسرة الحاكمة في مايابان ودمروا المدينة فلم يبق منها اليوم الاّ كوم من الحجارة مائلة على قمم الآكام . وكان سقوط مايابان نهاية حضارة المايا . والظاهر ان البلاد مزقتها بعدئذٍ حرب اهلية طاحنة فهُجرت مدينتا اكسمال وتشيتشن اتزا ولم تبنَ مدن اخرى تقوم مقامهما . وفشا الجوع والمرض وجاءت على اثر ذلك طليعة الفاتحين الاسبان

اما اليوم فهنود المايا يقطنون شبه جزيرة يوكاتان وجاباً من غواتيمالا ويقدّر عددهم بثلاثمائة الف . وهم جنس راق من هنود اميركا اقوياء الاجسام اذكياء العقول في نفوسهم شعلة الاستقلال وفي عزائمهم الاجتهاد وحب العمل وفي عاداتهم النظافة من الايمان . واكثرهم لا يتكلم الاّ لسان المايا على ان اصحاب المزارع منها يتكلمون اللغة الاسبانية كذلك. وقد كان انقراض الاشراف والكهنة وحرق كتبهم مؤذناً بضياع معالم حكمتهم وعلمهم وصناعتهم ونسيان آثارها فلم يبق الاّ اطلال فخمة في الادغال تحدث بعظمتهم الماضية وعزهم الغابر



صورة ترميم «هيكل المحورة» في مدينة تشيتشن اتزا

الماعة تاريخية ساذجة

بعصر ابي بكر الصديق

للدكتور احمد فريد رفاعي

— ٢ —

الردة بوتقة الاسلام

لعلك تطالبني الآن بالتحدث اليك في الردة من حيث كونها بوتقة صهر بها الاسلام وخرج منها قويًّا مذاعاً ، ونال من بعدها نجاحاً مؤزراً . وانت تعلم ان الردة في جملتها امتناع فريق من العرب كبير عن اداء فريضة الزكاة باعتبارها نوعاً من الاتاوة وفاتهم انها نوع من المعونة والرحمة والعطف من غنيهم لفقيرهم ومن قويهم لضعيفهم. وتعلم ان تيار الردة كان قويًّا وجباراً في قوتهِ حتى كاد يكتسح الاسلام اكتساحاً لولا انهُ دين الله ولولا ان نهد للمرتدين مثل ابي بكر فرماهم بشجعان العرب وفرسان المزاهز وابطال المواقع امثال خالد بن الوليد ووجهته قتال طليحة بن خويلد الأسدي ومالك بن نويرة وعكرمة بن ابي جهل وقد وجه بهِ الى مسيلمة الكذاب باليمامة ، وشرحبيل بن حسنة ووجهتهُ مسيلمة وقضاعة ، والمهاجر بن أبي أمية لمعاونة الابناء على قتال الأسود العنسي بصنعاء ، وحذيفة بن محصن وقد بعث بهِ الى عمان ، وعرفجة بن هرثمة الى أهل مهرة ، وسويد بن مقرّنٍ ووجهته الى تهامة ، والعلاء بن الحضرمي وبعثهُ الى اليمن ، وطريفة ابن حاجز ومهمته بني سليم ، وعمرو بن العاص لقيادة الجند الى قضاعة ، وخالد بن سعيد وقد وجههُ الى الشام

تعلم هذا وتعلم من الطبري وغير الطبري النصوص التي كتبها ابو بكر لامير كلّ بعث والجماعة المرتدين في كل قطر وقد هالك طبعاً ان نيران الفتنة قد التهبت في كل صقع من بلاد العرب ، وهالك طبعاً انهُ الى جانب هذا الارتداد الجزئي ارتداد اوسع نطاقاً وابلغ خطراً ... هو ادعاء النبوة عند الكثيرين ممن يصح ان اتحدث في أمرهم معك تفكهة ودعابة بيْدَ انني الآن اود ان اتحدث اليك في شيء جزئي هو الآخر ولكن لهُ معناه ولهُ فلسفته ولهُ درسه ولهُ تهذيبه . . . . . . ذلك الشيء هو انفاذ ابي بكر الصديق لجيش

أسامة بن زيد ، واعتقد انك ستوافقني بعد وقوفنا على ذلك الشيء الجزئي معاً وسنؤمن معاً بضرورة نجاح اصحاب هذه الدعوة الاسلامية لما لهم من مميزات خلقية من عزمة حذاء ، وهمة شماء ، وارادة ومضاء

ابو بكر وأسامة بن زيد

اجل سأحدثك عن اسامة وبطولة اسامة وهو لم يزل بعد في طراوة اهابه وعنفوان شبابه ، وهو جدير باعجابك وتقديرك لانك معجب بنابليون و بطولة نابليون وهو لم يزل بعد كاسامة في طراوة اهابه وعنفوان شبابه . . . ولكنني اعلم حبك للنصوص التاريخية لأن رسميات ذلك العصر وما هو شبيه بالرسميات في ذلك العصر مما يقع من قلبك الكبير موقع التقدير والاجلال . . . . ولست في حاجةٍ الى ان اذكرك ان نية رسول الله نفسه كانت منصرفة الى ان يبعث باسامة وجيش اسامة لتأديب بعض العصاة والخارجين . ولست في حاجة لان اقول لك ان المنية قد عاجلت الرسول دون انفاذ هذه البعثة وان ارتداد المسلمين والذهول الذي استولى على المؤمنين بوفاة نبي المسلمين لم يحولا بعد عما ستحدثك به النصوص والرسميات ، والمصادر الشبيهة بالرسميات . . . .

يحدثنا الطبري عن مشيخته عن عاصم بن عدى انهُ قد نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ليتم بعث اسامة ألاَّ يبقين بالمدينة احد من جند اسامة الا خرج . . . ويحدثنا بان ابا بكر قد خطب هذا الجند بما ستجده في اخبار السنة الحادية عشرة . . . . ثم يحدثنا الطبري بان الحسن بن ابي الحسن البصري قد قال ما نصهُ : « ضرب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قبل وفاته بعثاً على اهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فلم يجاوز بهم آخر الخندق حتى قبض رسول الله صلعم ، فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر : ارجع الى خليفة رسول الله فاستأذنهُ يأذن لي ان ارجع بالناس ، فان معي وجوه الناس وحدهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله ، وثقل رسول الله ، واثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون . . . . ! وقالت الانصار فإن ابى إلاَّ ان نمضي فابلغهُ عنا واطلب اليهِ ان يولى امرنا رجلاً أقدم سنَّا من أسامة . . . . ! فخرج عمر بأمر اسامة ، وأتى ابا بكر فأخبره بما قال أسامة . فقال ابو بكر : لو خطفتني الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى بهِ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ، قال : فإن الانصار أمروني أن ابلغك انهم يطلبون اليك أن تولى أمرهم رجلاً أقدم سنَّا من أسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالساً ، فأخذ بلحية عمر فقال له ثكلتك

امُّك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلعم وتأمرني أن انزعه . . . . . !
فخرج عمر الى الناس فقالوا ما صنعت فقال : امضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله . . ! ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم واشخصهم وشيعهم وهو ماش ، وأسامة راكب ، وعبدالرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له اسامة يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن ، فقال والله لا تنزل ووالله لا أركب ، وما عليَّ أن أغبر قدميَّ في سبيل الله ساعة . . . . . ! إنَّ للغازي في كل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة . . . . حتى اذا انتهى قال ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل ، فأذن له ثم قال : ياأيها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عني ، لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم ومافرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا اكلتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا : اندفعوا باسم الله . . . . اه »

***

وإنك بلا ريب ستوجّه نظري ياصاح الى قوة ارادة ابى بكر الممثلة في قوله « لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أردَّ قضاء قضى بهِ رسول الله » ، وستشير اليَّ بما في تصميم ابى بكر على إمرة أسامة من احترام ارادة الرسول ، وستذكرنى بأدبه في مشيته ، وايمانه في خطوتهِ ، وأدبهِ مع قادته . . . . . ستوجه نظري الى ذلك كلهِ مما يجب عليَّ أن اذكره واتدبره واما انا فارى في عنقي بعد ان فهمت ما ترمي اليهِ من تبيان رسوخ ابى بكر واستصغارهِ للخطب وتقديره للكفايات واحترامهِ لحقوق الامير وهو الخليفة دونهُ في استئذانهِ في النزول له عن احد جنوده ورجاله كعمر بن الخطاب — أمَّا انا فارى من قبلي ان اوجّه نظرك — سيما في ايامنا هذه وجيلنا الراهن وحروبنا الحاضرة الى ما تضمنتهُ وصيتهُ لجنده من ضروب الانسانية وآداب المقاتلة . . . . . . اليس كذلك ؟

ولكنك تريد ان تحدثني عن الردة وما فيها من حروب ووقائع انتهت بتوطيد الاسلام ، وتطهير الاسلام ، في تلك البوتقة الحامية الضرام . . . . واما انا فأريد من ناحيتي ان احدثك عن الوجه الثاني من الردة . . . وجه البطولة الكاذب في التنبي الكاذب

الانبياء الكذبة

افهم جيداً أن المجال لا يسمح بالتحدث عنهم جميعاً من مسليمة بن حبيب وعبهلة بن كعب المعروف بالاسود العنسى وطليحة بن خويلد الاسدى وسَجَاح بنت الحارث بن سويد التميمية وغير هؤلاء من مرتزقة الرسالة وصناع النبوة . . . . افهم هذا ولكنني افهم ان وجه ثبات الايمان ، ووجه اعجاز القرآن ، ووجه نجاح رسالة نبي عدنان ، أنما كان في ظهور هؤلاء وانما كان في زيف هؤلاء وفشل هؤلاء . . . .

ولعلك تذكر خلاصة ما قرأتهُ في شبابك في المظان التاريخيه العربية عن رغوة هؤلاء وزبد هؤلاء . . وأنها كانت الى زوال وعفاء ، وانها ذهبت جفاء وكتب لها الفناء . . .

ولعلك تذكر من قرآن سجَاح قولها: «أعدوا الركاب ،واستعدوا للنهاب، ثم اغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب »

ثم لعلك تذكر من قرآن مسيلمة : « والمندرات زرعاً ، والحاصدات حصداً،والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً ، اهالة وسمنا . . . لقد فضلتم على اهل الوبر ، وما سبقتكم أهل المدر ، ريفكم فأمنعوه والمعتر فآووه ، والباغي فناوئوه . . . . ثم قوله : الفيل ما الفيل وما الفيل ، وما ادراك ما الفيل ، له ذنب وبيل ، وخرطوم طويل . . . . ثم لعلك قرأت في حيوان الجاحظ عند كلامه في الضفدع قوله : ولا أدري ما هيج مسيلمة على ذكرها ولمَ ساء رأيه فيها حتى جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : ياضفدع بنت ضفدعين ، نقي ما تنقين ، نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين....»

ثم لعلك الى جانب هذا كله تذكر قول مسيلمه لسجاح . « وهل آكل قومي وقومك العرب؟قالت نعم ... فتزوجها واقامت معهُ اياماً ثلاثة ثم أفات راجعة الى قومها ... لا من رسالتها ولا من جهادها ولا من بلائها بل من زواجها ان كان الزواج جهاداً ومن بنائها إن كان البناء بلاءاً . . . . فسأل قومها بينهم ذات المعجزات والآيات عن وحيها الجديد ، وأمرها الجديد ، فقالت : إني وجدته على الحق فاتبعته وزوجني . . . . ! فما ثارت لهم ثائرة ، ولا نفرت بهم نافرة ، ولا تولتهم الخزية الحافرة ، وإنما الذي هالهم وافزعهم والذي اسهدهم وابكتهم انها تزوجت من غير صداق ، فردوها اليه لانه قبيح بمن كان في مكانتها من النبوة ومرتبتها من الرسالة ان تتزوج بلا صداق . . . . سألته الصداق فدعا مؤذنها شبث ابن ربعى الرياحي فأمره ان يؤذن في الناس . . . « إنهُ حط عن الناس صلاتين مما أتى به محمد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر . . . . ! »

ثم لعلك تذكر الى جانب هذا ، اجتثاث اصول هؤلاء . ولكنك لا تزال تذكر معي في حسرة وأسىً ما نجم عن امثال هذه العبقرية المموهة العرجاء ، والبطولة الزائفة اللكماء ، وهذه الاضلولة الخاطئة العشواء . . . . من بدع بالغات ، واحاديث هي في نظرك ونظرنا من الكاذبات . . . . ولعلك ان كنت لا تزال تذكر قولنا لك في تيارات المبالغات والمناقصات ، ان تذكر هنا امثال تلك الاحاديث الشرهة المترعة بها كتب الادب والسير امثال ما لصقوه به من الاقوال عن الفواكه وما الى الفواكه من الحلوى وغيرها وان تقارنها بما كان يكرهه صحابة هذا العصر من الالتجاء الى الاحاديث ورواية الاحاديث إلا في أمر حازبٍ وموقف حاسم وعظة بالغةٍ ثم تقارنها بما كان عليه القوم من تقشف في كل شيء من ملبس ومأكل ومشرب . . . ولكن النبوة التي من «الماس الكاذب» لها بريقها وسرابها ، وختلها وسخفها ، ولكن المسلم الذي من «الماس الكاذب» ليس له من اسلامه إلا الاسم واللقب ، والاصل والحسب ، أمّا العمل والايمان ، وإما الاخلاص والعرفان . . . . فهذه هو منها براء ، وهذه هو بعيد عنها بعد الارض عن السماء

ولكنك مع هذا كله مازلت تريدني وانا في معام الردة ، وتجديد الاسلام بعد حروب الردة ، واكتساح الايمان الصحيح للنبوة الكاذبة ، تريدني ان اثبت لك بعد ما قرأت من قرآن عصر الردة كلمة الجاحظ التاريخية الخالدة في هذا الباب . . . .

قول الجاحظ

قال الجاحظ : « بعث الله محمداً صلعم أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً ، وأحكم ما كانت لغةً ، وأشدّ ما كانت عدّة ، فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة ، فلما قطع العذر ، وأزال الشبهة ، وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية ، دون الجهل والحيرة ، حملهم على حظهم بالسيف ، فنصب لهم الحرب ، ونصبوا له ، وقتل من عليتهم واعلامهم وبني اعمامهم ، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحاً ومساء الى ان يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة ، أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحدياً لهم وتقريعاً لعجزهم عنها ، تكشف من نقصهم ما كان مستوراً ، وظهر منه ما كان خفيًّا ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة ، قالوا له أنت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف ، فلذلك يمكنك مالا يمكننا ، قال فهاتوها مفتريات ، فلم يرُمْ ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفهُ ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه عارضَ وقابلَ وناقض ، فدلّ ذلك العاقلَ على عجز القوم مع كثرة كلامهم

واستجابة لغتهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، وعارض شعراء اصحابه وخطباء أمته ، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره وأبلغ في تكذيبه ، وأسرع في تفريق اتباعه ، من بذل النفوس ، والخروج من الأوطان ، وإنفاق الأموال ، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش ، والعرب في الرأي والعقل بطبقات ، ولهم القصيد العجيب ، والرَّجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة ، والقصار الموجزة ، ولهم الاسجاع ، والمزدوج ، واللفظ المنثور ، ثم تحدَّى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم . فمحالٌ اكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر ، والخطإ المكشوف البيِّن ، مع التقريع بالنقص ، والتوقيف على العجز ، وهم أشدُّ الخلق أنفة ، وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد عملهم ، وقد احتاجوا اليه ، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ؟ وكما أنهُ محالٌ ان يطيقوا ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة ، فكذلك محالٌ ان يتركوه وهم يعرفونه ، ويجدون السبيل اليه ، وهم يبذلون اكثر منه . . . اهـ . »

على رسلك يا صاح فقد حدثتنا عن الردة وأنبياء عصر الردة ، وحدثتنا عن علاقة ابي بكر في الردة ، وكان من المنتظر ان تحدثنا قبل ذلك بحديث السقيفة لأن السقيفة كانت مبدأ حياة ابي بكر . ولكنني اجيبك في غير تعقيب على كلامك او افحام لحجتك اونقض لأقوالك أن المؤرخين قد جروا مجراك بيد اني احب لك المنطق اكثر من جريك على ارسان العادة وأحكام العادة ، ولعلك لا تزال تذكر من مراجعاتك في كل التاريخ ان شيئاً كثيراً من نبوة الأدعياء قد افرخت جرثومتها والنبي صلعم لا يزال على قيد الحياة ، وان ارتداد العرب الذي تم انفجاره بعد وفاته مباشرة لا بد وان يكون لقي نفوساً معدة له ، وتربة مواتية لحسكه وقتاده . وأنت تدرس الفكرة في تطورها وأنت تحفل بهذا النوع من الدراسة لاسيما وقد لاحظت ان ابا بكر اصرَّ على امرة أسامة بن زيد في حروبه ضد المشركين وان اسامة بن زيد ما نصبه في القيادة الا رسول الله ، وقد لاحظت ان نبوة الأسود العنسي كانت في عهد رسول الله . وإذنْ فقد رأيت ان المنطق لا العادة يقضي بهذا النظام الذي اخذناك بهِ في غير صلف ولا إدعاء وقد نكون على ضلال في تمشينا مع فكرة وجدت فولدت فنمت ثم دوت اكثر من تمشينا مع المواقع والأيام والساعات واللحظات . وقد يكون سوانا على حق والعصمة والكمال لله وحده

مركز الثقل الجديد في العمران

انتقاله من الحرية الى المال

خلاصة خطبة للدكتور بطلر رئيس جامعة كولومبيا

الموضوع الذي اريد ان اتناولهُ بالبحث في هذا الخطاب حافل بالمسائل التي تثير اختلافاً حادًّا في الرأي حتى ليصعب كثيراً على الباحث ان يعرب عن وجهة خاصة منها من غير ان يتصدى لهُ من يناقضهُ فيها . ولكن الحقيقة الاساسية التي اودُّ توجيه الانظار اليها هي ان مركز الثقل في شؤون العمران آخذ في الانتقال من نقطة حلَّ فيها اربعة قرون متوالية من مطالع القرن الخامس عشر الى نقطة قد يحلُّ فيها في القرون الاربعة القادمة

واذا توخينا الصراحة في وصف هذا التحوّل قلنا ان هذا المركز آخذ في الانتقال من السياسة الى الاقتصاد ومن الاعتبارات التي كانت تعنى باشكال الحكومات وتأييد الحرية الفردية والمحافظة عليها الى اعتبارات غرضها الاول انتاج الثروة وتوزيعها وانفاقها . ولا اريد ان ارمي الى ان الاعتبارات الثانية كانت ناقصة في القرون الاربعة الغابرة ولا انَّ الاعتبارات الاولى ستعدم من يعنى بها في الاربعة المقبلة. انما اريد ان اقول ان المكانة العليا التي كانت للسياسة قد انتزعها منها الاقتصاد . اما النتائج والمقدمات التي قد تسفر عن هذا التحول فلا يتعذر تبينها وتعليلها ولو تعليلاً ناقصاً

انا مستعدٌّ ان اعيد هنا ما سبق وصرَّحت بهِ في لندن سنة ١٩٢٧ لما اعربت عن رأيي باننا لا نجد اليوم في امم الارض شاعراً عظيماً ولا فيلسوفاً عظيماً ولا زعيماً دينيًّا عظيماً . ان قوى الناس العقليـة وضروب اهتمامهم قد انتقلت من ميدان الى ميدان . مات غوته سنة ١٨٣٢ وفكتور هوغو سنة ١٨٨٥ وبروننغ ١٨٨٩ وتنسن ١٨٩٢ . اي شاعر من شعراء العصر يصح ان يوضع في مرتبتهم ؟ قضى هيجل آخر حامل للواءِ افلاطون وارسطوطاليس وتوما الاكويني ودكارت وكانت سنة ١٨٣١ . اين نقع على خلفهِ اليوم ؟ سطا الردى على شليارماخر الذي وضع في طبقة واحدة مع اوريفن وكلفن سنة ١٨٣٤ وذهبت روح لاكوردير الى ربها سنه ١٨٦١ — لاكوردير الذي كان شاتوبريان وهوغو

وموتالامبر يصغون اليهِ بدهشة واعجاب وحلّ في الاكادمية خلفاً لده توكفيل — وانتقل الكردينال نيومن الى رحمة ربهِ سنة ١٨٩٠ وتوفي جوزف كارد اكثر فلاسفة الدين تعمقاً سنة ١٨٩٨ فمن حلَّ محلهم ؟ قد نستطيع ان نقيم الحجة على ان الفيلسوف بنديتو كروتشي الذي ولد سنة ١٨٦٦ والشاعر رديرد كبلنغ الذي ولد سنة ١٨٦٥ يرتدون اردية الفلاسفة والشعراء الذاهبين . ولكن أليس صوت هذين صوتاً داوياً في برية مقفرة !

***

اذا طوينا بالخيال تاريخ القرون الى مطلع العهد الحديث في عمران البشر وجدنا النشاط العقلي والكفاءة العقلية والعلق النقلي في العصور الوسطى تمهد الطريق للحوادث الفكرية والسياسية التي سيطرت على العالم مدى اربعة قرون وكونت التاريخ ووجَّهتهُ في الوجهة التي اتخذها. والركن الاساسي الذي قامت عليهِ هذه الحوادث كان الاعتراف بقيمة الفرد — بعلمهِ وايمانهِ وحريتهِ في الاعراب عن رأيهِ والقيام بالعمل الذي يستهويهِ وقضاء حياتهِ كما يشاء وتكوين فكرهِ والاعراب عمّا يرى وجعله نفسهُ مركزاً لعالمهِ الخاص فكانت النتيجة التي اسفرت عنها هذه الآراء والميول انفجار القوى الشخصية وظهور الشخصيات الكبيرة في كل ميادين الفكر. وهكذا تمّ للعمران ظهور الآيات الخالدة في الشعر والآداب والتصوير والبناء والنقش والنحت والفلسفة والتفكير السياسي . ولو اردنا التوسع في هذا البحث لاعوزنا الوقت والمدى ولكن الخلاصة يجب ان تكون معروفة لدى كل الرجال المثقفين والنساء المثقفات

اما المنشآت السياسية فتأخرت عن التحوُّل الذي تقتضيهِ الآراء الجديدة والمثل الجديدة. لذلك قطع الشعر والادب والفن والفلسفة والفلسفة الدينية شوطاً بعيداً على طريق التجدد قبلما ازيلت التمائم عن الحرية الشخصية في ميادين الاجتماع والحياة العامة . تلك التمائم التي فرضتها طبقات الحكام في عهود الاستبداد. على ان اصواتاً حارة كانت ترتفع في دياجير الظلمة من حين الى آخر تنطلق بالشعر آناً وبالنثر آناً آخر فتضرب على الوتر الحقيقي في عود الارتقاء السياسي. بين هذه الاصوات الصارخة كان صوت ملتن الشاعر الانكليزي اعلاها واقواها . وكان فولتير الرجل الذي نقل هذه الرسالة الى فرنسا في كتابهِ « رسائل عن الانكليز ». على ان الغرض لم يتحقق الا عن طريق الثورة وكلُّ ثورة كانت تستمد وحيها وارشادها من الآداب. فخطا الانكليز الخطوات الاولى في هذا السبيل وما عملوه كان منطبقاً كل الانطباق على تعاليم ملتن وادلتهِ . وفي القرن التالي شبّت ثورتا الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وتلاهما استقلال الشعوب اللاتينية في جنوب اميركا واخيراً وقع الانقلاب الثوري في اوربا سنة ١٨٤٨ فاسفر عن نتائج لا يستطيع الناظر العجلان ان يدرك مدى خطورتها

فلما تمّ للانسان الحديث انشاء الانظمة السياسية التي تتفق مع رأيهِ في الحرية المدنية والمحافظة عليها عمد الى السكون والاستقرار بعد القلق والاضطراب مكتفياً بما تمّ لهُ. ولعله تغاضى او عزب عن باله ان الانظمة مهما ابدع في تكوينها لا تحافظ بنفسها على نفسها وان الطبيعة البشرية تظل هي هيه بقيودها وانانيتها وتخاذلها وتقلبها سواء كان صاحبها مستعبداً في ظل حاكم مستبد او حرًّا في جمهورية دمقراطية او تابعاً لامير من امراء الاقطاع . فالواضح ان الواجب على الانسان كان يقضي باصلاح هذه الانظمة السياسية ومحاولة السموّ بها الى مرتبة الكمال واعداد نفسهِ لها بالتثقيف والتهذيب

ولكن في اواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر اتسع نطاق المعرفة بالقوى الطبيعية وتعدّدت وسائل السيطرة عليها فتحولت اساليب المعيشة وطرق العمل وانقلبت طرائق التفكير الظاهر والباطن . واذا بحثنا عن تاريخ لمطلع العهد الذي اخذت فيهِ الاعتبارات الاقتصادية تسيطر على شؤون العمران فسنة ١٧٧٦ هي ذلك التاريخ . في تلك السنة نشر ادم سمث كتابهُ في الاقتصاد المعنون « ثروة الامم » وتحلى ترجو عن خدمة ملك فرنسا لويس الخامس عشر بعد ما كتب كتابهُ العظيم الذي موضوعهُ « تأملات في انتاج الثروات وتوزيعها » . اننا لا نجد تحليلاً للحياة الاقتصادية بعد ارسطو اكمل من التحليل الذي نقع عليهِ في هذين الكتابين

***

قد يكون من قبيل الاتفاق حدوث الثورة الصناعية في الزمن الذي كتبت فيهِ هذه الكتب العظيمة وقد لا يكون . بل قد يكون الباعث عليها عاملاً اعظم وابعد غوراً من الاتفاق . فالكيمياء كانت قد بُعثت من كراها والفلسفة الطبيعية صارت تعنى بأعوص المسائل الطبيعية وتطبيقها . واصبحت اسماء اركريت وكرومتن مستنبطي آلة الغزل ووط مستنبط الآلة البخارية وستيفنسن مستنبط القاطرة اسماء يحسب حسابها . وحلّت الآلات محلّ الصناعة اليدوية واخرجت منتجاتُ المعامل منتجات الصناعة البيتية من الميدان . واخذ تيار البشرية يتدفق الى المدن . وبدأ نظر الالوف والوف الالوف من بني البشر يتغيرُ تغيراً بعيد الغور كما تغيّرت البيئة التي يعيشون فيها والاعمال التي يتعاطونها . وكانت المواصلات بطيئة في ارتقائها فتأخرت عن اللحاق بالنظام العمراني الجديد . على ان الآلة البخارية اتقنت واستنبط بعدها التيار الكهربائي ومن هذين المصدرين تدفقت وسائل المواصلات العصرية التي طوقت الارض تطويقاً لم يجرؤ على تصوّرهِ خيال شاعر . ومتى ادركنا ان الهواء اصبح طريقاً سلطانية او كاد وان البحار على سعتها لا تحول دون انتقال الصوت البشري من بلاد الى بلاد عرفنا اننا نعيش في عالم جديد سواء ادركنا مقتضياتهِ ام لم ندركها

ولنا كلّ يوم برهان جديد على ان العناية بالشؤون الاقتصادية اخذت تحلُّ مباشرة و بالوساطة محلّ عناية البشر القديمة بالشؤون السياسية والعقلية . لاريب في ان السياسة مرتبطة كل الارتباط بالاقتصاد ولكن الامر الواضح لكل ذي عينين ان العنصر الاقتصادي في عصرنا هذا لا العنصر السياسي هو المسيطر على شؤون الحياة والفكر في كل انحاء الارض

فكانت النتيجة الخطيرة التي اسفر هنا هذا الانقلاب ان حلَّ « المال وجمع المال » في عقول الناس وافكارهم محلّ « الحرية وتأييدالحرية وحفظ الحريه».وهذا الانتقال يعلل اكمل تعليل انحطاط المذاهب السياسية الحرة والاحزاب التي تدين بها في اوربا واميركا . «انك تضجرني حين تتحدث عن الحرية ». هذه عبارة لاحد خريجي جامعة اكسفرد سابقاً ومن اعضاء البرلمان الانكليزي الآن وما كان كاذباً لانهُ اعرب عمّا يجول في صدر جيلهِ من المعاني . ان مركز الثقل في نظر هذا الرجل والوف الألوف من ابناء جيلهِ قد انتقل من سياسة المبدإ الى سياسة المنفعة ومن العناية بمشكلات الحرية الى العناية بمشكلات الثروة

***

[ثم تناول الرئيس الموضوعات الناشئه عن هذا الانتقال وأثرها في السلم والعمران مما لا يتسع لهُ هذا المقام كمسألة تفسير التاريخ الاقتصادي وأثر الضرائب العالية على الواردات وتحقيق حلم «ممالك اوربا المتحدة» وعلاقة ذلك بالامبراطورية البريطانية] ثم ختم خطبته بقولهِ :

من الواضح ان كل هذه المشكلات والاعتبارات الخطيرة نشأت عن انتقال مركز الثقل المتقدم الذكر وصحبتهُ . ولو ان الناس في هذا العصر يعنون في مقدمة ما يعنون بهِ بشكل الأنظمة السياسية والحكومات النيابيه وتأييد الحرية المدنية — لو انهم يهتمون في مقدمة ما يهتمون بهِ بالشعر والفلسفة والحياة الروحية لكان اعظم الأحياء وأكبر الزعماء المعاصرين هم الشعراء والفلاسفة والزعماء الروحيون والمعلمون . اما انهم ليسوا كذلك فدليل على روح العصر

وانا اعتقد اعتقاداً راسخاً ان لا تناقض على الاطلاق بين مركزي الثقل المذكورين. ويجب ان لا نسمح لاحدى هاتين القوتين ولا للاثنتين مجتمعتين ان تسيطرا على حياة الشعوب سيطرة تخلق الروح القومية التي تنظر نظراً احيّماً مبنيًّا على الخوف والحسد. يجب ان لا نضنَّ بجهد ما للدفاع عن الحرية من جهة وانتاج الثروة من جهة اخرى وتوزيعها توزيعاً عادلاً . وان نجعل هذا الانتاج والتوزيع سبيلاً لبناء الحياة الادبية في الافراد والامم وتقريب الشعوب بعضها من بعض وربطها برباط من الصداقة والتفاهم والتعاون لتحقيق الاغراض العليا

الرازي وعيده الالفي[1]

للدكتور يوسف فرج حريز
لوريا كلية الطب بباريس

سيداتي : اصحاب الدولة : ايها السادة

عرفتهُ لاول مرة اذ ورد اسمهُ في بيتٍ لليازجي الكبير في مجمع البحرين وهو قولهُ بلسان الخزامي ينصل من تبعة مريض كانت عاقبته وخيمة قال :

ما أنا بالرازي ولا البخاري وليس لي في الطب من اسفار

ثم لم تكن غير دورات قلائل من دورات الفلك حتى كنت في باريس عام ١٩١٦ اذيّل احاديث علمية وادبية في جريدة المستقبل بتوقيع الرازي فكأنني كنت عاملاً على احيائهِ منذ ذلك العهد فاذا قمت اليوم بدعوة الى الاحتفال بعيده الالفي فانما هو نتيجة طبيعية لتلك المقدمات ، واذا كللت هذه الصداقة وقد أصبحت الماسية العيد عشر مرات فانما هو اكليل قد ضفرته اياديكم على العلم والطب والتاريخ والادب

اسيادي: لا تهب نسمة في هذا الوجود ولا يحدث حدث مهما عـدَّ تافهاً إلاَّ وللعاقل فيه عبرة ويرى من خلال فصولهِ امثولة تعود عليه بالفائدة في مستقبل الحوادث ، فما قولكم بحياةٍ حافلة بجلائل الاعمال ملأى من غرر الافعال مشحونة بمؤلفات هي الجواهر الغوال لحياة الرازي ابي بكر طبيب العرب غير مدافع حكيم عصرهِ على الاطلاق ، نطاسي الشرق في عهدهِ وفاتن الغرب بعدهُ طيلة قرون ، صاحب المؤلفات المؤلفة والكتب الخالدة

كان الرجل قد ناهز الاربعين من سنيه عند ما قدم بغداد بعد ان زاول الصيرفة واولع بالموسيقى وانشد، وانما بالرغم عمّا احترف وزاول وامتهن فان جذوة حب المعرفة مازالت تتأجج في صدرهِ ، ولما وقع طائر بصرهِ على المستشفى في بغداد داخلتهُ روعة شديدة واصبح لا ينفك عن السؤال والاستفسار . قال ابن ابي اصيبعة في كتابه عيون الانباء في كلامٍ عن الرازي لعلم أبي بكر : ان سبب تعلم أبي بكر محمد بن زكريا الرازي صناعة الطب : انهُ عند دخوله مدينة السلام بغداد ، دخل الى البيمارستان العضدي يشاهدهُ فاتفق لهُ ان ظفر برجل شيخ صيدلاني البيمارستان فسألهُ عن الادوية ومن كان المظهر لها في البدء ؟ فاجابه بان قال:

(١) من خطبة علمية تاريخية ادبية تليت في المجمع العلمي العربي بدمشق في اكتوبر الماضي

ان اول ما عرف منها كان حي العالم وكان سببه افلولن سليلة اسقليبوس وذلك ان افلولن كان به ورم حار في ذراعيه مؤلم ألماً شديداً فلما اشفى منه ارتاحت نفسه الى الخروج الى شاطئ نهر فأمر غلمانه فحملوه الى شاطئ نهر كان عليه هذا النبات وانه وضعها عليه تبرّداً به فخفّ المه بذلك فاستطال وضع يده عليه واصبح من غدٍ ففعل مثل ذلك فبرأ — فلما رأى الناس سرعة برئه وعلموا انه انما كان بهذا الدواء سموه حياة العالم وتداولته الالسن وخففته فسمي حي العالم فلما سمع ذلك اعجب به . ودخل تارة اخرى الى هذا البيمارستان فرأى صبيًّا مولوداً بوجهين ورأسٍ واحد فسأل الاطباء عن سبب ذلك فاخبر به فاعجبه ما سمع ولم يزل يسأل عن شيء فشيء ويقال له وهو يعلق بقلبه حتى تصدى لتعلم الصناعة وكان منه جالينوس العرب هذه حكاية ابي سعيد »

ياسادة : اعرف اجداداً وأباء وامهات لا يدركون ما عليهم من الواجب نحو احفادهم وابنائهم عند مايطلب منهم هؤلاء افهامهم ما اشكل عليهم بل يدفنون اسئلة هؤلاء الصغار في صدورهم غير مجيبين عنها ولا مكترثين لها تاركين امر هذه الشروح للمدارس فيما بعد فيشب الولد لا تربطهُ بذويه صلة روحية ذهنية ولم يدفعوا عنهُ عادي الجهل وقد اخمدوا في صدره جذوة المعرفة لم تكن والحمد لله هذه حالة الرازي مع الصيدلاني ولا حالة الشريف الرضي مع تلميذه مهيار . واذا كنت اسجل له هذه السجية فان المؤرخين اجمعوا على امر يجعل للرازي صفة جديدة كبيرة هي صفة النظر البعيد والمذهب السديد الدال على معرفته العريقة بمركبات المواد الآلية وتعرضها للانحلال : قال ابن ابي اصيبعة : وقال بعضهم ان الرازي كان في جملة من اجمع على بناء هـذا البيمارستان العضدي وان عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب ان يبنى فيه البيمارستان وان الرازي امر بعض الغلمان ان يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم ، ثم اعتبر التي لم يتغير ولم يسهك فيها اللحم بسرعة ، فاشار بان يبنى في تلك الناحية وهو الموضع الذي بني فيه البيمارستان

وجاء في رواية اخرى : ان الرازي دعي من جديد الى بغداد لادارة المستشفى فيها واتفق لهُ مع عضد الدولة ما يأتي : وحدثني كمال الدين ، ابو القاسم ابي تراب البغدادي الكاتب : ان عضد الدولة لما بنى البيمارستان العضدي المنسوب اليه ، قصد ان يكون فيه جماعة من افاضل الاطباء واعيانهم فامر ان يحضروا لهُ ذكر الاطباء المشهورين حينئذٍ ببغداد واعمالها فكانوا متوافرين على المائة فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة احوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم ، ثم انهُ اقتصر من هؤلاء على عشرة فكان الرازي منهم ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي احدهم ، ثم انهُ ميز فيما بينهم فبان لهُ ان الرازي

افضلهم لجعله ساعور البيارستان العضدي . اما استاذه في الطب فهو علي بن الربن الطبري اليهودي وكان قد اعتنق الاسلام في ايام المعتصم ووضع للمتوكل كتاب فردوس الحكمة

اخلاق الرازي الطبية

نقل علي بن رضوان الطبيب المصري الشهير عن بقراط شروطاً يرى ابو الطب انها لازمة لصاحب هذه المهنة وكلها تنطبق على الرازي واقدرها على تصويره ، الرابع والخامس منها قال ابن رضوان : في طبقات الاطباء ص ١٠٣ ج ٢ ان تكون رغبته في ابراء المرض اكثر من رغبتهِ فيما يلتمسهُ من الاجرة ، ورغبتهُ في علاج الفقراء اكثر من رغبتهِ في علاج الاغنياء ، وان يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس

هذا ما قالهُ ابن رضوان واليكم ما قالهُ ابن ابي اصيبعة في وصف اخلاق الرازي الطبية

وكان الرازي فطناً رؤفاً بالمرضى مجتهداً في علاجهم وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه، مواظباً للنظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها واسرارها وكذلك في غيرها من العلوم بحيث انهُ لم يكن لهُ دأب ولا عناية في جلّ اوقاتهِ إلاَّ في الاجتهاد والتطلع فيما قد دونهُ الافاضل من العلماء في كتبهم حتى وجدتهُ يقول في بعض كتبهِ : انهُ كان لي صديق نبيل يسامرني على قراءة كتب بقراط وجالينوس

وقال صاحب الفهرست في صفة الرازي ص ٢٧٢ وذكره محمد بن اسحاق النديم في كتابهِ فقال : ابو محمد بن زكريا الرازي من اهل الري : اوحد دهرهِ وفريد عصره قد جمع المعرفة بعلوم القدماء لاسيما الطب . وكان ينتقل في البلدان وبينهُ وبين منصور بن اسماعيل حد صداقة ولهُ ألَّفَ كتاب المنصوري. قال ابو الحسن الورَّاق . قال لي رجلٌ من اهل الري شيخ كبير سألتهُ عن الرازي فقال : كان شيخاً كبير الرأس مسقطهُ وكان يجلس في مجلسهِ ودونهُ التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه منهم فان كان عندهم علم والاَّ تعداه الى غيره فان اصابوا والاَّ تكلم الرازي في ذلك وكان كريماً متفضلاً بارًّا بالناس حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم

قال ولم يكن يفارق النسخ وكانت في بصره رطوبة لكثرة أكلهِ الباقلاء (وفي آخر عمره عمي) والغريب ايها السادة انَّ ما كان يجري عليه الرازي منذ الف عام يجري عليه اليوم دهاقين الطب في مستشفيات باريس الكبرى فان المريض الذي يلج بابها انما يبدأ باخذ حكاية دائهِ وسوابقهِ المرضية ، احد مساعدي الاستاذ ثم يرفع خلاصة معلوماته الى سابقهِ في المستشفى وعند ما يلم بها رئيس المعاينات تعرض نهائيًّا على الرئيس الاكبر وهو الاستاذ

ذكنه واقواله

اما ذكنه ايها السادة فلا ادل عليه من القصة الآتية . جاء في ابن أبي اصيبعة ص٣١١ من بدائع وصفه وشدة استدلاله قال القاضي أبو علي المحسن بن علي بن أبي جهم التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة حدثني محمد بن علي بن الخلال البصري ابو الحسين احد امناء القضاة قال : حدثني بعض اهل الطب الثقاة ان غلاماً من بغداد قدم الري وهو ينفث الدم وكان لحقه ذلك في طريقه فاستدعي ابو بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق صاحب الكتب المصنفة فاراه ما ينفث ووصف له ما يجد . فاخذ الرازي حسه ورأى قارورته واستوصف حاله منذ بدأ ذلك به . فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة

فاستنظر الرجل ليتفكر في الامر فقامت على العليل القيامة وقال هذا يأس لي من الحياة لحذق المتطبب وجهله بالعلة فازداد ما به وولد الفكر للرازي ان عاد اليه فسأله عن المياه التي شرب منها في طريقه فاخبره انه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس ابي بكر محمد ابن زكريا الرازي المطبب الرأي بحدة الخاطر وجودة الذكاء ان علقة كانت في الماء فحصلت في معدته وان ذلك النفث للدم من فعلها فقال له اذا كان في غدٍ جئتك فعالجتك ولم انصرف او تبرأ ولكن بشرط تأمر غلمانك ان يطيعوني فيك بما آمرهم به فقال نعم وانصرف الرازي فتقدم فجمع له ملء مركنين كبيرين من طحلب اخضر فأحضرهما من غدٍ معه واراه اياهما وقال له ابلع جميع ما في هذين المركنين فبلع الرجل شيئاً يسيراً ثم وقف فقال ابلع فقال لا استطيع فقال للغلمان خذوه فأنيموه على قفاه ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه واقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه ببلعه شاء ام ابى ويقهروه بالضرب الى أن بلع كارهاً احد المركنين والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء الى ان قال الساعة اقذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه فذرعه القيء فقذف وتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علقة واذا هي لما وصل اليها الطحلب فرمت اليه بالطبع وتركت موضعها والتفت على الطحلب فلما قذف الرجل خرجت مع الطحلب ونهض الرجل معافى »

والغالب في اقواله ياسادة الشاردة ملؤها الحكمة والاختبار وفي مؤلفاته الآراء الجديدة الدالة على فكر نير ومن كلامه قال : الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم رأيه خطر وقال القراءة من كتب الحكماء والاشراف على اسرارهم نافع لكل حكيم عظيم الخطر وقال : العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض فعليك بالاشهر فيما اجمع عليهِ ودع الشاذ واقتصر على ما جربت .وقال من لم يعن بالامور

الطبيعية والعلوم الفلسفية والقوانين المنطقية وعدل الى اللذات الدنائية فاتهمهُ في علمه لاسيا في صناعة الطب . وقال متى اجمع جالينوس وارسطو على معنى فذاك هو الصواب

وقال الامراض الحارة اقتل من الباردة لسرعة حركة النار

وقال الناقهون من المرض اذا اشتهوا من الطعام ما يضرهم فيجب على الطبيب ان يحتال في تدبير ذلك الطعام وصرفهِ الى كيفية موافقة ولا يمنعهم ما يشتهون البتة

وقال ينبغي للطبيب ان يوهم المريض ابداً الصحة ويرجيه بها وان كان غير واثق بذلك فمزاج الجسم تابع لاخلاق النفس . اليست هذه ياسادة آخر اختراعاتنا الطبية

وقال الاطباء الاميون والمقلدون والاحداث الذين لاتجربة لهم ومن قلت عنايتهُ وكثرت شهواتهُ قتالون . وقال ينبغي للطبيب ان لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن ان تتولد عن علتهِ من داخل ومن الخارج ثم يقضي بالاقوى

وقال ينبغي للمريض ان يقتصر على واحدٍ ممن يوثق بهِ من الاطباء فخطأه في جنب صوابهِ يسير جداً . قال ومن تطبب عند كثيرين من الاطباء يوشك ان يقع في خطأ كل منهم . وقال متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل

وقال ينبغي ان تكون حالة الطبيب معتدلة لا مقبلاً على الدنيا كلية ولا معرضاً عن الدنيا كلية فيكون بين الرغبة والرهبة . وقال ان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وفق الى سعادة. وقال ما اجتمع عليهِ الاطباء وشهد عليهِ القياس وعضدتهُ التجربة فقد وافق السعادة الى آخر ما هنالك من الاقوال الدالة على علم ثاقب وحكمة بليغة وفلسفة نادرة المثال في ادراك الاشياء هذا عدا مئات من الكتب في الطب والفلسفة والطبيعيات والكيميا والظواهر الجوية وعلوم الاقدمين عن بكرة ابيها

الرازي بين الشرق والغرب

لما عيدت الجمهورية الفرنسوية تذكار سبعماية سنة على تأسيس مدرسة مونبليه الطبية جاء المدينة من باريس في شهر نوفمبر عام ١٩٢١ حضرة المسيو ميليران رئيس الجمهورية لذلك العهد والقيت خطب كثيرة . وكان معظم هذه الخطب من قبل اساتذة المدرسة الحاليين وهم نجوم العلم اليوم في الطب والجراحة . وقد جيء في تلك الخطب على ذكر الرازي وابن سينا وابي القاسم عباس بن خلف الزهراوي. وعلى قمة الجدار الامامي للبهو الكبير في مدرسة باريس الطبية ترى رسوم عديدة لمشاهير اطباء الانسانية وبينها رسم ابي بكر محمد بن زكريا الرازي يحيط به من جهة الرئيس ابن سينا ومن جهة أخرى جراح القرون الوسطى غير مدافع ابو القاسم الزهراوي

للرازي : ايها السادة مؤلفات عديدة في شتى المواضيع اوصلها ابن ابي اصيبعة الى المائة

وتزيد وانما ما يتعلق ببحثنا منها هنا هما اثنان المنصوري والحاوي . نُقِل الكتابان الى اللاتينية في القرن الثاني عشر اي بعد موت الرازي بقرنين ودرسا في اوربا قاطبة وفي فرنسا خصوصاً الى اوائل القرن الثامن عشر . وقد اتفق للمنصوري وقد اهداه مؤلفه الى صديقه الملك المنصور بن ساسان احد ملوك خراسان لذلك العهد ان المؤرخين خبطوا فيه خبطاً عجيباً وذلك لاقبال مدرسة مونبليه عليه ولأنه اصبح من الشهرة بمكان

فنهم من عزا الاسم الى أبي جعفر المنصور مؤسس وموطد الدولة العباسية معيداً اياه جيلاً الى الوراء ومنهم من بات ينسبه الى المنصور حاجب هشام الاندلسي قافزاً به من قارة الى قارة . على ان المنصوري يتضمن فصولاً في واجبات الطبيب وفي شروطه هي خير ما كتب في هذا الموضوع وقد ترجمت في القرن الاخير الى الافرنسية رأساً وظهرت في كتاب عنوانه المذاهب الطبية للاستاذ بوشو المطبوع عام ١٨٦٤ . واما الحاوي واسمه في اللاتينية *Conteneur* فقد اتفق له من غرائب التقادير ما يجمل ذكره منها انه ظهر بعد موت الرازي اظهره ابن العميد الاديب الكبير بعد ان جمع تلاميذ الرازي. ومنها ان ترجمته كانت في طليطلة في القرن الثاني عشر مع اخيه المنصوري وقانون ابن سينا . ومنها ان ملوك فرنسا كانت تهتم بحاوي الرازي اهتمامها بأعز ما لديها من الكنوز فان لويس الحادي عشر وقد كان شديد الاعتناء بصحته طلب من مدرسة الطب بباريس في القرن الثاني عشر ان تمكنه من استنساخ الكتاب المذكور ليحفظ في مكتبته الخاصة فاغتنمت الادارة هذه الفرصة السانحة واخبرت صاحب الجلالة بحاجتها الى الدراهم فلم تخرج الحاوي من مكتبتها إلا بعد ان نقدها صاحب الجلالة ما طلبته منه واستدانت المدرسة المذكورة مراراً في القرن الرابع عشر فلم تجد من يسلفها نقوداً إلا بعد ان استودعته حاوي الرازي ولم يقبل المداينون بغيره من الرهن

وقد شاهدت في المكتبة الاهلية بباريس منذ عام نسخة خطية من كتاب له معروف اسمه الفاخر دخل المكتبة منذ عهد قريب ويعتقد صديقي المسيو بلوشه احد امناء المكتبة بانه من منسوخات القرن الثاني عشر . وقد سبق الرازي الى اشياء لم تكن معروفة قبله منها وضعه الفصل المعروف في واجبات الاطباء وهو خلاصة ما يعرف اليوم بعلم ***Déontologie*** ومن فصول في الدرجة الاولى من خطورة الشأن في امراض الاطفال وعلاجهم . ومنها رسالة في الجدري والحصبة طبعها المرحوم الاستاذ فنديك عام ١٨٦٦ في لوندرة . وقال الاستاذ بوشو في هذه الرسالة « لقد اتى الرازي في هذه الرسالة على وصف ضرب من الجدري ذي بثور بيضاء متلاصقة على اديم الجلد كأنها بقع من الدهن انتشر وقال ان آخرتها محزنة واني والحق يقال لم اجد اصوب من قوله فيها »

تاريخ وفاته

في المسألة قولان — اولهما لاحد المواطنين واكاد اقول المعاصرين الحسن بن سوار الطبيب والثاني للمظفر بن موف الطبيب المصري الذي جاء بعد الرازي بجيلين

اما الحسن بن سوار فيقول ان الرازي توفي سنة نيف وتسعين ومائتين او ثلاثماية وكسر والشك مني » . واما الثاني فيقول بانهُ توفي عام ٣٢٠ هجرية واما كشف الظنون وابن خلكان وتغري بردي ومؤلف الجاني فكلهم قد اعتمدوا عام ٣١١ هجرية الموافقة لسنة ٩٢٣— ٩٢٤ ميلادية. ولديّ براهين عديدة على صحة الاعتقادبان تاريخ ٣١١ هوالصواب. ولذلك ان استاذه في الطب علي ابن الربن وضع للمتوكل فردوس الحكمة بعد ان اسلم على ايدي المعتصم والمعلوم ان المتوكل توفي عام ٨٦١ فاذا افترضنا ان علي بن الربن قضى نحبهُ في ذاك التاريخ كان الرازي قد عمر نيف وستين سنة بعد موت استاذه وهو اقرب الى التصديق من القول الآخر . ودبر الرازي مستشفيات الري وبغداد في زمن المكتفي وقد علمتم بانهُ اقدم على الطب بعد الاربعين من سنيه فهل اصبح مدبراً وطبيباً لمستشفيات بغداد والري إلا بعد ان ذاع صيتهُ واصبح يشار اليهِ بالبنان وبالتالي بعدعشرين وثلاثين سنة من تعلمهِ الطب وانصرافهِ عن الصيرفة والموسيقى . واذا كان المكتفي قضى نحبه عام ٩٠٢ فان القول بان الرازي مات بعد خليفته بنيف وعشرين سنة اقرب الى الصواب والتصديق من ان يلحق بهِ بعد نيف وثلاثين سنة وهو قد اجتاز المائة من سنيه

***

وقال ابن ابي اصيبعه ان الرازي كان في الاول صيرفيًّا ومما يحقق ذلك انني وجدت نسخة من المنصوري قديمة قد سقط آخرها واحترق اولها من عتقها وهي مترجمة بذلك الخط على هذا المثال : المنصوري تأليف محمد بن زكريا الرازي الصيرفي واخبرني من هي عنده انها خط الرازي وكان الرازي من معاصري اسحاق بن حنين ومن كان معه في ذلك الوقت

والمشهور ان اسحاق بن حنين توفى في بغداد في شهر ربيع الآخر سنة ثماني وتسعين ومائتين فالقول بان الرازي عاش بعده نيف وعشرين سنة صعب التصديق لا يألف المعقول

اما انصراف الرازي عن الصيرفة فهذا برهان على عدم تمسكهِ بالماديات

واما هجره الموسيقى فالمشهور انهُ استعملها بعد اقدامهِ على الطب في التوسطات الجراحية ولعلّ الفارابي كان ممن اقتفى اثره فيها وفي اعتقادي ان لها مستقبلاً حسناً في الطب

انتم اليوم أيها السادة تعيدون تذكار الرازي ويوبيله الالفي، الا تسمعونه يقول وقد حضرته الوفاة

لعمري لا ادري وقد آذن البلى بعاجل ترحالٍ الى اين ترحالي
واين محل الروح بعد خروجه من الهيكل المهجور والجسد البالي

على ان ذكره لا يزال ملء الكتب وهو حي يذكم في المكتب الطبي غرفة عيادة منسوبة اليهِ وفي الاقرباذين مرهم لايزال الى اليوم باسمهِ وغير بعيد ان تنجب لنا الشام مثال الرازي فيعود الى الشرق ضياؤه والى الانسانية جمعاء عزاؤها

دعوة المقتطف

للاحتفال بعيد الرازي الالفي

جرت الامم العربية، على تكريم علمائها وادبائها وفلاسفتها وساستها ورجال الفضل فيها في حياتهم وبعد مماتهم. فهي تقيم لهم التماثيل والاضرحة في الميادين العامة وتطلق اسماءهم على الشوارع والمعاهد وتؤسس المدارس والجمعيات وتنسبها اليهم وتنشيء الكراسي في الجامعات والمحاضرات السنوية تخليداً لاعمالهم وتجديداً لذكرهم وتعقد المؤتمرات للاحتفال بمرور مائةِ عام او مائتي عامٍ او ثلاثمائة عام على ولادة احدهم او وفاتهِ. فلا يصدر عدد من اعداد المقتطف الاّ وفيهِ خبرٌ عن خطبه هكسلي او بايجت مثلاً او الاحتفال بمرور ثلاثمائة عام على ميلاد نيوتن او بأ اجتماع الجمعية الملكية للحج الى دار داروِن او تبرع احد المثرين باقامة معهد علمي او صناعي يسمى باسم باستور او رُس . . . الخ

وقد جارينا الامم الغربية في كثير من علومها وفلسفتها وصنائعها وعادات سكانها . فعلينا ان نجاريها أيضاً في تكريم علمائنا وفلاسفتنا تكريماً يبث في نفوس الشبان محد العلم ورفعة قدره

والرازي كما يتبيَّن صاحب هذه الخطبة النفيسة من اعلام الاطباء والعلماء الذين انجبتهم الامة العربية فيجب علينا ان نحتفل بذكرهِ كما يحتفل الغربيون بهارفي وباستور وفرْكو ولستر

لذلك يدعو [المقتطف] الجمعية الطبية المصرية والمجمع العلمي العربي بدمشق الشام وغيرها من الجمعيات العلمية والطبية في انحاء البلاد العربية الى تعيين يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٠ للاحتفال بانقضاء الف سنة على الرازي الطبيب العربي المشهور الخالد الذكر فتتلى الخطب في ترجمتهِ ووصف مؤلفاتهِ وما افاد بهِ الطبَّ والعلوم الاخرى التي اشتغل بها . وقد اخترنا هذا التاريخ تحكماً مع انهُ سابق للتاريخ الذي يحسبهُ بعض الباحثين تاريخ وفاتهِ الحقيقي ومتأخر عنهُ بحسب رأي فريق آخر منهم — وخير البرّ عاجلهُ

تحوُّل الآراء في الاثير

من نيوتن الى اينشتين

..

مهما يكن تصوُّر نوع الفضاء الذي يحيط بنا صعباً. ومهما تختلف الآراء في نوعهِ وحدوده الهندسية ومهما يكن تقصيرنا عن ادراك كنهه وحقيقته . فان لهُ صفات طبيعية خاصة بهِ يمكننا درسها ومعرفة بعض قوانينها . وعليهِ لا يمكننا ان نسميه فضاء فحسب . بل علينا ان نطلق عليهِ اسماً ينم على خواصه الطبيعية او بعض هذه الخواص

واول من بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً وسمى هذا المجهول بالاثير كان الطبيعي الانكليزي العظيم السر اسحق نيوتن

يستحيل علينا ان نصف صفات الاثير الطبيعية بالدقة التامة بالتعابير والمصطلحات التي نستعملها لوصف خواص المواد الارضية . ولكننا لا نستطيع غير هذا السبيل فنضطر الى استعمال هذه المصطلحات لكوننا لا نعرف سواها ! وفي مثل هذه الحال يجب علينا ان نبقى متذكرين انها لا تعبر عن الحقيقة بالدقة التامة ولكنها تفعل ذلك لو كان الاثير مادة عادية

نحن نتكلم عن مرونة الاثير وكثافته مثلاً . فباي حق نفعل ذلك ! ليس الاثير مادة عادية كموادنا لننسب اليهِ صفاتها . ومع ذلك نقول ان كثافة الاثير هي الف طن للمتر المكعب. ومرونته تساوي حاصل ضرب كثافته في مربع سرعة النور ! وبهذا نعني انهُ لو تحوَّل الاثير مادة لكانت لهُ تلك الكثافة وهذه المرونة

بمثل هذه التحفظات يمكننا ان نستعمل الاصطلاحات العادية لتعداد خاصيات الاثير المعروفة فنقول : —

(١) الاثير شفاف
(٢) « عديم الاحتكاك بالمواد
(٣) « عظيم الكثافة
(٤) « تام المرونة
(٥) « عديم الحرارة
(٦) « عديم الصوت
(٧) « موصل حسن للجاذبية والنور والامواج الكهربائية — المغنطيسية

(٨) الاثير وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها
(٩) « وسيط للجاذبية الكيماوية (او الالفة الكيماوية)
(١٠) « يملأ كل فراغ من المادة

النظريات القديمة

(١) اول من بحث في الاثير بحثاً علميًّا مسهباً هو نيوتن . وقد اضطر الى ذلك ابان درسه لناموس الجاذبية العام ، فقدتعذّر عليه ان يتصور قوة عظيمة (قوة الجاذبية) تؤثر عن بعد دون وسيط موصل لهذا التأثير . ولذلك خلق لهذه القوة الهائلة التي تربط اجزاء الكون بعضها ببعض وسيطاً مالئاً الفضاءالواسع بين الاجرام، وبذلك تحايد مخالطة القوانين الميكانيكية المعروفة آنئذٍ . وقد كان نيوتن يعتقد ان لهذا الاثير مظاهر كيماوية وحرارية وكهربائية ، لا يمكنه ادراكها تؤثرفي ذرات النور الآتية من الاجرام البعيدة فتكيفها وتجعلها قابلة الانعكاس والمرور على ابعاد متساوية.وهكذا نرىان نيوتن ابتدع فكرةالاثير لحاجته اليهِ ولكنهُ لم يدقق في ماهيته التدقيق الكافي

(٢) عند ما تقدم هويجنس (*Huygens*) بنظريته الموجية فيحركةالنور داحضاًنظرية نيوتن الذرية وجب عليهِ ان يبحث بحثاً دقيقاًفيحقيقة الاثير ، وذلك لان نظريته تقوم على الفرض بان النور ليس الا سلسلة امواج متتابعة في الاثير بسرعة عظيمة معينة

ولقد كان هويجنس نفسهالذيقالبانالاثيرمؤلفمن ذرات صغيرة جداً . سريعةالحركة في مراكزها . ثقيلة الوزن . عظيمة الكثافة وكما ان حركة دقائق الماء تجعلها اقل ممانعة لسيرالاجسامالصلبةفيها فسرعةحركةالذراتالاثيريةالعظيمةتجعله عديم المانعة لسيرالكواكب والسيارات والاقمار. ومن هذه النظرية قوله ان الاثير شديد الاختراق للاجسام فذراته الصغيرة تمر بين ذرات المواد وتملأ كل فراغ بينها دون ممانعة ، وعليه نرى انبوب البارومتر الزئبقي يمتليء طرفه الاعلى بالاثير لما ينقلبفي حوض من الزئبق

اما النور فهو انتقال اهتزازات دقائقالجسم المشع بواسطة اهتزاز ذرات الاثير ، وهذا الانتقال لا ينقص كمية الطاقة المرسلة البتة لان الموصل هو كامل الوساطة

ولم يكن هويجنس يعتقد ان الجاذبية من خواص المادة بل كان يقول انها نتيجة توسط الاثير بين الاجسام . ولما كان هذا الاثير يملأ كل فراغ بين ذرات المادة فالجاذبية تخترق المواد مهما كان نوعها دون اقل نقصان في قوتها (كمية الطاقة فيها)

(٣) وقد توسع فرنلالفرنسي(*Fresnel*) في تطبيقالنظرية السالفةفقال ان الأثير

يختلف كثافة باختلاف موقعهِ بالنسبة الى المواد المحيطة بهِ . فالأثير داخل الاجسام الشفافة اكثف من الاثير المالي الفضاء الشفاف حسب زعمه . وقد بحث بحثاً وافياً في كثافة الأثير داخل المواد الشفافة وقرر انها تتوقف على مربع دليل الانكسار النوري لذلك الجسم (*index of refraction*) . وعليه فعند مسير ذلك الجسم في الفضاء بسرعة (س) مثلاً ، تنقص سرعة الأثير المار في وسطه عن اصلها جزئيًّا وتبقى س $(١ - \frac{١}{د^٢})$ « هنا (س) تدل على سرعة الأثير و (د) تدل على دليل الانكسار النوري »

وجرياً على هذه النظرية يجب ان تحدث الارض عند مرورها بالأثير تياراً صغيراً معاكساً لوجهة مسيرها ووجود مثل هذا التيار يحرف النور عن مسيره العادي انحرافاً قليلا لا يقدر ان يراه احد حتى ولا الباحث المدقق . وقد علل فرنل عدم ظهور هذا الانحراف بكون العدسيات التي يُمتحن بها تسير بسرعة الأرض نفسها وبذلك تحرف النور الى الجهة المقابلة فيتم التوازن ولا تتأثر قواعد الانعكاس والانكسار النوري

(٤) وقد علل كوتشي (*Couchy*) انحراف النور في الاثير — على فرض وجوده — بكون الأرض تحمل معها في مسيرها طبقة من الأثير فعند ما تمرُّ الأشعة في هذا الوسيط السائر مع الأرض فلا بد لها من الانحراف نحو وجهة المسير . وقد كان كوتشي يعتقد ان اختلال موازنة الأثير عند مرور الارض هو سبب الظاهرات الكهربائية والمنطيسية التي نراها

(٥) والنظرية الخامسة هي نظرية جورج ستوكس (*George Stokes*) ، وهي تختلف عما سبقها اختلافاً تامًّا . تصور ستوكس الأثير سائلاً شفافاً عديم الاحتكاك عند ما تنظر اليهِ من وجهة حركتهِ مع الأرض والسيارات ، وصلداً عظيم المرونة عند ما تنظر اليهِ من وجهة ايصال النور والجاذبية . فهو مثل كثير من المواد (الزفت والشمع) التي تكون احياناً سائلة واحياناً جامدة وهي في حالة واحدة وشكل واحد

وقد تصوره سائلاً كاملاً حتى لا يمكن لذراته ان تسير بحركةٍ دورية ولا يقبل الضغط مطلقاً بل على الضدّ مما ارتآه فرنل يسير مع الأرض في سيرها دون ان يحدث تياراً دوريًّا صغيراً كان ام كبيراً . وكل حركةٍ دورية تبتدىء فيهِ تخمد لشدة مرونته. وقد ايّد ستوكس نظريته هذه بمعادلات رياضية عظيمة الأهمية لا تزال حتى يومنا هذا من اسس هذا العلم المفيدة وخصوصاً في الكهربائية

وقد جرب السر اوليفر لدج (*Oliver Lodge*) حديثاً تجربة برهنت على صدق نظرية ستوكس في مسألة عدم دوران الاثير . وذلك بان وضع اسطوانتين متوازيتين في صندوق وافرغ هواءه ثم جعل الاسطوانتين تدوران دوراناً معكوساً ، ومع دقة ابحاثهِ الفائقة

لم يجد اثراً لدوران الاثير بين الاسطوانتين مع انهما كانتا تدوران بسرعة هائلة

(٦) اما النظرية التي تهمنا اكثر من الجميع فهي نظرية ماكسول(*Clark Maxwell*) لما بني عليها من المعارف المدهشة في الهندسة والفنون الكهربائية واللاسلكية. فهو يقول ان الاثير ساكناً كان ام متحركاً ، صلباً كان ام سائلاً ، له كثافة عظيمة جداً ومرونة تساوي حاصل ضرب الكثافة في عددٍ وُجد بعدئذ انهُ يساوي مربع سرعة النور : وهو ينقل الامواج المغنطيسية والكهربائية حسب قانون رياضي تحليلي وضعه ماكسول نفسه . وقد طبق هذا القانون النظري في ايجاد اعظم سرعة للامواج التي يستطيع الاثير نقلها فكانت مساوية لسرعة النور بالضبط

وقد برهن ماكسول على ان معادلاتهِ هذه لا تتغير مهما يتغيَّر مركز المحورين في الرسم البياني وذلك لانها مبنية على كميتين ثابتين تمثلان صفات الاثير الاصلية (الاولى تعادل قوة الجاذبية بين جسمين مشحونين بالوحدة الكهربائية والثانية قوتها بين جسمين ممغنطين بالوحدة المغنطيسية)

نعم ان ماكسول لم يقدر ان يفصل احدى هاتين الكميتين عن الاخرى ولكنهُ وجد ان حاصل ضربهما يعادل عكس مربع سرعة النور بالضبط

هذه المعادلات التي بنى عليها ماكسول نظريتهُ هي في غاية الاهمية لان عليها ترتكز جميع الابحاث العلمية الحديثة ان في الكهربائية او المغنطيسية العامة او اللاسلكي او الجاذبية او تركيب المادة. ولكن هذه المعادلات قد حرفت قليلاً عن اصلها لان ماكسول لم يحسب حساباً لتأثير الوسط المادي في سرعة اختراق الامواج . ومن اعظم من اهتموا بتصحيح هذه المعادلات هلمهلتز الالماني *Helmholtz* الذي استنتج بطريقة رياضية محضة ان الاثير يجب ان يسير بحركة مستمرة في المجال الكهربائي المتحرك ! ولكن التجارب العديدة التي قام بها الدج وهنري وهندرسن جاءت على عكس ذلك ونفت حركة الاثير بتاتاً وهذا ما حدى بڤين الى القول بالنظرية التالية

(٧) اما ڤين(*Wien*) فيقول انْ ليس للاثير كثافة مطلقاً وعليهِ يمكن للامواج الكهربائية المغنطيسية ان تخترقه دون ان تحدث اضطراباً فيهِ . ولكي يجعل الاثير تام الهدوء مهما تغيرت الاحوال افترض ان قوة استمراره عظيمة جداً لدرجة انهُ لا يمكن لاي قوة ان تبدأ الحركة فيه وعلى الاخص الحركة الدورية

(٨) ومن النظريات التي كان لها شأن خطير وثبتت امام هجمات الناقدين مدة طويلة نظرية ماك كولاغ (*Mc Coulagh*) الذي تصور الاثير مائعاً مرناً لا يقبل الضغط مطلقاً فلا يمكن ان تسير فيهِ الامواج الطويلة لعدم انضغاطه ولكن الامواج العرضية كامواج النور والكهربائية

تسير فيه بسبب تؤثره الجيروستاتيكي (اي لحرية حركته المطلقة دون دوران اجزاءه) فلو ابتدأ هذا الدوران بقوة خارقة (وهذا مستحيل) لارتد الاثير الى مركزه الاصلي كما يرتد اللولب (الزنبرك) او الجيروسكوب لشدة مرونته

وقد عضدت هذه النظرية كثيراً عند ما ادخل عليها لارمر **Larmor** تحسيناته المبنية على درسه للكهربائية والمغنطيسية فلارمر يقول ان خطّ القوة المغنطيسي ليس الا مسيراً لتيار من الاثير وما المجال الكهربائي حسب هذا التعديل سوى التفاف قطعة من الاثير حول تيار فيها (خط من خطوط القوة) كمحور ثابت فتسعى على الدوام للرجوع الى حالتها الطبيعية بسبب شدة مرونتها ولذلك فهي تدفع الكهارب في الوجهة المعاكسة للقوة التي اثّرت فيها

لهذه النظريات كما لغيرها صعوبات جمة . اهمها هو ان الارض تدور على الدوام بسرعة لا بأس بها (نحو ١٨ ميل ونيف في الثانية) فيجب ان تكون دائماً في مجال مغنطيسي عظيم وان يكون هنالك ريح اثيرية محيطة بجسمها ومسيرها. اما عن المجال المغنطيسي فهو موجود اكيداً وظواهره العديدة تشهد بذلك . ولكن ادق التجارب التي قام بها علماء هذا العصر تنفي وجود التيار الاثيري حول الارض

وفي سنة ١٨٩٧ قام ميكلصن ومورلي بتجربتهما الشهيرة للتثبت من وجود هذا التيار او نفيه بان قاسا سرعة النور في وجهة مسير الارض وسرعته في وجهة عمودية للاولى. فوجدا ان السرعة واحدة لا تتغير . وبذلك استدلاّ على عدم وجود التيار الذي تفترضهُ نظرية ماك كولاغ ولارمر وقد اعيدت هذه التجربة مراراً للتثبت من دقتها وصحة نتائجها فاسفرت عما اسفرت عنهُ التجارب الاولى

ولتعليل هذه النتيجة السلبية قام لورنتز الهولاندي وفتزجيرالد الانكليزي **Lorentz & Fitzgerald** بتجارب عديدة ليبرهنا على ان المواد تتقلص في وجهة مسيرها حسب قانون رياضي ينتج عنهُ عدم اختلاف سرعة النور في اي وجهة كان مسيره

(٩) اما اينشتين *Einstein* فقد بنى على هذه النتيجة السلبية نظريته في النسبية التي ينكر فيها وجود مثل هذا الاثير المزعوم ويستبدله بخيال من الفضاء والوقت يصعب على من لم يتعمق في الرياضيات ان يدرك كنههُ

الخرطوم : كلية غوردن شكري شمّاس

التجارة عند الامم القديمة

تجارة المصريين

بنى رعمسيس الثالث فرعون مصر اسطولاً في البحر الاحمر وسافر عليه يرتاد بلاد الفنط (الحبشة والصومال) وبلاد العرب (الارض المقدسة) تسهيلاً للتجارة البحرية بين مصر والشرق الاقصى . ففتح طريقين تجاريين خدمة لهذا المشروع احدهما بري بين القصير وقفط والثاني بحري بين المحيط الهندي والنيل بطريق بلاد العرب

وفي عهد سيتي الاول من الاسرة التاسعة عشر احتفرت القناة الموصلة بين النيل وبحر القلزم (البحر الاحمر) لتحسين المواصلات التجاريه بين مصر وجزيرة العرب . وكانت الملاحة الفينيقية محصورة بايديهم في البحرين المتوسط والاحمر فاقتدى المصريون بهم . فاهملت القناة بعد موت سيتي وبطلت الملاحة المصرية لان سكان مصر ليسوا اهل اسفار وارتياد

وعلى اثر ذلك سقطت صور واضطرب حبل الفينيقيين فاغتنم حيرام ملك صور وسليمان ملك اورشليم الفرصة وانشأ سفناً للملاحة فيه. وربما كان هذا اول اتفاق تجاري دولي. واتخذ أيلة (العقبة) مرفأ لهم تنقل اليه سفنهم حاصلات اليمن وبضائعها الهندية والشرقية وقد اشار سفر الملوك في التوراة الى ذلك وتوقفت الملاحة بموت سليمان . وفي كتابات تل العمارنة المكتشفة سنة ١٨٨٨ م ادلة على تقدم التجارة البحرية الفينيقية والمعاهدات مع المصريين

فكانت للمصريين سفن وقوافل للتجارة فسفنهم كانت تمخر البحر من اعالى النيل الى شواطيء البحر الرومي لجلب الاخشاب لابنيتهم ولموتاهم مثل التنوب (الشوح) والسرو والشربين اما من غابات لبنان واما من جهة امانوس (اللكام) وهكذا كانت تسير الى المرافيء الاخرى ولاسيما في الارخبيل والمحيط الهندي وكانت لهم قوافل كثيرة تسير الى السودان وافريقية وقوافل في المرافيء تتناول مشحوناتهم من على السفن وتنقلها الى داخلية البلاد في اطراف آسية وغيرها[1]

وكانت تسير على طريق سيناء في البرية المتسعة الاطراف ولا تخلو من مهاجمات القبائل التي تمرُّ بها مثل بقية القوافل التجارية فتنقدهم اجوراً من البضاعات والصناعات خفارة للطريق وفي ذكر بيع يوسف الصديق للمصريين اشارة صريحة الى ربط تجارة سورية بمصر

(١) الحضارة المصرية لاحمد كمال باشا الصفحة ٢٠٨ طبع مصر

قديماً وكانت مدينة طيبة محط رحال التجارة من مصر واليها حتى ذكر هوميروس عظيم ثروتها وبضائعها ووصف هيرودوتوس المواقف التجارية بين طيبة والممالك الاخرى وهي (١) الى قرطاجة (٢) الى بوغاز جبل طارق (المسمى اذ ذاك بوغاز اعمدة هرقل) فالمحيط الاعظم (٣) طريقان من طيبة الى بلاد اثيوبية (الحبشة) ومملكة مروة اما بمحاذاة النيل واما بقطع معابر النوبة (٤) طريقان احداهما الى البحر الاحمر والثانية من بلدة (ادفو) فتتصل بالاولى بثغر القصير الى كثير من هذه التفرعات [1] وعلى الجملة فكان المصريون يجلبون بضائع الهند ويرسلون بضائعهم الى جوار البحر الاحمر المتوسط

تجارة الاشوريين والبابليين والكلدانيين

كان السماريون من قدماء سكان العراق وخلفهم الساميون ومنهم الكوسانيون فاشتهروا بعمرانهم وكانت معاملاتهم التجارية ذات شأن من اقتراض وادانة وسفاتج (بوالس) ومصارف (بيوت مالية) وارتهان الخ . وكانت لهم انظمة وشرائع من عهد العيلاميين فالحورابيين فالبابليين فما بعد وكلها تدل على ارائهم وضبط معاملتهم

واشتغلت نساؤهم بالتجارة وساوت الرجال في الحقوق . وكان البابليون اول من استنبط سك النقود وكانت لهم مصارف (بنوكة) شهيرة منها بيت (اجيبي) المتمول الكبير وشركائه في ايام سنحاريب قبل الميلاد بسبع مائة سنة . ولقد كشفت الا ثار كثيراً من اصول تجارتهم ومعاملتهم . وامتزجوا بالامم المتصلة بهم واسسوا عندهم المصارف والمتاجر الكبيرة ولا تزال اسماء بعض مدنهم تدل على تجاراتهم مثل (الهيت) بمعنى القار وهو احد حاصلاتهم الكثيرة التي منها الغنم والبقر والصوف والحبوب والتمر . وفي الصحف المسمارية المكتشفة سفتجة (بوليسة) بتاريخ سنة ٥٥٠ قبل المسيح اشبه بسفاتج عصرنا [2] وكانوا ينقلون بضائعهم في نهري دجلة والفرات بالكلكات (وهي الظروف من جلد تنفخ وتشد عليها الواح الخشب ثم تنقل عليها البضائع بقوة التيار المائي في النهرين المذكورين) . ومثلها الاطواف (وهي اخشاب يشد بعضها الى بعض فتجري مع التيار ايضاً) وكانت تجارة البابليين من نهر الفرات الى بغداد اي من حلب الى بغداد بالكلكات والاطواف المذكورة

(١) الاثر الجليل لقدماء وادي النيل لاحمد نجيب طبع مصر سنة ١٨٩٥ صفحة ٣٠٠ (٢) عرف الشرقيون الصرافة منذ القدم واول مصرف انشيء في بابل لبيت ايجيبي بقي مائة سنة الى الفتح الفارسي ثم اتسع نطاقه الى جهات مختلفة وكان من اعمال هذا المصرف الادانة بفائدة مالية وفتح حسابات للمتعاملين معه ودفع قيمة السفاتج (البوالس) المسحوبة عليه من بلاد العجم ونحو ذلك

ولما كشفت آثار (اور الكلدانيين) في (سنة ١٩٢٤) عثروا في قصر نبوخذ نصر ملك اشور على دفاتر تجارية قديمة وهي اشبه بدفاتر حساب الزنجير المعروف عندنا بالدوبيا بينها دفتر الاستاذ وهو مثل دفاترنا اليوم في اول صفحة فيهِ كلمة (من) وفي الثانية (الى)[١]

وكل من طالع شرائع حورابي من القدماء عرف نظام التجارة عند العراقيين. فكانت عندهم تربط بصكوك وعقود ووضعوا شرائع للرهن والوديعة ومن انظمتهم (ان كل بيع بلا عقد باطل) و (كل دين بلا صك لغو) . ومن غريب ما فعلوه في اقتضاء الدين عند عجز المدين عن تأديتهِ ان يقبض الدائن على زوجة المدين واولاده فيستخدمهم في بيتهِ حتى يستوفي منهم حقه واذا عجزوا عن الوفاء خدموا ثلاث سنوات ثم يطلق سراحهم

وكانت الحكومة تتولى تسعير السلع وفرض اجور الصناع والعاملين حتى الاطباء والبياطرة . والقت عليهم تبعة ما يقع على يدهم من المخاطر والاضرار . وقد اكتشفت آثار كثيرة فيها قواعد حسابية تجارية وصكوك وعهود وعقود تدل على ترقي التجارة في عهدهم

تجارة العبرانيين

اشتهرت تجارتهم القديمة واهمها كان بزمن سليمان الحكيم في اواخر القرن العاشر قبل الميلاد لان هذا الملك رقى العلم والصناعة والتجارة واعرض عن الحروب وعقد شبه معاهدة مع حيرام ملك صور صديقه الذي ساعده ببناء الهيكل في اورشيم . وبنى في تدمر مخازن ومخافر للتجارة . قال سفر الملوك الثالث (٩ : ١٨) فبنى سليمان بعلة وتدمر في ارض البرية . وقال سفر الاخبار الثاني (٨ : ٤) وبنى تدمر في البرية وجميع مدن الخزن التي بناها في حماه . وقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي : ان سليمان بنى تدمر في محل فيهِ ينابيع وآبار يستقي منها المسافرون واحاطها باسوار منيعة وسماها باسم تدمر اي العجيبة وهو اسمها السرياني ايضاً . وكان بناؤها لتأمين طريق الفرات من غزوات البدو والآراميين الذين يفاجئون المارة والتجار لان القوافل كانت تسير من دمشق وحماه الى تدمر ثم الى العراق وما وراءها فبقيت محطاً للتجارة الكبيرة من عهد سليمان الى عهد الرومانيين وقدر بلينيوس تجارة رومية وحدها في تدمر بنحو خمسة وعشرين مليون فرنك من نقودنا واهمل العبرانيون التجارة مع الاجانب لعدم مهارتهم بالملاحة ولكنهم كانوا يبتاعون البضائع الاجنبية ويرسلون

(١) قال الاستاذ هلبرخ الاميركي : كانت الصيرفة في ايام البابليين وقد وجد مثلها في دفتر مصرف (احيبي وابنه) وهما كانا في القرن السابع قبل الميلاد : ووجد مثال آخر لها في دفتر (لرساشو وابنه) في القرن الخامس قبل الميلاد : وكلاها اكتشفت في هيكل بل في نيبو

بضائعهم اليها. واشتهرت يافا فرضة اورشلم بتجارتها البحرية ولكن تجارة اليهود البرية كانت في مواسمهم لابتياع الضحايا وصرف الدراهم في الهيكل

تجارة الماديين والفرس

توالى على العراق ملوك مادي وعيلام وفارس على اثر انقراض الدولة البابلية وكانت تجارة بابل شهيرة كما مر فطمحت نفس (كورش) الفارسي اليها فحمل عليها سنة ٥٣٨ قبل المسيح ودخلها ظافراً فعزز فيها التجارة وابقى للقوم عاداتهم فأحبوا دولتهُ ودانوا لها الى ان بلغت أوجها في زمن (داريوس) وانتشرت تجارتها في انحاء العالم المتمدن حتى اثرت المملكة وتوسع نطاق عمرانها فصارت موازنتها اذ ذاك نحو ثلاثة ملايين وثلثمائة واثني عشر الف ليرة استرلينية. وهو يكاد يساوي من نقودنا ستة وعشرين مليون ليرة

وكانت مناجم الذهب المكتشفة في الهند غنية في زمن داريوس فابدلت النقود الممزوجة من المعادن المختلفة بنقدي الدينار الذهبي والدرهم الفضي وبقيت كذلك نحو قرنين

وفتح الفرس طرقاً جديدة للتجارة اهمها ما بين سرديس وشوشن فرصفوها وهندسوها على احدث طرز فاشتهرت حتى صورها اليونان ومنها طريق الجبال التي عرفها العرب وهي من همذان الى العراق وارتقت التجارة في زمن كسرى انوشروان لانهُ اصلح العراق ومد الجسور الى ان سولت للفرس انفسهم ان يقاطعوا التجار الرومان واليونان ويحتكروا تجارة الشرق والعرب بحفظ طريقي المحيط الهندي والبحر الاحمر «بحر القلزم» ولكنهم نجحوا فقط بالطريق الاول الشرقي اي طريق الهند. وفشلوا في الطريق الغربي واشتهرت عاصمتهم المدائن بموقعها التجاري وعمرانها ووفرة حاصلاتها المعدنية والدر والاواني الزجاجية والخزفية والمعدنية ومنسوجاتها وحجارتها الكريمة. وكانوا ينقلونها كاسلافهم البابليين بالاطواف والكلكات والسفر في الانهر ويبلغون بها اقصى البلاد. فيبيعون فيها مشحوناتهم ثم ينقلون بضائع تلك البلدان وحاصلاتهم الى العراق محط تجارة العالم اذ ذاك فيوزعون ما تحتاج اليه مدنها وما اليها. ويبعثون بالباقي الى دمشق وحلب والموانىء البحرية في مصر وسورية. وكانت علاقاتهم شديدة مع بلاد العرب ولهم فيها معتمدون يدفعون الجعالة لغزاة العرب خفارة للقوافل والسفن. وكان معظم التجارة بيد اليهود والنصارى في عهد الملوك الساسانيين لأنفة اشرافهم من التجارة ولاشتراطهم على ملوكهم ان لا يتاجروا تفادياً من غلاء الاسعار ولما احتك الرومان واليونان بالفرس تناولوا عنهم اتقان التجارة (١)

(١) بعضه ملخص عن (تجارة العراق قديماً وحديثاً) لصديقنا الاستاذ يوسف افندي رزق الله غنيمة وزير مالية العراق سابقاً الصفحة ٢٢ — ٣٠

تجارة الانباط في الجنوب

الانباط عرب سكنوا في مملكة ادوم الواقعة في جنوب فلسطين الشرقي ممتدة من حدود فلسطين الى خليج العقبة . وهي التي سميت (العربية الحجرية) وعاصمتها (بيترا) او (سالع) بمعنى الحجر. وكان الاسرائيليون يسمونها باسم (سعير) واليونان باسم (ايدوما) سكنها الحويون ثم الادوميون الذين دوخهم سليمان الملك واتخذ بلادهم طريقاً لتجارته الى البحر الاحمر . ثم عضدهم نبوخذ نصر ولم يطل ذلك حتى غابهم الانباط على امرهم قبيل القرن الرابع قبل المسيح واستولى عليهم الرومان سنة ١٠٢ م

وبلادهم تعرف الآن بوادي موسى وهي ملتقى القوافل بين تدمر وغزة وخليج فارس والبحر الاحمر واليمن . فلذلك نجحت عاصمتهم (بترا) الماثلة الى اليوم اطلالها العظيمة . والعرب سموها (الرقيم) وهو تعريب اسمها اليوناني (اركه) *Arke*

واشتهرت في زمن الامويين ووصفها كتاب العرب . واشتهرت دولة الانباط بملوكها الذين سمي كل منهم (بالحارث) ووجدت اسماؤهم على نقودهم التي ضربوها اقتباساً من اليونان

واتسع نطاق هذه المملكة وبعيت مركزاً تجاريًّا بين الشرق والغرب والجنوب والشمال حتى اعادوا الطريق من القصير على البحر الاحمر الى قفط على النيل . فتقهقرت تجارتها ومال السكان الى الزراعة واستولى عليهم الرومان كامر . فتحولت الطريق التجارية الى مدينة (تدمر) التي استعمرها الرومان استعماراً تجاريًّا عظيما

ووجد بعض الاثريين كتابة نبطية في فرصة (بتيولى) في ايطالية مآلها : ان صيدو النبطي وقف في السنة الرابعة عشرة من حكم الحارث الرابع بعض مقتنياته على اسم هذا الملك وزوجته . وكانت جميع التجارة تمر على يدهم وعلاقاتهم بمصر شديدة ولهم كتابة خاصة وجد منها قطعة في (دمَّر) قرب دمشق

تجارة اليونان

اضطرت بلاد اليونان الى جلب الحنطة والتمر والسمك والسمن من البلاد الاخرى وكان عبيدها يعملون السلاح والخزف والثياب والاثاث مما يباع خارج بلادهم . فوجدت عندهم التجارة وذلك بعدان صارت اثينة مدينة عظيمة في القرن الخامس قبل المسيح وكانت (بيرا) مرفأهم فانشئت فيها المخازن وصارت سوق بلاد اليونان . وامتدت تجارتهم الى بلاد ايطالية حيث نزل اليونان هناك . وكان لكل مدينة فيها نقود خاصة وصيارف يتعاملون بها ويقرضونها بالربا الفاحش زهاء عشرين بالمئة . فكثر اغنياؤهم . وصارت طبقة منهم

خاصة بالتجارة ومصانعها واعمالها وسفنها . فسميت (طبقة المثرين) فاستخدمت الطبقات التي تحتها ثم ظهر من ذلك حزبان عظيمان في البلاد وهما (الاغنياء) و(الفقراء). فصار كل حزب منهما اذا نال الحكم والنفوذ صادر الآخر وتحامل عليهِ ولهذا قال ارسطو الفيلسوف : (الثورات تنشأ من سبب تقسيم الثروات) فاخذ الحزبان يتفانيان بالمعاداة وتداول الحكومة فصار عندهم الحكم الجمهوري والحكم الافرادي وبقيت الخاصمات مستفحلة بين هاتين الطبقتين نحو ثلاثة قرون (من سنة ٤٣٠ — ١٥٠ قبل المسيح) واهرقت دماء غزيرة وخربت بلدان جمة

وفي زمن انطيوخوس الثاني الذي ملك سنة ٢٦٠ قبل المسيح اراد بطلميوس ملك مصر ان يحتكر لملكتهِ التجارة البحرية وكان ذلك الحق للصوريين الذين كانوا ينقلون السلع بالبحر الاحمر الى ايلة (العقبة) ثم تحملها القوافل الى مرفأ بين فلسطين ومصر فتشحن الى صور .فبنى بطلميوس مدينة على الشاطىء الغربي من البحر الاحمر وسماها برنيس (اوبرنيقة) باسم امهِ فكانت محطة للسلع الواردة من الهند والعربية وفارس والحبش تقلها القوافل الى النيل وتسير بها الى الاسكندرية فتشحن منها الى المغرب وتستورد منهُ البضائع اليها فتحمل الى الآفاق في المشرق . فانشأ بطلميوس كثيراً من السفن التي تمخر البحرين المتوسط والاحمر فدعا هذا الى تحاسدهما ونشبت حرب سنة ٢٥٥ قبل المسيح فكانت طاحنة اندحر فيها انطيوخوس ثم صالح بطلميوس[1]. وكان لهم في السويدية مرسى مبني بالحجارة الضخمة خربه الملك الظاهر بيبرس البندقداري وكان هذا المرسى مع مرسى خليج اسكندرونة من آمن المراسي وأفضل المرافىء . وهكذا لما ظهر الرومان كان اليونان مشتغلين بالحروب الداخلية والخارجية فغلبوا على امرهم وضعفت تجارتهم فتناولها الرومان وعززوا شؤونها

تجارة الرومان

اخذ الرومان تجارتهم عمن تقدمهم وكانت تدمر محطاً لقوافلها في عهدهم فزينها القيصر ادريانوس سنة ١٣٠ م بالأبنية الشاهقة والهياكل العظيمة وأقاموا فيها الأسواق التجارية ورصفوا الطرق الممتدة اليها وأقاموا فيها المخافر والمحارس والمخازن وسهلوا اسباب التجارة فراجت اسواقها واتسعت اعمالها فكانت صلة بين المشرق والمغرب ولا سيما بين الهند وفارس. وكانت قوافلهم تسترضي قبائل العرب الرحل في طريقهم مدة شهرين وكانوا ينصبون التماثيل لرؤساء القوافل مكافأة لهم على تسييرها وتأمينها مما دلت على ذلك خطوط كثيرة اثرية

(١) تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبس (٣: ١٠٩)

وقال بلينوس : ان تجارة رومية وحدها بلغت في تدمر نحو خمسة وعشرين مليون فرنك من نقودنا الحاضرة او مائة مليون دينار . وقال ڤولني الفرنسي : كانت تدمر في جميع العصور مرفأً طبيعيًّا ومستودعاً رحباً للسلع الواردة عليها من الهند في الخليج الفارسي ومن هناك يصعد بها الى الفرات او الى البرية فتبلغ فنيقية وآسية الصغرى منتشرة بين شعوب مولعة بها . ولهذا سمى (ايبانوس) المؤرخ الروماني في القرن الثاني للميلاد : التدمريين (مستبضعين سلع الهند) واطلالها الباقية من آثار الرومان وأقدمها يتجاوز صدر التاريخ المسيحي وملكتها زينب المشهورة حاربها الرومان !

وكانت افامية (قلعة المضيق) حاضرة سورية الثانية في البر للتجارة مثل صور في البحر وهي على ضفة العاصي . وهناك اطلال مدن غريبة طولها نحو ١٨٠ كيلو متراً فيها نحو مائة بلدة خربة يظهر انها بنيت في اواخر ملك الرومان بين القرنين الرابع والسادس وكان سكان افامية تجاراً عرفوا في اوربة بذلك العهد

وكانت مدينة بعلبك احدى محطاتهم التجارية في سهل سورية المجوفة او وادي سورية حيث بعلبك والبقاع الآن يسيرون فيها الى الشمال والى الجنوب . ولهذا ترى اطلالها المتسعة الضخمة شاهداً على مكانتها التجارية وثروة سكانها القدماء ويكفي ان في عتبة هيكل الشمس فيها رمز التجارة وهو: نسر يحمل برجليه مفتاحين كما سبقت الاشارة الى هذا[١]

وكانت رومية عاصمة الرومان العظيمة كثيرة السكان ومركز التجارة في الأبحر والأنهر. وكانت رومية وايطالية قليلة الصادرات كثيرة الواردات فكان سكانهما يقصدون بلادنا لاستبضاع ما يحتاجون اليه من حاصلاتها كالحبوب والزيوت والبقول والفواكه والمنسوجات والأعمال الأخرى. ويأخذون من البانية الفضة وبعض المعادن ويجلبون من الشرق ادوات الزينة والعطور والابازير والعاج والحجارة الكريمة والمنسوجات والعبيد والحيوانات بطريق البحر الأحمر . وكانت انطاكيا في الشرق مرفأهم العظيم فانقسم الرومان الى طبقتين كاليونان طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء وكانت الطبقة الثالثة عندهم طبقة العبيد التي يتخذها الاغنياء ويتصرفون بها كما يريدون بالاستئجار ونحوه . فيعاملونهم بقسوة خارقة للعادة حتى يكونوا بين ايديهم كالحيوانات فأوغروا صدرهم عليهم. وعقد الرومان الشركات المختلفة ومنها الشركات التجارية وعمادها تجار من الصعاليك يتجرون بين ايطاليا وغالية بشركاتهم الصناعية

---

(١) ولقد تصلت تجارة وادي سورية المجوفة وطرقها ومحطاتها بتطويل في التاريخ الذي وضعته لها باسم (تاريخ سوريا المجوفة) وهو محفوظ في مجلد ضخم نشرت من تحليل اسماء الاعلام المصرية فيه في مجلة المقتطف هذه

فجمع الرومان في فتوحهم ثروات الامم المختلفة فكثرت الدراهم في رومية فصار الاقتراض فيها اربعة بالمائة على حين ان الدراهم قلت في الولايات فكان الاقتراض فيها بفائدة اثنى عشر بالمائة وهكذا اتجر الصيارف باسم الملوك والمدن . واذا تأخر المستقرض يعامله الصيارفة معاملة العشارين الذين يجبون عشور الخراج حتى كان بعضهم يبيع اولاده لوفاء ما عليه . والبعض الآخر يموت في السجون فكثر الارهاق والظلم

ويرجح انه في ايام ادريانوس الملك سنة ١٢٢م أمنت الطرق . فكان بين دمشق وتدمر الى الفرات نحو خمسين حصاناً او اكثر يبعد كل منها عن الآخر مسافة ثلاث ساعات لتسهيل المواصلات وتسيير القوافل بأمان . وضربت في دمشق سكة باسمه كتب عليها (الى الاله ادريان) تملقاً له ورسمت على وجهها صورته وصورة الملكة ومنها ما ارخ في سنة ١٢٧ و١٢٩ ومهد طريق القوافل بين دمشق وبترا ورصف الطرق فصارت بصرى حوران عاصمة تجارية تنقل الى دمشق عبر الحجاز وطيوب اليمن وتجلب الى العربية الحبوب والزبيب من وادي الاردن والسلع من آسية الصغرى [1]. وكانت الحكومة الرومانية تصك نقود الفضة في سورية والكبادوك على مثال السكة الفارسية مخالفة لسكتها الملكية في اوربة . وكانت مادة المصنوعات السورية ولاسيما الانسجة الصوفية والحريرية تؤخذ من غلال البلاد البابلية . وكان السوريون يوصلون الى ايطالية وسائر انحاء المغرب اكثر اصناف البضائع الشرقية . كالانسجة الحريرية والفراء والطيوب والثمار والرقيق الشرقي الخ

ومما امتاز به التجار السوريون عن غيرهم انهم لم يكونوا يبيعون سلع تجارتهم للاجانب فقط كما يصنع المصريون بل كانوا ينقلونها بانفسهم الى الآفاق وكان ربانو السفن في سورية طائفة كثيرة العدد شريفة كما دلت الخطوط القديمة . وقلما خلت مدينة شهيرة في المغرب في ايام الملوك الرومانيين من تجار سوريين ومحال تجارية لهم كما ذكر هوميروس وغيره

فكان لمدن بلادنا محلات في ايطالية واوربة وكثر السوريون فيها وامتدت العلاقات التجارية الى يومنا [2] وكانت النصرانية التي دخلت بين اليونان والرومان قد هذبت اخلاقهم فحسنت معاملاتهم التجارية . وحصلوا اموالهم بالطرق المحللة فبذلوا دراهمهم للاعمال المفيدة

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

..

في جزء يناير القادم فصل ممتع في « تاريخ التجارة عند العرب »

(١) تاريخ سوريا للدبس (٣ : ٥٧٠) (٢) تاريخ سوريا للدبس (٤ : ١٤٧)

موازنة بين الجيولوجيا والتاريخ

الجيولوجيا والتاريخ

ان الجيولوجيا في الحقيقة تاريخ. وكتاريخ نستطيع ان نعالجها من ناحيتين الاولى — ان نحسبها سفراً للحوادث الكبيرة ووصفها — والثانية ان نحسبها علماً يتناول الاسباب التي سببت هذه الحوادث ونواميس تتابعها. فالاولى ناحية من نواحي البحث يغلب عليها الخيال والثانية يسود فيها العقل والمنطق. والجيولوجيا تاريخ تغلب فيه الناحية الثانية على الاولى

١ — تاريخ العمران يقسم الى عصور بحسب الحوادث الجسام التي تفصل بينها. وهذه العصور يدوّن ذكرها في مجلدات وفصول وابواب وبنذ حسب مقامها. وتاريخ الارض يقسم الى عصور ايضاً تفصل بينها حوادث طبيعية خطيرة حدثت في التكوين الجغرافي واحوال الاقليم واشكال الاحياء التي سادت في الارض في عصور مختلفة وهذه الحوادث تدوَّن في مجلدات وفصول هي الصخور على اختلاف طبقاتها

٢ — العصور في تاريخ العمران متصل احدها بالآخر لا تفصل بينها فاصل ظاهر الا في بعض الحوادث التي يسرع فيها الانتقال كالثورات والحروب الكبيرة والانقلابات الاجتماعية الخطيرة. كذلك تاريخ الارض عصور محبوكة الاطراف لا تفصل بينها فواصل ظاهرة الا في الحوادث البارزة كظهور جنس جديد من النبات او الحيوان او حدوث حادث طبيعي يغيّر وجه الارض او طبائع الاحياء كعصر الجليد

٣ — كل عصر من عصور التاريخ العمراني يمتاز بصفة اجتماعية او عمرانية فينسب اليها فنقول مثلاً عصر الفروسية وعصر الدمقراطية وعصر الحديد وعصر الكهربائية. كذلك تاريخ الارض. فكل عصر من عصوره يمتاز بطائفة من الاحياء نباتاً كانت او حيواناً. فلدينا عصر المحار وعصر الاسماك وعصر الزحافات. ولما كانت اطراف العصور محبوكاً بعضها بالبعض الآخر فمن المنتظر ان تبدأ تباشير كل عصر بالظهور في العصر السابق

٤ — نجد في التاريخ العمراني ان ما يمتاز به كل عصر ينشأ فيبلغ ذروته ثم يأخذ بالانحطاط ولكنه لا يتلاشى كل التلاشي فجأة بل يخضع للقوى الجديدة الظاهرة في العصر التالي. وعلى

ذلك نجد تاريخ العمران في ارتقاء مستمر. كذلك في تاريخ الارض نجد ان كل طائفة من الاحياء تنشأ وتبلغ ذروة من القوة والسيطرة ثم تأخذ بالانحطاط ولكنها لا تتلاشى بل تخلي الميدان للطائفة الجديدة التي تتلوها لذلك تجد ان مملكتي الحيوانات والنباتات في ارتقاء مستمر صفتهُ الظاهرة زيادة التعقيد في اعضاء الاحياء ووظائفها

٥ — في كل كتاب من كتب التاريخ نستطيع الوقوف على اقسام العصر المؤرّخ من المجلدات والفصول التي ينقسم اليها الكتاب ومن طبيعة تقسيم الموضوع الى اقسامهِ الطبيعية. والاحسن ان يقسم الكتاب الى فصول تتفق مع طبيعة تقسيم الموضوع نفسهِ. كذلك في تاريخ الارض نحكم على تقسيم الازمنة التي مرت فيها من انواع الصخور الاساسية واختلاف طبقاتها ومميزاتها ومن التغيّر الذي حدث في ما نجدهُ في كل طبقة منها من آثار الاحياء. وهذا يقودنا الى البحث في الحفريات او «الآثار المتحجرة»

الحفريات والآثار المتحجرة

لا يكمل الكلام على الجيولوجيا كتاريخ مهما يكن موجزاً اذا خلا من الكلام على ما في الطبقات الجيولوجية المنضدة من آثار النباتات والحيوانات المتحجرة. فان هذه الآثار هي دليل الجيولوجي وابلغ ما كتب في سفر الطبيعة

لا ريب ان كل قارئ لاحظ آثار نباتات او حيوانات متحجرة في طبقات صخرية. هذه الآثار تهم الجيولوجي لانها تطلعهُ على الاحوال التي كانت تعيش فيها هذه الاحياء. فمن الحقائق الاساسية في علم طبقات الارض ان الصخور المنضدة اتربة راسبة تحجرت في البحار او البحيرات او الخلجان او الانهار. وفي تلك الازمنة المتغلغلة في القدم كما في هذا الزمان كانت الحيوانات الصدفية تعيش في البحار فتقذفها امواجهُ الى الشاطئ وكانت اليابسة مغطاة بالنباتات المختلفة وتمرح الحيوانات على سطحها فكانت الجداول والانهار تجرف معها الاوراق والاغصان والجذوع وجثث الحيوانات وتدفنها في الاتربة التي تحملها معها. فهذه الآثار من الكائنات الحية حفظت من غير تغيير تقريباً بين الطبقات الراسبة من ذلك الحين الى هذا الزمن. وتختلف درجات هذا الحفظ باختلاف الزمان والمكان والمادة والكائن نفسهِ. فقد تحفظ المادة الطرية التي يتركب منها جسم الحيوان وهذا نادر وقد تحفظ اصدافهُ او هيكلهُ وهو الغالب. اما حفظ المادة الطرية فامثلتهُ نادرة. ولعل اشهرها جسم حيوان حفظ كما هو في جليد سيبريا عصوراً طويلة. وقد بلغ هذا الحفظ درجة اغرت الكلاب بالهجوم عليهِ

وفي كثير من الاحيان لا يوجد الهيكل متحجراً كاملاً بدقائقهِ بل يوجد اثر الشكل الظاهر مطبوعاً في الحجر كأن الصخر قالب لذلك الكائن يحفظ شكلهُ الخارجي فقط

قيل ان هكسلي كان في بدءِ حياتهِ العلمية شديد الحذر في قبول مذهب النشوء فلما اشتغل بالجيولوجيا ودرس تتابع الآثار المتحجرة فيها وارتقاءها صار من أعظم أنصار النشوء وقال « لو لم يستنبط مذهب النشوء لوجب على علماء الآثار المتحجرة أن يستنبطوهُ لتعليل ما يرون »

التتابع الجيولوجي

قلنا ان الجيولوجيا تاريخ والصخور المنضدة هي صفحات ذلك التاريخ فاذا شئنا استنطاق الصخور المنضدة لنستخرج منها تاريخاً وجب ان نرتبها بحسب قدمها . هذه غاية الجيولوجي وهي مزدوجة (١) ان يرتب هذه الطبقات من اسفلها الى اعلاها بحسب قدمها (٢) ان يجعلها طوائف تجمع بين كل طائفة منها مميزات عامة تميزها عن غيرها . اي غايته ان يجد اولاً تتابعها الزمني ثم يقسمها ازمنة وعصوراً

وواضح من رسوب المواد انهُ لو بقيت جميع الطبقات المنضدة مستوية لكان ترتيبها بحسب قدمها سهلاً ولكان اسفلها اقدمها واعلاها احدثها . على ان الطبقات في اكثر الاماكن اصابتها قوى الارض المختلفة فتجعدت وتكسرت وتشعثت وتفتتت وجرفت وتغطت هنا بالحراج وهناك بالاتربة على اختلافها واختلاف اعماقها . ومما زاد في الطين بلة انك لا تجد كل الطبقات في كل الامكنة. فقد ترى طبقة ظاهرة على سطح الارض في بقعة من البقاع يعود تاريخها الى اقدم العصور لان كل الطبقات التي رسبت فوقها قد حفرت وجرفت . وتجد الطبقة العليا في مكان آخر مجاور لهذا المكان حديثة التكوين . ولذلك ترى انهُ لا بد للجيولوجي من درس جميع الطبقات التي يستطيع درسها وموازنة احداها بالاخرى وترتيبها بحسب قدمها . وفي ذلك له طريقتان الاولى مقارنة الصخور التي تتألف منها والثانية مقارنة الآثار المتحجرة التي فيها. فبحسب الطريقة الاولى مثلاً نعرف ان الصخور الرملية تكونت كلها في زمن واحد ومثلها الصخور الرملية الجيرية والصخور الدلغانية ولكن هذه الطريقة تصح على ما يقع في بلدان متجاورة فالصخور الرملية في بقعتين متجاورتين لا شكَّ كوّنت في عصر واحد ولكن ذلك لا يثبت ان الصخور الرملية في جوار نيويورك مثلاً كونت في العصر الذي كونت فيهِ الصخور الرملية على شواطىء لبنان. فيلزم اذاً ضبط الطريقة الاولى باستعمال الطريقة الثانية وهي موازنة الآثار المتحجرة في الطبقات الصخرية

فاذا سار الجيولوجي على هذه المبادىء استطاع ان يضع ترتيباً عاماً للطبقات الصخرية ولا يتم هذا الترتيب الا عند ما تدرس الطبقات الصخرية وما تحتوي عليهِ من الآثار في كل انحاء الارض عامرها وغامرها

درجت في ممالك الطير ...



ما جناحا خرافة حملوني   بل جناحا حقيقة من هيولى

شاعر في طيارة

وهي القصيدة العصماء التي نظمها فوزي افندي المعلوف نجل العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وقد ترجمت الى البرتغالية . اتحفنا بها والد الشاعر في اثناء زيارتنا لبنان في الصيف الماضي

ملك في الهواء

في عباب الفضاء ، فوق غيومه — بين نسره — ونجمته
حيث رث الهوا ، بثغر نسيمه — كل عطره — ورقته

خلقَ الشاعرُ العصامي — منذ البدءِ — لكن بروحه لا بجسمِهْ
ضارباً في الفضاءِ مع ربَّةِ الشعرِ ومن حولهِ عرائسُ حلمِهْ
ملكٌ قبةُ السحابِ له قصرٌ ، وكلّ الأثيرِ مسرح حكمِهْ
ذو وشاح من الدجى ، فاح كافور دراريهِ ، فوق عنبرِ فحمه
هالةُ البدرِ كلَّلتْهُ بتاجٍ صيغ من نثرِ فضةٍ حسنُ نظمه
والسوافي عرش له نفض الليل على جانبيهِ رهبة رسمه
والثريّا في كفّهِ صولجانٌ ذهبُ الصبحِ ضمَّ لؤلؤَ نجمه
شاعرٌ طائرٌ بغير جناحين بأمر الخيال يقضي وباسمه
مُلكهُ ركنه الهواءُ ، ولكنَّ إلهَ الخلود قام بدعمه
هجرَ الارض طالباً راحة الروح بعيداً عن الوجود وظلمه
صدَّ عنه طوعاً بملءِ رضاه بعد أن جاءه مقوداً برغمه
هو منه وليس منه ، فما زال غريباً ما بين أبناء أمّتهْ !!

نفوس الشعراء

يا نفوساً في بردة الشعراء رفعتهم — على الهواء
ابعدتهم عن عالم الاحياء قربتهم — من السماء

لستِ من عالَم التراب وان كنتِ تجسدتِ بالتراب عليهِ
أنتِ من عالم بعيد عن الارض يفيض الجمال عن جانبيهِ
عالمٍ أنتِ فوقهُ نسماتٌ حملت نفحة الشعور اليهِ
هو ما زال طاهراً ونقياً لم يدنّسْ إثم الورى بردَتيْهِ

وفق الشعر فيه يستنزل الوحيَ بياناً ، يجثو الخلود لديهِ
مبقياً طيَّ مصحف الأُفق آثا راً توشّي بحسنها صفحتيهِ
ما شعاع الاصيل غير لهيب شعَّ من قلبه على مقلتيه
وقتام الغمام غير دخان صعَّدتهُ الهموم من شفتيهِ ! !
ما أنين الرياح غير زفير سرقته الرياح من رئتيه
ونواح الطيور غير اناشيد روتها الطيور عن أصغريه !!
ما بريق النجوم غير شظايا كأس حبٍّ تحطمت في يديه
وندى الفجر غير درٍّ دموع شربتها الازهار من محجريهِ

عبد وحرّة

بين روحي وبين جسمي الاسير كان بعدٌ — ذقت مره
انا في الترب وهي فوق الاثير انا عبد — وهي حرة

انا عبد الحياة والموت ، أمشي مكرهاً من مهودها لقبوره
عبد ما تحتوي الشرائع من جو رٍ يخطُّ القويُّ كلَّ سطوره
بيراعٍ دمُ الضعيفِ له حبرٌ ونوحُ المظلومِ وقعُ صريره
انا عبد القضاء ، عبد هناهُ وشقاهُ ، بشيرهِ ونذيره
عبد عصر من التمدن ، يلهو صانعاً عن لبابهِ بقشوره
عبد مالي ، اسعى اليهِ فاحظى بعد طول العنا بوطأة نيره
عبد إسمي ، أُذيب نفسي وجسمي طمعاً في خلوده وظهوره
عبد حبي ، جعلت قلبيَ مأواه فأضرمتُ اضلعي بسعيره
ان جسمي عبدٌ لعقلي ، وعقلي عبد قلبي ، والقلب عبدُ شعوره
وشعوري عبدٌ لحسّي ، وحسّي هو عبد الجمال يحيا بنوره
كل ما بي تحت العبودية العمياء فوق الوجود بين شروره
غير روحي فانها حرَّةٌ تمشي بروض الخلود ، بين زهوره

حلم يختفي

يا طيور السماء في الريح روحي بي جريا — على الخلد
وبجسمي طيري الى حيث روحي ثم تحيا — بلا جسد

هو حلمٌ ما زال في فكرة الشا عر يطوي الزمان جيلاً فجيلا

حققتهُ الايام فانظر تجدني قاطعاً في الاثير ميلاً فميلا
ما جناحا خرافةٍ حملاني بل جناحا حقيقة من هيولى
فوق (طيَّارةٍ) على صهوات الريح قامت تذلِّلُ المستحيلا
هي طيرٌ من الجماد ، كأن الـــجنَّ في صدرها تحثُّ خيولا
فتظنُّ الأَزيزَ فيها عزيفاً وتخالُ الدويَّ فيها صهيلا
حين هبَّت وثباً الى الجوّ تخـــتال وتعلو فيهِ قليلاً قليلا
ثم مدَّت الى النجوم جناحـــين وجرَّت على السحاب ذيولا
دفعت موجة الرياح بكفيـــها فشقَّت الى السماء سبيلا
خبباً تارة ، وطوراً وئيداً ، صُعُداً مرة ، وأُخرى نزولا
درجت في ممالك الطير تلقي الذعر من حولها وتؤتي الفضولا
فترى في الطيور كرًّا وفرًّا وترى في النجوم قالاً وقيلا ! !

بين الطيور

قال نسر لآخر : « أي طير هو هذا ومن روقه ؟
ان يكن قادماً الينا لخير فلماذا — علا زعاقه ؟

ياله طائراً بصورة شيطانٍ تبثُّ اللظى مراجل صدرهْ
يتخطى حدودنا دون إذنٍ فكأنَّا وملكنا طوع امره
إنني خائفٌ فلم ترَ عيني طائراً قطُّ في ضخامة قطره »
فأجاب الثاني : « أعيذكَ منه فانا عارفٌ دخيلة سرّه
نحن لم نهجر البسيطة إلاَّ هرباً منه ، واتقاءً لشرّه
ليس طيراً لكنَّه آدميٌّ جاء يستعمر الأَثير باسره
ربما ضاق عن مطامعه الـــكون فحطت هنا مطامح فكره
قم بنا نجمع الطيور ، ونمشي للقاهُ فنتقي بعض غدره »
واذا بالطيور حولي ، وكلٌّ صامدٌ لي بمخلبيه وظفره ! ! !
— لا تخافي ياطير ، ما انا إلاَّ شاعرٌ تطرب الطيور لشعره
جاء يقضي بعض الدقائق في مغـــناكِ ضيفاً على الهدوء وسحره
هارباً مثلما هربت من الانسان والارض ، من شقاها ومكره !

رمز الالم

انظر به يمشي وفي خطواته نزوات — من الالم
عاثر الجد، تحدو بذاته نزعات - الى العدم

هو في ميعة الشباب، ولكن ضمَّ في بردتيه شيخاً هزيلا
شارد الطرف، تائه الفكر، يحكي مدلجاً في الظلام ضلَّ السبيلا
ذو جبين القت عليه شجون النفس، ظلاًّ من العبوس ظليلا
وقوامٍ كأن قاصمة الظهر أناخت عليه حملا ثقيلا
كتب البؤس في غضون محياه سطوراً مقروءةً وفصولا
فهو لا يعرف التبسّم، إلاّ عند ما يستعيد حلماً جميلا!
ألف اليأس قلبهُ، فهو واليأس يحاكي (بثينة) (وجميلا)
واذا اليأس صدّ عنه قليلاً قام يبكي على نواه طويلا
واذا ما النسيم مرَّ عليه فعليل أتى يؤاسي عليلا
تاه في عالمَ الخيال فضاعت روحه وهي تطلب المستحيلا
حوَّل الارض عالماً علويًّا مخرجاً من وحولها سلسبيلا
وأعادَ الاثيرَ طوعَ يديه ناظماً من نجومه إكليلا

بين النجوم

وا بين نجمة لاخرى تقول: «من نجوم — من البعيد؟
أهو نجم مذنب ام دخيل في النجوم — وما يريد؟

انظريه يعدو الينا مغذًّا مرعداً، يقلق السما بصياحِهْ
ليت شعري هل قاده نحو قاصي عالم النجم غير حبّ افتتاحِه» ؟
حدّقت بي الاخرى مليًّا وقالت: «لا تخافي يا اخت شرّ جناحِه
هو تحت السديم يعجز عن ان يبلغ النجم فوق متن رياحه
هو مخلوقُ عالمٍ، إسمه الارض يغطي الشقاءُ كلَّ بطاحه
عالمٍ ما شعاره غير ان الحق للقوة التي في سلاحه
فدعي ذلك الفضوليَّ يعلو فقريباً يهوي عياً من كفاحه»
— ايه يا نجمتي ألم تعرفيني شاعراً ينصت الدجى لنواحه؟
كم ليالٍ في الروض، أحييتها ابكي وأرنو اليكِ، بين اقاحه

ساكباً في الفؤاد من رعشة النـــور بعينيكِ بلسماً لجراحه
وسواد الظلام في قلمي حبرٌ اوشي به بياض صباحه
ساعَ اللهُ فيكِ قلباً نسيًّا هو في الكون مثلُ قلبِ ملاحه

اوراق منثّرة

أتناسب يوم كانت ضلوعي من شجوني — تتمزق
يوم كفكفت واكفاءمن دموعي في عيوني — يترقرق ؟

فاذكريني بين الكواكب وادعي لي ، عسى يهتدي اليَّ السلامْ
أيُّ حلم سبكته ذهبياً لم تذبه بنارها الايام
ورجاء حبكته من خيوط النو ر لم ينسدل عليه ظلام؟
أيّ عود حملته للتغني لم تقطّع اوتاره الآلام
وغناء نظمته للتسلي لم يبدّله بالإنين السقام ؟
اي كأس قرَّبته من شفاهي لم تحل حنظلا عليه المدام
وفؤَادٍ قطّرت فيه فؤَادي لم يضع عنده لعهدي ذمام ؟
اي طيف طوَّقته في منامي لم يجلّله بالدموع الغرام
وهناء زرعته في ضلوعي لم يكن منه للذبول طعام ؟
ليت شعري والليل يعقبه الفجـــر متى يعقب البكاء ابتسام ؟ !
ضاع عمري سعياً وراء رسوم خطّطتها في الشاطئ الاقدام
وبناء على الرمال . وهل يثبت ركن له الرمال دعامُ !

بين الارواح

وتمتي في عالم الارواح من قدومي — أي همس
اذ تنشق من حفيف جناحي في السديم — ريح أنس

فتألبنَ حول جسمي جماعا ت ملأْنَ الجوّ الفسيح دويًّا
واذا بي أعي هنالك أشيا ء ، ولما حدَّقت لم أرَ شيًّا
فكأني في الحلم سكران صاحي تتوالى رؤَى الخيال عليًّا
حام شيء هناك لم ترهُ عيـــني ولكن وعاه حسّي جليًّا
طنَّ حولي طنين اجنحة النحـــل ، وأهوى مرفرفاً في يديًّا
هو مثل الأنفاس لفحاً ونفحاً، وهو مثل الشعاع نشراً وطيًّا

ان فيه للّمس برداً ، وللسمـــع حفيفاً ، وللمتنشق ريّا
لم يزل صوته الى اليوم في سمـــعي وقبلاته على شفتيّا
غير أني لما اردت له وصفاً غدا طيّع البيان عصيّا
هو حشد الأرواح فوق سماء قرّبتها عروس شعري إليّا
فتنبهتُ من ذهولي وأصغيت لعلّي اجلو هناك خفيّا
ففهمتُ الذي (توشوشه) الأرواح عني ، وما تفكّر فيّا

حفنة التراب

قال روح : « حذار يا اترابي واطردوه — عن السماء
هو في الأرض حفنة من تراب فأسوه — طين وماء

هو من نفخةٍ كفت لتجلّيهِ وتكفي بذاتها لاحتجابِهْ
وكما كان اصله من تراب الـكون يغدو مصيره لترابه
ليته عاد للأديم كما جا ء ، نقيًّا في نفسه وإهابه
جاء والطهر والرواءُ رفيقاه وثوب العفاف كل ثيابه
وتولى يقوده الاثم والدا ء ، الى القبر في غضون شبابه !
هو يحيا للشرّ فالشرُّ يحيا ابداً حيث حلَّ شؤم ركابه
وهو لا ينفع البسيطة ، إلاّ حين يثوي في القبر بين رحابه
حين يمتصُّهُ الاديم ، فيعطي منه بعض الغذا الى اعشابه
ليت شعري كل النبات الذي في الـكون من زهره الى لبلابه
ليس الاّ عصير اجسام من ما توا فزانوا الثرى بأجمل ما بِهْ
مثل طلٍّ في حمأةٍ ، بخّرتهُ الشمس ، فاسترجعته عين سحابه
فتراه في الجوّ — ثانية — طلاًّ نقيًّا ، يحيي الثرى بانسكابه » ! !

ارتقاء ناقص

قال : ما قوله ، وفر لفوره ينـوق — تقـربي
فانبري آخر يقول بدوره : « قلت حقاً — بمذهبي

ما دعوه الانسان من أُنسهِ لـكن دعوهُ الانسان من نسيانِهْ
نسي الخير ثم اوغل في الـشر ، فداس الضمير في عصيانه
ملأتْ قلبه أفاعي المعاصي فاسمعوها تفحُّ في خفقانه
حسدٌ ناهشٌ بقية ما في نفسهِ ، من إبائه وحنانه

طمع يضرم السعير حواليه ، ويعمي عيونه بدخانه
وانانية تحلّ له القتل ، لتحقيق غاية في كيانه
مُنح النطق والذكا ميزةً تفرقه في الوجود عن حيوانه
فاذا بالاذى وليد حجاهِ واذا بالشرور بنت لسانه
عاث في ارضهِ فخالت جحيماً فأتى الخلد عاثياً في جنانه
زجَّ بالعلم في السماءِ طيوراً من جمادٍ يديرها ببنانه
ما اعتلاها الاّ لقتل البرايا ولهدم البلاد في طيرانه
ليته لم يكن ذكيًّا ، وليت الكون لم يشهدِ ارتقا إِنسانهِ »!!

كفارة الشاعر

وتدانت روح هنالك مي رمقتني — بلا غضب
خالتها اقدام تدافع عني سحطي — ولا عجب

هي روحي قامت تخلصني من غضب العالم الفخور بشمسهِ
طوّقتني بمعصميها وقالت : « اخواتي رفقاً به وبيؤسه
هو من عالم التراب ولكن شأنه غير شأن ابناء جنسه
سكن الارض مرغماً وهو لو خُيّر ، ما اختار غير ظلمة رمسه
ان بين السرير والنعش خطوا تٍ دعوها الوجود وهي بعكسه
شاعر ما حياته غير قطرا ت جرت من يراعه فوق طرسه
يتلاشى كالشمع — كي يعطي النور — على هيكل الخلود وقدسه
غده — مثل يومه — تلعب الاقدار فيه ، ويومه مثل امسه
غسلت عينهُ بما سكبته من ندى الدمع كلَّ ادران نفسهِ
والتظى قلبهُ فطهّر بالآلام ما دنّستهُ شهوات حسّه
جاءَ من ارضهِ يفتش عني يائساً فاخشعوا احتراماً ليأسهِ
ودعوه معي ففي قبلاتي شهدُ عطفٍ ينسيه علقم كأسه »!

على بساط الريح

ووقفنا معاً بقلب السماء نتملى — من القبل
ما احب اللقاء بعد التنائي فهو احلى — من الامل

موقف لا يمثل الفكر ابهى منهُ ، في نومهِ وفي يقظاتهْ

اذ جلسنا على بساطٍ من السحـــب ، يفوح الغرام من جنباته
تحت جوٍ كأنهُ سنة النو م ، ترفُّ الاحلام في طبقاته
والنسيم العليل فوق لظى انـــفاسنا ، ساكب ندى نفثاته
وعذارى الارواح تنشد من بعـــد بصوتٍ الله ، ا في نبراته !
رافقتهُ قيثارة الحبِ فانســـلّ أنين الاوتار في نغماته
فانتقلنا الى فضاءِ من الـــبحران ، هاروت فيهِ بعض حماته
وملأ نا من لفح قبلاتنا الـــجوّ ، فعادت بالنفح من قبلاته
ثم قمنا نجيل في الكون ، ابصـــاراً ارتنا منهُ حقيقة ذاته
تنظر الناس من علٍّ مثلما تـــنظر نملاً يمشي الى غزواته
ونرى الطود في السهول، كما تبـــصر فوق التراب ظلّ حصاته
ونرى الموجَ في الخضم ، كما تلمـــح جوًّا ، والسحب في مرآته !!

على الارض

تلك بعض من الدقائق مرت في نعيم — من الخلود
هي مثل الاحلام زارت وفرت اي حلم — ترى يعود

واذا بي أهوي الى الارض وحدي بعد حرّيتي اكابد رقّا
تركتني روحي ، وعادت لمأواها تشقُّ الشعاع في الجوّ شقّا
فرأيت اليراع فربي يواسيـــني ، ويبكي لما لقيتُ وألقى
يا يراعي ما زلت خير صديق لي — منذ امتزجت بي — وستبقى
باسماً من سعادتي حين اهنا باكياً من تعاستي حين اشقى !
كم حبيبٍ سلا وعهدُكَ باقٍ فهو اوفى من كل عهدٍ وابقى
أنت رغم الجحود خلٌّ وفيٌّ حوّل المستحيل غولاً وعنقا . .
ربَّ دمعٍ كفكفتهُ من عيوني سال حبراً في الطرس يخفق خفقا
وعذاب نزعتهُ من ضلوعي أجَّ بين السطور يحرق حرقا
وزفيرٍ حوّلتهُ لصريرٍ ملأ الخافقين غرباً وشرقا
يا يراعي رافقت كل حياتي فاروِ عني ما كان حقّا وصدقا
انا لم القَ مثل صمتكَ صمتاً حوّلتهُ عرائس الشعرِ نطقا !!

فوزي المعلوف

نظرات نقدية في ملحمة

« شاعر في طيارة »

بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي

أسعدني صديقي الأستاذ محرر (المقتطف) حينما عهد اليّ بنقد هذه المنظومة البديعة للشاعر النابغة فوزي المعلوف ، لأنّ الأثر الجميل الباهر لا بدّ أن يبهج كلَّ من يتملاّه بنفسٍ صافيةٍ تفتّش عن مظاهر الجمال أينما كان ، ويسرّني أن يشترك معي كثيرون من القرّاء في الاستمتاع بهذه التحفة الأدبية متتابعين هذا النقد

لا شكَّ في أنّ فوزي المعلوف شاعرٌ رومانطيقيٌ موضوعاً وأسلوباً ، وهو في هذه الملحمة — المؤلفة من اربعة عشر نشيداً ، جامعةً لستة وتسعين ومائةٍ من الأبيات — يطالعنا بأبهى خياله وبزبدةِ نظراته الى الحياة ، كما يقدّم الينا تحفةً فنيةً تبرهن لمن يعوزه البرهانُ أنَّ اللغة العربية مؤاتيةٌ جدَّ المؤاتاة للشعر العصريّ ، فما يرجع قصورُ هذا الشعر في جملتهِ اليها وإنما يرجع الى الأذهان المقاِدة الكليلة ، والى الاخيلة الضعيفة ، والى قصور ثقافتنا بوجه عام

***

فأمّا مذهبُ الشاعر في الحياة فأقرب ما يكون الى التشاؤم ، والى البثّ من حياة الأسر الجسدية ومن شرور الدنيا التي لا ترضى بها روحية الشاعر النقية ، مع ميلٍ الى الاعتقاد في التناسخ او في وحدة الحياة :

ليت شعري كلُّ النبات الذي في الـــكونِ مِنْ زَهْرِه الى لبلابهْ
ليس الاّ عصيرَ أجسامِ مَنْ ما توا فزانوا الثرى بأجملِ ما بِهْ
مثل ظلّ في حماةٍ ، بَخَّرتْه الشمـــسُ فاسترجعتْه عَيْنُ سحابهْ
فتراه في الجوّ — ثانيةً — طَلاًّ نقيًّا يُحيي الثرى بانسكابِهْ

وهذه روحٌ خيّاميةٌ لا جديدَ فيها ، ولكنّ الشاعر مُطالَبٌ أوّلاً بالتعبير عمّا يكنّه وجدانه ، فحسبه أن يعلن عن شعوره وعواطفه في نسقٍ فنيّ ، وهذا ما وُفّق اليه فوزي المعلوف في أسلوب مبتكرٍ على جناح طيارته ، فكان بذلك مجدّداً وإنْ تناول آراء مألوفة . وهو أقدر ما يكون على تصوير ذلك في نشيده الثاني عشر الموسوم « كفّارة الشاعر » إذْ يقول :

وتدانت روحٌ هنالك مِني ورمقتني — بلا غضب
خِلتُها أقبلتْ تدافع عني صحَّ ظني — ولا عجب
هي روحي قامت تخلصني من غضب العالم الفخور بشمسه
طوّقتني بمعصميها وقالت: «أخواني، رفقاً بهِ وبيؤسه
هو من عالم التراب ولكن شأنهُ غيرُ شأن أبناء جنسه
سكنَ الارض مُرغماً،وهولو خُيـ ـيرَ ما اختار غيرَ ظلمة رمسه!»

وهذا احتقار متناهٍ للحياة . وهو يرى انّ ارتقاء الانسان ارتقاء ناقصٌ أو معكوسٌ (النشيد الحادي عشر) :

فاذا بالأذى وليدُ حجاهُ واذا بالشرور بِنتُ لسانهْ

وكلّه سخطٌ على الانسانية العمياء وازدراء لنزعاتها، فيقول على لسان أحد الارواح عن أخيه الانسان (النشيد العاشر) :

هو يحيا للشرّ فالشرُّ يحيا أبداً حيث حلَّ شؤمُ ركابِهْ
وهو لا ينفع البسيطةَ الاَّ حيث يَشوي في القبر بين رحابهْ
حيث يمتصّه الأديم ،فيُعطي منه بعضَ الغذا الى أعشابهْ

***

وعندي انّ نظرات الشاعر الفلسفية الاجتماعية ليست خاليةً في مغزاها من الجديد فحسب بل هي ضارّة أيضاً ، فلا سلوى ولا فائدة منها للانسانية، واحسب انها نزعة تقليدية متغلغلة بين معظم أدبائنا ،أوكأنما هي شروحٌ متتابعة للبيت القديم :

عوى الذئبفاستأنستُ بالذئب إذ عوى وصوّتَ انسانٌ فكدتُ أطيرُ !

ولا أدري لماذا ننسى حقيقةً أخرى : وهي أنّ الانسانية في جملتها تسير الى الأمام في الجمال الرّوحي والفكري بل والجسدي ايضاً ؟ لماذا تنظر نظرةً قصيرةً هي أقرب ما تكون الى الانانية فنسخط على العالم لآلامنا وتضحياتنا الذاتية ، وتتناسى الى جانب ذلك نظام الحياة الاسمى الذي يجعل الفرد للجماعة وإنْ جعل كذلك الجماعة للفرد ، لصالح هذه الجماعة في النهاية ؟ كذلك لا أدري لماذا لا نقرّ بأن لنا في المدنية الانسانيةبرغم عيوبها سلواناً وعزاءً :

والحسنُ في هذه الدنيا على صُوَرٍ لكنما يجذبُ الإنسانَ إنسانُ

ولئن كان في سخط الشاعر وفي تقريعه لابناء جنسه أو نوعه تهذيباً وتربيةً ، فأجمل من ذلك أن يحمل أمامهم مصباح الأمل وحبّ الجمال الذي هو نعمة الحياة بل ذات الحياة كما

فعل الدكتور روبرت بردجز في ملحمته (عهد الجمال — *The Testament of Beauty*) ، وهذا ماخلتْ منه هذه المنظومة الموصوفة بأنها « فلسفية اجتماعية » ، واكتفى الشاعرُ بعد صخبه وشكاته بالالتجاء الى دموعه وأحلامه الفائضة على يراعته . فرسالة الشاعر في هذه الملحمة ليست رسالةَ أملٍ قويةً بانيةً ،ولكنها رسالةُ بثٍّ وشكوى ويأسٍ مع شيء من التصوّف

***

وأمّا خيالُ الشاعر فهو الخيالُ الجامحُ الوثّابُ المعهود في جميع الشعراء اللبنانيين تقريباً،وهذا من صميم روح الشعر.وخير أناشيد«شاعر في طيّارة » هي المحلقة مع هذا الخيال البديع كما تلحظ في نشيد الاستهلال وفي تضاعيف معظم الأناشيد الأخرى ، لا سيما في النشيد الثاني والرابع والسابع والثالث عشر — وهي التي وصف فيه شعوره وهو طائر:

موقفٌ لا يُمَثِّل الفِكْرُ أبْهى ... منه ، في نومِهِ وفي يَقَظاتِهْ
إذْ جلَسْنا على بساطٍ من السُّحْ ... بِ يفوحُ الغرامُ مِنْ جنباتِهْ
تحت جوٍّ كأنّه سِنَةُ النّوْ ... مِ ، ترِفُّ الأحلامُ في طبقاتهْ !

وأمّا عن أداء هذه الأخيلة والمعاني فقد جاء جميلاً حقّاً ، وقد أحسن الشاعر بتقسيم ملحمته الى عدة أناشيد متنوّعة القوافي ، متدرّجاً فيها من حُلمه بمُلْكِ الهواء ، الى تحليل نفسية الشاعر ، الى تحقيق حلمه ، الى وصف تجواله الهوائي ، الى خواطره أثناء طيرانه وأجملها مُناجاةُ الأرواح له ، وأخيراً عودته الى أمّهِ الأرض. وأحسن كذلك بأن استهلّ كلَّ نشيد ببيتين رشيقين ضمّنهما صفوة النشيد ، فكان مشوّقاً بهما الى مطالعتهِ ومساعداً على تنويع النغمات ومريحاً لنفس القاريء

وأمّا عن النَّسَقِ النّظمي فهو في جملتِهِ رقيقٌ جيّدٌ ، وانْ جاء ضعيفاً في مواقف مع اباحات لفظية لا يقرّها الشعراء المدرسيّون ولا سيما المصريون منهم: كالاكثار من قصر الممدود ، وكاستعمال ألفاظ في غير موضعها الاّ على سبيل التجوز — وهو مالا موجب له مثل قوله « طوّقتني بمعصميها » والأصوب أن يقول « طوّقتني بساعديْها » . ولكنّ هذه هِناتٌ لا يؤبه لها في تقدير هذا الشاعر النابغة الذي يستحقّ الثناء الجمَّ والتّهنئةَ ، وما كنت لأشيرَ اليها الاّ حُبّاً في انصافه كما أنصفَ هو بنظمه الشّعرَ العربيَّ ، والبيئةَ المتحضّرةَ الرّاقيةَ التي غذّتْهُ بحبِّ التّسامي ، وكما أنصَفَ وطنَه الاصيلَ الذي أنجَبَ غيرَ واحدٍ من نوابغ شعراءِ العربية المجدّدين ، وقدِ وَسَمَتْهُمْ ريحُ الأرْزِ الحرّةُ بحرّيةِ الخيالِ والفكرِ والتّعبيرِ ، فكان معظمهم صلةً قويةً بين محاسن الادبين الشرقي والغربي

رجال العلم والعمل

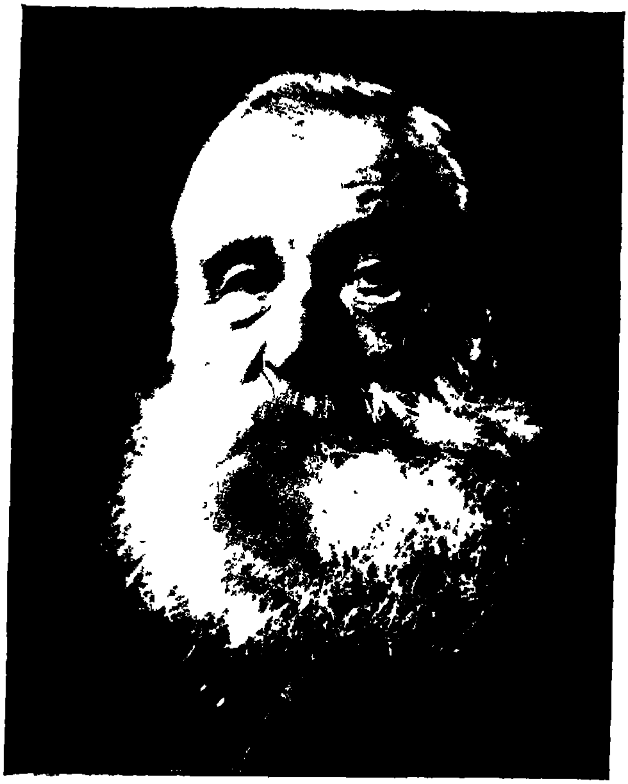
اسرة بركن الكيماوية

تبدو سنة ١٨٥٦ في تاريخ الصناعة العلمية عَلَماً بين السنين . ففيها استنبط بسمر اسلوبهُ المعروف باسمهِ لصنع الفولاذ متين البناء رخيص الثمن وفيها كذلك كشف وليم بركن وهو فتى في الثامنة عشرة عن اول صبغ من الاصباغ الصناعية المستخرجة من قطران الفحم الحجري

كان بركن حينئذٍ تلميذاً للاستاذ هوفمان الكيماوي في كلية العلم الملكية في لندن فاقترح الاستاذ على تلميذهِ ان يبحث عن طريقة تمكنهُ من استقطار الكينا — وهو من اثمن العقاقير الطبية — من قطران الفحم الحجري .فأخذ التلميذ باقتراح معلمهِ وهو لا يدري ان بين يديه مشكلة من اعقد المشاكل الكيماوية لم تحلَّ حتى يومنا هذا . على ان البحث عن « المستحيل » كثيراً ما ادى في تاريخ العلم الى مكتشفات في الطبقة الاولى غرابة وفائدة

ففي ذات ليلة كان بركن واقفاً في معملهِ عابساً مقطب الجبين لانهُ كان قد قضى يوماً آخر من غير ان يقترب الى ضالتهِ المنشودة . وكان يقلّب بين يديهِ كاساً في قعرها كتلة قذرة من زيت الانيلين وغيرهِ من المواد الكيماوية التي تتخلف من قطران الفحم فخطر لهُ اولاً ان يرمي بالكتلة حنقاً . وكان يد القدر ثنتهُ عن عزمهِ فتوقف قليلاً ثم مدَّ يدهُ الى زجاجة تحوي الكحول سكب منها في الكأس حتى دهاقها فلمع امام عينيهِ لون من ازهى الالوان وابدعها هو اللون البنفسجي اول الاصباغ الصناعية ورائد صناعة عظيمة ارتفع مقامها وتعددت فروعها حتى اصبحت ولها شأن اي شأن في اعمال الحرب والسلم . وقف بركن هناك وهو لا يدري انهُ قد فتح الطريق الى ميدان فسيح من الاكتشاف الكيماوي وان من هذا القطران الاسود الكريه الرائحة الذي تتلخص فيهِ عصور طويلة من الافعال الجيولوجية في الغابات ستخرج ازهى الالوان وازكى العطور وافتك المتفجرات وانجع العقاقير وان على هذا النفاية نفاية القارات والعصور ستبنى صناعة واسعة النطاق بل صناعات كثيرة واسعة النطاق

كان والد بركن بنـاء وكان ينوي ان يعلم ابنهُ هندسة البناء ليقتفي اثره . والواقع ان بركن الصغير صار بنـاءً فيما بعد ولكنهُ لم يبن دوراً صغيرة او قصوراً ناطحات السحاب بل بنى



السر وليم بركن في شيخوخته
(١٨٣٨ — ١٩٠٦)

في ميدان الكيمياء العضوية ما يحسده عليه البناؤن اذ على اساس مكتشفاته بنيت مئات المعامل في المانيا وفرنسا وانكلترا واميركا بل ان بلدة البرفلد الالمانية باسرها شيدت لتأوي اليها ويعمل فيها المشتغلون بتطبيق مكتشفاته المتعددة

***

كان الفتى بركن في الرابعة عشرة من عمره حين شاهد اتفاقاً تجارب كيماوية يجربها صديق لهُ فأخذتهُ بها وعزم في الحال ان يصير كيماويًّا. وانتظم في سلك «مدرسة مدينة لندن» حيث تتلمذ على الاستاذ توماس هول الذي درّسه مبادي العلوم فكان للاستاذ اكبر اثر في حياتهِ لانهُ كان من اولئك المعلمين الذين يحببون الدرس الى التلميذ. ولا ننس ان « العلم » في ذلك الزمن لم يكن لهُ المقام الاول بين الدروس فعينت فترة الظهر لدرس الكيمياء في برنامج المدرسة اليومي. فكان الفتى بركن لشدة اعجابهِ بمعلمهِ وشغفهِ بالكيمياء ينسى طعام الغداء لكي لا يفوتهُ شيء مما يفوه بهِ الاستاذ. وعلاوة على ذلك كان يعاون معلمهُ في اعداد المعدات للتجارب الكيماوية المختلفة

واقترح عليهِ الاستاذ هول ذات يوم ان يكتب الى فراداي وهو اعظم علماء الانجليز حينئذٍ ومدير المعهد الملكي طالباً منهُ تذكرة تمكنهُ من سماع المحاضرات التي يلقيها. فعطف فراداي على العالم الناشيء وارسل اليهِ التذكرة المطلوبة. وهكذا تمَّ لبركن مع فراداي ما تمَّ لفراداي مع السر همفري دايفي من قبل وكان غنم العلم والصناعة من ذلك لا يقدر بمال

وما زال بركن يستعطف اباهُ ويناقشهُ ويتوسل اليهِ حتى اقنعهُ بصواب رأيهِ في اتخاذ العمل العلمي دستوراً لهُ في الحياة. فانتظم في سلك كلية العلم الملكية بلندن تلميذاً في فرع الكيمياء. فكانت الصداقة التي احكمت اواصرها بين الاستاذ هوفمان وتلميذه بركن جليلة العوْد على العلم والاستنباط. ذلك ان الاستاذ هوفمان كان كيماويًّا عظيماً واستاذاً بارعاً ومحاضراً يستهوي القلوب ففُتن بهِ الطالب الفتى فطلب اليهِ ان يسمح لهُ بسماع المحاضرات الكيماوية التي يلقيها مرة ثانية. ولم تنقضي عليهِ سنتان في كلية العلم حتى ملك ناصية الكيمياء العامة ودرس قواعد التحاليل النوعي وكان من آثار نبوغهِ وتفوقهِ ان عهد اليهِ الاستاذ وهو لا يزال في السابعة عشرة من العمر ان يكون مساعداً لهُ. فحالت اعمالهُ كمساعدٍ لاستاذه دون البحث العلمي البكر وهو ما وطّن النفس عليهِ منذ البدء ولكن ذلك لم يضعف عزيمتهُ فاقام في دارهِ معملاً كيماويًّا صغيراً وجعل يقضي فيهِ لياليهُ وايام عطلته المدرسية. في هذا المعمل الصغير، في اثناء عطلة عيد الفصح كشف الفتى بركن — وهو في مطلع الثامنة عشرة من عمرهِ — عن اول الاصباغ الصناعية الذي مرَّ ذكرهُ في صدر هذا المقال

سحر بجمال اللون وزهوه وللحال صرف نظره عن مسألة « الكينا » وعزم ان يستفرد مادة هذا اللون من الكتلة التي امامهُ ويكشف عن طريقة صنعهِ . ففاز بضالتهِ بعد ايام متعاقبة من الخيبة والقنوط . ومن الغريب ان اللون البنفسجي لو كان نقيًّا حين كشف عنهُ بركن لما تمكن من العثور عليهِ اتفاقاً ولكن وجود مادةٍ معه تدعي « تولويدين » جعلت حالهُ بالكحول سهلاً

ولما استفرد بركن صبغه بعث بهِ الى اصحاب محل پلر الصباغين لتجربتهِ فجاء الردّ بعد ايام وفيهِ ما يأتي : اذا كان اكتشافك لا يجعل البضاعة المصبوغة بهِ اغلى ثمناً فهو من اثمن الاشياء التي كشف عنها من زمن طويل . فكانت خطوتهُ الاولى ان يطلب تسجيل اكتشافهِ فاعترضهُ القول بانهُ لا يزال دون السن القانوني وهذا يحول بينهُ وبين الفوز بامنيتهِ فلجأ الى المتضلعين من رجال القانون فافتوا بجواز ذلك لان « البتنته » اي تسجيل المكتشفات والمستنبطات انما هي منحة من الملك لابناء رعيتهِ ولا فرق عندهُ بينهم في السن

فلما سجل استنباطهُ عزم ان يخوض ميدان الصناعة ورغماً عن ارادة استاذهِ هوفمان ومشورتهِ تخلّى عن مباحثهِ الكيماوية في كلية العلم الملكية وجعل يفتش عن المال اللازم للقيام بمشروعهِ الصناعي . ولكن المتمولين الذين فاتحهم في الموضوع كانوا مرتابين في صحة العمل وامكان نجاحهِ . وقد كان هذا شأنهم في كل المكتشفات والمستنبطات في كل عصور التاريخ . على ان رجلين كانا يثقان ثقة عمياء بنبوغ الفتى بركن فاعطياه كل ما وفراه من مالٍ — وهما ابوهُ واخوهُ الاكبر . فتأسس معمل « بركن وابنائهِ » بمال الوالد والولد الاكبر سنه ١٨٥٧ وجعل موضوع الترجمة مديراً فنيًّا لهُ وهو في مطلع التاسعة عشرة من العمر

***

تمّ بناء المعمل في يونيو ١٨٥٧ ولكن اين الآلات التي تقوم بالعمل ؟ ولما كان العمل جديداً في ميدان الصناعة لم يكن في الامكان شراء الآلات التي تقوم بهِ . فوجب على بركن ان يرسم تصميم الآلات التي يحتاج اليها ويعهد الى مصانع الآلات في صنعها حسب تعليماتهِ . حينئذٍ ادرك ان عملهُ معرَّض لمصاعب ادهى من مصاعب الاكتشاف نفسهِ . فلم يكن امامهُ مثال يحتذيهِ بل كان يجب عليهِ ان يبدع كل صغيرة وكبيرة في المعمل . وما ابدعهُ هذا الفتى اصبح بعد قليل مثلاً يحتذى في كل انحاء العالم

ولما تمّ تجهيز المعمل بالآلات الكافية بحث عن المادة اللازمة لتحضير الصبغ منها فلم يجدها . ذلك ان القطران الفحمي الحاصل من تقطير الفحم في تحضير الغاز كان يرمى لانهُ في رأي اصحاب الصناعة حينئذٍ كان نفاية لا فائدة منها وكانت مادة الانيلين التي يستخرَج منها من النوادر . والانيلين هذا هو مصدر الالوان الزاهية التي كشف بركن

عن اولها. فبحث هو واخوه عن البنزين الذي يحضَّر الانيلين منهُ ليستعملاه في تحضير الانيلين ثم في تحضير الصبغ البنفسجي فعثرا بعد شق النفس على مقدار طفيف منهُ في غلاسجو فابتاعا ربع الجالون منهُ بريال . وكان بنزيناً قذراً فاضطرا ان يعيدا تقطيره

على ان العقبات كانت لاتزال واقفة لهُ بالمرصاد . لان اخراج الفكرة العلمية من حيّز القوة والنظر الى ميدان الصناعة والتجارة هو ما كان يطلب منهُ . وفي كل ذلك وجب عليهِ ان يكون الرائد في استنباط كل ما يلزم له من المواد والآلات. ذلك انهُ بعدما استجمع كل المعدات كانت خطوتهُ الاولى معالجة البنزين بالحامض النتريك . ولكن اين الحامض النتريك ؟ الغاية واضحة والطريق ممهدة وينقصنا الحامض النتريك فلنصنعهُ من نترات الصودا الشيلية والحامض الكبريتيك . هذا ما قاله الاخوان واخذ صاحب الترجمة في الحال يبتدع المعدات لصنعهِ فكان الفوز في النهاية حليف نبوغ يحالفهُ جدٌّ وجرأةٌ واكبابٌ

***

ولكن المصائب لاتأتي فرادى . فالصبغ امام الجمهور ومزيتهُ على الاصباغ النباتية ظاهرة واضحة ولكن الصباغين لايستعملونهُ . فلنعلمهم ولنعوّدهم استعماله . وكان هذا الصبغ يبوخ متى صبغت بهِ الانسجة القطنية فاكبَّ بركن على البحث والتجربة حتى كشف عن المواد التي تثبتهُ ولم تنقضي سته اشهر حتى كان صبغهُ مستعملاً في اشهر مصابغ انكلترا . ومنها اتصل ببلدان اوربا فبنيت المصانع لصنعهِ في فرنسا والمانيا وزاد المطلوب منهُ من معمل بركن وابنائهِ حتى اضطروا ان يوسعوا معملهم مراراً في ثلاث سنوات. وكان اكتشاف الصبغ البنفسجي كان عود ثقاب في الهشيم فحمل جمهوراً من الباحثين على البحث الكيماوي في قطران الفحم الحجري واكتشاف المكتشفات فيهِ . وذاع اسم بركن حتى اصبح معروفاً في اوربا كاعظم ثقة في موضوع « الاصباغ » وفي سنة ١٨٦١ اذ كان في الثالثة والعشرين من عمرهِ دعي لالقاء محاضرة في الجمعية الكيماوية في موضوع « اصباغ القطران » ولشد ما كانت دهشتهُ وفرحهُ لما شاهد في جمهور الحاضرين العالم الانكليزي الممتاز فراداي الذي تقدم اليهِ بعد الخطبة واعرب له عن تهنئتهِ له .وسنة ١٨٦٦ انتخب رفيقاً في الجمعية الملكية

وفي سنة ١٨٦٨ اكتشف جرايب وليبرمن ان الاليزارين (الصبغ الاحمر) منحدر من منحدرات الانثراسين وهذا من منتجات القطران كالبنزين .ولكن طريقة تحضيرها له في المعمل الكيماوي كانت كثيرة النفقة لا تصلح للاعمال التجارية فاكب بركن على العمل لاستنباط طريقة تجارية ففاز بذلك في اقل عن سنة وسجلهُ في يونيو سنة ١٨٦٩

فكان هذا الاكتشاف آخر مسمار ضرب في النعش المعدّ لصناعة الصبغ الاحمر الطبيعي

المستخرج من جذر الفوّة . ولم يذع النبأ بان بركن صنع هذا الصبغ الطبيعي بطريقة صناعية حتى انهالت عليهِ الطلبات فلم يستطع تلبيتها كلها . ومع ذلك لم يكتفِ بالبحث في موضوع الاصباغ الصناعية والتفوق فيهِ بل حوّل نظرهُ الى استقطار العطور الصناعية الزكية الرائحة من قطران الفحم ففاز بذلك وكان اول من استقطر مادة «الكومارين» وهي احدى المواد الاساسية المستعملة الآن في تركيب العطور الصناعية

هذا النجاح التجاري العظيم وهذه الثروة التي كانت تدر عليهِ ميازيبها من معاملهِ لم تغرهِ بالبقاءِ في ميدان الصناعة فباع معملهُ سنة ١٨٧٤ وانقطع للبحث العلمي المجرَّد فأصبح من روّاد العلماءِ في ميدان الكيمياءِ العضوية وكشف فيها عن مبادىء واصول خطيرة لا محلَّ للتبسط فيها الآن . وسنة ١٨٧٩ منح المدالية الملكية من الجمعية الملكية وسنة ١٨٨٩ منح مدالية دايفي وسنة ١٩٠٦ احتفل بامضاءِ خمسين سنة على اكتشافهِ للصبغ البنفسجي بلندن ومنح وسام فارس ولقب سير . وكرمتهُ اشهر الجمعيات الكيماوية في انحاءِ العالم فضُربت في نيويورك مدالية خاصة تعرف بمدالية بركن ومنحت لهُ اولاً وهي تمنح كلَّ سنة للكيماوي الاميركي الذي يؤدي اكبر خدمة لعلم الكيمياءِ . وتوفي في السنة التالية شيخاً قد شبع من الأيام والمجد بعد ما خدم العمران خدمات لا تقوَّم بمال

***

ولعلَّ اعظم عملٍ قام بهِ هو تنشئة اولاده الثلاثة الذين اصبحوا كلهم من اعلام البحث الكيماوي . وقد توفي احدهم في الشهر الفائت — بعد ما شغل كرسي استاذ الكيمياء في جامعات ادنبرج ومنشستر واكسفرد خمساً وثلاثين سنة متوالية فقال الأستاذ ارمسترنغ الكيماوي فيهِ ما خلاصتهُ :—

« ان وفاة وليم هنري بركن الصغير (نجل السر وليم بركن مكتشف اول اصباغ الانيلين) فاجعة فجع بها رجال العلم وكارثة اصيب بها علم الكيمياء . ان الخسارة لا تعوَّض. لأن انجاب رجال من طبقتهِ متعذّر اليوم . ذهب ولمَّا يتم عملهُ بعد فهو لم يزل في عنفوان قوتهِ العقلية وابداعهِ العلمي . ان سيرتهُ العلمية خالية من الحوادث التي تلفت الأنظار ومباحثهُ ومكتشفاته ليست مما تطنطن بهِ الصحف اعلاناً عن صاحبها. وُلِد في ١٧ يونيو سنة ١٨٦٠ فتعلم في مدرسة مدينة لندن اولاً ثم انتقل منها الى كلية العلم الملكية وهو في السابعة عشرة من عمرهِ . وبعد ما لبث فيها سنتين ذهب الى المانيا فدرس في جامعة وسلسنيوس في ڤرتزبرج ثم بمعهد باير في مونيخ وبعد ما قضى خمس سنوات ينهل من مناهل العلم الألماني عاد الى وطنهِ فقضى سنة في كلية اون بمنشستر ثم عيّن استاذاً للكيمياءِ

في جامعة ادنبرج فظلَّ في منصبهِ هذا عشر سنين انتقل منهُ الى جامعة منشستر وفي سنة ١٩١٢ وقع عليهِ الاختيار ليشغل منصب استاذ الكيمياء في اكسفرد فبعث الحياة في دراسة الكيمياء فيها ببراعتهِ في الاكتشاف والاستنباط. كانت الكيمياء في اكسفرد قبلهُ ميتة فبعثها حيَّة وهي تكاد تتفجر الآن من قوة الحياة تجري في عروقها

«انك لا تستطيع ان تفهم الولد الاَّ اذا فهمت الوالد (السر وليم) فبركن الصغير اخذ بعلم الكيميا كما يأخذ البط في العوم. لقد كانت الكيمياء في دمهِ بل في عظامهِ. فأصبح الأستاذ وليم في شبابهِ ورجولتهِ وكهولتهِ من ابرع العلماء واخصبهم انتاجاً. حقًّا ان اسرة بركن اسرة غريبة. فالوالد ونجلاهُ الأكبران ثالوث كيماوي منقطع النظير في تاريخ العلم. لقد اقتفيا آثار ابيهما فشغفا بالبحث العلمي حبًّا بهِ كأن الشعلة التي حملت اباهما على الانصراف من الصناعة الى العلم قد اتقدت اليهما. اما اخوهما الثالث وهو من زوجة السر وليم الثانية فهندس كيماوي ولهُ مقام كبير كمعلم وكاتب ومبدع»

ومن اهم مستنبطات الاستاذ بركن التي تهم الجمهور استنباطهُ لطريقة تمكنهُ من معالجة القطن حتى لا يقبل الاحتراق وطريقة لصنع الستك الصناعي. فاذا تمكن العلماء من استعمال طريقتهِ الاخيرة والتوسع فيها حتى يخرج الستك الصناعي رخيصاً كالستك الطبيعي كان عمل الاستاذ بركن في المقام الاول بين مستنبطات العصر

قال الاستاذ ارمسترنغ: «ومع ان مكانة الولد في ميدان الكيمياء والبحث الكيماوي تفوق مكانة الوالد نراه قد بخس حقهُ في وطنهِ وخارجهُ. ان القاب الشرف التي حازها ليست كثيرة. ومن قبيل الاعتراف بعلمهِ كان يجب ان ينال جائزة نوبل لاني ارى ان فلالاً من الكيماويين الذين فازوا بها يضاهونهُ في انتاجهِ العلمي براعة واثراً. ولكن عملهُ لم يكن من الاعمال التي تلفت الانظار ودعتهُ كانت تمنعهُ عن الاعلان عن نفسهِ. والظاهر ان اللجنة الاسوجية التي توزع هذه الجوائز لا ترى كيماويًّا انكليزيًّا جديراً بها. فلا السر وليم كروكس نالها ولا الاستاذ ديور. لقد قيل لي ان هؤلاء لم ينالوها لان مواطنيهم لم يقترحوا اسماءهم على اللجنة الاسوجية. فاذا كان هذا الشرط اساساً في منح جائزة نوبل وجب الاسراع الى الغائهِ. لان العلماء كسائر البشر يتحاسدون ومنح جائزة علمية في هذا المقام يجب ان يتم بروح علمية مجردة عن الهوى. اما الامر الذي يؤسف لهُ فهو ان الاستاذ بركن واخاه من غير عقب. كأن هناك عاملاً خفيًّا يحدث العقم بين العلماء. هذه مسألة يجب ان نميرها شأنها من العناية والانتباه لان اسرة كاسرة بركن اعطتنا ثلاثة كيماويين ممتازين في جيلين متعاقبين يجب ان لا يبيد نسلها من الارض»

تاريخ الغناء العربي

(٦) طويس

كانت الحلقة الخامسة من سلسلة « تاريخ الغناء العربي » خاتمة العصر الأموي وقبل البدء في تاريخ الغناء في العصر العباسيّ رأيت أن أترجم لأشهر المغنين الذين نبغوا فنبهوا في عهد الأمويين ورأسهم طويس لِعدَة منا سلفت وعزيمة صحت فصدقت

﴿مولده ونشأته﴾ ولد طويس يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول في السنة العاشرة الهجرية الموافقة سنة ٦٣٢ ميلادية . حدّث طويس عن نفسه قال : إنّ أمّي كانت تمشي بين نساء الأنصار بالنمائم ثم ولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله وفطمتني في اليوم الذي مات فيه أبو بكر وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان وولد لي في اليوم الذي قتل فيه عليّ فمن مثلي ؟ ! ! ولذلك ضربت العرب المثل به في الشؤم فقالت أشأم من طويس

والطاوس طائر معروف حسن المنظر وجماله في ريشه البهيج ذي الألوان الكثيرة البديعة وهو يختال بذنابه الطويل الحسن رواؤه. ويضرب بالطاوس المثل في الخيلاء وطويس مصغّر طاوس بعد حذف الزيادات تصغير ترخيم وكان المغني قد لقب طاوساً بعد ولادته ولبث لقبه كذلك حتى كان يافعاً فلما تخنث لقّب طويساً تمايحاً واسمه عيسى بن عبدالله الذائب مولى بني مخزوم القرشيين وكان يكنى أبا عبد النعيم وهو أول من غنّى في الإسلام بالمدينة ونقر بالدّف المربع وكان قد أخذ طرائق الغناء عن سبي فارس وذلك أن عمر رضي الله عنه كان صيّر لهم في كل شهر يومين يستريحون فيهما من المهن فكان طويس يغشاهم حتى فهم طرائقهم. وكان خليعاً يضحك كل ثكلى فمن مجانته أنه كان يقول يأهل المدينة ما دمت بين أظهركم فتوقعوا خروج الدجّال والدّابّة وإن مُتُّ فلتم آمنون . وكان يظهر للناس ما فيه من الآفة غير محتشم منها ويتحدث بها . ولا غرو إذا ضربت العرب به المثل في ذلك فقالت أخنث من طويس. وكان طويلا أحول مضطرب الخلق !! ولما خصى مع سائر المخنثين في المدينة المنورة قال ما هذا الاختان أعيد علينا وكان ذلك في عهد سليمان بن عبد الملك وكان والي المدينة من قبله ابن حزم وهو الذي أطاع أمرهُ لخصاهم لمّا أفسدوا النساء على الرجال !! والرجال على النساء .روى أن جارية

لسليمان بن عبد الملك تدعى الذلفاء حضرته ذات ليلة بدرية فى معسكره وعليها حلى ومعصفر فسمع فى الليل سميره ونديمه ومغنيه سنانا يقول

وغادة سمعت صوتى فأرقها ... من آخر الليل لما ملها السحر (١)
تدنى على فخذيها من معصفرة ... والحلى دان على لباتها خصر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق ... فدمعها بأعالى الخد ينحدر
فى ليلة البدر ما يدرى معاينها ... أوجهها عنده أبهى أم القمر
لو خليت لمشت نحوى على قدم ... تكاد من رقة للمشى تنفطر

فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت إلى وسط الفسطاط (الخيمة) تستمع فجعلت لا تسمع شيئاً من خلق ولطافة قد إلا الذي وافق المعنى ومن نعت الليل واستماع الصوت الا رأت ذلك كله في نفسها فحرك ذلك ساكناً في قلبها فهملت عيناها وعلا نشيجها فانتبه سليمان من نومه فلم يجدها معه فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحال فقال لها ما هذا ياذلفاء فقالت:

ألا رب صوت رائع من مشوه ... قبيح المحيا واضع الأب والجد
يروعك منه صوته ولعله ... إلى أمة يعزى معا وإلى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك ما خامر. يا غلام علي بسنان فلما أتى به قال ياسنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني الثمل وأنا عبد أمير المؤمنين وغذى نعمته فإن رأى أمير المؤمنين ألا يضيع حظه من عبده فليفعل. فدعا حجاماً ليخصيه فدخل إليه عمر ابن عبد العزيز وكلمه في أمره فقال اسكت ثم خصاه خشية الفتنة ودعا كاتبه فأمر أن يكتب من ساعته إلى عامله ابن حزم بالمدينة لما علم أن الغناء قد فشا فيها بالسنة المخنثين «أن احص المخنثين المغنين» فتشظى قلم الكاتب فوقعت نقطة على ذروة الحاء فكان ما كان مما تقدم ذكره. وكان سليمان يريد من احصائهم خصيهم كما فعل بسنان سميره. وقد وهم الميداني إذ نسب الأبيات الفائتة إلى رجل يدعى سميرا وفي الروايات اضطراب وقد أتينا على الخلاصة مع التحري وتمام النسق

﴿منزلته فى الغناء﴾ طويس أول من غنى فى الإسلام الغناء الغنى الرقيق نقلاً عن الفرس — وأول من صنع الرمل والهزج فى الإسلام وأجاد فيه حتى ضرب به المثل فقيل أهزج من طويس. وأول صوت غنى به (وكان فى عهد عثمان بن عفان)

قد براني الشوق حتى ... كدت من شوقى أذوب

وقد تخرج عليه فى الغناء كثير من تلاميذه المغنين اشهرهم ابن سريج والدلال

(١) رواية الشعر للميدانى وقد رواه ابن عبد ربه والجاحظ بتغيير قليل فى كلماته مع اطالة فى القصة فإن شئت فارجع الى العقد الفريد والمحاسن والاضداد وقوله خصر أى بارد وهذه حالة مستملحة عند العرب وفى الاصل خضر بالضاد وهو تحريف من النسخ او الطبع فتأمل

ونؤومة الضحا فأخذوا طرائق تلحينهم عن طويس ثم أبدعوا فيها أيما إبداع

واجود صوت غناه ولحنه من خفيف الرمل قول ابن قيس الرقيات

يا لقومى قد أرقتنى الهموم ففؤادى مما يجن سقيم
أندب الحب فى فؤادى ففيه لو تراءى للناظرين كلوم(١)

وقد كانت لطويس منزلة عالية لدى الأمراء من الأمويين والهاشميين لحذقه الغناء وإتقانه الصنعة ولحسن صوته وإجادة تلحينه ولسموه فى اختيار الشعر الذى يتغنى به. يدلك على ذلك أنه لما ولى أبان بن عثمان بن عفان المدينة المنورة من قبل معاوية بن ابى سفيان قعد فى بهو له عظيم واصطف له الناس فجاء طويس المغنى وقد خضب يديه غمساً !! واشتمل على دف له وعليه ملاءة مصقولة !! فسلم ثم قال بأبى وأمى يا أبان الحمد لله الذى أرانيك أميراً على المدينة إنى نذرت لله فيك نذرا إن رأيتك أن أخضب يدى غمساً !! واشتمل على دفى وآتى مجلس إمارتك وأغنيك صوتاً فقال يا طويس ليس هذا موضع ذاك قال بأبى أنت وأمى يا بن الطيب أبحنى قال هات يا طويس فحسر عن ذراعيه وألقى عن ردائه ومشى بين السماطين وغنى : بقول الملك ذى جدن الحميرى

ما بال أهلك يا رباب خزرا كأنهم غضاب

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبل بين عينيه

وحدث المدائنى قال كان (الأمير الهاشمي) عبد الله بن جعفر معه إخوان له فى عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جون فأسال كل شىء فقال عبدالله هل لكم فى العقيق وهو متنزه أهل المدينة فى أيام الربيع والمطر فركبوا دوابهم ثم انتهوا اليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد مثل مد الفرات فإنهم ينظرون إذ هاجت السماء فقال عبدالله لأصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل طويس فإنه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا وطويس فى النظارة يسمع كلام عبدالله بن جعفر فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت جعلت فداك وما تريد من طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال له عبدالله لا تقل ذلك فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى منزله فقال لامرأته ويحك قد جاءنا عبدالله بن جعفر سيد الناس فما عندك فقالت تذبح هذا العناق(٢) واختبز خبزاً رقاقا فبادر فذبحها وعجنت هي ثم خرج فتلقاه مقبلاً إليه فقال له طويس بأبى انت وأمى هذا المطر فهل لك فى المنزل فتستكن فيه إلى أن تكف السماء قال اياك أريد قال فامض يا سيدى على بركة الله وجاء

(١) أندب ابقى فيه ندباً وهو أثر الجرح .والكلوم الجروح (٢) الانثى من ولد المعز ـنها دون سنة

يمشي بين يديه حتى نزلوا ولما غسلوا أيديهم من طعامه قال بأبي أنت وأمي أأمشي معك وأغنيك قال افعل يا طويس فأخذ ملحفة فأتزر بها وأرخى لها ذنبين ثم أخذ الدف المربع فتمشى وأنشأ يغني

يا خليلي نابني سهدى ... لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل ... مؤنس تلتذه كبدي
مثل ضوء البدر طلعته ... ليس بالزميلة النكد
من بني آل المغيرة لا ... خامل نكس ولا جحد
نظرت عيني فلا نظرت ... بعده عيني الى أحد

فطرب القوم وقالوا أحسنت يا طويس ثم قال يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر قال لا والله ما ادري لمن هو الا أني سمعت شعراً حسناً قال هو لفارعة (وقيل لخولة) بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهي تعشق عمارة بن الوليد بن المغيرة (١) وتقول الشعر فيه فنكس القوم رؤوسهم وضرب عبد الرحمن بن ثابت برأسه فلو شقت الأرض له لدخل فيها خالداً

وكان طويس مولعاً بالغناء بالشعر الذي قالته العرب من الأوس والخزرج سكان المدينة في حروبهم متضادين يريد بذلك إثارة العداوة والبغضاء بين القبيلتين في الاسلام كما كانتا في الجاهلية فعل مجلس اجتمع فيه هذان الحيان فغنى فيه طويس الا وقع فيه شر فنهى عن ذلك فقال والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسدوني التراب (٢)

وغنى طويس بحضرة جميلة المغنية الشهيرة في رهط من المغنين فاستحسنته قال :

قد طال ليلي وعاد لي طربي ... من حب خود كريمة الحسب
غراء مثل الهلال آنسة ... أو مثل تمثال صورة الذهب
صادت فؤادي بجيد مغزلة ... ترعى رياضا ملتفة العشب

وغنى طويس بأبيات عاتكة بنت زيد التي رثت بها الفاروق وكان زوجها ومات عنها — قالت

منع الرقاد فعاد عيني عود ... مما تضمن قلبي المعمود
يا ليلة حسبت علي نجومها ... فسهرتها والشامتون هجود
قد كان يسهرني حذارك مرة ... فاليوم حق لعيني التسهيد
أبكي أمير المؤمنين ودونه ... للزائرين صفائح وصعيد

﴿ موته ﴾ مات طويس في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حوالى سنة مائة هجرية على أصح الروايات وعمره زهاء تسعين سنة ودفن في المدينة المنورة رحمة الله عليه

عبد الرحيم محمود مدرس في السعيدية الثانوية

---

(١) الاغاني ج٢ ص ١٧٠ طبعة الساسي (٢) وقيل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي

حلقة جديدة بين مصر وسوريا

المكتشفات الاثرية الجديدة في شمال سورية

للمسيو شيفر مكتشفها

(نقلا عن مجلة اخبار لندن المصورة)

كنت في سراي اللاذقية عاصمة دولة العلويين بشمال سورية فسمعت قصة هي اقرب القصص الى الخرافات. ذلك ان قبطاناً انكليزيًّا كان راسياً بسفينته في مرفإٍ اللاذقية فدعا وكيل شركته فيها الى مرافقته في مركب الى الاسكندرونة . ولما صارا على عشرة اميال من اللاذقية نبّه القبطانُ رفيقهُ الى فرضة تحيط بها صخور بيضاء الى يمينهم . وعلى مقربة من هذه الفرضة التي تصحُّ ان تكون مرفأً طبيعيًّا مع انها مهجورة الآن ، شاهدا آكاماً صغيرة فقال القبطان ان جدَّهُ الذي كان بحّاراً مثلهُ اشار عليهِ بالنصب فيها متى تسنّى لهُ ذلك. ثم قال : « لا بدَّ ان نجد هنالك اشياء ثمينة مطمورة في هذه الآكام ! »

ولما كنتُ ابتاع بعض ما احتاج اليهِ في اسواق اللاذقية كان قد سرى بين جمهور الاهالي ان اثريًّا فرنسيًّا ينوي ان ينقب في « المينا البيضاء[1] » فقال لي بعضهم وهم لا يدرون حقيقة حالي ان بعض الوطنيين القاطنين في جوار الفرضة المذكورة وجدوا قطعاً ذهبية قديمة

وحدث ما يؤيد هذه الاقوال في مارس سنة ١٩٢٨ ذلك ان علويًّا كان يحفر في حقلهِ على مقربة من الفرضة المذكورة فعثر على لوح حجري رفعهُ فانكشف امامهُ سرداب يؤدي الى غرفة مربعة مستطيلة مسقوفة سقفاً منقوشاً ومزخرفاً ولما افرغ الغرفة عثر فيما عثر عليهِ على بعض آثار ذهبية ولكنهُ اخفاها عن الناس ولعله باعها بعدئذ فيما يباع من الآثار القديمة

واتصل نبأ هذا الاكتشاف بالمسيو شوفلر حاكم دولة العلويين الحالي فذهب الى البقعة التي كشف فيها عن السرداب والغرفة المذكورين وكتب في الحال الى المسيو فيرلّو مدير الآثار ببيروت . فبعثت ادارة الآثار السورية بعض رجالها فعاينوا المكان وبحثوا فيهِ فلم يجدوا الاَّ بعض آنية خزفية لعلَّ صاحبنا الفلاح لم يعرف قيمتها فتركها في مكانها . ولكن المسيو ديسّو من علماءِ المعهد الفرنسي يرى ان تاريخ هذه الآنية يرجع الى القرن الثالث

(١) (المقتطف) الميناء بحد في المعجم مرسى السفن مذكر . وقد ابقينا على اللفظ المقصور مع صفة التأنيث لان هذا هو الاسم الجائز على الالسنة العامة هناك



ابدع قطعة من العاج الميسيني القديم كشف عنها حتى الآن في مدافن « المينا البيضاء » منقوشة نقشاً بارزاً تمثل الاهة « الخصب » وهي عارية الصدر ولكنها لابسة على رأسها تاجاً ومرتدية رداء يغطيها من وسطها الى اسفل قدميها وعلى جانبيها تيسان واقفان على ارجلهما الخلفية يأكلان من سنابل القمح في يديها

عشر قبل المسيح وانها قبرصية او ميسينية في اصلها . على أن هندسة هذا المدفن وعمارته ذكرتا الباحثين بهندسة المدافن الملكية في كنوسس بكريت التي كشف عنها السر ارثر افانس

***

لم يعثر الباحثون الاثريون الى اوائل السنة الماضية على آثار من هذا القبيل على الشواطئ السورية. اما المسيو ديسو فلا تخامره خاجة ريب في ان « المينا البيضاء » كان مرفأ قديماً تقيم فيه جالية قبرصية كريتية كانت تتجر بالبضائع المستوردة من كريت وقبرص ومصر مع بلدان ما بين النهرين

والواقع ان هذا الميناء في مركزه على الشاطئ السوري يواجه طرف قبرص الشمالي الأقصى وهو مركز تتفرع منه الطرق والمسالك الى داخلية البلاد. والمرجح ان النحاس من مناجم قبرص الذي كان يستعمل حينئذٍ في صنع الأسلحة الحربية بدلاً من الحديد كان من اهم مواد التجارة في ذلك العصر. وتلبية لاقتراح المسيو ديسو بعث المعهد الافرنسي بعثاً الى هذه البقعة غرضه البحث عن البلدة القديمة التي كانت قائمة هناك ومرفإها ومدافنها وعهد الى كاتب هذه السطور بادارته والاشراف على اعماله. فاخترت لمعاونتي المسيو شنه الاركيولوجي الأرجوني

وصلنا « المينا البيضاء » في آخر مارس سنة ١٩٢٩ ومعنا قافلة مؤلفة من سبعة جمال وبضعة حمير وخيل حاملة امتعتنا . وشرعنا في النقب بعد نصب مضاربنا وتدبير امور معيشتنا. على اننا قضينا الاسبوع الاول نسبر الأرض ونحفر فيها قليلاً هنا وهناك ثم بدأنا النقب فيما حسبناه مركز مدافن المدينة فأسفر حفرنا عن العثور على كنز حافلٍ بالآثار القديمة. ففي بقعة لا تزيد مساحتها على ٣٠٠٠ متر مربّع تبعد نحو ١٥٠ متراً عن البحر عثرنا اولاً على ثمانين كسرة من الآثار التي كانت تدفن مع الأموات بينها آنية خزفية من صنع اهل البلد نفسها وآنية اخرى قبرصية وميسينية وبعض حجارة صغيرة منها ما كان وزنه وزن المينا المصرية تماماً اي ٤٣٧ غراماً وبعض غرام . وفي اماكن اخرى عثرنا على الواح حجرية كبيرة واحجار مستديرة مثقوبة في وسطها كانها حجارة الرحى وأخرى مكعبة وأخرى تمثل عضو الذكر للتناسل [1] . اما العظام التي عثر عليها فكانت كلها عظام حيوانات ، ولم يوجد بينها عظام بشر على الاطلاق

وفي وسط هذه البقعة وعند اسفل جدار لا يزيد علوه على نصف متر عثرنا على طائفة من التماثيل الصغيرة والجواهر كلها ذات قيمة فنية وتاريخية عظيمة . وأول اثر عثرنا عليه ومهّد لنا سبيل العثور على الآثار الأخرى كان تمثالاً صغيراً من البرونز لباشق

(١) كانت هذه الانصاب تعد في الامم القديمة من قبيل الاحترام لقوة اخلاف النسل وحفظه

جاثم وعلى رأسهِ تاج مصر العليا والسفلى كأنهُ الالهُ هورس . وكان هذا التمثال ملقى بين بقايا وعاءٍ خشنٍ محطم وكِسَر كأسٍ قبرصية جميلة. وعلى مقربة من هذا الباشق وجدنا تمثالاً آخر مصفح بالذهب هو درّة من درر الصناع الاقدمين . والظاهر ان روح الأسلوب الفني فيهما مصرية ولكن صانعهُ مع تأثره بالروح المصرية جرى على طريقة خاصة بهِ في التمثيل والنقش . لأنك لا تعثر في الآثار المصرية على تمثال باشق قابض بمخلبيهِ على الأفعى (الكوبرا الافريقية) كما هي الحال في باشق « المينا البيضاء »

وعلى بعد نصف مترٍ وجدنا تمثالاً صغيراً لاله جالس .اذا نظرت الى رأسهِ من الجانب حسبتهُ مصريًّا وكانت العينان منزلتين في الميناء والفضة . وقربهُ وجدنا تمثالاً صغيراً لالهٍ واقف علوهُ ٢٢ سنتمتراً كأنهُ يتحفز للمشي . وكان على رأسهِ غطاء مصفح بالذهب يماثل بعض ما كان يلبسهُ الفراعنة وملوك الحثيين . وعلى وجههِ خوذة من ذهب خالص . اما جسم التمثال فمصفّح بالفضة وعلى ساعدهِ الايمن سوار ذهبيٌّ وهذا التمثال هو ولا شك ابدع مثال للاله الفينيقي رشف . وقربهُ وجدت حلية ذهبيه نقش عليها نقشاً بارزاً تمثال الالاهة عشتاروت الجميلة واقفة وماسكةً زهرة لوتس بكل من يديها . وفي التراب حوالي هذه التماثيل ،وجدت خرزات عقدٍ تمثل حب الزيتون في حجر العقيق واسطوانات من حجر الكوارتز وردية اللون وثمار الاجاص في حجم عين الهرّ

وعلى عشرين متراً الى جنوب هذا الكنز كشفنا عن غرفة تحت الارض يرجح انها كانت مدفناً ولكن بناءها لم يكن قد تمَّ فوجدناها فارغة .وتحت الحجارة التي امام المدخل الى هذا المدفن وجدنا مقبرة جديدة كاملة فيها ممرّ يفضي الى المدفن نفسهِ وهو مسقوف بسقف منقوش ومزخرف . وعثرنا في الممرّ على آنية مزخرفة ومدهونة وعلى مصابيح وفتائل تركت مضيئة لان دخانها سوّد الجدار وراءها وفوقها . ووجدنا كذلك وعاء سليما له مقبضان من الالابستر المصري . وامام المدفن كانت جمجمة فتى ولعلهُ خادم قتل امام مدفن سيده

ولما دخلنا المدفن نفسهُ ظهر لنا انهُ نبش وسرق من زمن بعيد . والظاهر ان السارقين كانوا عارفين بطريقة بنائهِ فزحزحوا احدى حجارة القفل في سقفهِ ودخلوا من الثغرة التي احدثوها . فجردوا الهياكل من حلاها ورموا بالعظام في زاوية الحجرة . والمرجح ان اربعة جثث كانت مدفونة هناك ولكن لم نعثر على ناووس ما . اما الادوات والمفروشات التي دفنت مع الجثث فكانت آية في الثروة والبهاء كما يستدل مما بقي منها — خرزات ذهبية واحجار كريمة وآنية من الخزف عليها تصاوير قبرصية وميسينيّة وكؤوس زجاجية واوعية مصرية من الالابستر ووجدنا كذلك خاتماً ذهبيًّا واسطوانة من حجر الصرف (الحماهان)



اسلحة برونزية عليها الكتابة
المسمارية الموصوفة في المقالة



ابدع تمثال عثر عليه للاله الفينيقي رشف
وهو متحفز للمشي وعلى ذراعه سوار



لوح من الالواح الخزفية الكثيرة
المقوشة بالكتابة المسمارية الابجدية

امام الصفحة ٥٥٧



(١) الباشق البرونزي وعلى رأسهِ تاج مزدوج كما وجد (٢) الباشق نفسهُ بعد تنظيفهِ في متحف اللوفر (٣) باشق مصفح بالذهب مصنوع على الاسلوب المصري ولكنهُ يختلف بقبضهِ على رأس الكوبرا (٤) الباشق نفسهُ من الوراء

واهم من كل هذا علبة من العاج غطاؤها سليم وقد نقش عليه صورة الاهة مكشوفة الصدر لابسة رداء يغطي جسمها من وسطها الى اسفل قدميها جالسة بين تيسين واقفين على ارجلهما الخلفية وهذا النقش يمثل رتبة راقية من الفن بجماله وحسن اتساقه . اما الالاهة فشبيهة بالاهات الخصب الميسينية والكريتية في تيرنس وكنوسس في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. واما العاج فمن اعلى اصناف العاج التي انحدرت الينا من الازمنة القديمة . وقد حلت هذه التحفة في مكان الشرف بين الآثار الشرقية بمتحف اللوفر

ان مدافن « المينا البيضاء » بما وجد فيها من الآثار النفيسة فنًا وتاريخاً تشبه المدافن الملكية التي عثر عليها في ازوباتا وزافرپاپورا بجزيرة كريت . ومما لا ريب فيه ان مدافن «المينا البيضاء» كانت تحتوي على جثث اسرة من الامراء لم تعرف قبل الآن في شمال سورية. لذلك اتجهت انظارنا بعد وجود ما وجدنا الى البحث عن القصر والمدافن الملكية هناك

***

على الف متر من الشاطئ تقوم اكمة علوها ٢٠ متراً وطولها الف متر وسعتها ٥٠٠ متر تدعى «رأس الشمرا» فانتقلنا بمعداتنا اليها واخترت ذروة الاكمة المتجهة الى البحر للشروع في الحفر حاسباً ان آثار القصر الملكي يجب ان تكون هناك . فلما ازلنا الاتربة عثرنا على أسس محكمة البناء وجدنا فيها خنجراً برونزيًا وبقايا تمثال من الجرانيت لاحد الفراعنة وانصاباً مصرية عليها كتابة هيروغليفية من الكتابة الخاصة بعصر الامبراطورية الجديدة . واحدها مقدم الى الاله ست . فمكنتنا هذه المكتشفات من تعيين تاريخ القصر في الالف الثانية قبل المسيح واستدللنا على ان الملوك القاطنين فيه كانوا اصدقاء للمصريين او حلفاءهم . وقد لا يمضي زمن طويل قبلما نتمكن من معرفة دقائق العلاقات السياسية بين البلادين في ذلك العصر لاننا عثرنا على طائفة كبيرة من الواح الخزف عليها كتابة مسمارية .وبين هذه الالواح رسائل شديدة الشبه برسائل تل الامارنة التي تحتوي على وصف العلاقات السياسية بين ملوك سورية وفراعنة الدولة الثامنة عشرة

ومما يجعل هذا الاكتشاف ذا شأن تاريخي خطير ان الكتابة المسمارية تختلف عن كتابة ما بين النهرين والظاهر ان لها ابجدية لاننا لم نعثر الا على ٢٦ اشارة مستعملة على هذه الالواح وقد اخذ المسيو فيرلـو مدير الآثار ببيروت يدرس هذه الالواح محاولاً قراءتها

ووجدنا قرب هذه الالواح مجموعة مدهشة تحتوي على ٧٤ قطعة برنزية من الاسلحة والادوات محفوظة حفظاً تامًا بينها سيوف وخناجر ورماح وفؤوس ورفوش ومقصات ومناجل وسهام . وبعض هذه الادوات منقوشة بالكتابة المسمارية المشار اليها

خمسة في سيارة

—١٢—

من بروكسل الى ميادين الحرب الكبرى

..

اتينا عاصمة البلجيك من باريز في قطار يسمونهُ القطار الأزرق وكانت قد مرت بنا ايام وأسابيع وليس لنا من مطية الاّ سيارتنا ميمونة الطالع فآنسنا القطار بعد طول وحشة وغفرنا لهُ دخانه الكثيف ذا الرائحة الكريهة لقاء المقاعد الوثيرة يمدّ احدنا رجليهِ عليها — في غير ايطاليا — ويتمطى ساعة ويقف اخرى غير مفيد بمجاسهِ كما في السيارة

وطرأ على خاطر صاحبنا المصري فكر ثاقب قال: لماذا لا يجعلون دخان القطار يتسرب الى الهواء من آخر عربة من العربات بدلاً من ان يتطاير من القاطرة في الأمام فيعمي الركاب ويسدُّ عليهم المنافس ويلقي على اثوابهم وامتعتهم طبقة من الاقذار. وليس ببعيد على همة المهندسين ان يبنوا انابيب تتصل بالعربات حتى الأخيرة منها فينطلق بها الى الفضاء. فاذا احد الرفاق يقرّ لهُ بالعبقرية وهزأ منهُ الباقون

وصلنا بروكسل في الطفل وسحاب سمائها قد غال ضوء نهارها وأخذ يصب على المدينة مطراً كأنهُ ماء القرب فهرولنا مسرعين الى فندق رحب فخم كأنهُ قصر رجل اغنتهُ حوادث الدهر بعد امعانها في افقار اجداده فأصبح كاملاً تامًّا مستوعباً كلّ ما يطلقون عليهِ احدث اساليب الراحة العصرية

وما راع صديقنا الانكليزي الاّ هؤلاء الناس الواقفين على خدمتنا فاذا تحرَّك ليركب الرافعة بادره الخادم بقولهِ (اذا شئت) او نزل منها اعادها عليهِ (اذا شئت) او قدم لهُ الندل الطعام كرروها (اذا شئت) او تناول الطعام او ابى وهكذا حتى ضاق صدره وصرخ ما لهذا اللطف الزائد؟ ايقلقون راحتنا بهذا التأدب المصطنع؟ ان خيراً منهُ السكوت! ثم فهمنا بعد ان اقمنا اياماً في بروكسل انها عادة متبعة

ولما كان صباح اليوم التالي خرجنا نمتع انظارنا ببروكسل — والبلد لا بأس بجمالهِ فقدكان عاهلهم المتوفي والد الملك الحالي قد آلى على نفسهِ ليحسننَّ فيهِ عساه ان يجعل

منهُ باريزاً صغيرة تغنيه عن رحلاتهِ المتتابعة الى باريز الاصلية. وقد وفّق ايما توفيق في المظاهر الخارجية . فطرق العاصمة مستقيمة واسعة وفيها آيات للفن ومتاحف لا بأس بها

اما في ما سوى ذلك فخانهُ الحظ فانك لا ترى في بروكسل نساء جميلات خفيفات الروح ولا ترى في اهلها ذلك الذوق الذي ينسيك ما يحيكه حولك القوم في باريز لاصطياد نقودك

وربما كان البناء الذي اقاموه قوساً للنصر احتفالاً بانقضاءِ خمسين عاماً على استقلالهم من خير ما في بروكسل . اما قصر ملكهم فعادي لا يستوقف النظر . انما اختصوا دار العدل عندهم بأحسن المواقع وبأفخم الابنية

محاكمهم ومحاكمنا

فترى محكمتهم قد اشرفت من قصر عظيم على كل البلد وأمامها ساحة واسعة لا يدركها الطرف

فانكمش صديقنا المصري ودخلت اعضاء جسمه بعضها في البعض الآخر . ذلك انهُ عاد بذاكرته الى دور المحاكم في بلاده فأخذ يقابل هذه بتلك فالمحاكم المصرية دون محاكم العالم ذات دخل يفوق النفقة فلماذا لا تنفق الحكومة مما يزيد في ميزانية هذه المحاكم على تحسين دورها ؟ ان مظاهر العظمة لمن اكبر البواعث على انهاض النفس واحلال العزة القومية محل الاستكانة وعدم الاكتراث

وانك لتدور حول العالم فترى محاكم الناس قصوراً يزينها الفن وتكسوها النظافة ثوباً قشيباً. اما في مصر فعند ما خطر للقوم ان يشيدوا بناءً للمحكمة العليا زجّوه في اضيق الاسواق واقذرها بحجة تقريبها من العامة ولكن الحقيقة ان الاجنبي الذي امر ببنائها لم يكن يدرك ما للمباني الفخمة من الاثر الباقي في تكوين العزة القومية

على انهُ ان كان الذنب ذنبهُ وهو غريب عن البلد فما عذر الحكومات الوطنية في الاحجام عن اصلاح ما افسد الاجنبي . وما بال هذه المحاكم الجزئية مبعثرة في انحاء البلد ضيقة قذرة لا تتسع للمحامين ولا للقضاة ناهيك بالمتقاضين حتى ليخيَّل الى الاجنبي الذي يأتي العاصمة متفرجاً فيقوده القدر الى المرور بواحدة منها انهُ ازاء جمع احتشد للتسول امام سوق قديمة تباع فيها الاشياء القديمة

والغريب في امر الحكومات الوطنية انها انفقت عن سعة على بناء محكمة مختلطة وهي تترك المحاكم الاهلية على ما تقدم من الوصف على حين تطمع في مدّ اختصاصها الى جميع سكان مصر

***

جالت هذه الخواطر في فكر صاحبنا المصري وبدا التألم على وجههِ. ذلك لانهُ كتم الامر

في سره فهو ان باح فضح بلده ونفسهُ وكان اشد الم من تغاضي اولي الشأن في بلاده عن هذه الامور السهلة الواضحة

فولى وجههُ شطر الناحية من المرتفع الذي يشرف على اسفل المدينة حتى اذا انتهى الصحب من الدوران حول قصر العدل البلجيكي عادوا ادراجهم فزاروا كاتدرائية البلد ثم متحفها العسكري وهو متحف متواضع يدلك على حداثة عهد البلجيكي في الامور العسكرية ترى في صدر ردَهة من ردَهاته صورة جميلة متقنة الصنع تمثل نابوليون على جواده فتقول ان القوم لايزالون يذكرون اياماً كانوا فيها جزءًا من الامبراطورية الافرنسية ثم تلتفت الى اليمين فاذا صورة مثلها لولنجتون فتدرك انك في بلد محايد

وهذا الحياد الذي اصطبغت بهِ البلجيك حتى صلح فرسايل البسها ثوباً لا يكاد يعرف له لون تراه ظاهراً في اخلاقهم وفي فنونهم وفي تجارتهم

على انك لو اردت ان تختار صفة في البلجيك تمتاز بها عما سواها لكانت « العمل»

فحب العمل ظاهرة بلجيكية لاشك في الامر. حتى انهم اقاموا للعمل تماثيل نصبت في الميادين العامة وهذا امر لم يشاهده صاحبنا المصري في بلد آخر على ما يذكر

وحبُّ العمل ممسك برقابهم يمنعهم من اللهو والترف ويقذف بهم وباموالهم الى ما بعُد وقرُب من بلاد الله حتى اصبحت هذه الامة النشيطة من اغنى امم العالم على قلة عدد اهلها

***

وعدنا الى السيارة . ذلك ان الغرض من القدوم الى البلجيك لم يكن لمشاهدة الطبيعة فان الصناعة لم تترك في البلاد مشهداً طبيعيّاً يستأهل الرؤيا ولم يكن لمشاهدة المدن البلجيكية فكلها اذا استثنيت غاند وبروج خالية من آيات الفن القديم الاَّ في بروكسل فقد اختلط حديثها التجاري ببعض آثارها القديمة كقصر الدوقات فزحمه وكاد يذهب بمعالمهِ

انما كان الغرض زيارة مواقع الحرب ومعاينة تلك الآثار التي ابقوا عليها حتى يتركوا للزائر صورة صحيحة من سنوات ١٩١٤ الى ١٩١٨ فخرجنا من بروكسل في الصباح مبكرين فوصلنا اوستند حوالي الظهر . واوستند جميلة الجمال كله . جلست الى البحر واوسعت له صدرها فعانقها وكادت يداه تمتدان فتهصران خصرها

وهذا المتنزَّهُ المقام على الشاطىء لا تجد له مثيلا في العالم فالماء ثم الرمال ثم الصخور ثم الطرق المعبدة لا تبرح يد الانسان تحسنها وفوق ذلك قصور هي فنادق اوستند جمعت ما شاء الترف وما شاء حب الاستمتاع ان تجمع . وزينتها هذا الكازينو القائم في الوسط كأنهُ سلطان تحيط بهِ الجنود الامناء

وكان اول اثر شاهدناه من آثار الحرب فندقاً كبيراً ذا ادوار عديدة اصابتهُ قنبلة من قنابل الاسطول الانكليزي فخرقتهُ من وسطهِ من الاعلى الى الاسفل وابقت كل ما عداذلك كما هو فابقاه القوم ذكرى وشاهداً للفن الاعمى تخطّهُ القنابل الخرساء

اما ما عدا ذلك في داخل اوستند فقد اعيد سيرتهُ الاولى ابنية جديدة ذات رواء وروعة حسن. اما تخريب اوستند — اوالجزء الداخلي منها — فكان كلهُ من فعل الاسطول الانكليزي حتى يدفع الجيش الالماني عن الوصول الى الشاطيء

ميادين الحرب

وبعد ان تغدينا في اوستند همنا بالسيارة نزور مواقع الحرب في طريقنا راجعين الى بروكسل واستأجرنا دليلاً يرطن باللغات كلها ولا يحسن واحدة منها على ان يكون مترجماً يترجم لنا ما تقع عليهِ اعيننا فررنا بديسكمود وانفرس والايبر وما الى ذلك من المواضع التي اشتهرت اسماؤها في الحرب

اما صاحبنا المصري فما راعهُ الاّ رؤيا الخنادق الحربية والقلاع التي كان يرد ذكرها في التلغرافات الحربية ولم يكن يدرك لها صورة حقيقية من الواقع . قلعة لا تشغل اكثر من ٣٠ او ٤٠ متراً من الارض قليلة الارتفاع قد امتزج الحجر بالحديد في جدرانها وامتدت الى كل نواحيها اسلاكٌ بعضها للتلفون وبعضها للاشارة وبعضها لتفجير القنابل وفي ارضها حجرات لا تكاد تتسع الواحدة منها لرجل جالس لها مخارج ومداخل يتيهُ فيها من لم يألفها سفكوا دماء الوف الالوف من المتحاربين في سبيل الاستيلاء عليها !

وهي الآن ساكنة صامتة تحيط بها الحقول المزرعة وكل انواع الحياة الدابة. فكان الطبيعة نسيت ما فعل الانسان او لم تكترث لما فعل وكانهُ هو يأبى الاّ ان يبقي على هذه الآثار دليلاً على قساوتهِ وتوغله في الهمجية

وهذا خندق تنزل الى جوفهِ المرصوف فتدهش كيف كان ابن آدم يأوي اليهِ في الليل والنهار وفي البرد وفي الحرّ اياماً وشهوراً . وتعجب لهذا الذي يدعي انهُ سيد المخلوقات يتجرد عن هذه القشرة الرقيقة التي يسمونها حضارة ويلتحف العراء ويفترش التراب جائعاً عطشان يتقي القنابل فوق رأسهِ كالخلد يدخل في وكره ، ويتقي الغازات الخانقة بغطاء على وجههِ هو شر منها ، وكل ذلك في سبيل تقتيل اخيهِ الانسان . وتسير السيارة حتى ايبر فتشاهد نصباً قائماً فيها بشكل جسر هائل يضيع العقل في ارتفاعهِ وفي ضخامتهِ وقد حفرت عليهِ من اوله الى آخره اسماء الذين قتلوا في الدفاع عن ايبر فاذا بهم اكثر من خمسين الفاً

من الانكليز . كل واحد منهم نام على هذه الارض واختبأ في مثل هذا الخندق وحمل قنبلة في يده يرميها الى خنادق الاعداء وكلهم جاع وبرد وتعذب . ولكل منهم اب وام وحبيب ألمثل هذا خلق الانسان ؟

وعلى طول الطريق وفي وسط هذه الحقول مدافن لا تعد قبورها. هذه انكليزية — وما اكثرها — وهذه بلجيكية وهذه المانية وكلها مكسوة بالازهار وهي غاية ما يستطيع الحي ان يفعله لأجل الميت . ولبثنا على هذه الحال ساعات والدليل يذكر هذه المعركة ويشير الى هذه المقبرة ونحن كأن على رؤوسنا . الطير من هول الذكرى

***

وكان علينا ان نخلع قبعاتنا دائماً كلما مررنا بمقبرة من هذه المقابر وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب واخذ برد الشمال يلطم وجوهنا ورؤوسنا . اما الرفاق فقد اعتادوا الامر واما صاحبنا المصري فأصيب بزكام شديد لم ينسه حتى الساعة فكان اذا عرف رجلاً اصيب في الحرب بعاهة او مرض تذكر انهُ اصيب هو ايضاً بهذا الزكام من جراء الحرب العظمى واشتد بنا الجوع واعيانا التعب فجلسنا الى خان صغير في قرية من هذه القرى الجديدة التي اعاد القوم بناءها بأموال التعويضات الالمانية

ومرَّ بنا بائع يبيع كلاباً صغيرة فما كان من السيدة الانكليزية الا ان ابتاعت واحداً منها فجلس معنا في السيارة وله نباح وعواء يفلق الصخور

فكان صاحبنا المصري كمن اصيب بجنون . فوق الاصابة بالزكام . فانه كان على مذهب هؤلاءِ العقلاءِ الذين لا يفهمون للعطف على الحيوان معنى . فان المقام في هذه الدنيا لا يكاد يتسع لمعاشرة الانسان واحتمال اذاه او عطفه فكيف يتسع فوق هذا لدلال الكلاب وما اليها من الحيوان والحشرات . ولكنه اسرّها في نفسهِ مخافة ان يتّهم بالتوحش بين قوم يقتلون بعضهم بعضاً ويشفقون على الحيوان

فما صدق ان عادت بهِ السيارة الى بروكسل وكان قد انتصف الليل يقول ها نحن مع الدليل والسائق سبعة وثامننا كلبنا وهرع الى غرفتهِ ووقع على سريره لا يعلم ان كان يصبح عليهِ الصباح

سامي الجريديني

فعل العضلات مفتاح سر الحياة

فلسفة التعب والبحث العلمي

تبدو حركة الجسم واعضائهِ لاول وهلة فعلاً فسيولوجيًّا بسيطاً نستطيع ان نحللهُ ونقيسهُ قياساً علميًّا . فالعمل الذي تعمله عضلة حين تنقبض وتتمدد يمكن قياسهُ كما يقاس العمل الذي تعمله آلة بخارية او محرّك كهربائي . اما السرُّ الذي يدفع الياف العضلات الى القيام بأعمالها فقد اغرى الباحثين من اقدم العصور وخصوصاً الذين جاءوا منهم في هذا العصر وغايتهم ان يدرسوا مظاهر الحياة وافعالها درساً علميًّا دقيقاً . ومما حداهم الى هذا الميدان من ميادين البحث املهم ان يكون ما يكشفون عنهُ في العضلات منطبقاً كل الانطباق على سائر الانسجة الحية بوجه عام وبذلك يجدون ما يملأون بهِ الهوة الشاغرة بين علميْ الطبيعيات والاحياء

وتاريخ هذا البحث حافل بأسماء العلماء والعظماء من هلمهلتز الى فك الى بلكس الى غاسكل وميْنز اللذين كشفا عن اهم الحقائق المرتبطة بعضلات القلب وفعلها الى فلتشر الذي سبق الباحثين الى معرفة اثر الاكسجين في التعب والراحة . الى هبكنز الذي اشترك مع فلتشر في الكشف عن ان الحامض اللاكتيك (اللبنيك) هو مفتاح السر الذي يبحث عنهُ العلماء الى الاستاذ هِل الذي جمع بين هذا المباحث كلها ودقق في قياس مقدماتها ونتائجها وخلص الى حقيقة قال فيها الاستاذ دنن أستاذ الكيمياء في كلية لندن الجامعة ما يأتي:—

هنا على الباب الفاصل بين الحياة والموت ارى ان الاستاذ هل الفسيولوجي اصبح في مباحثه على عتبة كشف خطير . فقد ثبت من تجاربه ومباحثه في الاعصاب التي اربك اعشيتها وفي العضلات ان بناء الخلايا هو بناء كيماوي ديناميّ ولا بد له من الاكسجين والاحتراق للمحافظة عليه . فنظام البناء في دقائق الخلايا يميل دائماً الى التهدم والانحلال ويحتاج دائماً الى الاكسجين ليحفظ بناء الخلايا الحية على ما هو . فالآلة الحية اذاً تختلف اختلافاً كبيراً عن آلاتنا المتحركة . لان بناءها ليس بناء ساكناً انما هو بناء حيوي (ديناميّ) وعندي ان الخلية الحية اشبه شيء ببطرية كهربائية تفرغ وتعدم النفع اذا لم تملأ بالكهربائية . والفعل الذي يملأ الخلية الحية بالحياة انما هو الاحتراق

نعود الآن الى العضلات وفعلها وفلسفة التعب في نظر العلم الحديث فنقول انهُ قد ثبت للباحثين انهُ اذا انقبضت العضلة أفرزت مقداراً من الحامض اللبنيك يتوافق مع قوة الانقباض ومداهُ . ومتى ارتخت أو تمدّدت عدّل هذا الحامض بتحولهِ الى مادة تدعى غليكوجن . ولكن هذا التحوُّل لا يتمُّ الاّ بوجود الاكسجين

بدأ الدكتور هِل تجاربهُ في عضلات الضفادع بعد فصلها عن اجسامها . فهذه العضلات اذا عني بفصلها عناية تامة ظلت حية الى حين تنقبض اذا نكزت ولكنها تتعب بعد توالي الانقباض والارتخاء . واذا وضعت في جوٍ خال من الاكسجين ماتت . فسهل عليهِ اولاً مراقبة هذه العضلات ولكن تعذّر عليهِ تعليلها قبلما ثبت له أن تعبها وموتها مرتبطان بازدياد مقدار الحامض اللبنيك فيها . ثم لاحظ ان راحتها بعد اجهادها يصحبها نقص في مقدار هذا الحامض

ما مصدر هذا الحامض ؟ من اين يجيء والى اين يعود ؟ ان في انسجة الجسم مادة تدعى غليكوجن مركبة من كربون وهدروجين واكسجين كالنشا الذي في الكبد . هذه المادة يتحول جانب منها الى حامض لبنيك متى انقبضت العضلة

فتعب العضلة بعيد انقباضها يبدأ حين يأخذ الحامض اللبنيك يتجمع في خلاياها ويزداد التعب بازدياد مقدارهِ الى ان يبلغ حدًّا لا يتحمله الجسم فترتخي العضلة رغماً عنها . فاذا تمددت العضلة جرى الحامض في الدم حيث يتصل بالاكسجين فيتأكسد جانب منهُ باتحاده بهِ ويتحول الباقي الى غليكوجن وهذا هو سبب التنفس الشديد حين الرياضة لان تجمع الحامض اللبنيك في العضلات وجريهِ رويداً رويداً في مجرى الدم يقتضي وجود مقدار كبير من الاكسجين لأكسدتهِ فيشتدُّ التنفس حتى يجهّز الدم بالمقدار الكافي منهُ

ان قياس هذه التغيرات مستطاع على وجه دقيق جداً . واحدى الوسائل لقياسها قياس ارتفاع الحرارة في العضلة حين انقباضها بمقياس يدوّن جزءًا من الف جزءٍ من الدرجة ولقد وُجِد ان توليد غرام من الحامض اللبنيك في اثناءِ العدو يرافقهُ انفاق ٣٧٠ وحدة حرارية (كالوري) وان كل رجفة انقباض في عضلة الضفدع ترفع حرارة العضلة ثلاثة اجزاء من الف جزء من الدرجة بميزان سنتغراد

وحينما تُركت العضلة لتستريح عكس هذا الفعل أي تحوَّل غرام من الحامض اللبنيك في جسم العدَّائين الى غليكوجن ووافق تحوّلهُ هذا امتصاص ٣٧٠ وحدة حرارية (سعر). على ان علوم الحياة لا تختلف عن العلوم الطبيعية في الجري على المبدإ القائل بأنك لا تستطيع أن توجد شيئاً من لاشيء . ومصدر القوة التي ينفقها العداءِ حين عدوهِ وفي اثناء تحول الحامض اللبنيك الى غليكوجن هو اكسجين الهواءِ . فقد وُجد ان جانباً من الحامض اللبنيك يتراوح بين الخمس والسدس يتحد بالاكسجين حين تحوّلهِ الى غليكوجن واتحادهُ هذا يجهز العدّاءِ بالقوة التي ينفقها حين العدو . وهذا يعلل موت العضلة اذا ضعت في هواء خال من الاكسجين وتوالى انقباضها وتمددها فيهِ

صور جديدة من الأدب العربي

في مجلس سيف الدولة

بين المتنبي وأبي فراس

(٢)

لك أن تسميها مناظرة ولك أن تسميها مهاترة ، بل سمها — إن شئت — منافرة ، أما نحن فلا نراها إلا مؤامرة

نعم فهي مؤامرة محكمة دبرها أعداء المتنبي ولم يألوا في تدبيرها جهداً ، رغبة في هدمه والقضاءِ عليهِ ، ولم يدبروا هـذه المؤامرة المجرمة لهدم شهرتهِ الأدبية وحدها كما رأينا في مناظرة « الهمذاني والخوارزمي [١] » وفي « مناظرة الكسائي وسيبويه [٢] » بل كانوا يرمون إلى أبعد من ذلك ، فقد قصدوا بها الى غرضين،أولهما أن يهزموه في مجلس سيف الدولة — وثانيهما أن يقتلوه غيلة — بعد خروجهِ من عنده ، بل لقد همَّ جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة نفسه

وقد رأى القراء — في مقالنا السابق كيف أعرض عنهُ سيف الدولة بعد إقبال وكيف أفلحت دسائس خصوم المتنبي —وعلى رأسهم « أبو فراس» و « ابن خالويه »— في تنفير سيف الدولة منهُ ، فقابله متجهماً وحاول المتنبي عبثاً أن يترضاه بقصيدتهِ الرائعة [٣] فلم يجد الى ذلك سبيلاً ، فخرج من عنده كاسف البال محزوناً،وكان هذا الاعراض أكبر أثر ظاهر لنجاح خصوم المتنبي وأعدائهِ وأول ظفر باهر لفوز السعايات والدسائس عند سيف الدولة الذي لم يكن ليصيخ من قبل الى قول الوشاة أو يتأثر بدسائسهم ، أو الذي

(١) ارجع الى عدد يوليو من المقتطف (ص ١٥٥)
(٢) ارجع الى عدد اكتوبر من المقتطف (ص ٣١٦)
(٣) انظر مقتطف نوفبر السابق (ص ٤٣٧)

كان — على الأصح — لا يكاد يصغي إلى قول واش حتى ينصرف عنهُ متى سمع قصيدة جديدة من مدائح المتنبي الخالدة

أما الآن فقدتغيَّر عليهِ قلبه وأصبح لا يقبل عليهِ إلا ريثما يضاعف سخطه ويمعن في النكاية بهِ. قالوا : وكان من عادة سيف الدولة اذا تأخر عنه مدحهُ شق عليهِ وأحضر من لا خير فيهِ وتقدم اليهِ بالتعرض له في مجلسهِ بما لا يحب وأكثر عليهِ مرة فكان ذلك سبباً في نظم « ميميتهِ الفذة » التي نحن بصددها في هذا المقال. ولقد تجلى في هذه المرة اعراض سيف الدولة وتحيزه لخصوم المتنبي ، أكثر مما تجلى في إعراضهِ الاول

(٢) اعراضه الثاني

وقد عرف المتنبي سرَّ هذا الاعراض فأعد عدتهُ ونظم ميميتهُ الرائعة فأودعها كل ما أوتي من قوة ومقدرة في الدفاع عن نفسهِ ، ولم يدع وسيلة من الوسائل التي يهاجم بها حساده وخصومهُ وينال منهم إلا سلكها جريئاً قادراً ، ودافع عن نفسهِ دفاع اليائس المستميت ، ولم يتورع عن مهاجمة الأمير « أبي فراس » الذي طالما أظهر له التهيب وزعم أنهُ لم يجرؤ على مدحه « إجلالاً » «لا إغفالاً »

ماذا ؟

بل ذهب إلى أبعد من ذلك فهاجم سيف الدولة نفسه ولم يتهيبه وقرعه أشد تقريع ألا ترى اليهِ يعاتبهُ فيقول له مقرّعاً : —

«كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرمُ
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا ، وذان الشيب والهرمُ»

ثم يتهدده بالرحيل فيقول : —

«أرى النوى تقتضيني كل مرحلة لاتستقلّ بها الوَخَّادَةُ الرُّسمُ
لئن تركت(ضُمَيْراً)[1] عن ميامننا ليحدثَن لمن ودعتهم ندم
إذا ترحلتَ عن قوم—وقد قدروا أن لا تفارقهم — فالراحلون هم

ويقول:« شر البلاد بلاد لا صديق بها وشر ما يكسب الانسان ما يصم»

ويعرض بأبي فراس في قوله — :

«أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه وَرمُ»

ويقرع منافسيه بقولهِ :

---

(١) « ضمير » اسم جبل على يمين الطالب مصر من الشام ، وهو قريب من دمشق

«بأي لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عندك لا عرب ولا عجم»

ويفخر على جميع الحاضرين فيقول :

«سيعلم الجمع — ممن ضم مجلسنا — بأنني خير من تسعى له قدم !»

إلى آخر ما قال

الحق أن المتنبي لم يكن في هـذه المرة شاعراً فحسب، بل كان شاعراً فارساً يتأهب لخوض غمار موقعة حربية حامية الوطيس مستهيناً بكل ما يلقاه فيها من أذى موطناً نفسهُ على كسبها أو الاستشهاد فيها

ولقد خاطر المتنبي بنفسهِ في هذه المرة وغرر بها — وهو الذكي الحازم الحصيف — وركب مركباً وعراً ، وكأنما كان يضع نصب عينيه قوله :

«اذا لم يكن إلاّ الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلاّ ركوبها»

وقوله : «غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا

وإذا لم يكن من الموت بدّ فمن العجز أن تكون جبانا»

ولقد صدق فيهِ قوله :

«لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم»

على أن المتنبي — رغم جرأته — قد أظهر في هذا الوقف براعة فائقة وحذقاً ممتازاً عجيباً فكان كالربان الماهر يغالب العاصفة الهوجاء بكل ما أوتي من يقظة ودربة وحزم

لقد كان يعرف أن سيف الدوله مغيظ منهُ محنق عليهِ وأن خصومه متأهبون لنضاله والكيد له ، وأنهم لم يصلوا إلى إيغار سيف الدولة عليهِ إلاّ بما أدخلوا في روعهِ من تعاليه عليهِ وتجرفته وسوءِ ادبه ومدحه نفسه الى جانب مدحه اياه[(١)]

كان المتنبي يعرف ذلك، ولكنهُ أبى إلاّ أن يُربي على الغاية في مناوأة خصومهِ فكال المدح لنفسه ولسيف الدوله بأوفى مكيال ورفع نفسه الى منزلة لم يكد يزعمها لنفسه في كل مدائحه السابقة رغم ما يعرفهُ من حرج الموقف ودقته

ولعل أول ما يستدعي انتباهنا في هذا المجلس الحاشد أمران

(١) قوة المتنبي ويقظته

(٢) وبديهة أبي فراس وفطنته

---

(١) قالوا : « وكان المتنبي يتعالى على سيف الدولة وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظمه ويجفو عليه اذا كلمه والمتنبي يجيبه في اكثر الاوقات ويتغاضى في بعضها »

فقصيدة المتنبي هذه اذا أخذت برأي القائلين بأنهُ ارتجل أكثر أبياتها — تدل على قوة خارقة . واذا اخذت برأي القائلين إنهُ أعدها من قبل ، تدل على يقظة مدهشة وعلى تنبؤ عجيب بما توقع حدوثه من خصومه ، كما تدل على انهُ كان :

« الألمعي الذي يظن بك الظـــن كأن قد رأى وقد سمعا »

ولعل الجمع بين الروايتين هو الأقرب للعقل ، فقد نظم المتنبي قصيدته وتوقع أشباه هذه المفاجئات فأعد لها عدته ، وساعدته نفسه الثائرة على ارتجال أبيات قليلة دفعه الى ارتجالها ذلك الظرف الحرج الدقيق (١)

***

ولقد كاد يفتك بالمتنبي خصومه في حضرة سيف الدولة — كما أسلفنا — وهمَّ جماعة بقتله في مجلس سيف الدولة — لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة — فلما وصل في انشاده الى قولهِ :

« يا أعدل الناس الاَّ في معاملتي كيف الخصام وأنت الخصم والحكم؟ »

تصدى لهُ ابو فراس فقال لهُ : مسخت قول دعبل وادعيته ، وهو :

« ولست أرجو انتصافاً منك ما ذرفت عيني دموعاً وأنت الخصم والحكم »

وليت شعري كيف يكون الابداع والتجميل اذا عدَّ هذا مسخاً وتشويهاً ، ولكنهُ

---

(١) ولسنا بذلك ننكر على المتنبي قدرته على الارتجال وسرعة البديهة ، فقد شهد له النقاد بذلك وأثبتت الحوادث قدرته العجيبة على الارتجال ، فمن ذلك ما يروونه عنه قوله — وكان قد أنشد بعض أبيات ولم يظهر معنى البيت الأول لقوم كانوا في مجلس سيف الدولة :

أتيت بمنطق العرب الاصيل وكان بقدر ما عاينت قيلي
فعارضه كلام كان منه بمنزلة النساء من البعول
وهذا الدر مأمون التشظي وأنت السيف مأمون الفلول
وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

ومن ذلك ما يروونه من أن بعض أصدقائه طلب اليه أن يصف له حادثة وقعت له فحكمه المتنبي في الوزن والقافية فقال صاحبه : « لا ، بل الامر فيها اليك »

فأخذ ابو الطيب درجا واخذ صاحبه درجا آخر يكتب فيه كتاباً ، فقطع عليه ابو الطيب المكتاب وأنشد ارجوزته المشهورة التي اولها : « ومنزل ليس لنا بمنزل » وأحب ان يرجع اليها القارىء في ديوانه

وقد قال ابن رشيق في ذلك — : وكان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال الا ان شعره فيهما نازل عن طبقته جدا ، وهو لعمري في سعة من العذر إذ كانت البديهة كما يقول ابن الرومي :

« نار الروية نار جد منضجة وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لسرعتها لكنها سرعة تمضي مع الريح »

الهوى والغرض والتحامل . ورأى المتنبي أن أبلغ ما يرد بهِ على انتقاده هو أن يصارحهُ برأيهِ فيهِ الذي طالما كتمهُ وأخفاه عنه ، فأنشد سيف الدولة :

« أعيذها نظرات منك صادقة   أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم »

قالوا : فعلم ابو فراس أنهُ يعنيه فقال :

« ومن أنت يا دعي كندة حتى تأخذ اعراض اهل الامير في مجلسه »

ولكن المتنبي لم يعبأ بهِ ولم يلتفت اليهِ بل استمر في انشاده الى أن قال :

سيعلم الجمع — ممن ضم مجلسنا —   بأنني خير من تسعى بهِ قدم
أنا الذي نظر الأعمى (1) الى أدبي   وأسمعت كلماتي من به صمم

قالوا : فزاد ذلك غيظاً في أبي فراس وقال : « سرقت هذا من عمرو بن عروة ابن العبد في قوله :

« أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت   دهراً وأظهرت اغراباً وابداعا
حتى فتحت بإعجاز خصصت بهِ   للعمى والصم أبصاراً وأسماعا

ولما وصل الى قوله :

« والخيل والليل والبيداء تعرفني   والحرب والضرب والقرطاس والقلم »

لم يستطع منافسهُ أبو فراس أن يخفي موجدته عليه وأبى الاّ أن يصارحه بالكيد ويدسّ له علناً عند سيف الدولة فقال له : —

وما أبقيت للأمير إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة ؟ تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟

أما سرقت هذا من الهيثم بن الأسود النخعي :

« أعاذلتي كم مهمه قطعتــه   أليفَ وُحوشٍ ساكنا غيرهائب
انا ابن الفلا والطعن والضرب والسُّرى   وَجود المُذاكي والقنا والقواضب
حليم وقـور في البلاد ، وهيبتي   لها في قلوب الناس بطش الكتائب »

---

(1) وقالوا ان ابا العلاء حين قرأ هذا البيت قال : « كأنما عناني المتنبي بهذا البيت »
ولقد كان اعجاب ابي العلاء بالمتنبي عظيما جداً ، واستدل بعضهم بهذا الاعجاب على تفوق المتنبي عليه ، وهو استدلال فاسد . فقد كان اعجاب المعري بأبي الطيب من قبيل اعجاب العظيم بالعظيم والند بالند لا اعجاب التلميذ بالاستاذ . وان تأثر به في صباه. وعندنا ان المتنبي — على عظمته وعلى اجلالنا له — اذا قورن بالمعري شالت كفته ورجحت كفة ابي العلاء وفضله في كثير من المزايا الباهرة التي اختص بها المعري — او كاد — من بين شعراء العربي قاطبة ، وليس هذا مقام التفصيل وانما هو رأي اثبتناه عرضاً

ولعلك تلمح في قول ابي فراس « وتأخذ جوائز الأمير » سرًّا من أسرار حقده على المتنبي . وأنشد المتنبي قوله :

« وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم؟ »

فقال ابو فراس : وسرقت هذا من قول معقل العجلي :

« اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني، فالعينان زور وباطل ؟ »

ولمحمد بن أحمد بن ابي مرة المكي مثله :

« إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء ؟»

***

قالوا : وغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها ، وضربه بالدواة التي بين يديه . ولو كان المتنبي — كغيره من الناس — لانهزم مرغماً بعد أن رأى روح الخصومة واللدد مهيمنة على هذا المجلس ، ولكن المتنبي ممن لا تزيدهم الخصومة إلا قوة على قوته ، ومن الناس من تشحذ الخطوب خاطرهم وتضاعف من يقظتهم وتقوي من حجتهم . والمتنبي من هذا الفريق . قالوا : فقال المتنبي في الحال :

« إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح — إذا أرضاكم — ألم»

فلم يكد يسمعه سيف الدولة حتى انطلقت أساريره وبدا البشر على وجهه
وأراد ابو فراس ان يسير على هذه الوتيرة فقال له : أخذت هذا من قول بشار
« اذا رضيتم بأن نجفى ، وسركم قول الوشاة ، فلا شكوى ولا ضجر »
ومثله لابن الرومي : —

« اذا ما الفجائع أكسبنـــــني رضاك فما الدهر بالفاجع »

فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قال ابو فراس وأعجبهُ بيت المتنبي
قالوا :

ورضى عنه في الحال وأدناه اليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفه بألف أخرى فقال المتنبي :

جاءت دنانيرك مختومة عاجلة ألفا على ألف
أشبهها فعلك في فيلق قلبته صفًّا على صف

كامل كيلاني

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

كيف نترجم شكسبير ؟

تلقينا طائفة من الرسائل الأدبية النقدية تقديراً لتعاون المقتطف على نشر ترجمة «العاصفة» ترجمة دقيقة امينة . وكتفينا الآن بنشر مثالين منها لانهما يتضمنان رأيي مفكرين معروفين وأديبين مشهورين في مسألة الترجمة الحرفية والمعنوية

أ — رأي الاستاذ الشايب

الترجمة المعنوية خير سبيل
لامتزاج الآداب ونتاجها

ليس قراء اللغة العربية في حاجة لنتحدث اليهم عن شكسبير وآرائهِ الأدبية الخالدة فان جمهور الأدباء والمتعلمين على علم كثير بتلك الآثار سواء في ذلك من قرأه في اللغة الانجليزية ومن اطلع عليه مترجماً الى العربية اذا ان هذا الشاعر العالمي الكبير صار الآن بحكم الترجمات العدة ملكاً شائعاً للعالم اكثر ما هو ملك لأمته او للعالم الاوروبي وصار ادبه جزءاً متمماً لكل الآداب الانسانية لأنه صورة انسانية قويمة مهما تختلف بها الأزمنة والأماكن

نقول هذا بمناسبة تلك الرواية الممتعة التي ستدرس هذا العام الدراسي الجديد لطلبة السنة الخامسة الثانوية وهي « العاصفة » التي عني « المقتطف » بنشر ترجمتها

لا اتحدث عن موضوع الرواية وتحليلها فذلك كله وغيره موكول الى « المقتطف » او بعبارة اخرى الى الشاعر العصري الدكتور ابي شادي الذي يقوم بالترجمة والشرح والتعليق والتحليل . وانما اتحدث الآن فقط عن تلك الملاحظات التي بدت لي اثر الالمام بالفصل الأول الذي اذاعه المقتطف ملحقاً بعدد اكتوبر من هذه السنة

اما مجهود المقتطف في العناية بهذه التحفة القيمة فليس اول مجهود ادبي او علمي او فلسفي يحفزنا الى الثناء عليه او تقريظه والناس جميعاً يعرفون ما لهذه المجلة من المنزلة في تثقيف الشرق العربي اكثر من نصف قرن. كذلك نعرف للدكتور ابي شادي قيمته العلمية والأدبية طبيباً وكاتباً وشاعراً وقدراً على الترجمة من الانجليزية واليها كأحسن ما يترجم رجل دقيق الحس، يقظ الفؤاد، امين فيما ينقل، ولكن كيف كان موقفهُ في ترجمة هذه الرواية خاصة؟

يظهر لي ان المترجم تحرى صالح الطلبة كثيراً وحرص على ذلك حتى جعل الترجمة صورة مطابقة للأصل الانجليزي من حيث المفردات والأساليب الى درجة اوشكت ان تصير بها ترجمة حرفية لهذه الرواية، ومن يقرأها فكأنهُ يقرأ الأصل الذي كتبه شكسبير نفسه

نعم ان هذا يفيد جداً اولئك الطلبة في حجرة الدراسة لانهم مضطرون الى تفهم المفردات والاساليب والوقوف على مراميها في لغة المؤلف وهم لاشك يظفرون بذلك كلهِ في ترجمة الدكتور حتى اذا ارادوا أو اراد غيرهم الانتفاع بتلك الترجمة في نقل روح شكسبير الى تعابيره الخاصة استطاع ان يخلص مما يسقط فيهِ عجزة المترجمين الذين يعبثون بالمعاني العربية ويشوهونها في خلال ما يصطنعون من الالفاظ والاساليب شعوذة ومداراة للجهالة وخيانة في النقل

نقول ان هذه الامانة في الترجمة وتتبع أسلوب المؤلف أفاد الطلبة فائدة حقة ومكنهم من تلك القنطرة التي تصل بهم من لغة شكسبير الى اللغة العربية القويمة، ولذلك اضطر المترجم ان يستعين على افهام الطلبة المعاني واضحة قوية بتلك الهوامش التي علمها عليها في ذيل كل صحيفة حتى ليستطيع القارئ تبين المعاني الجزئية والكلية بدون معلم او مرشد وهذه خدمة سيعرفها الجمهور للمقتطف وللدكتور أبي شادي. مثال ذلك في المنظر الاول من الفصل الاول، قول ملاحظ السفينة للملاحين «هاي يا قلوبي» فيفسرها بقوله أي يا خلصائي أو يا رجالي .... وكقول الملاحظ للعاصفة: «هي الى ان تنفجر ريحك» فيشرحها بقوله أي الى أن تستطيعي أكثر من عايتك، وكترجمتهِ «بي راحة عظيمة من هذا الرجل» فيوضحها هكذا: أي إني مطمئن اليهِ ... وهكذا نجد أمثلة كثيرة لهذا النوع من الشرح

ومسألة اخرى ظفر بها الدكتور وهي اختياره كثيراً من الالفاظ العربية الدقيقة التي تلائم نظيراتها الانجليزية دون حاجة الى جمل بدل تلك المفردات او اضطرار الى الدوران حول المعنى الاصلي. وهذه لا شك تحتاج الى بحث واستقصاء وذوق دقيق مثال ذلك «قرايا الاشرعة = Yards مفردها قرية» والقرية بتشديد الياء عود الشراع الذي يجعل في عرضه من اعلاه ومرة ثالثة وفق اليها وهي مسألة الصور الملحقة بالترجمة لشرح مناظر الرواية، ولا اظن

احداً من مترجمي الروايات المدرسية قد سبق المقتطف ومترجمه الى هذه العناية البالغة غاية الاتقان والناس جميعاً يعرفون ما لهذه الصور من القيمة في نقل روح الرواية وملابساتها الى عقول القراء

وبعد فان القراء سيسألون ايهما أجدى واقوم الترجمة الحرفية ام الترجمة المعنوية؟ وربما لا يفرق بعضهم بين مناسبات كل نوع ومواضعه غير اني ارى ان الترجمة التي تشارف الاصل وتقترب اليه الزم في ادوار التعليم ما دمنا نقصد بها الالمام بالمفردات ومعانيها والاساليب ومضامينها والتدرج بالطالب من ذلك الى نقل روح المؤلف وشعوره اثناء ما كتب او شعر. ولا شك بعد هذا ان الترجمة المعنوية التي ترمي تواً الى نقل الرواية من لغتها الى لغة اخرى خير سبيل الى الافادة وامتزاج الآداب وتاجها متى استطاع المترجم الى هذا « النقل » الصادق القوي الدقيق، .. ولسنا كذلك في شك من ان صاحبنا الدكتور قد وفق بين الخطتين فدلنا على جهد ونبوغ عظيمين

يعدنا المقتطف مشتركاً مع المترجم بعد اتمام نشر هذه الترجمة تباعاً بطبعها مستقلة مع كثير من الشروح الاخرى والتعليقات التي لا غنى عنها والتي لا يتسع لها صدر المجلة ونحن من ناحيتنا نشكرهما معاً هذا الجهد ونرحب بسائره وسطره وينتظره الطلبة والمتأدبون

الاسكندرية احمد الشايب

٢ — رأي اسماعيل مظهر بك

طريقة ابو شادي في ترجمة العاصفة هي الطريقة المثلى ولا طريقة غيرها

اذا قابلت تاريخ الآداب بعضهُ ببعض وقعت على ظاهرة غريبة. وقعت على شاعرين انكليزيين يقابلهما شاعران أوربيان. بحيث يتحد كل شاعر من الشاعرين الانكليزيين بشاعر من الشاعرين الاوربيين في المرامي والمقاصد والمشاعر. بل وفي النسق على وجه التقريب. فملتون يقابله دانتي وشكسبير يقابله جوته. وعندي ان التفرغ لهذا البحث والتوفر عليه يمكن ان يخرج مجموعة من النقد قلَّ ان نعثر عليها في لغة من لغات الارض. واعتقد فوق هذا ان المقابلة بين « الفردوس المفقود » لملتون وبين « المهزلة الالهية » لدانتي، اسهل متناولاً من المقابلة بين روايات شكسبير وبين « فوست » ذلك لان الفردوس والمهزلة تتناولان شيئاً من وضع الخيال الانساني، يسهل على خيال خصب ان يمتدَّ الى اغوارها ويستخلص منهما اغمض معانيهما. في حين ان اعمال شكسبير وفوست تتناولان طبيعة العنصر الانساني الذي لا يحتاج الى خيال فقط، بل يحتاج الى كثير من قوة الملاحظة والحكم وعمق الفكر وسلامة الاستنتاج والقدرة الاستقرائية الفائقة

اذا عرفنا هذا استطعنا ان نقدر الى اي حد تذهب الحاجة في ترجمة شكسبير الى الاناة

والصبر وتعويد الفهم الى استخلاص اعمق معنى من اظهر جملة ومن ابسط سياق . فكلمة « لا » او كلمة « نعم » في سياق مناقشة لشكسبير قد يكون لها معنى يستخلص من طبيعة المحاورة فيتناول ابعد غور من اغوار الطبيعة البشرية . او كلمات يكون ظاهرها السخرية والتدلل ، ولا يقصد بها شكسبير الا التعبير عن اغمض ناحية من نواحي النفس الانسانية . مثالك على ذلك قول كليوباترة لاحدى وصيفاتها « اذهبي فاذا رأيت انطونيوس في مجلس شرابهِ فعرفيهِ باني ابكي واذا رأيته يبكي فعرفيهِ باني ارقص » فان هذه الكلمات التي ليس في مظهرها الخارجي شيء سوى السخرية وعنف الانتقام ، تعبر عن حقيقة نفسية بعيدة الغور في الطبيعة الانسانية ولا يسهل عليك ان تعبر عنها في الادب بكلمات هي ابلغ من سياق شكسبير الساذج البسيط . وعندي ان نشاط شكسبير وتبسطهِ في بعض الاحيان من اغمض الاشياء في شكسبير

هذا لندلك على ان ترجمة شكسبير الى اللغة العربية مجازفه أقدم عليها البعض من الكتاب فأوسعوا شكسبير مسخاً وهضماً حتى لقد كتبوا في خيالهم روايات نسبوها الى شكسبير واظهروا على المسارح شخصيات بينها وبين شكسبير من البعد بقدر ما بين الارض السفلى والسماء العليا وعلى هذه الصورة الممسوخة عرفنا شكسبير صغاراً وكدنا نتأثر بهِ رجالاً . بل لا نبالغ اذا قلنا ان اكثر ادبائنا قد تأثروا فعلاً بهذه الصورة. تخيّل اليهم ان شكسبير كاتب روائي كبقية الكتاب . لا ميزة له الا الايجاز الشديد في بعض المواضع والغموض الفاضح في التعابير واستعمال لغة كان يعرفها الانجليز من أربعة قرون ! وهذا دليل على أنهم لم يدركوا من حقيقة شكسبير الا المسخ الظاهر الذي مسخه بعض الكتاب ولم يستعمقوا الى الجوهر الكامن في فلسفتهِ العليا التي تناولت كل نواحي التجارب الانسانية. ان لم يكن في هذا القول مبالغة بوجه من الوجوه

وقد اختلف الادباء ، وان شئت فقل المتأدبين اوطالبي الادب على الطريقة التي يجب ان يترجم بها شكسبير. فقال البعض بضرورة التصرف في المعنى مع التصرف في اللفظ . ويتبع هذا بالضرورة التصرف في الامثال المضروبة وفي التعبيرات التي لم يضعها شكسبير في مواضعها تلك الا عن ضرورة اما معنوية واما لغوية . وقال البعض بضرورة النقل الامين للمعاني التي رمى اليها شكسبير مع التصرف في الالفاظ وقال ابوشادي بضرورة النقل الامين مع المحافظة بقدر المستطاع على الالفاظ بما يقابلها في العربية

ولا ضرورة لان نبين وجه الخطاء في الطريقتين الاولين . فقد جرى بعض المترجمين على انتحال امثال عربية عزاها لشكسبير ولغيرهِ من الكتاب فقالوا مثلا «لاناقة لي فيها ولا جمل » « وفي الصيف ضيعت اللبن » « ولابن في الصيف تامر » الى غير ذلك . مع ان

شكسبير وغيره من الكتاب مثل جوته ودانتي وملتون لم يعرفوا الناقة ولا الجمل ولا كيف تضيع في الصيف اللبن ولا ما هو اللابن ولا التامر » لان هذه الامثال منحوتة من تجاريب محلية اختصت بها طبيعة البلاد التي قيلت فيها ، فكيف تعبر بالله عليك عما قام في رأس شكسبير ؟ وظنوا مع هذا ان شكسبير لن ينقل الى العربية الاّ اذا استعملوا الامثال العربية المضروبة منذ عشرين قرناً من الزمان وكانت لها مناسبات قلّ ان وقعت امثالها لشكسبير، وحالات قل ان قامت في انجلترا مثلاً . ومع هذا يقولون انهم نقلوا شكسبير للغة العربية وهم لدى الواقع لم ينقلوا الاّ صورة من الادب العربي كما تقوم في اذهانهم مسوقة من وقائع منتحلة من روايات شكسبير

اما الطريقة التي اتبعها الاستاذ الدكتور ابو شادي في « ترجمة العاصفة » فعندي انها الطريقة المثلى ولا طريقة غيرها يمكن ان تؤدي معنى « الامانة » في نقل شكسبير الى العربية هذا اذا اردنا ان ندرك في روايات شكسبير حقائقها . اما صورها الظاهرة فمجال يتسع لكل كاتب ان يكتب فيه . ذلك لان ادراك الصورة في الادب شيء مخالف تماماً لادراك الحقيقة . فقد استطيع مثلاً ان اتناول « فوست » واقول انهُ رجل وهب نفسه للشيطان وجري وراءه اشواطاً فنسق عن الآداب وجرى وراء اللذات اشواطاً ثم مات حزيناً . هذه صورة لم تقم يوماً في عقلية جوته ولا رمى اليها بل ولم يعرفها . ولكنها صورة ظاهرة يمكن استخلاصها من ذلك الكتاب الخالد . أما ادراك الحقيقة من « فوست » فذلك ما لا يدعي كاتب من الكتاب انهُ ادركها ادراكاً تامّاً

هذا ونقول بأن التعميم في الأدب كالتعميم في اللغة كلاهما خطر على العقول وعلى الآداب نفسها . ذلك لأن الأدب الذي ينتجه اديب يجب ان يعتبر وحدة كاملة تستخلص من عصارة نفسه وذهنه . فاذا اعتبرت شكسبير وحدة كاملة لا تتجزأ كما اعتبره ابو شادى في ترجمته السليمة التي يترجم بها العاصفة للمقتطف ، بلغت اقرب نقطة يمكن ان ترقب منها شكسبير عن كثب وان ترى فيه من الأسرار ما لا يراه غيرك كراصد سيار يحاول ان يكون السيار في اقرب نقط مداره من الأرض ليكشف منه بمنظاره ما لا يستطيع وهو في اقصى بعده

ولقد قام الأستاذ ابو شادي بأكبر خدمة للآداب العربية بأن اظهر شكسبير كما هو بمعانيه وتعبيراته . وهي تعبيرات قد نراها لأول وهلة غير متسقة مع السياق والسليقة العربية الفحة ولكنها على اية تعبيرات شكسبير في العربية كما هي في الانجليزية وهكذا يجب ان ينقل شكسبير . ولا يسعنا بجانب هذا الاّ ان نغبط المقتطف على جهودها المثمرة والتضحيات التي تضحي بها في سبيل الأدب العصري

١٤ نوفمبر ١٩٢٩ اسماعيل مظهر

باب الزراعة والاقتصاد

التعاون في مصر

تاريخه — كانت ازمة سنة ١٩٠٧ السبب المباشر لتنبيه المهتمين بشؤون القطر الاقتصادية على التفكير في تطبيق نظام التعاون على مصر. ويعود الفضل في تأسيس الحركة الى رجلين البرنس حسين كامل باشا والاستاذ عمر لطفي بك. ففي سنة ١٩٠٨ كان نوبار باشا يقدم تقريراً للبرنس عن درسه للحركة في اوروبا حين اخذ الاستاذ يلقي المحاضرات عما شاهده في ايطاليا وعن انظمة غيرها من الممالك

وما انت سنة ١٩٠٩ حتى الفت الجمعية الزراعية، التي كان يرأسها البرنس حسين، لجنة لدرس الموضوع ، في حين زاد نشاط عمر لطفي واخذ يبشر بالفكرة في انحاء القطر. اخيراً قدمت اللجنة مشروع قانون مكون من ١٥ مادة الى الحكومة فجاهد البرنس لاستصداره حين غرس عمر لطفي بذرة التعاون المنزلي بتكوينه شركة التعاون المالي التجارية بالقاهرة قاصداً ان تقوم ايضا للجمعيات التعاونية بعمل الاتحاد من توريد وتسليف. وقد صدر الامر العالي بانشاء هذه الشركة في اواخر يناير سنة ١٩١٠ وفي هذه السنة (١٩١٠) اسس عمر لطفي نقابة شبرا النملة فكانت اول هيئة تعاونية زراعية في مصر. وفكر السير الدون غورست المعتمد البريطاني في حل معضلة التسليف المصرفي عن طريق التعاون ولكن قبل ان تنقضي سنة ١٩١١ مات عمر لطفي في جهاده فاحتل مكانهُ خليفته واخوه الاستاذ احمد لطفي بك فاخذ يعمل في انشاء النقابة العامة وبالفعل تمَّ له تكوينها في اوائل ١٩١٢ وفي السنة نفسها استقدمت الجمعية الزراعية المفتش العام لوزارة الزراعة بفرنسا وعلى اساس ارشاداته عدل مشروع القانون السابق فاصبح مكوناً من ٢١ ماده

والفت لجنة حكومية لبحث الموضوع سنة ١٩١٣ فوضعت مشروعاً ثالثاً مكوناً من ١٥ ماده حوّل على الجمعية التشريعية فاحالته الى لجنة لبحثه من وجهتي معاونة الحكومة المالية وعلاقة البنك الزراعي بالحركة ثم اقرّ المشروع الاخير بعد تحويل وتبديل كثيرين فقام على اثر هذا القرار حضرة صاحب المعالي اسماعيل صدقي باشا وزير الزراعة اذ ذاك لنشر الدعوة

بنفسه وبالفعل حررت عقود تأسيس لبعض الجمعيات ولكن اعلان الحرب شلّ الحركة في مهدها
حلت بعد ذلك فترة تمَّ فيها نشر الدعوة عن طريق الكتابة فألفت بعض كتب منها كتاب لصاحب العزة (السعادة الآن) صادق حنين بك والآخر للاستاذ عبد الرحمن الرافعي وافلح صادق حنين، الذي كان مديراً للديوان والاحصاء بوزارة الزراعة، في درج موضوع التعاون ضمن برنامج التعليم في مدرسة الزراعة بالجيزة وعهد اليه في امر تدريسه فيها

ولما عقدت الهدنة وصلحت الاحوال كلف المجلس الاقتصادي لجنتهُ الزراعية درس الموضوع فعرضت مشروعاً على المجلس وبالفعل صدر في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٣ القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ ونشرت الوقائع المصرية قراراً وزاريًّا بانشاء قسم تسجيل وتفتيش شركات التعاون الزراعية « ولكن اظهر الاختبار وجوب تنقيح هذا القانون » فكلف مجلس النواب لجنة التعاون والشئون الاجتماعية درس الموضوع مرة اخرى ثم صدر القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ في ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٧ وهو الاخير. ويجدر بي هنا ذكر تطوع وزيرين من وزراء الزراعة لقيادة حركة نشر الدعوة بنفسيهما وهما حضرتا صاحب السعادة توفيق دوس باشا وفتح الله بركات باشا

النظام الاخير — تؤسس الجمعية التعاونية من عشرة افراد بالاقل لاجل تحسين حالتهم المادية في مسائل الانتاج والشراء والبيع والاقراض والاقتراض والتأمين واستغلال الاراضي واعمال الري والصرف وبناء المساكن وما شاكل ذلك. وللجمعية ان تقتصر على عمل واحد او عدة اعمال مما سبق بيانه ولكن لا يجوز لها معاملة غير اعضائها الا في الاحوال الاستثنائية ولا يجوز لها مطلقاً ان تقرض غير اعضائها ولا يجوز ان تكوّن اكثر من جمعية واحدة لغرض معين في مدينة او قرية الا بتصريح خاص من قسم التعاون (وتستثنى المحافظات وعواصم المديريات من ذلك) وتكون الجمعية ذات مسئولية محدوده (بقدر قيمة اسهمها او بقيم اكبر منها تعيَّن في العقد) او مسئولية غير محدودة فيضمن الاعضاء كافة الالتزامات وفي هذه الحالة يجب ان تذكر الجمعية ضمن اسمها ما يفيد ان مسئوليتها غير محدوده وللنوع الاخير من الجمعيات ان تكون بلا رأسمال

وللجميات التعاونية مجلس اعلى يرأسه وزير الزراعة يعيّن بعض اعضائه وينتخب بعضهم الاخر
وثمن السهم الواحد في الجمعية التعاونية يجب ان لا ينقص عن ٥٠٠ مليم ولا يزيد عن جنيهين ويجب دفع ٥٠٠ مليم من ثمن السهم وقت الاكتتاب على ان يسدد الباقي — ان وجد — فيما بعد دفعة واحدة او على اقساط اما الامتيازات التي تتمتع بها الجمعيات التعاونية فهي :
(١) الاعفاء من الرسوم النسبية على العقود عند التسجيل وما يتبعها

(٢) الاعفاء من رسوم تسجيل ممتلكاتها
(٣) « « تقديم التأمين المؤقت عند دخول المناقصات الحكومية بشرط ان تورد ماهو داخل في دائرة اعمالها
(٤) الاعفاء من الرسوم الجركية على العدد التي تستوردها لتأسيسها في بدء عملها وذلك في السنتين الاوليين من تأسيسها
(٥) خصم ٢٥ ٪ من اجور نقل هذه الآلات على سكك حديد الحكومة
(٦) تخفيض ١٠ ٪ من رسوم التحليل في المعامل الكيماوية
(٧) « ٥ ٪ على الاقل من اثمان البذور والاسمدة التي تشتريها من وزارة الزراعة لمنفعة اعضائها

ويشترط في العضو ان يكون مصريًّا مقيماً في الجهة التي تزاول الجمعية عملها فيها او تكون هناك مصالحهُ او اشغاله وان لا يكون محكوماً عليهِ بالافلاس او بجنحة مخلة بالامانة والشرف وان يقبل كتابة نظام الجمعية ويقوم بالتعهدات المطلوبة منهُ — ولكن لا يجوز اجبار العضو على الاكتتاب في اكثر من سهم واحد — ولا يجوز للعضو الالتحاق بجمعية تعاونية تشتغل بالعمل نفسهِ في الناحية نفسها ولا يلحق بجمعية اقراض تعاونية غير جمعية الاقراض التي ينتمي اليها

الاسهم اسمية غير قابلة للتجزئة ولا يجوز الحجز عليها الا لسبب ديون الجمعية ولا يجوز للعضو ان يمتلك اكثر من خمس مجموع رأس المال

يدير الجمعية مجلس ادارة مكون من ثلاثة اعضاء على الاقل وتنتخب كل جمعية ثلاثة اعضاء آخرين على الاقل لتكوين لجنة المراقبة ولا يجوز الجمع بين عضوية الهيئتين

يقوم الآن قسم التعاون بعملية انشاء وتسجيل الجمعيات التعاونية ومراجعة حساباتها والتفتيش عليها كما وانه يقوم بطريقة غير مباشرة باقراضها وتقديم ما تحتاج اليهِ من بزور واسمدة واغلب هذه الاعمال من اختصاص الاتحادات فالى ان يحين الوقت الذي تؤسس فيه اتحادات مركزية واتحادات عامة سيظل قسم التعاون قائماً مقامها

احصاءات — انشئت في مصر سنة ١٩١٤ اثنتا عشرة نقابة زراعية وفي سنة ١٩١٧ نقابتان وفي سنة ١٩١٩ نقابتان وفي سنة ١٩٢٢ نقابة واحدة وانشئت عشر نقابات في اوقات غير معلومة وجملة ذلك ٢٧ نقابة يصح ان يقال بانها نواة الحركة التعاونية في مصر التي غرسها المرحوم عمر واخوه احمد لطفي

اما عدد الشركات التي انشئت وفقاً للقانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣ (الاول) فقد بلغ

١٥٢ شركة في حين ان عدد الجمعيات المؤسسة وفقاً للقانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ (الثاني والاخير) قد بلغ حتى نهاية ١٩٢٨ — ١٦٢ جمعية منها واحدة منزلية وقد زاد عدد الجمعيات وقت كتابة هذه السطور عن ٢٠٠ جمعية وعدد هذه الجمعيات قليل جداً ولكن يحاول قسم التعاون ان يسير بتؤدة وعلى نظام ثابت حتى تكون الجمعيات الحالية نماذج يتيسر النسج على منوالها

اما القروض الحكومية التي عقدتها الجمعيات فبلغت ٣٤٣٩ جنيهاً و٤٤٠ مليماً سنة ١٩٢٦ و٦٣٧٤ جنيهاً و٥٤٣ مليماً سنة ١٩٢٧ و ٢٨٤٨٠ جنيهاً و٨٠٠ مليم سنة ١٩٢٨ وقد قرر البرلمان مبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه لتسليف الجمعيات التعاونية وبالفعل تخصص من هذا المبلغ ٢٥٠٠٠٠ جنيه على اساس تكوين ٢٥٠ جمعية وقد تسلم بنك مصر من وزارة المالية حتى الآن من هذا المبلغ الأخير ١٦٥٠٠٠ جنيه اقرضها كلها (او معظمها) للجمعيات خلال سنة ١٩٢٩

وتودع الحكومة الرصيد في بنك مصر بفائدة قدرها ٢ ٪ ليقرضها الى الجمعيات باربعة في المائة ويأخذ البنك الفرق نظير النفقات وليس للجمعيات الحق في تسليف اعضائها بأكثر من ٧ ٪ باي حال ويوزع قسم التعاون التابع لوزارة الزراعة نشرات على الجمهور مجاناً عند الطلب ويعطي موظفوه الارشادات اللازمة لمن يطلبها

ويتبع قسم التعاون اربعة تفاتيش يدير كل منها مفتش يشرف على عدة مناطق يعمل في كل منطقة منها موظف هو المنظم الذي يعنى عناية تامة بجمعيات المنطقة التي يتفاوت عددها في الوقت الحاضر بين عشر جمعيات وخمس عشر جمعية وذلك تبعاً لاتساع المساحة التي تحوي جمعياته ولكل تفتيش مراجع للحسابات مسئول عن ضبط حسابات جمعيات التفتيش

واخذ الاهتمام بالتعاون يجذب تفكير المزارعين اليه اما الصحافة فقد نشطت الى النشر عن الحركة لتشجيعها بصرف النظر عن اختلاف الوجهات السياسية وزاد اهتمام الشبان المتنورين بالتخصص في التعاون وكتابة المؤلفات عنه فللدكتور ابراهيم رشاد مراقب قسم التعاون كتاب «مصري في ارلندا» جمع في اختباراته النظرية والعملية عن التعاون بين جلدتيه ويجدر بي ذكر كتاب الدكتور حامد المرعشلي هنا لانه حاول فيه التطبيق اكثر من سرد المشاهدات

وقد اصدر قسم التعاون اخيراً «صحيفة التعاون» فكانت خطوة طيبة وواسطة للتفاهم بين اعضاء مختلف الجمعيات المصرية ومن مميزاتها احتوائها لاخبار الحركة في الخارج لايقاف المتعاونين المصريين على احدث النظريات التعاونية

عمر عنايت

حزب الفلاح المصري

وزع الاستاذ اسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور ومحررها نشرة تحوي «مشروعاً لتأسيس حزب الفلاح المصري» وقد قدم مشروعه الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري

بدأت النشرة بمذكرة تمهيدية استهلها واضعها ببسط نظرية ملتوس واردف استهلاله بكلام عن الانتخاب الطبيعي ثم الحق مذكرتهُ الاولى باخرى « بيانية » ذكر فيها ان الاحزاب تحتفظ باسمائها في حين ان الواحد منها يكون قد انحلَّ واعيد تكوينه مراراً عديدة تلائم مقتضيات الاحوال ثم تكلم عن الاحزاب الانكليزية واشاد بذكر الحضارة الانجلوسكسونية

ووضع بعد ذلك ٢٥ مادة كمبادئ للحزب الذي يدعو الى تشكيله وهذه المواد مخالفة المرامي مقتبسة من المبادىء الاشتراكية تارة ومن فكرة الدولية تارة اخرى وبعضها يدخل ضمن برنامج للاصلاح الاجتماعي والبعض الآخر لا صلة له بالفلاح ولا بالفلاحة

فالتسوية بين الناس في فرص الحياة (١) ونشر التعليم العام وتهيئة فرصة التعليم العالي لاكبر مجموع من الامة (٢) وتحديد ملكية الارض الزراعية وزيادة نسبة صغار الملاك (٣) والزام اصحاب الاطيان ببناء مساكن تتوافر فيها الشروط الصحية (١١) والتوسط بين اصحاب الاطيان والفلاحين في ابان اشتداد الازمات المالية او حدوث الظروف القاهرة لحفظ التوازن بين مصالح الطرفين (١٢) هي المبادىء الاشتراكية المراد تطبيقها على الزراعة

والغاء الحروب والحض على كراهيتها (٥) وغرس روح الاخاء الشعوبي بين الامم (٦) ووضع الجيش المصري تحت تصرف عصبة الامم ليكون بمثابة جزء من البوليس الدولي (٨) واقناع الدول بمبدأ جعل قواتها تحت سيطرة عصبة الامم (٩) هي مبادىء الدولية بعينها

وانشاء المصانع برؤوس اموال مصرية بحتة (٤) ومحاربة مبادىء البلشفية (٧) والعمل على رفع اسعار المحاصيل الزراعية (١٣) وحماية الاصناف العليا من القطن (١٤) وحماية ماء النيل (١٧) هي مبادىء لحزب الملاك الى حدٍّ بعيد

اما تحسين الحالة الصحية بين الفلاحين والعمال (١٠) والعمل على زيادة الثروة الاهلية بزيادة مصادرها الزراعية كزراعة الفواكه (١٩) وتعليم الفلاح طرق تربية الدواجن (٢٠) وادخال الطرق الفنية العلمية في الزراعة (٢١) وتحريم بيع الاراضي لغير المصريين الا لاجل محدود (٢٢) فاسس متينة للاصلاح الاجتماعي في بلد زراعي مثل مصر

اما تهيئة المهاجر الزراعية للفلاحين وعلى الأخص السودان (١٥) والمطالبة بحق

مصر في السودان كاملاً فبادىء سياسية تتفق عليها الاحزاب

اما زيادة الانتاج في المناجم (١٨) وتلقين الفلاح المصري معنى الاستقلال (٢٥) وضم النقابات الزراعية لسياسة الحزب (٢٤) والاحتفاظ بنصف اسهم الشركات الانتاجية للمصريين (٢٣) فهي متفرقات

وقد اهتم ايضاً بكتابة رؤوس اقلام عن اللائحة الداخلية ترك للجنة التأسيسية النظر في امرها وأهم النقط وهي عشرة

(١) الرياسة تكون دائماً لرئيس الوفد

(٢) السكرتارية تكون دائماً لصاحب الاقتراح

اما نحن فنفهم من الحزب وجود جماعة منظمة للدفاع عن وجهة نظر تدافع عن ضدها جماعة اخرى . فمثلا الحزبان الطبيعيان لمصر يدافع احدهما عن وجوب التعاون مع بريطانيا في حين يدفع الآخر عن فكرة عدم التفاهم. كذلك الحال في بريطانيا فحزب المحافظين دافع عن رفع المكوس في حين دافع حزب الأحرار عن حرية التجارة. وفي المانيا حزبان رئيسيان — كبقية الدول الزراعية الصناعية — احدهما يطالب بحرية التجارة لأنه حزب اصحاب المصانع . فلما اصبحت انجلترا اقليماً صناعيًّا صرفاً بدأ حزب الأحرار في الاندثار وحل محله حزب العمال لأن المسألة اصبحت بين الرأسمال المثمر وبين الصانع المغبون

اما مصر فليست بالبلد الصناعي حتى يؤلف الزراع لأنفسهم حزباً للجري وراء نفعهم بل بالعكس ففيها ملاّك وفيها فلاحون فقط وأغلب الملاك هم من الأجانب لأنهم يملكون الجزء الأعظم من المساحة اما مباشرة او عن طريق الرهن فهل يريد الأستاذ تكوين حزب الفلاح من صغار الملاّك المرهقين بالديون تمرداً على دائنيهم ام يريد ان يكونه من عديمي الملك ضد المالكين

ان اغلب النقط التي عرضها الأستاذ مظهر معقولة وكنت اود لو طالب الوفد المصري بادماجها ضمن برنامجه الداخلي . اما تكوين حزب من صغار الملاّك او من الأجيرين ووضعه تحت سيطرة حزب سياسي له برنامج سياسي معروف فأمر لم يسمع بمثله

حقيقة ان احزابنا المصرية فقيرة جدًّا في برامجها الداخلية وعسى ان تكون صيحة الأستاذ دافعة لها على الالتفات الى الاصلاح الاجتماعي الذي هو في نظرنا اساس كل حركة سياسية

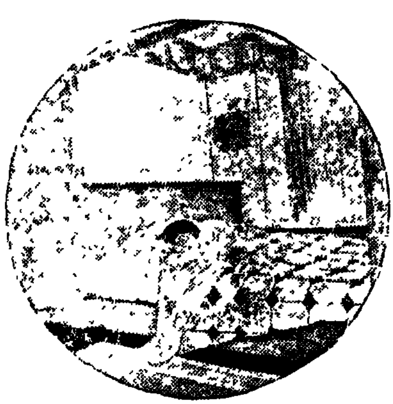
***

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطفل الناقه والعناية به

خطورة العناية بالناقه



الجو الموافق المعد لقوة الطفل الناقه

قال ويدار دوپان الطبيب الفرنسي سنة ١٨٤٤ ما يأتي: « الى الطبيب يجب ان يهتم في العناية بالناقه كما يهتم اليه في العناية بالمريض». وقوله هذا لم تبلِ الايام جدتهُ. فهو في هذا العصر صحيح كما كان من خمسٍ وثمانين سنة. ففي اثناءِ نقهِ الطفل لا مندوحة عن الاستعانة بمشورة الطبيب او ارشاده. فاذا لم تدرك الأمُّ خطورة هذا القول او لم تحفل بهِ نجم عن عملها نتائج تكون في بعض الأحيان مميتة

لتعتبر الأم حالة الطفل بعد اجتيازهِ منطقة الخطر في مرضه وقد اخذت امائر الصحة تبدو عليهِ. يرى الطبيب حينئذٍ ان يقلّل زياراتهِ الطبية ولدى ادنى اشارة من الوالدين ينقطع عنها بتاتاً فتنتقل العناية الدقيقة بالطفل الناقه من ايدي الطبيب الى ايدي والديهِ فيهملان في الغالب التدقيق في كل ما يحتاج اليهِ جسمهُ الضعيف الناحل وما يجب ان يمنع عنه حتى لا يصاب بنكسهِ. وهما يحسبان في الغالب ان الشفاء التام صار امراً محققاً. فتقل عنايتهما بالاشراف على الشؤون الصحية اللازمة ولما كان الطفل ممنوعاً في اثناءِ مرضه من استقبال الزائرين في غرفتهِ وعن اللعب بلعبهِ او التمتع بما يتمتع بهِ الأطفال الأصحاء لأنها امور لا يتحملها جسمهُ المريض فان والديه الآن يرون دخولهُ في دور النقهِ ايذاناً باستقبال الزوّار والتحدث اليهم وسرد ما يعرفهُ من النكات

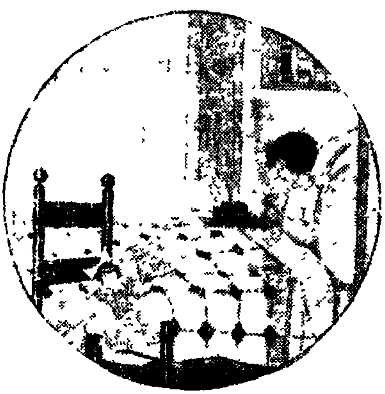
وتلاوة ما تعلمه من الأشعار واللعب بلعبه المختلفة ويسمحون له بتناول ما تعوّد تناوله من صنوف الطعام وينتظرون منه ان يأكل ما تعوّدا كله في حالته الصحية . وبكلام موجز ينتظرون منه ومن جسمه المدكوك بسموم المرض ان يرجع كما كان . جاهلين او متجاهلين ان الجسم الضعيف لا يتحمل كل هذا

وأهم من الأمور المتقدمة نوع العلاقة التي تتوطد بين الطفل وأسرته في دور النقه - فالطفل في حالته الصحية يعمل اعمالاً يتعذر تفسيرها على من لم يعرف طبائع الأطفال وطرق تعليمهم وتهذيبهم. اما وهو خارج من مرض وجسمه ضعيف فالمرجح ان يكون عصبيًّا يبكي لأقل سبب او يطلب اشياء لا يسمح له عادة بتناولها مراعاة لصحته ولكن الأم الحنون لا تنظر الى ذلك فهي لشدة فرحها بنجاة ابنها لا تمنع عنه شيئاً مما يطلب . وهذا خطأ كبير. لأن الطفل حينئذٍ يدرك ان طلباً له لا يردّ .فتكثر مطالبه. ولما كان الطبيب قد انصرف عن عيادته والأم وسائر افراد الأسرة ميالون الى اجابته الى جميع رغباته فحالة الطفل في هذا الدور ابلغ مثل على سوء الادارة. فيُسدّ طريق الشفاء التام بسدٍّ مبني على الجهل الذي يقصد منه النفع .

لأن اجهزة الجسم تحاول في فترة النقه ان تستعيد قوتها الطبيعية وحيويتها لتعيد بناء الأنسجة التي تلفت في اثناء المرض وتخزن قوة جديد تستعمل في حين الحاجة اليها في قابل الأيام

بهذا نستطيع ان نعلل اصابة الطفل بمرض تالٍ الآخر او انتكاسه . ذلك انه لم تمنح الاوقات الكافي ليشفى شفاء تاماً من المرض السابق فينتكس او يصاب بمرض لاحق بعد المرض الأول . اما ما تقوله الامهات عادة : « منذما مرض ابني مرضه الأول لم يرَ يوماً مثل الناس» فتفسيره ان الطفل في دور النقه بعد المرض الأول لم ينل اسباب الراحة اليسيرة

ولما كان الطفل لا يدري مدى قواه الجسدية فانه يكون ميالاً في الغالب الى انفاقها من غير حساب لانه لا يدري ان دور النقه هو دور استعادة القوى والحيوية لا انفاقهما



طرق لتسلية الطفل في اثناء النقه

الامراض التي تقتضي عناية خاصة

فالاعياء التام الذي يتبع الانفلونزا والنزلة الصدرية وغيرهما من الامراض المعدية تحتاج الى كل خبرة الطبيب وبراعته . لان العناية الصحيحة تخفف بل وتمنع الاختلاطات التي تحصل عادةً في اصابات الحصبة او الدفتيريا او الحمى القرمزية او السعال الديكي . واكثر

الناس لا يدرون ان مرض القلب كثيراً ما ينشأ في الطفل بعد انقضاء سنة كاملة على شفائهِ من الرقص (الخوريا : وهو نوع من التشنج العصبي يصيب الاطفال والبنات منهم اكثر من الصبيان ويصحبهُ دقة الاحساس والضعف العام وانحطاط القوى العقلية) او الحمى الروماتزمية. وانت لو قلت لاحدهم ان ابنك مصاب بمرض القلب لدهش وقال « مرض القلب وهو طفل ! من اين اتاه »!

واهمال العناية اللازمة بالطفل الناقه قد يفضي الى ايقاظ مرض مزمن او عدوى كامنة في الجسم فتظهر اعراض لاعلاقة لهُ في الظاهر مطلقاً بالمرض الذي شفي منهُ المصاب كظهور السل او الاصابة في الكليتين او غير ذلك من الاصابات التي يظن انها كانت قد شفيت كلَّ الشفاء قبلاً . فمعرفة هذه الفروع العديدة لموضوع النقه يحمل الطبيب على التشديد بوجوب العناية بالطفل الناقه اتمَّ عناية وأوفاها. لانهُ يعرف مدى الخطر الذي يتعرض لهُ الطفل الذي بين يديهِ

مهما يكن المرض طفيفاً فهو يؤثر في الاعضاء والانسجة المختلفة تأثيراً يختلف مداهُ باختلاف الانسجة والاعضاءِ . وقد يبقى هذا الفعل في بعض الانسجة والاعضاءِ حتى بعد الشفاءِ فتقف بعض الانسجة مثلاً عن تجديد قواها وحيويتها . وقد سمعنا كثيراً من والدين دعوا الطبيب بعد شفاءِ طفلهم ليفحصهُ لانهُ لا يستطيع ان يمشي مشياً طبيعيًّا . ولو ان الطفل بقي اسبوعاً آخر في السرير حتى يستطيع جسمهُ ان يخزن قوة كافية لرجليهِ وعضلاتهما التي ضعفت فعجزت عن حمل جسمهِ لكان في ذلك البرء التام

قواعد العناية

فما هي قواعد العناية التامة بالاطفال الناقهين ؟ العناية بالناقهين تختلف باختلاف الامراض لا بل تختلف في المرض الواحد بين طفل وآخر . ولذلك يلزم ان يشرف عليها الطبيب . فالحصبة مثلاً تسير سيراً قانونيًّا في كل الذين يصابون بها كعلو الحرارة وظهور الطفح وهبوط الحرارة وغير ذلك من الاعراض . ولكن النقه من الحصبة يختلف باختلاف الافراد والعناية بالناقة تختلف كذلك. ففي دور النقه يجب ان نعنى بمعالجة المريض لا المرض

﴿ الراحة ﴾ الراحة من الاصول التي يجب ان تقوم عليها كل عناية بناقهٍ طفلٍ . لانها تمهد السبيل للانسجة لتنفض عنها آثار المرض فتجدد ما تلف من خلاياها وتستعيد من النشاط والقوة سيرتها الاولى . والراحة كذلك — سواء اكانت جسدية او عقلية — لا تستدعي انفاقاً للقوة التي يحتاج اليها الناقه كلَّ الحاجة لتجديد قواهُ . فان هو لم يصب من الراحة نصيباً كافياً حمل عبئاً مزدوجاً هو انفاق ما عنده من قوة ونشاط، ومنع الانسجة من تجديد

قوتها ونشاطها . وتنقص ساعات الراحة رويداً رويداً بحسب مقتضى الحال . ومن الوسائل الحسنة لقضاء ساعات الراحة في السرير من غير انفاق قسطٍ كبير من القوة اعطاء الولد من الادوات ما يستطيع ان يصوّر بها صوراً بالالوان او تعليمه صنع السلال الصغيرة من عيدان الخيزران الدقيقة او وضع آلة كاتبة امامهُ صغيرة الحجم وحمله على التسلي بها بالنقر عليها . وفترات الراحة يجب ان لا تكون في السرير دائماً فقد تكون في كرسي مربع حيث يستطيع الناقه ان يرتخي فتستريح العضلات بانبساطها

وبعد ذلك يأخذ في ممارسة ضروب الرياضة الخفيفة كالمشي قليلاً او العناية بغرس نبتة في الحديقة او الرقص مدة قصيرة رقصاً غير عنيف. والمرغوب فيهِ من ضروب الرياضة ما يكون في عيني الطفل تسلية ولعباً وان يتدرج في ممارستهِ رويداً رويداً

﴿ الغذاء ﴾ اما مسألة الغذاء فمن اهم المسائل في العناية بالطفل الناقه . والطبيب هو اصلح الناس لوضع بيان كامل للغذاء . فعامة الناس مثلاً تعتقد ان الاطعمة الدهنية من اهم ما يحتاج اليهِ الناقه في مطلع دور النقه . والحقيقة غير ذلك . فالغذاء يجب ان يشتمل اولاً على الاطعمة النشوية لان جهاز الهضم يستسهل هضمها

ويلي الراحة والرياضة والغذاء العناية بتدليك الجسم تدليكاً معتدلاً فتنشط بهِ العضلات ويلي ذلك الاستحمام بالماء الفاتر يتبعهُ رشٌّ من الماء البارد لتنبيه الجسم

اما الهواء النقي ونور الشمس فعنصران من اهم عناصر الصحة والقوة ومهما نقل في فائدتهما اذا احكم التعرض لهما لا نكون مبالغين

ويجب ان تنال مسألة الملابس عناية خاصة في دور النقه وفي غالب الاحيان يجب ان تكون الملابس من صوف ناعم خفيفة الوزن ويجب ان تكون واسعة تطلق حرية الحركة للاعضاء . لان الضغط على الصدر والعضلات يحمل الجسم على انفاق القوة جزافاً في اثناء التنفس او الحركة . والالوان الزاهية تكون عادة مصدر سرور وبشاشة يمكنان الطفل من استعادة قوتهِ بسرعة . وهذا الجو المفعم بالسرور والبشاشة مقو طبيعي للجهاز العصبي وللجسم بوجه عام

الصبر فضيلة. وقال العرب « الصبر مفتاح الفرج » . وهو خصوصاً كذلك في دور النقهِ لانهُ اذا طال امد المرض والنقه ضجر المريض وضجر اهل بيتهِ . في هذه الحال نجد ان بشاشة طبيب بارع والاعتصام بحبل الصبر اقوى العوامل في العودة من اغوار المرض الى انجاد الصحة والنشاط

مكتبة المقتطف

تاريخ ادب اللغة العربية

للمدارس السنوية

تأليف الاستاذ احمد الشايب — طبع بمطبعة الاسكندرية بآخر شارع المطارين — صفحاته ٢٩٢ قطع وسط

لقد جمع الأستاذ الشايب في هذا الكتاب اطراف البحث في تاريخ الادب العربي من العصر العباسي الى العصر الحديث وهو المقرر للسنة الخامسة في المدارس الثانوية. فعالج الحالة الاجتماعية والسياسية في العصر العباسي الى آخر عهد المتوكل وأثرها في اللغة والأدب الى فنون الشعر في ذلك العصر الى أشهر الشعراء وأساليب الكتابة وأبرع الكتاب وأثرهم في التأليف بالترجمة. ثم الم بأحوال الآداب العربية من عهد المتوكل الى سقوط بغداد وكيف صارت مصر مركزاً للنهضة الأدبية في عهد الفاطميين وتدرّج في ذلك الى مطلع العصر الحديث وأسباب النهضة الحديثة ونتائجها وأعظم اعلامها في النثر والشعر والصحافة. ولما كان الكتاب مدرسيًّا فقد عني الأستاذ بجعل مباحثه واضحة المعاني حسنة التبويب والترتيب وساعدهُ في ذلك رشاقة اسلوبهِ العصري السايم فجاء كتابهُ خير رفيقٍ للطلاّب في المنهج الأدبي المقرَّر

يوبيل لسان الحال

لسان الحال جريدة يومية سياسية تصدر في بيروت انشأها فيها المرحوم خليل سركيس والد صاحبها الحالي الأستاذ رامز سركيس سنة ١٨٧٧ واحتفي بيوبيلها الذهبي في ١٧ دسمبر سنة ١٩٢٧ فتبارى الكتاب والشعراء والصحافيون في الثناء على لسان الحال والخطة النزيهة التي جرى عليها منشؤهُ والخدمة الجليلة التي اداها منشئهُ للطباعة العربية والصحافة العربية. وقد جمعت اقوالهم في كتاب يضمُّ ٣٤٦ صفحة من قطع المقتطف جاءت كل صفحة منها شاهداً ناطقاً بأن الفضل يعرفهُ ذووهُ ومما قالهُ الاستاذ وديع عقل

اجرى البيان على اللسان فما جرى … الاّ بذائب عسجدٍ ولآلي
يرمي بحجته فتصدع شرة البا … غي وتصفع وجنة الخطّال
متحافياً عكرَ المناهل شارعاً … شرعاتهِ في المورد العسالِ
متصلباً للحق غير مصانعٍ … متعصباً للصدق غير مبال

فنهنئ اللسان وصاحبهُ ومنشئيهِ ونرجو لهم اطراد النجاح في عملهم

مذكرات لورد غراي

وتبعة الحرب العالمية

المذكرات للورد غراي وزير خارجية بريطانيا ووكيلها البرلماني من سنة ١٨٩٢ الى ١٩١٦ نقلها الى العربية الاستاذ علي احمد شكري محرر السياسة الخارجية في جريدة الاتحاد — صفحاته ٣١٦ — مزدان بصور كثيرة — له مقدمة في ١٧٦ صفحة وضعها المترجم في مقدمات الحرب الكبرى

طغت بعد الحرب الكبرى كتب المذكرات فكل سياسي وكل قائد وكل صحافي وكل متصل باحد هؤلاءِ وضع كتاباً قال انهُ يشتمل على مذكراتهِ عن الحرب الكبرى. وبعض هذه المذكرات لاقيمة لهُ من الوجهة التاريخية على الاطلاق. اما المذكرات التي كتبها رجال كانوا بانفسهم يدبرون شؤون الامم ويوجهون الحوادث — كتشرتشل وپوانكاري وهوس وغيرهم — فلا مندوحة عنها لكتّاب التاريخ في المستقبل. لانها مع الوثائق الرسمية التي نشرتها الحكومات او حفظتها مطوية في خزائنها هي اعظم المصادر التي يرجع اليها المؤرخون لاستقاءِ الحقائق فيعارضون بعضها ببعض ويوازنون بينها ويخلصون من ذلك الى ترجيح رأي على رأي وحكم على آخر. وفي المقام الاول بين الذين كتبوا عن الحرب الكبرى ومقدماتها يجب ان نضع لورد غراي اوف فالودن. فقد قضى في وزارة الخارجية البريطانية خمساً وعشرين سنة ويده على النبض السياسي الاوربي يدسّهُ دسّ خبير بالامور مطلع على اصولها وخفاياها. لذلك جاءت مذاكراتهُ كما ينتظر من امتع الكتب التي كتبت في هذه الناحية من الموضوع. وفاقت غيرها باتزان الحكم وضبط العاطفة والامانة في تأدية الحقائق

فالنقاد السياسيون مثلاً يحسبون الكتب التي وضعها المستر تشرشل في طبقة ما كتبهُ ماكولي اذا اعتبرنا براعة الاسلوب وحسن البيان ولكنهم ينعون عليهِ انهُ غير مدقق في سرد الحقائق وان غرضهُ من كتبهِ تسويغ الخطة التي جرى عليها لما كان متقلداً وزارة البحرية في انكلترا في مطلع الحرب. لذلك كان يسرد الحقائق التي تؤيده في كثير من الاحيان متعامياً عن غيرها. اما لورد غراي فاكثر امانة في وصف الحال واشد دقة في سرد الحقائق واكثر ضبطاً للعاطفة حين معالجة رأي يختلف مع رأيهِ او نقد خصم من خصومهِ السياسيين

لذلك نرى ان الاستاذ علي أحمد شكري قد احسن صنعاً بنقلهِ مذكرات لورد غراي وعسى ان لا يتأخر في اصدار الاجزاءِ التي تلي هذا الجزء وان يتبعهُ بغيره من امهات المذكرات السياسية الحديثة لان في الخزانة العربية نقصاً معيباً في هذا النوع من التاريخ السياسي

اصول النفس واسرار العقل الباطن

يحتوي على طائفة من المباحث هي من احدث ما كتب في هذا العلم موجزة السياق سهلة العبارة ومن فصولهِ الغريزة والنوم والتعب والاحلام والعادة وتأثير العقل في الجسم والجسم في العقل والارادة والذاكرة والتخيل والايحاء للنفس (اي الاستهواء) نقلها ولخصها عما كتبهُ كبار المشتغلين بهذه المباحث الفلسفية السيكولوجية يوسف افندي اسكندر جريس والكتاب يقع في ١٦٤ صفحة من القطع الصغير وثمنهُ ١٥ غرشاً

فوست

يحسب غوته بحق آخر العقول العالمية التي استطاعت ان تتخذ كل افعال البشر وفروع معرفتهم ميداناً لها فتبرز فيهِ .لان حياتهُ وموتهُ كانا على عتبة عصر اتسع فيهِ نطاق المعرفة اتساعاً جعل الاحاطة بفروعها امراً متعذراً على عقل بشري. اما مقام غوته كشاعر فقد تقلبت عليهِ الاحوال من اهمال عند ابناء المدرسة « الالمانية الحديثة » الى احياءِ العناية العظيمة بهِ والاعجاب الشديد بنبوغهِ في آخر القرن التاسع عشر. اما انهُ كان ولا يزال اعظم شاعر انجبتهُ المانيا فلا يختلف فيهِ اثنان . فترجمة « فوست » وهي آية آياتهِ في الشعر والادب الى اللغة العربية حادث عظيم يجب ان يهنأ بهِ المترجم الاستاذ محمد عوض محمد الاستاذ المساعد بكلية الآداب في الجامعة المصرية

« وفوست » رواية تمثيلية اشخاصها ليسوا من البشر بل من عالم خياليّ. بطلها فوست عالم مفكّر شديد التعطش الى ادراك ما لا يدرك يحاول بالعلم ان يطلع على اسرار الوجود فيرتدُّ خائباً شديد التشاؤم ويشتدُّ ذلك بهِ حتى يصبح فريسة الشك والجحود ويرمز الى هذه الروح بالشيطان مفستوفيلس وكاد ينتحر ولكن الروح تتراءى لهُ فتقول ما لك وللعلم والفلسفة كل ذلك باطل لاخير فيهِ تعال اتبعني فاخوض معك غمرات الحياة تبلو مرّها وحلوها فيقبل فيتخبط في عالم الشهوات اولاً ثم يخوض الحياة السياسية لتأدية خدمة عامة ثم ينقلب داعية للفن اليوناني ولكن مفستوفيلس لا يزال قرينهُ يدفعهُ على التحول والتنقل حتى يبلغ المائة فلا يرى امامهُ الاّ القبر فيقف امامهُ ولسان حاله يقول «لا يستحق الحياة او الحرية الاّ من يسعى ابداً في الحصول عليها ». وقد كانت حياة غوته ابلغ مثل على هذا القول . حتى لقد قالت الانسكلوبيذيا البريطانية . « ان آيتهُ الخالدة هي حياتهُ »

اما لغة الترجمة في الرواية فتجمع بين سهولة التعبير وبلاغتهِ وقد قابلنا بعض عباراتها على ما يوازيها في « الترجمة » الانكليزية فوجدنا الترجمة دقيقة فاذا كانت كلها كذلك كان ترجمة فوست الى العربية من اهم الآثار الادبية التي ظهرت هذه السنة

الاعلام

لمؤلفه خير الدين الزركلي — الجزء الثالث صفحاته ٣٨٠ صفحة قطع المقتطف — طبع بالمطبعة العربية بالموسكي

اشرنا الى هذا المؤلف النفيس الذي لا يستغني عنهُ كاتب عربي ولا مشتغل بالصحافة العربية حين صدور جزئيهِ الأولين ووصفنا الباعث الذي حمل مؤلفهُ البارع على تكبد صنوف المشاق في جمع موادهِ من مختلف المظان العربية جمعَ محققٍ وأبنا الطريقة التي جرى عليها في الجمع والتلخيص والاسناد. واقتبسنا منهُ قطعة لبيان ذلك. وقد أتم مؤلفهُ هذا بنشرِ الجزءِ الثالث منهُ ويليه المستدرك الذي يشتمل على تراجم فاتهُ ذكرها

قلنا ان الكاتب العربي سواء كان صحافيًّا او اديباً لا يستغني عن هذا المؤلف لأنهُ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساءِ من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحالي. وكل ترجمة على ايجازها تشتمل على اهم الحقائق التي ترام معرفتها عن المترجم مع تاريخ ميلادهِ ووفاتهِ بالسنين المسيحية والهجرية وذلك نقلاً عن اوثق المصادر العربية. فهنيء المؤلف « بقاموسهِ » الذي يسدُّ فراغاً كبيراً في الخزانة العربية لا يدركهُ الاَّ من يعانيهُ حين التفتيشِ في وفيات الأعيان او طبقات السبكي او تذكرة الحفاظ او طبقات الأطباءِ او تحفة الأعيان او غيرها من المطوَّلات المطبوعة او المخطوطة

قيثارة الشباب

مجموعة قصائد ومقالات — عربية وانكليزية — بقلم الأديب بدري سليم فركوح
طبع بالمطبعة السوريه التجارية بنيويورك لصاحبها سلوم مكرزل طبعاً متقناً

قال الشاعر في وصف « قيثارتهِ » : « قيثـارة الشباب هي نغمات الروح وهينمة النفس . هي رؤى وأحلام هي خواطر ومعتقدات . هي مزيج من عواطف الفتوة واحساسات نشأت في ذلك الدور الجميل » . وكذلك هي فالاخيلة في القصائد العربية والافرنجية اخيلة شاب يتدفق دم الحياة في عروقهِ . ولـكن اسلوبهُ العربي لايزال في حاجة كبيرة الى الاستقرار والصقل حتى يتسق مع المعروف عن مقاييس الاسلوب العربي المدرسي (*Classic*) لأنّنا من الذين يقولون ان الشعر العربي لا يقوم الاَّ باثنين مجتمعين المعاني او الصور الشعرية من جهة والاسلوب من جهة اخرى . فلا الاسلوب خالياً من المعنى او الصور الشعرية الجميلة يكفي ولا المعاني العالية والصور الجميلة في ثوب خلق من الألفاظ

اما اسلوب المؤلف النثري فيفضل اسلوبهُ الشعري متانة بناء وجزالة الفاظ رغم ماتقع عليهِ من هنات لغوية كاستعمالهِ « الأوائل » وهو يقصد « الآلات » و « البواصر » وهو يقصد « الأبصـار » اما معانيهِ فتنمّ على سعة اطلاع على الصحافة الافرنجية

وأما اسلوبهُ في الشعر الانكليزي فحسنٌ ومن ابدع مقاطيعهِ قولهُ في وصف شلالات نياغرا « في قاعك العميق الخدَّد مدفونة اسرار الزمان المقدسة وفي شلاَّلك الهدار تدوي نغمات الصور المستفزة (للشعور) »

جمال المرأة في القصيدة اليتيمة

عني الاستاذ محمود ابو الوفا الاديب المعروف بشرح المفردات اللغوية في القصيدة اليتيمة التي مطلعها

هل بالطلول لسائل ردُّ   أم هل لها بتكلم عهد

وهي على ما قال الاستاذ الهامي في ديباجتهِ الموجزة « القصيدة الوحدة في شعر العرب التي تناولت جميع اعضاء المرأة وصفاً . فلو انك قدمتها الى مصوّر فطلبت اليهِ ان يلوّن لك هذه الصفات كما رسمها ذوق الشاعر لرأيت صورة المرأة التي لو رآها ابناء القرن العشرين لقلدوها اكليل ملكة الجمال » . وحبذا الحال لو عهد الأستاذ ابو الوفا الى احد اصحاب المطابع الشهيرة بطبعها طبعاً متقناً يتفق مع مكانة القصيدة وشرحها

العاصفة

امامنا ترجمتان « للعاصفة » احداهما للأستاذ يوسف اسكندر جريس والثانية للأستاذ محمد عبد العزيز امين . اما الترجمة الأولى فقد عني صاحبها بجعل كل صفحة منها في عمودين عمود يحتوي على الأصل الانكليزي والعمود الذي يقابلهُ على الترجمة العربية . وهي مطبوعة طبعاً حسناً بمطبعة المقطم . اما الثانية فخالية من الأصل الانكليزي ومطبوعة على ورق سخيف طبعاً غير نظيفٍ . فاذا كان القصد من عدم العناية بطبعها طبعاً جيداً ترخيص ثمنها فهذا امتهان لحقوق شكسبير ومكانتهِ في عقول المتأدبين . وهنا لا بدّ يسألنا القارىء رأينا في الترجمة الحرفية والمعنوية . فنحن نرى ان الترجمة الحرفية التي تحتفظ بأصل اللغة العربية وروحها هي الطريقة الوحدة لترجمة شكسبير وغير شكسبير من كبار الشعراء الغربيين ولا طريقة غيرها على ما بسطهُ الاستاذ اسماعيل مظهر في هذا الجزء

طبعة جديدة للمصحف الشريف

كانت الحكومة المصرية والهيئات الدينية والمدارس الحرة تستورد لتلاميذ مدارسها المختلفة نسخاً عديدة من المصحف الشريف من طبعات يقدمها الموردون مما هو مطبوع في الخارج . غير ان معظم هذه الطبعات كان لا يخلو من اخطاء جوهرية فيهِ . حتى لجأت الحكومة غير مرة الى اعدام النسخ التي ظهر فيها الخطا فحمل كل ذلك الحكومة المصرية على التصميم على طبع مصحف شريف صحيح طبقاً للرسم العثماني وفعلاً بدأ التفكير والدرس حوالي سنة ١٩٠٧ وتولت المطبعة الاميرية العمل فجمعت الصحائف وراجعتها

هيئة من مصححيها العالمين بالاصول الدينية وبعد ذلك تولت مشيخة الازهر الشريف المراجعة الدقيقة فاحالتها على شيخ المقارىء . وكلفت مصلحة المساحة القيام بعملية الطبع بطريقتها المعروفة « اوفست » فقامت بها على اتم وجهٍ وأوفاه

وقد ظهرت حتى الآن نسخ طبعتين من هذا المصحف تخاطفتها الايدي في كل البلدان الاسلامية . وظهرت الآن الطبعة الثالثة علي ورق جيد مجلدة تجليداً متيناً وأودعت نسخها في قلم نشر المطبوعات بوزارة المالية وثمن النسخة عشرة غروش صاغ وهي قيمة نفقات الطبع فقط

مصارع الخلفاء

مشاهد رائعة من التاريخ — نقلها الاستاذ كامل كيلاني — ١٤٠ صفحة من الحجم المتوسط — نشرتها مكتبة الوفد لصاحبها محمد محمود بشارع الفلكي بباب اللوق بمصر ثمن النسخة ٥ غروش

هو أول كتاب طبع في هذا الباب جمع بين دفتيهِ مصير الخلفاءِ من عهد الفاروق الى المعتز بالله . وإن في الكلام على مصارعهم لاثارة من تاريخهم ومآسي وعبراً كان كل منهم المبتدأ ومصرعهُ الخبر . وتاريخ الاسلام يتمثل في تواريخهم اكثر مما يتمثل في شعوبهم وتاريخنا الحاضر يتمثل في شعوبنا أكثر مما يتمثل في ملوكنا . ولا غرو اذا كان خلفاء الاسلام ابقى على الايام من الايام . وقلَّ ان نظفر بتفصيلات مصارعهم مجموعة في غير هذه المجموعة

وقد يصور التاريخ أحوال اولئك العادلين من الخلفاء المسلمين أحسن تصوير كما يصور احوال الظالمين الماجنين اقبح تصوير فنألم لهم على ظلمهم ومجونهم اذا اعتامهم القدر بالقتل والتمثيل كأن شناعة موتهم أنستنا شناعة أعمالهم ولا غرو اذا استحر القتل في اواخر الخلفاء الاسلاميين من الأمويين والعباسيين. وكأني انظر الى دمائهم تترقرق بين ثيابهم وتسيل على عروشهم فلا يرثى لهم أحد . فاذا اعيادهم مآتم واذا افراحهم اتراح واذا مجالس لهوهم مجالس نعيهم واذا هم عادوا كما بدءوا . فناء ثم فناء كما قال المعرى

حياة كجسر بين موتين أول وثان وفقد الشخص ان يُعبر الجسرُ

وكما قال الفرد دى فنيه « ما الحياة الا جسر بين فناءين »

وأعجب ما عجبت له ان الدنيا نثرتهم في التراب ونظمتهم أنت أيها الاستاذ في كتاب وأن عصورهم تباينت ومصارعهم تباعدت فألفت بين المتباينات ، وقاربت بين المتباعدات في صفحات ، بأسلس عبارة وأوضح إشارة ، ومهدت للقراءِ سبيل الانتفاع، بهذا الابداع

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعاني

وقد تخيرت من الروايات التاريخية المضطربة ما صح لك وراق وجاد لفظهُ وشاق . وانتظم عقده ووضح نقده فرحى مرحى . فما أنت حيال التاريخ الا راوية . وحيال المؤرخين الا رسول وما على الرسول الا البلاغ ؟ . عبد الرحيم محمود

باب الاخبار العلمية

الاذاعة اللاسلكية بعد عشر سنوات

كل الذين راقبوا ارتقاء الفنون اللاسلكية في السنوات الثمان المنصرمة ادركوا خلوَّهُ من الخطة المحدودة والانتظام . فكانت المحاط اللاسلكية تنشأ هنا وهناك بين ليلة وضحاها كأنها بزور ذرتها الرياح على وجهِ الأرض . فارسلت جذورها في الارض وفروعها في السماءِ . وحاول اصحاب هذه المحاط اللاسلكية ان يقدموا للجمهور اللاسلكي ما يسرُّهُ ويسليهِ وكانوا يسدّدون نفقاتهم مما يذيعونهُ من الاعلانات لأصحابها

فنشأ عن ذلك فوضى في الأثير مصدرها الاضطراب الحاصل من اعتراض الأمواج اللاسلكية بعضها بعضاً في الأثير. اذ لا يخفى على قرّاءِ المقتطف ان الأمواج اللاسلكية المذاعة من محطين متجاورين تتعارض وتتشوش اذا نقص الفرق بينهما في الطول عن مقدارٍ معيّن . وبلغت الفوضى معظمها في اميركا لكثرة المحاط التي انشئت فيها فقبضت الحكومة على زمام الأمر ووزعت على المحاط اطوالاً معينة للأمواج اللاسلكية التي تذيع بها فصار في الامكان الآن ان يذيع محطان متجاوران الأغاني والموسيقى في وقت واحد من غير ان يشوش احدهما ما يذيعهُ الآخر . ولكن هذا العمل ليس الاّ خطوة واحدة على طريق غايتها وضع نظام عامٍ من هذا القبيل يشمل كل الأمم والبلدان

من المعروف لدى العلماءِ ان الف نوعٍ من الأمواج اللاسلكية يستطاع استخدامهُ للاذاعة . وقد تقاسمت المحاط التي أنشئت حتى الآن نصف هذا العدد فيما بينها ولا بدّ ان يعاد النظر في هذا الاقتسام قبلما يوضع نظام دولي شامل

ولا تنقضي عشر سنوات حتى تكون الاذاعة اللاسلكية قد اصبحت فنّاً من الفنون الجميلة ويكون المهندسون قد نفذوا الى اسرار الاذاعة والاستقبال وأتقنوا وسائلهما حتى ليستطيعوا ان يخلقوا في مخيلة المستمع وَهْمَ قربهِ من المغني او الموسيقي او الخطيب او المحدّث مهما تكن محطة الاذاعة بعيدة عنهُ. وبقبضهم على اعنة هذا الفن الجديد يمحون الفواصل الجغرافية فيستطيع المستمع المصري او الايطالي ان يدوزن آلتهُ ويصغي الى اية محطةٍ من محطات الاذاعة الدولية سواءٌ كانت من كندا



السر فردريك جولند هبكنز
زعيم الباحثين في مسائل الفيتامين واحد نائلي جائزة
نوبل الطبية في سنة ١٩٢٩

او استراليا او اليابان . ويقضون على اسباب الاضطراب والتشويش التي تنشأ الآن من اضطراب الجوّ وعصف العواصف ولمع البروق ومتى فعلوا كل ذلك يصفو الأثير ويصبح وسطاً نقيًّا لاذاعة اعظم منتجات الفنون البشرية . وأول هذه المنتجات الموسيقى لغة العواطف الدولية . فنستطيع ان نصغي الى الأوبرات الكبيرة والأوبرات الخفيفة والسمفونيات والأغاني وأنواع الموسيقى الأخرى كما يخرجها اكبر الموسيقيين الاحياء في اعظم دور الموسيقى في العالم . ولا بدَّ ان تتخصص المحطات المختلفة بنوع الموسيقى الذي تذيعهُ . فتختصّ محطة داڤنتري الانكليزية مثلاً بالموسيقى والأغاني الظريفة (ڤودڤيل) وتختص محطة استوكهلم مثلاً باذاعة الموسيقى السمفوية وكونجسبرج بموسيقى الرقص ومحطة ميلانو بالأوبرا . وهذا يمهد السبيل لتمرين جوق اوبرا عالمي يتفوَّق على كل الاجواق المعروفة الآن لأن مدربيهِ يدرون ان العالم بأسرهِ يصغي اليهم

ومن الأمور الخطيرة التي ينتظر تحقيقها في السنوات العشر القادمة انشاء ساعة عالمية . فيرسل من محطةٍ خاصة متصلة بمرصد غرينتش بيان منتظم للوقت فتضبط الساعات المحلية بموجبهِ بحساب الفرق في خطوط الطول . والمرجح ان اصحاب الاذاعة اللاسلكية العامة لا يعنون شديد العناية بالتلفزة لأن الحوادث التي تهم جمهور الناس في كل البلدان قليلة . ولا ريب في ان انشاء محطات للتلفزة المحلية يكون موضع عناية المهتمين بذلك . ولا بدّ كذلك من نشوءِ فن جديد يدعى السنما السلكية « التليسينما » اي اذاعة الصور السينمية بأسلاك كأسلاك التلفون . وا تقان هذا الفن اسهل جدًّا من اتقان التلفزة

توزيع جوائز نوبل

جائزة الآداب

فاز بجائزة الآداب لسنة ١٩٢٩ توماس مان وهو روائي الماني لم يشتهر بعد خارج المانيا شهرة بعض الكتاب الالمان المحدثين الذين وضعوا روايات عن الحرب زاد ما بيع من احدها على مليون نسخة ونصف مليون من النسخ ولكنَّ النقاد العارفين في المانيا وخارجها يعترفون بان (مان) اعظم روائيي المانيا المعاصرين كتب منذ ٢٨ سنة رواية موضوعها «بودن بروكس» بدت فيها دلائل النضوج العقلي والفني مع انهُ كان لا يزال حينئذٍ في مقتبل الشباب — في السادسة والعشرين — فطبعت خمسين طبعة في عقد واحدٍ . وبلغ من حب الالمان لهُ واحترامهم اياهُ انهم احتفلوا ببلوغهِ الخمسين في كل انحاء البلاد . ومن رواياتهِ الحديثة رواية « الجبل السحري » تعيد الى الذهن روايات بلزاك لاتساع موضوعها والنقاد الذين اطلعوا عليها وخصوصاً الذين يميلون الى الفلسفة يحسبونها من اعظم الروايات التي كتبت في هذا العصر

جائزة الطب

وقسمت جائزة الطب بين السر فردرك جولند هبكنز الانكليزي مكتشف الفيتامين والدكتور ايجكمان احد اساتذة جامعة أترخت لمباحثهِ البارعة في مرض البريبري

اما مباحث السر جولند هبكنز في الكشف عن الفيتامين فمعروفة لدى قراء المقتطف وقد بسطناها بسطاً وافياً في مقالة « اين نحن في مسائل الفيتامين » في جزء فبراير الماضي صفحة ١٤٦ وهو الآن استاذ الكيمياء الحيوية بجامعة كمبردج. واما الدكتور ايجكمان فكان اول من ادرك ان البريبري داء ينشأ عن الاعتماد على الارز المقشور في التغذية وقد بنى رأيهُ هذا على ما شاهده في الدواجن. ذلك انهُ رأى الدواجن في سجن بجاوى حيث كان طبيباً تصاب باعراض البريبري ولاحظ انها تتغذى بنفاية الارز المقشور فارتأى ان للمرض صلة وثيقة بالتغذية. كان ذلك سنة ١٨٩٧ اي نحو ١٥ سنة قبل اكتشاف المواد الفيتامينية. ومع ان تعليله العلمي لهذه الصلة لم يصب كبد الحقيقة حينئذٍ مهدت مباحثهُ السبيل لامتحان ما يقال عن فيتامين (ب) المقاوم للبريبري فكان في هذه المباحث من الرواد

جائزة الطبيعيات

ومنحت جائزة الطبيعيات عن سنة ١٩٢٨ التي تأخر منحها للاستاذ رتشردصن مدير فرع العلوم الطبيعية في كلية الملك بلندن لكشفهِ عن ناموس يتناول حركة الكهارب المنبعثة من الاجسام الشديدة الحرارة. ولد الاستاذ رتشردصن سنة ١٨٨١ وتلقى العلوم في كلية درهام العلمية وكلية الملك بلندن ثم انتظم في جامعة كمبردج وتفوق في العلوم الطبيعية. ثم تنقل في معامل البحث الطبيعي بانكلترا وانتظم في الجمعيات العلمية المختلفة وسنة ١٩٢١ عين مديراً لقسم الطبيعيات في كلية المعلمين العليا ثم مديراً لهذا القسم في كلية الملك بلندن

ومنحت جائزة الطبيعيات عن سنة ١٩٢٩ للعالم الفرنسي الشاب الدوق ده برولي لمباحثهِ الرياضية الدقيقة في الكهارب المتموجة. وقد اشرنا الى مباحثهِ هذه في مقالة لنا نشرناها في مقتطف ابريل الماضي صفحة ٣٦٩ و ٣٧٠

جائزة الكيمياء

وقسمت جائزة الكيمياء عن سنة ١٩٢٩ بين الاستاذ ارثر هاردن استاذ الكيمياء الحيوية في جامعة لندن والاستاذ فون ايلر من اساتذة جامعة استوكهلم

ولد الاستاذ هاردن في منشستر سنة ١٨٦٥ وتلقى علومهُ العالية في كلية اون بمنشستر ثم بجامعة ارلنغن ثم درس في كلية اون وانتخب عضو في الجمعية الملكية سنة ١٩٠٩ وهو الآن مدير قسم الكيمياء الحيوية في معهد لستر بلندن واستاذها في جامعة لندن

اثر جديد للانسان القديم

في الاجتماع السنوي الذي عقدتهُ الجمعية الجيولوجية الصينية في بكين في ١٤ فبراير

الماضي التي الاستاذ دافدسن بلاك خطبة وصف فيها سلسلة الآثار المتحجرة التي عثر عليها في جوار باكين . ومنها آثار انسان قديم متغلغل في القدم دعاهُ « انسان باكين » كانسان جاوى وانسان هيدلبرج وانسان بلتدوْن وهكذا . والاسم العلمي الذي اطلقهُ عليه هو «سينانثروپوس باكينسيس» كما دعى قبلهُ انسان جاوى پيثكانثروپوس وانسان بلتدوْن ايانثروپوس

والكشف عن آثار انسان باكين لهُ مقام خطير في دوائر العلماء بآثار الانسان القديم ويحسبونهُ في مقام واحدٍ من الخطورة مع الكشف عن انسان جاوى سنة ١٨٩١ وانسان بلتدون سنة ١٩١٢ [1] والظاهر ان هؤلاء الرجال الثلاثة الذين وجدت آثارهم في اماكن متفرقة على سطح الارض يبعد احدها عن الآخر بعداً شاسعاً كان في عصر واحد . نعم يتعذر على العلماء الآن ان يوازنوا بسرعة بين الطبقات الجيولوجية التي وجدت فيها هذه الآثار المتحجرة في البلدان المختلفة . لان الموازنة بين الطبقات الجيولوجية في بلادين متجاورتين كفرنسا وايطاليا وشمال ايطاليا وسويسرا وجنوب المانيا امرٌ سهل على الجيولوجي ولكن يتعذر عليهِ ان يوازن بين الطبقات الجيولوجية في شرق اميركا وغرب افريقية . والاماكن التي عثر فيها على اثار الانسان القديم احدها في انكلترا وآخر في جاوى والثالث في الصين

على ان الامر الذي لاريب فيهِ هو ان المتحجرات التي وجدت مع آثار الانسان المذكور من مميزات عصر البلستوسين في مفتتحه وقد يرجع تاريخها الى نحو مليون سنة . ومما يقال في تاريخ هذه الاثار يرجح لدى العلماء على ما يقوله الاستاذ اليوت سمث ان جنس الانسان الذي يمثله انسان جاوى وانسان بلتدون وانسان باكين هو اقدم الاجناس البشرية ولا يستثنى منها الجنس الذي يمثله انسان هيدلبرج او انسان روديسيا او انسان نيندرتال

لقاح واقٍ من السل

اخذ الدكتور كالمت والدكتور جاران الفرنسيان باشلس التدرن الرئوي (السل) وازدرعاه ازدراعاً متوالياً في الصفراء وهي مفرز المرارة حتى تولد عندهما باشلس اذ حقن بهِ الانسان لا يحدث المرض ولكنهُ يمنح الجسم قوة ومناعة ضدَّ السلّ وحضروا من هذا الباشلس لقاحاً ووزعاهُ على طائفة من الاطباءِ للتوسع في امتحانهِ في الناس والحيوانات وقد اسفرت امتحانات الاستاذ كانتاسوزن الطبيب ببخارست عاصمة رومانيا التي استمرت ثلاث سنوات متوالية عن نجاح تام . ذلك ان الاستاذ المذكور لقح نحو ١٨ الف شخص

(١) لا بد في فهم هذه النبذة من الرجوع الى مقالتنا المسهبة في هذا الموضوع التي نشرناها في مقتطف يونيو الماضي صفحة ٢٥ وموضوعها « اصل الانسان ومنشؤه »

بهِ فظهرت فوائده فيهم كلهم . ومن هؤلاء نحو الف طفل يعيشون في بيئة تساعد على انتشار السل ولكن واحداً من الاطفال الذين طعموا بهِ لم يصابوا بالسل . وقد ثبت من تجارب اطباء آخرين ان هذا التطعيم يمنح الجسم مناعة الى حدٍّ ما ضد الاصابة بباشلس التدرن الفعال

خزانة السر اسحق نيوتن

في مجلة التاريخ الجاري ان جانباً كبيراً من خزانة نيوتن معروض للبيع في انكلترا الآن . وقد ظل امر هذه الخزانة سرًّا حتى كشف عنها الكولونل ده فيلامل حديثاً فقد كان من الامور التي لا تقبل النزاع ان خزانة نيوتن كانت تحتوي على طائفة كبيرة من الكتب النفيسة . ولكن كتب السيَر التي كتبت عن نيوتن لم تشر اليها مطلقاً . وقد ظل الباحثون يعتقدون ان خزانة نيوتن قد زالت او تلفت حتى سنة ١٩٢٠ ففي تلك السنة بيع بيت قديم في «تيم بارك» باكسفردشير بالمزاد وكان صاحبهُ المستر ويكهام مُسغريف يملك بيتاً آخر في مقاطعة اخرى فارسل يوم المزاد طائفة من الكتب القديمة من بيتهِ الثاني الى البيت الاول لتباع مع اثاثهِ فبيعت كلها بارخص الاثمان مع ان بعضها كان ممهوراً بتوقيع اسحق نيوتن هكذا « Is. Newton ». ولما يلبث بعض المشترين ان وجدوا في حيازتهم كتباً خاصة بخزانة نيوتن فبيع بعض هذه الكتب في لندن في محل رجل يتجر بالكتب العلمية القديمة . وبعض المشترين كانوا اميركيين فدفعوا مبالغ عالية ثمناً لبعض النسخ فنسخة اقليدس التي كان نيوتن يستعملها في المدرسة بيعت بستمائة جنيه

ولما احتفل العالم العلمي بانقضاء ثلاثمائة سنة على ميلاد نيوتن كتب الكولونل ده ڤيلا ميل مقالة في مجلة «البوكان» عنوانها «مأساة خزانة نيوتن» فدعاهُ على اثرها المستر ويكهام مسغريف الى زيارتهِ في بيتهِ فزاره فوجد فيهِ ٨٦٠ كتاباً من مجموعة كانت تحتوي على ١٨٩٦ كتاباً مصفوفة في خزائن لم يعلم صاحبها بها قبلاً والا كانت كلُّ هذه المجلدات بيعت كما بيع غيرها سنة ١٩٢٠ ومن ذلك الحين اخذ الكولونل ده ڤيلا ميل يعنى بوضع تاريخ لخزانة نيوتن ويؤخذ منهُ انها بيعت بعد موت نيوتن الى جاره وهذا اعطاها الى ابنهِ في بلد آخر وبعد موت هذا ابتاعها الدكتور مسغريف باربعمائة جنيه ثم انتقلت من الدكتور مسغريف الى ابنهِ . ولما كان اصحابها المتتابعون يلصقون على الكتب الاوراق الخاصة بهم تناسى الناس نيوتن وحفظت كتبهُ كأنها كتب قديمة لا قيمة لها حتى كشف عنها سنة ١٩٢٦

الحكومة المصرية والفنون الجميلة

قررت مصلحة الفنون الجميلة في وزارة الداخلية اعتماد ١٦٧٠٠ جنيه مصري في الميزانية الجديدة لتعضيد الفنون الجميلة في مصر ثمانية آلاف جنيه منها للاوبرا الملكية والف

جنيه لجمعية محبي الفنون الجميلة و١٧٠٠ جنيه لنادي الموسيقى الشرقية والف جنيه لجمعيات فنية مختلفة وخمسة آلاف جنيه لتشجيع التمثيل العربي

الجمعية الملكية وجوائزها

اشرفت السنة على نهايتها واخذت الجمعيات العلمية توزع على الباحثين اوسمتها ومدالياتها ففي مكان آخر من هذا الباب ذكرنا الباحثين الذين وزعت عليهم جوائز نوبل. ومن الجمعيات العلمية التي ينتظر توزيع جوائزها بفارغ صبر الجمعية الملكية البريطانية اقدم الجمعيات العلمية في بريطانيا ومن اقدمها في اوربا. وقد اجتمع مجلسها وقرَّر ان يمنح المدالية الملكية الاستاذ لتلوود استاذ الرياضيات في جامعة كمبردج لمباحثهِ في التحليل الرياضي ونظرية الاعداد الفردة. ومدالية ملكية اخرى للاستاذ ميور استاذ الباثولوجية في جامعة غلاسجو لمباحثهِ في «المناعة» ومدالية كوبلي للدكتور ماكس پلانك الاستاذ بجامعة برلين لمباحثهِ في الطبيعيات النظرية بوجهٍ عام ولاستنباط مذهب الكونتم بوجه خاص. ومدالية دايفي للاستاذ لوِس من اساتذة جامعة كاليفورنيا لما كشفهُ في علم الحركة والحرارة (ترموديناميكس) ومدالية هيوز للاستاذ هاش جيجر من اساتذة جامعة كيل لاستنباطهِ طرق لاحصاء ذرات الفا وبيتا المنطلقة من الراديوم

الامواج اللاسلكية في الصخر

اثبت الدكتور ايف استاذ الطبيعيات في جامعة ماكجل الكندية ان الامواج اللاسلكية تستطيع ان تخترق ما سمكه ٣٠٠ قدم من الصخر الصلد كالصخر الجيري او الرملي. ذلك انهُ وجد ان الامواج اللاسلكية الطويلة تسمع في نفق طولهُ ثلاثة اميال ونصف ميل ولكن الامواج القصيرة التي يقل طولها عن اربعين متراً لا تسمع الاَّ على مسافة بضع مئات من الامتار من مدخل النفق. فلما تقررت عندهُ هذه الحقيقة ارادهو وزملاؤه ان يعرفوا طريقة انتقال الامواج الى داخل النفق على طولهِ. فقال احدهم ان الصخور التي حفر فيها النفق تنقل الامواج. وقال آخر ان الامواج تدخل من مدخل النفق وتسير فيهِ وقال ثالث ان القضبان الحديدية تنقلها. وقال الاستاذ ايف ان الثلاثة تشترك في نقلها. لذلك أراد ان يعيد التجربة في نفق او كهف لا يحتوي على قضبان حديدية ويمكن سدّ مدخلهِ فوجدوا في كهف «مموث» بولاية كنتكي خير مكان لاجراءِ هذه التجارب. ذلك ان مدخل الكهف طويل متعرج يمكن سدُّهُ وفوق الكهف صخر رملي صلد علوهُ ٧٥ قدماً. فلما ادخلت الآلة اللاسلكية اللاقطة الى الكهف تمكن الباحثون من سماع الموسيقى المذاعة من محطات مختلفة في ولايات بعيدة

اصلاح خطاء

وردفي صفحة ٥٥٢ سطر ٢٥ مقالة تاريخ الغناء العربي «هذا العناق» والصواب «هذه العناق»

الجزء الخامس من المجلد الخامس والسبعين

JUNE—DECEMBER 1929

يونيو الى دسمبر سنة ١٩٢٩

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الخامس والسبعون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

VOL. LXXV

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. SARRUF & F. NIMR

فهرس المجلد الخامس والسبعين

فهرس